سيرة النبي ﷺ

لأبي محمد عبد الملك بن هشام

تحقيق

محمد محيي الدين عبد الحميد

المجلد الاول

مكتبة دار التراث

٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

سيرة النبي ﷺ

لأبي محمد عبد الملك بن هشام

راجع أصولها، وضبط غريبها، وعلق حواشيها، ووضع فهارسها

محمد محيي الدين عبد الحميد

الجزء الأول

مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اهـــداء الكتــاب

إلى خير من طَلَعَت عليه الشمسُ ، وسيد من أقلّته الأرضُ وأظلّته السَّماء ....

إلى السِّراج المنير الذى انْبَثَقَ في غياهب الجاهلية والناسُ يتيهُونَ في بيداوات الجهل والتَّعَصُّب والتقليد ، فأنار الطريق للسائرين ، وكشف الله به موضحات الأعلام ..

إلى البشير النذير الذى مَنَّ الله بِبَعْثِه على الإنسانية كلها ، فدعا إلى الله بإذنه ، وضرب المثل الأعلى للإنسان الكامل في قوله وصمته ، وفي سره وجهره ، وفي فِعله وتركه ، وفي أحواله كلها .

إلى صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ومن آتاهُ الله الفضيلة والوسيلة والدرجة العالية الرفيعة ..

إلى الذي وسعت نفسه ما بين الأرض وسمائها ، واكتملت فيه الإنسانية بمعانيها وأسمائها ، وأدبه الله فكان تمام الآداب وحليتها وإنسان عينها إلى رسول الله وخيرته من خلقه ..

إلى من خصه الله بختم الشرائع ، وزينه بالتقوى وجعل البر شعاره والعدل حليته والصدق قوله .. والوفاء طبيعته والقصد فى الأمور كلها سيرته ، والرشد سُنته .

أقدم هذا الكتاب لأنه بعضُ حديث الأجيال عنه والحديث عنه نور العين وجلاء القلوب .

محمد محيي الدين عبد الحميد

تقديم الكتاب

بقلم حضرة صاحب العزة

الدكتور محمد حسين هيكل بك

لا يكاد يخلو كتاب من كتب التاريخ التى وضعها العرب والمستعربون من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم . كان ذلك دأبهم منذ بدأوا التدوين فى النصف الأخير من عهد الأمويين وفى عهد العباسيين . ولقد سار المتأخرون من المؤرخين سيرتهم ونهجوا نهجهم . ذلك بأن هؤلاء وأولئك كانوا يضعون كتباً للتاريخ العام منذ الخليقة . وطبيعى أن يكون شخص الرسول الكريم وعهده أجل ما يقفون عنده من عهود التاريخ ومن الرجال الذين كان لهم فى كل العصور الأثر الخالد .

وقليلون هم الذين أرخوا عصراً خاصا . وقليلون كذلك هم الذين وقفوا جهودهم على سيرة صاحب الرسالة الاسلامية وعهده . لذلك كان أكثر الذين كتبوا السيرة كجزء من التاريخ العام يكتفون بالنقل عمن سبقهم دون بحث أو تمحيص . والذين وقفوا فى حدود السيرة قد اكتفوا بذكر الروايات المتعددة ، المتناقضة أحيانا ، دون أن ينقدوها أو يميزوا صحيحها ويكتفوا به . هذا مع أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم — كما قال الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى فى تقديم كتاب (حياة محمد) — : كسائر سير العظماء ؛ أضيف إليها ماليس منها ، إما عن حب وهوى وحسن قصد ، وإما عن سوء قصد وحقد .

والمرجع الأول لكتاب السيرة بعد القرآن الكريم هو هذا الكتاب الذى بين يدى القارىء ، فسيرة ابن هشام أقدم كتب السيرة عهداً . لم يسبق صاحبه إلى كتابة السيرة كاملة غير محمد بن إسحاق ، وسيرة ابن إسحاق فقدت لولا أن ابن هشام قد دون منها فى كتابه أكثرها . ولعلنا لو رجعنا إلى الطبرى والواقدى وأخذنا مادوناه عن ابن إسحاق وأضفناه إلى مادونه ابن هشام لاجتمع لنا من كتاب المؤرخ الأول للنبى العربى معظمه إن لم يكن كله .

وقد حرص ابن هشام على أن يذكر كل ماوقف عليه من الروايات المتصلة

بالسيرة بعد أن مهد لها بموجز من التاريخ العام وما يتصل منه بها . وبلغ من حرصه ذاك أنه يذكر الخبر الواحد مكررا عدة مرات لينسبه فى كل مرة إلى مصدره من المحدثين أو الرواة . على أنه يجمع فى كثير من الأحيان ما ذكره هؤلاء وأولئك فى خبر واحد إذا لم يكن بين الروايات خلاف يحول دون إدماج بعضها فى بعض . وهو يذكر من التفاصيل ما لا يعنى التاريخ الحديث به ، وإن عنى المؤرخون بالرجوع إليه . فهو يذكر أسماء من شهدوا المواقع سواء منهم الأشخاص ذوو المكانة والخطر ومن لا خطر لهم ، وسواء منهم من أبلوا فى الموقعة ومن لم يرد لهم ذكر أثناء وطيسها . وهو يروى ما قيل من الشعر فى الحوادث المختلفة منسوبا إلى أصحابه ويطيل فى ذلك ما شاء . على أنه يشير فى أحيان كثيرة إلى عدم صحة النسبة . فهو من هذه الناحية مرجع مفيد لمن أراد الوقوف على مختلف الأقوال والروايات والعلم بما قيل من الشعر فى مختلف المناسبات .

وقد طبعت سيرة ابن هشام فيما مضى غير مرة . طبعها المستشرق «وستنفلد» بجتنجن سنة ١٢٧٤ هجرية . وطبعت بعد ذلك بمصر طبعات مختلفة ، مستقلة حينا ، وعلى هامشها كتاب غيرها حينا آخر . وقد امتازت طبعة وستنفلد بدقة ضبطها ، والعناية بتصحيحها ، ووضع فهارس لها . لكن هذه السيرة ككثير من الكتب القديمة تستعصى على قرائها لأكثر من سبب . ومن بين هذه الأسباب غموض المعنى لكثير من الألفاظ أو اشتباهه لانطواء اللفظ الواحد على معان عدة . وهذا أمر عنيت الطبعة التى بين يدى القارىء اليوم بتلافيه . فقد ضبط غريبها وعلق حواشيها ووضع فهارسها الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد المدرس فى كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر . وأيسر ذلك شرح ألفاظها غير المألوفة لقارىء اليوم ، ومنه الاشارة إلى بعض روايات لم يذكرها

ابن هشام ولكنها وردت فى كتب متأخرة . على أن الشيخ محمد محيى الدين قد حرص على أن يجتزىء من هذه الروايات بالقليل ؛ لأن أكثر ما ذكر من الروايات فى كتب المتأخرين تأثر بالاسرائيليات التى دست على الحديث وعلى السيرة ، فصار تمحيصها عملا دقيقا يحتاج إلى زمن وإلى علم بالطريقة التاريخية على النحو العلمى الحديث ، وإلى استقصاء كتب السيرة ومقارنة ماجاء فيها بما ورد فى كتب المعاصرين من أهل البلاد المختلفة ؛ وهذا جهد مستقل لم يجعله شارح هذه السيرة بغيته .

ولست أقصد من هذا التقديم إلى الإفاضة فى الحديث عن سيرة ابن هشام ؛ فليس بين الذين يعنون بما كتب عن السيرة فى عهود الإسلام الأولى من لايعرف أقدم هذه السير : فقد توفى ابن هشام فى سنة ٢١٣ ، وقيل فى سنة ٢١٨ ، للهجرة . فهو قد كتب السيرة إذاً فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الهجرى . ولقد كانت الحياة الاسلامية مضطربة حين ذاك بالثورات القائمة بين الأمويين والعباسيين وبين العباسيين وخصومهم . وكانت الأحاديث الموضوعة تذاع بالألوف وعشرات الألوف . وكان البخارى وغيره من جامعى الحديث يعملون لتمحيصه . فاذا تأثرت سيرة ابن هشام بأحوال العصر فى هذه الشئون فذلك طبيعى . لكن مؤلفها لم يرد أن يقف مما كتب غير موقف الراوى تاركا التمحيص للزمن ولمن يعنون به من بعده .

وإن قوما ما يزالون فى عصرنا هذا يأبون التمحيص فى أمر السيرة ويريدون أن يقفوا على كل رواية دون مقارنة الروايات أو معرفة راجحها من مرجوحها . وإن قوما كذلك ليعنون اليوم بالتدقيق فى كل ما كتب عن السيرة ليصلوا جهد المستطاع إلى الصحيح منها . وهؤلاء وأولئك تفيدهم قراءة سيرة ابن هشام أجزل الفائدة وتلذهم أعظم اللذة :

وإخراج هذه السيرة فى ثوب من الطباعة العصرية الأنيقة على النحو الذى أخرجت به فى هذه الطبعة بعض مايبسر لمحبي الاطلاع عليها تحقيق الغرض من هذا الاطلاع والاستفادة منه في يسر ومن غير مشقة .

لذلك كانت هذه السيرة جديرة بأن تلق غاية العنـاية بها ليمحصها من شاء وليقف على رواياتها المختلفة من لايؤمن بقواعد النقد العـــــلمى الحديث ومن لا يسيغها .

ودراسة السيرة النبوية الـكريمة ذخر لذاتها . مَا بَالُكَ بدراستها فى كتاب أبي محمد عبد الملك بن هشام الذى ولد بمصر ومات بها .

محمد حسين هيكل

مقدمة

فى تأريخ كتابة العلوم الاسلامية

وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة

بقلم

محمد محيي الدين عبد الحميد

الأستاذ فى كلية اللغة العربية

بالجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه .

وبعد ، فقد انقضي العصر الأول كلُّه والمسلمون لا يكتبون شيئاً من العلم ، إلا ما كان من عبد الله بن عَمْرو بن العاص ؛ فقد كتب ماسمعه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم [(١)] ولم يكن ذلك منهم اتفاقا ، ولا صَرَفَتْهُمْ عنه شَوَاغل و إن تكن شواغلهم حينذاك كثيرةً ، وإنما كان ذلك أمراً قد قصدوه وفكروا فيه وأعملوا له الرَّوِيَّةَ والنظر ؛ ذلك بأنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فَلْيَمْحُه ، وَحَدِّثُوا عنى ولا حَرَجَ ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » [(٢)] و إذا كانوا لا يكتبون حديث رسول الله ولا شيئاً مما يروونه عنه إلا القرآن فَهُمْ أشدُّ انصرافا عن كتابة غير ذلك من فتاوى الصحابة وخطبهم وأخبارهم ووقائعهم فى العدو ، وهم عن جميع ذلك أشد بعدا ، وسبب آخر كان يدعوهم إلى ترك الكتابة والتدوين ؛ ذلك أنهم كانوا يخافون أن يختلط بعضُ مايكتبونه بالقرآن : فيدخل فى كتاب الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ماليس منه .

---

(١) روى البخارى عن أبى هريرة قال : « ما من أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا عنه منى ؛ إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ؛ فانه كان يكتب ولا أكتب » وقد قيل : إن بعض العلماء قد دون بعد ذلك صفحات من العلم ، ولكنا لسنا من ذلك على ثبت صحيح .

(٢) هذا حديث ـ رواه مسلم فى صحيحه (ج ٢ ص ٣٩٣ طبع بولاق)

ومع أنهم لم يكونوا ليكتبوا شيئا غير القرآن فقد صرفوا هممهم، و بذلوا غاية وسعهم وعنايتهم لتتبع أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله، ولم يتركوا شيئاً مما يتصل بذلك إلا حفظته ذاكرتهم، وَوَعَتْهُ قلوبهم، ورَوَتْهُ ألسنتهم، و وهبهم الله تعالى صبراً على طلب ذلك عند أهله، والبحث عنه، مع حافظة واعية، ونفس صافية، و بصيرة نافذة، وقلب متدبر، وذهن يصل إلى قَرَارَةِ مايلقى إليه، و يتفهم المراد مما يسمع، ويَعِي حقيقة ماوقَعَ له.

انقضى على هذه الحال عصر الصحابة كلهم رضي الله عنهم، وصدر من عصر بني أمية، بل أكثر عصر بني أمية، فلما أفْضَتِ الخلافة فى آخر القرن الأول (عام تسع وتسعين من الهجرة) إلى أمير المؤمنين الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ابن مروان فكر فى الأمر، ورأى كثيراً من العلماء الذين رَوَوْا حديث رسول الله وأخباره، وَوَعَوْا علوم المسلمين، يموتون من غير أن يُخَلِّفُوا شيئاً من مَرْوِيَّاتهم واجتهاداتهم التى أفْنَوْا فيها أعمارهم، وأضاعوا فى تحصيلها أكثر أوقاتهم، وخشى إن دام الحال على ذلك أن تضيع علوم المسلمين، وتذهب أخبار رسولهم، ثم قد يكون ذلك سبباً فى الكذب والوضع إذا بعد العهد وطال الزمن، ورأى مع ذلك أن حجة الصحابة التى كانوا يحتجون بها للنهى عن كتابة الحديث، وهى الخوف من اختلاط ما ليس من القرآن به، قد زالت، وأصبح القرآن محفوظا فى الصدور، مرويا فى المصاحف، ثابتا فى جميع الأمصار، بل رأى أن الأمر قد صار إلى عكس ما كان عليه فى زمن الصحابة، فلو أنهم سكتوا عن الكتابة كما سكتوا من قبل لذهب العلم وضاعت ثقة المسلمين — إذا طال الزمن — بما يروى لهم منه

وحينئذ كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن حَزْم — وهو شيخ من شيوخ المحدثين وكبارهم، وهو شيخ مَعْمَر واللَّيْثِ والأوزاعى ومالك وابن إسحاق وَابن أبى ذِئْب — وكان ابن حزم نائب عمر بن عبد العزيز فى الإمرة

والقضاء على المدينة ، كتب إليه يقول : « انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فاني خفت دُرُوسَ العلم وذهاب العلماء ، وَلاَ تَقْبَلْ إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ولْتُفْشُوا الْعِلْمَ ، ولْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ من لاَ يَعْلَمُ ، فان العلم لاَ يَهْلِكُ حتى يكون سِرًّا » (١) وأمر عمر بن عبد العزيز أيضاً محمدَ بن مسلم بن شِهَابٍ الزُّهْرِى — وهو أحد أئمة المسلمين ، وعالم الشام والمدينة ، وشيخ مالك وابن أبي ذئب ومعمر والأوزاعى والليث — بتدوين حديث رسول الله ، فَدَوَّن له في ذلك كتابا

وبدأت حينئـــذ حركة التدوين والتصنيف ، وقد بدأت كما ترى بتدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان العالم يجمع ما يرويه من الحديث فى كتاب ، غير متقيد بتمييز الموضوعات وضم ما يندرج منها تحت مسألة واحدة أو مسائل متشابهة فى باب على حدة ، وربما صنف أحـدهم كتابا من الحديث فى باب واحد من أبواب التشريع (٢) وكانت أخبار رسول الله منذ ولادته إلى وفاته بَعْضَ ما عُنى المُحَدِّثُونَ بروايته ، كما كانت بَعْضَ ما عُنِىَ العلماء بتدوينه على أنها جزء من الحديث ،

ثم جاء بعد ذلك وقت رَتَّبَ فيه المُحَدِّثُونَ كُتُبَهم ، ونَسَّقُوا تصانيفهم ؛ فكانوا يضمون الأحاديث التى يستدل بها على شيء واحد أو على مسائل يجمعها شيء واحد تحت باب واحد ؛ فباب للوضوء ، وباب للصلاة ، وباب للزكاة ، وباب للحج ، وباب للنكاح ، وهلم جرا ، وكان من بين هذه الأبواب باب

---

(١) انظر صحيح البخارى (ج ١ ص ٣١ طبع بولاق)

(٢) روى الحافظ ابن حجر أنه روى عن الشعبى أنه قال : « هذا باب من الطلاق جسيم » وساق فيه أحاديث فقد كان السابق إلى جمع الأحاديث الواردة فى باب واحد .

لأخبار النبي صلى الله عليه وسلم يذكرون فيه ما يَرْوُونَهُ عن وِلادته ورَضَاعِهِ وما بعدها إلى بعثته ، ثم يُفصِّلون أحْوَالَه بعد البعثة فى مكة من دعوة قريش إلى الدين وصَبْرِه على إيذائهم له ولأصحابه ، ويُفصِّلون كذلك أخباره فى غَزَوَاتِهِ وجهاده وبَعْثِهِ الرُّسُلَ ، وغير ذلك ؛ وخَصُّوا ذلك الباب باسم « المغازي والسير »

ثم جاء بعد ذلك دور من أدوار التصنيف كتبت فيه « المغازى والسير » فى مؤلفات خاصة ، وتَوَفَّر عليها جماعةٌ من العلماء ؛ وكانوا يُقَدِّمُونَ بين يَدَىْ أخبار النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من القول فى أخبار الجاهلية كأخبار جُرْهُم ودَفْن زمزم وحديث قُصَىّ بن كلاب وجَمْعِهِ قريشاً ، ونحو ذلك مما هو شرح لأخبار آباء النبي صلى الله عليه وسلم وأحوالهم وأحوال مَنْ عاصرهم

وقد كان أولَ من كتبوا فى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم عُرْوَةُ بن الزبير ابن العوام ، وهو رجل من أشرف قريش نسبا ؛ فأبوه الزبير بن العوام ، وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق ، ومن معاصريه أبان بن ذى النُّورَيْن الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وشرحبيل بن سعد أحد موالى الأنصار ، ووهب بن مُنَبِّه ، وهؤلاء الأربعة من علماء القرن الأول من الهجرة ، وقد مات أولهم فى أخريات هذا القرن ، وبقى الثلاثة بعده حتى سَلَخُوا من القرن الثانى قليلا ، إلا شرحبيل ابن سعد ؛ فانه قد حَطَمَ ربع القرن الثانى

ثم جاء من بعد هؤلاء الأربعة طبقة أخرى ، كان أشهر من كتب من علمائها فى سيرة النبي ثلاثة رجال ، وهم عاصم بن قَتَادة المدنى الأنصارى الظَّفَرِىّ ومحمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزُّهْرِىّ المكى ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ، وهو ابن أبى بكر بن حزم الذى

كتب إليه عمر بن عبد العزيز يأمره بتدوين حديث رسول الله ، كما أخبرناك من قبل ؛

ثم جاء بعد هذه الطبقة طبقةٌ أخرى كان أشهر رجالها الذين صنفوا فى هذا الفن موسى بن عقبة المدنى مولى الزُّبَيْرِيِّينَ المُتَوَفَّى فى سنة إحدى وأربعين ومائة ، ومعمر بن راشد مولى الأزْدِ البصرى اليمنى المُتَوَفَّى فى سنة خمسين ومائة (ويقال : مات فى عام ١٥٣) ومحمد بن إسحاق بن يَسَار مولى قَيْسِ بن مَخْرَمَةَ بن المطلب ابن عبد مناف ، وهو مؤلف أصل هذه السيرة التى بين أيدينا الآن ، وسنتحدث عنه حديثا مستفيضا فى الترجمة التى نفردها له بعد ذلك إن شاء الله تعالى ، ومحمد ابن عمر بن وَاقِدٍ الواقدى مولى بنى هاشم (ويقال : إنه مولى بنى سَهْم بن أسْلَمَ) المُتَوَفَّى فى أخريات العقد الأول من القرن الثالث

ثم جاء من بعد هؤلاء محمد بن سعد صاحب الطبقات الكبرى ، وهو راوية الواقدى الذى ذكرناه فى أعيان الطبقة السابقة ، وزياد بن عبد الله البَكَّائى وهو راوية ابن إسحق صاحب أصل هذه السيرة

وجاء من بعد ذلك أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى البصرى المصرى المُتَوَفَّى فى أُخْرَيَاتِ العقد الثانى من القرن الثالث أو أوائل العقد الثالث منه ، وهو الذى انتهت إليه سيرة ابن إسحاق ووقف عنده عِلْمُهَا ، وإليه اليوم تنسَبُ ، حتى لم يعد أكثر الناس يعرفها إلا باسم « سيرة ابن هشام » وسنعلم مبلغ أثره فيها متى أفْضَى بنا القولُ على هذا الكتاب

وقد ضاعت مصنفات الطبقتين الأولى والثانية ممن ذكرنا فى هذه الكلمة وعَدَا الزمَنُ عليها فيما عَدَا عليه من علوم المسلمين ومُصَنَّفاتهم ، فلم يَعُدْ لنا من هذه الكتب إلا اسمها الذى تجده فى بعض مؤلفات المتقدمين ، وبعض نُقُولٍ عنها تجدها منثرة فى أثناء مصنفات مَنْ جاء بعدهم من العلماء كالطبرى وابن

سعد والواقدى والبَلاَذُرِىّ ، ولولا هؤلاء الأعلام لما علمنا عن تصانيف هاتين الطبقتين شيئا ولا بلغنا من علمهم قليل ولا كثير

فأما الطبقة الثالثة ، فهذا الكتاب الذى نعانى إخراجه اليوم أَحَدُ ثمرات رجل من رجالها ، هو محمد بن إسحق ، وإن لم يكن هو المُؤَلِّفَ الذى وضعه محمد ابن إسحاق ، وقد بقى لنا من مصنفات هذه الطبقة أيضا كتاب المغازى الذى صنفه محمد بن عمر الواقدى(١) وأما كتب موسى بن عقبة ومعمر بن راشد فقد لحقت بآثار الطبقتين السابقتين ، والأمر لله الواحد القهار

فكتاب السيرة الذى نقدمه اليوم للقارئين أقدم أثر وصل إلى أيدينا من آثار علماء الإسلام فى هذا الفن الإسلامى الجليل ، وهذه وَحْدَهَا ميزة كافية للتوفُّرِ عليه ، والمبالغة فى العناية به ، وإحلاله المحلَّ الذى يليق له من الثقة به والاعتماد عليه ، صَنَّفَهُ مؤلفه الأول محمد بن إسحاق بن يَسَار فى أول عهد الخلفاء العباسيين وَهذَّبَهُ مُهَذِّبه بعد تأليفه بنصف قرن أو يزيد قليلا ، وهى المدة التى بين وفاتيهما ؛ لأنه يرويه عن مؤلفه بواسطة رجل واحد هو زياد الْبَكَّائِىُّ كما علمت

وليس من شك عندنا ولا عند أحد من الناس أن الكتاب الذى وضعه ابن إسحق أكْبَرُ من هذا الكتاب الذى بين أيدينا اليومَ وأكثر جَمْعًا ، وبخاصة فى أخبار الجاهلية التى تسبق بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أنا لا نشك فى أن ابن هشام قد حافظ على عبارة ابن إسحاق فيما أبقاه من الكتاب لم يغير منها كلمة ، والدليل على ذلك تَلَمُّسُهُ واضحا فى أنه يذكر لك العبارة ثم يُرْدِفُهَا

(١) أخبرنى بعض الإخوان أنه معنى فى هذه الأيام بتحقيق هذا الكتاب والتثبت من نسبته إلى صاحبه وضبطه وشرحه ، فإذا هيأ الله له إتمام ذلك كان قد أسدى إلى العلم فضلا عظيما

بقوله : (قال ابن هشام) ثم يذكر تصويبا للفظ وقع فى عبارة ابن إسحاق خطأ ، أو يشرح كلمة غامضة ، أو يذكر رواية أخرى تخالف رواية الأصل ، أو يستشهد على استعمال أسلوب أو لفظ ، أو نحو ذلك مما تقف على مثال له فى كل ورقة من الكتاب ، وهو يبين لك فى بعض الأحايين أنه أسقط فى هذا الموضع كلاما أو أبياتا أو خبرا ، ويذكر لك ماحمله على ذلك ، كأن يقول : « تركنا هنا كلاما لأنه أفحش فيه » أو « تركنا من هذه الكلمة أبياتا لأنه أفحش فيها » وهذا كثير فى الأشعار التى يرويها ابن إسحاق بعد الغزوات ، وليس مايتركه ابن هشام من الشعر خاصا بما قاله المشركون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما ادعى ذلك بعض من يدعى التحقيق من أهل هذا العصر ، بل هو يترك فى كثير من الأحايين من شعر شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هجوا فيه المشركين ؛ لأنه وجد فيه من الإقذاع فى الهجاء مايصرفه عن عن روايته (انظر الجزء الثانى ص ٣٨٥ و ٣٨٧ من هذه المطبوعة) [1] وهذا أمر من الأمور التى أكبرنا شأنها وعظم عندنا من أجلها ابن هشام ؛ فإنك ترى من ذلك روح الإنصاف والعدل ؛ فكما يحذف من شعر المشركين لأن قائليه قد أقذعوا فيه يترك كذلك من شعر أصحاب النبى لأنهم أقذعوا فيه ، فليهون على أنفسهم أولئك الذين يرمون علماء المسلمين بالتعصب والعصبية ، وبأنهم قصوا الأخبار من أطرافها وحذفوا ماقيل فى الرسول كثيرا ، وليعلموا أن المسلمين كانوا أحب الناس للنصفة ، وأكثرهم تقديرا للعلم ، وأعلاهم كعبا فى بناء صروح الإنسانية الكاملة ، وأقدر العالمين على تناسى الأحقاد وانتباذ الضغائن حينما يعمدون إلى تدوين العلم وشرح مسائله .

---

(٢) وانظر كذلك (الجزء الثانى ص ٣٧٢ و ٤٠٥ من هذه المطبوعة) فقد ترك أبياتا لأن الإقذاع من المشركين بعكس الأول

وقد ترك ابن هشام مما كتبه ابن إسحاق قسما كبيرا لم يكن فى كتابته غَنَاء ولا نفع ، ولا هو فى جملته وتفصيله مما يحتاجه الناسُ أو تقوم على صحته الأدلة العلمية ، وذلك حديثُ ماقبل إسماعيل بن إبراهيم من بَدْء الخليقة ، وحديثُ أبناء إسماعيل على التفصيل ، وأخبار ليست من سيرة النبى فى شيء ، ولا هى مُؤَدِّيَةٌ فى جملتها وتفصيلها إلى شيء من ذلك ، وتَرَكَ كذلك أشعارا لم يجد أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وإن كان قد أبقى من هذ النوع كثيرا ، غير أن الاعتذار عنه أمر قريب ، فهو حين يذكر شعرا من هذا النوع ينبه بعد روايته أو قبلها بأنه لم يَرَ أحدا من أهل العلم بالشعر يثبتها لمن نُسِبَتْ إليه ، وتجد ذلك كثيرا فى الشعر الذى يذكر بعد الغَزَوَات ، ونحن نترك لك ابن هشام نفسه يحدثك عن مبلغ أثره فى سيرة ابن إسحاق ، فقد قال [1] : « وأنا — إن شاء الله — مبتدىء هذا الكتابَ بذكر إسماعيل بن إبراهيم ، ومن وَلَدَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من ولده وأولادهم لأصْلَابِهِمْ الأولَ فالأولَ من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يعرض من حديثهم ، وتاركٌ ذكْرَ غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة ؛ للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتاركٌ بعضَ ماذكره ابن إسحاق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر ، ولا نَزَلَ فيه من القرآن شيء ، وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ، ولا تفسيرا له ولا شاهدًا عليه ؛ لما ذكرت من الاختصار ، وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يَشْنُعُ الحديث به ، وبعض يسوء بعضَ الناس ذكرُهُ ، وبعضٌ لم يُقِرَّ لنا البَكَّائِيُّ بروايته ، وَمُسْتَقْصٍ — إن شاء الله تعالى — ماسوى ذلك منه ؛ بمبلغ الرواية له والعلم به » اهـ كلامه بحرفه

---

(١) انظر الجزء الأول (ص ٢) من هذا الكتاب

وهذا عمل يستحق الحمد والثناء ، وهو وحده مجهود ليس بالقليل ، وهو مع جَلَالَتِهِ وما يحتاجه من الجهد ليس كل ماصنع ابن هشام فى سيرة ابن إسحاق ، بل هو يتجاوز ذلك إلى تحقيق الأعلام ، وذكر أوهام ابن إسحاق ، وما وقع له من الروايات التى تخالف مارواه صاحبُ الأصل ، سواء فى ذلك أخْبَارُ الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرُهَا ، ويُعَلِّقُ على عبارات السيرة تعليقاتٍ من اللغة والنقد تدل على سَعَة اطِّلَاع وكبير فَضْل ، وإن لم يكن نَقْدُه الذى وجَّهه إلى ابن إسحاق أحيانا مما يشبع نَهْمَةَ الذين يطلبون التحقيق العلمى ، والتأكد من صحة الروايات ، ولسنا نشك فى أن ابن هشام لو أراد ذلك لما استعصى عليه ؛ فقد كانت طُرُقُ النَّقْدِ الدقيقة وبَحْثِ أحوال الرواة قد وضع المحدثون مبادِئَهَا وشرعوا فى ترتيب أصولها ، ذلك بعض صنيع ابن هشام فى سيرة ابن إسحاق ؛ فلا جَرَمَ صارت نسبة السيرة إليه ليست من اغتصاب آثار السلف وانتحالها ، ولم يَعُدْ لنا أن نعدَّ على العلماء عَدَّهم هذا الكتاب من تصانيف ابن هشام

وقد لَقِيَتْ هذه السيرةُ من نَبَاهَةِ الذِّكْرِ مالم يَلْقَه كتاب آخر من كتب السيرة ، سواء فى ذلك الكتبُ التى شاركتها فى زمان التأليف والتى جاءت بعدها ، وقد كانت ولاتزال إلى اليوم من أمهات المراجع لتأريخ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ كما لقيت من عناية العلماء بشَرْح حوادثها وأبياتها والتعليق على أحاديثها وتخريجها وضَبْط كلماتها الشيء الكثير ، كما لقيت من إقبال أهل العلم على قراءتها ماهى جديرة به ، وبحسبك أن تعلم أنها قدطبعت فى أوربا مرة وفى مصر مرارا وأنك تبحث الآن عن نسخة فلا تجدها بعد البحث الطويل

ولقد كان من سَوَالِفِ الأقْضِيَةِ أنى عُنيت منذسنين بقراءة هذا الكتاب ، وصححت كثيرا مما أصابه من التحريف ، بالرجوع إلى نسخ كثيرة منه وإلى كثير من كتب السيرة والتأريخ التى تنقل عبارة ابن إسحاق بحروفها كالطبرى ،

وانتفعت فى هذا الباب بكتاب « معجم البلدان » لياقوت ؛ فإنه يذكر فى الكلام على الأماكن التى وردت فى السيرة عِبَارَةَ ابن إسحاق و يبين مافيها من الخلاف، و يضبط ذلك كله ، و ستقف على ذلك فى مواضعه من التعليقات ، وانتفعت بغيره مما أشرت إليه فى كثير من التعليقات ، انتفعت أحيانا بشروح هذا الكتاب ، و بشرح الزرقانى على «الشمائل المحمدية» الذى يذكر كثيرا عبارَةَ ابن إسحاق و يَضْبِطُ فى الغالب حُرُوفَهَا ، وكان من الضرورى أن أكتب عليه تعليقات تبين هذا العمل وتذكر مراجعه ، و بقى الكتاب فى مكانه عندى مدة طويلة ، ثم رغب إلىّ الحاج مصطفى بن محمد صاحب المكتبة التجارية أن آذن له فى أن يطبع الكتاب عن نسختى ، و يطبع معه ما كتبت من تعليقات وتصويبات ، وأن أقوم بمراجعة ذلك ، فتردَّدْتُ طويلا ، واعتذرت له بكثرة أعمالى ومشاغلى الدراسية ، وما زال يُلِحُّ فى طلب ذلك حتى أَجَبْتُه إلى ما رَغِبَ فيه ، وحينئذٍ رجعت إلى نسختى و راجعت ما كنت كتبته وعاودت الرجوع إلى أصول ذلك ، فربما زدت شيئا لم أكن — حين قراءتها — أرى الحاجة تدعو إليه ، وربما أسقطت من تعليقاتى بعض ما كنت قد كتبته ، وكان أهم ما صنعته فى المقابلة الأخيرة أننى قارنت بعض نسخ الكتاب ببعض ؛ فما وجدته من خلاف : فإن كان بزيادة كلمة أو أكثر وكان إثبات هذه الزيادة لا يغير الأسلوب أثبتُّ هذه الزيادات بين قوسين معقوفين هكذا [ ] و إن كانت الزيادة تغير الأسلوب تركتها ونبَّهْتُ عليها فى التعليقات ، و إن كان الاختلاف بتغيير لفظ بلفظ أو عبارة بعبارة أثْبَتُّ أقْرَبَ اللفظين إلى المعنى المراد ، ونَبَّهْتُ على النسخة الأخرى فى الشروح والتعليقات ، ولَكَمْ كنت أرجو أن يكون من عملى الذى قمت به لخدمة الكتاب المقارنة بين رواياته المختلفة ، وبحثها من الجهة العلمية ، و بيان إمكان

ثبوتها أو تعذره ، ولكنى لم أجد من وقتى ما أستطيع أن أؤدى فيه هذا العمل الجليل ؛ فتركت هذا إلى وقت آخر أرجو أن يكون قريبا

وبحسبي اليوم أنني ضَبَطْتُ آيات القرآن الكريم ، ودَلَلْتُ على موضعها من المصحف الذى قامت بطبعه ونَشْرِهِ الحكومة المصرية ؛ فوضعت قبل كل آية أو آيات رقم السورة والآية أو الآيات ، وضبطت أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وماورد فى الكتاب من الشعر ، ولم أترك من ذلك كله كلمة إلا ضبطتها ضبطاً كاملا ، وضبطت بعد ذلك غريبَ الكلمات والمُشْكِلَ من الأعلام ثم شرحت الشعر كله ، وشرحت غريبَ السيرة ، وأنا أرجو — بعد ذلك كله — أن أكون قد أسْدَيْتُ إلى الكتاب خدمَةً أنال بها مَثُوبَةَ الله تعالى ورضوانه وشَفَاعَةَ رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

وإن أنْسَ لا أنس صنيعَ أخى الأستاذ الشيخ محمد على النجار أحد علماء الجامع الأزهر فقد تفضل فأعارنى نسخته التى عُنى بقراءتها ومقابلتها على عدة نسخ وقضى فى ذلك وقتا ليس بالقصير ، فكانت إحدى النسخ التى رَاجَعْتُ عليها أصول هذه المطبوعة ؛ فجزاه الله تعالى عَنِّى وعن المنتفعين بهذا الكتاب خَيْرَ الجزاء

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ، وَمَا يَخْفَى عَلَى ٱللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ . . . . . .

رَبَّنَا آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ . . . . .

كتبه أبو رجاء

محمد محيي الدين عبد الحميد

المدرس فى كلية اللغة العربية فى الجامع الأزهر

ترجمة الامامين الجليلين

أبى عبد الله محمـــــد بن إسحاق بن يسار

وأبى محمد عبد الملك بن هشام

ابن إسحاق

هو أبو عبد الله (ويقال : أبو بكر [١]) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار (ويقال : ابن كوتان) المؤلِّفُ الثَّبْتُ الحافظ المتفنن ، عمدة من أتي بعده ، وأوْحَدُ مَنْ عاصَرَه جَمْعا لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديثِ مغَازِيه ، حتى قال فيه الزُّهْرِيُّ : « لايزال بالمدينة علم جَمٌّ ما كان فيهم ابن إسحاق » وقال فيه الإمام الجليل محمدبن إدريس الشافعى : «مَنْ أراد أن يَتَبَحَّرَ فى المغازى فهو عِيَالٌ على ابن إسحاق » وقال فيه أبومُعَاوية : « كان ابن إسحق من أحْفَظِ الناسِ ، وكان إذا كان عند الرجل خمسةُ أحاديثَ أو أكثر جاء فاسْتَوْدَعَهَا محمد بن إسحاق وقال : احفظها علىّ ، فإن نسيتُهَا كنت قد حفظتَهَا علىَّ » وقال فيه عبدُالله بن فايد : « كُنَّا إذا جَلَسْنَا إلى محمد بن إسحاق فأخذ فى فَنٍّ من العلم قَضَى مجلسَهُ فى ذلك الفن »

أصله ومنشؤه ورحلته

كان يَسَار بن خيار جدُّ [٢] محمدِ بن إسحاق مَوْلًى لقَيْسِ بن مَخْرَمَةَ [٣] ابن المُطَّلِبِ بن عبد مَنَاف من أصل فارسى ، أُسِرَ فى عام اثنى عشر من الهجرة ، فى عين التمر — وهى بلدة قريبة من الأنْبَار غَرْبِىّ الكوفة ، يُجْلَب منها

(١) قال الخطيب البغدادى (ج ١ ص ٢١٤) : « محمد بن إسحاق .... يكنى أبا بكر ، وقيل : أبا عبدالله » اهـ وروى (فى ص ٢١٦) روايات متعددة يثبت بعضها أن كنيته أبو بكر ، ويثبت بعضها أن كنيته أبو عبد الله

(٢) وفى بعض روايات الخطيب البغدادى (ج ١ ص ٢١٦) أن الذى كان مولى هو أبو جده خيار

(٣) وفى رواية للخطيب عن مصعب بن عبد الله أن ولاء يسار كان لعبد الله ابن قيس بن مخرمة

القَسْبُ والتمر إلى سائر البلاد ، وهما بها كثير — وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه قد غَزَاها فى هذا العام ، فافتتحها عَنْوَةً فسَبَى نساءها وقَتَلَ رجالها ، وكان من سَبْى هذه الموقعة سِيرِينُ أمُّ محمدِ بن سِيرِينَ ، ويَسَار جدُّ محمد بن إسحق ، وحُمْرَان مولى أبان بن عثمان بن عفان ، فلما قدم خالدٌ المدينةَ بأسْرَاه — وكان أول سبى دخل المدينة من العراق — صار ولاء يَسَار إلى قَيْسِ بن مَخْرَمَةَ وعاش فى المدينة .

وفى المدينة ولد محمد بن إسحاق عام خمس وثمانين على الراجح ، وفيها نشأ حتى أدرك سِنَّ الشَّبَابِ ، وفيها لقى كثيراً من العلماء الذين أخذ عنهم كالقاسم ابن محمد بن أبى بكر ، ونافع مولى ابن عمر ، وابن شهاب الزُّهْرِى ، ومحمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وأبَانُ بن عثمان بن عفان ، وعبد الله ابن هُرْمُز

وفى عام (١١٥) من الهجرة رَحَلَ إلى الإسكندرية فلقى فيها كثيرا من أساطين علمائها ، مثل يزيد بن أبى حبيب ، وعبيد الله بن أبى جعفر ، والقاسم بن قزمان ، وعبيد الله بن المغيرة

ثم رحل بعد ذلك إلى نواح كثيرة ؛ فرحل إلى الرى والكوفة والجزيرة والحيرة

ثم رحل إلى العراق ، وطابت له فيها الحياة ، فاطمأنَّ إلى البقاء بها ، وفيها اتَّصَلَ بأمير المؤمنين أبى جعفر المنصور [1] وصنف كتاب السيرة بأمره لابنه ، قال الخطيب [2] البغدادى : « دخل محمد بن إسحق على المنصور وبين يديه

(١) فى بعض روايات الخطيب أنه دخل على المهدى ، ثم أنكرها ، وقال : لعل الراوى أراد المنصور وبين يديه المهدى

(٢) الذى فى الأصل « دخل محمد بن إسحاق على المهدى وبين يديه ابنه » ثم

بنه المهدى ، فقال له : أتعرف هذا ياابن إسحاق ؟ قال : نعم ، هذا ابن أمير المؤمنين ، قال : اذهب فصنف له كتابا منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا ، فذهب فصنف له هذا الكتاب ، فقال : لقد طولته ياابن إسحاق ، اذهب فاختصره ، فذهب فاختصره ؛ فهو هذا الكتاب المختصر ، وألقى الكتاب الكبير فى خزانة أمير المؤمنين » اه

أقوال العلماء فيه

كان علماء عصر ابن إسحاق فى شأنه فريقين : فكان أحد الفريقين يطْرِيهِ ويُثْنِي عليه ، ويَصِفُ علمه وحفظه وحسن حديثه ، وكان الآخر يُشَنِّعُ عليه ويُزْرِي به ويَنتقِصُ من شأنه ، وكان على رأس الفريق الثانى إمامُ المدينة مالكُ بن أنسٍ وهشام بن عُرْوَةَ بن الزبير ، وكان من الفريق الأول سفيان الثورى ، وابن شهاب وحَمَّاد بن زيد ، وحماد بن سَلَمَةَ ، وإبراهيم بن سعد ، وابن المبارك ، وقد ذكر الخطيب فى تاريخ بغداد شيئا كثيراً من أقوال الفريقين فيه ، وذكر بعض السبب فى تجريح بعض العلماء له ، فارجع إليه إن شئت فلسنا نريد أن نطيل عليك ، ولكنا مع هذا لا نضن بذكر لمحة عاجلة نبين فيها سبب هذه العداوة ونتائجها :

كان محمد بن إسحاق قدروى حديثا عن فاطمة بنت المنذرعن أسماء بنت أبى بكر ، وكانت فاطمة بنت المنذر زوج هشام بن عروة بن الزبير ، فغاظ ذلك هشاما وأخذ يطعن على بن إسحاق ويكذبه؛ يريد بذلك أن ينفى أنه رأى امرأته ، فكان يقول : « ألعدو الله الكذاب يروى عن امرأتى ؟ وأين رآها ؟ » وكانت هذه الحَلَّةَ من هشام غيرَ مَرْضِيَّةٍ ولامقبولة، ولا كان للغيرة التى ألهبت صدر هشام عليه

قال : « قال أبو بكر : هكذا قال الراوى : دخل ابن إسحاق على المهدى وبين يديه ابنه ، وفى ذلك عندى نظر ، ولعله أراد أن يقول : دخل على المنصور وبين يديه المهدى ابنه ؛ لأن ذلك أشبه بالصواب » اه

أصل ، وأى شيء فى أن يروى رجل عن امرأة ، ومثل ذلك يقع كثيرا فى ذلك العصر ؟ أفلم يسمع رواية المسلمين عن أمهات المؤمنين ، على أن رواية ابن إسحاق نفسه عن فاطمة بنت المنذر لاتثير شكا ولا تبعث فى نفس أحد رَيْباً ، فانها كانت تكبره بسبعة وثلاثين سنة ، حتى قال الإمام أحمد بن حَنْبَلٍ فى تخطئة هشام فيما قاله « وما ينكر هشام ؟ لعله جاء فاستأذن عليها فأذنت له »

وأما حنق مالك بن أنس رضى الله عنه على ابن إسحاق فقد كان لهسببان ؛ فقد كان ابن إسحاق يجرح مالكا فى نسبه ؛ ويزعم أنه مَوْلىً من موالى بنى تَيْم بن مُرّة ، وقد كان بعد ذلك يطعن في علم مالك ، روى الخطيب البغدادى[1] قال : « قال ابن إدريس : قلت لمالك بن أنس ـ وذكر المغازى — قال ابن إسحاق : أنا بَيْطَارُها ، فقال : قال لك أنا بيْطارها نحن نَفَيْناهُ من المدينة » وحدث الخطيب أيضا عن عبد الله بن نافع[2] أن ابن إسحاق كان يقول : « ائْتُونِي ببعض كتب مالك حتى أبين عيوبه ، أنا بيطار كتبه » اهـ فكان هذان الأمران سببا فى أن ينطلق لسان مالك رحمه الله فينال من عرض ابن إسحاق ويجرحه ، وكم كنا نتمنى أن يكون شأن علماء هـذه الأمة التى شرفها الله تعالى بالشهادة على الأمم جميعا ، وآتاها من العلم مالم يُؤْتِ أحدا من الناس ، على غير هذا الشأن الذى رأيت منه مثالا فى عرض حياة ابن إسحاق ، ولكن أراد الله ولا رَادَّ لإرادته أن يدبّ إلينا داء الأمم فتفشو فينا بعض الهَنَات منذ القدم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

وفاة ابن إسحاق

وقد اختلف الرواة فى تحديد الزمن الذى توفى فيه ابن إسحاق ، وقد ساق[3]

(1) انظر الجزء الأول (ص ٢٢٣)
(2) انظر الجزء الأول (ص ٢٢٤)
(3) انظر الجزء الأول (ص ٢٣٢ ، ٢٣٣)

الخطيب البغدادى روايات عدة على أن وفاته كانت سنة خمسين ومائة ، كما ساق روايات أخرى تدل على أن وفاته كانت فى سنة إحدى وخمسين ، أو اثنتين وخمسين ، أو أربعة وخمسين ؛ ورجح ابن تغرى بردى أن وفاته فى سنة إحدى وخمسين ومائة ، قال [1] : « وفيها توفى محمد بن إسحاق بن يسار ، على قول وهو الأصح » اه .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وجزاه الله تعالى عن سنة رسوله التى قضى حياته فى طلبها والانقطاع لها أحسنَ الجزاء

(١) انظر النجوم الزاهرة (ج ٢ ص ١٦)

ابن هشام :

هو أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميرى المَعَافِرِيُّ (وقيل الذُّهْلِي [1]) المشهور بحمل العلم وروايته ، المتقدم فى علم النحو والنسب ، البَصْرِىُّ المِصْرِىُّ

أصْلُه من البصرة ، وبها وُلِد ، وفيها دَرَجَ ونَشَأَ ، ثم رَحَلَ إلى مصر ولقى فيها عالم قريش غيرَ مُدَافَعٍ الامامَ محمَدَ بن إدريس الشافعى ، وتناشَدَا من أشعار العرب الشىء الكثير

وقد روى ابن هشام سيرة ابن إسحاق عن الحافظ المتقن أبى محمد زياد بن عبد الله بن الطُّفَيْل البَكَّائى العامِرِىّ الكوفى المُتَوَفَّى فى عام ثَلَاثٍ وثمانين ومائة من الهجرة ، وكان زياد أتْقَنَ مَنْ رَوَى السيرةَ عن ابن إسحاق [2] ، وقد كان ابن هشام يُقَدِّرُ إتقانَ زيادٍ حقَّ قدره ، وليس أدلَّ على ذلك من قوله : « وأنا تارك أشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يُقِرَّ لنا البكائى بروايته » اه

وصنف ابن هشام — سوى تهذيبه سيرة ابن إسحاق — كتابا فى أنساب حمير وملوكها ، وكتابا فى شرح ماوقع فى أشعار السير من الغريب [3]

قال ابن خلكان : « وابن هشام هذا هو الذى جمع سيرة رسول الله صلى

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٣٦٥)

(٢) انظر النجوم الزاهرة (ج ٢ ص ١١١)

(٣) انظر ابن خلكان فى المكان السابق ذكره ، وقد ذكر أصحاب دائرة المعارف الإسلامية له كتابا فى قصص الأنبياء وملوك عرب الجنوب اسمه « التيجان » ونقول : هو مطبوع فى الهند

الله عليه وسلم من المغازى والسير لابن إسحاق وهذبها ولخصها ، وهى السيرة الموجودة بأيدى الناس المعروفة بسيرة ابن هشام » اهـ

وقال السيوطى فى بغية الوعاة (ص ٣١٥) : « أبو محمد عبد الملك بن هشام البصرى النحوى نزيل مصر ، مهذب السيرة النبوية ، سمعها من زياد البكائى صاحب ابن إسحاق ونقحها وحذف من أشعارها جملة » اهـ

وقد توفى رحمه الله فى مصر بالفسطاط ، وللعلماء فى تاريخ وفاته خلاف فمنهم من يذكر أنه توفى لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ثمانى عشرة ومائتين ، ومنهم من يذكر أنه توفى فى سنة ثلاث عشرة ومائتين رحمه الله تعالى ، وأسبغ عليه فضله ورضوانه

بسم الله الرحمن الرحيم

. الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين

ذكر سرد النسب الزكى : من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى آدم عليه السلام (١)

نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو محمد عبدالملك بن هشام [النحوى](٢) : هذا كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم : محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب (واسم عبدالمطلب شَيْبَة) بن هاشم (واسم هاشم عَمْرو) بن عبد مَنَاف (واسم عبد مناف الْمُغِيرَة) بن قُصَىّ [واسم قصى زيد](٢) بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كِنَانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة (واسم مدركة عامر) بن إلْيَاس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدْنان بن أُدّ [ويقال أُدَدَ](٢) بن مُقَوِّم بن ناحور بن تَيْرَح بن يَعْرُب بن يَشْجُب بن

(١) روى عن عروة بن الزبير أنه قال «ماوجدنا أحدا يعرف مابين عدنان وإسماعيل» وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال «بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لايعرفون» وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال «إنما ننتسب إلى عدنان ، ومافوق ذلك لاندرى ماهو» وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه انتسب إلى عدنان لم يتجاوزه ، بل قد روى من طريق ابن عباس أنه لما بلغ عدنان قال «كذب النسابون» مرتين أو ثلاثا . وقد كره مالك وجماعة من العلماء أن يرفع الرجل نسبه إلى آدم ، من قبل أن هذا كله من باب التخرص والظنون التى لايمكن أن يوثق بها ، ثم إن هذه الأسماء المذكورة قد اختلف فيها وفى ضبطها اختلافا كبيراً

(٢) زيادة فى بعض نسخ الكتاب

نابت بن إسمعيل بن إبراهيمَ خليلِ الرحمنِ بن تارح (وهو آزَرُ) بن نَاحُور بن سَاروغ بن راعو بن فالخ بن عَيْبَرَ بن شالخ بن إَرْ فَخْشَذ بن سام بن نوح بن لَمْك بن مَتُّوشَلَخَ بن أَخْنُوخ (وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون ، والله أعلم ، وكان أولَ بنى آدَمَ أُعْطِيَ النُّبُوَّةَ وخَطَّ بالقلم) بن يَرْدَ بن مَهْليل بن قَيْنَن بن يَانَشَ بن شِيثِ بن آدَمَ صلى الله عليه وسلم

قال أبو محمد عبـــد الملك بن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّائى ، عن محمد بن إسحق المُطَّلبى ، بهذا الذى ذَكَرْتُ من نسب محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى آدم عليه السلام ، وما فيه من حديث إدريس وغيره

قال ابن هشام : وحدثنى خَلَّاد بن قُرَّة بن خالدٍ السَّدُوسِيّ ، عن شَيْبَان ابن زُهَيْر بن شقيق بن ثور ، عن قتــادة بن دِعَامَةَ أنه قال : إسمعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح (وهو آزَرُ) بن ناحور بن أَسْرَغَ بن أرعُو ابن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرْفَخْشَد بن سام بن نوح بن لمك (٢) بن مَتُّوشلخ ابن أخنوخ بن يرد بن مِهْلَائِيلَ بن قاين بن أنوش بن شِيثِ بن آدم صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام: وأنا ـ إن شاء الله ـ مبتدىء هذا الـكتاب بذكر إسمعيل ابن إبراهيم ومَنْ وَلَدَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ وَلَدِهِ وأولادهم لأصلابهم: الأوَّلَ فالأولَ من إسمعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما يعرض من حديثهم ، وتاركٌ ذِكْرَ غيرهم من ولد إسمعيل على هــذه الجهة ؛ للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتاركٌ بعضَ ما ذكره ابن إسحق فى هذا الـكتاب مما ليس لرسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم فيه ذِكْرٌ ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ، ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه ؛ لما ذكرت من الاختصار ، وأشعارا ذكرها لم أر أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يَشْنُعُ الحديث به ، وبعضٌ يسوء بعضَ الناس ذِكْرُه ، وبعضٌ لم يُقِرَّ لنا البَكّائي بروايته ، ومُسْتَقْصٍ – إن شاء الله تعالى – ما سِوَى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به

سياقة النَّسَب من وَلَد إسمعيل عليه السلام

أبناء إسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البَكّائي ، عن محمد بن إسحق المطّلبي ، قال : وَلَدَ إسمعيلُ بن إبراهيم عليهما السلام اثنى عشر رجلا : نابتا (وكان أكبرهم) وقَيْذَر ، وأَذْبُل ، ومبشا ، ومِسْمَعًا ، وماشى ، ودِمًّا ، وأذر ، وطَيْما ، ويطورَ ، ونَبِشَ ، وقَيْذُمَا ، وأمُّهم رَعْلَة بنت مُضَاض بن عمرو الجرهمي ؛ قال ابن هشام : ويقال : مِضَاض ؛ وجُرْهُم : ابنُ قحطان (وقحطان أبو اليمن كلها ، وإليه يجتمع نسبها) بن عابر بن شالَخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح

قال ابن إسحق : جُرْهُم بن يَقْطُن بن عَيْبَر بن شالَخ [ويقطن هو قحطان ابن عيبر بن شالخ]

قال ابن إسحق : وكان عُمْرُ إسمعيل – فيما يذكرون – مائةَ سنةٍ وثلاثين سنة ، ثم مات رحمة الله وبركاته عليه ، ودفن في الحِجْرِ مع أمه هاجر ، رحمهم الله تعالى

قال ابن هشام : تقول العرب هاجَرَ وآجَر ، فيُبْدِلُونَ الألفَ من الهاء ؛ كما قالوا : هَرَاقَ الماء وأَرَاقَ الماء ، وغيره ، وهاجَرُ : من أهل مصر

وصاة النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر

قال ابن هشام : حدثنا عبدالله بن وَهْبٍ ، عن عبد الله بن لَهِيعَةَ ، عن عمر مَوْلَى غُفْرَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اللهَ اللهَ فى أهْلِ الذِّمَّةِ أهْلِ المَدَرَةِ السَّوْدَاءِ السُّحْمِ الجِعَادِ ؛ فَإِنَّ لَهُمْ نَسَباً وَصِهْراً » قال عمرُ مولى غُفْرَةَ : نَسَبُهُمْ أنَّ أُمَّ إسمعيل النبي صلى الله عليه وسلم منهم ، وصِهْرُهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تَسَرَّرَ فيهم ، قال ابن لَهِيعَةَ : أمُّ إسمعيل هَاجَرُ من أُمِّ العرب قَرْيَةٍ كانت أمامَ الْفَرَمَا من مصر ، وأمُّ إبراهيمَ (١) ماريَةُ سُرِّيَّةُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم التى أهداها له المقوقس من حَفْن (٢) من كورة أنْصِنَا

قال ابن إسحق : حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شِهاب الزُّهْرِى أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارىَ ثم السَّلِمِىَ ، حَدَّثَه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْراً فإنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً » فقلت لمحمد بن مسلم [الزهرى] : مَا الرَّحِمُ التى ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم ؟ فقال : كانت هَاجَرُ أُمُّ إسمعيلَ منهم

قال ابن هشام : فالعربُ كلها من ولد إسمعيلَ وقَحْطَانَ ، و بعضُ أهل

---

(١) هو إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) « حفن » قال ابن الأثير : هى بفتح الحاء وسكون الفاء والنون ، قرية من صعيد مصر ، ولها ذكر من حديث الحسن بن على مع معاوية اهـ ، وحديث الحسن الذى أشار إليه ذكره أبو عبيدة فى كتاب الأموال . ومغزاه أن الحسن بن على خاطب معاوية فى أن يضع الخراج عن أهل حفن حفظًا لوصية رسول الله بهم ورعاية لحرمة الصهر . وأنصنا ـ بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الصاد ـ مدينة فى صعيد مصر ينسب إليها كثير من أهل العلم

اليمن يقول : قَحْطَانُ من ولد إسمعيل ، ويقول : إسمعيل أبو العرب كلها

قال ابن إسحق : عَادُ ابنُ عوص بن إرَمَ بن سَام بن نُوح ، وثَمُودُ وجَدِيسُ : ابنا عَابِر(١) بن إرَمَ بن سام بن نوح ، وطَسْمٌ وعِمْلَاق وأُمَيْم : بنو لَاوَذ بن سام بن نوح ، عَرَبٌ كُلُّهُمْ

فولَدَ نابتُ بن إسمعيلَ يَشْجُبَ بن نابت ، فولد يَشْجُبُ يَعْرُبَ بن يَشْجُبَ ، فولد يعربُ تَيْرَحَ بن يعرب ، فولد تيرحُ ناحورَ بن تَيْرَحَ ، فولد ناحورُ مُقَوِّمَ بن ناحور ، فولد مقومُ أُدَدَ بْنَ مقوم ، فولد أددُ عَدْنَانَ بن أُدَدَ

قال ابن هشام : ويقال عَدْنَانُ بْنُ أُدّ

قال ابن إسحق : فمن عَدْنَانَ تفرّقتْ القبائلُ من ولد إسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام ؛ فولد عدنانُ رجلين : مَعَدّ بْنَ عَدْنَان ، وعَكّ بْنَ عدنان

قال ابن هشام : فصارت عكٌّ فى دار اليمن ، وذلك أن عكًّا تَزَوَّجَ فى الأَشْعَرِيِّينَ ، فأقام فيهم ، فصارت الدارُ واللغةُ وَاحِدَةً ، والأشعريون : بنو أَشْعَرَ بن نَبْت بن أُدَدَ بن زيد بن هُمَيْسَعَ بن عَمْرو بن عَرِيب بن يَشْجُب بن زيد بن كَهْلَانَ بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان ، ويقال : أَشْعَرُ بْنُ نَبْتُ بن أُدَدَ ، ويقال : أَشْعَر بنُ مالك ، (ومالك مَذْحِج ابن أُدَد بن زيد بن هميسع) ، ويقال : أشعر بن سبأ بن يشجب

وأنشدنى أبو مُحْرِز خَلَفٌ الأَحْمَرُ وأبو عبيدة لِعَبَّاسِ بن مِرْدَاس أحد بنى سُلَيْم بن منصور بن عِكْرِمَةَ بن خَصَفَةَ بن قَيْسِ بن عَيْلَانَ بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان يفخر بعَكّ : —

---

(١) في [illegible]

وَعَكُّ بْنُ عَدْنَانَ الَّذِينَ تَلَقَّبُوا * بِغَسَّانَ حَتَّى طُرِّدُوا كُلَّ مَطْرَدِ

وهذا البيت فى قصيدة له

وَغَسَّان : ماء بسَدِّ مَأْرِب باليمن ، كان شِرْبًا لولد مازن بن الأَسْد ابن الْغَوْث ، فسمُّوا به ، ويقال : غَسَّان ماء بِالْمُشَلَّل قريبٌ من الْجُحْفَة ، (١) والذين شربوا منه [تَحَزَّبُوا] فسموا به قبائل من ولد مازن ابن الأَسْدِ بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زَيْد بن كَهْلَان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان ، قال حسان بن ثابت الأنصارى (والأنصار : بَنُو الأَوْسِ والخَزْرَج ابنَيْ حارِثَةَ بن ثَعْلَبَة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرىء القيس بن ثَعْلَبَة بن مازن بن الأَسْدِ بن الغَوْث) : —

إمَّا سَأَلْتِ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُجُبٌ * الأَسْدُ نِسْبَتُنَا وَالْمَاءُ غَسَّانُ(٢)

---

(١) نقل ياقوت فى معجم البلدان هذين القولين فى بيان موقع غسان عن ابن إسحاق مؤلف الأصل كما هنا مع اختلاف يسير ، ثم زاد بعد ذلك « وقال نصر : غسان ماء باليمن بين رمع وزبيد ، وإليه تنسب القبائل المعروفة » اهـ

(٢) فى المعجم « الأزد نسبتنا والماء غسان » بالزاى فى قوله « الأزد » وكلاهما صحيح ، فانه يقال « الأسد » بالسين ، و « الأزد » بالزاى ، وهما بفتح فسكون ، وقبل هذا البيت قوله : —

يَا بِنْتَ آلِ مُعَاذٍ إِنَّنِي رَجُلٌ مِنْ مَعْشَرٍ لَهُمُ فِي الْمَجْدِ بُنْيَانُ
شُمُّ الأُنُوفِ لَهُمْ عِزٌّ وَمَكْرُمَةٌ كَانَتْ لَهُمْ مِنْ جِبَالِ الطَّودِ أَرْكَانُ

وتنسب هذه الأبيات الثلاثة لسعد بن الحصين جد النعمان بن بشير ، كما تنسب لحسان .

وهذا البيت فى أبيات له

فقالت اليَمَنُ وبعضُ عَكٍّ ، وهم الذين بخراسان منهم : عك بن عَدْنان (١) بن عبد الله بن الأَسْدِ بن الغَوْثِ ، ويقال : عُدْثَان [بن الدِّيثِ (٢)] بن عبد الله بن الأَسْدِ بن الغَوْثِ

أبناء معد ابن عدنان

قال ابن إسحق : فولد معدُّ بنُ عدنان أربَعَةَ نفر : نِزَارَ بن معد ، وقُضَاعة بن معد (وكان قضاعة بِكْرَ مَعَدٍّ الذى به يُكْنَى فيما يزعمون) وقنَصَ بْنَ معد ، وإياد بن معد ؛ فأما قُضَاعَةُ فتيامَنَتْ إلى حِمْيَرَ بن سبأ (وكان اسمُ سبأ عَبْدَ شمس ، وإنما سمى سبأ لأنه أول من سَبَأَ فى العرب) ابن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان

قضاعة

قال ابن هشام : فقالت اليمنُ : وقُضَاعَةُ : قُضَاعَةُ بْنُ مالك بن حِمْيَر ،

(١) هكذا ضبطه قوم منهم الجوهرى ، وذكر الخشنى فى الشرح عن أبى على الغسانى ، والسهيلى عن الدار قطنى عن ابن الحباب أنه « عك بن عدثان » بضم العين المهملة وبعد الدال ثاء مثلثة — وقال فى القاموس : « وعك ابن عدثان — بالثاء المثلثة — ابن عبد الله بن الأزد ، وليس أخا معد ، ووهم الجوهرى » اه وهذا الذى ذكر المجد أنه من أوهام الجوهرى هو الذى صرح به ابن إسحاق فى صدر كلامه ، وقال ابن منظور : « وعك بن عدنان أخو معد ، وهو اليوم فى اليمن ، هذا قول الليث ، وقال بعض النسابين : إنما هو معد بن عدنان ، فأما عك فهو ابن عدثان — بالثاء — وعدثان بالثاء من ولد قحطان ، وعدنان بالنون من ولد إسماعيل » اه وارجع إلى شرح القاموس ففيه ذكر جمهرة من العلماء قالوا عك بن عدنان كالجوهرى والليث

(٢) الديث : هو بكسر الدال وآخره ثاء مثلثة ، ووقع فى نسخة الخشنى بالراء المهملة وضبطه بالشكل مفتوحا ، وهو خطأ ، وقد ذكر بعضهم أنه الذئب — بذال معجمة بعدها همزة فباء موحدة — وانظر التاج ، وسقط هذا الآب من بعض النسخ ، كما سقط من كلام المجد فى القاموس

وقال عمرو بن مرة الجهنى (وجهينةُ : ابن زيد بن ليث بن سَوْد بن أسْلُم بن إلحاف بن قضاعة) : —

نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الهِجَانِ الأَزْهَرِ * قُضاعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِمْيَرِ

النَّسَبِ المَعْرُوفِ غَيْرِ المُنْكَرِ * [فِي الحَجرِ المَنْقُوشِ تَحْتَ المِنْبَرِ] (١) أ

قال ابن إسحق : وأما قُنُصُ بن معد فهلكت بقيتُهم فيما يزعم نُسَّابُ معد ، وكان منهم النعمانُ بن المُنْذِر مَلِكُ الحِيرَةِ

النعمان بن المنذر ملك الحيرة من ولد قنص بن معد

قال ابن إسحق : حدثنى محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى أن النعمان بن المُنذر كان من ولد قُنُصِ بن معد (قال ابن هشام : ويقال : قَنَص)

جبير بن مطعم يذكر لعمر نسب النعمان

قال ابن إسحق : وحدثنى يعقوب بن عُتْبَةَ بن المُغِيرَة بن الأَخْنَس ، عن شَيْخ من الأنصار من بنى زُرَيق ، أنه حَدَّثه ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أُتِيَ بسَيْفِ النعمان بن المنذر دعا جُبَيْرَ بنَ مُطْعِم بن عَدِيّ بن نَوْفَل بن عبد مناف بن قُصَيّ (وكان جُبَيْرٌ من أنْسَبِ قريش لقريش وللعرب قاطبةً ، وكان يقول : إنما أَخَذْتُ النسبَ من أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان أبو بكر الصديق أنسَبَ العرب فَسَلَّحَهُ إياه) ثم قال : مِمَّنْ كان ياجُبَيْرُ النعمانُ بْنُ المنذر ؟ فقال : كان من أشْلاَء قَنَص ابن معد

سائر العرب يزعمون أن النعمان من لخم

قال ابن إسحق : فأما سائرُ العربِ فيزعمون أنه كان رجلا من لَخْم من ولد ربيعة بن نَصْر ، فالله أعْلَمَ أىّ ذلك كَانَ .

نسب لخم

قل ابن هشام : لَخْمٌ : ابنُ عَدِيّ بن الحرث بن مُرّة بن أُدَدَ بن زيد ابن هَمَيْسَع بن عمرو بن عريب بن يشجُب بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ ، ويقال :

(١) سقط هذا البيت من ا .

لخم بن عدى بن عمرو بن سبأ ، ويقال : ربيعة بن نَصْر بن أبى حارثة بن عمرو بن عامر ، وكان تخلَّفَ باليمن بعد خُروج عَمْرو بن عامر من اليمن

أمر عَمْرو بن عامر فى خروجه من اليمن وقِصَّةُ سد مأرب

أمر مأرب

وكان سببُ خروج عمرو بن عامر من اليمن ، فيما حَدَّثنى أبو زيد الأنصارى ، أنه رأى جُرَذاً يَحْفِرُ فى سدِّ مأرِب الذى كان يَحْبِسُ عليهمُ الماءَ فيصرفونه حيث شاءوا من أرضيهم ، فعلم أنه لابَقَاءَ للسدِّ على ذلك ، فاعتزم على النَّقْلَةَ من اليمن ، فكاد قومه ، فأمَرَ أصْغَرَ ولده إذا أغْلَظَ عليه ولَطَمَه أن يقوم إليه فَيَلْطِمَه ، ففعل ابنُه ما أمره به ، فقال عمرو: لا أقيم ببلدٍ لَطَمَ وجهى فيه أصْغَرُ ولدى ، وَعَرَضَ أموالَه ، فقال أشراف من أشراف اليمن : اغتنموا غَضْبَةَ عمرو ، فاشتروا منه أمواله ، وانتقل فى ولده وولد ولده ، وقالت الأَزد : لانتخَلَّفُ عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم وخرجوا معـــه ، فساروا حتى نزلوا بلاد عَكٍّ مجتازين يرتادون البلدان ، فحاربتهم عك ، فكانت حربهم سجالا ، ففى ذلك قال عباس ابن مرداس البيت الذى كتبنا ، ثم ارتحلوا عنهم، فتفرقوا فى البلدان : فنزل آل جَفْنَةَ بن عمرو بن عامر الشام ، ونزلت الأوْسُ والخَزْرَجُ يثرب ، ونزلت خُزاعة مَرًّا ، ونزلت أزدُ السراةِ السراةَ ، ونزلت أزْدُ عُمانَ عُمَانَ ، ثم أرسل الله تعالى على السد السَّيْلَ فهدَمَه ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم (٣٤ : ١٥–١٦) (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ)

والعرم : السد ، واحدته عَرِمة ، فيما حدثني أبو عبيدة ، قال الأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل [بن قاسط] بن هِنْبِ بن أفْصَى بن جَدِيلَةَ بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَدّ (قال ابن هشام : ويقال أفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلَة) ، واسْمُ الأعشى مَيْمُونُ بن قيس بن جَنْدَل بن شَرَاحِيلَ بن عَوْف بن سَعْدِ بن ضُبَيْعَة بن قيس بن ثعلبة (١) : —

وَفِي ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِي أُسْوَةٌ * وَمَأْرِبُ عَفَّى عَلَيْهَا الْعَرِمْ
رُخَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حِمْيَرٌ * إِذَا جَاءَ مَوَّارُهُ لَمْ يَرِمْ
فَأَرْوَى الزُّرُوعَ وَأَعْنَابَهَا * عَلَى سَعَةٍ مَاؤُهُمْ إِذْ قُسِمْ
فَصَارُوا أَيَادِيَ مَا يَقْدِرُو * نَ مِنْهُ عَلَى شُرْبِ طِفْلٍ فُطِمْ

وهذه الأبيات في قصيدة له (٢)

---

(١) الذى فى شرح ديوان الأعشى لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب أنه « ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن ثعلبة » وفى شرح القصائد العشر للخطيب التبريزى أبى زكريا يحيى بن على أنه « ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة » بزيادة قيس بين ضبيعة وثعلبة عما فى شرح الديوان . وكلاهما يخالف ما فى الأصل عن ابن هشام فيمن بعد شراحيل

(٢) الأبيات فى الديوان (ص ٣٤) ويروى فى الأول « ومأرب قفى » ويروى « نفى » وفى الثانى « إذا جاءه ماؤهم » ويروى الرابع هكذا : —

فَطَارُوا سِرَاعاً وَمَا يَقْدِرُو نَ مِنْهُ بِشُرْبِ صَبِيٍّ فُطِمْ

ويروى بين ثالث ماهنا ورابعه بيت آخر : وهو هذا : —

فَطَارَ الْقُيُولُ وَقَيْلَاتُهَا بِيَهْمَاءَ فِيهَا سَرَابٌ يَطِمّ

وقال أمية بن أبي الصَّلْتِ الثَّقَفِيّ ، (واسم ثَقِيف قَسِيٌّ بن مُنَبِّه بن بكر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلَان بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عَدْنَان) :—

مِنْ سَبَأ الحَاضِرِينَ مَأْرِب إذْ * يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ العَرِماَ

وهذا البيت فى قصيدة له ، وتروى للنابغة الجعدى ، واسمه قَيْس بن عبد الله أحَدُ بنى جَعْدَة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة بن معاوية بن بكر بن هوازن

وهو حديث طويل منعنى من استقصائه ما ذكرت من الاختصار

رؤيا ربيعة بن نصر أحد ملوك اليمن وتأويل سطيح وشق إياها

قال ابن إسحق : وكان ربيعة بن نَصْر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ، فرأى رؤيا هَالَتْه وفَظِعَ بها ، فلم يَدَعْ كاهِنًا ولا سَاحِرًا ولا عائفا ولا منجما من أهل مملكته إلا جَمَعَه إليه ، فقال لهم : إنى قد رأيتُ رؤيا هَالَتْنى وَفَظِعتُ بها ، فأخبرونى بها وبتأويلها ، قالوا له : اقْصُصْهَا علينا نُخْبِرْكَ بتأويلها ، قال : إنى إنْ أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ؛ فإنه لا يعرف تأويلَهَا إلا مَنْ عرفَهَا قبل أن أخبره بها ، فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيح وشقٍّ فانه ليس أحد أعلم منهما ، فهما يُخْبِرانه بما سأل عنه

نسب سطيح وشق

واسْمُ سطيح رَبِيعُ بن ربيعة [بن مسعود] بن مازن بن ذئب بن عدى ابن مازن غَسّان ، وشِقّ : ابنُ صَعْب بن يَشْكر بن رُهْم بن أفْرَك بن قيس[1] ابن عَبْقَر بن أنمار بن نزار ، وأنمار : أبو بَجِيلَةَ وخَثْعَم

قال ابن هشام : وقالت اليمن : وبجيلة بنو أنمار بن إراش بن لحيان

(١) وفى بعض النسخ قسر

ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ ، ويقال : إراش [بن] عَمْرو بن لَحْيَان بن الغَوْث ، ودار بجيلة وخَثْعَم يمانية

رؤيا ربيعة بن نصر قال ابن إسحق : فبعث إليهما ، فقدم عليه سَطِيحٌ قبل شِقٍّ ، فقال له : إني قد رأيت رُؤْيَا هَالَتْنِي وفَظِعْتُ بها فأخبرني بها ، فانك إن أصبتها أصبت تأويلها ، قال : أفعلُ ، رَأَيْتَ حُمَمَةً ، خَرَجَتْ مِنْ ظُلُمَة ، فوَقَعَتْ بأرْضٍ تَهمَة ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا كُلُّ ذَاتِ جُمْجُمَة[1] فقال له الملك : ما أخْطَأْتَ منها شيئاً يا سَطِيحُ ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحْلِفُ بما بين الحَرَّتَيْنِ من حَنَش ، لتَهْبِطَنَّ أرْضَكُمُ الحَبَش ، فَلَيَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أَبْيَنَ إلَي جُرَش . فقال له الملك : وأبيكَ يا سطيحُ إن هذا لنا لغائظٌ مُوجِعٌ فمتى هو كائن ؟ أوَ فِي زماني هذا أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين يَمْضِينَ من السِّنِينَ ، قال : أفيَدُومُ ذلك من مُلْكهم أم ينقطع ؟ قال : لا ، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يُقْتَلُونَ ويُخْرَجُونَ منها هاربين ، قال : ومَنْ يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرَمُ بن ذي يَزَن ، يَخْرُجُ عليهم من عَدَن ، فلا يترك أحداً منهم باليَمَن ؛ قال : أفيَدُومُ ذلك من سُلْطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع ؛ قال : ومن يقطعه ؟ قال : نَبِيٌّ زَكِيٌّ ، يأتيه الوَحْيُ من قبل العَلِيّ ؛ قال : ومِمَّنْ هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النَّضْر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدَّهْر ؛ قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، يَسْعَدُ فيه المحسنون ، ويَشْقَى فيه المسيئون ؛ قال : أحَقٌّ ماتخبرني ؟ قال : نعم ، والشَّفَق والغَسَق ، والفلق إذا

---

(١) الحمة : هي القطعة من النار ، وهي الفحمة أيضا . وظلمة : يعني من جهة البحر . وأرض تهمة : واسعة متطامنة . والجمجمة : الرأس

شق بين يدى ربيعة بن نصر

أتَسَق ، إنَّ ماأنبأتك به لحقّ . ثم قَدِمَ عليه شق فقال له كقوله لسطيح ؛ وكتمه ماقال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان . قال : نعم ، رأيت حُمَمَة ، خرجت من ظُلُمَة ، فوقعت بين رَوْضَة وأكَمَة ، أكلت منها كُلَّ ذات نَسَمَة ؛ قال : فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا وأن قولهما واحد ؛ إلا أن سطيحاً قال : وقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة ؛ وقال شق : وقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة ؛ فقال له الملك : ماأخطأت ياشق منها شيئاً فما عندك فى تأويلها ؟ قال : أَحْلِفُ بما بين الحرتين من إنسان ، لَيَنْزِلَنَّ أرْضَكُمُ السُّودَانُ ، فَلَيَغْلِبُنَّ على كل طَفْلَةِ الْبنَانِ ، وَلَيمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أَبْيَنَ إلَي نَجْرَانَ ؛ فقال له الملك : وأبيك ياشق إن هذا لنا لغائظ مُوجِعٌ فتى هو كائن ؟ أفى زمانى أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذُوشَانٍ ، ويُذِيقُهم أشدَّ الهَوَان ، قال : ومن هذا العظيم الشأن ؟ قال : غلام ليس بِدَنِيٍّ ولا مُدَنٍّ ، يخرج عليهم من بيت ذِى يَزَنْ [فلا يترك أحدا منهم باليمن] . قال : أفيَدُومُ سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مُرْسَل يأتى بالحق والعَدْل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفَصْل . قال : وما يوم الفَصْل ؟ قال : يوم تجزى فيه الوُلاَة ، ويُدْعَى فيه من السماء بدَعَوَات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس لِلمِيقَاتِ ، يكون فيه لمن اتقى الْفَوْزُ والخيرات ، قال : أحق ما تقول ؟ قال : إى وَرَبِّ السماء والأرْض ، وما بينهما من رَفْع وخَفْض ، إنَّ ما أنبأتك به لحقٌّ ما فيه أمْضٌ

قال ابن هشام : أمْضٌ يعنى شَكًّا ، هذا بلغة حمير ، وقال أبو عمرو : أمض : أى باطل

ربيعة بن نصر يهاجر إلى العراق

فوقع فى نفس ربيعة بن نصر ما قالا ، فجهز بنيه وأهلَ بيته إلى

العراق بما يُصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور ابن خُرَّزَاذَ ، فأسكنهم الحيرة ، فمن بقيَّةِ ولد ربيعةَ بنِ نصرٍ النعمانُ ابن المنذر ، فهو — فى نسب اليمن وعلمهم — النعمانُ بن المنذر بن النعمان ابن المنذر بن عمرو بن عَدِىّ بن ربيعة بن نَصْر ، ذلك المَلِكُ

قال ابن هشام : النعمان بن المنذر بن المنذر ، فيما أخبرنى خَلَفٌ الأحمر

استيلاء أبى كرب تُبَانَ أسْعَدَ على ملك اليمن ، وغَزْوه إلى يثرب

حسان بن تبع الآخر يملك اليمن

قال ابن إسحق : فلما هلك ربيعةُ بن نَصْر رجع مُلْكُ اليمن كُلّه إلى حَسَّان بن تُبَانَ أسْعَدَ[1] أبى كَرِب (وتُبَانَ أسْعَد : هو تُبَّع الآخر) ابن كُلى كَرِبَ بن زيد (وزيد : هو تُبَّع الأول) بن عمرو ذى الأذْعار بن أبْرَهَةَ ذى المَنَار بن الرِّيش

قال ابن هشام : ويقال الرائش

قال ابن إسحق : ابن عدى بن صيفى بن سبأ الأصغر بن كعبٍ كَهْفِ الظُّلْم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيْمَن بن

(١) «تبان أسعد» قال السهيلى : «اسمان جعلا اسما واحدا ، وإن شئت أضفت كما تضيف معد يكرب ، وإن شئت جعلت الإعراب فى الاسم الآخر ، وتبان : من التبانة ، وهى الذكاء والفطنة ؛ يقال : رجل تبن وطبن» اهـ . وقال المجد فى القاموس : «وتبان كغراب أو كرمان ، ويكسر ، لقب تبع الحميرى ، يقال له : أسعد تبان» اهـ ، وفيه : «وتبن كفرح تبنا (بفتح فسكون) وتبانة ، فهو تبن ككتف : فطن دقيق النظر ، كتبن تتبينا» اهـ

الْهَمَيْسَع بن الْعَرَنْجَج ، والعرنجج : حمير بن سبأ الأكبر بن يعرب بن يشجب بن قحطان

قال ابن هشام : يشجب بن يعرب بن قحطان

قال ابن إسحق : وتُبَانَ أسْعَدَ أبو كرب الذى قدم المدينة وساق الحَبْرَيْنِ من يهود [المدينة] إلى اليمن وعَمَّرَ البيت الحرام وكَسَاه ، وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر

قال ابن هشام : وهو الذى يُقَالُ له : —

لَيْتَ حَظِّى مِنْ أَبِى كَرِبٍ * أَنْ يَسُدَّ خَيْرُهُ خَبَلَهْ (١)

قال ابن إسحق : وكان قد جعل طريقه — حين أقبل من المشرق — على المدينة ، وكان قد مر بها فى بَدْأَته ، فلم يَهِجْ أهْلَها ، وَخَلَّفَ بين أظْهُرِهِمْ ابنًا له ، فقُتِلَ غِيلةً ، فقدمها وهو مُجْمِع لاخرابها واستئصال أهلها وقَطْع نخلها ، فجمع له هذا الحى من الأنصار ، ورئيسهم عَمْرُو ابن طَلَّةَ أخو بنى النجار ثم أحد بنى عمرو بن مبذول ، واسم مبذول : عامر بن مالك بن النجار ، واسم النجار : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر

قال ابن هشام : عَمْرُو ابن طَلَّةَ : عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجار ، وطَلَّةُ : أمه ، وهى بنت عامر بن زُرَيْق [بن

---

(١) قال السهيلى : «قال البرقى نسب هذا البيت إلى الأعشى ، ولم يصح ، قال : وإنما هو لعجوز من بنى سالم أحسبه قال فى اسمها جميلة ، قالته حين جاء مالك بن العجلان بخبر تبع ، فدخل سرا ، فقال لقومه : قد جاء تبع ، فقالت العجوز البيت » اه ، والخبل فى هذا البيت — بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة — هو الفساد ، تمنى أن يكون خيره مكافئا لفساده .

عامر بن زُرَيْق] (١) بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَمَ بن الخزرج

سبب قتال تبع أهل المدينة

قال ابن إسحق : وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار — يقال له أحمر — عدَا علي رجل من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم ، فقتله ، وذلك أنه وجده فى عَذْقٍ له يَجُدُّه (٢) ، فضربه بمنجله (٣) ، فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أَبَرَه (٤) ، فزاد ذلك تُبَّعاً حَنَقاً عليهم، قال : فاقتتلوا ، فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ويَقْرُونَهُ (٥) بالليل ، فيعجبه ذلك منهم، ويقول : والله إن قومنا لكرام ، فبينا تُبَّعٌ علي ذلك من قتالهم إذ جاءه حَبْرَانِ من أحبار يهود من بنى قريظة (وقريظة والنضير والنَّجَّام وعمرو — وهو هَدَل (٦) — بنو الخزرج بن الصريح بن التَّوْءمَان بن السبط بن اليسع ابن سعد بن لاَوِىّ بن خير بن النَّجَّام بن تنحوم بن عازر بن عزرى بن هرون بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوِىّ بن يعقوب — وهو إسرائيل — بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليهم) عالمان راسخان

---

(١) زيادة فى بعض نسخ الكتاب

(٢) « عذق » العذق — بفتح فسكون — النخلة ، فان كسرت العين كان اسما للكباسة ؛ وقوله « يجده » معناه يقطعه

(٣) المنجل — بكسر الميم وسكون النون بعدها جيم مفتوحة — حديدة يقطع بها الزرع

(٤) أبر النخل — من باب نصر وضرب — أصلحه ، ومثله أبره تأبيرا

(٥) قرى الضيف يقريه — من باب ضرب — أضافه

(٦) هدل — بفتح الهاء والدال جميعا ، وقيل : هو بفتح فسكون — ذكره السهيلى

فى العلم ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا له : أيها الملك لا تفعل ، فانك إن أبيت إلا ما تريد حِيل بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة ، فقال لهما : ولم ذلك ؟ فقالا : هى مُهَاجَرُ نَبِيٍّ يخرج مِن هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان ، تكون دَارَهُ وَقَرَارَهُ ، فتناهى عن ذلك ، ورأى أن لهما علما ، وأعجبه ما سمع منهما ، فانصرف عن المدينة ، واتبعهما على دينهما ؛ فقال خالدبن عبدالْعُزَّى بن غَزِيَّةَ بن عمرو [بن عبد] (١) ابن عوف بن غنم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طَلَّةَ :

أَصَحَا أَمْ قَدْ نَهَى ذُكَرَهْ * أَمْ قَضَى مِنْ لَذَّةٍ وَطَرَهْ (٢)
أَمْ تَذَكَّرْتَ الشَّبَابَ ، وَمَا * ذِكْرُكَ الشَّبَابَ أَوْ عُصُرَهْ (٣)
إِنَّهَا حَرْبٌ رَبَاعِيَةٌ * مِثْلُهَا أَتَى الْفَتَى عِبَرَهْ (٤)
فَاسْأَلَا عِمْرَانَ أَوْ أَسَداً * إِذْ أَتَتْ عَدْواً مَعَ الزُّهَرَهْ
فَيْلَقٌ فِيهَا أَبُو كَرِبٍ * سُبَّغٌ أَبْدَانُهَا ذَفِرَهْ (٥)

---

(١) زيادة فى بعض النسخ

(٢) ذكره — بضم الذال وفتح الكاف — جمع ذكرة — بضم فسكون — وهى ضد النسيان . والوطر — بفتحتين — الحاجة

(٣) عصر الشىء : وقته ، وهو بفتح فسكون أو بضمتين كما هنا أو بضم فسكون

(٤) « رباعية » بفتح الراء والباء بعدها عين مكسورة ثم ياء مثناة خفيفة ـ أراد بذلك أنها شديدة ، فضرب سن الرباعية مثلا ، يعنى أنها ليست صغيرة ولا فوق ذلك قليلا ، بل هى كبيرة

(٥) الفيلق : الجيش . وسبغ : جمع سابغ ، وهو الكامل الوافى ، والأبدان :

ثُمَّ قَالُوا : مَنْ تَؤُمُّ بِهَا ؟ * أَبَنِي عَوْفٍ أَمِ النَّجَرَهْ[١]
بَلْ بَنِي النَّجَّارِ إِنَّ لَنَا * فِيهِمُ قَتْلَي وَإِنَّ تِرَهْ[٢]
فَتَلَقَّتْهُمْ مُسَايِفَـةٌ * مَدُّهَا كَالْغَبية النَّثِرَهْ[٣]
فِيهِمُ عَمْرُو بْنُ طَلَّةَ مَلَّـ * ـى الْإِلٰهُ قَوْمَهُ عُمُرَهْ[٤]
سَيِّدٌ سَامَ الْمُلُوكَ ، وَمَنْ * رَامَ عَمْراً لاَ يَكُنْ قَدَرَهْ[٥]

وهذا الحي من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حَنَقُ تُبَّع على هذا الحي من يهود ، الذين كانوا بين أظهرهم ، وإنما أرادهلاكهم فمنعوهم منه حتى انصرف عنهم ، ولذلك قال فى شعره : —

حَنَقاً عَلَي سِبْطَيْنِ حَلاَّ يَثْرِباً * أَوْلَى لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدِ[٦]

قال ابن هشام : الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع ؛ فذلك الذى منعنا من إثباته

جمع بدن ، وأراد بها هنا الدروع ، يريد أن دروع هذا الجيش سابغات . ذفرة ـ بفتح الذال وكسر الفاء ـ فائحة الريح ، يريد : أن لهم ريحا ظاهرة .

(١) أراد بالنجرة بنى النجار

(٢) الترة بكسر التاء وفتح الراء المهملة ـ الثأر ، وقد حذف خبر إن لدلالة الأول عليه ، أى : وإن لنا ترة

(٣) « مسايفة » هم حملة السيوف ، ويروى أيضاً بفتح الياء ، فهو حال مثل قولهم : كلمته مشافهة وبعته مقابضة ، والغبية : الدفعة من المطر ، والنثرة : المنتثرة التى لا تمسك ماءها

(٤) « ملى الاله قومه عمره » أى : أطال لهم عمره حتى يتمتعوا به

(٥) « سام » يروى فى مكانه « سامى »

(٦) البيت من قصيدة طويلة ، وقبله ـ وهو مطلعها ـ قوله :

مَابَالُ عَيْنِكَ لاَتَنَامُ كَأَنَّمَا * كُحِلَتْ مَآقِيهَا بِسُمِّ الْأَسْوَدِ

تبع يقدم مكة فيطوف بالبيت ويعظمه ويكرم أهله

قال ابن إسحق : وكان تُبَّعٌ وقومه أصحابَ أوثان يعبدونها ؛ فتوجه إلى مكة ، وهى طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسْفَانَ وأَمَجَ (١) أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ، فقالوا له : أيها الملك ، ألا ندُلُّكَ على بيت مال داثرٍ أغفَلَتْهُ الملوك قبلَك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى ، قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ، ويصلُّون عنده ، وإنما أراد الهذليون هلاكَه بذلك ؛ لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبَغَى عنده ، فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحَبْرَيْنِ فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القوم إلا هلاكَك وهلاكَ جندك ، ما نعلم بيتا لله اتخذه فى الأرض لنفسه غيره ، ولئن فعلت ما دَعَوْكَ إليه لتهلكَنَّ وَليهلكَنَّ مَنْ معك جميعا ، قال : فماذا تأمُرانِنِي أن أصنع إذا أنا قدمت عليه ؟ قالا : تصنع عنده ما يصنع أهله : تَطُوفُ به ، وتعظمه ، وتكرمه ، وتحلق رأسك عنده ، وتذل له حتى تخرج من عنده ، قال : فما يمنعكما أنتما

ومنها فى ذكر ذى القرنين الأكبر الملقب بالصعب : —

وَلَقَدْ أَذَلَّ الصَّعْبُ صَعْبَ زَمَانِهِ ... وَأَنَاطَ عُرْوَةَ عِزِّهِ بِالْفَرْقَدِ
لَمْ يَدْفَعِ الْمَقْدُورَ عَنْهُ قُوَّةٌ ... عِنْدَ الْمَنُونِ وَلاَ سُمُوُّ الْمَحْتِدِ

(١) عسفان — بضم فسكون — منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل : بين المسجدين ، وهى من مكة على مرحلتين ، وقيل : قرية جامعة بها نخيل ومزارع ، وهى حد تهامة ، وهى على ستة وثلاثين ميلا من مكة ، وأمج بفتح الهمزة والميم جميعا — بلد من أعراض المدينة ، وقيل : واد يأخذ هو وغران من حرة بنى سليم ويفرغان فى البحر . انظر فى المادتين معجم ياقوت

من ذلك ؟ قالا : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التى نصبوها حوله ، وبالدماء التى يُهَرِيقُونَ عنده ، وهم نجسٌ أهْلُ شرك ، أو كما قالا له ، فعرف نصحهما وصدق حديثهما ، فقرب النَّفَر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ، ونحر عنده ، وحلق رأسه ، وأقام بمكة ستة أيام ، فيما يذكرون ، ينحر بها للناس ، ويُطْعِم أهلها ، ويسقيهم العسل وأرِىَ فى المنام أن يكسو البيت فكساه الخَصَف [1] ثم أرِى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المَعَافِر [2] ، ثم أُرِى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المُلاَءَ والوَصَائل [3] وكان تُبَّع ، فيما يزعمون ، أولَ من كسا [4]

---

(١) الخصف ـ بفتح الخاء والصاد جميعا ـ ومثله الخصاف ـ بكسر الخاء جمع خصفة ، وهى كساء غليظ جدا ، أو هى شقة تعمل من الخوص أو ليف النخل .

(٢) المعافر ـ بفتح الميم ـ أراد بها الثياب المعافرية ، قال فى القاموس :ـ « ومعافر : بلد وأبو حى من همدان لاينصرف ، وإلى أحدهما تنسب الثياب المعافرية ، ولاتضم الميم » اه

(٣) الملاء ـ بضم الميم ـ جمع ملاءة ، وهى الريطة ، وهى الملحفة ، والوصائل : جمع وصيلة ـ بفتح الواو ـ وهى الثوب المخطط اليمانى

(٤) وفى هذا يقول تبع :ـ

وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الذِى حَرَّمَ اللّـٰـهُ مُلاَءً مُنَضَّداً وَبُرُودَا
فَأَقَمْنَا بِهِ مِنَ الشَّهْرِ عَشْراً وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيدَا
وَنَحَرْنَا بالشِّعْبِ سِتَّةَ أَلْفٍ فَتَرَى النَّاسَ نَحْوَهُنَّ وُرُودَا
ثُمَّ سِرْنَا عَنْهُ نَؤُمُّ سُهَيْلاً فَرَفَعْنَا لِوَاءَنَا مَعْقُودَا

قال السهيلى بعد رواية هذه الأبيات : « قال القتبى : كانت قصة تبع قبل الاسلام بسبعمائة عام » اه

البيت وأوصى به وُلاتَه من جُرْهم ،وأمرهم بتطهيره ،وأن لايُقْرِبوهْ دَمًا ولا مَيْتَةً ولا مِئْلاةً[١] وَهى المحائضُ[٢] وجعل له بابا ومفتاحا ، فقالت سُبَيْعَة بنت الأَجَبِّ[٣] بن زَبِينة[٤] بن جذيمة بن عَوْف بن نصر بن مُعاوية ابن بكر بن هَوَازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان ، وكانت عند عبد مناف بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب لُؤَى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كِنانة ، لابْنٍ[٥] لها منه يقال له خالد ، تُعَظِّم عليه حرمة مكة ،وتَنْهَاه عن البغى فيها ،وتذكر تُبَّعًا وتَذَلُّلَهَ لها وما صنع بها : —[٦]

---

(١) المئلاة ـ بكسر الميم وسكون الهمزة ـ هى خرقة الحائض ، وهو أيضا خرقة النائحة ، وجمعها مآل ، مثل مكنسة ومكانس ، وفى حديث عمرو ابن العاص : « إنى والله ماتأبطتنى الاماء ولاحملتنى البغايا فى غبرات المآلى » نفى عن نفسه الجمع بين سبتين : أن يكون ابن زنى ، وأن يكون محمولا به فى بقية حيضة

(٢) المحائض : جمع محيضة ، وهى خرقة الحيض ، وأنت ترى أن الأنسب أن يقول : وهى المحيضة ؛ لئلا يلزم تفسير المفرد بالجمع

(٣) قال السهيلى : « الأحب بالحاء المهملة يقوله أهل النسب ، وأبو عبيدة يقوله بالجيم » اه

(٤) زبينة ، قال السهيلى : « بالزاى والباء والنون : فعيلة من الزبن ، والنسب إليها زبانى على غير قياس ، ولو سمى به رجل لقيل زبنى على القياس قاله سيبويه » اه ، وانظر كتاب سيبويه (ج ٢ ص ٦٩)

(٥) هذا الجار والمجرور متعلق بقوله « فقالت سبيعة »

(٦) قال السهيلى : « وإنما قالت بنت الأحب هذا الشعر فى حرب كانت بين بنى السباق بن عبد الدار وبين بنى على بن سعد بن تيم ، حين تفانوا ولحقت

أُبَنَيَّ ، لاَ تَظْلِمْ بِمَكَّةَ لاَ الصَّغِيرَ وَلاَ الْكَبِيرْ
وَاحْفَظْ مَحَارِمَهَا ، بُـنَيَّ ، وَلاَ يَغُرَّنْكَ الْغَرُورْ
أُبَنَيَّ ، مَنْ يَظْلِمْ بِمَكَّةَ يلْقَ أَطْرَافَ الشُّرُورْ
أُبَنَيَّ ، يُضْرَبْ وَجْهُهُ * وَيَلُحْ بِخَدَّيْهِ السَّعِيرْ
أُبَنَيَّ ، قَدْ جَرَّبْتُهَا * فَوَجَدْتُ ظَالِمَهَا يَبُورْ(١)
اللهُ آمَنَهَا وَمَا * بُنِيَتْ بِعَرْصَتِهَا قُصُورْ(٢)
وَاللهُ آمَنَ طَيْرَهَا * وَالْعُصْمُ تأْمَنُ فِي ثَبِيرْ(٣)
وَلَقَدْ غَزَاهَا تُبَّعٌ * فَكَسَا بَنِيَّتَهَا الْحَبِيرْ(٤)
وَأَذَلَّ رَبِّي مُلْكَهُ * فِيهَا فَأَوْفَى بِالنُّذُورْ
يَمْشِي إِلَيْهَا حَافِياً * بِفِنَائِهَا أَلْفَا بَعِيرْ

طائفة من بنى السباق بعك ، فهم فيهم ، وهو أول بغى كان فى قريش » اهـ
فهذا قول آخر غير الذى ذكره ابن إسحق واتبعه عليه ابن هشام

(١) «يبور» مضارع من البوار ، وهو : الهلاك . وماضيه بار ، ومنه قوله تعالى : (وكنتم قوما بورا) أى : هلكى

(٢) العرصة ـ بفتح العين وسكون الراء ـ كل بقعة واسعة ليس فيها بناء

(٣) العصم ـ بضم فسكون ـ جمع أعصم ، وهو الوعل ، قيل له ذلك لأنه يعتصم بالجبال ، وثبير ـ بفتح الثاء ـ جبل بمكة

(٤) بنيتها ـ بفتح الباء الموحدة وكسر النون وتشديد الياء المثناة ـ أرادت بها الكعبة ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة . والحبير ـ بفتح الحاء المهملة ـ ضرب من الثياب الموشية

وَيَظَلُّ يُطْعِمُ أَهْلَهَا * لَحْمَ ٱلْمَهَارِى وَٱلْجَزُورْ(١)
يَسْقِيهِمُ ٱلْعَسَلَ ٱلْمُصَفَّى وَالرَّحِيضَ مِنَ الشَّعِيرْ(٢)
وَٱلْفِيلُ أَهْلَكَ جَيْشَهُ * يُرْمَوْنَ فِيهَا بِالصُّخُورْ
وَٱلْمُلْكُ فِي أَقْصَى ٱلْبِلاَ * دِ وَفِي ٱلْأَعَاجِمِ وَٱلْخَزِيرْ(٣)
فَٱسْمَعْ إِذَا حُدِّثْتَ وَٱفْـ * ـهَمْ كَيْفَ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورْ

قال ابن هشام : يوقف على قوافيها لاتعرب

تبع يدعو أهل اليمن إلى دينه

ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحَبْرَين ، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التى كانت باليمن .

أهل اليمن يحاكمون تبعا إلى النار

قال ابن إسحق : حدثنى أبو مالك بن ثعلبة بن أبى مالك الْقُرَظى ، قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن طَلْحة بن عُبَيْد الله يحدث ، أنَّ تُبَّعاً لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حِمْيَر بينه و بين ذلك ، وقالوا : لاتدخلها علينا وقَدْ فارقْتَ ديننا ، فدعاهم إلى دينه ، وقال : إنه خير من دينكم ، فقالوا : فحاكمنا إلى النار ، قال : نعم ، قال : وكانت باليمن — فيما يزعم أهل اليمن — نارٌ تحكم بينهم فيما يختلفون فيه : تأكل الظالم ، ولا تضر المظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم

---

(١) المهارى - بكسر الراء وسكون الياء ههنا ، ويقال فيها : المهارىّ بتشديد الياء ، والمهارى بفتح الراء - وهى الابل العراب النجيبة

(٢) الرحيض - بفتح الراء - المغسول ، فعيل بمعنى مفعول ، وتقول : رحضت الثوب ، إذا غسلته ، والمراد المنقى .

(٣) قال أبو ذر : «وقولها وفى الاعاجم والخزير : الخزير : أمة من العجم ، ويقال لهم : الخزر أيضا ، ومن رواه الجزير - بالجيم - فيحتمل أن يكون جمع جزيرة يلاد العرب » اه ووقع مصحفا فى أكثر نسخ الأصل « الحذير »

وما يتقربون به فى دينهم ، وخرج الْحَبْرَانِ بمصاحفهما فى أعناقهما مُتَقَلِّدَيْهَا حتى قعدوا للنار عند مَخْرَجها الذى تخرج منه ، فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حَادُوا (١) عنها وهابوها ، فَذَمَّرَهُم (٢) من حضرهم من الناس وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غَشِيَتْهُم ، فأكلت الأوثان وما قَرَّبوا معها ، ومَنْ حمل ذلك مِنْ رجال حمير ، وخرج الْحَبْرَان بمصاحفهما فى أعناقهما تَعْرَقُ جباههما لم تَضُرَّهُمَا ، فأصفقت (٣) عند ذلك حمير على دينه فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن

النار تأكل الاوثان والقرابين

قال ابن إسحق : وقد حدثنى مُحَدِّثٌ أن الْحَبْرَيْن ومن خرج من حمير إنما اتبعوا النار ليردوها ، وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها ، فدنت منهم لتأكلهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا رَدَّهَا ، ودنا منها الحبران بعد ذلك ، وجعلا يَتْلُوَان التوراة وتَنْكُص (٤) عنهما ، حتى رَدَّاها إلى مخرجها الذى خرجت منه ، فأَصْفَقَتْ (٣) عند ذلك حمير على دينهما ، والله أعلم أى ذلك كان

رئام بيت من بيوت اليمن المعظمة يهدمه الحبران

قال ابن إسحق : وكان رِئَام (٥) بيتا لهم يعظمونه ، وينحرون عنده ، ويكلِّمُونَ [منه] إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتبع : إنما

---

(١) « حادوا عنها » أى : مالوا عن طريقها الذى خدت فيه ، و « هابوها » خافوها

(٢) « ذمرهم » حضهم وشجعهم

(٣) « أصفقت » اتفقت وأجمعت . وفى حديث عائشة « فأصفقت له نسوان مكة » قال ابن الأثير : « أى اجتمعت إليه » ويروى فانصفقت له » اهـ

(٤) « تنكص » أى : ترجع على عقبها ، وفى بعض النسخ « تنكل » والمعنى واحد .

(٥) رئام — على وزن كتاب — مأخوذ من رأمت الأنثى ولدها ترأمه

هو شيطان يفتنهم بذلك ، فخَلِّ بيننا و بينه ، قال : فَشَأْنَــكُما به ، فاستخرجا منه — فيما يزعم أهل اليمن — كلبا أسْوَدَ ، فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم — كما ذُكِر لى — بها آثار الدماء التى كانت تُهَرَاق عليه .

ملك حسان بن تبان أسعد

فلما ملك ابنهُ حَسّان بن تُبَانَ أسْعَدَ أبى كرب سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق — قال ابن هشام : بالبحرين ، فيما ذكر لى بعضُ أهل العلم — كرِهَتْ حمير وقبائل اليمن المسير معه ، وأرادوا الرَّجْعَة إلى بلادهم وأهلهم ، فــكلَّمُوا أخا له يقال له عمرو ، وكان معه فى جيشه ، فقالوا له : اقتل أخاك حَسَّانَ ، ونُمَلِّــكُكَ علينا ، وترجع بنا إلى بلادنا ، فأجابهم ، فاجتمعوا على ذلك ، إلا ذَارُعَيْنٍ (١) الحميرى ؛ فانه نهاه عن ذلك ، فلم يقبل منه ، فقال ذُورُعَيْنٍ : —

قتل عمرو أخيه له

أَلاَ مَنْ يَشْتَرِى سَهَراً بِنَوْمٍ سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنٍ (٢)
فَإِمَّا حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وَخَانَتْ فَمَعْذِرَةُ الْإِلٰهِ لِذِى رُعَيْنٍ

رئمانا ورئاما ، إذا عطفت عليه ورحمته ، فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التى كانوا يلتمسونها فى عبادته

(١) « ذو رعين » رعين : تصغير رعن ، وهو أنف الجبل ، ورعين أيضا جبل باليمن ، وإليه ينسب ذو رعين

(٢) أصل نظم هذا البيت هكذا : ألا أمن يشترى سهرا بنوم سعيد ، بل من يبيت قرير عين هو السعيد ، لحذف همزة الاستفهام بعد ألا ، وحذف حرف الاضراب بعد خبر المبتدأ الأول ، وحذف خبر المبتدأ الثانى ، فأما حذف همزة الاستفهام فله نظائر كثيرة ، منها قول امرىء القيس : —

ثم كتبهما فى رقعة ، وختم عليها ، ثم أتى بها عمرا ، فقال له : ضع لى هذا الكتاب عندك ، ففعل ، ثم قتل عمرو أخاه حسان ، ورجع بمن معه إلى اليمن ، فقال رجل من حمير : —

لَاهِ عَينَا الَّذِى رَأَى مِثْلَ حَسَّا نَ قَتِيلاً فِى سَالِفِ الْأَحْقَابِ (١)

قَتَلَتْهُ مَقَاوِلٌ خَشْيَةَ الْحَبْـ ـسِ غَدَاةَ قَالُوا لَبَابِ لَبَابِ (٢)

مَيْتُكُمْ خَيْرُنَا ، وَحَيُّكُمُ رَبٌّ عَلَيْنَا وَكُلُّكُمْ أَرْبَابِى

* أَحَارِ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِيضَهُ *

أراد أترى ، ومثله قول عمر بن أبى ربيعة : ـ

فَوَاللهِ مَا أَدْرِى وَإِنْ كُنْتَ دَارِيَا

بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الْجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ

وأما حذف الخبر فان الأمر فيه أسهل من ذلك لدلالة خبر المبتدأ الأول عليه

(١) قوله « لاه » أراد « لله » فحذف لامين : أولاهما لام الجر ، والثانية أولى اللامين من كلمة « الله » وهى لام التعريف ، وهذا الحذف يجرى فى هذه الكلمة دون غيرها ؛ لكثرة دورها على الألسنة ، ومثله قول ذى الاصبع العدوانى : .

لَاهِ ابْنُ عَمِّكَ لَا أُفْضِلْتَ فِى حَسَبٍ

عَنِّى وَلَا أَنْتَ دَيَّانِى فَتَخْزُونِى

(٢) « المقاول » هم الأقيال ، والأقيال : جمع قيل ، وأصله بفتح القاف وتشديد الياء ، ثم خفف فصار ساكن الياء ، مثل سيد وميت وهين ولين الأصل فى جميعها التشديد ، وقد تخفف ، والقيل : هو الذى يلى الملك فى المرتبة عند حمير ، وقال أبو ذر : « المقاول : الذين يخلفون الملوك إذا غابوا » اهـ

قال ابن إسحق : وقوله «لَبَابِ لَبَابِ» لابأس لابأس ، بلغة حمير[1]

قال ابن هشام : ويروى لِبَاب لِبَاب

عمرو يقتل كل من أمره بقتل أخيه

قال ابن إسحق : : فلما نزل عمرو بن تبان اليمنَ مُنِـع منه النوم ، وسُلِّط عليه السهر ، فلما جَهَدَه ذلك سأل الأطباء والحُزَاة[2] من الكُهَّان والعَرَّافين عما به ، فقال له قائل منهم : إنه ، والله ، ماقتلَ رجلٌ قطُّ أخاه أوذَا رَحِمِه بَغْياً على مثل ماقتلت أخاك عليه إلاَّ ذَهَب نومه وسُلِّط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حَسَّانَ من أشراف اليمن ، حتى خَلَصَ إلى ذى رعين ، فقال له ذو رعين : إن لى عندك بَرَاءَةً ، فقال : وما هى ؟ قال : الكتاب الذى دَفَعْتُ إليك ، فأخرجه ، فاذا فيه البيتان ، فتركه ورأى أنه قد نصحه ، وهَلَكَ عمرو فَرِج[3] أمر حمير عند ذلك ، وتفرقوا

ذو رعين ينجو من القتل بسابق نصحة

الخنيعة يثور على ملك اليمن

فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لَخْنِيعَة

---

(١) قال أبو ذر : « ويقال : لباب كلمة فارسية معناها القفل ، والقفل أى الرجوع » اه

(٢) الحزاة — بضم الحاء — جمع حاز ، مثل قضاة وغزاة ورماة وبناة ؛ والحازى : الذى ينظر فى النجوم ويقضى بها . والعرافون : ضرب من الكهان يزعمون أنهم يعرفون من الغيب مالا يعرف الناس

(٣) مرج أمرهم : اضطرب وقلق ، ولم يبق له قرار

يَنوفَ، (١) ذو شَنَاتر (٢)، فقتل خيارهم، وعَبِث بِبُيوت أهل المملكة منهم، فقال قائل من حمير للخنيعة: —

تُقَتِّلُ أَبْنَاهَا وَتَنْفِي سَرَاتَهَا ... وَتَبْنِي بِأَيْدِيهَا لَهَا الذُّلَّ حِمْيَرُ

تُدَمِّرُ دُنْيَاهَا بِطَيْشِ حُلُومِهَا ... وَمَا ضَيَّعَتْ مِنْ دِينِهَا فَهْوَ أَكْثَرُ (٣)

كَذَاكَ الْقُرُونُ قَبْلَ ذَاكَ بِظُلْمِهَا ... وَإِسْرَافِهَا تَأْتِي الشُّرُورَ فَتَخْسَرُ

وكان لَخَنِيعَة امرأ فاسقا يعمل عمل قوم لوط؛ فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه فى مَشْرُبَةٍ (٤) له قد صنعها لذلك، لئلا يَمْلِكَ بعد ذلك، ثم يطلع من مَشْرُبته تلك إلى حَرَسِه ومَنْ حضر من جُنْده قدأخذ مسواكا فجعله فى فيه، أى: ليعلمهم أنه قد فرغ منه، حتى بعث إلى زُرْعَةَ ذى نُوَاس بن تُبَّانَ أَسْعَدَ أخى حَسَّانَ، وكان صبيا صغيرا حين قُتِل حَسَّانُ، ثم شبَّ غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعَقْلٍ؛ فلما أتاه رسوله عرف مايريد منه، فأخذ سكينا حديدا لطيفا، فخبَأه بين

---

(١) قال أبو ذر «قال ابن دريد: المعروف لخيعة بغير نون، مأخوذ من اللخع — بفتحتين — وهو استرخاء اللحم» اه أقول: وفى القاموس مادة شنتر «وذو الشناتر اسمه لختيعة، لقب به لأصبع زائدة له» فذكره بالتاء مكان النون، وهو تصحيف كما يتبين مما هنا عن ابن دريد، وفى القاموس أيضا مادة لخع «اللخع محركة استرخاء الجسم، وذو الشناتر لخيعة بن ينوف من حمير» اه فزاد كلمة (بن) كما ترى

(٢) قال أبو ذر: «الشناتر: الأصابع، بلغة حمير، واحدها شنتر» والذى فى القاموس أن الواحد شنترة

(٣) فى بعض النسخ «فهو أكبر»

(٤) المشربة — بضم الراء أو فتحها — الغرفة المرتفعة

قدمه ونعله ، ثم أتاه ، فلما خلا معه وثب إليه ، فواثبه ذو نواس ، فوجأه حتى قتله ، ثم حَزَّ رأسه ، فوضعه فى الكُوَّة التى كان يُشْرف منها ، ووضع مسواكه فى فيه ، ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذَا نُوَاسْ ، أرَطْبٌ أم يَبَاس [(١)] ؟ فقال : سَلْ [(٢)] نَخْمَاس ، استرطبان ذو نواس استرطبان لاباس [(٣)] .

قال ابن هشام : هذا كلام حمير ، ونخماس : الرأس ، فنظروا إلى الكُوَّةِ فاذا رأس لخنيعة مقطوع ، فخرجوا فى أَثَر ذى نواس حتى أدركوه ، فقالوا : ماينبغى أن يَمْلِكنا غيرك ؛ إذ أرحتنا من هذا الخبيث

ملك ذى نواس

فَمَلَّكُوه ، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخِرَ ملوك حمير [وهو صاحب الأُخْدُود] [(٤)] وتَسَمَّى يوسف ، فأقام فى ملكه زمانا

وبِنَجْرَان بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الأنجيل ، أهل فضل واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له عبدالله بن الثامر ، وكان موقع أصل ذلك الدين بنَجْرَانَ ، وهى بأوسط أرض العرب فى ذلك

---

(١) يباس : يابس ، أو يبيس ، ضد الرطب

(٢) يروى بنون ، و خاء ، وبتاء وحاء مهملة

(٣) لانشك فى أن هذه العبارة محرفة ، وأن صوابها ماجاء فى الأغانى قال : « كان الغلام إذا خرج من عند لخنيعة ، وقد لاط به ، قطعوا مشافر ناقته وذنبها ، وصاحوا به : أرطب أم يباس ؟ فلما خرج ذو نواس من عنده وركب ناقة له يقال لها السراب ، قالوا : ذا نواس ، أرطب أم يباس ؟ فقال ستعلم الأحراس ، است ذى نواس ، است رطبان أم يباس » وإلا فما هذا الكلام القلق الذى فى الأصل ؟ وما التعلل بأنه لغة حميرية لانعرفها ؟ وهل هو إلا تحريف النساخ ! !

(٤) هذه زيادة فى بعض النسخ

الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها ، وذلك أن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين — يقال له فَيْمِيُون (١) — وقع بين أظهرهم ، فحملهم عليه ، فدانوا به .

فيميون ينشر النصرانية بنجران

قال ابن إسحق : فحدثني المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس ، عن وهب ابن منبه اليماني أنه حدثهم ، أن موقع ذلك الدين بنجْران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى بن مريم — يقال له فَيْمِيُون — وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مُجَابَ الدعوة ، وكان سائحا ينزل بين القُرَى لايُعْرَفُ بقريةٍ إلاخرج منها إلى قرية لايعرف بها ، وكان لايأكل إلا من كسب يديه ، وكان بَنَّاء يعمل الطين ، وكان يعظم الأحد فاذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئا ، وخرج إلى فَلَاة من الأرض فصلى بها حتى يمسى ، قال : وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح ، فأَحَبَّه صالح حبا لم يُحِبَّه شيئا كان قبله ، فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فَيْمِيُون ، حتي خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع وقد اتبعه صالح ، وفَيْمِيون لايدرى ، فجلس صالح منه مَنْظَرَ العين مستخفيا منه ، لايحب أن يعلم بمكانه ، وقام فَيْمِيُونُ يصلى ، فبينما هو يصلى إذ أقبل نحوه التِّنِّينُ (الحية ذات الرؤوس السبعة) فلما رآها فَيْمِيُونُ دعا عليها فماتت ، ورآها صالح ولم يدر ما أصابها ، فخافها عليه

(١) قال السهيلي : « ويذكر عن الطبرى أنه قال فيه فيموون ـ بالقاف وشك فيه ، وقال القتبي فيه : رجل من آل جفنة من غسان ، جاءهم من الشام فحملهم على دين عيسى عليه السلام ، ولم يسمه ، وقال فيه النقاش : اسمه يحيى وكان أبوه ملكا فتوفى ، وأراد قومه أن يملكوه عليهم بعد أبيه ، ففر من الملك ولزم السياحة » اه كلامه ، قال أبو رجاء : وقد ذكر ياقوت في مادة (نجران) هذه القصة ومابعدها عن ابن إسحاق وغيره بتوسع

فعِيلَ عَوْلُهُ (١) فصرخ : يافَيْمِيُون ، التِّنِّينُ قد أقبل نحوك ، فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى ، فانصرف ، وعرف أنه قد عُرِف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه ، فقال [له : يا] فيميون ، تَعْلَم والله أنى ما أحببت شيئا قطُّ حُبَّكَ ، وقد أردت صحبتك ، والكينونة معك حيث كنت ، فقال : ماشئت ، أمرى كما ترى ، فان علمتَ أنك تقوى عليه فنعم ، فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبدُ به الضُّر دعا له فشُفى ، وإذا دُعى إلى أحد به ضر لم يأته ، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فسَأَل عن شأن فَيْمِيُونَ ، فقيل له : إنه لايأتى أحدا دعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر ؛ فعمد الرجل إلى ابنه ذلك ، فوضعه فى حجرته ، وألقى عليه ثوبا ، ثم جاءه فقال له : يافَيْمِيُونُ ، إنى قد أردت أن أعمل فى بيتى عَمَلاً ، فانطلق معى إليه حتى تنظر إليه ، فأشارطك عليه ، فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال له : ما تريد أن تعمل فى بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا ؛ ثم انْتَشَطَ (٢) الرجلُ الثوب عن الصبى ، ثم قال له : يا فَيْمِيُونُ ، عَبْدٌ من عباد الله أصابه ما ترى فَادْعُ الله له ، فدعا له فَيْمِيُونُ ، فقام الصبى ليس به (٣) بأس ،

---

(١) « عيل عوله » قال أبو ذر : « أى غلب على صبره ، يقال : عاله الأمر ، إذا غلبه » اهـ

(٢) « انتشط الرجل الثوب » أى : كشفه بسرعة

(٣) قال السهيلى : « ذكر الطبرى قصة الرجل الذى دعا لابنه فشفى بأتم مما ذكرها ابن إسحق ، قال فيميون حين دخل مع الرجل وكشف له عن ابنه : اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوك فى نعمتك ليفسدها عليه ، فاشفه وعافه وامنعه منه ، فقام الصبى ليس به بأس ، فتبين من هذا أن الصبى كان مجنونا ، بقوله دخل عليه عدوك — يعنى الشيطان — وليس هذا فى حديث ابن إسحق » اهـ كلامه

وَعَرَف فَيْمِيُونُ أنه قد عُرِف ، فخرج من القرية، واتبعه صالح ، فبينماهو يمشى فى بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : يافَيْمِيُونُ ، قال : نعم ، قال : مازلت أنْظُرُكَ [1] وأقول : متى هُوَ جاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو ، لا تَبْرَحْ حتى تَقُومَ عَلَيَّ فأنى ميتٌ الآن ، قال : فمات ، وقام عليه حتى واراه ، ثم انصرف ، وتبعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب ، فَعَدَوْا عليهما ، فاختطفتهما سيَّارة [2] من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنَجْران ، وأهل نَجْرَانَ يومئذ على دين العرب : يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد فى كل سنة ، إذا كان ذلك العيد علَّقوا عليها كلَّ ثوب حسن وجدوه ، وحُلِيَّ النساء ، ثم خرجوا إليها فَعَكَفُوا عليها يوما ، فابتاع فَيْمِيُونَ رجلٌ من أشرافهم ، وابتاع صالحا آخَرُ ، فكان فيميونُ إذا قام من الليل يتهجَّد فى بيت له أسكنه إياه سيِّدُه يصلى استسرج [3] له البيت نورا حتى يصبح ، من غير مصباح ، فرأى ذلك سيده ، فأعجبه مايرى منه ، فسأله عن دينه ، فأخبره به ، وقال له فَيْمِيُونُ : إنما أنتم فى باطل ، إن هذه النخلة لاتضر ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلٰهى الذى أعبده أهْلَكَها ، وهو الله وحده لاشريك له ، قال : فقال له سيده : فافعل ، فانك إن فعلت دخلنا فى دينك وتركنا مانحن عليه ، قال : فقام فَيْمِيُونُ فتطهَّر وصلى ركعتين ، ثم دعا الله

(١) أى : أنتظرك

(٢) «سيارة» هى جماعة من الناس يسيرون بالتجارة ، وفى الكتاب العزيز فى قصة يوسف عليه السلام : (وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام)

(٣) « استسرج » أى : أضاء فصار كالسراج

عليها ، فأرسل الله عليها ريحا فجعفتها[1] من أصلها ، فألقتها ، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام ، ثم دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض ، فمن هنالك كانت النصرانية بنَجْران فى أرض العرب

أمر عبد الله بن الثامر

قال ابن إسحق : فهذا حديث وهب بن منبه عن أهل نجران

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرَظى ، وحدثنى أيضا بعض أهل نجران عن أهلها ، أن أهل نجران كانوا أهْلَ شرك يعبدون الأوثان ، وكان فى قرية من قراها — قريباً من نَجْرَانَ ، ونَجْرَانُ القرية العظمى التى إليها جماع أهل تلك البلاد — سَاحِرٌ يُعَلِّم غلمان أهل نجران السحْرَ ، فلما نزلها فَيْمِيُونُ — ولم يسموه لى باسمه الذى سماه به وَهْبُ ابن منبه ، قالوا : رجل نزلها — ابتنى خَيْمَةً بين نجران و بين تلك القرية التى بها الساحر ، فجعل أهل نجران يُرْسِلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر ، فبعث إليه الثَّامِرُ ابْنَهُ عَبْدَ الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذا مر بصاحب الْخَيْمَة أعجبه ما يَرَى منه من صلاته وعبادته فجعل يجلس إليه ويسمع منه ، حتى أسلم فوحَّدَ الله وعبده ، وجعل يسأله عن شرائع الاسلام ، حتى إذا فَقُهَ فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم ، وكان يعلمه ، فكتمه إياه ، فقال [له] : ياابن أخى ، إنك لن تحمله ، أخشى عليك ضعفك عنه — والثامر أبو عبد الله لايظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان — فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخَوَّفَ ضَعْفَه فيه عمد إلى قِدَاحٍ فجمعها ؛ ثم لم يُبْقِ لله اسماً يعلمه إلا كتبه فى قِدْحٍ ؛ لكل اسم قِدْحٌ ؛ حتى إذا أحصاها

عبد الله يختلف إلى فيميون يتعلم منه

(١) « جعفتها من أصلها » أى : قلعتها وأسقطتها

أوقد لها نارا ؛ ثم جعل يقذفها فيها قِدْحًا قِدْحًا ، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف [به] فيها بقِدْحِهِ ، فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء[1] فأخذه ثم أتى صاحبه فأخبره بأنه قد علم الاسم الذى كتمه ، فقال : وماهو ؟ قال : هو كذا وكذا ، قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع قال : أى ابْنَ أخى ؛ قد أصبته ، فأمسِكْ على نفسك ؛ وما أظن أن تفعل ، فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نَجْرَانَ لم يلق أحدا به ضر إلا قال : ياعبدَ الله ، أتُوَحِّدُ الله وتدخل فى دينى وأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ؛ فيوحِّد الله ويُسْلِم ويدعو له فيُشْفَى ، حتى لم يبق بنَجْرَان أحدٌ به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ؛ ودعا له فعوفى ؛ حتى رفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه ، فقال : أفْسَدْتَ على أهل قريتى وخالفت دينى ودين آبائى ؛ لأُمَثِّلَنَّ بك ، قال : لاتقدر على ذلك ، قال : فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيُطْرَحُ على رأسه ، فيقع إلى الأرض ليس به بأس ؛ وجعل يبعث به إلى مياهٍ بنجران بُحُورٍ لايقع فيها شيء إلا هلك فيُلْقَى فيها ، فيخرج ليس به بأس ؛ فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر : إنك — والله — لن تقدر على قتلى حتى توحِّد الله فتؤمن بما آمنت به ؛ فإنك إن فعلت ذلك سُلِّطْتَ علىَّ فقتلتنى ، قال : فوحَّدَ الله تعالى ذلك الملكُ ، وشهد عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصًا فى يده فشجَّه شَجَّةً غير كبيرة ، فقتله ، ثم هلك الملك مكانه ، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ماجاء به عيسى [ابن مريم] صلى الله عليه وسلم من الانجيل وحكمه ، ثم أصابهم مثل ماأصاب أهل دينهم من الأحداث ؛ فمن هناك كان أصل النصرانية بنَجْرَان [والله أعلم بذلك] .

عبد الله يدعو إلى دين الله بشفاء أهل الضر

عبد الله بين يدى ملك نجران

(١) فى نسخة « لم تضره شيئا »

قال ابن إسحق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظىّ و بعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر ، والله أعلم أى ذلك كان

ذو نواس يدعو أهل نجران الى اليهودية

فسار إليهم ذو نُوَاس بجنوده ، فدعاهم إلى اليهودية ، وخيّرهم بين ذلك والقتل ، فاختاروا القتل ، فخَدّ لهم الأخدودَ ، فحرّقَ من حرق بالنار ، وقتل بالسيف ، ومَثّل بهم ، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ، ففى ذى نواس ذلك وجنده أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم (٨٥ : ٤—٨) : (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)

تفسير الأخدود

قال ابن هشام : الأخدود : الحَفْرُ المستطيل فى الأرض كالخندق والجدول ونحوه ، وجمعه أخاديد ، قال ذُو الرُّمّةِ (واسمه غيلان بن عقبة ، أحد بنى عَدِىّ بن عبد مناف بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر) :—

مِنَ الْعِرَاقِيَّةِ اللاَّتِى يُحِيلُ لَهَا ✽ بَيْنَ الْفَلاَةِ وَبَيْنَ النَّخْلِ أُخْدُودُ (١)

يعنى جَدْوَلاً ، وهذا البيت فى قصيدة له ، قال : ويقال لأَثَرِ السيف والسكين فى الجلد وأثَرِ السَّوْطِ ونحوه : أُخْدُودٌ ، وجمعه أخاديد

قال ابن إسحق : ويقال : كان فيمن قتلَ ذو نواس عَبْدُ الله بن الثامر رأسهم وإمامهم (٢) .

---

(١) « يحيل لها » قال أبو ذر : « معناه يصب لها ، يقال : أحال الماء فى الحوض ، إذا صبه ، والجدول : النهر الصغير شبه السانية » اهـ كلامه

(٢) وقد سمعت قبل ذلك فى رواية محمد بن كعب القرظى وبعض أهل نجران مايفيد أن مقتل عبد الله بن الثامر كان قد حدث فى عهد ملك قبل ذى نواس ، وفى الطبرى مايفيد ذلك أيضا

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أنه حُدِّث، أن رجلا من أهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حفر خَرِبَةً من خَرِبِ نَجْرَانَ لبعض حاجته ، فوجدوا عبد الله ابن الثامر تحت دَفْنٍ منها ، قاعدا واضعا يده على ضربة فى رأسه ممسكا عليها بيده ، فاذَا أُخِّرَتْ يَدُهُ عنها تَنْبَعِثُ دَماً (١) و إذا أُرسلت يده رَدَّها عليها فأمسكت دمها ، وفى يده خاتم مكتوب فيه « ربى الله » فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبَرُ بأمره ، فكتب إليهم عمر رضى الله عنه « أنْ أَقِرُّوهُ على حاله ، ورُدوا عليه الدَّفْنَ الذى كان عليه » ففعلوا

دوس ذو ثعلبان يفر من ذى نواس ويستنجد بقيصر

قال ابن إسحق : وأفلت منهم رجل من سبأ ، يقال له دَوْسٌ ذو ثُعْلُبَانَ (٢) ، على فرس له ، فسلك الرَّمْلَ ، فأعجزهم ، فمضى على وجهه ذلك ، حتى أتى قَيْصَرَ ملكَ الروم ، فاستنصره على ذى نُوَاسٍ وجنوده ، فأخبره بما بلغ منهم ، فقال له : بَعُدَتْ بلادك منا ، ولكنى سأكتب لك إلى ملك الحبشة ؛ فانه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك ، وكتب إليه يأمره

النجاشى ينصر دوسا بسبعين ألفا

بنصره ، والطلب بثأره ، فقدم دَوْسٌ على النجاشى بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة ، وأمَّر عليهم رجلا منهم يقال له أرياط ، ومعه فى جنده أَبْرَهَةُ الأشرم ، فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوسٌ ذُو ثُعْلُبَانَ ، وسار إليه ذو نواس فى حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس ما نزل به

---

(١) « تنبعث دما » هو كذلك فى أكثر النسخ ، وفى نسخة « تثعب الدم » وفى أخرى « تثعبت دما » وقال أبو ذر « قوله فتثعبت دما » أى : سالت ، والثعب : الموضع الذى يخرج منه الماء من الحوض

(٢) قال المجد فى القاموس : « وذو ثعلبان ـ بالضم ـ من الأذواء » اه

و بقومه وَجّهَ فرسه فى البحر ، ثم ضربه ، فدخل به فخاض به ضَحْضَاحَ البحر حتى أفضى به إلى غَمْرِه (١) فأدخله فيه ، وكان آخر العهد به ، ودخل أرياط اليمن فملكها ، فقال رجل من أهل اليمن ، وهو يذكر ماساق إليهم دوسٌ من أمر الحبشة : —

* لاَ كَدَوْسٍ وَلاَ كَأَعْلاَقِ رَحْلِهْ *

فهى مثل باليمن إلى هذا اليوم ؛ وقال ذو جَدَنٍ الحِميرى : —

هَوْنَكِ لَيْسَ يَرُدُّ الدَّمْعُ مَافَاتَا ... لاَتَهْلِكِي أَسَفًا فِي إِثْرِ مَنْ مَاتَا (٢)

أَبَعْدَ بَيْنُونَ لاَ عَيْنٌ وَلاَ أَثَرٌ ... وَبَعْدَ سِلْحِينَ يَبْنِي النَّاسُ أَبْيَاتَا (٣)

بَيْنُونُ وسِلْحِينُ وغُمْدَانُ : من حصون اليمن التى هدم أرياط ، ولم يكن فى الناس مثلها ، وقال ذو جدن أيضاً : —

---

(١) الضحضاح من الماء : الذى يظهر منه القعر ، وقد يستعار لغير الماء كقول النبى صلى الله عليه وسلم فى عمه أبى طالب حين سئل عنه فقال : « هو فى ضحضاح من النار ، ولولا مكانى لكان فى الطمطام » وفى النهاية لابن الأثير « الطمطام فى الأصل : معظم ماء البحر ، فاستعاره هنا لمعظم النار ، حيث استعار ليسيرها الضحضاح ، وهو الماء القليل الذى يبلغ الكعبين » اه والغمر - بفتح الغين وسكون الميم - هو الماء الكثير

(٢) « هونك » قال أبو ذر : « معناه ترفقى وليهن هذا الأمر عليك ويروى هونكما ، وهو أصح فى الوزن » اه ، قلت : من رواه هونكما قال * هونكما لن يرد الدمع مافاتا * وعجيب من أبى ذر رحمه الله أن يزعم أن هذه الرواية أصح مما أثبتناه فى الأصل من جهة الوزن ، مع أن أمرهما فى الصحة سواء

(٣) « بينون » قال السهيلى : « بينون وسلحين : مدينتان خربهما أرياط وبينون : بين عمان والبحرين » اه

دَعِينِي لاَ أَبَالَكِ لَنْ تُطِيقِي (١) لَحَاكِ اللهُ قَدْ أَنْزَفْتِ رِيقِي (٢)
لَدَى عَزْفِ الْقِيَانِ إِذِ انْتَشَيْنَا وَإِذْ نُسْقَى مِنَ الْخَمْرِ الرَّحِيقِ
وَشُرْبُ الْخَمْرِ لَيْسَ عَلَيَّ عَاراً إِذَا لَمْ يَشْكُنِي فِيهَا رَفِيقِي
فَإِنَّ الْمَوْتَ لاَ يَنْهَاهُ نَاهٍ وَلَوْ شَرِبَ الشِّفَاءَ مَعَ النَّشُوقِ (٣)
وَلاَ مُتَرَهِّبٌ (٤) فِي أُسْطُوَانٍ يُنَاطِحُ جُدْرَهُ (٥) بَيْضُ الْأَنُوقِ (٦)
وَغُمْدَانُ (٧) الَّذِي حُدِّثْتِ عَنْهُ بَنَوْهُ مُسَمَّكاً (٨) فِي رَأْسِ نِيقِ (٩)

---

(١) أى : لن تطيق صرفى بالعذل عن شأنى

(٢) أكثرت على من العذل حتى أيبست ريقى فى فمى ، وقلة الريق تنشأ غالبا من الروع والخوف ، وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش

(٣) المراد أنه لو شرب كل دواء يستشفى به لما دفع ذلك عنه الموت ، وكذا لو استنشق كل نشوق ما أبعد ذلك الموت عنه ، وفى بعض الأصول « مع السويق »

(٤) أى : ولا دعاء مترهب يدعو لك ، فهو معطوف على « ناه »

(٥) جدر — بضم فسكون — جمع جدار ، وهو مخفف جدر ، بضم الجيم والدال

(٦) الأنثى من الرخم ، يقال فى المثل « أراد بيض الأنوق » إذا أراد مالا يوجد ، لأنها تبيض حيث لا يدرك بيضها من شواهق الجبال

(٧) هو الحصن الذى كان لهوذة بن على ملك اليمامة

(٨) « مسمكا » أى : مرتفعا ، كقوله :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

(٩) « نيق » بكسر النون — هو الجبل ، ورأسه : أعلاه

بِمَنْهَمَةٍ (١) وَأَسْفَلُهُ جُرُونٌ (٢) وَحُرٌّ (٣) الْمُوحَلِ (٤) اللَّثِقِ (٥) الزَّلِيقِ
مَصَابِيحُ السَّلِيطِ (٦) تَلُوحُ فِيهِ إِذَا يُمْسِي كَتَوْمَاضِ الْبُرُوقِ
وَنَخْلَتُهُ الَّتِي غُرِسَتْ إِلَيْهِ يَكَادُ الْبُسْرُ يَهْصِرُ (٧) بِالْعُذُوقِ
فَأَصْبَحَ بَعْدَ جِدَّتِهِ رَمَاداً وَغَيَّرَ حُسْنَهُ لَهَبُ الْحَرِيقِ
وَأَسْلَمَ ذُو نُوَاسٍ مُسْتَكِيناً (٨) وَحَذَّرَ قَوْمَهُ ضَنْكَ الْمَضِيقِ

وقال [عبد الله] (٩) ابن الذئبة الثقفى فى ذلك، قال ابن هشام: الذئبة أمه، واسمه: ربيعة بن عَبْدِيَاليل بن سالم بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم ابن قَسِيّ: —

لَعَمْرُكَ مَا لِلْفَتَى مِنْ مَفَرّْ مَعَ الْمَوْتِ يَلْحَقُهُ وَالْكِبَرْ

(١) المنهمة: موضع الرهبان، والراهب يقال له النهامى

(٢) روى بالباء، ومعناه الحجارة السود

(٣) بضم الحاء وهو خالص كل شىء

(٤) من الوحل — بالتحريك — وهو الطين الرقيق، وفعله وحل بالكسر — أى: وقع فى الوحل

(٥) اللثق هو أن يختلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق ومنه قول بعض الفصحاء: غاب الشفق، وطال الأرق، وكثر اللثق، فلينطق من نطق

(٦) السليط: دهن الزيت

(٧) أى: يميل بها، والعذوق: جمع عذق — بكسر العين — وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب، أو جمع عذق — بالفتح — وهو النخلة

(٨) خاضعا ذليلا

(٩) زيادة فى بعض النسخ، وسيذكر ابن هشام أن اسمه ربيعة، فتكون هذه الزيادة خطأ

لَعَمْرُكَ ما إِنْ لَهُ مِنْ وَزَرْ (٢) ... لَعَمْرُكَ ما لِلْفَتَى صُحْرَةٌ (١)
أُبِيدُوا صَبَاحاً بِذَاتِ الْعِبَرْ (٣) ... أَبَعْدَ قَبَائِلَ مِنْ حِمْيَرٍ
كَمِثْلِ السَّمَاءِ (٤) قُبَيْلَ الْمَطَرْ ... بِأَلْفِ أُلُوفٍ وَحُرَّابَةٍ
وَيَنْفُونَ مَنْ قَاتَلُوا بِالذَّفَرْ (٦) ... يُصِمُّ صِيَاحُهُمُ الْمُقْرَبَاتِ (٥)
تَيَبَّسُ مِنْهُمْ رِطَابُ الشَّجَرْ ... سَعَالِيَ (٧) مِثْلُ عَدِيدِ التُّرَابِ

وقال عَمْرو بن مَعْدى كَرِب الزُّبَيْدِى ، فى شىء كان بينه وبين قَيْس ابن مَكْشُوح المُرَادِى ، فبلغه أنه يتوعده ، فقال يذكر حمير وعِزَّهَا وما زال من مُلْكِهَا عنها : —

بِأَفْضَلِ عِيشَةٍ ، أَوْ ذُو نُوَاسِ ... أَتُوعِدُنِى كَأَنَّكَ ذُو رُعَيْنٍ

---

(١) صحرة — بضم الصاد وقد تفتح — أى : نجاة ، ولعل أصلها مأخوذ من لفظ الصحراء وهو المتسع من الأرض

(٢) الوزر : الملجأ ، ومنه اشتق الوزير ؛ لأن الملك يلجأ إليه فى الرأى

(٣) « ذات العبر » أى ذات الحزن ، يقال : عبر الرجل ، إذا حزن ، ويقال : لأمه العبر ، كما يقال : لأمه الثكل ، وقد سموا الداهية « ذات العبر »

(٤) الحرابة : أصحاب الحراب ، وقوله « كمثل السماء » أراد أنها سوداء لاسوداد السحاب وظلمته قبيل المطر

(٥) المقربات : الخيل العتاق التى لا تسرح فى المرعى ، بل تحبس فى البيوت استعدادا للعدو

(٦) بريحهم وأنفاسهم الكريهة ينفون من قاتلوا ، وهو كناية عن فرط وصفهم بالكثرة ، وعندنا أن أفضل من هذه الرواية « ويتقون — الخ » — بالتاء والقاف — ويقال : تقى يتقى ، مخففان من اتقى يتقى

(٧) السعالى : جمع سعلاة : وهى الساحرة من الجن ، والمعنى على التشبيه

وَكَائِنْ كانَ قَبْلَكَ مِنْ نَعِيمٍ وَمُلْكٍ ثَابِتٍ فِي النَّاسِ رَاسِي (١)
قَدِيمٍ عَهْدُهُ مِنْ عَهْدِ عَادٍ عَظِيمٍ قَاهِرِ الْجَبَرُوتِ قَاسِي (٢)
فَأَمْسَى أَهْلُهُ بَادُوا وَأَمْسَى يُحَوَّلُ مِنْ أُنَاسٍ فِي أُنَاسٍ

نسب زبيد ومراد

قال ابن هشام : زُبَيْدٌ : ابن سَلَمة بن مازن بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مَذْحِج ، ويقال : زُبيد بن مُنَبِّه بن صعب بن سعد العشيرة ، ويقال : زبيد بن صعب [بن سعد] ومراد : يُحَابر بن مَذْحِج

السبب الذى من أجله قال عمرو ابن معدى كرب هذا الشعر

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة قال : كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى سَلْمَانَ بن ربيعة الباهلى (و باَهِلَةُ : ابن يَعْصُر بن سَعْد بن قَيْس ابن عَيْلان) وهو بأَرْمِينِيَةَ ، يأمره أن يفضل أصحاب الخيل العِرَاب (٣) على أصحاب الخيل المَقَارِف ، (٤) فى العطاء ، فعرض الخيل ، فمر به فرس عمرو بن معدى كرب ، فقال له سَلْمَان : فَرَسُك هذا مُقْرِفٌ ، فغضب عمرو فقال : هَجِينٌ عَرَفَ هَجِيناً مِثْلَه ، فوثب إليه قَيْس فتوعده ، فقال عمرو هذه الأبيات

قال ابن هشام : وهذا الذى عَنَى سطيحٌ الكاهنُ بقوله : « لَيَهْبِطَنَّ أَرْضَكُمُ الْحَبَشُ ، فَلَيَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أَبْيَنَ إِلَى جُرَشٍ » والذى عنى شِقٌّ الكاهنُ بقوله : « لَيَنْزِلَنَّ أَرْضَكُمُ السُّودَانُ ، فَلَيَغْلِبُنَّ عَلَى كُلِّ طَفْلَةِ الْبَنَانِ ، وَلَيَمْلِكُنَّ مَا بَيْنَ أَبْيَنَ إِلَى نَجْرَانَ » (٥)

(١) الراسى : الثابت المستقر ، يقال : رسا الشىء ، إذا ثبت
(٢) القاسى : الشديد ، مأخوذ من القساوة ، وهى الشدة
(٣) الخيل العراب : التى أبوها وأمها عتيقان
(٤) المقارف : جمع مقرف ، وهو ما كان أبوه هجينا وأمه عتيقة
(٥) أنظر حديث سطيح (ص ١٢) وحديث شق (ص ١٣) من هذا الجزء

أبرهة يغلب أرياط على أمر اليمن

قال ابن إسحق : فأقام أرياط بأرض اليمن سنين فى سلطانه ذلك ، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أَبْرَهَةُ الحبشى ، حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ، ثم ثار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط : إنَّكَ لا تَصْنَعُ بأن تلق الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا ، فَابْرُزْ إلى وأَبْرُزُ إليك ، فأيُّنا أصاب صاحبَهُ انصرف إليه جُنْدُه ، فأرسل إليه أرياط : أَنْصَفْتَ ، فخرج إليه أبْرَهَة ، وكان رجلا قصيرا لحيما ، وكان ذَا دِينٍ فى النصرانية ، وخرج إليه أرياط ، وكان رجلا جميلا عظيما طويلا ، وفى يده حربة له ، وخَلْفَ أبرهة غلامٌ له ، يقال له عَتَوْدَةُ (١) ، يمنع ظهره ، فرفع أرياط الحربةَ فضرب أبْرَهَةَ يريد يافوخه (٢) فوقعت الحربة على جبهة أبرهة ، فشَرَمَت (٣) حاجبه وأَنْفَهُ وعَيْنَه وشَفَتَه ، فبذلك سمى أبرهة الأشرم ، وحمل عَتَوْدَةُ على أرياط من خلف أبْرَهَة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، ووَدَى أبرهةُ أرياطَ (٤)

النجاشى يغضب على أبرهة ثم يرضى عنه ويوليه أمر اليمن

فلما بلغ ذلك النجاشىَّ غضب غضبا شديدا ، وقال : عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ، ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ، ويَجُزَّ ناصيته ،

---

(١) العتودة فى الأصل : الشدة فى الحرب ، وبها سمى هذا .

(٢) اليافوخ : وسط الرأس ، ويجمع على يآفيخ ، ومنه حديث على رضى الله عنه « وأنتم لهاميم العرب ، ويآفيخ الشرف » استعار للشرف رؤسا وجعلهم وسطها وأعلاها ، وقال العجاج : —

* ضَرْبٌ إذَا صَابَ الْيَآفِيخَ حَفَرْ *

(٣) « شرمت حاجبه — الخ » أى : شقته

(٤) « ودى أبرهة أرياط » أى : أعطى لقومه ديته

فحلق أبرهةُ رأسَه ، وملأ جرابا من تراب اليمن ثم بعث به إلى النجاشى ، ثم كتب إليه : أيها الملك ، إنما كان أرياطُ عَبْدَكَ ، وأنا عَبْدُكَ ، فاختلفنا فى أمرك ، وكُلٌّ طاعَتُهُ لك ، إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة ، وأضْبَطَ لها ، وأسْوَسَ منه ، وقد حلقتُ رأسى كلَّه حين بلغنى قَسَمُ الملك ، وبعثت إليه بجرابِ ترابٍ من أرضى ليضعه تحت قدميه ، فيبر قسمه فىّ

فلما انتهى ذلك إلى النجاشى رضى عنه ، وكتب إليه : أن اثبُتْ بأرض اليمن حتى يأتيك أمرى ، فأقام أبرهة باليمن

أبرهة يحاول صرف العرب عن الحج إلى مكة

ثم إن أبرهة بَنَى القُلَّيْسَ (١) بصَنْعَاء ؛ فبنى كنيسة لم يُرَ مثلُهَا فى زمانها بشىء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشى : إنى قد بنيتُ لك ، أيها الملك ، كنيسةً لم يُبْنَ مثلُها لملك كان قبلك ، ولست بمُنْتَهٍ حتى أصرف إليها حَجَّ العرب

فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشى غضب رجلٌ من النَّسَأَة ، أحدِ بنى فُقَيْم بن عَدِىٍّ بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر (والنَّسَأَةُ : الذين

تفسير النسأة والنسىء

---

(١) القليس ـ كقبيط ـ الكنيسة التى أراد أبرهة أن يصرف إليها حج العرب ، وسميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها ، ومنه القلانس ؛ لأنها فى أعلى الرأس ، ذكره السهيلى ، ثم قال : « وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن فى بنيان هذه الكنيسة ، وجشمهم فيها أنواعا من السخر ، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب ، من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام — وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ ، وكان فيه بقايا من آثار ملكها ـ فاستعان بذلك على ما أراده فى هذه الكنيسة من بهجتها وبهائها ، ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والآبنوس ، وكان أراد أن يَرفع فى بنائها حتى يشرف منها على عدن » اهـ كلامه بحروفه

كانوا ينسؤن الشهور على العرب فى الجاهلية ، فيحلون الشهر من الأشهر الحُرُم ، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ؛ ويؤخرون ذلك الشهر[١] ففيه أنزل الله تبارك وتعالى (٩ : ٣٧) : (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ)

قال ابن هشام: ليواطئوا: ليوافقوا، والمواطأة : الموافقة ، تقول العرب : واطأتك على هذا الأمر ؛ أى : وافقتك عليه ، والايطاء فى الشعر : الموافقة ، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد ، نحو قول العجاج (واسم العجاج : عبدالله بن رؤبة ، أحد بنى سعد بن زيد مَنَاةَ بن تميم ابن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار) : —

* فِي أُثْعُبَانِ الْمَنْجَنُونِ الْمُرْسَلِ[٢] *

ثم قال :

* مَدَّ الْخَلِيجِ فِي الْخَلِيجِ الْمُرْسَلِ[٣] *

(١) كان نسيئهم للأشهر على ضربين : أحدهما : ماذكره من تأخير شهر المحرم إلى صفر مثلا ، لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات ، والثانى : تأخيرهم الحج عن وقته ، تحريا منهم للسنة الشمسية ، وكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوما أو أكثر حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » وكانت حجة الوداع فى السنة التى عاد فيها الحج إلى وقته

(٢) الأثعبان : مايندفع من الماء من مثعبه ، أى : مجراه ، والمنجنون بفتح فسكون — هو الدولاب التى يستقى عليها ، ويقال المنجنين أيضا ، وهى مؤنثة

(٣) الخليج : هو النهر الصغير يخرج من النهر الكبير ، ويطلق على الحبل أيضا

وهذان البيتان فى أرجوزة له *

أول من نسأ الشهور ومن قفا أثره

قال ابن إسحق : وكان أولَ من نسأ الشهور على العرب : فأحلّتْ منها ما أحَلَّ ، وحرمت منها ما حرم ؛ القَلَمَّسُ (وهو حُذَيفة بن عَبْد ابن فُقَيم بن عَدِىٍّ بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة) ثم قام بعده على ذلك ابنهُ عَبَّادُ بن حذيفة ثم قام بعد عبَّادٍ قَلَعُ بن عباد، ثم قام بعد قَلَعٍ أُمَيَّةُ بن قلع ، ثم قام بعد أمية عَوْفُ بن أمية ، ثم قام بعد عوف أبو ثُمَامَةَ جُنَادَةُ بن عوف ، وكان آخرهم ، وعليه قام الاسلام

وكانت العرب — إذا فرغت من حجها — اجتمعت إليه ؛ فحرَّم الأشهر الحرُمَ الأربعة : رجبا ، وذا العقدة ، وذا الحجة ، والمحرم ، فاذا أراد أن يحل منها شيئا أحل المحرم فأحلوه ، وحرم مكانه صفر فحرموه ؛ ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم ، فاذا أرادوا الصَّدَرَ [1] قام فيهم فقال : اللهم إنى قد أحْلَلْتُ لهم أحد الصفَرَ يْنِ الصفَرَ الأوَّلَ ، ونَسَأْتُ الآخر للعام المقبل ؛ فقال فى ذلك عُمَيْرُ بن قيس جَذْلُ الطِّعَانِ [2] أحد بنى فراس بن غَنْم [بن ثعلبة] بن مالك بن كنانة يفخر بالنَّسأة على العرب : —

---

(١) « الصدر » بفتح الصاد والدال جميعا — هو اسم بمعنى الرجوع وأصله فى الماء ، تقول : صدر عن الماء ، إذا كان قد ورد ثم رجع عنه ، يريد إذا أرادوا الرجوع من مكة إلى بلادهم

(٢) الذى ذكره أبو عبيدة أن « جذل الطعان » لقب علقمة بن فراس ابن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة قاله أبو ذر ، وقال السهيلى : وكان عمير هذا من أطول الناس ، وسمى جذل الطعان لثباته فى الحرب كأنه جذل شجرة واقف ، وقيل : لأنه كان يستشفى برأيه ويستراح إليه كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل تحتك به ، ونحو منه قول الحباب : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، وقول الأعرابى يصف ابنه : إنه لجذل حكاك ومدره

لَقَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ أَنَّ قَوْمِي كِرَامُ النَّاسِ أَنَّ لَهُمْ كِرَامَا[1]
فَأَىُّ النَّاسِ فَاتُونَا بِوِتْرٍ وَأَىَّ النَّاسِ لَمْ نُعْلِكْ لِجَامَا[2]
أَلَسْنَا النَّاسِئِينَ عَلَى مَعَدٍّ شُهُورَ الْحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامَا

قال ابن هشام : أول الأشهر الحرُمِ المحرمُ

رجل من كنانة يحدث فى القليس

قال ابن إسحق : فخرج الكنانى حتى أتى القُلَّيْسَ فَقَعَدَ فيها

قال ابن هشام : يعنى أحدث فيها

قال ابن إسحق: ثم خرج فلحقَ بأرضه ، فأُخبر بذلك أبرهة ، فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة ، لما سمع قولك «أصْرِفُ إليها حَجَّ العرب» غضب فجاء فقعد فيها ، أى : أنها ليست لذلك بأهل ، فغضب عند ذلك أبرهة

أبرهة يسير ليهدم البيت ومعه الفيل

وحلف لَيَسِيرَنَّ إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل ، وسمعت بذلك العرب فأعظموه ، وفَظِعُوا به ، ورأوا جهاده حقًّا عليهم ،حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله

لكاك ، واللكاك : الزحام » اه كلامه ، قلت : والجذل بكسر الجيم أو فتحها كما نص عليه المجد

(١) « أن لهم كراما » هذا علة لكون قومه كرام الناس ، فحل المصدر المنسبك من أن واسمها وخبرها جر بحرف تعليل محذوف ، وأراد أن لهم آباء كراما أو أخلاقا كراما ، وأصل الكلام : أن قومى كرام الناس بأن لهم أخلاقا كراما

(٢) «فاتونا بوتر» الوتر : طلب الثأر ، يريد لم يستطع أحد من الناس أن يفلت منا إذا طلبناه بثأر لنا عنده ، وقوله «لم نعلك لجاما» أى : لم نقدعهم ونكفهم كما يقدع الفرس باللجام ، تقول : أعلكت الفرس لجامه ، إذا رددته من نشاطه فملك اللجام

ذو نفر من أشراف اليمن يجاهد أبرهة

الحرام ، فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم — يقال له له ذُو نَفْرٍ — فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه وإخرابه ، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله ، فَهُزِمَ ذو نَفْرٍ وأصحابه ، وأُخِذَ له ذو نفر فأتى به أسيرا ، فلما أراد قتله قال له ذو نَفْرٍ : أيها الملك ، لا تقتلنى فانه عسى أن يكون بقائى معك خيراً لك من قتلى ، فتركه من القتل ، وحبسه عنده فى وثاق ، وكان أبرهة رجلا حليما ، ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم عرض له نُفَيْلُ بن حبيب

الخثعميون يجاهدون أبرهة

الخثعمى فى قبيلَىْ خَثْعَم : شهران ، وناهس (١) ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة ، وأُخذ له نفيل أسيرا ، فأتى به ، فلما هَمَّ بقتله قال له نفيل : أيها الملك ، لا تقتلنى فانى دليلك بأرض العرب ، وهاتان يَدَاىَ لك على قبيلى خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة ، فخلّى سبيله ، وخرج به

مسعود بن معتب وأبرهة

معه يدُلُّه ، حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف ، فى رجال ثقيف (واسم (٢) ثقيف قَسِىُّ بن النبيت بن منبه بن منصور بن يَقْدُمَ بن أفصى بن

---

(١) هما قبيلا خثعم ، وخثعم فى الأصل اسم جبل سمى به بنو عفرس ، لأنهم نزلوا عنده ، ويقال قبائل خثعم ثلاث : شهران ، وناهس ، وأكلب ، غير أن أكلب عند أهل النسب هو ابن ربيعة بن نزار ، ولكنهم دخلوا فى خثعم وانتسبوا إليهم

(٢) قد سبق لابن هشام ذكر نسب ثقيف ، فانظره فى ص ١١) من هذا الجزء تجده ؛ كما سيأتى له فى (ص ٤٨) تعليقا على ماذكره ابن اسحاق ههنا .

نسب ثقيف دُعْمِيّ بن إياد [بن نزار] بن معد بن عدنان ، قال أمية بن أبي الصلت الثقفي : —

قَوْمِي إِيَادٌ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمٌ أَوْ لَوْ أَقَامُوا فَتَهْزَلَ النَّعَمُ(١)
قَوْمٌ لَهُمْ سَاحَةُ الْعِرَاقِ إِذَا سَارُوا جَمِيعاً وَالْقِطُّ وَالْقَلَمُ

وقال أمية بن أبي الصلت أيضا : —

فَأَمَّا تَسْأَلِي عَنِّي لُبَيْنَى وَعَنْ نَسَبِي أُخَبِّرْكِ الْيَقِينَا
فَإِنَّا لِلنَّبِيتِ أَبِي قَسِيٍّ لِمَنْصُورِ بْنِ يَقْدُمَ الْأَقْدَمِينَا

قال ابن هشام : ثقيف : قَسِيُّ بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ؛ والبيتان الأولان والآخران في قصيدتين لأمية

قال ابن إسحق : فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد — يعنون اللات — إنما تريد البيت الذي بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك عليه ، فتجاوز عنهم

اللات واللات : بيت لهم بالطائف ، كانوا يعظّمونه نحوَ تعظيم الكعبة

قال ابن هشام : وأنشدني أبو عبيدة النحوي لضِرَار بن الخطاب الفِهْرِيّ : —

وَفَرَّتْ ثَقِيفٌ إِلَى لَاتِهَا بِمُنْقَلَبِ الْخَائِبِ الْخَاسِرِ

---

(١) «أمم» بفتح الهمزة والميم ـ القريب . والنعم ـ بفتحتين أيضا ـ الابل وقال بعض أهل اللغة : النعم كل ماشية أكثرها إبل

وهذا البيت فى أبيات له

قال ابن إسحق : فبعثوا معه أبا رِغَالٍ يدله على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبو رِغَالٍ حتى أنزله المُغَمِّس (١) ، فلما أنزله به مات أبو رِغَالٍ هنالك ، فرجمت قبرَه العربُ ، فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغمس (١)

الاسود بن مقصود يغير على مكة

فلما نزل أبرهة المُغَمِّسَ بعث رجلا من الحبشة — يقال له الأسود ابن مقصود (٢) — على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم ، فأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهمَّتْ قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لاطاقة لهم به ، فتركوا ذلك

أبرهة يرسل حناطة الحميرى الى اهل مكة

و بعث أبرهة حُنَاطَةَ الحميرىَّ إلى مكة ، وقال له : سَلْ عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ، ثم قل له : إن الملك يقول لك : إنى لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت ، فان لم تعرَّضوا لنا دُونَهُ بحرب فلا حاجة لى فى دمائكم ، فان هو لم يُرِدْ حربى فأْتِنِى به ، فلما دخل حُنَاطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم [بن عبد مناف بن قصى] ، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيتُ الله الحرام ، و بيت خليله إبراهيم عليه السلام ، أو كما قال ، فانْ يَمْنَعْهُ منه فهو بيته وحرمته ، و إن يُخَلِّ بينه و بينه فوالله ما عندنا دفع عنه ، فقال حناطة : فانطلق معى إليه ، فانه قد أمرنى أن آتيه بك ، فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر

حناطة وعبد المطلب بن هاشم

(١) « المغمس » - بالكسر على صيغة اسم الفاعل ؛ ويروى فيه الفتح - وهو موضع بطريق الطائف على ثلثى فرسخ من مكة

(٢) فى بعض النسخ « ابن مفصود » بالفاء الموحدة

عبد المطلب وذو نفر

فسأل عن ذى نَفْرٍ — وكان له صديقا — حتى دخل عليه وهو فى مَحْبِسه ، فقال له : ياذا نَفْرٍ ، هل عندك من غَنَاء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نَفْرٍ : وما غَنَاء رجل أسير بيدَىْ ملك ينتظر أن يقتله غُدُوًّا أَوْ عَشِيًّا ؟ ماعندى غَنَاء فى شىء مما نزل بك ، إلا أن أُنَيْسًا سائسَ الفيل صديقٌ لى ، وسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأُعَظِّم عليه حقَّك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ، ويشفع لك عنده بخيرٍ إن قدر على ذلك ، فقال : حسبى ، فبعث ذو نَفْرٍ إلى أُنَيْسٍ فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش ، وصاحب عِير مكة ، يطعم الناس بالسهل ، والوحوشَ فى رءوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتى بعير ، فاستأذِنْ له عليه ، وانفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفْعَلُ

أنيس يستأذن لعبد المطلب على أبرهة

فكلم أنيس أبرهة ، فقال له : أيها الملك ، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عِيرِ مكة ، وهو يطعم الناس فى السهل ، والوحوشَ فى رءوس الجبال ، فأْذَنْ له عليك فليكلمك فى حاجته ، قال : فأذن له أبرهة

عبد المطلب بين يدى أبرهة

قال : وكان عبد المطلب أوْسَمَ الناس ، وأجْمَلَهُمْ ، وأعظمهم ، فلما رآه أبرهة أجَلَّه وأعظمه ، وأكرمه عن أن يُجْلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك ، فقال له ذلك الترجمان ، فقال : حاجتى أن يَرُدَّ علىَّ الملكُ مائتى بعير أصابها لى ، فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كُنْتَ أعجبتنى حين رأيتك ، ثم قد زَهِدْتُ فيك حين كلمتنى ، أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لاتكلمنى فيه ؟ قال له عبد المطلب : إنى أنا رَبُّ الابل ، وإن للبيت رَبا سيمنعه ، قال : ما كان ليمتنع منى ، قال : أنت وذاك

وكان — فيما يزعم بعض أهل العلم — قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حُناطَةَ يَعْمَرُ بْنُ نُفَاثَةَ بن عدى بن الدُّئل بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة — وهو يومئذ سيد بنى بكر — وخُوَيْلِدُ بْنُ واثلة الهُذَلى — وهو يومئذ سيد هذيل — فعرضوا على أبرهة ثُلُثَ أموال تهامة، على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم ، والله أعلم أكان ذلك أم لا ، فرد أبرهة على عبد المطلب الابل التى أصاب له

عبد المطلب يأمر قريشا بالجلاء ويستنصر الله

فلما انصرفوا عنه انصرف عبدُ المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتَّحَرُّزِ فى شَعَفِ الجبال والشعاب ، تَخَوُّفًا عليهم من مَعَرَّةِ الجيش [1] ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحَلْقَةِ باب الكعبة ، وقام معه نَفَر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب ، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة : —

لَاهُمَّ إِنَّ الْعَبْدَ يَمْـ*ـنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلَالَكْ [2]

لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدْوًا مِحَالَكْ [3]

إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَقِبْـ*ـلَتَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكْ

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها

---

(١) «والتحرز» بالراء المهملة - التمنع ، ويروى «التحوز» بالواو - وهو أن ينحاز إلى جهة ويتمنع بها ، و« شعف الجبال» رءوسها ، و«الشعاب» المواضع الخفية بين الجبال ، و«معرة الجيش» شدته

(٢) « فامنع حلالك » الحلال - بكسر الحاء - جمع حلة ، وهى جماعة البيوت وربما أريد بها القوم المجتمعون لأنهم يحلون فيها ؛ ويروى « فامنع رحالك»

(٣) «محالهم» المحال - بكسر الميم - القوة والشدة

قال ابن إسحق : وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصي : —

لَاهُمَّ أَخْزِ الْأَسْوَدَ بْنَ مَقْصُودْ الْآخِذَ الْهَجْمَةَ فِيهَا التَّقْلِيدْ(١)

بَيْنَ حِرَاءٍ وَثَبِيرٍ فَالْبِيدْ يَحْبِسُهَا وَهْيَ أُولَاتُ التَّطْرِيدْ(٢)

فَضَمَّهَا إِلَى طَمَاطِمٍ سُودْ أَخْفِرْهُ يَارَبِّ وَأَنْتَ مَحْمُودْ(٣)

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها ، والطماطم : الأعلاج (٤)

قال ابن إسحق : ثم أرسل عبد المطلب حَلْقَةَ باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعَفِ الجبال فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهةُ فاعلٌ بمكة إذا دخلها

الفيل يمتنع من السفير إلى مكة

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيّأ فيله ، وعَبَّى جيشه (٥) وكان اسم الفيل محمودا ، وأبرهة مُجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن ، فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفَيْلُ بن حبيب [الخثعمي] حتّى قام إلى جنب الفيل ، ثم

(١) «لاهم» أي : اللهم ، و «الهجمة» القطعة من الابل ؛ قال بعضهم : هي ما بين الخمسين إلى الستين ، و «التقليد» القلائد

(٢) «حراء وثبير» جبلان بمكة ، والبيد : جمع بيداء ، وهي الصحراء

(٣) «أخفره» أي : انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه ، يقال : أخفرت الرجل ، إذا نقضت عهده وذمامه ، والهمزة فيه للازالة ، أي : أزلت خفارته ، أي : ذمامه ، كأشكيته إذا أزلت شكايته ، بخلاف خفرته أخفره ، فانه بمعنى أجرته وحفظته ؛ فهاهنا يضبط بقطع الهمزة وفتحها ، لئلا يصير الدعاء عليه دعاء له

(٤) «الاعلاج» جمع علج ، وهو الرجل من كفار العجم وغيرهم ، ويجمع أيضا على علوج . وواحد الطماطم طمطماني

(٥) الأكثرون على أنه يقال : عبّى جيشه ، بالألف غير مهموز ، ويقال : عبأ متاعه ، بالهمز ، ومنهم من حكى عبأ جيشه

أخذ بأذنه فقال : ابْرُكْ محمود أو ارجع راشدا من حيث جئت ، فانك فى بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه ، فبرك الفيل ، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصْعَدَ فى الجبل ، وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، فضربوا رأسه بالطَّبَرْزِين ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن لهم فى مَرَاقِّه فبزغوه بها ليقوم فأبى [1] ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ، ووجَّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجَّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجَّهوه إلى مكة فبرك [2] ، فأرسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر أمثالَ الْخَطَاطِيفِ والْبَلَسَان ، [3] مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجرٌ فى منقاره ، وحجرانِ فى رجليه ، أمثال الحمص والْعَدَس ، لاتصيب منهم أحدا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا ويسألون عن نُفَيل بن حبيب ليدلهَّم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل — حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته : —

عقاب الله لاصحاب الفيل

أَيْنَ الْمَفَرُّ وَالإِلٰهُ الطَّالِبْ * وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبْ

قال ابن هشام : قوله « ليس الغالب » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال نفيل أيضا : —

---

(١) «الطبرزين» آلة معقفة من حديد ، و«المحاجن» جمع محجن ، وهى عصا معوجة وقد يجعل فيها حديد ، و«المراق» أسفل البطن ، و« بزغوه» أى : أدموه ، ومنه قيل لمشرط الحجام مبزغ ، لأنه يسيل الدم

(٢) المعروف أن الفيل لا يبرك ، فالمراد هنا أنه امتنع عن السير

(٣) « الخطاطيف » طيور سود ؛ واحـــدها خطاف ـ بزنة رمان و«البلسان» لم يذكره صاحب القاموس بما يصلح ههنا ، وذكر ابن الأثير حديث ابن عباس « بعث الله الطير على أصحاب الفيل كالبلسان » ثم قال : « قال عباد بن موسى : أظنها الزرازير »اهـ وفى رواية أبى ذر « البلشون »

أَلاَ حُيِّيتِ عَنَّا يَارُدَيْنَا * نَعِمْنَاكُمْ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا (١)
رُدَيْنَةُ ، لَوْ رَأَيْتِ فَلاَ تَرَيْهِ * لَدَى جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا (٢)
إِذًا لَعَذَرْتِنِي وَحَمِدْتِ أَمْرِي * وَلَمْ تَأْسَيْ عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا (٣)
حَمِدْتُ اللهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا * وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ * كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مَهْلِكٍ ، على كل مَنْهَل (٤) ، وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أُنْمُلَةً أُنْمُلَةً (٥) : كلما سقطت أنملة أتبعتها منه مدة تَمُثُّ (٦) قيحًا ودمًا ، حتى

---

(١) « نعمناكم » أراد نعمنا بكم . و «عينا» تميز محول عن الفاعل . وأصل الكلام : نعمت عيننا بكم ، فلما حول الاسناد عن العين إلى المضاف إليه صار الكلام : نعمنا بكم عينا . ثم حذف حرف الجر وأوصل الفعل إلى ما كان مجرورا به . فصار كما ترى وفى بعض النسخ زيادة بيت بعد هذا وهو قوله :

أَتَانَا قَابِسٌ مِنْكُمْ عِشَاءً * فَلَمْ يُقْدَرْ لِقَابِسِكُمْ لَدَيْنَا

(٢) «المحصب» اسم لموضعين بناحية مكة : أحدهما الشعب الذى مخرجه إلى الأبطح بين مكة ومنى ، والثانى : موضع رمى الجمار بمنى ، قاله المجد فى القاموس ، وذكرهما ابن الأثير فى النهاية : ثم قال « سميا بذلك للحصى الذى فيها » اه والحصى الصغار يقال له الحصباء .

(٣) «تأسى» تحزنى ، وهو مضارع مسند لياء المخاطبة ، وباب ماضيه ومضارعه كرضى يرضى . ومنه قوله تعالى : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أصابكم » وقوله « بينا » هو مصدر بان يبين بينا . وأصل معناه الفراق والانفصال ، وهو مؤكد لقوله تأسى ؛ لتقارب معنيهما

(٤) المهلك : مكان الهلاك ، والمنهل : مكان ورود الماء ، وجمعه مناهل

(٥) أصل الأنملة : طرف الأصبع ، وربما أطلقت على الجزء الصغير من الشىء على التشبيه بالأنملة فى الصغر : وهى ههنا كذلك ، يريد أن جسمه قد تناثر قطعة قطعة

(٦) تقول : مث فلان عرقا ، إذا تصبب جسمه ورشح ، ومنه حديث

قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انْصَدَعَ صدرُه [1] عن قلبه ، فيما يزعمون

قال ابن إسحق : حدثنى يعقوب بن عتبة أنه حُدِّث أن أول ما رؤيت الْحَصْبَة والْجُدَرى بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤى بها مرائر الشجر الْحَرْمَلُ والْحَنْظَلُ والْعُشَرُ [2] ذلكَ الْعَامَ

القرآن يذكر حادث الفيل

قال ابن إسحق : فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كان مما يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ماردعنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم ، فقال الله تبارك وتعالى (١٠٥ : ١ — ٥) : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) وقال : (١٠٦ : ١ ـ ٤) (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ

عمر أن رجلا أتاه يسأله قال : هلكت ، قال : أهلكت وأنت تمث مث الحميت ، أى : ترشح من السمن ، والفعل ههنا من هذا المعنى ، يريد أن جسمه كان يرشح مدة وقيحا . والمدة ـ بكسر الميم ـ قال فى القاموس هو القيح ، وقال فى مادة « ق ى ح » « القيح : المدة لا يخالطها دم » اهـ ، فدل على أن بينهما فرقا

(١) انصدع صدره : انشق

(٢) قال أبو ذر « مرائر الشجر يعنى المر منها . وهو جمع أمرار . وأمرار : جمع مر » اهـ كلامه ، وليس مقاله صحيحا ، لأننا لو سلمنا أن أمرارا جمع مر لم نسلم أن أمرارا يجمع على مرائر ؛ فان جمع أمرار أمارير كما يعلم لمن شدا شيئا من العربية ، وإنما مرائر جمع مرير . وكأنهم لما استعملوا مرا ـ والقياس مرير ـ جمعوا هذا المفرد الذى يتطلبه القياس ، والحرمل : قال فى القاموس : « حب نبات معروف يخرج السوداء والبلغم إسهالا » اهـ ، والعشر ـ بضم العين وفتح الشين ـ شجر مر يحمل ثمرا كالأترج وليس فيه منتفع ،

إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) أى : لئلا يغير شيئا من حالهم التى كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه

قال ابن هشام : الأبابيل : الجماعات ، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه ، واما السِّجِّيلُ فأخبرنى يونس النحوى وأبو عبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب ، قال رؤبة بن العجاج : —

وَمَسَّهُمْ مَامَسَّ أَصْحَابَ الْفِيلْ * تَرْمِيهِمُ حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلْ

* وَلَعِبَتْ طَيْرٌ بِهِمْ أَبَابِيلْ *

وهذه الأبيات فى أرجوزة له ، وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سِنْجٌ وجِلٌّ ، يعنى بالسنج الحجر ، وبالجل الطين ، يعنى : الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين ، وَالْعَصْفُ : ورق الزرع الذى لم يُعْصَفْ [1] وواحدته عَصْفَةٌ

[حدثنا ابن هشام ،] قال : وأخبرنى أبو عبيدة النحوى أنه يقال له العُصَافة والْعَصيفة ، وأنشدنى لعَلْقَمَةَ بن عَبَدَةَ أحدِ بنى ربيعة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم : —

تَسْقِى مَذَانِبَ قدْ مَالَتْ عَصِيفَتُهَا * جُدُورُهَا مِنْ أَتِىِّ الْمَاءِ مَطْمُومُ [2]

(١) يعصف — بالعين المهملة بعدها صاد وآخره فاء — أى : لم يقطع ، وقال فى القاموس «وعصفه : جده قبل أن يدرك» اه ؛ وقد وقع فى سائر أصول الكتاب «يقصب» وهو تحريف

(٢) قال أبو ذر : «تسقى مذانب» المذانب : جمع مذنب ، وهو مسيل الماء إلى الروضة ، والعصيفة : ورق الزرع ، وقد فسره ابن هشام ، وحدورها

وهذا البيت فى قصيدة [١] له ، وقال الراجز : —

* فَصُيِّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولْ *

قال ابن هشام : ولهذا البيت تفسير فى النحو [٢] و « إيلاف قريش » إلفهم الخروجَ إلى الشام فى تجارتهم ، و كانت لهم خَرْجَتَان : خرجة فى الشتاء ، وخرجة فى الصيف .

تفسير الايلاف

[أخبرنا ابن هشام] قال : أخبرنى أبو زيد الأنصارى أن العرب

ماانحدر منها ؛ ومن رواه جذورها ـ بالجيم المضمومة ـ فهو جمع جذر، وهى أصول الشجر هنا ، والأتى : السيل ، ومطموم : من قولهم طم الماء وطما إذا علا وارتفع » اه كلامه ؛ وقال الأعلم فى شرح ديوان علقمة : « والعصيفة : الورق ؛ وقيل : العصيفة رءوس الزرع ، والمذانب : مسايل الماء ، وحدورها ما انحدر منها واطمأن ، والأتى ـ كغنى ـ الجدول ، وأراد به ههنا مايسيل من الماء فى الجدول ، والمطموم : المملوء بالماء ، ويروى جدورها ، والجدور : الحواجز التى تحجز الماء فى أصول النخل ، ورد قوله مطموم على واحد الجدور ، وتقديرها جدورها كل جدر منها مطموم ؛ ومثله قول الأسود ابن يعفر فى وصف جفنة : —

وَجَفْنَةٍ كَنَضِيحِ الْبِئْرِ مُتْأَقَةٍ * تَرَى جَوَانِبَهَا بِالشَّحْمِ مَفْتُوقَا

أى : ترى كل جانب منها مفتوقا » اه كلامه ، ومنه تعلم أن رواية جذورها بالجيم والذال المعجمة ـ التى ذكرها أبو ذر غير هذه التى حكاها الأعلم . وفى اللسان * تسقى مذانب قد زالت عصيفتها *

(١) قلت : هى فى ديوانه ، ومنها البيت المذكور ، وأولها : ـ

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتُودِعْتَ مَكْتُومُ * أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مَصْرُومُ

(٢) قال أبو ذر : « وتفسيره أن الكاف زائدة ؛ لكونها قد تكون حرفا و« مثل » لاتكون إلا اسما ، فزيادة الحرف أولى من زيادة الاسم ، والمراد من زيادتها التأكيد » اه

تقول : أَلِفْتُ الشَّىءَ إلفاً وآلفته إيلافا ، فى معنى واحد ، وأنشدنى لذى الرُّمَّةِ : —

مِنَ المُؤْلِفَاتِ الرَّمْلَ أَدْمَاء حُرَّةٌ * شُعَاعُ الضُّحَى فى لَوْنِهَا يَتَوَضَّحُ (١)

وهذا البيت فى قصيدة (٢) له ، وقال مطرود بن كعب الخزاعى :

الْمُنْعِمِينَ إذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ * وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْإِيلَافِ (٣)

وهذا البيت فى أبيات له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى ، والايلاف أيضا : أن يكون للانسان أَلْفٌ من الابل أو البقر أو الغنم أو غير ذلك ، يقال : آلَفَ فلان إيلافاً ، قال الْكُمَيْتُ بن زيد أحد بنى أسد بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد : —

بِعَامٍ يَقُولُ لَهُ الْمُؤْلِفُو * نَ هذَا الْمُعِيمُ لَنَا الْمُرْجِلُ (٤)

---

(١) الأدماء من الظباء : السمراء الظهر البيضاء البطن ، والأدمة فى الابل : البياض الخالص ، والأدمة فى الآدميين : أن يميل اللون إلى السمرة قليلا ، وشعاع الضحى : بريق لونه ، ويتوضح : يتبين . قاله أبو ذر

(٢) قلت : هى فى ديوانه ، وفيها البيت المذكور ، وأولها : —

أَمَنْزِلَتَىْ مَىٍّ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمَا * عَلَى النَّأْىِ ، وَالنَّائِى يَوَدُّ وَيَنْصَحُ

وقبل البيت الذى ذكره ابن هشام قوله : —

ذَكَرْتُكِ إذْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ * أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرَئِبُّ وَتَسْنَحُ

(٣) قال أبو ذر : «إذا النجوم تغيرت ، يعنى أستحالت عن عادتها من المطر على مذهب العرب فى النجوم . ومن رواه تغبرت بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل فمعناه قل مطرها : من الغبر ، وهو البقية » اه كلامه

(٤) المعيم اسم فاعل من «أعامه» إذا أثار شوته إلى اللبن . والمرجل : اسم فاعل أيضا من « أرجله » إذا جعله يمشى راجلا ، ويروى «المرحل» بالحاء

وهذا البيت فى قصيدة له ، والايلاف أيضا : أن يصير القوم ألفاً ، يقال : آلَفَ القَوْمُ إيلافاً ، قال الكُميتُ بن زيد : —

وَآل مُزَيْقِيَاء غَدَاة لاَقَوْا * بَنِي سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ مُؤْلِفِينَا

وهذا البيت فى قصيدة له ، والايلاف أيضا : أن يُؤْلَفَ الشىء إلى الشىء فيألفه و يلزمه ، يقال : آلفته إياه إيلافاً ، والايلاف أيضا : أن تُصَيِّر مادون الألف ألفا ، يقال : آلفته إيلافا

ما صار إليه قائد الفيل وسائسه

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعْمَيَيْنِ مُقْعَدَيْن يَسْتَطْعِمان الناس

حادث الفيل فى شعر العرب

قال ابن إسحق : فلما رد الله الحبشة عن مكة وأصابهم بما أصابهم به من النِّقْمة أعْظَمت العرب قريشا ، وقالوا : هم أهْلُ الله ، قاتل الله عنهم ، وكفاهم مُؤْنَةَ عدوهم ، فقالوا فى ذلك أشعاراً يذكرون فيها ماصنع الله بالحبشة ، وما رد عن قريش من كيدهم ، فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى بن

نسب ابن الزبعرى وشعره فى حادث الفيل

عَدِىّ بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ابن لُؤَى بن غالب بن فِهْر : —

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إنَّهَا * كَانَتْ قَدِيماً لاَيُرَامُ حَرِيمُهَا (١)

المهملة — أى : الذى يدعوهم إلى الرحلة عن بلادهم ؛ يصف سنة شديدة القحط والجدب بأنها تترك إبل ذوى الابل الكثيرة ولالبن فيها ولاقدرة لها على حملهم فى أسفارهم .

(١) « تنكلوا » يروى فى مكانه « تنكبوا » والمعنى ارجعــوا خوفا منها ، تقول : نكبت فلانا عن الشىء : إذا صرفته عنه صرف هيبة وخوف

لَمْ تَخْلُقِ الشِّعْرَى لَيَالِيَ حُرِّمَتْ * إِذْ لَا عَزِيزَ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومُهَا(١)
سَائِلْ أَمِيرَ الْجَيْشِ عَنْهَا مَارَأَى * وَلَسَوْفَ يُنْبِي الْجَاهِلِينَ عَلِيمُهَا
سِتُّونَ أَلْفاً لَمْ يَؤُبُوا أَرْضَهُمْ * بَلْ لَمْ يَعِشْ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمُهَا(٢)
دَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجُرْهُمُ قَبْلَهُمْ * وَاللهُ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يُقِيمُهَا(٣)

قال ابن إسحق : يعنى ابنُ الزِّبَعْرَى بقوله « بعد الاياب سقيمُهَا » أبرهة ؛ إذ حملوه معهم حين أصابه ماأصابه حتى مات بصنعاء

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصارى ثم الخطمى ، واسمه صيفى

نسب أبى قيس ابن الأسلت وشعره فى الفيل

قال ابن هشام : أبو قيس صيفيُّ بن الأسلت بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس

وَمِنْ صُنْعِهِ يَوْمَ فِيلِ الْحُبُو * شِ إِذْ كُلَّمَا بَعَثُوهُ رَزَمْ(٤)
مَحَاجِنُهُمْ(٥) تَحْتَ أَقْرَابِهِ * وَقَدْ شَرَمُوا أَنْفَهُ فَانْخَرَمْ

---

(١) « الشعرى » : نجم ، وهما شعريان : إحداهما الغميصاء ، وهى التى فى ذراع الأسد ، والأخرى التى تتبع الجوزاء ، وهى أضوء من الضياء قاله أبو ذر .

(٢) « لم يؤبوا أرضهم » أى : لم يرجعوا ، يقال : آب إلى كذا ، إذا رجع ؛ وكان وجه الكلام أن يقول : إلى أرضهم ، لكنه حذف حرف الجر وأوصل الفعل

(٣) « دانت بها » أى : خضعت وأطاعت ، والدين : الطاعة ؛ وفى بعض نسخ الكتاب « كانت بها عاد — الخ »

(٤) رزم : ثبت ولزم موضعه

(٥) المحاجن : جمع محجن ، وهو عصا معوجة أو الصولجان ؛ والأقراب : جمع قرب — بالضم — وهو الخاصرة

وَقَدْ جَعَلُوا سَوْطَهُ مِغْوَلاً ... إِذَا يَمَّمُوهُ قَفَاهُ كُلِمْ (١)

فَوَلَّى وَأَدْبَرَ أَدْرَاجَهُ ... وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ ثَمّ

فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِم حَاصِباً ... فَلَفَّهُمُ مِثْلَ لَفِّ الْقُزُمْ (٢)

تَحُضُّ عَلَى الصَّبْرِ أَحْبَارُهُمْ ... وَقَدْ ثَأَجُوا كَثُؤَاجِ الْغَنَمْ (٣)

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له، والقصيدة أيضا تروى لأمية بن أبى الصلت

قال ابن إسحق: وقال أبو قيس بن الأسلت: —

فَقُومُوا فَصَلوا رَبَّكُم وَتَمَسَّحُوا ... بِأَرْكَانِ هٰذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ (٤)

فَعِنْدَكُمُ مِنْهُ بَلَاءٌ مُصَدَّقٌ ... غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ (٥)

كَتِيبَتُهُ بِالسَّهْلِ تَمْشِى وَرَجْلُهُ ... عَلَى الْقَاذِفَاتِ فِي رُءُوسِ الْمَنَاقِبِ (٦)

---

(١) المغول ـ وزان مقود ـ سيف رقيق له قفا كهيئة السكين، ويروى «معولا» بالعين المهملة ـ وهى الفأس، و «كلم» جرح

(٢) القزم: جمع قزم، وهو الصغير من الغنم، أو كل صغير الجثة

(٣) ثؤاج الغنم: صوتها

(٤) «صلوا ربكم» أى: ادعوه، وأصل معنى الصلاة فى اللغة الدعاء. والأخاشب: جمع أخشب، وهى جبال مكة: وإنما هما أخشبان فأرادهما وما حولهما فلذلك جمع

(٥) «أبى يكسوم» كنية أبرهة وسيذكر ذلك ابن هشام، والكتائب: جمع كتيبة. وهى الجيش

(٦) «تمشى» هكذا فى بعض النسخ، وفى أخرى «تمسى» بضم تاء

فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِى الْعَرْشِ رَدَّهُمْ
جُنُودُ الْمَلِيكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ (١)
فَوَلَّوْا سِرَاعًا هَارِبِينَ وَلَمْ يَؤُبْ
إِلَى أَهْلِهِ مِلْحِبْشِ غَيْرُ عَصَائِبِ (٢)

شعر طالب بن أبى طالب فى حادث الفيل

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى قوله « على القاذفات فى رءوس المناقب » وهذه الأبيات فى قصيدة لأبى قيس سأذكرها فى موضعها إن شاء الله ، وقوله «غداة أبى يكسوم» يعنى أبرهة : كان يكنى أبا يكسوم .

قال ابن إسحق : وقال طالب بن أبى طالب بن عبد المطلب : —

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِى حَرْبِ دَاحِسٍ
وَجَيْشِ أَبِى يَكْسُومَ إِذْ مَلَأُوا الشِّعْبَا (٣)
فَلَوْلَا دِفَاعُ اللهِ لَا شَىْءَ غَيْرُهُ
لَأَصْبَحْتُمُ لَا تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبَا (٤)

المضارعة وبالسين المهملة — وقوله « ورجله » هو بكسر الراء — الجماعة من الجيش ، يريد أن جيشه ملأ السهل والجبل ، والقاذفات : أعالى الجبال البعيدة ، والمناقب : جمع منقبة ، وهى الطريق فى رأس الجبل

(١) « ساف » السافى : الذى غطاه التراب ، يقال : سفت الريح التراب ، والحاصب : الذى أصابته الحجارة ، قال أبو ذر : « وهما على معنى النسب ، وقد يكون السافى والحاصب يراد بهما اسم الفاعل حقيقة » اه

(٢) العصائب : الجماعات

(٣) « حرب داحس » داحس : اسم فرس مشهور ، وكانت حرب بسببه ، و « الشعب » الطريق بين جبلين

(٤) « السرب » بكسر السين — القطيع من البقر والظباء ، ومن النساء أيضا ؛ ومنه قول الشاعر : —

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى يوم بدر سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى

شعر أبى الصلت فى حادث الفيل

قال ابن إسحق : وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى فى شأن الفيل ، ويذكر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام

قال ابن هشام : تروى لأمية بن أبى الصلت بن أبى ربيعة الثقفى : —

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا ثَاقِبَاتٌ لَا يُمَارِى فِيهِنَّ إِلاَّ الْكَفُورُ (١)

خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلٌّ مُسْتَبِينٌ حِسَابُهُ مَقْدُورُ

ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارَ رَبٌّ رَحِيمٌ بِمَهَاةٍ شُعَاعُهَا مَنْشُورُ (٢)

حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمُغَمَّسِ حَتَّى ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورُ (٣)

لَازِمًا حَلْقَةَ الْجِرَانِ كَمَا قُطِّرَ مِنْ صَخْرِ كَبْكَبٍ مَحْدُورُ (٤)

فَلَمْ تَرَ عَيْنِى مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ * خَرَجْنَ عَلَيْنَا مِنْ زُقَاقِ ابْنِ وَاقِفِ

وقال أبو ذر « السرب — : بفتح السين — المال الراعى ، وبكسر السين النفس ، ويقال : القوم ، ومنه « أصبح آمنا فى سربه » أى : فى نفسه ، وقيل : فى قومه » اهـ

(١) « لايمارى » أى : لايشك ، والمرية : الشك

(٢) المهاة : الشمس ، ومن أسمائها الغزالة

(٣) « المغمس » : اسم موضع ، وانظر (ص ٤٩) ومابعدها من هذا الجزء

(٤) أصل الجران : حلق البعير ، فاستعاره هنا للفيل ، وقيل : الجران الصدر ، و« قطر » بالبناء للمجهول — أى : رمى به على جانبه ، والقطر : الجانب ، وكبكب : اسم جبل ، والمحدور : اسم مفعول من حدره ، إذا رماه فانحدر حتى بلغ الأرض

حَوْلَهُ مِنْ مُلُوكِ كِنْدَةَ أَبْطَا لٌ مَلَاوِيثُ فِى الْحُرُوبِ صُقُورُ (١)
خَلَّفُوهُ ثُم ابْذَعَرُّوا جَمِيعاً كُلُّهُمْ عَظْمُ سَاقِهِ مَكْسُورُ (٢)
كُلُّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللّـ ـهِ إِلاَّ دِينَ الْحَنِيفَةِ بُورُ (٣)

الفرزدق يذكر الفيل فى شعره لعبد الملك بن مروان

قال ابن هشام : وقال الفرزدق — واسمه همَّام بن غالب أحد بنى مُجاشع بن دَارم بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تَميم — يمدح سُلَيْمَانَ بن عبد الملك بن مروان ويهْجُو الحجاج بن يوسف ويذكر الفيل وجيشه : —

فَلَمَّا طَغَى الْحَجَّاجُ حِينَ طَغَى بِهِ * غِنًى؛ قَالَ : إِنِّى مُرْتَقٍ فِى السَّلَالِمِ
فَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ نُوحٍ سَأَرْتَقِى
إِلَى جَبَلٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَاءِ عَاصِمِ
رَمَى اللهُ فِى جُثْمَانِهِ مِثْلَ مَا رَمَى
عَنِ الْقِبْلَةِ الْبَيْضَاءِ ذَاتِ الْمَحَارِمِ (٤)
جُنُوداً تَسُوقُ الْفِيلَ حَتَّى أَعَادَهُمْ
هَبَاءً وَكَانُوا مُطْرَخِمِّى الطَّرَاخِمِ (٥)
نُصِرْتَ كَنَصْرِ الْبَيْتِ ؛ إِذْ سَاقَ فِيلَهُ
إِلَيْهِ عَظِيمُ الْمُشْرِكِينَ الْأَعَاجِمِ

---

(١) ملاويث : أشداء
(٢) « ابذعروا » تفرقوا
(٣) « بور » أى : هالك ، من البوار ، وهو الهلاك ؛ ويروى « زور »
(٤) الجثمان : الجسم . والقبلة البيضاء : أراد بها الكعبة
(٥) « الهباء » مايظهر فى شعاع الشمس إذا دخلت من مكان ضيق ،

وهذه الأبيات فى قصيدة له

عبدالله بن قيس الرقيات يذكر الفيل

قال ابنُ هشام : وقال عَبْدُ الله بن قَيْس الرُّقَيَّاتِ أحدُ بنى عامر بن لؤى بن غالب يذكر أبرهة ، وهو الأشرمُ ، والفيلَ : —

كَادَهُ الْأَشْرَمُ الَّذِى جَاء بِالْفِيـــلِ فَوَلَّى وَجَيْشُهُ مَهْزُومُ

وَاسْتَهَلَّتْ عَلَيْهِمُ الطَّيْرُ بِالْجَنْـــدَلِ حَتَّى كَأَنَّهُ مَرْجُومُ

ذَاكَ مَنْ يَغْزُهُ مِنَ النَّاسِ يَرْجِـعْ * وَهْوَ فَلٌّ مِنَ الْجُيُوشِ ذَمِيمُ (١)

وهذه الأبيات فى قصيدة له

سيف بن ذى يزن الحميرى يطالب بملك اليمن ويستنجد قيصر الروم

قال ابن إسحق : فلما هلك أبرهة مَلَكَ الحبشةَ ابنه يكسومُ بن أبرهة، وبه كان يكنى ، فلما هلك يكسومُ بن أبرهة مَلَكَ اليمنَ فى الحبشة أخوه مَسْرُوق بن أبرهة ، فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن الحميرى ، وكان يكنى بأبى مُرَّة ، حتى قدم على قَيْصر ملك الروم ، فشكا إليه ماهم فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه ، ويليهم هو ، ويبعث إليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشْكِهِ (٢) فخرج حتى أتى النعمانَ ابن المنذر ، وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق ، فشكا إليه أمر الحبشة ، فقال له النعمان : إن لى على كسرى وِفَادَةً فى كل عام،

سيف يستنجد بالنعمان بن المنذر فيفد به على كسرى

فأَقِمْ حتى يكون ذلك ، ففعل ، ثم خرج معه ، فأدخله على كسرى ، وكان كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القَنْقَل (٣)

و « المطرخم » الممتلىء كبرا وغضبا . والطراخم : جمعه

(١) الفل : الجيش المنهزم . وتقول : فل فلان جيوش الأعداء ، أى : هزمها

(٢) أشكاه : أى أزال شكواه ، يريد أنه لم يؤيده ولم يقض حاجته ، وفى الطبرى زيادة « ولم يجد عنده شيئا مما يريد » بعد قوله « فلم يشكه »

(٣) القنقل : المكيال

العظيم ، فيما يزعمون ، يضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك ، وكانت عُنُقُه لا تحمل تاجه ، إنما يُسْتَر [عليه] بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك، ثم يُدْخِل رأسه فى تاجه ، فاذا استوى فى مجلسه كشفت عنه الثياب ، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا بَرَكَ هيبةً له ، فلما دخل عليه سَيْفُ بْنُ ذى يزن برك

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة أن سيفا لما دخل عليه طأطأ رأسه، فقال الملك : إن هذا الأحمق يدخل على من هذا الباب الطويل ثم يطأطىء رأسه ، فقيل ذلك لسيف ، فقال : إنما فعلت هذا لهَمِّى ، لأنه يضيق عنه كل شىء .

قال ابن إسحق : ثم قال له : أيها الملك ، غَلَبَتْنَا على بلادنا الأَغْرِبَةُ ، فقال له كسرى : أىُّ الأغربة : الحبشة ، أم السند ؟ فقال : بل الحبشة ، فجئتك لتنصرنى ويكون ملك بلادى لك ، قال : بَعُدَت بلادك مع قلة خيرها ؛ فلم أكن لأُوَرِّط جيشا من فارس بأرض العرب ، لاحاجة لى بذلك ، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وافٍ وكساه كُسْوَةً حسنة ، فلما قبض ذلك منه سَيْفٌ خرج فجعل ينثر تلك الوَرِقَ للناس ، فبلغ ذلك الملك ، فقال : إن لهذا لشأنا ، ثم بعث إليه ، فقال : عَمَدْتَ إلى حِبَاء الملك تنثره للناس !! فقال : وما أصنع بهذا ؟ ماجبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة !! يرغِّبُه فيها ، فجمع كسرى مَرَازِبَتَه (١) فقال لهم : ماذا تَرَوْن فى أمر هذا الرجل وما جاء له ؟ فقال قائل : أيها الملك ، إن فى سجونك رجالا قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه فان يَهْلِكوا كان ذلك الذى أردت بهم ، وإن ظَفِروا كان مُلْكًا ازددته ، فبعث معه كسرى

(١) المرازبة : جمع مرزبان ، وهو وزير الفرس

من كان فى سجونه ، وكانوا ثمانمائة رجل ، واستعمل عليهم رجلا منهم، يقال له وَهْرِز ، وكان ذا سِنٍّ فيهم ، وأفضلَهم حسبا وبيتا ، فخرجوا فى ثمان سفائن ، فغرقت سفينتان ، ووصل إلى ساحل عَدَن ستُّ سفائن فجمع سيف إلى وَهْرِزَ من استطاع من قومه ، وقال له : رِجْلى مع رجلك حتى نموت جميعا أو نظفر جميعا ، قال له وَهْرِزُ : أنصفتَ ، وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن ، وجمع إليه جنده ، فأرسل إليهم وَهْرِزُ ابناله ليقاتلهم فيختبر قتالهم ، فقُتِل ابن وَهْرِز ، فزاده ذلك حَنَقًا عليهم ، فلما تواقف الناس على مَصَافِّهم قال وَهْرِزُ : أرُونِى مَلِكهم ، فقالوا له : أترى رجلا على الفيل عاقدًا تاجَه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء ؟ قال : نعم ، قالوا : ذاك مَلِكُهُمْ ، فقال : اتركوه ، قال : فوقفوا طويلا ، ثم قال : عَلامَ هُو ؟ قالوا : قد تحوَّل على الفرس ، قال : اتركوه ، فوقفوا طويلا ، ثم قال : عَلامَ هو ؟ قالوا : قد تحول على البغلة ، قال وَهْرِزُ : بنتُ الحمارِ ذَلَّ وَذَلَّ مُلْكُه ، إنى سأرميه : فان رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبُتوا حتى أوذِنَكم ؛ فانى قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به (١) فقد أصبت الرجل فاحملوا عليهم ، ثم وَتَّرَ قوسه ، وكانت فيما يزعمون لا يُوَتِّرُهَا غَيْرُهُ (٢) من شدتها ، وأمر بحاجبيه فعُصبا له ، ثم رماه فصك الياقوتة التى بين عينيه فتغلغلت النُّشَّابةُ فى رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونُكِس عن دابته ، واستدارت الحبشة ولاثت به ، وحَمَلت عليهم الفرسُ ، وانهزموا فقُتلوا وهربوا فى كل وجه ، وأقبل وَهْرِزُ ليدخلَ صَنْعَاء ،

(١) لاثوا به : اجتمعوا حوله

(٢) وتر قوسه توتيرا ، أى : شد وترها . ووترها يترها ـ مثل وعد يعد ـ أى : علق عليها وترها

حتى إذا أتى بابها قال : لاتدخلُ رايتى مُنَكَّسة أبدا ، اهدموا الباب ، فهدم ، ثم دخلها ناصبا رايته ، فقال سيف بن ذى يزن الحميرى : —

يَظُنُّ النَّاس بِالْمَلِكَيْــــن أَنَّهُمَا قَدِ الْتَأَمَا (١)
وَمَنْ يَسْمَعْ بِلأَمِهِمَا * فانَّ الْخَطْبَ قَدْ فَقُمَا (٢)
قتَلْنَا الْقَيْلَ مَسْرُوقًا * وَرَوَّيْنَا الْكَثِيبَ دَمَا (٣)
وَإِنَّ الْقَيلَ قَيْلَ النَّا * سِ وَهْرِزَ مُقْسِمٌ قَسَمَا
يَذُوقُ مُشَعْشَعًا حَتَّى * يُفِيءَ السَّبْىَ وَالنَّعَمَا (٤)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات له ، وأنشدنى خَلَّادُ بن قُرَّةَ السَّدُوسيُّ آخرها بيتاً لأعشى بنى قيس بن ثعلبة فى قصيدة له ، وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له

قال ابن إسحق : وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى ، قال ابن هشام : وتروى لأمية بن أبى الصلت :

---

(١) التأما : اتفقا واصطلحا ، وأصله التئام الجرح
(٢) الخطب : الأمر العظيم ، وفقم : أى اشتد وعظم
(٣) القيل : الملك . والكثيب : القطعة من الرمل
(٤) « يذوق » يريد لايذوق ، وحرف النفى يحذف بعد القسم كثيرا ومنه قوله تعالى : « قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف » وقول امرىء القيس بن حجر الكندى :—

فَقُلْتُ يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا * وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِى لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي

والمشعشع : الشراب الممزوج بالماء ، ويفىء : يغنم ، ويروى نفىء — بالنون — والنعم : الابل

لِيَطْلُبِ الوِتْرَ أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزَنٍ * رَيَّمَ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالاَ (١)
يَمَّمَ قَيْصَرَ لَمَّا حَانَ رِحْلَتُهُ * فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَعْضَ الَّذِي سَالاَ (٢)
ثُمَّ انْثَنَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ عَاشِرَةٍ * مِنَ السِّنِينَ يُهِينُ النَّفْسَ وَالْمَالاَ
حَتَّى أَتَى بِبَنِي الْأَحْرَارِ يَحْمِلُهُمْ
إِنَّكَ عَمْرِي لَقَدْ أَسْرَعْتَ قِلْقَالاَ (٣)
لِلّٰهِ دَرُّهُمُ مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجُوا * مَا إِنْ أَرَى لَهُمُ فِي النَّاسِ أَمْثَالاَ
بِيضًا مَرَازِبَةً غُلْبًا أَسَاوِرَةً
أُسْدًا تُرَبِّبُ فِي الْغَيْضَاتِ أَشْبَالاَ (٤)
يَرْمُونَ عَنْ شُدُفٍ كَأَنَّهَا غُبُطٌ * بِزَمْخَرٍ يُعْجِلُ الْمَرْمِيَّ إِعْجَالاَ (٥)

---

(١) « الوتر » الثأر ، و « ريم » بتضعيف الياء ـ أى : أقام

(٢) « يمم » قصد ، و « قيصر » ملك الروم ، وقوله « سالا » مخفف « سأل » بالهمزة

(٣) « بنو الأحرار » أراد بهم الفرس ؛ و « القلقال » التحرك والسرعة

(٤) « مرازبة » جمع مرزبان ، وأصله وزير الفرس ، يريد أنهم ذوو رأى ؛ و « غلبا » جمع أغلب ، وهو الشديد القوى ، و « الأساورة » : جمع أسوار ـ بضم الهمزة أو كسرها ـ وهو قائد الفرس ، أو الجيد الرمى بالسهام ، أو الثابت على ظهر الفرس ، و « تربب » من التربيب ؛ وهو التربية ، ومثله تربت ـ بالتاء ـ وقوله « الغيضات » جمع غيضة ، وهى الشجر الملتف ، وهى مأوى السباع عادة ، و « الأشبال » جمع شبل ، وهو ابن السبع

(٥) « شدف » أراد بها القسى ، ويروى فى مكانه « يرمون عن عتل » والعتل : القسى الفارسية ؛ و « غبط » جمع غبيط ، وهو العود من عيدان الهودج ، شبه به القسى . و « الزمخر » أصله القصب اليابس ؛ وأراد به قصب النشاب ، وقوله « يعجل المرمى » يعنى أنه يسرع إلى قتله فلا يبقى عليه

أَرْسَلْتَ أُسْدًا عَلَى سُودِ الْكِلَابِ فَقَدْ
أَضْحَى شَرِيدُهُمُ فِي الْأَرْضِ فُلَّالَا (١)
فَاشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا
فِي رَأْسِ غُمْدَانَ دَارًا مِنْكَ مِحْلَالَا (٢)
وَاشْرَبْ هَنِيئًا فَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ
وَأَسْبِلِ الْيَوْمَ فِي بُرْدَيْكَ إِسْبَالَا (٣)
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ * شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا (٤)

قال ابن هشام: هذا ماصح له مما روى ابن إسحق منها، إلا آخرها بيتاقوله * تلك المكارم لاقعبان من لبن * فانه للنابغة الجعدى (٥)، واسمه

(١) فلال – بضم الفاء وتشديد اللام، بزنة رمان – جمع فل: وهم القوم المنهزمون، وتقول: فل القوم يفلهم، إذا هزمهم، فانفلوا وتفللوا، وروى ياقوت «أرسلت أسدا على بقع الكلاب» وبقع: جمع أبقع

(٢) «غمدان» بغين معجمة مضمومة بعدها ميم ساكنة – قصر عجيب الصنعة بين صنعاء وطيوة، وقول أبي ذر «غمدان بلد» غير صحيح

(٣) «شالت نعامتهم» أى: هلكوا، يقال: شالت نعامة الرجل، إذا مات، والاسبال: إرخاء الثوب، وهو من فعل المختالين ذوى الاعجاب بأنفسهم، فقد يراد به كما هنا الخيلاء والاعجاب

(٤) «قعبان» تثنية قعب، وهو قدح يحلب فيه، وقد جاء فى قوله «لاقعبان» على لغة قديمة للعرب، كانوا يلزمون المثنى الألف فى الأحوال كلها، و«شيبا» خلطا ومزجا

(٥) الذى ذكره ابن هشام قد حكاه جماعة من أهل الأدب منهم أبو الفرج فى الأغانى فى ترجمة النابغة الجعدى، لكن الذى فى معجم البلدان لياقوت فى الكلام على غمدان وفى خزانة الأدب للبغدادى نسبة هذا البيت لأبى الصلت كما ذكره صاحب الأصل

عبدالله(١) بن قيس أحد بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن فى قصيدة له .

عدى بن زيد يذكر الأحباش وجلاءهم عن اليمن

قال ابن إسحق : وقال عدى بن زيد الحيرِىّ ، وكان أحد بنى تميم ؛ قال ابن هشام : ثم أحد بنى امرىء القيس بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تميم ، ويقال : عدى من العِبَاد من أهل الحيرة : —

مَا بَعْدَ صَنْعَاءَ كَانَ يَعْمُرُهَا * وُلَاةُ مُلْكٍ جَزْلٍ مَوَاهِبُهَا (٢)

رَفَعَهَا مَنْ بَنَى لَدَى قَزَعِ الْـ * ـمُزْنِ وَتَنْدَى مِسْكاً مَحَارِبُهَا (٣)

مَحْفُوفَةٌ بِالْجِبَالِ دُونَ عُرَى الْـ * ـكَائِدِ مَا تُرْتَقَى غَوَارِبُهَا (٤)

يأْنَسُ فِيهَا صَوْتُ النَّهَامِ إِذَا * جَاوَبَهَا بِالْعَشِىِّ قَاصِبُهَا (٥)

---

(١) المعروف أن اسمه حبان بن عبد الله بن قيس ، وهو كذلك فى كتب الرجال ، وفى كثير من كتب الأدب ؛ وقال صاحب مهذب الأغانى : « اسمه حسان بن قيس بن عبد الله » اهـ وكذلك هو فى الأغانى ؛ واستدركه مصححو دار الكتب على نسخ الأصل كما ذكرنا أولا ، فارجع إلى ترجمته فى مطلع الجزء الخامس من طبعة الدار

(٢) « صنعاء » بلد مشهور باليمن ، و « ولاة ملك » يريد الذين يدبرون أمر الناس ويصلحونه ؛ و « جزل » أى : كثير

(٣) أصل « القزع » السحاب المتفرق ، و « المزن » السحاب ، و « محارب » جمع محراب ؛ وقياسه محاريب فحذف الياء كما حذفت من جمع مفتاح فى قوله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب) والمحراب : الغرفة المرتفعة

(٤) « غواربها » أعاليها ، و « ما ترتقى » يريد ما يستطيع الوصول إليها أحد

(٥) « النهام » الذكر من البوم ، وهو طائر يصيح بالليل ، و « القاصب » الذى يزمر فى القصب

سَاقَتْ إِلَيْهِ الْأَسْبَابُ جُنْدَ بَنِي الْـ * أَحْرَارِ فُرْسَانُهَا مَوَاكِبُهَا

وَفَوَّزَتْ بِالْبِغَالِ تُوسَقُ بِالْـ * حَتْفِ وَتَسْعَى بِهَا تَوَالِبُهَا (١)

حَتَّى رَآهَا الْأَقْوَالُ مِنْ طَرَفِ الْـ * مَنْقَلِ مُخْضَرَّةً كَتَائِبُهَا (٢)

يَوْمَ يُنَادُونَ آلَ بَرْبَرَ وَالْـيَكْسُومَ لاَ يُفْلِحَنَّ هَارِبُهَا

وَكَانَ يَوْمٌ بَاقِي الْحَدِيثِ وَزَا * لَتْ إِمَّةٌ ثَابِتٌ مَرَاتِبُهَا (٣)

وَبُدِّلَ الْفَيْجُ بِالزَّرَافَةِ وَالْأَيَّـامُ جُونٌ جَمٌّ عَجَائِبُهَا (٤)

بَعْدَ بَنِي تُبَّعٍ نَخَاوِرَةٍ * قَدِ اطْمَأَنَّتْ بِهَا مَرَازِبُهَا (٥)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له ، وأنشدنى أبو زيد [الأنصارى] ورواه لى عن المفضل الضبى قوله « يوم ينادون آل بربر واليكسوم » .وهذا الذى عنى سطيح بقوله : « يليه إرم بن ذى يزن ،

(١) « فوزت » قطعت المفازة ، وهى الصحراء ، و « توالبها » جمع تولب ، وأصله ولد الحمار ، أطلقه هنا على ولد البغل

(٢) « الأقوال » هم الملوك ، ومثله « الأقيال » و «المنقل» الأرض التى يكثر فيها النقل ، وهى الحجارة ، وقوله « كتائبها » هو جمع كتيبة ، وهى الجيش

(٣) « إمة » بكسر الهمزة ـ النعمة

(٤) « الفيج » بالجيم كما فى شرح أبى ذر ـ الذى يسير للسلطان بالكتب على رجليه ، و « الزرافة » الجماعة من الناس ، وهى أيضا حيوان معروف ، وقوله « جون » هو فى الأصول بالجيم وفى شرح أبى ذر بالخاء ، قال « خون : خائنة » وقوله « جم عجائبها » أى : كثيرة لا تنقضى

(٥) « النخاورة » بالنون والخاء ــ القوم الكرام ، و « المرازبة » الوزراء ، واحدهم مرزبان

يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحدا منهم باليمن » والذى عنى شق بقوله :
« غلام ليس بدنى ولا مدن ، يخرج عليهم من بيت ذى يزن » (١)

مدة ملك الحبشة اليمن وعدد ملوكهم

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن

قال ابن إسحق : فأقام وَهْرِزُ والفرس باليمن ، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن اليوم ، وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرسُ مسروقَ بن أبرهة وأخرجت الحبشةَ اثنين وسبعين سنة ؛ توارث ذلك منهم أربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة

مآل الفرس فى اليمن

قال ابن هشام : ثم مات وَهْرِزُ فأمَّر كسرى ابنَهُ المرزبانَ بن وَهْرز على اليمن ، ثم مات المرزبان فأمَّر كسرى ابنه التَّيْنُجَانَ بن المَرْزُبان على اليمن ، ثم مات التَّيْنُجَانُ فأمَّر كسرى ابنَ التَّيْنُجَان على اليمن ، ثم عزله وأمَّر باذانَ ، فلم يزل باذانُ عليها حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم

كسرى يحرض باذان على النبى صلى الله عليه وسلم

فبلغنى عن الزهرى أنه قال : كتب كسرى إلى باذانَ : إنه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبى ، فسِرْ إليه فاستَتِبْه: فان تاب وإلا فابعث إلى برأسه ، فبعث باذانُ بكتاب كسرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ الله قَدْ وَعدَنى أنْ يُقْتَلَ كِسْرَى فى يَوْمِ كذا وكذا من شهر كذا وكذا » فلما أتى باذانَ الكتابُ توقف لينظر ؛ وقال : إن كان نبيا فسيكون ماقال ، فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : قتل على يدى ابنه شِيرَوَيْهِ ، وقال خالد بن حِقٍّ الشيبانى : —

---

(١) انظر (ص ١٢ و١٣ و١٤ و٧٤ من هذا الجزء)

وَكِسْرَى إِذْ تَقَسَّمَهُ بَنُوهُ * بِأَسْيَافٍ كَمَا اقْتُسِمَ اللِّحَامُ (١)

تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ * أَنَى وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تِمَامُ (٢)

قال الزهرى : فلما بلغ ذلك باذانَ بعث باسلامه وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الرسل من الفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إلى من نحن يارسول الله ؟ قال : «أنتم منا وإلينا أهل البيت »

قال ابن هشام : فبلغنى عن الزهرى أنه قال : فمن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلمان منا أهل البيت » .

قال ابن هشام : فهو الذى عنى سطيح بقوله « نبى زكى ، يأتيه الوحى من قبل العلى » والذى عنى شِقّ بقوله : « بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل » (٣)

قال ابن إسحق : وكان فى حَجَر باليمن ، فيما يزعمون ، كتابٌ بالزَّبور كُتب فى الزمان الأول : « لمن مُلْكُ ذِمار ؟ لحمير الأخيار ، لمن ملك ذمار ؟

---

(١) قوله « إذ تقسمه بنوه — الخ » القاتل له ابنه شيرويه كما قال فى الأصل . ولكنه أضاف القتل إلى بنيه لأن بدء الشر كان بينه وبينهم ، وكان مقتله ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة ، فأسلم باذان باليمن فى سنة عشر ، وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأبناء يدعوهم إلى الاسلام

(٢) « أنى » قال أبو ذر : « أنى — بالنون — أى حان ، يقال : أنى (كرمى) وأنى (كرضى) وآن : ثلاث لغات بمعنى واحد فى معنى حان » اه

(٣) انظر (ص ١٢٣ و ١ و ٤١ و ٧٣ من هذا الجزء)

للحبشة الأشرار، لمن ملك ذِمار؟ لفارس الأحرار، لمن ملك ذِمار؟ لقريش التجّار» وذِمار: اليمن أو صنعاء.

قال ابن هشام: ذَمار — بالفتح — فيما أخبرني يونس

قال ابن إسحق: وقال الأعشى أعشى بنى قيس بن ثعلبة في وقوع ماقال سطيح وصاحبه: —

مَا نَظَرَتْ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظْرَتِهَا * حَقًّا كَمَا صَدَقَ الذِّئْبِيُّ إِذْ سَجَعَا(1)

---

(1) قبل هذا البيت: —

قَالَتْ أَرَى رَجُلاً فِي كَفِّهِ كَتِفٌ
أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ، لَهْفِي، أَيَّةً صَنَعَا
فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ
ذُو آلِ غَسَّانَ يُزْجِي الْمَوْتَ وَالشرعا

يريد زرقاء اليمامة، يقال: إنها كانت تبصر على بعد ثلاثة أيام، فأمر جيش غسان أن يخيلوا عليها: بأن يمسك كل واحد منهم نعلا كأنه يخصفها وكتفا كأنه يأكلها، وأن يجعلوا على أكتافهم أغصان الشجر، فلما أبصرتهم قالت لقومها: قد جاءتكم الشجر، أو قد غزتكم حمير، فقالوا لها: قد كبرت وخرفت، فلما كذبوها تشتت شملهم، واستبيحت بيضتهم، وفيها يقول النابغة الذبياني: —

وَاحكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ
إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
قَالَتْ أَلاَ لَيْتَمَا هَذا الْحَمَامَ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نِصْفَهُ فَقَدِ

وكانت العرب تقول لسطيح الذئبى؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب (١)

قال ابن هشام: وهذا البيت فى قصيدة للأعشى [واسم الأعشى: ميمون بن قيس].

قصة ملك الحضر

النعمان بن المنذر وعدى بن زيد

قال ابن هشام: وحدثنى خَلَّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدوسى، عن جَنَّاد، أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب، أنه يقال: إن النعمان بن المنذر من ولد سَاطِرون ملك الحَضْر، والحَضْر: حصن عظيم كالمدينة كان على شاطىء الفرات، وهو الذى ذكر عدى بن زيد فى قوله: —

وَأَخُو الحَضْرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دِجْـلَةُ تُجْبَى إِلَيْـهِ وَالخَـابُورُ
شَادَهُ مَرْمَراً وَخَلَّلَهُ كِلْـسـاً فَلِلطَّيْرِ فِى ذُرَاهُ وُكُورُ (٢)
لَمْ يَهَبْهُ رَيْبُ المَنُونِ فَبَانَ الْـمُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة (٣) له، والذى ذكره

---

(١) تقدم ذكر ذلك فى (ص ١١) من هذا الجزء فارجع إليه هناك

(٢) «شاده» بناه وأعلاه، وقوله «خلله» قال أبو ذر «كان الأصمعى يقول: هو بالخاء المعجمة لأن بناء الحجارة لا يلبس؛ وإنما يخلل بالجص بين حجر وحجر» اهـ؛ و «الكلس» ما طلى به الحائط من جص ونحوه

(٣) هى قصيدة طويلة؛ ومطلعها:

أَرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أَمْ بُكُورُ * أَنْتَ فَانْظُرْ لِأَىِّ حَالٍ تَصِيرُ
أَيُّهَا الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بِالدَّهْـرِ، أَأَنْتَ المُبَرَّأُ المَوْفُورُ؟
مَنْ رَأَيْتَ المَنُونُ خَلَّدْنَ أَمْ مَنْ * ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ
أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى المُلُوكِ أَنُوشِرْ * وَانَ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ؟

أبو دُوَاد الايادى (١) فى قوله : —

وَأَرَى المَوْتَ قَدْ تَدَلَّى مِنَ الْحَضْـــــرِ عَلَى رَبِّ أَهْلِهِ السَّاطِرُونِ (٢) النعمان وأبو داود الايادى

وهذا البيت فى قصيدةله ، ويقال : إنهالخلف الأحمر ، ويقال: [إنها لحماد الراوية .

وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرونَ ملك الْحَضْر فحصره سنتين ، فأشرفت بنتُ ساطرون يوما ، فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج ، وعلى رأسه تاج من ذهب مُكَلَّل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ وكان جميلا ، فدست إليه : أتتزوجُنى إن فتحتُ لك باب الْحَضْر ؟ فقال : نعم ، فلما أمسى ساطرونُ شرب حتى سكر ، وكان لايبيت إلا سكرانَ ، فأخذت مفاتيح باب الْحَضْر من تحت رأسه ، فبعثت بها مع مولى لها ، ففتح الباب ، فدخل سابور ، فقتل ساطرونَ واستباح الْحَضْر وخربه ، وسار بها معه ، فتزوجها ، فبينما هى نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تَمَلْمَلُ

وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّ * ومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمُ مَذْكُورُ

وأخو الحضر الخ ، وبعد هذه الأبيات الذى ذكرها ابن هشام قوله :

سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْـ * ـلِكُ وَالْبَحْرُ معرضٌ وَالسَّدِيرُ

فَارْعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ : وما غِبْـــــطَةُ حَيٍّ إِلَى المَمَاتِ يَصِيرُ !!

(١) سيأتى قريبا أن اسمه جارية بن الحجاج

(٢) بعده : -

صَرَعَتْهُ الْأَيَّامُ مِنْ بَعْدِ مُلْكٍ * وَنَعِيمٍ وَجَوْهَرٍ مَكْنُونِ

واسم الساطرون بالسريانية الملك

لاتنام ، فدعا لها بشمع ، فُفُتِّشَ فراشها ، فوجد عليه ورقة آس ، فقال لها سابور : أهذا الذى أسهرك ؟ قالت : نعم ، قال : فما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرش لى الديباج ، ويلبسنى الحرير ، ويطعمنى المخ ، ويسقينى الخمر ، قال : وكان جزاء أبيك ماصنعت به ؟ أنت إلىَّ بذلك أسرع ، ثم أمر بها ، فرُبِطَتْ قُرُونُ رأسها بذنب فرس ، ثم ركض الفرس حتى قتلها ، ففيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة : —

أَلَمْ تَرَ لِلْحَضْرِ إِذْ أَهْلُهُ بِنُعْمَى، وَهَلْ خَالِدٌ مَنْ نَعِمْ ؟!
أَقَامَ بِهِ شَاهَبُورُ الْجُنُو دَحَوْلَيْنِ تَضْرِبُ فِيهِ الْقُدُمْ (١)
فَلَمَّا دَعَا رَبَّهُ دَعْوَةً أَنَابَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَنْتَقِمْ

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

وقال عدى بن زيد فى ذلك : —

وَالْحَضْرُ صَابَتْ عَلَيْهِ دَاهِيَةٌ مِنْ فَوْقِهِ أَيِّدٌ مَنَاكِبُهَا (٢)
رَبِيَّةٌ لَمْ تُوَقِّ وَالِدَهَا لِحَينِهَا إِذْ أَضَاعَ رَاقِبُهَا (٣)
إِذْ غَبَقَتْهُ صَهْبَاءَ صَافِيَةً وَالْخَمْرُ وَهْلٌ يَهِيمُ شَارِبُهَا (٤)

---

(١) « القدم » جمع قدوم ، وهى الآلة التى يقطع بها النجار

(٢) « صابت عليه » أى : سقطت ونزلت ، يقال : صاب المطر يصوب ، إذا نزل ، و « أيد » بفتح الهمزة وتشديد الياء مكسورة - شديدة

(٣) « ربية » التى رباها والدها ، ويروى « ربته » يعنى صاحبته ، ويروى «زنية» على نسبتها إلى الزنى ، و« حينها » هلا كها ويروى « لخبها » بالخاء والباء الموحدتين — وهو المكر ، لأنها مكرت بأبيها ، و « راقبها » الذى يرقبها ويحرسها

(٤) «غبقته» سقته الغبوق ، والغبوق : شرب العشى ، و «الخمر وهل» أى : ضعف ، و « يهيم » يتحير

فَأَسْلَمَتْ أَهْلَهَا بِلَيْلَتِهَا تَظُنُّ أَنَّ الرَّئِيسَ خَاطِبُهَا
فَكَانَ حَظُّ الْعَرُوسِ إِذْ جَشَرَ الصُّبْحُ دِمَاءٌ تَجْرِي سَبَائِبُهَا (١)
وَخُرِّبَ الْحَضْرُ وَاسْتُبِيحَ وَقَدْ أُحْرِقَ فِي خِدْرِهَا مَشَاجِبُهَا (٢)

وهذه الأبيات فى قصيدة له

ذكر ولد نزار بن معد

ولد نزار بن معد ابن عدنان

قال إسحق : فولد نزار بن معد ثلاثة نفر : مضر بن نزار ، وربيعة ابن نزار ، وأنمار بن نزار

قال ابن هشام : وإياد بن نزار ، قال الحرث بن دَوْس الايادى ، ويروى لأبى دواد الايادى ، واسمه جارية بن الحجاج : —

وَفُتُوٌّ حَسَنٌ أَوْجُهُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدّ

وهذا البيت فى أبيات له

فأُمّ مضر وإياد : سَوْدَة بنت عَكّ بن عدنان ، وأم ربيعة وأنمار : شقيقة بنت عك بن عدنان ، ويقال : جمعة بنت عك بن عدنان

قال ابن إسحق : فأنمار أبو خَثْعَم و بَجيلة ، قال جرير بن عبد الله الْبَجَلِىّ وكان سيد بَجيلة ، وهو الذى يقول له القائل : —

لَوْلَا جَرِيرٌ هَلَكَتْ بَجِيلَهْ نِعْمَ الْفَتَى وَبِئْسَتِ الْقَبِيلَهْ

وهو ينافر الْفُرَافصة الكلبيّ (٣) إلى الأقرع بن حابس التميمى : —

(١) « جشر الصبح » أضاء وتبين نوره ، و « سبائبها » طرائقها

(٢) المشاجب : جمع مشجب ، وهو مايعلق عليه الثياب ، ومنه قول جابر « وإن ثيابى لعلى المشجب » ويروى « مساحبها » وهى القلائد فى العنق من قرنفل ونحوه

(٣) « ينافر الفرافصة » أى : يحاكمه ، مأخوذ من النفر ، كانوا

يَا أَقْرَعُ بْنَ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ ... إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعْ أَخُوكَ تُصْرَعُ

وقال : —

اِبْنَيْ نِزَارٍ ، انْصُرَا أَخَاكُمَا ... إِنَّ أَبِي وَجَدْتُهُ أَبَا كُمَا

لَنْ يُغْلَبَ الْيَوْمَ أَخٌ وَالاَكُمَا

وقد تيامنت فلحقت باليمن

قال ابن هشام : قالت اليمن : وبجيلة : أنمار بن إراش بن لِحيان ابن عمرو بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ ، ويقال : إراش بن عمرو بن لِحيان بن الغَوْث ، ودار بَجيلة وخَثْعم يمانية

أبناء مضر بن نزار

قال ابن إسحق : فولد مضر بن نزار رجلين : الياس بن مضر ، وعَيْلان بن مضر

قال ابن هشام : وأمهما جُرْهُمِيَّة

أبناء الياس بن مضر

قال ابن إسحق : فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر : مُدْركة بن الياس ، وطابخة بن الياس ، وقَمَعَة بن الياس ، وأمهم خِنْدِف ، امرأة من اليمن

إذا تنازع الرجلان منهم وادعى كل واحد منهما أنه أعز نفرا من صاحبه تحاكموا إلى الرجل الداهية منهم ، فمن فضل منهما قيل قد نفره عليه ، أى : فضل نفره على نفر الآخر ، ومن ذلك قول زهير : —

فَانَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ * يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءُ

والفراصفة بالفتح اسم للرجل وبالضم اسم للأسد ، وكل فرافصة فى أسماء العرب فهو مضموم الأول ، إلا الفرافصة صهر عثمان بن عفان رضى الله عنه والد نائلة زوجه فانه بالفتح ، قاله قوم منهم السهيلى

قال ابن هشام : خِنْدِف : بنت عمران بن إلحاف بن قضاعة

قال ابن إسحق : وكان اسم مُدْرِكة عامرا ، واسم طابخة عَمْرًا ، وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يَرْعَيَانها ، فاقتنصا صيدا ، فقعدا عليه يَطْبُخانه ، وعَدَتْ عادية على إبلهما فقال عامر لعمرو : أتدرك الابل أم تَطْبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ ، فلحق عامر بالابل فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : أنت مدركة ، وقال لعمرو : وأنت طابخة ، وأما قَمَعَة فيزعم نُسَّابُ مضر أن خُزَاعة من ولد عمرو بن لُحَىّ بن قَمَعَة بن الياس

قصة عمرو بن لحى وذكر أصنام العرب

عمرو بن لحى أول من بدل دين اسماعيل

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، قال : حُدِّثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رأيْتُ عَمْرَو بن لُحَيّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فى النَّارِ ، فسألتُهُ عَمَّنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَ : هَلَكُوا »

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمى ، أن أبا صالح السَّمَّان حدثه ، أنه سمع أبا هريرة ، (قال ابن هشام : واسم أبى هريرة عبد الله بن عامر ، ويقال : اسمه عبد الرحمن بن صخر) ، يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأَكْثَمَ بن الجَوْن الخزاعى : « ياأَكْثَمُ رأيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفَ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِى النَّارِ ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ ، وَلاَ بِكَ مِنْهُ » فقال أَكْثَم : عسى أن يَضُرَّنى شَبَهُهُ يارسول الله ، قال : « لاَ ، إنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ ، إنه كَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إسْمٰعِيلَ : فَنَصَبَ الْأَوْثَانَ ، وَبَحَرَ الْبَحِيرَةَ ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ ، وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ ، وَحَمَى الْحَامِيَ »

هبل أول صنم نصب بمكة

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أن عمرو بن لحى خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره ، فلما قدم مَآبَ من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق — وهم ولد عِمْلاَقَ ، ويقال : عمليق ، بن لاوذ بن سام بن نوح — رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ماهذه الأصنام التى أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها فَنَسْتَمْطِرها فتُمْطِرنا ، ونَسْتَنْصِرها فتَنْصُرنا ، فقال لهم : أفلا تعطوننى منها صنمًا فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه ؟ فأعطَوْهُ صنما يقال له هُبَلُ ، فقدم به مكة ، فنَصَبه ، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه .

أول الاسباب لعبادة الاصنام

قال ابن إسحق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسمعيل أنه كان لايَظْعَنُ من مكة ظاعن منهم ، حين ضاقت عليهم ، والتمسوا الفُسَحَ فى البلاد ، إلاّ حَمَل معه حَجَرا من حجارة الحرم تعظيماً للحرم فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون مااستحسنوا من الحجارة ، وأعجبهم ، حتى خَلَفَت الخُلُوفُ ونَسُوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسمعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسّكون بها ، من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج ، والعمرة ، والوقوف على عرفة والْمُزْدَلِفة وهَدْى البُدْنِ ، والإهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ماليس منه ، فكانت كِنَانة وقريش إذا أهلّوا قالوا : لَبَّيْكَ اللّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لبيك لاشريك لك إلاشريك هولك ، تملكه وماملك ؛ فيوحّدون بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده ، يقول الله تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه

بقايا دين ابراهيم عند العرب ، وبعض ما أدخلوفيه

وسلم (١٢ : ١٠٦) : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ)
أي :مايوحدونني لمعرفة حقي إلا جعلوا معي شريكا من خلقي

أصنام قوم نوح

وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عَكَفُوا عليها قَصَّ الله تبارك وتعالى خبرها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (٧١ : ٢٣—٢٤) « وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَتَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا »

بعض أصنام العرب وذكر من اتخذها منهم

سواع وود

فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسمعيل وغيرهم وَسَمَّوْا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل هُذَيْلَ بن مدركة بن الياس بن مضر ، اتخذوا سُواعا وكان لهم برُهَاطَ ، وكلبُ بن وَبْرَة من قضاعة ، اتخذوا وَدًّا بدُومَةِ الْجَنْدَلِ .

قال ابن إسحق : وقال كعب بن مالك الأنصاري : —

وَنَنْسَى اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَوَدًّا * وَنَسْلُبُهَا الْقَلاَئِدَ وَالشُّنُوفَا

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله

قال ابن هشام : وَكَلْبُ بن وَبْرَة بن تَغْلب بن حُلْوان بن عِمْران ابن إلحاف بن قضاعة

يغوث

قال ابن إسحق : وأَنْعم من طيء وأهلُ جُرَشَ من مَذْحِج اتخذوا يَغُوثَ بجُرَشَ

قال ابن هشام : ويقال : بل أَنْعم ؛ وطيء : ابن أُدَدَ بن مالك ، ومالك : مَذْحج بن أُدَدَ ، ويقال : طيء : ابن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ

يعوق

قال ابن إسحق : وخَيْوَان بطن من هَمْدَان اتخذوا يَعُوقَ بأرض هَمْدَان من أرض اليمن

قال ابن هشام : اسم هَمْدَان أَوْسَلَةُ بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أَوْسَلَةَ بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ويقال : أَوْسَلَة ابن زيد بن أَوْسَلَةَ ابن الخيار .

قال ابن هشام : وقال مالك بن نَمَط الهَمْدَانى

يَرِيشُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَيَبْرِى * وَلاَ يَبْرِى يَعُوقُ وَلاَ يَرِيش (١)

وهذا البيت فى أبيات له

ويقال : همدان بن أَوْسَلة بن ربيعة بن مالك بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ (٢)

نسر قال ابن إسحق : وذو الكُلاَع من حمير اتخذوا نَسْرًا بأرض حمير وكان لِخَوْلاَن صنم يقال له عُمْيَانِس (٣) بأرض خَوْلاَن ، يَقْسِمون

عميانس له من أنعامهم وحُرُوثهم قِسْماً بينه وبين الله بزعمهم ، فما دخل فى حق عُمْيَانِسَ من حق الله تعالى الذى سَمَّوْه له تركوه له ، وما دخل فى حق الله تعالى من حق عُمْيَانِسَ رَدُّوه عليه ، وهم بطن من خَوْلاَن يقال لهم الأديم ، وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون (٦ : ١٣٦) (وَجَعَلُوا لِلهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هٰذَا لِلهِ بِزَعْمِهِمْ وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِلهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

---

(١) هو من « رشت السهم » و « بريته » ثم استعير للنفع والضر ، ومن ذلك قول الشاعر :

فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي * وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلاَ يَبْرِي

(٢) ظاهر أن حق هذه العبارة الاتصال بنسب همدان قبل إنشاد البيت

(٣) فى كافة الأصول « عم أنس » وما أثبتناه عن كتاب « الأصنام » لابن الكلبي

نسب خولان قال ابن هشام : خَوْلاَن : ابن عمرو بن إلحاف بن قضاعة ، ويقال : خَوْلاَن : ابن عمرو بن مُرَّة بن أُدَدَ بن زَيْد بن مِهْسَع بن عمرو بن عريب ابن زَيْد بن كَهْلان بن سبأ ، ويقال : خولان : ابن عَمْرو بن سَعْد الْعَشيرة ابن مَذْحج

سعد قال ابن إسحق : وكان لبنى مِلْكَان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر صَنَمٌ يقال له سَعْد ، صخرة بفَلاَةٍ من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل من بنى مِلْكَان بإبلٍ له مُؤَبَّلة [١] ليقفها عليه ، التماس بركته ، فيما يزعم ، فلما رأته الإبل ، وكانَتْ مَرْعِيَّةً لاتُركب ، وكان يُهْرَاقُ عليه الدماء ؛ نَفَرَتْ منه ، فذهبت فى كل وجه ، وغَضِبَ ربها المِلْكَانِىُّ ، فأخذ حَجَرًا فرماه به ، ثم قال : لا باركَ الله فيك ، نَفَّرْت علىَّ إبلى ، ثم خرج فى طلبها حتى جمعها فلما اجتمعت له قال : —

أَتَيْنَا إِلَى سَعْدٍ لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا * فَشَتَّتَنَا سَعْدٌ فَلاَ نَحْنُ مِنْ سَعْدِ

وَهَلْ سَعْدُ إِلاَّ صَخْرَةٌ بِتَنُوفَةٍ
مِنَ الْأَرْضِ لاَ يَدْعُو لِغَيٍّ وَلاَرُشْدِ [٢]

وكان فى دَوْسٍ صنمٌ لعمرو بن حُمَمَة الدَّوْسِى

نسب دوس قال ابن هشام : سأذكر حديثه فى موضعه إن شاء الله ، ودَوْس : ابن عدثان [٣] بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحرث بن كعب بن

---

(١) الابل المؤبلة : هى الكثيرة المتخذة للاكتساب ، لا للركوب

(٢) التنوفة — بفتح التاء — القفر الذى لاينبت شيئا

(٣) فى أصول الكتاب « د ـ س ابن عدنان » وكذلك هو القاموس ، وذكر شارحه أن صوابه بالثاء.

عبد الله بن مالك بن نضر بن الأسْد بن الغوث ، ويقال : دوسٌ : ابنُ عبد الله بن زهران بن الأسد بن الغوث

هبل

قال ابن إسحق : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جَوْف الـكعبة يقال له هُبَل

قال ابن هشام : سأذكر حديثه إن شاء الله فى موضعه

اساف ونائلة

قال ابن إسحق : واتخذوا إِسَافاً ونَائلة على موضع زَمْزَم ، ينحرون عندها ، وكان إِسَافٌ ونائلة رجلا وامرأة من جرهم ، هو إِسَافُ بن بَغْي ، ونائلة بنت دِيك ، فوقع إساف على نائلة فى الـكعبة ، فمسخهما الله حَجَرَيْن

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عَمْرَة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زُرَارة أنها قالت : سمعت عائشة رضى الله عنها تقول : مازلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحْدثا (١) فى الـكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين ، والله أعلم .

قال ابن إسحق : وقال أبو طالب : —

وَحَيْثُ يُنيخُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ * بِمُفْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى (انظر ص ٢٨٦ من هذا الجزء) .

مقدار تعظيم العرب للاصنام

قال ابن إسحق : واتخذ أهل كل دار فى دارهم صَنَماً يعبدونه ، فاذا أراد الرجل منهم سفرًا تَمَسَّحَ به حين يركب ، فكان ذلك آخِرَ مايصنع

---

(١) تريد الحدث الذى هو الفجور ؛ كما قال عليه السلام « من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله »

حين يتوجَّه إلى سفره ، و إذا قَدم من سفره تمسَّحَ به فكان ذلك أولَ ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله

فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش : أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هذا لشيء عُجَاب ،[1] و كانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طَوَاغيتَ[2] ، وهى بيوتٌ تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سَدَنَةٌ وحُجَّاب[3] ، وتُهدِى إليها كما تُهْدِى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها ، وتَنْحَر عندها ، وهى تعرف فضل الكعبة عليها ؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده

تعظيم العرب طواغيتهم

وكانت لقريش و بنى كنانة العُزَّى[4] بنَخْلَة ، و كان سَدَنَتُها وحُجَّابُها بنى شَيْبان من سُلَيْم حلفاءَ بنى هاشم

العزى

---

(١) قد حكى الله تعالى ذلك عنهم فى سورة (ص) الآية (٥)

(٢) الطواغيت : جمع طاغوت ، وهو كل رأس ضلال ، والأصنام وكل ما عبد من دون الله ، ووزنه فلعوت من الطغيان

(٣) السدنة : جمع سادن ، وهو من يخدم بيت الصنم ، أو من يخدم الكعبة ، وفعله سدن سدنا — بفتح السين وسكون الدال — وسدانة — بفتح السين أيضا — والحجاب : جمع حاجب ، وهو البواب ، وفعله حجب حجابة — بكسر الحاء —

(٤) « العزى » قال ابن الكلبى (ص ١٨) : « كانت بواد من نخلة الشآمية يقال له حراض ، بإزاء الغمير ، عن يمين المصعد إلى العراق من مكة ، وذلك فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال ، فبنى عليها بيت وكانوا يسمعون فيه الصوت . وكانت العرب وقريش تسمى بها عبد العزى وكانت أعظم الأصنام عند قريش ، وكانوا يزورونها ، ويهدون لها ، ويتقربون عندها بالذبح » اه ، وقال ياقوت : « نخلة الشامية : واديان لهذيل على ليلتين من مكة يجتمعان ببطن مر وسبوحة ، وهو واد يصب

قال ابن هشام : حلفاء بنى أبى طالب خاصة ، وسُلَيم : سُلَيم بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان

قال ابن إسحق : فقال شاعر من العرب : —

لَقَدْ أُنْكِحَتْ أَسْماءُ رَأْسَ بُقَيْرَةٍ
مِنَ الْأُدْمِ أَهْدَاهَا امْرُؤٌ مِنْ بَنِي غَنْمِ (١)
رَأَى قَدَعًا فِي عَيْنِهَا إِذْ يَسُوقُهَا
إِلَى غَبْغَبِ الْعُزَّى فَوَسَّعَ فِي الْقَسْمِ (٢)

من الغمير ، واليمانية تصب من قرن المنازل ، وهو على طريق اليمن ، مجتمعهما البستان ، وهو بين مجامعهما ، فاذا اجتمعتا كانتا واديا واحدا فيه بطن مر » اهـ

(١) « رأس بقيرة » روى ابن الكلبي وناشر ديوان أبى خراش فى مكان هذه الكلمة « لحى بقيرة » واللحى — بفتح فسكون — عظم الحنك الذى عليه الأسنان ، وقوله « من بنى غنم » هو غنم بن فراس من كنانة

(٢) « قدعا » بالقاف والدال المهملة — السّدر فى العينين ، وقيل : هو انسلاق العين من كثرة البكاء ، ويروى «قذعا» بالذال المعجمة — وهو البياض ، و « غبغب العزى » ذكر ابن الكلبي أنه اسم مكان معين ، قال « وكان لها منحر ينحرون فيه الهدايا يقال له الغبغب ؛ ولغبغب يقول نهيكة الفزارى لعامر بن الطفيل : —

يَاعَامِ لَوْ قَدَرَتْ عَلَيْكَ رِمَاحُنَا وَالرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى فَالْغَبْغَبِ

وله يقول قيس بن منقذ بن عبيد بن ضاطر بن حبشية بن سلول : —

تَلَيْنَا بِبَيْتِ اللهِ أَوَّلَ حَلْفَةٍ وَإِلَّا فَأَنْصَابٍ يَسُرْنَ بِغَبْغَبِ

اهـ كلام ابن الكلبي : لكن الذى فى اللسان هكذا : «الغبغب : المنحر بمنى ، وقيل : الغبغب : نصب كان يذبح عليه فى الجاهلية ، وقيل : كل مذبح بمنى غبغب

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هَدْياً قَسَمُوه فيمن حَضَرهم ، والغَبْغَبُ : المَنْحَرُ ومُهَرَاقُ الدِّمَاءِ [١]

قال ابن هشام : وهذان البيتان لأبى خِرَاشٍ [٢] الهذلى ، واسمه خُوَيْلِدُ بن مُرَّة فى أبيات له ، والسَّدَنة : الذين يقومون بأمر الكعبة ، قال رؤبة بن العجاج : —

فَلاَ وَرَبِّ الْآمِنَاتِ الْقُطَّنِ   بِمَحْبِسِ الْهَدْيِ وَبَيْتِ الْمَسْدَنِ [٣]

وهذان البيتان فى أرجوزة له [٤] وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه .

وقيل : الغبغب الموضع الذى كان فيه اللات بالطائف » اه ، وذكر ابن الأثير المعنى الأول والمعنى الآخر فيما نقلناه عن اللسان . وقول الشاعر : « فوسع فى القسم » أى : أكثر فى الأنصباء ، وروى فى مكانه « فوضع » بالضاد المعجمة

(١) « والمنحر » مكان النحر ، و « مهراق الدماء » مكان إراقتها

(٢) قد راجعت ديوان أبى خراش الهذلى المطبوع فى أوروبا فلم أجد هذين البيتين فيه ، ولكن ناشر الديوان أضافهما إلى الملحق الذى ذكر فيه ما ينسب إلى أبى خراش مما ليس فى ديوانه ، وفى هوامش المرحوم أحمد زكى باشا على كتاب الأصنام لابن الكلبى أنه راجع النسخة الخطية لشعر الهذليين فلم يجد البيتين

(٣) « الآمنات القطن » يعنى بها حمام مكة ، والقطن : المقيمات ؛ جمع قاطنة ، ويقال : قطن بالمكان ، إذا أقام فيه ، و « محبس الهدى » مكان حبسه ، وهو الحرم . و « المسدن » السدانة

(٤) هما بيتان على اعتبار أنهما من مشطور الرجز . والبيتان من أرجوزة طويلة لرؤبة يمدح بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، وهما مذكوران فى ديوان رجزه (ص ١٦٣) وبينهما بيت لم يذكره ابن هشام

اللات قال ابن إسحق : وكانت اللاتُ لثقيف (١) بالطائف ، وكان سَدَنَتَها وحُجَّابها بَنى مُعَتِّب (٢) من ثقيف

قال ابن هشام : وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه

مناة قال ابن إسحق : وكانت مَنَاةُ للأَوْس والخزرج (٣) ، ومن دَانَ بدينهم من أهل يثرب ، على ساحل البحر من ناحية الْمُشَلَّل بِقُدَيْد (٤)

قال ابن هشام : وقال الكُمَيْت بن زَيْدأحدُ بنىأسد بن خزيمة بن مُدْرِكة : —

وَقَدْ آلَتْ قَبَائِلُ لاَتُوَلِّى مَنَاةَ ظُهُورَهَا مُتَحَرِّفِينَا

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن هشام : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها أبا سُفْيان ابن حَرْبٍ فهَدَمها ، ويقال : على بن أبى طالب

---

(١) قال ابن الكلبى (ص ١٦) : « واللات بالطائف . وهى أحدث من مناة ، وكانت صخرة مربعة ، وكان يهودى يلت السويق عندها » اه ثم يقول : « وكانت قريش وجميع العرب تعظمها » اه

(٢) الذى فى الأصنام لابن الكلبى : « وكان سدنتها من ثقيف بنوعتاب ابن مالك ، وكانوا قد بنوا عليها بناء » اه

(٣) قال ابن الكلبى : « أقدم الأصنام كلها مناة ، وقد كانت العرب تسمى عبد مناة وزيد مناة ، وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد ، بين المدينة ومكة ، وكانت العرب جميعا تعظمه وتذبح حوله ، وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له » اه

(٤) المشلل : جبل يهبط منه إلى قديد ، وقديد : موضع قرب مكة .

ذو الخلصة

قال ابن إسحق : و كان ذو الْخَلَصة (١) لدَوْس وخَثْعم و بَجِيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتَبَالَة

قال ابن هشام : ويقال : ذو الْخُلُصَة ، قال رجل من العرب : —

لَوْ كُنْتَ يَاذَا الْخُلَصِ الْمَوْتُورَا مِثْلِي وَكَانَ شَيْخُكَ الْمَقْبُورَا

لَمْ تَنْهَ عَنْ قَتْلِ الْعُدَاةِ زُورَا

قال : و كان أبوه قُتل ، فأراد الطلب بثأره ، فأتى ذا الْخَلَصَة فاستَقْسَم عنده بالأزْلاَم ، فخرج السَّهمُ بنهيه عن ذلك ، فقال هذه الأبيات ، ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حُجْرٍ الكندىّ (٢)

فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جرِيرَ بْنَ عبدالله الْبَجَلىّ فهدمه .

فلس صنم طي

قال ابن إسحق : وكان فَلْس (٣) لطيء ومن يليها بجبَلَىْ طيء يعنى سَلْمَى وأَجَأ (٤)

---

(١) قال ابن الكلبي : « ومن الأصنام ذو الخلصة ، وكان مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج ، وكانت بتبالة ، بين مكة واليمن ، على مسيرة سبع ليال من مكة ، وكان سدنتها بنو أمامة من باهلة بن أعصر ، وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن » اه

(٢) يقال إن امرأ القيس — حين وترته بنو أسد بقتل أبيه — استقسم عند ذى الخلصة بثلاثة أزلام ، فلما خرج له السهم المسمى بالزاجر سب الصنم ورماه بالحجارة ، وقال له : اعضض بظر أمك ، وقول الراجز « لم تنه عن قتل العداة زورا » منصوب على الحال ، أو على أنه مفعول مطلق لأنه من معنى الفعل الذى قبله

(٣) ضبطه ناشر الأصنام بفتح فسكون ، وضبطه الحازمى بضم فسكون وضبطه ياقوت بضم الفاء واللام جميعا ، وضبطه فى القاموس بالكسر

(٤) قال ابن الكلبي (ص ٥٩) : « كان لطيء صنم يقال له الفلس ، وكان

قال ابن هشام : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليها عليَّ بن أبي طالب فهدَمَهَا ، فوجد فيها سَيْفَيْن يقال لأحدهما الرَّسُوب وللآخر المِخْذَم ، فأتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبهما له ، فهما سيفا على رضى الله عنه (١)

رئام قال ابن إسحق : وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له رِئام

قال ابن هشام : قد ذكرت حديثه فيما مضى (٢)

رضاء قال ابن إسحق : وكان رُضَاء (٣) بيتا لبني رَبيعة بن كعب بن

أنفا أحمر فى وسط جبلهم الذى يقال له أجأ ، أسود كأنه تمثال إنسان ، وكانوا يعبدونه : ويهدون إليه ، ويعترون عنده عتائرهم ، ولا يأتيه خائف إلا أمن عنده ، ولا يطرد أحد طريدة فيلجأ بها إليه إلا تركت له ولم تخفر حويته ، وكانت سدنته بنو بولان ، وبولان هو الذى بدأ بعبادته ؛ فكان آخر من سدنه منهم رجل يقال له صيفى » اه

(١) الذى فى كتاب الأصنام (ص١٥) أن هذين السيفين كانا عند مناة ؛ وحكى ما قاله ابن هشام بقوله « ويقال : إن عليا وجد هذين السيفين فى الفلس » اه ، وقال بعد ذكر مناة وما نزل فيها من القرآن : «بعث النبى صلى الله عليه وسلم عليا إليها فهدمها وأخذ ما كان لها ، فأقبل به إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك غسان أهداهما لها أحدهما يسمى مخذما ، والآخر رسوبا ، وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة فى شعره ، فقال :

مُظَاهِرُ سِرْبَالَيْ حَدِيدٍ عَلَيْهِمَا . عَقِيلاَ سُيُوفٍ مِخْذَمٌ وَرَسُوبُ

فوهبهما النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه . فيقال : إن ذا الفقار سيف على أحدهما » اه ومثل ذلك فى معجم ياقوت .

(٢) أرجع الى (ص٢٤) من هذا الجزء

(٣) ذكره ابن الكلبى «رضى» بضم الراء مقصورا . والصواب أنه ممدود

سعد بن زَيْد مناة بن تميم ، ولها يقول الْمُسْتَوْغِر[1] بن ربيعة بن كعب بن سعد — حين هدمها فى الاسلام — :

وَلَقَدْ شَدَدْتُ عَلَى رُضَاء شَدَّةً ... فَتَرَكْتُهَا قَفْرًا بِقَاعٍ أَسْحَمَا

المستوغر بن ربيعة أحد المعمرين

قال ابن هشام : قوله « فتركتها قفرًا بقاع أسحما » عن رجل من بنى سعد[2] ، ويقال : إن المستوغر عُمِّر ثلثمائة سنة وثلاثين سنة ، وكان أطولَ مُضَرَ[3] كلِّها عمرا ، وهو الذى يقول : —

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا ... وَعَمَرْتُ مِنْ عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينَا

مِائَةٌ حَدَتْهَا بَعْدَهَا مِائَتَانِ لِيْ ... وَازْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سِنِينَا

هَلْ مَا بَقِى إِلاَّ كَمَا قَدْ فَاتَنَا ... يَوْمٌ يَمُرُّ وَلَيْلَةٌ تَحْدُونَا

---

(١) «المستوغر» : اسمه عمرو بن ربيعة . وإنما سمى المستوغر لقوله : —

يَنِشُّ الْمَاءُ فِى الرَّبَلَاتِ مِنْهَا ... نَشِيشَ الرَّضْفِ فِى اللَّبَنِ الْوَغِيرِ

(٢) يشير بذلك إلى أن هذا الجزء من البيت قد روى على نحو آخر . وهاكه برواية ابن الكلبى مع بيت آخر بعده : —

وَلَقَدْ شَدَدْتُ عَلَى رُضَاء شَدَّةً ... فَتَرَكْتُهَا تَلاًّ تُنَازِعُ أَسْحَمَا

وَدَعَوْتُ عَبْدَ اللهِ فِى مَكْرُوهِهَا ... وَلِمِثْلُ عَبْدِ اللهِ يَغْشَى الْمَحْرَمَا

وقال أبو ذر : «القاع» : المنخفض من الأرض . والأسحم : الأسود » اه

(٣) ذكر بعضهم أن المستوغر حضر سوق عكاظ ومعه ابن ابنه . وقد هرم ، وجده يقوده ، فقال له رجل : ارفق بهذا الشيخ فقد طالما رفق بك . فقال : ومن تراه ؟ قال : هو أبوك أو جدك . فقال : ما هو إلا ابن ابنى . فقال : ما رأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة ! ! فقال : أنا المستوغر . وذكر هذه الأبيات ، وانظر كتاب «المعمرين» لأبى حاتم السجستانى

و بعض الناس يروى هذه الأبيات لزُهَيْر بن جنَاب الـكلبي (١)

ذو الكعبات صنم بكر وتغلب وإياد

قال ابن إسحق : وكان ذو الـكَعَبَات لبـكرٍ (٢) وتغلب ابنى وائل وإيادٍ ، بِسَنْدَادَ ، (٣) وله يقول أعشي بنى قَيْس بن ثَعْلَبة : —

بَيْنَ الخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقٍ وَالبَيْتِ ذِي الـكَعَبَاتِ مِنْ سِنْدَادِ (٤)

---

(١) هو من المعمرين أيضا كالمستوغر بن ربيعة . ومن شعره لبنيه : —

أَبَنِيَّ ، إنْ ، أهلِكْ فإنِّ ى قَدْ بَنَيْتُ لَـكُمْ بَنِيَّهْ

وَتَرَ كْتُـكُمْ أَبْنَاءَ سَا دَاتٍ زِنَادُهُمُ وَرِيَّهْ

مِنْ كُلِّ مَانَالَ الفَتَى قَدْ نِلْتُهُ إلاَّ التَّحِيَّهْ

وقوله «إلا التحية» كناية عن أنه لم يتول الملك . فان الناس يحيون الملوك بالتحيات الطيبات

(٢) لم يذكر ابن الكلبي هذا الصنم ، وذكره السيد المرتضى فى تاج العروس . قال المجد فى القاموس : « والـكعبات أوذو الـكعبات : بيت كان لربيعة ، كانوا يطوفون به » اه

(٣) «سنداد» بسين مكسورة أو مفتوحة بعدها نون ساكنة فدال مهملة — منازل لاياد أسفل سواد الكوفة ، وراء نجران الكوفة

(٤) قال أبو ذر : «الخورنق والسدير وبارق : هذه كلها أسماء مواضع . وقوله والبيت ذى الـكعبات : يريد التربيع . وكل بناء يبنى مربعا فهو كعبة . وبه سميت الـكعبة . وسنداد موضع بناحية الـكوفة» اه . وأقول : الخورنق — بزنة سفرجل — قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ليـكون ولده فيه عنده ، وكان بناه للنعمان رجل اسمه سنمار ، بناء عجيبا لم ير الناس مثله ، فخشى أن يبنى لغيره على غراره أو أحسن منه فرماه من أعلاه ، فمات . وبه تضرب العرب المثل فى سوء المجازاة ، فيقولون : جزانى جزاء سنمار ، وأما السدير فقد اختلف العلماء فى تفسيره . فقال الليث : نهر بالحيرة ، وقال العمرانى موضع معروف بالحيرة ، وقيل : قصر قريب من الخورنق كان النعمان

قال ابن هشام : وهذا البيت للأسود (١) بن يَعْفُر النَّهْشَلي؛ نَهْشَل : ابن دارم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد مناة بن تميم ، فى قصيدة له ، وأنْشَدَنيه أبو مُحْرِز خلفٌ الأحمر : —

أَهْلَ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقٍ وَالْبَيْتِ ذِى الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ

أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى

السائبة فى رأى ابن إسحق

قال ابن إسحق : فأما الْبَحِيرة فهى بنت السَّائِبة ، والسائبة : الناقة إذا تابعت بين عَشْر إناث ليس بينهن ذَكَر سُيِّبَتْ ، فلم يُرْكب ظَهْرُها ، ولم يُجَزّ وَبَرُها ، ولم يَشْرب لبنَها إلا ضيفٌ

البحيرة فى رأى ابن اسحق

فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقَّت أذنها ، ثم خُلِّى سبيلها مع أمها ، فلم

الأكبر اتخذه لبعض ملوك العجم . وأما بارق فقيل : ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة وهو من أعمال الكوفة . وقيل : جبل نزله سعد بن عدى ابن حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرىء القيس ابن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، وهو بتهامة أو اليمن . وانظر معجم البلدان فى هذه المواد .

(١) هو منسوب إلى الأسود بن يعفر فى غير موضع من معجم البلدان ، وهو من قصيدة له يقول فيها : —

وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَإِنْ تَطَاوَلَ بِى الْمَدَى أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِى الْأَعْوَادِ
مَاذَا أُؤَمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
نَزَلُوا بِأَنْقِرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمُ مَاءُ الْفُرَاتِ يَجِىءُ فِى أَطْوَادِ

أهل الخورنق ، الخ ، ومنها : —

جَرَتِ الرِّيَاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
وَأَرَى النَّعِيمَ وَكُلَّ مَا يُلْهَى بِهِ يَوْماً يَصِيرُ إِلَى بِلًى وَنَفَادِ

يُرْكب ظَهْرُها ، ولم يُجَزَّ وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، كما فعل بأمها ، فهى البحيرة بنت السائبة

الوصيلة فى رأى ابن اسحق

والوَصِيلة : الشاة إذا أَتْأَمَتْ (١) عَشْرَ إناث متتابعات فى خَمْسَةِ أبْطُنٍ ليس بينهنّ ذَكَر جُعلت وصيلة ، قالوا : قد وَصَلت ، فكان ماولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شىء فيشتركوا فى أكله ، ذكورُهم وإناثهم

قال ابن هشام : ويروى فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم

الحامى فى رأى ابن اسحق

قال ابن إسحق : والحامى : الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حَمَى ظهره : فلم يُرْكب ظهره ، ولم يُجَزّ وبره ، وخُلِّى فى إبله يَضْرِب فيها ، لا يُنْتفع منه بغير ذلك

انكار ابن هشام عليه

قال ابن هشام : وهذا [كله] عند العرب على غير هذا ، إلا الحامى فانه عندهم على ماقال ابن إسحق

البحيرة عند ابن هشام

والبحيرة عندهم : الناقه تُشَقّ أذنها ، فلا يُرْكب ظهرها ، ولا يُجَز وبرها ، ولا يشرب لبنها إلا ضيفٌ ، أو يُتَصَدق به ، وتهمل لآلهتهم

السائبة عند ابن هشام

والسائبة : التى يَنْذر الرجل أن يسيبها إن برىء من مرضه ، أو إن أصاب أمرا يطلبه ، فاذا كان ذلك أسَاب ناقة من إبله أو جملا لبعض آلهتهم فسَابَتْ فرَعَتْ لاينتفع بها .

الوصيلة عند ابن هشام

والوصيلة : التى تلد أمها اثنين فى كل بطن ، فيجعل صاحبُها لآلهته

---

(١) « أتأمت » أى : جاءت باثنين فى بطن واحد ، مأخوذ من « التوءم » وهو الذى يولد مع غيره

الاناث منها ، ولنفسه الذكور ، فتلدها أمها ومعها ذكر فى بطن ، فيقولون : « وصلت أخاها » فيُسَيَّب أخوها معها فلا ينتفع به

قال ابن هشام : حدثنى به يونس بن حَبيبٍ النحوىّ وغيرُه ، روى بعضٌ مالم يَرْوِ بعضٌ

قال ابن إسحق : فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أنزل عليه (٥ : ١٠٣) : (مَاجَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَحَامٍ ، وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْـكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَيَعْقِلُونَ) وأنزل الله تعالى (٦ : ١٣٩) : (وَقَالُوا مَافِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ، وَإِنْ يَـكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ، سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَـكِيمٌ عَلِيمٌ) وأنزل عليه (١٠ : ٥٩) : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَـكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ آللهُ أَذِنَ لَـكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ) وأنزل عليه : (٦ : ١٤٣ — ١٤٤) (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لاَيَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

قال ابن هشام : قال الشاعر : —

حَوْلَ الْوَصَائِلِ فِي شُرَيْفٍ حِقَّةٌ
وَالْحَامِيَاتُ ظُهُورَهَا وَالسُّيَّبُ (١)

(١) « الوصائل » هو هكذا فى رواية الخشنى ، وهى جمع وصيلة .

وقال تميم بن أُبَىّ [بن] مُقْبل أحدُ بنى عامر بن صَعْصَعة : —

فِيهِ مِنَ الأَخْرَجِ المِرْبَاعِ قَرْقَرَةٌ
هَدْرَ الدِّيَافِىِّ وَسْطَ الهَجْمَةِ البُحُرِ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

وجمع بحيرة بَحَائر وبُحُر ، وجمع وصيلة وصائل ووُصُل ، وجمع سائبة الأكثر سَوَائب وسُيَّب ، وجمع حام الأكثر حَوَامٍ

نسب خزاعه

قال ابن إسحق : وخزاعة تقول : نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن ،

قال ابن هشام : وتقول خُزاعة : نحن بنو عَمْرو بن ربيعة بن حارثة ابن عَمْرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثَعْلَبة بن مازن بن

وروى فى أكثر النسخ « الفصائل » يراد به جمع فصلان . والفصلان : جمع فصيل ، وهو الصغير من الابل ، و«شريف» بزنة تصغير شرف . وشريف : ماء لبنى نمير تنسب إليه العقبان ، وفيه يقول طفيل الغنوى : —

وَفِينَا تَرَى الطُّولِى وَكُلَّ سَمَيْدَعٍ مُدَرَّبَ حَرْبٍ وَابْنَ كُلِّ مُدَرَّبِ
تَبِيتُ لِعُقْبَانِ الشُّرَيْفِ رِجَالُهُ إِذَا مَانَوَوْا إِحْدَاثَ أَمْرٍ مُعَطَّبِ

والحقة ـ بكسر الحاء ـ من الابل : التى دخلت فى الرابعة . والحاميات : جمع حامية . والسيب : جمع سائبة . وقوله فى أول البيت « حول الوصائل » جعله السهيلى بضم الحاء المهملة جمع حائل ، وهى الناقة التى حمل عليها فلم تحمل . وقيل : هى الناقة التى بقيت سنتين أو أكثر بغير حمل . ولا يظهر للبيت عندنا على هذا وجه

(١) « فيه » الضمير عائد إلى حمار الوحش . و«الأخرج» الظليم الذى فيه لونان . والظليم : ذكر النعام . شبه الحمار به . و«المرباع» بالباء الموحدة ـ الذى رعى فى الربيع . ورواية الخشنى «المرياع» بالياء المثناة ـ وهو مفعال من قولهم : راع إلى كذا يريع : إذا رجع . وفضل السهيلى الرواية الأولى .

الأسْد بن الْغَوْث ، وخِنْدِفُ أمُّنا ، (١) فيما حدثنى أبو عُبَيْدة وغيره من أهل العلم ، ويقال : خُزاعة بنو حارثة بن عمرو بن عامر ، وإنما سميت خُزَاعةَ لأنهم تَخَزَّعُوا من ولد عمرو بن عامر ، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمَرِّ الظهران فأقاموا بها ، قال عَوْن (٢) بن أيُّوبَ الأنصارى أحدُ بنى عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن الخزرج فى الاسلام

و « قرقرة » صوت فيه ترجيع ، والهدر : الهدير ، وهو صوت الفحل ، وربما قيل فى غيره ، و « الديافى » المنسوب إلى دياف ـ بدال مهملة مكسورة ـ وهى من قرى الشام ، وقيل : من قرى الجزيرة وأهلها نبط الشام ، وإليها تنسب الأبل والسيوف ، وإذا عرضوا برجل أنه نبطى نسبوه إليها ، وفيها يقول الأخطل : ـ

كَأَنَّ بَنَاتِ الْمَاءِ فِي حُجُرَاتِهِ أَبَارِيقُ أَهْدَتْهَا دِيَافُ بِصَرْخَدَا

قال ياقوت بعد ذكر ذلك : « فهذا البيت يدل على أنها بالشام ؛ لأن صرخد من رساتيق دمشق » اهـ ، و « الهجمة » القطعة من الابل ، و « البحر » جمع بحيرة ، وهى المشقوقه الآذان ، وقبل البيت الذى أنشده المؤلف قول تميم : —

بِعَاذِبِ النَّبْتِ يَرْتَاحُ الْفُؤَادُ لَهُ رَأْدَ النَّهَارِ لِأَصْوَاتٍ مِنَ النَّغَرِ

وبعد هذا البيت الواقع فى السيرة : ـ

وَالْأَزْرَقُ الْأَخْضَرُ السِّرْبَالِ مُنْتَصِبٌ

قِيدَ الْعَصَا فَوْقَ ذَبَّالٍ مِنَ الزَّهَرِ

(١) فى بعض النسخ « أمها » ولعل هذه أنسب للسياق ، فانه يحكى عنهم مقالهم كما ترى فى صدر قوله « وتقول خزاعة نحن بنو ـ الخ »

٢ الذى أثبتناه موافق لما فى رواية الخشنى ولما فى معجم البلدان (مادة مر) وفى بعض النسخ عوف — بالفاء —

فَلَمَّا هَبَطْنَا بَطْنَ مَرٍّ تَخَزَّعَتْ خُزَاعَةُ مِنَّافِى خُيُولٍ كَرَاكِرِ (١)

حَمَتْ كُلَّ وَادٍ مِنْ تِهَامَةَ وَاحْتَمَتْ بِصُمِّ الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ (٢)

وهذان البيتان فى قصيدة له (٣)

وقال أبو المُطَهَّر إسمعيل بن رافع الأنصارى أحدُ بنى حارثة بن الحرث ابن الخَزْرَج بن عَمْرو بن مالك بن الأوْس : —

فَلَمَّا هَبَطْنَا بَطْنَ مَكَّةَ أَحْمَدَتْ خُزَاعَةُ دَارَ الْآكِلِ الْمُتَحَامِلِ

(١) «مر» بفتح الميم وتشديد الراء — قال ياقوت : «قال الواقدى بين مر وبين مكة خمسة أميال» اه ، وقال أيضا : «مر الظهران ، ويقال مر ظهران : موضع على مرحلة من مكة له ذكر فى الحديث ، وقال عرام مر : القرية ، والظهران : هو الوادى ، وبمر عيون كثيرة ونخل وجميز وهو لأسلم وهذيل وغاضرة» اه ، وقوله «تخزعت خزاعة» معناها تأخرت وانقطعت وتفرقت ، يقال : تخزع الرجل عن أصحابه : إذا تأخر عنهم وقوله «خيول» هو هكذا فى أكثر الأصول ، وفى نسخة الخشنى والمعجم «حلول» والحلول : البيوت الكثيرة من بيوت العرب ، و «كراكر» أى : جماعات ، وقال بعض أهل اللغة : هى جماعات الخيل خاصة

(٢) البواتر : القواطع

(٣) وبعد هذين البيتين قوله : —

خُزَاعَتُنَا أَهْلُ اجْتِهَادٍ وَهِجْرَةٍ وَأَنْصَارُنَا جُنْدُ النَّبِيِّ الْمُهَاجِرِ

وَسِرْنَا إِلَى أَنْ قَدْ نَزَلْنَا بِيَثْرِبٍ بِلَا وَهَنٍ مِنَّا وَغَيْرِ تَشَاجُرِ

وَسَارَتْ لَنَا سَيَّارَةٌ ذَاتُ مَنْظَرٍ بِكُومِ الْمَطَايَا وَالْخُيُولِ الْجَمَاهِرِ

يَرُومُونَ أَهْلَ الشَّامِ حَتَّى تَمَكَّنُوا

مُلُوكًا بِأَرْضِ الشَّامِ فَوْقَ الْمَنَابِرِ

فَحَلَّتْ أَكَارِيسًا وَشَنَّتْ قَنَابِلًا عَلَى كُلِّ حَيٍّ بَيْنَ نَجْدٍ وَسَاحِلِ (١)

نَفَوْا جُرْهُمًا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ وَاحْتَبَوْا
بِعِزٍّ خُزَاعِيٍّ شَدِيدِ الْكَوَاهِلِ (٢)

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له، وأنا — إن شاء الله — أذكر نفيها جُرْهما فى موضعه

أبناء مدركة بن الياس

قال ابن إسحق: فولد مدركةُ بن الياس رجلين: خُزَيْمَةَ بن مدركة، وهُذَيْلَ بْنَ مُدركة، وأمهما امرأة من قُضَاعة

بناء خزيمة بن مدركة

فولد خزيمةُ بن مدركة أربعةَ نفرٍ: كِنَانَةَ بن خزيمة، وأَسَدَ بن خزيمة، وأَسَدَةَ بن خزيمة، والْهُونَ بن خزيمة، فأُمُّ كنانة عُوَانَةُ بنت سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر

قال ابن هشام: ويقال: الْهُوْنُ بن خزيمة

أُولَاكَ بَنُو مَاءِ السَّمَاءِ، تَوَارَثُوا
دِمَشْقَ بِمُلْكٍ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ

(١) «أكاريسا» جمع أكراس، وأكراس: جمع كرس، والكِرْس: الجماعة من الناس؛ فالأكاريس جمع الجمع، وقوله «شتت» فى أكثر النسخ بالتاء المثناة، ومعناه فرقت، تقول: شت يشت شتا وشتاتا إذا فرق وإذا افترق، وفى بعض الأصول «شنت» بالنون — ومعناها كالسابقة، تقول: شن الماء على الشراب، إذا فرقه، وتقول: شن الغارة على عدوه، إذا صبها من كل وجه، وقوله «قنابلا» هو جمع قنبلة، وهى القطعة من الخيل، و«نجد» هو هنا ما ارتفع من بلاد الحجاز

(٢) «الكواهل» هنا جمع كاهل، وأصله ما بين المنكب والعنق، استعاره هنا للرجل العزيز السيد، قاله أبو ذر

أبناء كنانة بن خزيمة

قال ابن إسحق : فولد كنانةُ بنُ خزيمةَ أربعةَ نفرٍ : النَّضْرَ بنَ كنانة ومالكَ بنَ كنانةَ ، وعَبْدَ مناةَ بنَ كنانة ، ومِلْكَانَ بْنَ كنانة ؛ فأم النَّضْر بَرَّةُ بنت مُرٍّ بن أُدٍّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر ، وسائر بنيه لامرأة أخرى

قال ابن هشام : أمُّ النضر ومالك ومِلْكَان بَرَّةُ بنت مُرٍّ ؛ وأمُّ عبد مناةَ هَالَةُ بنت سُوَيْد بن الغِطْرِيف من أَزْدِشَنُوءة ؛ وشَنُوءةُ : عبدُ الله ابن كعب بن عبد الله بن مالك بن نَضْر بن الأَسْد بن الْغَوْث ؛ وإنما سُمُّوا شَنوءة لشنآن كان بينهم ، والشَّنَآن : البغضُ

النضر هو قريش

قال ابن هشام : النَّضْرُ : قُرَيْشٌ ؛ فمن كان من ولده فهو قُرَشِيٌّ ، ومن لم يكن من ولده فليس بقُرَشى ، وقال جَرِير بن عَطِيَّةَ أحدُ بنى كُلَيْب بن يَرْبُوع بن حَنْظَلَة بن مالك بن زَيْد مَنَاة بن تميم ، يَمْدَح هِشَامَ بن عبد الملك بن مَرْوَان : —

فَمَا الْأُمُّ الَّتِي وَلَدَتْ قُرَيْشاً بِمُقْرِفَةِ النِّجَارِ وَلَا عَقِيمِ (١)
وَمَا قَرْمٌ بِأَنْجَبَ مِنْ أَبِيكُمْ وَمَا خَالٌ بِأَكْرَمَ مِنْ تَمِيمِ (٢)

يعنى بَرَّةَ بنت مر أختَ تميم بن مر أم النضر ؛ وهذان البيتان فى قصيدة له .

يقال : فهر بن مالك هو قريش

ويقال : فِهْرُ بن مالك قريشٌ ، فمن ن من ولده فهو قُرَشِيٌّ ،

---

(١) « مقرفة » هى اللئيمة ، و « النجار » بكسر النون وتخفيف الجيم — الأصل ، و « العقيم » التى لا تلد

(٢) « القرم » هو فى الأصل الفحل من الابل ، واستعاره هنا للرجل السيد

ومن لم يكن من ولده فليس بِقُرَشى ، وإنما سميت قريشٌ قريشاً من التَّقَرُّش ، والتَّقَرُّشُ : التجارة والاكتساب ، قال رؤبة بن العَجَّاج : — اشتقاق قريش

قَدْ كَانَ يُغْنِيهِمْ عَنِ الشُّغُوشِ ۝ وَالخَشْلِ مِنْ تَسَاقُطِ القُرُوشِ
شَحْمٌ وَمَحْضٌ لَيْسَ بِالمَغْشُوشِ

قال ابن هشام : والشُّغوش : قَمْحٌ يسمى الشغوش ، والخَشْل : رؤس الخلاخيل والأسورة [1] ونحوه ، والقُرُوش : التجارة والاكتساب ، يقول قد كان يغنيهم عن هذا شحمٌ ومَحْضٌ ، والمحضُ : اللبنُ الحليب الخالص ، وهذه الأبيات فى أرجوزة له [2]

وقال أبو جِلْدَة [3] اليَشْكُرِىُّ ، ويَشْكُرُ : ابنُ بكر بن وائل : —

إِخْوَةٌ قَرَّشُوا الذُّنُوبَ عَلَيْنَا ۝ فِى حَدِيثٍ مِنْ عُمْرِنَا وَقَدِيمِ

وهذا البيت فى أبيات له

قال ابن إسحق : ويقال : إنما سميت قريش قريشا لتجمعها من بعد تفرقها ، يقال للتَّجَمع : التَّقَرُّش

---

(١) قال أبو ذر : « وقال الوقشى : إنما الخشل هنا المقل ، والقروش : ماتساقط من جثمانه وتقشر منه ، وقول الوقشى صحيح وهو أشبه بالمعنى ، والمقل : ثمر الدوم ، والحتات : ماتفتت منه » اه

(٢) هى أرجوزة طويلة ثابتة فى ديوان أراجيزه (ص ٧٧ — ٧٩) يمدح فيها الحارث بن سليم الهجيمى

(٣) قال أبو ذر : «وقع فى الرواية أبو خلدة — بخاء معجمة مفتوحة ولام ساكنة — وأبو جلدة بجيم مكسورة ولام ساكنة — وهكذا قيده الدارقطنى رحمه الله » اه كلامه وفى هامش الأصل : « ويروى حلزة » بحاء فلام فزاى

أبناء النضر بن كنانة

فولد النَّضْرُ بن كنانةَ رجلين : مالكَ بنَ النضر ، ومَخْلَد بن النضر ؛ فأمُّ مالك عاتكةُ بنت عَدْوان بن عَمْرو بن قَيْس بن عَيْلان ، ولا أدرى أهي أم مَخْلَد أم لا

قال ابن هشام : والصَّلْت بن النضر ، فيما قال أبو عَمْرو المدنى ، وأمهم جميعا بنتُ سَعْد بن ظَرِب العَدْوانى ؛ وعَدْوان : ابن عَمْرو بن قَيْس بن عَيْلَان ؛ قال كُثَيِّرُ بن عبد الرحمن وهو كُثَيِّرُ عَزَّةَ ، أحدُ بنى مُلَيْح بن عمرو ، من خزاعة : —

أَلَيْسَ أَبِى بِالصَّلْتِ ؟ أَمْ لَيْسَ إِخْوَتِى
لِكُلِّ هِجَانٍ مِنْ بَنِى النَّضْرِ أَزْهَرَا (١)
رَأَيْتُ ثِيَابَ الْعَصْبِ مُخْتَلِطَ السَّدَى
بِنَا وَبِهِمْ وَالْحَضْرَمِىَّ الْمُخَصَّرَا (٢)
فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا مِنْ بَنِى النَّضْرِ فَاتْرُكُوا
أَرَاكًا بِأَذْنَابِ الْفَوَائِجِ أَخْضَرَا (٣)

---

(١) ليس إخوتى » يروى فى مكانه « أم ليس أسرتى » وأسرة الرجل : رهطه وقرابته الأدنون منه ، و « الهجان » بكسر الهاء — الكريم ، وأصله من الهجنة ، وهى البياض ، لأن الكرام هى البيض من الابل ، و « الأزهر » المشهور ، قاله أبو ذر

(٢) العصب : برود اليمن ، يريد أن قدورنا مثل قدورهم ، وسدى أثوابنا مختلط بسدى أثوابهم ، والحضرمى : النعال ، والمخصرة : التى تضيق من جانبيها ، كأنها ناقصة الخصرين ، وهذا كما يقال : رجل مبطن ، أى : ضامر البطن ، وقال أبو ذر : « المخصر : الذى فى جوانبه انعطاف يشبه التحزيز » اه

(٣) الأراك : شجر ، و « الفوائج » رءوس الأودية ، وقيل : هى عيون بعينها

قال : وهذه الأبيات فى قصيدة له

والذين يُعْزَوْن (١) إلى الصَّلْت بن النضر من خزاعة بنو مليح بن عمرو ، رهط كُثَيِّر عزة

قال ابن إسحق : فولد مالكُ بن النضر فِهْرَ بن مالك ؛ وأمه جَنْدَلة بنت الحرث بن مِضَاض الجُرْهُمى أبناء مالك ابن النضر

قال ابن هشام : وليس بابن مِضَاض الأكبر

قال ابن إسحق : فولد فِهْرُ بن مالك أربعةَ نفرٍ : غالبَ بن فِهْر ، ومُحَارب بن فهر ، والحرث بن فِهْر ، وأسَدَ بن فهر ؛ وأمُّهُم ليلى بنت سعد ابن هُذَيل بن مُدْرِكة أبناء فهر ابن مالك

قال ابن هشام : وجَنْدَلة بنتُ فهر ؛ وهى أم يَرْبُوع بن حَنْظَلة بن مالك ابن زيدَ مَناةَ بن تميم ، وأمُّها لَيْلَى بنت سعْد ؛ قال جرير بن عطية بن الخطفَى ؛ واسم الخطفَى حُذَيفة بن بدْر بن سَلَمة بن عوْف بن كُلَيْب ابن يَرْبُوع بن حَنْظَلة : —

وَإِذَا غَضِبْتُ رَمَى وَرَائِى بِالْحَصَا
أَبْنَاء جَنْدَلَةٍ كَخَيْرِ الْجَنْدَلِ

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحق : فولد غالبُ بن فهر رجلين : لُؤَىَّ بنَ غالب ، وتَيْمَ بن غالب ، وأمُّهُما سَلْمى بنتُ عَمْرو الخُزاعى ، وتَيْمُ بن غالب الذين يقال لهم : بنو الأدرم أبناء غالب بن فهر

(١) « يعزون » بالبناء للمجهول — أى : ينسبون ، يقال : عزوت الرجل إلى قبيلته وإلى أبيه أعزوه ، إذا نسبته إليه .

قال ابن هشام : وقَيْس بن غالب ، وأُمّه سَلْمى بنت كَعْب بن عَمْرو الخُزَاعى ، وهى أم لؤى وتيم ابنى غالب

أبناء لؤى بن غالب

قال ابن إسحق : فولد لؤىُّ بن غالب أربعةَ نفرٍ : كَعْبَ بن لؤى ، وعامر بن لؤى ، وسَامَةَ بن لؤى ، وعوف بن لُؤَى ؛ فأمُّ كعبٍ وعامرٍ وسامة مَاوِيَّةُ بنت كعب بن القَيْن بن جَسْر ، من قضاعة

قال ابن هشام : ويقال : والحَرث بن لؤى ، وهم جُشَم بن الحرث فى هِزَّان ، من ربيعة ، قال جرير : —

بَنِي جُشَمٍ ، لَسْتُم لِهِزَّانَ ، فَانْتَمُوا
لِأَعْلَي الرَّوَابِي مِنْ لُؤَىِّ بْنِ غَالِبِ (١)
وَلاَ تُنْكِحُوا فِي آلِ ضَوْرٍ نِسَاءَكُمْ
وَلاَ فِي شُكَيْسٍ ، بِئْسَ مَثْوَى الْغَرَائِبِ (٢)

وسعد بن لؤى ، وهم بُنَانة ، فى شيبان بن ثَعْلبة بن عُكَابة بن صَعْب ابن على بن بَكْر بن وائل ، من ربيعة ، وبُنَانة : حاضِنةٌ لهم من بنى القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله ، ويقال : سَيْع الله ، بن الأسد بن وَبرة بن ثَعْلبة بن حُلْوان بن عِمْران بن إلحاف بن قُضَاعة ، ويقال : بنتُ النَّمِر بن قاسطِ

---

(١) « لأعلى الروابى » الروابى : جمع راية ، وأصلها الكدية المرتفعة ، وأراد بها هنا الأشراف من الناس والقبائل ، قاله أبو ذر . وقال السهيلى : « ويقال : إنهم أعطوا جريرا على هذا الشعر ألف عنز ربى ، وكانوا ينتسبون إلى ربيعة فما انتسبوا بعد إلا لقريش » اهـ ، وربى كحبلى : الشاة إذا ولدت

(٢) ضور وشكيس : بطنان من عنزة .

من ربيعة ، ويقال : بنت جَرْم بن رَبَّان [١] بن حُلْوان بن عِمْران بن إلحاف بن قضاعة

وخزيمة بن لؤى بن غالب ، وهم عائذة ، فى شيبان بن ثعلبة ، وعائذة : امرأة من اليمن ، وهى أم بنى عبيد بن خزيمة بن لؤى ، وأم بنى لؤى كلهم — إلا عامر بن لؤى — : ماوِيَّةُ بنت كعب بن القَيْن بن جَسْر ، وأم عامر ابن لؤى : مَخْشِيَّةُ بنتُ شَيْبان بن مُحارب بن فِهْر ، ويقال : لَيْلَى بنتُ شَيْبان بن مُحارب بن فِهْر

أمر سامة

أمر سامة بن لؤى وخروجه الى عمان

قال ابن إسحق : فأما سَامَةُ بن لؤى فخرج إلى عُمَان ، وكان بها ، ويزعمون أن عامر بن لؤى أخرجه ؛ وذلك أنه كان بينهما شىء ، ففقأ سامةُ عينَ عامرٍ ، فأخافه عامر ، فخرج إلى عُمان ، فيزعمون أن سامة بن لؤى بينا هو يسير على ناقته إذ وضعت رأسها تَرْتَع ، فأخذت حية بِمِشْفَرِها [٢] فَهَصَرَتْها [٣] حتى وقعت الناقة [٤] لِشِقِّها ثم نَهَشَت سامةَ فقتلته ، فقال سامةُ حين أحسَّ بالموت ، فيما يزعمون : —

عَيْنُ فَابْكِى لِسَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ عَلِقَتْ سَاقَ سَامَةَ الْعَلَّاقَهْ [٥]

---

(١) قال أبو ذر : « براء مفتوحة وباء مشددة منقوطة بواحدة ؛ وليس فى العرب غيره »

(٢) المشفر للبعير بمنزلة الشفة للانسان

(٣) « هصرتها » أمالتها ، وتقول : هصرت الغصن ، إذا أملته

(٤) « لشقها » : لجنبها

(٥) فى أكثر الأصول « علقت مابسامة العلاقة » وعليها شرح أبوذر وقال « ما : زائدة » اه والعلاقة : هى الحية التى تعلقت بالناقة

لاأَرَى مِثْلَ سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ ... يَوْمَ حَلُّوا بِهِ قَتِيلاً لِنَاقَهْ
بَلِّغَا عَامِرًا وَكَعْبًا رَسُولاً ... أَنَّ نَفْسِي إِلَيْهِمَا مُشْتَاقَهْ
إِنْ تَكُنْ فِي عُمَانَ دَارِي فَإِنِّي
غَالِبِيٌّ خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ فَاقَهْ (١)
رُبَّ كَأْسٍ هَرَقْتَ يَاابْنَ لُؤَيٍّ
حَذَرَ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مُهْرَاقَهْ
رُمْتَ دَفْعَ الْحُتُوفِ يَاابْنَ لُؤَيٍّ
مَالِمَنْ رَامَ ذَاكَ بِالْحَتْفِ طَاقَهْ (٢)
وخَرُوسِ السُّرَى تَرَكْتَ رَذِيًّا ... بَعْدَ جِدٍّ وَجِدَّةٍ وَرَشَاقَهْ (٣)

قال ابن هشام : و بلغنى أن بعضَ ولده أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب إلى سامةَ بن لُؤَىٍّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشاعر » ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يارسول الله أردت قوله : —

رُبَّ كَأْسٍ هَرَقْتَ يَاابْنَ لُؤَيٍّ ... حَذَرَ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مُهْرَاقَهْ

قال « أجل »

---

(١) « عمان » بلد من اليمن ، و « غالبي » نسبة إلى غالب ، و « من غير فاقة » أى : من غير فقر أو حاجة

(٢) الحتوف : جمع حتف ، وهو الموت

(٣) « خروس السرى » يريد ناقة صموتا صبورا على السرى لاتضجر منه فتراها كالأخرس ، ومن هذا المعنى قول الكميت : —

كَتُومٍ إِذَا ضَجَّ الْمَطِيُّ كَأَنَّمَا ... تَكَرَّمُ عَنْ أَخْلَاقِهِنَّ وَتَرْغَبُ

وذلك أن الابل يستحب فيها أن تكون اذا سارت ، وفى الليل على

أمر عوف بن لؤى و نقلته

أمر عوف بن لؤى والحاقه بنسب غطفان

قال ابن إسحق : وأما عَوف بن لؤى فانه خرج ، فيما يزعمون ، فى ركب من قريش ، حتى إذا كان بأرض غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان أُبطىء به ، فانطلق من كان معه من قومه ، فأتاه ثعلبةُ بن سَعْد ، وهو أخوه فى نسب بنى ذبيان ، (ثعلبة : ابن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفان ، وعوف : ابن سعد بن ذبيان بن بغيض بن رَيْث بن غطفان) ، فحبسه و زوَّجه والتاطه (١) وآخاه ، فشاع نسبُه فى بنى ذبيان ؛ وثعلبة ، فيما يزعمون ، الذى يقول لعَوْف حين أُبطىء به فتركه قومُه : —

اِحْبِسْ عَلَيَّ ، ابْنَ لُؤَيٍّ ، جَمَلَكْ
تَرَكَكَ الْقَوْمُ وَلاَمَتْرَكَ لَكْ (٢)

قال ابن إسحق : وحدثنى محمدُ بن جعفر بن الزُّبَيْر ، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن حُصَين ، أن عمر بن الخطاب قال : لوكنت مُدَّعيا حَيًّا من العرب أو مُلْحِقهم بنا لادَّعيت بنى مُرَّة بن عوف ، إنَّا لنعرف فيهم الأشباه ، مع مانعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع ، يعنى عوف ابن لؤى .

الأخص لاترغو ولايسمع لها صوت ، والسرى : سير الليل ، والرذى التى سقطت من الاعياء والكلال ، وقال المجد فى القاموس . « الرذى كغنى من أثقله المرض ، والضعيف من كل شىء ؛ وهى بهاء ، والجمع رذايا ورذاة » اه فتأمل

(١) « التاطه » أى : ألصقه به ، يقال : التاط فلان فلانا ، إذا ضمه إليه وألحقه بنسبه ، ومنه قولهم « لاط حبه بقلبه » إذا ألصق به .

(٢) يروى « ولامنزل لك » ولعلها أحسن

قال ابن إسحق : فهو — فى نسب غطفان — مُرَّةُ بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان ، وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب : ما نُنكره وما نَجْحَده ، وإنه لأحبُّ النسب إلينا

وقال الحرث بن ظالم بن جَذيمة بن يربوع (قال ابن هشام :أحد بنى مُرَّة بن عوف) حين هرب من النعمان بن المنذر فلحق بقريش : —

فَمَا قَوْمِي بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ   وَلاَ بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقَابَا (١)
وَقَوْمِي، إِنْ سَأَلْتَ ، بَنُو لُؤَيٍّ   بِمَكَّةَ عَلَّمُوا مُضَرَ الضِّرَابَا
سَفِهْنَا بِاتِّبَاعِ بَنِي بَغِيضٍ   وَتَرْكِ الأَقْرَبِينَ لَنَا انْتِسَابَا
سَفَاهَةَ مُخْلِفٍ لَمَّا تَرَوَّى   هَرَاقَ المَاءَ وَاتَّبَعَ السَّرَابَا (٢)
فَلَوْ طُووِعْتُ ، عَمْرَكَ ، كُنْتُ فِيهِمْ
وَمَا أُلْفِيتُ أَنْتَجِعُ السَّحَابَا (٣)
وَخَشَّ رَوَاحَةُ القُرَشِيُّ رَحْلِي   بِنَاجِيَةٍ وَلَمْ يَطْلُبْ ثَوَابَا (٤)

---

(١) « الشعر » جمع أشعر : وهو طويل الشعر

(٢) « سفاهة مخلف » المخلف هنا : الذى يستسق الماء . يقال : ذهب يخلف لقومه ، أى : يستق لهم ، قاله أبو ذر ، يقول : إن مثلهم مثل من ذهب يستق الماء فلأ دلوه مثلا ثم شرب حتى روى ثم أراق الماء طمعا فى السراب

(٣) أراد أنه لو انتسب إلى قريش لكان معهم بمكة مقيما ولم يطلب المطر من موضع إلى موضع

(٤) « حش » يروى بحاء مهملة فشين — ومعناه كما فى اللسان أصلح قال : « ويقال : حششت فلانا أحشه ، إذا أصلحت من حاله ، وحششت ماله بمال فلان ، أى : كثرته به » اه وقال أبو ذر : يقال حش الرجل الشيء ، إذا قواه وأعانه » اه ، ويروى « خش » بخاء وشين معجمتين

قال ابن هشام : هذا ماأنشدنى أبو عبيدة منها

قال ابن إسحق : فقال الْحُصَيْن بن الْحُمَام المُرِّىُّ ثم أحد بنى سَهْم بن مُرَّة ، يرد على الحرث بن ظالم ، وينتمى إلى غطفان : —

أَلاَ لَسْتُمُ مِنَّا وَلَسْنَا إِلَيْكُمُ
بَرِئْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ لُؤَىِّ بْنِ غَالِبِ
أَقمْنَا عَلَى عِزِّ الْحِجَازِ ، وَأَنْتُمُ
بِمُعْتَلِجِ الْبَطْحَاءِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ (١)

يعنى قريشا ؛ ثم ندم الحصين على ماقال ، وعرف ماقال الحرث بن ظالم فانتمى إلى قريش وأكذب نفسه ، فقال : —

نَدِمْتُ عَلَى قَوْلٍ مَضَى كُنْتُ قُلْتُهُ
تَبَيَّنْتُ فِيهِ أَنَّهُ قَوْلُ كَاذِبِ
فَلَيْتَ لِسَانِى كَانَ نِصْفَيْنِ مِنْهُمَا
بُكَيْمٌ وَنِصْفٌ عِنْدَ مَجْرَى الْكَوَاكِبِ

وفسرت بها مش الاصل بما ذكرناه عن اللسان فى تفسير الرواية السابقة والناجية : الناقة السريعة

(١) المعتلج : الموضع السهل الذى يعتلج فيه القوم ، أى : يتصارعون قاله أبو ذر ، وقال السهيلى : «أى : حيث تعتلج السيول ؛ والاعتلاج عمل بقوة ، قال الشاعر :

لَوْ قُلْتَ لِلسَّيْلِ دَعْ طَرِيقَكَ وَالسَّيْلُ كَمِثْلِ الْهِضَابِ يَعْتَلِجُ

وفى الحديث : إن الدعاء ليلقى البلاء نازلا من السماء فيعتلجان إلى يوم القيامة ، أى : يتدافعان بقوة» اه والبطحاء فى البيت بطحاء مكة ؛ وهى مكان سهل ، والأخاشب : جمع أخشب ، وبمكة جبلان هما الأخشبان

أَبُونَا كِنَانِيٌّ بِمَكَّةَ قَبْرُهُ
بِمُعْتَلِجِ الْبَطْحَاءِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ
لَنَا الرُّبْعُ مِنْ بَيْتِ الْحَرَامِ وِرَاثَةً
وَرُبْعُ الْبِطَاحِ عِنْدَ دَارِ ابْنِ حَاطِبِ (١)

أي : إن بنى لؤى كانوا أربعة : كعبا ، وعامرا ، وسامة ، وعوفا

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجال من بنى مرة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم فارجعوا إليه

قال ابن إسحق : وكان القوم أشرافا فى غَطَفَان ، هُمْ سادتهم وقادتهم ، منهم هَرِم بن سِنَان بن أبى حارثة ، وخارِجة بن سِنان بن أبى حارثة ، والحرث ابن عَوْف ، والحُصين بن الحُمام ، وهاشم بن حَرْملة الذى يقول له القائل :—

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَهْ
يَوْمَ الْهَبَاءَاتِ وَيَوْمَ الْيَعْمَلَهْ (٢)

وكأنه جمعهما وما حولها من جبال

(١) البطاح : جمع بطحاء ، وهى المسيل الواسع فيه دقاق الحصى وعنى هنا بطاح مكة

(٢) « أحياء أباه » يريد أنه أخذ بثأره ولم يفته قاتله ، فكأنه أحياه و « يوم الهباءات » أحد أيام العرب ، أضيف إلى الهباءة — بفتح الهاء بعدها باء موحدة — قال ياقوت : « هى الأرض التى ببلاد غطفان ؛ قتل بها حذيفة وحمل ابنا بدر الفزاريان ؟ قتلهما قيس بن زهير » اه وجمع الهباءة لأنه أرادها مع ماحولها من الأماكن ، و « اليعملة » بفتح الياء وسكون العين بعدها ميم مفتوحة — اسم موضع وفيه كان يوم من أيامهم قال ياقوت : « ويوم اليعملة ، من أيامهم » اه

تَرَى الْمُلُوكَ عِنْدَهُ مُغَرْبَلَهْ

يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لاَذَنْبَ لَهْ (١)

قال ابن هشام: أنشدنى أبو عُبَيْدة هذه الأبيات لعامر الخَصَفى؛ خَصَفة ابن قيس بن عيلان: —

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَهْ ... يَوْمَ الْهَبَاءَاتِ وَيَوْمَ الْيَعْمَلَهْ

تَرَى الْمُلُوكَ عِنْدَهُ مُغَرْبَلَهْ

يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لاَذَنْبَ لَهْ

وَرُمْحُهُ لِلْوَالِدَاتِ مُثْكِلَهْ (٢)

قال ابن هشام: وحدثنى أن هاشما قال لعامر: قُلْ فىَّ بيتاً جيِّدًا أُثِبْكَ عليه، فقال عامر البيت الأول، فلم يعجب هاشما، ثم قال الثانى، فلم يعجبه، ثم قال الثالث، فلم يعجبه، فلما قال الرابع * يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لاَذَنْبَ لَهْ * أعجبه فأثابه عليه (٣)

قال ابن هشام: وذلك الذى أراد الـكُمَيْتُ بن زيد فى قوله: —

وَهَاشِمُ مُرَّةَ الْمُفْنِى مُلُوكاً ... بِلاَ ذَنْبٍ إِلَيْهِ وَمُذْنِبِينَا

وهذا البيت فى قصيدة له، وقول عامر «يوم الهباءات» عن غير أبى عبيدة

(١) «مغربلة» قال أبوذر: «أى مقتولة، تقول: غربل.. إذا قتل أشراف الناس وخيارهم» اه، قلت: أراد بالغربلة استقصاءهم وتتبعهم حتى لا يفوته واحد منهم، وكأنه من قولهم: غربلت الطعام، إذا تتبعته بالاستخراج حتى لا يبقى منه إلا الحثالة

(٢) يريد أن رمحه تثكل الوالدة ولدها؛ لأنه يقتله بها

(٣) إنما أعجبه ذلك لأنه وصف له بالعز والامتناع وأنه لايخاف حاكما يتعدى عليه ولاثأرا من طالب ثار

قال ابن إسحق: قومٌ لهم صِيتٌ(١) وذكر في غَطَفان وقَيْس كلها، فأقاموا على نسبهم، وفيهم كان البَسْلُ

أمر البسل

البسل والبَسْلُ(٢)، فيما يزعمون، ثمانيةُ أشهرٍ حُرُم لهم من كل سنة من بين العرب، قد عرفت ذلك لهم العربُ: لا ينكرونه، ولا يدفعونه، يسيرون به إلى أي بلاد العربِ شاءوا لا يخافون منهم شيئا، قال زُهَير بن أبي سُلْمى يَعْنِي بني مُرَّة

قال ابن هشام: زُهَير أحد بني مُزَيْنة بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مُضر، ويقال: زُهَير بن أبي سُلْمى من غَطَفان، ويقال: حليف في غَطَفان: —

تَأَمَّلْ فَإِنْ تُقْوِ الْمَرَوْرَاةُ مِنْهُمُ وَدَارَاتُهَا لاَ تُقْوِ مِنْهُمْ إِذًا نَخْلُ(٣)

---

(١) «الصيت» أي: ذكر حسن وشهرة بين الناس

(٢) «البسل» بفتح الباء وسكون السين - يطلق في اللغة على الحرام وعلى الحلال: فهو من الأضداد، وسيأتي عن المؤلف بيان معناه المراد هنا

(٣) «تقو» أي: تقفر، تقول: أقوى المنزل، إذا أقفر وخلا من أهله: و «المروراة» بفتح الميم والراء المهملة وبعدها واو ساكنة فراء مهملة - اسم موضع، قال ياقوت: «موضع كان فيه يوم المروراة ظفرت فيه ذبيان ببني عامر، ثم أنشد البيتين اللذين أنشدهما المؤلف» اه وفي أكثر نسخ الأصل «المرورات» بتاء مفتوحة، وقال ياقوت: «والمرورات - بالتاء - كأنه جمع مرورة. وليس في الكلام مثل هذا البناء، وهو مما ضعف فيه العين واللام؛ فهو فعلعلة، مثل صمحمحة» اه و «نخل» بفتح النون وسكون الخاء - اسم لعدة أماكن، منها منزل لبني مرة بن عوف على ليلتين من المدينة، وفيه يقول زهير أيضا: -

وَإِنِّي لَمُهْدٍ مِنْ ثَنَائِيَ مِدْحَةً إِلَى فَاضِلٍ تُبْغَى لَدَيْهِ الْفَوَاضِلُ

بِلَادٌ بِهَا نَادَمْتُهُمْ وَأَلِفْتُهُمْ فَإِنْ تُقْوِيَا مِنْهُمْ فَإِنَّهُمُ بَسْلُ (١)

أي : حرام ، يقول : ساروا فى حرمهم

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له (٢)

قال ابن إسحق : وقال أعشى بنى قيس بن ثعلبة : —

أَجَارَتُكُمْ بَسْلٌ عَلَيْنَا مُحَرَّمٌ وَجَارَتُنَا حِلٌّ لَكُمْ وَحَلِيلُهَا (٣)

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له (٤)

قال ابن إسحق : فولد كعبُ بن لؤى ثلاثةَ نفر : مُرَّةَ بن كعب ، وعَدِيَّ بن كعب ، وهُصَيْصَ بن كعب ، وأمهم وَحْشِيةُ بنت شَيْبان بن مُحارب بن فِهْر بن مالك بن النضر أبناء كعب بن لؤى

أُحَابِي بِهِ مَيْتاً بِنَخْلٍ ، وأَبْتَغِي إِخَاءَكَ بِالْقَوْلِ الَّذِي أَنَا قَائِلُ

(١) « بسل » أى : حرام ، والمروى فى الديوان « فانهما بسل » ولعل رواية الديوان أنسب لقوله « فان تقويا »

(٢) هى قصيدة طويلة مذكورة فى ديوانه ، يمدح بها سنان بن أبى حارثة ، ومطلعها :ـ

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى ، وقدْ كَادَ لَايَسْلُو

وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى التَّعَانِيقُ فَالثِّقْلُ

والبيتان غير متصلين فى الديوان (العقد الثمين : ص ٤٢ و ٤٣) بل بينهما بيت آخر

(٣) « بسل » هنا أيضا بمعنى حرام كما فى بيت زهير

(٤) هو من قصيدة له طويلة مذكورة فى ديوانه (ص ١٢٢) ومطلعها

لِمَيْثَاءَ دَارٌ قَدْ تَعَفَّتْ طُلُولُهَا عَفَتْهَا نَضِيضَاتُ الصَّبَا فَمَسِيلُهَا

ونضيضات الصبا : بقيات هذه الرياح ، وأراد بها الأمطار

أبناء مرة بن كعب

فولد مرةُ بن كعب ثلاثةَ نفر : كِلَابَ بن مُرَّة ، وتَيْمَ بن مُرَّة ، ويَقَظَةَ بن مُرَّة ؛ فأمُّ كلاب هندُ بنت سُرَيْر بن ثعلبة بن الحرث بن [فهر بن] مالك [بن النضر] بن كنانة بن خزيمة ، وأمُّ يقظة البارقيةُ امرأةٌ من بارق من الأسْد من اليمن ، ويقال : هى أم تَيْم ، ويقال : تَيْم لهند بنت سُرَيْر أمّ كلاب

نسب بارق ونسب تسميتهم

قال ابن هشام : بارقٌ : بنو عَدِيّ بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثَعْلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث ، وهم فى شَنُوءة ، قال الكُمَيْت بن زَيْد : —

وَأَزْدُ شَنُوءَةَ انْدَرَؤُا عَلَيْنَا بِجُمٍّ يَحْسِبُونَ لَهَا قُرُونَا (١)
فَمَا قُلْنَا لِبَارِقَ قَدْ أَسَأْتُمْ وَمَا قُلْنَا لِبَارِقَ أَعْتِبُونَا (٢)

قال : وهذان البيتان فى قصيدة له ، وإنما سُمُّوا ببارق لأنهم تبعوا البَرْقَ (٣)

أبناء كلاب بن مرة

قال ابن إسحق : فولد كلابُ بن مُرَّة رجلين : قُصَيَّ بن كلاب ، وزُهْرَةَ بن كلاب ، وأمُّهما فاطمةُ بنت سَعْد بن سَيَل أحد [بنى] الجَدَرَة

---

(١) « اندرأوا » أى : خرجوا علينا ودفعوا ، والجم — بضم الجيم — جمع أجم ، وهو الكبش الذى لاقرن له ، يريد أنهم خرجوا علينا بلاعدة وقد حسبوا أن لهم عدة يدفعون بها عن أنفسهم ، فضرب الجم مثلا لذلك

(٢) « أعتبونا » أى : أرضونا فاصنعوا مانرضى به عنكم ، وتقول : أعتبت الرجل ، إذا أرضيته ، والالف للازالة ، أى : ازلت مايعتب منه على

(٣) «تبعوا البرق» يريد أنهم طلبوا موضع النبات . والبرق يدل على المطر ، وللمطر يكون عنه النبات

من جُشُمَة الأزْدِ من اليمن ، حلفاء فى بنى الدُّئِل (١) بن بكر بن عبد مَنَاة ابن كنانة

قال ابن هشام : ويقال : جُشمة الأسد وجُشُمة الأزْد ؛ وهو جُشُمة بن يَشْكر بن مُبَشِّر بن صَعْب بن دُهمان بن نَصْر بن زَهران بن الحرث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغَوْث ، ويقال : جشمة بن يَشْكر بن مُبَشِّر بن صَعْب بن نَصْر بن زَهران بن الأسد بن الغَوْث ، وإنما سموا الجَدَرَة لأن عامر بن عمرو بن جُشمة تزوج بنت الحرث ابن مُضاض الجُرْهُمى ، وكانت جرهم أصحاب الكعبة ، فبنى للكعبة جدارا ، فسُمِّى عامر بذلك الجادرَ ، فقيل لولده الجَدَرَةَ ؛ لذلك

نسب جشمة وسبب تسميتهم الجدرة

قال ابن إسحق : ولسَعْد بن سَيَل يقول الشاعر : —

مَا نَرَى فِى النَّاسِ شَخْصًا وَاحِدًا مَنْ عَلِمْنَاهُ كَسَعْدِ بْنِ سَيَلْ
فَارِسًا أَضْبَطَ فِيهِ عُسْرَةٌ وَإِذَا مَا وَاقَفَ الْقِرْنَ نَزَلْ (٢)
فَارِسًا يَسْتَدْرِجُ الْخَيْلَ كَمَا اسْتَدْرَجَ الْحُرُّ الْقَطَامِىُّ الْحَجَلْ (٣)

قال ابن هشام : قوله « كما استدرج الحر » عن بعض أهل العلم بالشعر

---

(١) أكثر أهل العلم يقولون الدئل ـ بضم الدال بعدها همزة مكسورة وينسبون إليه « دؤلى » بضم الدال وفتح الهمزة ، ومن هؤلاء ابن الكلبى ومحمد بن حبيب ، وأما يونس بن حبيب والأخفش فيقولون : الديل ـ بدال مكسورة فياء مثناة ـ وينسبون إليه الديلى ، والأول أقعد وأدق ، انظر السهيلى

(٢) « أضبط » هو الذى يعمل بكلتا يديه . يعمل باليسرى كما يعمل باليمنى والعسرة هنا : الشدة ؛ قاله أبو ذر . وقال السهيلى : « وقوله فيه عسرة من هذا المعنى أيضا ، والاسم منه أعسر » اه ، والقرن ـ بكسر القاف ـ الذى يقاومك فى الحرب

(٣) « الحر القطامى » أراد به الصقر ، قاله أبو ذر ، والحجل

قال ابن هشام : ونُعم بنت كلاب ، وهي أم أسعَد وسُعيد ابْنَيْ سَهْم ابن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤى ، وأمها فاطمة بنت سعد بن سَيَل

بناء قصي بن كلاب

قال ابن إسحق : فولد قصيُّ بنُ كلاب أربعةَ نفر وامرأتين : عبدَ مناف بنَ قُصَى ، وعبد الدار بن قصي ، وعبدَ العُزَّى بنَ قُصَى ، وعبد [قصى] بن قُصَى ، وتَخْمُر بنت قُصَى ، وبَرَّة بنت قُصَى ، وأمهم حُبىّ بنت حُلَيل بن حَبَشِيَّة بن سَلُول بن كَعْب بن عَمْرو الخُزاعى

قال ابن هشام : ويقال حُبْشِية (١) بن سَلُول

أبناء عبد مناف ابن قصى

قال ابن هشام . فولد عبدُ مناف بن قُصَى أربعةَ نفرٍ : هاشمَ بن عبد مناف ، وعبدَ شَمس بن عبدمناف ، والمُطَّلِبَ بن عبدمناف ، وأمهم: عَاتكة بنت مُرَّة بن هِلال بن فالج بن ذَكْوان بن ثَعْلَبة بن بُهْثة بن سُلَيم ابن مَنصور بن عِكْرِمة ، ونَوْفَلَ بنَ عبد مناف ، وأمه: وَاقِدة بنت عَمْرو المازنية ، مازن : ابن مَنصور ابن عِكْرِمة

قال ابن هشام : فبهذا النسب خالفهم عُتْبَةُ بن غَزْوَان بن جابر بن وَهْب بن نُسَيْب بن مالك بن الحرث بن مازن بن منصور بن عكرمة

بقية أبناء عبد مناف بن قصى

قال ابن هشام : وأبو عَمْرو ، وتُماضر ، وقلابة ، وحَيَّة، ورَيْطة ، وأم الأخْثَم ، وأمُّ سُفْيان ؛ بَنُو عبد مناف ؛ فأم أبى عمرو : رَيْطة امرأةٌ من ثقيف ، وأم سائر النساء : عاتكةُ بنت مُرَّة بن هلال أمُّ هاشم بن عبد مناف ، وأمُّها صَفِيَّة بنت حَوْزة بن عَمْرو بن سَلُول بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن ، وأمُّ صفيةَ بنتُ عائذ الله بن سَعْد العَشيرة بن مَذْحج

ـ بفتحتين ـ طائر صغير على قدر الحمام كالقطا

(١) قوله « يقال حبشية » الأول بفتح الحاء والباء ، والثانى بضم الحاء وسكون الباء

أبناء هاشم بن عبدمناف وأمهاتهم

قال ابن هشام : فولد هاشمُ بن عبدمناف أربعةَ نفرٍ وخمسَ نسوةٍ : عبدَ المطلب بن هاشم ، وأسدَ بن هاشم ، وأبا صَيْفيّ بن هاشم ، ونضلةَ ابن هاشم ، والشفاء ، وخالدة ، وضَعِيفة ، ورُقَيّة ، وحَيّة ؛ فأمُّ عبد المطلب ورقيةَ : سَلْمى بنتُ عمرو بن زيدبن لبيد [بن حرام] بن خِداش بن عامر ابن غَنْم بن عَدِي بن النَّجّار (واسم النجار : تَيْمُ الله بن ثَعْلبة بن عَمْرو ابن الخَزْرج بن حارثة بن ثَعْلبة بن عَمْرو بن عامر)وأمُّها(١) عَميرةُ بنت صَخْر ابن الحرث بن ثَعْلبة بن مازن بن النَّجار ، وأمُّ عَميرةَ سَلْمى بنتُ عبد الأشهل النجارية ، وأمُّ أسدٍ : قَيْلَةُ بنت عامر بن مالك الخزاعى، وأمُّ أبى صَيْفيّ وَحَيَّة : هندُ بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية ، وأمُّ نَضْلة والشّفاء امرأةٌ من قضاعة ، وأم خالدةَ وضعيفة : واقدةُ بنت أبى عديّ المازنية .

أولاد عبد المطلب بن هاشم

أبناء عبدالمطلب ابن هاشم

قال ابن هشام : فولد عبدُ المطلب بن هاشم عشرةَ نفرٍ وستَّ نسوةٍ : — العباسَ ، وحمزةَ ، وعبدَ الله ، وأبا طالب (واسْمُه عَبْدُ مَنَافٍ) والزُّبيرَ ، والحرث ، وَحَجْلا ، وَالْمُقَوّم ، وَضِرَارا ، وأبا لَهَب (واسْمُه عَبْدُ الْعُزَّى) وصَفِيَّة ، وأمُّ حَكِيم البيضاء ، وعَاتِكة ، وأُمَيْمَة ، وأرْوَى ، وبَرَّة

زوجات عبدالمطلب وأبناؤه من كل واحدة

فأم العباس وضِرارٍ: نُتَيْلةُ بنتُ جَنَاب بن كُلَيْب بن مالك بن عَمْرو ابن عامر بن زَيْد مَنَاةَ بن عامر بن سعد بن الخَزْرج بن تَيْم اللاَّت بن النَّمِر بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، ويقال : أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَديلة

وأم حمزةَ والْمُقَوِّم وحَجْل (وكان يلقب بالْغَيْدَاق لكثرة خيره وسَعَة

---

(١) يريد أم سلمى التى هى أم عبد المطلب بن هاشم ورقية بنت هاشم فعميرة جدة عبد المطلب لأمه .

ماله) [وأمُّ] صفيةَ : هالةُ بنت وُهَيْب بن عبد مَنَاةَ بن زُهْرة بن كلاب ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَى

وأم عبد الله وأبى طالب والزبيرِ وجميعِ النساء غيرَ صفيةَ : فاطمةُ بنت عَمْرو بن عائذ بن عِمْران بن مَخْزوم بن يَقَظَة بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَى ابن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر ، وأمُّها : صَخْرةُ بنت عبد بن عِمْران ابن مَخْزوم بن يَقَظَة بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر ،

وأم صَخْرَةَ : تَخْمُرُ بنت عَبْدِ بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر

وأم الحرثِ بن عبد المطلب : سَمْراء بنتُ جُنْدب بن حُجَير بن رِئاب ابن حَبيب بن سُوَاءة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازن ابن مَنْصُور بن عِكْرِمة

وأم أبى لهب : لُبْنى بنت هاجِر بن عبد مَنَاف بن ضَاطِر بن حُبْشِيَّة ابن سَلول بن كعب بن عَمْرو الخزاعى

قال ابن هشام : فولد عبدُ الله بن عبد المطلب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سيِّدَ ولدِ آدم : مُحَمَّدَ بْنَ عبد الله بن عبد المطلب ، صلوات الله وسلامه ورحمته و بركاته عليه وعلى آله (نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة أمه)

وأمُّه : آمِنَةُ بنت وَهْب بن عَبْد مَنَاف بن زُهْرة بن كلاب بن مُرَّة ابن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْرِ [بن كنانة]

وأمها : بَرَّةُ بنتُ عبد العُزَّى بن عُثْمان بن عَبْد الدار بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غَالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر

وأم بَرَّةَ : أمُّ حبيب بنت أسدِ بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب ابنِ مُرَّةَ بن كعب بنِ لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر

وأمُّ أمِّ حبيب: بَرَّةُ بنتُ عَوْف بن عُبَيْد بن عُوَيج بن عَدِيّ بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر

قال ابن هشام : فرسول الله صلى الله عليه وسلم أشرفُ ولد آدم حَسَبَاً وأفضلهُمْ نَسَباً من قِبَلِ أبيه وأمه ، صلى الله عليه وسلم وشرَّفَ وكرَّم ومَجَّدَ وعَظَّم (١)

حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

[قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : وكان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حَدَّثنا به زِيَادُ بن عبد الله البَكَّائى ، عن محمد بن إسحق المُطَّلِبي] (٢) ، قال : بينما عبد المطلب بن هاشم نائم فى الحِجْر إذ أُتِى فأُمِر بحَفْر زمزم ، وهى دَفْنٌ بين صَنَمَىْ قريش إساف ونائلة ، (٣) عبد المطلب يؤمر بحفر زمزم

(١) ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال «ماولدتنى بغى قط منذ كنت فى صلب آدم ، فلم تزل تتازعنى الأمم كابرا عن كابر حتى خرجت فى أفضل حى فى العرب هاشم وزهرة » فهو صلى الله عليه وسلم خير بنى آدم بلا ريب وأفضلهم على الاطلاق : لأن الله عزوجل لما خلق آدم وأكمل نشأته لاحت أنوار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكان نور الأنوار

(٢) هذا الكلام مع العنوان مذكور فى بعض النسخ وهو بعيد المناسبة

(٣) إساف - بكسر الهمزة - ونائله - على زنة اسم الفاعل - صنمان كانا بمكة ، وجاء فى بعض أحاديث مسلم أنهما كانا بشط البحر وكانت الأنصار فى الجاهلية تهل لهما ، وهذا وهم ، إنما الذى كان بشط البحر مناة الطاغية .

قال ابن الكلبى (ص ٩) « عن ابن عباس أن إسافا رجل من جرهم يقال له إساف بن يعلى ، ونائلة امرأة من جرهم هى نائلة بنت زيد ، وكان يتعشقها فى بلاد اليمن ، فأقبلا حجاجا ، فدخلا الكعبة ، فوجدا غفلة من الناس وخلوة

مكان زمزم

عند مَنْحَر قريش ، (١) وكانت جُرْهُمُ دَفَنَتْها حين ظعنوا من مكة ، وهى بئر إسمعيل بن إبراهيم التى سقاه الله حين ظَمِىء وهو صغير فالتمست له أمُّه ماء فلم تجده ، فقامت على الصفا (٢) تدعو الله وتستغيثه لاسمعيل ، ثم أتت المَرْوَةَ (٣) ففعلت مثل ذلك ، و بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فَهَمَزَ (٤) له بِعَقِبِهِ فى الأرض ، فظهر [لها] الماء ، وسمعت أمه أصوات السباع فخافتها عليه ، فجاءت تَشْتَدُّ نحوه ، (٥) فوجدته يَفْحَصُ (٦) بيده عن الماء من

فى البيت ، ففجر بها فى البيت ، فمسخا ، فأصبحوا فوجدوهما مسخين ، فأخرجوهما ، فوضعوهما موضعهما ، فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب » اه كلامه

(١) قال ابن الكلبى (ص ٢٩) « لما مسخ إساف ونائلة وضعا عند الكعبة ليتعظ الناس بهما ، فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها ، وكان أحدهما بلصق الكعبة والآخر فى موضع زمزم ، فنقلت قريش الذى كان بلصق الكعبة إلى الآخر ، فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما » اه فقول المؤلف « منحر » هو اسم مكان من نحر ينحر ، أى : عند مكان ذبحهم .

(٢) قال ياقوت : « الصفا مكان مرتفع من جبل أبى قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادى الذى هو طريق وسوق ، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود ، والمشعر الحرام بين الصفا والمروة » اه

(٣) قال ياقوت : « المروة جبل بمكة يعطف على الصفا » والسعى بين الصفا والمروة من شعائر الحج فى دين الاسلام ، وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى : « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم »

(٤) « همزله بعقبه » يريد ضرب الأرض برجله ، والهمز : الدفع والضرب ، وفعله كضرب وكنصر

(٥) « تشتد نحوه » تجرى مسرعة

(٦) « يفحص بيده » أى : يكشف عن الماء ويوسع له

من تحت خَدِّه ويشرب لجعلته حِسْياً (١)

أمر جرهم ودفن زمزم

قال ابن هشام : وكان من حديث جرهم ودَفْنها زمزمَ وخروجها من مكة ، ومَنْ ولىَ أمْرَ مكة بعدها إلى أن حفَر عبدُ المطلب زمزمَ ؛ ماحدثنا به زياد بن عبد الله البَكَّائى ، عن محمد بن إسحق ، قال : لما توفى إسمعيل بن إبراهيم ولى البيت بعده ابنه نابتُ بن إسمعيل ماشاء الله أن يليه ، ثم ولى البيت بعده مُضَاص بن عَمْرو الْجُرْهمى

إسماعيل بن إبراهيم وولاة البيت من أبنائه

قال ابن هشام : ويقال : مِضَاض بن عَمرو الجرهمى

قال ابن إسحق : وبنو إسمعيل وبنو نابت مع جَدّهم مِضَاض بن عمرو ، وأخوالهم من جُرْهُم ؛ وجُرْهُم وقَطُوراء يومئذ أهلُ مكة ، وهما أبنا عم ، وكانا ظَعَناً من اليمن ، فأقبلا سَيَّارَةً وعلى جرهم مُضَاضُ بن عمرو وعلى قَطُوراءَ السَّمَيْدَعُ رجلٌ منهم ، وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم مَلِكٌ يُقيم أمرهم ، فلما نزلا مكةَ رأيا بلداً ذا ماء وشجر ، فأعجبهما ، فنزلا به ، فنزل مُضاض بن عمرو ومن معه من جرهم بأعلى مكة بقُعَيْقِعَانَ (٢) فما حاز ، ونزل السَّمَيْدَعُ بقطوراء أسفلَ مكة بأجياد (٣) فما حاز ، فكان

جرهم وقطوراء ونزولهما مكة

(١) «لجعلته حسيا» الحسى: الحفيرة الصغيرة ، ويقال : الحسى : مايغور فى الرمل فاذا بحث عنه ظهر

(٢) « قعيقعان» بضم ففتح فسكون فكسر ـ اسم جبل بمكة ، قال عرام منه إلى مكة اثنا عشر ميلا على طريق الحوف إلى اليمن : وقال البلخى : والواقف على قعيقعان يشرف على الركن العراقى إلاأن الأبنية قدحالت بينهما »

(٣) قال ياقوت : «وقال أبو القاسم الخوارزمى: أجياد : موضع بمكة على الصفا » .

مُضاضٌ يَعْشِرُ(١) من دخل مكة من أعلاها ، وكان السميدع يَعْشِر(٢) من دخل مكة من أسفلها ؛ وكلٌّ فى قومه ، لايدخل واحد منهما على صاحبه

حرب جرهم وقطوراء وانتصار جرهم

ثم إن جرهما وقَطُوراء بَغَى بعضهم على بعض ، وتنافسوا الملك بها ، ومع مُضاض يومئذ بنو إسمعيل و بنو نابتٍ ، و إليه وِلايةُ البيت دون السَّمَيْدَع ، فسار بعضهم إلى بعض ، فخرج مُضاض بن عمرو من قُعَيْقِعَانَ فى كتيبته سائراً إلى السميدع ، ومع كتيبته عُدَّتُها من الرماح والدَّرَق والسيوف والجِعاب يُقَعْقِـعُ بذلك معه ، فيقال : ماسُمِّى قعيقعان بقعيقعان إلا لذلك ، وخرج السَّمَيْدَع من أجْيَاد ومعه الخيـل والرِّجال ، فيقال : ماسمى أجياد أجياداً إلا لخروج الجياد من الخيل مع السميدع منه ، فالتقوا بفاضح ،(٣) واقتتلوا قتالا شديدا ، فقُتِل السَّمَيْدَعُ وفُضحت قَطُوراء ، فيقال : ماسمى فاضح فاضحا إلا لذاك .

ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح ، فساروا حتى نزلوا المطابخ(٤) ، شعبا بأعلى مكة ، واصطلحوا به ، وأسلموا الأمر إلى مُضاض ، فلما جمع إليه أمر مكة فصار

---

(١) عشر الرجل القوم يعشرهم ـ من باب ضرب ـ أخذ عشر أموالهم وفى الحديث «أن وفد ثقيف اشترطوا أن لايحشروا ولا يعشروا» قال ابن الأثير : أى : لا يؤخذ عشر أموالهم ؛ وفى الحديث أيضا : «النساء لايحشرن ولا يعشرن » وهو بهذا المعنى أيضا : يعنى لا يؤخذ من حليهن العشر

(٢) « فاضح » قال ياقوت : موضع قرب مكة عند أبى قبيس ؛ كان الناس يخرجون إليه لحاجاتهم » ؛ وقال أيضا : « وهو عند سوق الرقيق إلى اسفل من ذلك » اه .

(٣) قال ياقوت بعد حكاية هذا القول : « وقال ابن الكلبى إنما سمى فاضحا لأن جرهما والعماليق التقوا به فهزمت العماليق وقتلوا به فقال الناس . افتضحوا به فسمى بذلك » اه

(٤) « المطابخ » قال ياقوت :« موضع فى مكة مذكور فى قصة تبع »

مُلْكُها له نحر للناس فأطعمهم فأطْبَخَ الناسُ وأكلوا ، فيقال : ماسميت المطابخُ المطابخَ إلا لذلك ، وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت المطابخ لما كان تُبَّعٌ نحر بها وأطعم(١) وكانت منزله ، فكان الذى كان بين مضاض والسميدع أولَ بَغْيٍ كان بمكة ، فيما يزعمون .

ثم نشر الله ولد إسمعيل بمكة ؛ وأخوالهم من جُرْهم ولاةُ البيت والحكام بمكة ، لاينازعهم ولد إسمعيل فى ذلك : لخؤلتهم وقرابتهم ، وإعظاما للحرمة أن يكون بها بغى أو قتال ، فلما ضاقت مكة على ولد إسمعيل انتشروا فى البلاد ، فلا يُناوِوْنَ(٢) إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطئوهم

بغى جرهم وإجلاؤهم عن مكة

ثم إن جرهما بَغَوْا بمكة ، واستحلوا خِلالاً(٣) من الحرمة ؛ فظلموا من دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذى يُهْدَى لها ؛ فَرَقَّ أمرهم ، فلما رأت بنو بكر بن عَبْدِ مَنَاة بن كنانةَ وغُبْشَانُ من خزاعة ذلك أجمعُوا لحربهم وإخراجهم من مكة ، فآذَنُوهم بالحرب ، فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بكر وغُبْشانُ ، فنفَوْهم من مكة ، وكانت مكة فى الجاهلية لاتُقِرُّ فيها ظلما ولا بَغْياً ، ولا يبغى فيها أحد إلا أخرجته ؛ فكانت تسمى النَّاسَّةَ(٤)

فضل مكة

(١) انظر الهامشة (٤) (ص ١٢٤) من هذا الجزء

(٢) « فلا يناوون » المناواة : العداوة ؛ ومن أمثالهم « إذا ناوات الرجال فاصبر » والأصل فيه الهمز ، قاله أبوذر ؛ يريد أن أصل المناواة المناوأة ، وأصل ناوى ناوأ ، وأصل يناوون يناوأون ، فقلبت الهمزة ألفا ثم حذفت . وفى بعض النسخ « فلا يناوئون قوما — الخ »

(٣) « خلالا » أى : خصالا ، جمع خلة — بفتح الخاء — وهى الخصلة ؛ يقال : فى فلان خلال حسنة ؛ أى : خصال

(٤) قوله « الناسة » وتسمى أيضا « الباسة » وكلاهما فى القاموس

ولا يريدها ملكٌ يستحلُّ حرمتها إلا هلك مكانه ، فيقال : إنها ما سميت ببكة إلا أنها كانت تَبُكُّ أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئا

قال ابن هشام : أخبرنى أبو عبيدة أن بكة اسم لبطن مكة . لأنهم يتباكون فيها ، أى : يزدحمون ، وأنشدنى : —

إِذَا الشَّرِيبُ أَخَذَتْهُ أَكَّهْ   فَخَلِّهِ حَتَّي يَبُكَّ بَكَّهْ (١)

أى : فدعه حتى يَبُكَّ إبله ، أى : يخليها إلى الماء فتزدحم عليه . وهو موضع البيت والمسجد ؛ وهذان البيتان لعامان بن كَعْب بن عَمْرو بن سَعْد بن زيد مَنَاةَ بن تميم

عود جرهم الى اليمن

قال ابن إسحق : فخرج عمرو بن الحرث بن مُضَاض الجرهمى بغزالى الكعبة وبحجر الركن ؛ فدفنها فى زمزم ، وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن ، فحزنوا على مافارقوا من أمر مكة ومُلكها حزناً شديدا ، فقال عَمْرو بن الحرث [بن عمرو] بن مُضَاض فى ذلك ، وليس بمضاض الأكبر : —

عمرو بن الحرث الجرهمى يبكى لفراق مكة

وَقَائِلَةٍ وَالدَّمْعُ سَكْبٌ مُبَادِرُ
وَقَدْ شَرِقَتْ بِالدَّمْعِ مِنْهَا الْمَحَاجِرُ
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونِ إِلَى الصَّفَا
أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ (٢)
فَقُلْتُ لَهَا وَالْقَلْبُ مِنِّى كَأَنَّمَا   يُلَجْلِجُهُ بَيْنَ الْجَنَاحَيْنِ طَائِرُ (٣)

---

(١) الأكة : الشدة ، وقيل : هى شدة الحر ، وقيل : شدة الألم ؛ وإكاك الدهر : شدائده

(٢) « الحجون » بفتح الحاء ـ موضع بأعلى مكة ، والصفا : جبل من جبالها ، وتقدم ذكره (ص ١٢٢)

(٣) « يلجلجه » يحركه ويديره .

بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَزَالَنَا
صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ (١)
وَكُنَّا وُلاَةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ
نَطُوفُ بِذَاكَ الْبَيْتِ وَالْخَيْرُ ظَاهِرُ
وَنَحْنُ وَلِينَا الْبَيْتَ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ
بِعِزٍّ فَمَا يَحْظَى لَدَيْنَا الْمُكَاثِرُ
مَلَكْنَا فَعَزَّزْنَا فَأَعْظِمْ بِمُلْكِنَا
فَلَيْسَ لِحَيٍّ غَيْرِنَا ثَمَّ فَاخِرُ
أَلَمْ تُنْكِحُوا مِنْ خَيْرِ شَخْصٍ عَلِمْتُهُ
فَأَبْنَاؤُهُ مِنَّا وَنَحْنُ الْأَصَاهِرُ (٢)
فَإِنْ تَنْثَنِي الدُّنْيَا عَلَيْنَا بِحَالِهَا
فَإِنَّ لَهَا حَالاً وَفِيهَا التَّشَاجُرُ (٣)
فَأَخْرَجَنَا مِنْهَا الْمَلِيكُ بِقُدْرَةٍ
كَذَلِكَ ، يَالَلنَّاسِ ، تَجْرِي الْمَقَادِرُ
أَقُولُ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ أَنَمْ
أَذَا الْعَرْشِ ،لاَ يَبْعَدْ سُهَيْلٌ وعَامِرُ (٤)
وبُدِّلْتُ مِنْهَا أَوْجُهاً لاَ أُحِبُّهَا قَبَائِلَ مِنْهَا حِمْيَرٌ وَيُحَابِرُ (٥)

---

(١) « صروف الليالى » شدائدها ونوائبها ، و« الجدود » جمع جد وهو البخت والحظ

(٢) « من خير شخص » أراد به إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام

(٣) « التشاجر » الاختلاف والتخاصم

(٤) « الخلى » الذى ليس له هم يقلق مضجعه

(٥) حمير ويحابر : من قبائل اليمن ، ويقال : يحابر : هم مراد

وَصِرْنَا أَحَادِيثًا وَكُنَّا بِغِبْطَةٍ
بِذٰلِكَ عَضَّتْنَا السِّنُونَ الْغَوَابِرُ (١)

فَسَحَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ تَبْكِي لِبَلْدَةٍ
بِهَا حَرَمٌ أَمْنٌ وَفِيهَا الْمَشَاعِرُ (٢)

وَتَبْكِي لِبَيْتٍ لَيْسَ يُؤْذَى حَمَامُهُ
يَظَلُّ بِهِ أَمْنًا، وَفِيهِ الْعَصَافِرُ

وَفِيهِ وُحُوشٌ لَاتُرَامُ أَنِيسَةٌ إِذَاخَرَجَتْ مِنْهُ فَلَيْسَتْ تُغَادَرُ (٣)

قال ابن هشام: قوله «فأبناؤه منّا» عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق: وقال عمرو بن الحرث أيضا يذكر بَكْرًا وغُبْشَانَ وساكنى مكة الذين خلفوا فيها بعدهم: —

يَاأَيُّهَا النَّاسُ سِيرُوا إِنَّ قَصْرَكُمُ
أَنْ تُصْبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَاتَسِيرُونَا (٤)

حُثُّوا الْمَطِيَّ وَأَرْخُوا مِنْ أَزِمَّتِهَا
قَبْلَ الْمَمَاتِ وَقَضُّوا مَاتُقَضُّونَا

كُنَّا أُنَاسًا كَمَا كُنْتُمْ فَغَيَّرَنَا دَهْرٌ فَأَنْتُمْ كَمَا كُنَّا تَكُونُونَا

---

(١) «الغوابر» الماضيات، يقال: غبر الشىء، إذا مضى. ويروى «العوابر» بعين مهملة ـ أى: التى عبرت وانقضت

(٢) يقال: سح الدمع، وسح المطر، إذا سالا. و «المشاعر» المواضع المشهورة فى الحج التى هى أماكن العبادات

(٣) «ليست تغادر» أى: ليست تترك

(٤) «إن قصركم» أى: إن نهايتكم وغاية أمركم. يقال: قصرك كذا وقصاراك كذا، أى: غايتك ونهايتك

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها (١)

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل فى العرب ، وأنها وجدت مكتوبة فى حجر باليمن (٢) ، ولم يُسَمَّ لى قائلها

(١) وقد ذكر بعضهم زيادة فى هذه الأبيات جاء فيها : ـ

إِنَّ التَّفَكُّرَ لاَ يُجْدِى لِصَاحِبِهِ   عِنْدَ الْبَدِيهَةِ فِى عِلْمٍ لَهُ دُونَا

فَاسْتَخْبِرُوا فِى صَنِيعِ النَّاسِ قَبْلَكُمُ   كَمَا اسْتَبَانَ طَرِيقٌ عِنْدَهُ الْهُونَا

كُنَّا زَمَانًا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمُ   بِمَسْكَنٍ فِى حَرَامِ اللهِ مَسْكُونَا

(٢) يروى أنه وجد فى بئر باليمامة ثلاثة أحجار : فوجدوا فى حجر من الثلاثة مكتوبا هذه الأبيات ، ووجدوا فى حجر آخر مكتوبا : ـ

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِى   بِالْمُلْكِ سَاعَدَهُ زَمَانُهْ

مَا أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ عَلاَ   وَعَلاَ شُؤُونَ النَّاسِ شَانُهْ

أَقْصِرْ عَلَيْكَ مُرَاقِبًا   فَالدَّهْرُ مَخْزُولٌ أَمَانُهْ

كَمْ مِنْ أَشَمَّ مُعَصَّبٍ   بِالتَّاجِ مَرْهُوبٍ مَكَانُهْ

قَدْ كَانَ سَاعَدَهُ الزَّمَا   نُ وَكَانَ ذَا خَفْضٍ جِنَانُهْ

تَجْرِى الْجَدَاوِلُ حَوْلَهُ   لِلْجُنْدِ مُتْرَعَةٌ جِفَانُهْ

قَدْ فَاجَأَتْهُ مَنِيَّةٌ   لَمْ يُنْجِهِ مِنْهَا اكْتِنَانُهْ

وَتَفَرَّقَتْ عَنْهُ أَجْنَادُهُ ، وَنَاحَ بِهِ قِيَانُهْ

وَالدَّهْرُ مَنْ يَعْلَقْ بِهِ   يَطْحَنْهُ مُفْتَرِسًا جِرَانُهُ

وَالنَّاسُ شَتَّى فِى الْهَوَى   كَالْمَرْءِ مُخْتَلِفٌ بَنَانُهْ

وَالصِّدْقُ أَفْضَلُ شِيمَةٍ   وَالْمَرْءُ يَقْتُلُهُ لِسَانُهْ

وَالصَّمْتُ أَسْعَدُ لِلْفَتَى   وَلَقَدْ يُشَرِّفُهُ بَيَانُهْ

خزاعة تنفرد بولاية البيت

قال ابن إسحق : ثم إن غُبْشَانَ من خُزاعة وَلِيَت البيت دون بنى بكر بن عَبْدِ مَنَاةَ ، وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحرث الْغُبْشَانِىُّ ، وقريش إذ ذاك حُلُولٌ وصِرَمٌ (١) وبُيُوتَاتٌ متفرقون فى قومهم من بنى كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، حتى كان آخِرَهُمْ حُلَيلُ بن حَبَشِيَّةَ بن سَلُول بن كَعْب بن عمرو الخزاعى

قال ابن هشام : يقال : حُبْشِيَّةُ بن سلول

قصى يتزوج حبى بنت حليل

قال ابن إسحق : ثم إن قصى بن كلاب خَطَبَ إلى حُلَيْل بن حَبَشِيَّةَ بنته حُبى ، فرغب فيه حُلَيْلٌ ، فزوجه ، فولدت له عبدالدار ، وعبد مناف ، وعبد الْعُزَّى ، وعبدا ، فلما انتشر ولد قُصَىٍّ ، وكثر ماله ، وعظم شرفه ؛ هلَكَ حُلَيل ، فرأى قُصَى أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة وبنى بكر ، وأن قريشا قُرْعَة (٢) إسمعيل بن إبراهيم ، وصَرِيحُ

ووجد بالحجر الثالث قصيدة على هذا النمط ، كلها حكم ومواعظ ، ومطلعها :-

كُلُّ عَيْشٍ تَعِلَّهْ ... لَيْسَ لِلدَّهْرِ خَلَّهْ
يَوْمُ بُؤْسٍ وَنِعْمَهْ ... وَاجْتِمَاعٍ وَقِلَّهْ
خَبَّنَا الْعَيْشَ وَالتَّكَا ... ثُرُ جَهْلٌ وَضُلَّهْ

ومنها :-

آفَةُ الْعَيْشِ وَالنَّعِيـ ... ـمِ كُرُورُ الْأَهِلَّهْ
وَصْلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... وَاعْتِرَاضٌ بِعِلَّهْ

(١) « الحلول » جماعات البيوت . و« صرم » الجماعات المتقطعة

(٢) « قرعة إسماعيل » يروى بالقاف . ومعناه نخبة أبنائه وصفوتهم . ويروى بالفاء مع سكون الراء ، ومعناه أعلى أبنائه عزا وأرفعهم مجدا . وبعضهم يرويه بفتح الراء مع الفاء . قاله أبو ذر

قصى يدعو لاخراج خزاعة من مكة

ولده . فكلَّم رجالا من قريش و بنى كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة و بنى بكر من مكة ، فأجابوه ، و كان ربيعة بن حَرَام من عُذْرة بن سَعد بن زَيْد قد قَدم مكة بعد هُلْك كلاب فتزوج فاطمة بنت سعد بن سَيَل ، وزُهْرَةُ يومئذ رجل ، وقُصَىٌّ فَطيم ، فاحتملها إلى بلادة فحملت قُصَـيًّا معها ، وأقام زهرة ، فولدت لربيعة رِزَاحا ، فلما بلغ قُصَى وصار رجلا أتى مكة فأقام بها ، فلما أجابه قومه إلى مادعاهم إليه كتب إلى أخيه من أمه رِزاح بن ربيعة يدعوه إلى نصرته ، والقيام معه ، فخرج رِزاح بن ربيعة ومعه إخوته : حنٌ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، وجُلْهمة بن ربيعة ، وهم لغير [أمه] فاطمة ، فيمن تبعهم من قُضَاعة فى حاجِّ العرب ، وهم مُجْمِعُون

قصى يلى أمر مكة

لنصرة قُصَى ، وخُزَاعةُ تزعم أن حُلَيْل بن حَبَشِيَّةَ أوصى بذلك قصيا ، وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ماانتشر ، وقال : أنت أولى بالكعبة ، و بالقيام عليها ، و بأمر مكة ؛ من خزاعة ، فعند ذلك طلب قُصَىٌّ ماطلب ، ولم نسمع ذلك من غيرهم ، فالله أعلم أى ذلك كان

ما كان يليه الغوث بن مر من الاجازة للناس بالحج

الغوث بن مر يلى الافاضة بالناس من عرفات

وكان الغوث بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر يلى الاجازة (١) للناس بالحج من عرفة ، وولَدُهُ من بعده ، وكان يقال له ولولده صُوفة ، (٢) و إنما ولى ذلك الغوث بن مُرّ لأن أمه كانت امرأة

---

(١) «الاجازة للناس» قال أبو ذر : هى الافاضة بالناس من عرفات

(٢) قال أبو ذر : « إنما يقال له صوفة ؛ لأن أمه حين جعلته يخدم الكعبة عبدا لها ربطت عليه صوفة ؛ ليكون ذلك علامة له ، فلقب بذلك وغلب اللقب عليه وعلى بنيه من بعده . وقال بعضهم : إنما سمى بذلك لأنها ألبسته ثوب صوف ، والأول أشهر» اهـ

من جُرْهُم ، وكانت لاتلد ، فنذرت لله إن هى ولدت رجلا أن تَصَدَّقَ به على الكعبة عبدًا لها يَخْدُمها ، ويقوم عليها ، فولدت الغوث ، فكان يقوم على الكعبة فى الدهر الأول مع أخواله من جرهم ، فولى الاجازة بالناس من عرفة ؛ لمكانه الذى كان به من الكعبة ، وولدُهُ من بعده ، حتى انقرضوا ، فقال [الغوث بن](1) مُرّ بن أدّ لوفاء نذر أمه : —

إنِّى جعلْتُ رَبِّ مِنْ بَنِيَّهْ ... رَبيطَةً بِمَكَّةَ الْعَلِيَّهْ

فبَارِكَنَّ لِي بِهَا إِلَيَّهْ ... وَاجْعَلْهُ لِي مِنْ صَالِحِ الْبَرِيَّهْ

وكان الغوث بن مر ، فيما زعموا ، إذا دَفَعَ بالناس قال :

لاَهُمَّ إنِّى تَابِعٌ تَبَاعَهْ ... إنْ كَانَ إثْمٌ فَعَلَى قُضَاعَهْ (2)

قال ابن إسحق : حدثنى يَحيى بن عَبَّاد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كانت صُوفَةُ تدفع بالناس من عرفة ، وتُجيز بهم إذا نَفَرُوا من مِنًى ، فاذا كان يوم النَّفر أتَوْا لِرَمْى الجمار ، ورجلٌ من صوفَةَ يرمى للناس : لايَرْمُونَ حتى يَرْمى ، فكان ذَوُو الحاجات المتعجِّلون يأتونه فيقولون له : قُمْ فارْمِ حتى نرمى معك ، فيقول : لاوالله حتى تميل الشمس ؛ فيظَلُّ ذَوُو الحاجات الذين يُحبُّون التعجُّلَ يَرْمُونه بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له : وَيْلَكَ قم فارْمِ ، فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ، ورمى الناس معه

قال ابن إسحق : فاذا فرغوا من رمى الجمار وأرادوا النَّفْرَ من مِنًى

---

(1) هذه زيادة يقتضيها السياق

(2) التباعة : ما يتبعه الانسان ويقتدى به ، وقوله « فعلى قضاعه » إنما قال ذلك لأنه قد كان من قضاعة من يستحل الأشهر الحرم ، فجعل إثم ذلك عليهم . قاله أبو ذر

أخذت صُوفَةُ بجانبي العقبة ، فحبسوا الناس . وقالوا : أجيزِي [١] صُوفَةَ ، فلم يجُزْ أحد من الناس حتى يمروا ، فاذا نفرتْ صوفة ومضت خُلِّى سبيلُ الناس ، فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك حتى انقرضوا ، فورثهم ذلك مِنْ بَعْدِهِم بالقُعْدُد [٢] بَنُو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانت من بنى سعد فى آل صَفْوان بن الحرث بن شِجْنَة

نسب صفوان

قال ابن هشام : صَفْوان : ابن جناب بن شِجْنة بن عُطارد بن عَوْف ابن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَنَاةَ بن تميم

صفوان وابناؤه يجيزون الناس

قال ابن إسحق : وكان صفوان هو الذى يجيز للناس بالحج من عرفة ، ثم بَنُوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام كَرِبُ بن صفوان ، وقال أوْسُ بن تميم بن مَغْراء السعدى : —

لَا يَبْرَحُ النَّاسُ مَا حَجُّوا مُعَرَّفَهُمْ حَتَّى يُقَالَ أَجِيزُوا آلَ صَفْوَانَا

الافاضة من المزدلفة فى عدوان وشعر ذى الاصبع العدوانى

قال ابن هشام : هذا البيت فى قصيدة لأوس بن مَغْراء

وأما قول ذى الأصبع العَدْوانيّ ، واسمه حُرْثان بن عَمْرو ، وإنما سمى ذا الأصبع لأنه كان له أصبع فقطعها :

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدْوَا نَ كَانُوا حيَّةَ الأَرْضِ [٣]

(١) « أجيزى صوفة » يقال : جاز الموضع يجوزه ، إذا خلفه ، ويقال : أجازه ، إذا قطعه

(٢) « بالقعدد » هو قرب الآباء إلى الجد الأكبر ، يقال : رجل قعدد ، إذا كان قريب الآباء إلى الجد الأكبر

(٣) العذير : بمعنى العاذر . وهو نصب على المصدر ، وقيل : على تقدير هاتوا عذيره ، أى : من يعذره ، وقوله « حية الأرض » يقال . فلان حية الأرض وحية الوادى ، إذا كان مهيبا يذعر منه ، وقيل : معناه إنهم حياة الأرض لأنهم كانوا يقومون بالناس لكرمهم وجودهم . قاله أبو ذر

بَغَى بَعْضُهُمْ ظُلْماً فَلَمْ يُرْعِ عَلَى بَعْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَا تُ وَالْمُوفُونَ بِالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّا سَ بِالسنَّةِ وَالْفَرْضِ
وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وهذه الأبيات فى قصيدة له ؛ فلأن[1] الافاضة من المزدلفة كانت فى عَدْوان — فيما حدثنى زيادُ بن عبدِ الله البَكَّائى ، عن محمد بن إسحق — يتوارثون ذلك كابرا عن كابر ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام أبو سَيَّارة عُمَيْلَةُ بن الأعزل ففيه يقول شاعر من العرب :

نَحْنُ دَفَعْنَا عَنْ أَبِي سَيَّارَهْ وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَزَارَهْ
حَتَّى أَجَازَ سَالِماً حِمَارَهْ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ يَدْعُو جَارَهْ[2]

قال : وكان أبو سَيَّارة يدفع بالناس على أتانٍ له ، فلذلك يقول « سالما حماره »

عامر بن الظرب العدوانى حكم العرب

قال ابن إسحق : وقوله « حكم يقضى » يعنى عامر بن ظَرِب بن عَمْرو ابن عِياذ بن يَشْكُر بن عَدْوانَ الْعَدْوانى ، وكانت العرب لا تكون بينها نائرة ولا عُضْلة[3] فى قضاء إلا أسندوا ذلك إليه ، ثم رَضُوا بما قضى فيه ، فاختُصم إليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه فى رجل خُنْثَى : له ماللرجل ، وله ما للمرأة ، فقالوا : أتجعله رجلا أو امرأة ؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه ، فقال : حتى أنظر فى أمركم فوالله ما نزل بى مثلُ هذه منكم

(١) هذا جواب قوله : وأما قول ذى الأصبع

(٢) أى : يدعو الله عز وجل ، يقول : اللهم كن لنا جارا مما نخافه ، أى : مجيرا

(٣) النائرة : الحادثة الشنيعة تكون بين القوم . والعضلة : الأمر الشديد الذى لا يعلم له وجه ؛ والعضلة أيضا : من أسماء الداهية . قاله أبو ذر

يامعشر العرب ، فاسْتأخَرُوا عنه ، فبات ليلته ساهرا يُقلِّب أمره وينظر فى شأنه ، لايتوجَّه له منه وجه ، وكانت له جارية يقال لها سُخَيْلة تَرْعى عليه غنمه ، وكان يعاتبها إذا سرحت ، فيقول : صَبَّحت والله ياسُخَيْل ، وإذا راحت عليه قال : مَسَّيْتِ والله ياسُخَيْل ، وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعضُ الناس ، وتؤخر الاراحة حتى يسبقها بعضُ الناس ، فلما رأت سَهرَه [وقَلَقَه] وقِلَّةَ قَرَاره على فراشه قالت : مَالَكَ لاأَبَالَكَ ! ! مَاعَرَاكَ فى ليلتك هذه ؟ قال : وَيْلَكِ دعينى ، أمْرٌ ليس من شأنك ؛ ثم عادت له بمثل قولها ، فقال فى نفسه : عسى أن تأتى مما أنا فيه بفرج ، فقال ويحك !! اخْتُصِمَ إلَيَّ فى ميراث خُنثى أأجعله رجلاأو امرأة ،فوالله ماأدرى ماأصنع ، ومايتوجه لى فيه وجه ؛ فقالت : سُبْحَانَ الله!! لاأَبَالَكَ !! أَتْبِعِ الْقَضَاءَ الْمَبَالَ (١) أقعدهُ فان بال من حيث يبول الرجل فهورجل ، وإن بال من حيث تبول المرأة فهى امرأة ، قال : مَسِّى سُخَيْلُ بَعْدَهَا أَوْ صَبِّحِي فَرَّجْتِهَا والله ، ثم خرج على الناس حين أصبح فقضى بالذى أشارت عليه به

قصى بن كلاب يغلب على أمر مكة وقتاله لصوفة

غلب قصى بن كلاب على أمر مكة ، وجمعه أمر قريش ، ومعونة قضاعة له

قال ابن إسحق : فلما كان ذلك العام فعلت صُوفَةُ كما كانت تفعل وقد عرفت ذلك لها العربُ ، وهو دينٌ فى أنفسهم ، فى عَهْد جُرْهم وخُزَاعة وولايتهم ، فأتاهم قُصَىٌّ بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند الْعَقَبة ، فقال : لَنَحْنُ أولى بهذا منكم ، فقاتلوه ، فاقتتل الناس

(١) أى : اجعله تابعا له ، وهذا من الاستدلال بالأمارات ، وله نظائر كثيرة فى الشريعة ، ومنه قوله تعالى : (وجاؤا على قميصه بدم كذب) لأن القميص المدمى لم يكن فيه خرق ولا أثر لأنياب الذئب

قتالا شديدا ، ثم انهزمت صُوفة ، وغلبهم قُصَيّ على ما كان بأيديهم من ذلك .

قتال قصى لخزاعة وبنى بكر وتحاكمهم

وانحازت عند ذلك خُزَاعة و بنو بكر عن قُصَى ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صُوفَة ، وأنه سيحول بينهم و بين الكعبة وأمر مكة ، فلما انحازوا عنه بَادَاهُمْ ، (١) وأجمع لحربهم ، وخرجت له خزاعة و بنو بكر ، فالتقوا ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعا ، ثم إنهم تَداعَوْا إلى الصلح ، و إلى أن يُحَكِّمُوا بينهم رجلا من العرب ، فحكَّموا يَعْمُر بن عَوْف بن كَعْب بن عامر بن لَيْث بن بَكْر بن عَبْد مَنَاةَ بن كنانة ، فقضى بينهم بأن قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة ، وأن كل دم أصابه قصى من خزاعة و بنى بكر مَوْضُوعٌ يَشْدَخُه (٢) تحت قدميه ، وأن ما أصابت خزاعة و بنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مُؤَدَّاة ، وأن يخلى بين قصى و بين الكعبة ومكة ؛ فسمى يعمر بن عوف يومئذ الشَّدَّاخ ؛ لما شدخ من الدماء و وضع منها

قال ابن هشام : و يقال : الشُّدَاخ (٣)

ولاية قصى أمر مكة

قال ابن إسحق : فولى قصى البيت وأمر مكة ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة ، وتملَّك على قومه وأهل مكة فملَّكوه ، إلا أنه قد أقرَّ للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه دِينًا فى نفسه لاينبغى تغييره ، فأقرَّ آلَ صَفْوان وعَدْوان والنَّسَأة ومُرَّة بن عوف على ما كانوا عليه ،

---

(١) باداهم : كاشفهم

(٢) يشدخه : يريد أنه باطل لادية فيه ؛ وأصل الشدخ : الكسر

(٣) ضبط الأول بفتح الشين وتشديد الدال والثانى بضم الشين وفتح الدال مخففة ، وهو صفة مشبهة مثل طوال بمعنى طويل

قصى اول بنى كعب يلى ملكا

حتى جاء الاسلام ، فهدم الله به ذلك كله ، فكان قصى أول بنى كعب ابن لؤى أصاب ملكا أطاع له به قومه ، فكانت إليه الحِجابة (١) والسِّقاية (٢) والرِّفاده (٣) والنَّدْوَة (٤) واللِّواء (٥) ، فحازشرف مكة كله ، وقطع مكة رِبَاعًا بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها ، ويزعم الناس أن قريشا هابوا قَطْع شجر الحرم فى منازلهم ، فقطعها قصى بيده وأعوانه ، فسَمَّتْه قريش مُجَمِّعاً لما جمع من أمرها ، وتيمنت بأمره ، فما تنكح امرأة ، ولا يتزوج رجل من قريش ، وما يتشاورون فى أمر نزل بهم ، ولا يَعْقِدون لواء لحرب قوم من غيرهم : إلا فى داره : يعقِدُهُ لهم بعضُ ولده ، وما تَدَّرِعُ (٦) جاريةٌ إذا بلغت أنْ تَدَّرِعَ من قريش إلا فى داره : يُشَقُّ عليها فيها درعُها ثم تَدَّرعه ثم يُنْطلق بها إلى أهلها ، فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته ومن بعد موته كالدِّين المتبع لا يعمل بغيره ، واتخذ لنفسه دار الندوة ، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، ففيها كانت قريش تقضى أمورها .

قال ابن هشام : وقال الشاعر : —

قُصَىٌّ لعَمْرِى كَانَ يُدْعَى مُجَمِّعاً ‏ ‏ ‏ بِهِ جَمَعَ اللهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهْرِ

---

(١) حجابة البيت : أن تكون مفاتيحه عنده فلا يدخله أحد إلا باذنه

(٢) يعنى سقاية زمزم . وكانو يصنعون بها شرابا فى الموسم للحجاج يمزجونه تارة بالعسل وتارة باللبن وتارة بالنبيذ

(٣) الرفادة : طعام كانت قريش تجمعه كل عام لأهل الموسم ويقولون : هم أضياف الله

(٤) الندوة : الاجتماع للمشورة والرأى

(٥) اللواء : يعنى اللواء فى الحرب ، وستسمع كلام المؤلف فى ذلك

(٦) تدرع : تلبس الدرع

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الملك بن راشد ، عن أبيه ، قال : سمعت السائب بن خَبَّاب صاحب المقصورة يحدث ، أنه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب ، وهو خليفة ، حديث قُصَىٍّ بن كلاب وما جَمَّع من أمر قومه وإخراجه خُزَاعةَ و بنى بكر من مكة ، وولايته البيت ، وأمرمكة ، فلم يَرُدَّ ذلك عليه ولم ينكره

شعر رزاح ابن ربيعة فى اخراج خزاعة

قال ابن إسحق : فلما فرغ قصى من حربه انصرف أخوه رِزَاحُ بن ربيعة إلى بلاده ، بمن معه من قومه ؛ وقال رِزاح فى إجابته قصيا :

لَمَّا أَتَى مِنْ قُصَىٍّ رَسُولُ ... فَقَالَ الرَّسُولُ : أَجِيبُوا الْخَلِيلاَ
نَهَضْنَا إِلَيْهِ نَقُودُ الْجِيَادَ ... وَنَطْرَحُ عَنَّا الْمَلُولَ الثَّقِيلاَ
نَسِيرُ بِهَا اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ ... وَنَكْمِى النَّهَارَ لِئَلاَّ نَزُولاَ (١)
فَهُنَّ سِرَاعٌ كَوِرْدِ الْقَطَا ... يُجِبْنَ بِنَا مِنْ قُصَىٍّ رَسُولاَ (٢)
جَمَعْنَا مِنَ السِّرِّ مِنْ أَشْمَذَيْنِ ... وَمِنْ كُلِّ حَىٍّ جَمَعْنَا قَبِيلاَ (٣)
فَيَالَكِ حَلْبَةَ مَالَيْلَةَ ... تَزِيدُ عَلَى الأَلْفِ سَيْبًا رَسِيلاَ (٤)

(١) « نكمى» أى : نكمن ونستتر

(٢) « ورد القطا » الوارد منها إلى الماء

(٣) « أشمذين » بفتح الذال وكسر النون ـ اسم لجبلين ، أو قبيلتين انظر معجم ياقوت

(٤) الحلبة : جماعة الخيل . والسيب : المشى السريع فى رفق ، والرسيل : الذى فيه تمهل

فَلَمَّا مَرَرْنَ عَلَى عَسْجَرٍ
وَأَسْهَلْنَ مِنْ مُسْتَنَاخٍ سَبِيلاَ (١)

وَجَاوَزْنَ بِالرُّكْنِ مِنْ وَرِقَانٍ وَجَاوَزْنَ بِالْعَرْجِ حَيًّا حُلُولاَ
مَرَرْنَ عَلَى الْحِلِّ مَاذُقْنَهُ وَعَالَجْنَ مِنْ مَرَّ لَيْلاً طَوِيلاَ
نُدَنِّى مِنَ الْعُوذِ أَفْلاَءهَا إِرَادَةَ أَنْ يَسْتَرِقْنَ الصَّهِيلاَ (٢)
فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى مَكَّةٍ أَبَحْنَا الرِّجَالَ قَبِيلاً قَبِيلاَ
نُعَاوِرُهُمْ ثَمَّ حَدَّ السُّيُوفِ وَفِى كُلِّ أَوْبٍ خَلَسْنَا الْعُقُولاَ (٣)
نُخَبِّزُهُمْ بِصِلاَبِ النُّسُو رِ خَبْزَ الْقَوِىِّ الْعَزِيزِ الذَّلِيلاَ (٤)
قَتَلْنَا خُزَاعَةَ فِى دَارِهَا وَبَكْراً قَتَلْنَا وَجِيلاً فَجِيلاَ
نَفَيْنَاهُمُ مِنْ بِلاَدِ الْمَلِيكِ كَمَا لاَيَحُلُّونَ أَرْضًا سُهُولاَ
فَأَصْبَحَ سَبْيُهُمُ فِى الْحَدِيدِ وَمِنْ كُلِّ حَىٍّ شَفَيْنَا الْغَلِيلاَ

شعر ثعلبة القضاعى

وقال ثعلبة بن عبد الله بن ذُبيان بن الحرث بن سَعْد هُذَيم القُضَاعى في ذلك من أمر قصى حين دعاهم فأجابوه : —

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مُضْمَرَةً تَغَالَى مِنَ الْأَعْرَافِ أَعْرَافِ الْجِنَابِ (٥)
إِلي غَوْرَىْ تِهَامَةَ فَالْتَقَيْنَا مِنَ الْفَيْفَاءِ فِى قَاعٍ يَبَابِ
فَأَمَّا صُوفَةُ الْخُنْثَى فَخَلَّوْا مَنَازِلَهُمْ مُحَاذَرَةَ الضِّرَابِ
وَقَامَ بَنُو عَلِىٍّ إِذْ رَأَوْنَا إِلي الْأَسْيَافِ كَالْإِبِلِ الطِّرَابِ

(١) عسجر : اسم موضع قرب مكة ، وأسهلن : سلكن السهل
(٢) العوذ : جمع عائذ ، وهي الناقة إذا وضعت وبعدما تضع أياما حتى يقوى ولدها ، والأفلاء . جمع فلو ، وهو المهر العظيم ، أو البالغ سنة
(٣) « نعاورهم » أى : نتعاون عليهم بالضرب واحدا بعد واحد
(٤) « نخبزهم » أى : نسوقهم سوقا شديدا
(٥) الجناب ـ بكسر الجيم ـ موضع من بلاد قضاعة

وقال قصي بن كلاب : —

أَنَا ٱبْنُ العَاصِمِينَ بَنِي لُؤَيٍّ بِمَكَّةَ مَنْزِلِي وَبِهَا رَبِيتُ
إِلَي البَطْحَاءِ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ وَمَرْوَتُهَا رَضِيتُ بِهَا رَضِيتُ
فَلَسْتُ لِغَالِبٍ إِنْ لَمْ تَأَثَّلْ بِهَا أَوْلَادُ قَيْذَرَ وَالنَّبِيتِ
رِزَاحٌ نَاصِرِي وَبِهِ أُسَامِي فَلَسْتُ أَخَافُ ضَيْماً مَا حَيِيتُ

رزاح بن ربيعة ونهد وحوتكة وشعر قصي في ذلك

فلما استقر رِزاحُ بن ربيعة فى بلاده نَشَرَه الله ونَشَرَ[1] حُنًّا ، فهما قبيلا عذرة اليوم ، وقد كان بين رزاح بن ربيعة — حين قدم بلاده — وبين نَهْدِ بن زَيْدٍ وحَوْتَكَةَ[2] بن أَسْلُم — وهما بطنان من قُضَاعة — شيء ، فأخافهم حتى لحقوا باليمن ، وأجلوا من بلاد قضاعة ، فهم اليوم باليمن ، فقال قصي بن كلاب ، و كان يحب قُضَاعة ونَمَاءَها واجتماعها ببلادها ؛ لما بينه و بين رِزاح من الرَّحم ، ولبلائهم عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نصرته ، و كره ماصنع بهم رزاح : —

---

(١) قال السهيلي : «فى قضاعة عذرتان : عذرة بن رفيدة (بضم الراء وفتح الفاء) ، وهم من بنى كلب بن وبرة ، وعذرة بن سعد بن سود بن أسلم (بفتح الهمزة وضم اللام) بن إلحاف بن قضاعة . وأسلم هذا من ولد حن بن ربيعة أخي رزاح بن ربيعة جد جميل بن عبد الله بن معمر صاحب بثينة ، وبثينة أيضا من ولد حن » اه ، ثم قال : « وليس فى العرب أسلم (بضم اللام) إلا ثلاثة : اثنان فى قضاعة : أسلم بن إلحاف هذا ، وأسلم بن تدول بن تيم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ، والثالث فى عك : أسلم بن القيانة بن غافق بن الشاهد بن عك ، وما عدا هؤلاء فأسلم (بفتح اللام) ذكره ابن حبيب فى المؤتلف والمختلف » اه

(٢) قال السهيلي : « حوتكة هو عم نهد بن زيد بن أسلم » اه

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى رِزَاحاً ... فإِنِّى قَدْ لَحَيْتُكَ فِى اثْنَتَيْنِ (١)
لَحَيْتُكَ فِى بَنِى نَهْدِ بْنِ زَيْدٍ ... كَمَا فَرَّقْتَ بَيْنَهُمُ وَبَيْنِى
وَحَوْتَكَةَ بْنَ أَسْلُمَ إِنَّ قَوْماً ... عَنَوْهُمْ بِالْمَسَاءَةِ قَدْ عَنَوْنِى

قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبى

قصى يخص ولده البكر عبد الدار بما كان له

قال ابن إسحق: فلما كبر قُصىٌّ ورَقَّ عظمه، و كان عبدُ الدار بِكْرَه، و كان عبدُ منافٍ قد شَرُفَ فى زمان أبيه، وذَهَبَ كُلَّ مَذْهَب، وعبدُ الْعُزَّى وعبدٌ؛ قال قصىٌّ لعبد الدار: أما والله يابنى لأُلْحِقَنَّكَ بالقوم، و إن كانوا قد شَرُفوا عليك؛ لايدخل رجلٌ منهم الكعبةَ حتى تكون أنت تفتحها له، ولايَعْقِدُ لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك، ولا يشرب أحدٌ بمكة إلا من سِقايتك، ولا يأكل أحدٌ من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك، ولا تقطعُ قريش أمرًا من أمورها إلا فى دارك؛ فأعطاه داره دار النَّدْوَة (٢) التى لا تَقضى قريشٌ أمرًا من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحِجابة واللِّواء والسِّقاية والرِّفادة

الرفادة

وكانت الرِّفادة خَرْجاً تُخرجه قريشٌ فى كل موسم من أموالها إلى قصى بن كلاب، فيصنع به طعاما للحاجِّ، فيأكله من لم يكن له سَعَة ولا زاد، وذلك أن قُصَيًّا فرضه على قريش، فقال لهم حين أمرهم به: يامعشرَ قريش، إنكم جيرانُ الله، وأهلُ بيته، وأهل الحرم، وإن الْحُجَّاج ضيفُ الله [وأهله] وزُوَّارُ بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يَصْدُروا عنكم، ففعلوا، فكانوا يُخرجون

(١) «لحيتك» لمتك
(٢) الندوة: الدار التى كانوا يتشاورون فيها، ولفظها مأخوذ من الندى والنادى والمنتدى، وهو مجلس القوم الذى يندون حوله

لذلك كل عام من أموالهم خَرْجاً ، فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاما للناس أيام منًى، فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه ، حتى قام الاسلام ، ثم جرى فى الاسلام إلى يومك هذا ، فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنًى للناس حتى ينقضى الحج

قال ابن إسحق : حدثنى بهذا من أمر قصى بن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده أبى إسحقُ بن يَسَار ، عن الحسن بن محمد ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، قال : سمعته يقول ذلك لرجل من بنى عبد الدار يقال له نُبَيْه بن وَهْب بن عامر بن عِكْرِمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي ، قال الحسن : فجعل إليه قُصَى كل ما كان بيده من أمر قومه ، و كان قصي لايُخَالَف ، ولا يُرَدُّ عليه شيء صنعه

ذكر ماجرى من اختلاف قريش بعد قصى ، وحلف المطيبين

اختلاف بنى عبد مناف بن قصى و بنى عبد الدار بن قصى

قال ابن إسحق : ثم إن قصيًّ بن كلاب هلك ، فأقام أمْرَه فى قومه وفى غيرهم بَنُوه من بعده ، فاختطُّوا مكة رِبَاعًا ، بعد الذى كان قطع لقومه بها ، فكانوا يقطعونها فى قومهم وفى غيرهم من حلفائهم و يبيعونها ، فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بنى عبد مناف بن قصيٍّ عبدَ شَمْسٍ وهاشماً والمطلبَ ونَوْفَلاً أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدى بنى عبد الدار بن قصى ، مما كان قصىٌّ جعل إلى عبد الدار من الحِجابة واللِّواء والسِّقاية والرِّفادة ، و رأوْا أنهم أولى بذلك منهم ؛ لشرفهم عليهم ، وفضلهم فى قومهم ، فتفرقت عند ذلك قريش : فكانت طائفة مع

بنى عبد مناف على رأيهم ، يَرَوْن أنهم أحق به من بنى عبد الدار ؛ لمكانهم فى قومهم ، وكانت طائفة مع بنى عبد الدار ، يَرَوْن أن لا يُنْزَعَ منهم ما كان قصى جعل إليهم ، فكان صاحبُ أمر بنى عبد مناف عَبْدَ شمس بن عبد مناف ، وذلك أنه كان أسَنَّ بنى عبد مناف ، وكان صاحبُ أمر بنى عبد الدار عامرَ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان بنو أسد بن عبد الْعُزَّى بن قصى و بنو زهرة بن كلاب و بنو تَيْم بن مُرَّة ابن كعب و بنو الْحرِث بن فِهْرِ بن مالك بن النضر مع بنى عبد مناف ، وكان بنو مخزوم بن يَقَظَة بن مُرَّة و بنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب و بنو جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب و بنو عَدِىّ بن كَعْب مع بنى عبد الدار ، وخرجت عامرُ بن لُؤَىّ و مُحارب بن فِهْر ؛ فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

تحالف كل فريق مع أنصاره

فعقد كل قوم على أمرهم حِلْفًا مُؤَكَّدًا ، على أن لا يتخاذلوا ، ولا يُسْلِم بعضهم بعضا ، ما بَلَّ بحرٌ صوفةً

المطيبون بنو عبد مناف وحلفاؤهم

فأخرج بنو عبد مناف جَفْنَةً مملوأة طِيباً ؛ فيزعمون أن بعضَ نساء بنى عبد مناف أخرَجَتْها لهم (١) ، فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة، ثم غَمَسَ القوم أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مَسَحُوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم ، فَسُمُّوا (٢) الْمُطَيَّبِينَ

---

(١) قال السهيلى : «لم يسم المرأة ، وقد سماها الزبير فى موضعين من كتابه ، فقال : هى أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوءمة أبيه » اهـ

(٢) قال السهيلى : « وكان المطيبون يسمون الدافة ـ جمع دائف ، بتخفيف الفاء ـ لأنهم دافوا الطيب » اهـ

الاحلاف

وتعاقد بنو عبد الدار ، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حِلْفًا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ، ولا يُسْلِم بعضهم بعضا ، فسُمُّوا الأحلاف

ثم سُوِنِدَ بين القبائل ، ولُزَّ بَعْضُها ببعض ، فَعُبِّيَتْ بنو عبد مناف لبنى سهم ، وعُبِّيَتْ بنو أسد لبنى عبد الدار ، وعُبِّيَتْ [بنو] زهرة لبنى جُمَح ، وعُبِّيَتْ بنو تَيْم لبنى مخزوم ، وعُبِّيَتْ بنو الحرث بن فِهْرٍ لبنى عَدِىٍّ بن كعب ، ثم قالوا : لِتَفْنِ كُلُّ قبيلة [على][1] من أسند إليها

الصلح بين الفريقين

فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تَدَاعَوْا إلى الصلح ، على أن يعطوا بنى عبد مناف السِّقَاية والرِّفادة ، وأن تكون الحِجابة واللِّواء والندوة لبنى عبد الدار كما كانت ، ففعلوا ، ورضى كل واحد من الفريقين بذلك ، وتحاجز الناس عن الحرب ، وثبت كل قوم مع من حالفوا ، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَا كَانَ مِنْ حِلْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَانَّ الْإِسْلاَمَ لَمْ يَزِدْهُ إلاَّ شِدَّةً »

حلف الفضول

قال ابن هشام : وأما حلف الْفُضُول [2] فحدثنى زياد بن عبد الله [الْبَكَّائى] عن محمد بن إسحق ، قال : تداعت قبائل من قريش إلى حِلْفٍ ، فاجتمعوا له فى دار عبد الله بن جُدْعان بن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم

---

(١) الصواب « لتفن كل قبيلة على من أسند إليها » ولكنه فى بعض النسخ باسقاط « عن » وفى بعض النسخ « لتعن كل قبيلة من أسند إليها » وهو ضد المعنى

(٢) هذه الحلف أشرف حلف فى العرب ، وقد ذكروا لها أسبابا كثيرة : منها أن رجلا من زبيد من أهل اليمن باع سلعة من العاص بن وائل

ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ لشرفه وسِنِّه فكان حِلْفُهم عنده ؛ بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسد بن عبد العُزَّى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ؛ فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مَظْلُوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مَظْلمته ؛ فسمت قريش ذلك الحلفَ حِلْفَ الفضول

الذين حضروا حلف الفضول

قال ابن إسحق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قُنْفُذ التَّيْمِيُّ أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ الله بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ (١) وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الإِسْلَامِ لأَجَبْتُ »

رسول الله يحدث أنه شهد حلف الفضول

قال ابن إسحق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادى اللَّيْثي ، أن محمد بن إبراهيم بن الحرث التَّيْمِيَّ حدثه أنه كان بين الحسين

السهمى ، فظلمه بالثمن ، فذكر ظلامته فى شعر له ، وهو : -

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتَهُ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِى الدَّارِ وَالنَّفَرِ

وَمُحْرِمٍ أَشْعَثَ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ ... يَالَلرِّجَالِ وَبَيْنَ الْحِجْرِ وَالْحَجَرِ

إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ ... وَلاَ حَرَامَ لِثَوْبِ الْفَاجِرِ الْغُدَرِ

فتداعت لذلك قريش ، واجتمعت إليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد ابن عبد العزى ، فى دار عبد الله بن جدعان التيمى ، وتعاقدوا بالله ليكونن مع المظلوم ، حتى يؤدى إليه حقه ، وقد شهد هذا الحلف النبى صلى الله عليه وسلم ، بخلاف حلف المطيبين فانه لم يدركه ؛ بل كان قبل ولادته عليه الصلاة والسلام ، وإنما سمى بالفضول : إما لأنهم تحالفوا على أنهم يردون الفضول إلى أهلها ، وإما لأنه يشبه حلفا وقع لثلاثة من جرهم ، كل واحد يقال له « الفضل »

(١) أى : لا أحب نقضه وإن دفع لى حمر النعم فى مقابلة ذلك

ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان — والوليدُ يومئذٍ أميرٌ على المدينة ، أمَّرَهُ عليها عمُّهُ معاوية بن أبى سفيان — مُنَازَعَةٌ فى مالٍ كان بينهما بذى الْمَرْوَة (١) ، فكان الوليد تحامل على الحسين فى حقه لسُلْطانه ، فقال له حسين : أَحْلِفُ بالله لَتُنْصِفَنِّى من حقى أو لآخُذَنَّ سيفى ثم لأقومَنَّ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لأدْعُوَنَّ بِحِلْفِ الفضول ، قال : فقال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد حين قال حسين ماقال : وأنا أحلف بالله لَئِنْ دعا به لآخُذَنَّ سيفى ثم لأقومَنَّ معه حتى يُنْصَفَ من حقه أو نموت جميعا ، قال : وبلغت الْمِسْوَرَ بن مَخْرَمَةَ بن نوفل الزُّهْرِىَّ فقال مثل ذلك ، وبلغت عبد الرحمن بن عُثْمان بن عبيد الله التَّيْمِيَّ فقال مثل ذلك ، فلما بلغ ذلك الوليدَ بن عُتْبَةَ أنصفَ الحسين من حقه حتى رضى

الحسين بن على والوليد بن عتبة

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادى اللَّيْثِيُّ ، عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التَّيْمى ، قال : قدم محمد بن جُبَير ابن مُطْعِم بن عَدِىّ بن نَوْفل بن عبد مناف ، وكان محمد بن جبير أعلمَ قريش ، فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم — حين قتل ابن الزبير واجتمع الناس على عبد الملك — فلما دخل عليه قال له : ياأبا سعيد ، ألم نكن نحن وأنتم — يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف ، وبنى نوفل ابن عبد مناف — فى حِلْفِ الفضول ؟ قال : أنت أعلم ، قال عبد الملك : لَتُخْبِرَنِّى ياأبا سعيد بالحق من ذلك ، فقال : لا والله لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، قال : صدقت

ابن جبير بن مطعم يخبر عبد الملك ابن مروان أن قومهما لم يدخلوا احلف الفضول

قال ابن إسحق : فولىَ الرِّفادةَ والسقايةَ هاشمُ بن عبد مناف ، وذلك

هاشم بن عبد مناف فى الرفادة والسقاية

---

(١) « ذو المروة » هى قرية بوادى القرى

أن عبد شمس كان رجلا سَفَّارًا قلَّما يُقيم بمكة ، وكان مُقِلاًّ ذا ولد ، وكان هاشم موسرا ، فكان — فيما يزعمون — إذا حضر الحج قام فى قريش فقال : يامعشر قريش ، إنكم جيرانُ الله وأهل بيته ، وإنه يأتيكم فى هذا الموسم زُوَّار الله وحجاج بيته ، وهم ضيف الله ، وأحقُّ الضيف بالكرامة ضيفه ، فاجْمَعُوا لهم ماتصنعون لهم به طعاما أيَّامَهُمْ هذه التى لابد لهم من الاقامة بها ؛ فانه والله لو كان مالى يَسَعُ لذلك ما كَلَّفْتُكُمُوه ، فيُخْرِجون لذلك خَرْجًا من أموالهم : كُلُّ امرىء بقدر ماعنده ، فيُصْنَع به للحجاج طعام حتى يصدروا منها

مآثر هاشم على قومه

وكان هاشم ، فيما يزعمون ، أولَ من سَنَّ الرِّحلتين لقريش : رحلة الشتاء ، والصيف ، وأولَ من أطعم الثريد [للحجاج] بمكة ، وإنما كان اسمه عَمْرا فما سمى هاشما إلا بهَشْمِهِ الخبزَ بمكة لقومه ، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب : —

عَمْرُو الَّذِى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ... قَوْمٍ بِمَكَّةَ مُسْنِتِينَ عِجَافِ (١)
سُنَّتْ إلَيْهِ الرِّحْلَتَانِ كِلاَهُمَا ... سَفَرُ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةُ الْإِيلَافِ (٢)

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز

* قَوْمٍ بِمَكَّةَ مُسْنِتِينَ عِجَافِ (١) *

المطلب بن عبد مناف يلى السقاية والرفادة

قال ابن إسحق : ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغَزَّة من أرض الشام تاجرا ، فولى السِّقايةَ والرِّفادةَ من بعده المطلبُ بن عبد مناف ، وكان أصغر من عبد شمس وهاشم ، وكان ذا شرف فى قومه وفضل ، وكانت

---

(١) ويروى * ورجال مكة مسنتون عجاف * وفى الشعر على هذه الرواية الاقواء

(٢) يروى . . . ورحلة الأصياف *

قريش إنما تسميه الفَيْضَ ؛ لسماحته وفضله ، وكان هاشم بن عبد مناف قَدِمَ المدينة فتزوج سَلْمَي بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجار ، وكانت قبله عند أُحَيْحَة بن الجُلاَح بن الحَرِيش [١] (قال ابن هشام : ويقال الحريس) بن جَحْجَبى بن كُلْفَة بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس ؛ فولدت له عَمْرَو بن أُحَيْحة ، وكانت لا تنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا لها أنَّ أمْرَها بيدها : إذا كرهت رجلا فارقته ، فولدت لهاشم عبدَ المطلب ، فسمته شيبة [٢] فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفا [٣] أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ليقبضه فيُلْحِقه ببلده وقومه ، فقالت له سلمى : لست بمرسلته معك ، فقال لها المطلب : إنى غير منصرف حتى أخرج به معى ، إن ابن أخى قد بلغ وهو غريب فى غير قومه ، ونحن أهل بيتِ شرفٍ فى قومنا ؛ نلى كثيرا من أمرهم ، وقومه و بلده وعشيرته خير له من الاقامة فى غيرهم ، أو كما قال ، وقال شيبةُ لعمه المطلب فيما يزعمون : لست بمفارقها إلا أن تأذن لى ، فأذنت له ، ودفعته إليه ، فاحتمله ، فدخل به مكة مُرْدِفَهُ معه على بعيره ، فقالت قريش : عَبْدُ المطلبِ ، ابتاعه ، فبها سمى شيبةُ عبدَ المطلب ، فقال المطلب: وَيْحَكُمْ ! ! إنما هو ابن أخى هاشم ، قدمت به من المدينة

(١) قال أبو ذر : «وقع فى الرواية هنا بالشين والسين ، قال الدارقطنى : ذكر الزبير بن بكار أن جميع ما فى الأنصار الحريس ـ بالسين المهملة ـ إلا جد أحيحة هذا فانه الحريش بالشين معجمة » اهـ كلامه

(٢) قال الطبرى : سمى شيبة لشيبة كانت فى رأسه ، ويكنى بأبى الحرث والحرث أكبر ولده

(٣) « وصيفا » غلاما دون سن المراهقة

وفاة المطلب بن عبد مناف

ثم هلك المطلب بِرَدْمَانَ من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يَبْكيه : —

قَدْ ظَمِيءَ الْحَجِيجُ بَعْدَ الْمُطَّلِبْ   بَعْدَ الْجِفَانِ وَالشرَابِ الْمُنْثَعِبْ (١)
لَيْتَ قُرَيْشاً بَعْدَهُ عَلَى نَصَبْ (٢)

وقال مَطْرود بن كَعْب الْخُزَاعى يبكى المطلب و بنى عبد مناف جميعا حين أتاه نعى نوفل بن عبد مناف ؛ وكان نوفل آخرهم هلكا : —

يَالَيْلَةً هَيَّجْتِ لَيْلَاتِ   إحْدَى لَيَالِيَّ الْقَسِيَّاتِ (٣)
وَمَا أُقَاسِى مِنْ هُمُومٍ وَمَا   عَالَجْتُ مِنْ رُزْءِ الْمَنِيَّاتِ
إذَا تَذَكَّرْتُ أخِى نَوْفَلاً   ذَكَّرَنِى بِالْأَوَّلِيَّاتِ
ذَكَّرَنِى بِالْأُزْرِ الْحُمْرِ وَا * أرْدِيَةِ الصُّفْرِ الْقَشِيبَاتِ (٤)
أرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ سَيِّدٌ   أبْنَاءُ سَادَاتٍ لِسَادَاتِ
مَيْتٌ بِرَدْمَانَ وَمَيْتٌ بِسَلْ * مَانَ وَمَيْتٌ بَيْنَ غَزَّاتِ (٥)

---

(١) « الشراب المنثعب » هو الكثير السيل ، يقال : اثعب الماء ؛ إذا سال من موضع مصرفه

(٢) « على نصب » أى : على تعب وعذاب ، قاله أبو ذر

(٣) أى : أنت إحدى ليالى القسيات ، والقسيات . مأخوذ من القسوة على معنى أنه لا لين عندهن ولا رحمة فيهن ، والقاسى والقسى : الشديد ، ويروى « العشيات » من العشا ، وهو ضعف البصر ، فمعناه المظلمات

(٤) « القشيبات » الجديدات ؛ تقول : ثوب قشيب ، إذا كان جديدا

(٥) « ردمان » موضع باليمن مات فيه المطلب كما سبق قريبا ، و« سلمان » اسم ماء قديم فى الطريق إلى تهامة من العراق وبه قبر نوفل بن عبد المطلب . و « غزات » هى غزة ، ولكنهم يعطون لكل ناحية أو لكل ربض من البلدة اسمها ، فجمعها على هذا الاعتبار

وَمَيِّتٌ أُسْكِنَ لَحْدًا لَدَى الْمَحْجُوبِ شَرْقِيَّ الْبَنِيَّاتِ (١)

أَخْلَصَهُمْ عَبْدُ مَنَافٍ فَهُمْ مِنْ لَوْمِ مَنْ لَامَ بِمَنْجَاةِ

إِنَّ الْمُغِيرَاتِ وَأَبْنَاءَهَا مِنْ خَيْرِ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ (٢)

وكان اسم عبد مناف المغيرة ، وكان أولَ بنى عبدمناف هُلْكاً هاشمٌ بغزة من أرض الشام ، ثم عبدشمس بمكة ، ثم المطلب بِرَدْمَان من [ناحية] أرض اليمن ، ثم نوفل بسَلْمَان من ناحية العراق ، فقيل لمطرود — فيما يزعمون — : لقد قلت فأحسنت ، ولو كان أفحل مما قلت كان أحسن ، فقال :أنظِرُونى ليالى ، فمكث أياما ، ثم قال : —

يَا عَيْنُ جُودِي وَأَذْرِي الدَّمْعَ وَانْهَمِرِي
وَابْكِي عَلَى السِّرِّ مِنْ كَعْبِ الْمُغِيرَاتِ

يَا عَيْنُ وَاسْحَنْفِرِي بِالدَّمْعِ وَاحْتَفِلِي
وَابْكِي خَبِيئَةَ نَفْسِي فِي الْمُلِمَّاتِ (٣)

وَابْكِي عَلَى كُلِّ فَيَّاضٍ أَخِي ثِقَةٍ
ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ وَهَّابِ الْجَزِيلَاتِ (٤)

مَحْضِ الضَّرِيبَةِ عَالِي الْهَمِّ مُخْتَلَقٍ جَلْدِ النَّحِيزَةِ نَابٍ بِالْعَظِيمَاتِ (٥)

---

(١) البنيات : الكعبة

(٢) يعنى بالمغيرات بنى المغيرة

(٣) « اسحنفرى » أى : أديمى الدمع . و « الخبيئة » الشىء المخبوء ، يريد أنه ذخيرة عند نزول الشدائد

(٤) « ضخم الدسيعة » أى : واسع العطية ، والجزيلات : الكثيرات

(٥) الضريبة : الطبيعة ، والمختلق ـ بفتح اللام ـ تام الخلق ، والنحيزة : الطبيعة ، وناب : مرتفع ، ويروى « ناه » ومعناه ناهض

صَعْبِ الْبَدِيهَةِ لاَ نِكْسٍ وَلاَ وَكِلٍ
مَاضِى الْعَزِيمَةِ مِتْلاَفِ الْكَرِيمَاتِ (١)

صَقْرٍ تَوَسَّطَ مِنْ كَعْبٍ إِذَا نُسِبُوا ... بُحْبُوحَةَ الْمَجْدِ وَالشُّمَّ الرَّفِيعَاتِ (٢)
ثُمَّ انْدُبِى الْفَيْضَ وَالْفَيَّاضَ مُطَّلِباً ... وَاسْتَخْرِطِى بَعْدَ فَيْضَاتٍ بِجَمَّاتِ (٣)
أَمْسَى بِرَدْمَانَ عَنَّا الْيَوْمَ مُغْتَرِباً ... يَا لَهْفَ نَفْسِى عَلَيْهِ بَيْنَ أَمْوَاتِ
وَابْكِى لَكِ الْوَيْلُ إِمَّا كُنْتِ بَاكِيَةً ... لِعَبْدِ شَمْسٍ بِشَرْقِىِّ الْبُنَيَّاتِ
وَهَاشِمٍ فِى ضَرِيحٍ وَسْطَ بَلْقَعَةٍ ... تَسْفِى الرِّيَاحُ عَلَيْهِ بَيْنَ غَزَّاتِ
وَنَوْفَلٍ كَانَ دُونَ الْقَوْمِ خَالِصَتِى ... أَمْسَى بِسَلْمَانَ فِى رَمْسٍ بِمَوْمَاةِ
لَمْ أَلْقَ مِثْلَهُمُ عُجْماً وَلاَ عَرَباً ... إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِهِمْ أُدْمُ الْمَطِيَّاتِ
أَمْسَتْ دِيَارُهُمُ مِنْهُمْ مُعَطَّلَةً ... وَقَدْ يَكُونُونَ زَيْناً فِى السَّرِيَّاتِ (٤)
أَفْنَاهُمُ الدَّهْرُ أَمْ كَلَّتْ سُيُوفُهُمُ ... أَمْ كُلُّ مَنْ عَاشَ أَزْوَادُ الْمَنِيَّاتِ
أَصْبَحْتُ أَرْضَى مِنَ الأَقْوَامِ بَعْدَهُمُ ... بَسْطَ الْوُجُوهِ وَإِلْقَاءَ التَّحِيَّاتِ
يَا عَيْنُ فَابْكِى أَبَا الشُّعْثِ الشَّجِيَّاتِ ... يَبْكِينَهُ حُسَّراً مِثْلَ الْبَلِيَّاتِ (٥)

(١) النكس : الرجل الدنىء ، والوكل : الضعيف الذى يكل أموره إلى غيره

(٢) البحبوحة : وسط الشىء ، والشم : جمع أشم ، وهو المرتفع العالى

(٣) استخرطى : استكثرى من الدمع ، والجمات — فى الأصل — : المجتمع من الماء ، فاستعاره للدمع

(٤) « السريات » جمع سرية ، وهى طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو ، سموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم

(٥) الشعث : جمع شعثاء ، والشجيات : الحزينات ، من الشجى ، وهو الحزن ، وتشديد الياء قد أنكره ابن قتيبة ، ولكن القياس لا يأباه

يَبْكِينَ أَكْرَمَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ ... يُعْوِلْنَهُ بِدُمُوعٍ بَعْدَ عَبْرَاتِ (١)
يَبْكِينَ شَخْصًا طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا فَجَرٍ ... آبِي الْمَضِيمَةِ فَرَّاجَ الْجَلِيلَاتِ (٢)
يَبْكِينَ عَمْرَو الْعُلَا إِذْ حَانَ مَصْرَعُهُ ... سَمْحَ السَّجِيَّةِ بَسَّامَ الْعَشِيَّاتِ (٣)
يَبْكِينَهُ مُسْتَكِينَاتٍ عَلَى حَزَنٍ ... يَا طُولَ ذَلِكَ مِنْ حُزْنٍ وَعَوْلَاتِ
يَبْكِينَ لَمَّا جَلَاهُنَّ الزَّمَانُ لَهُ ... خُضْرَ الْخُدُودِ كَأَمْثَالِ الْحَمِيَّاتِ (٤)
مُحْتَزِمَاتٍ عَلَى أَوْسَاطِهِنَّ لِمَا ... جَرَّ الزَّمَانُ مِنَ أَحْدَاثِ الْمُصِيبَاتِ
أَبِيتُ لَيْلِي أُرَاعِي النَّجْمَ مِنْ أَلَمٍ ... أَبْكِي وَتَبْكِي مَعِي شَجْوِي بُنَيَّاتِي

والسماع قد ورد به فى نحو قول أبى الأسود * ويل الشجى من الخلى فانه * و « حسرا » جمع حاسرة ، و « البليات » جمع بلية ، وهى الناقة يموت ربها فتشد عند قبره حتى تموت ، كانوا يقولون إن صاحبها يحشر عليها

(١) قياس جمع الاسم الثلاثى الحروف المفتوح الأول الساكن الثانى الصحيح الوسط جمع مؤنث سالما أن يفتح ثانيه ، تقول دمعة ودمعات ، وعبرة وعبرات ، وزفرة وزفرات ، إلا أنهم قد يبقون الثانى ساكنا ضرورة كما هنا ، وكما فى قول عروة بن حزام : —

وَحُمِّلْتُ زَفْرَاتِ الضُّحَى فَأَطَقْتُهَا ... وَمَالِي بِزَفْرَاتِ الْعَشِيِّ يَدَانِ

(٢) الفجر : الجود ، والمضيمة : الذل

(٣) « بسام العشيات » يعنى أنه يضحك للاضياف ويبسم عند لقائهم ، وهو كناية عن فرط الكرم ، ويروى لحاتم الطائى : —

أُضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ ... وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَحَلُّ جَدِيبُ
وَمَا الْخِصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقِرَى ... وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ

(٤) قال أبو ذر : « الحميات : الابل التى حميت الماء ، أى : منعت » اه

مَافِي الْقُرُومِ لَهُمْ عِدْلٌ وَلاَ خَطَرٌ ... وَلاَ لِمَنْ تَرَكُوا شَرْوَى بَقِيَّاتِ (١)
أَبْنَاؤُهُمْ خَيْرُ أَبْنَاءٍ وَأَنْفُسُهُمْ ... خَيْرُ النفوسِ لَدَى جَهْدِ الْأَلِيَّاتِ
كَمْ وَهَبُوا مِنْ طِمِرٍّ سَابِحٍ أَرِنٍ ... وَمِنْ طِمِرَّةِ نَهْبٍ فِي طِمِرَّاتِ (٢)
وَمِنْ سُيُوفٍ مِنَ الْهِنْدِيِّ مُخْلَصَةٍ ... وَمِنْ رِمَاحٍ كَأَشْطَانِ الرَّكِيَّاتِ (٣)
وَمِنْ تَوَابِعَ مِمَّا يُفْضِلُونَ بِهَا ... عِنْدَ الْمَسَائِلِ مِنْ بَذْلِ الْعَطِيَّاتِ
فَلَوْ حَسَبْتُ وَأَحْصَى الْحَاسِبُونَ مَعِي ... لَمْ أَقْضِ أَفْعَالَهُمْ تِلْكَ الْهَنِيَّاتِ
هُمُ الْمُدِلُّونَ إِمَّا مَعْشَرٌ فَخَرُوا ... عِنْدَ الْفَخَارِ بِأَنْسَابٍ نَقِيَّاتِ
زَيْنُ الْبُيُوتِ الَّتِي حَلُّوا مَسَاكِنَهَا ... فَأَصْبَحَتْ مِنْهُمُ وَحْشًا خَلِيَّاتِ
أَقُولُ وَالْعَيْنُ لَا تَرْقَى مَدَامِعُهَا ... لَا يُبْعِدِ اللهُ أَصْحَابَ الرَّزِيَّاتِ

قال ابن هشام : الفجر : العطاء ، قال أبو خِرَاشٍ الْهُذَلِيُّ : —

عَجَّفَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ ... بِذِي فَجَرٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ

قال ابن إسحق : أبو الشعث الشجيات : هاشم بن عبد مناف

عبد المطلب بن هاشم يلي السقاية والرفادة

قال : ثم ولى عبدُ المطلب بن هاشم السِّقَايَةَ والرِّفادة بعد عمه المطلب؛ فأقامها للناس ، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم ، وشَرُفَ فى قومه شَرَفًا لم يبلغه أحد من آبائه ، وأحبَّهُ قومُه ، وعَظُم خَطَرُه فيهم

---

(١) القروم : سادات الناس ، وأصله الفحول من الابل : وعدل : بكسر العين — أى : مثل ، والخطر : القدر والرفعة ، وشروى : كلمة بمعنى مثل ، يقال : هذا شروى هذا ، أى : مثله ، قاله أبو ذر

(٢) الطمر : الفرس الجواد ، والأرن : النشط ، والنهب : ما انتهب من الغنائم ، والطمرات : الأمكنة المرتفعة

(٣) الأشطان : جمع شطن كسبب وأسباب — والشطن : هو الحبل ، والركيات : جمع ركية ، وهى البئر

ذكر حفر زمزم

ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم فى الحِجْرِ إذ أُتى فأُمِرَ بحفر زمزم

رؤيا عبد المطلب قال ابن إسحق : وكان أول ماابتدىء به عبد المطلب من حفرها ، كما حدثنى يَزِيد بن أبى حَبيب المِصرى ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَنِى ، عن عبد الله بن زُرَيْرٍ الغَافقى ، أنه سمع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها ، قال : قال عبد المطلب : إنى لنائم فى الحِجْر إذ أتانى آتٍ فقال : احْفِرْ طَيْبَةَ [1] قال : قلت : وما طَيْبَةُ ؟ قال : ثم ذهب عنى ، فلما كان [من] الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه ، فجاءنى ، فقال : احْفِرْ بَرَّة ، قال : فقلت : وما بَرَّةُ ؟ قال : ثم ذهب عنى ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه ، فجاءنى ، فقال : احفِرِ المضنونة ، قال : فقلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عنى ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى ، فنمت فيه ، فجاءنى ، فقال : احْفِرْ زَمْزم ، قال : قلت : ومَا زَمْزَم ؟ قال لاَ تَنْزِفُ [2] أَبَدًا وَلاَ تُذَمُّ ، [3] تَسْقِى الْحَجِيجَ الأَعْظَم ، وَهِىَ بَيْنَ الْفَرْثِ وَالدَّم [4]

(١) قيل لزمزم طيبة لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم ، وقيل لها برة لأنها فاضت على الأبرار وغاضت عن الفجار ، وقيل لها مضنونة لأنها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق

(٢) أى : لايفرغ ماؤها ولايلحق قعرها

(٣) أى : لاتوجد قليلة الماء ، تقول : أذممت البئر ، إذا وجدتها قليلة الماء ، قاله أبو ذر

(٤) الفرث : ما يكون فى كرش ذى الكرش من الحيوان

عند نُقْرة الْغُراب الأعصم (١) عند قَرْيَة النمل (٢)

قال ابن إسحق : فلما بُيِّن له شأنها ، ودُلَّ على موضعها ، وعرف أنه قد صُدِق ؛ غدا بمِعْوَله ومعه ابنه الحرث بن عبد المطلب ، ليس له يومئذ ولد غَيْرُه ، فحفر فيها ، فلما بدا لعبدالمطلب الطَّى كَبَّرَ ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه ، فقالوا : ياعبدالمطلب ، إنها بئر أبينا إسمعيل ، وإن لنا فيها حقًّا ، فأَشْرِكْنا معك فيها ، قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خُصِصْتُ به دُونكم ، وأعطيته من بينكم ، فقالوا له : فأَنْصِفْنا فإنَّا غيرُ تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه ، قالوا : كاهنة بني سعد هُذَيم ، قال : نعم ، قال : وكانت بأَشْرَافِ الشام ، فركب عبدالمطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبدمناف ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر ، قال : والأرض إذ ذاكَ مَفَاوِزُ ، قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فَنِيَ ماءُ عبدالمطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهَلَكَة ، فاستسقوا مَنْ معهم من قبائل قريش ، فأَبَوْا عليهم ، فقالوا : إنا بمفازة ، ونحن نخشي على أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبدالمطلب ما صنع القوم وما يَتَخَوَّفُ على نفسه وأصحابه قال : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأيُنا إلاَّ تَبَعٌ لرأيك ، فمرنا بما شئت ، قال : فاني أرى أن يحفر كل رجل منكم حُفْرَتَه لنفسه بما بكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ، ثم واروه ، حتى يكون آخركم رجلا واحدا ، فضَيْعَةُ رجل واحد أيسر من ضيعة رَكْبٍ جميعا ، قالوا : نِعْمَ ما أَمَرْتَ به ، فقام كل

قريش تنازع عبد المطلب

يتحاكمون الى كاهنة بني سعد هذيم

---

(١) قيل : الغراب الأعصم : أحمر المنقار والرجلين ، وقيل : أبيض البطن ، وقيل : أبيض الجناحين

(٢) دل عليها بعلامات ثلاث : كونها بين الفرث والدم ، وعند نقرة الغراب الأعصم ، وعند قرية النمل

واحد منهم لحفر حفرته ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عَطَشًا ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لانَضْرِبُ في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لَعَجْزٌ ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، ارْتَحِلُوا ؛ فارْتَحَلُوا ، حتى إذا فَرَغُوا ومَنْ معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هُمْ فاعلونَ تَقَدَّم عبد المطلب إلى راحلته فركبها ، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خُفِّها عَيْنٌ من ماء عذبٍ ، فكبرَّ عبدُ المطلب ، وكَبرَّ أصحابه ، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه ، واستقوا حتى ملأُوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش ، فقال : هَلُمَّ إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واسْتَقُوا ، فجاءوا فشربوا واستقوا ، ثم قالوا : قد والله قُضِيَ لك علينا ياعبد المطلب ، والله لانخاصمك في زمزم أبدا ، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لَهُوَ الذي سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشدا ، فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة ، وخَلَّوْا بينه وبينها

قال ابن إسحق : فهذا الذي بلغني من حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه في زمزم

وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم : —

ثمَّ ادْعُ بِالْمَاءِ الرَّوِي غَيْرِ الْكَدِرْ   يَسْقِي حَجِيجَ (١) اللهِ فِي كُلِّ مَبَرّْ (٢)
لَيْسَ يُخَافُ مِنْهُ شَيْءٌ مَاعَمَرْ (٣)

فخرج عبد المطلب — حين قيل له ذلكَ — إلى قريش ، فقال : تَعَلَّمُوا (٤)

(١) حجيج : جمع حاج ، وفي الجموع على هذا الوزن كثير كعبيد ومعيز
(٢) على زنة مفعل من البر ، والمراد به مناسك الحج ومواضع الطاعة
(٣) أي : مهما عمر هذا الماء فانه لا يؤذى ولا يخاف منه
(٤) « تعلموا » فعل أمر بمعنى اعلموا ، ومنه قول النابغة : —

آتى قد أمرت أن أحْفِر لكم زمزم ، فقالوا : فهل بُيِّنَ لك أين هى ؟ قال : لا ، قالوا : فارجع إلى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت ، فان يك حقا من الله يبين لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك ، فرجع عبد المطلب إلى مضجعه ، فنام فيه ، فأُتى فقيل له : احْفِرْ زمزم ، إنك إنْ حَفَرْتَهَا لم تندم ، وهى تُرَاث من أبيك الأعظم ، لا تَنْزِفُ أبدًا ولا تُذَم ، تَسْقى الحجيج الأعظم ، مثل نعامٍ جافلٍ (١) لم يُقْسَم ، يَنْذِر فيها ناذِرٌ لمنعم ، تكون ميراثا وعَقْدًا محكم ، ليست كبعض ماقد تعلم ، وهى بين الفرث والدم

قال ابن هشام : هذا الكلام والكلام الذى قبله من حديث على فى حفر زمزم : من قوله «لا تنزف أبدا ولا تذم» إلى قوله «عند قرية النمل» عندنا سَجْعٌ وليس شعرا

قال ابن إسحق : فزعموا أنه — حين قيل له ذلك — قال : وأين هى ؟ قيل له : عند قَرْيَة النمل ، حيث يَنْقُرُ الغراب غدًا ؛ والله أعلم أى ذلك كان

فغدا عبد المطلب — ومعه ابنه الحرث ، وليس له يومئذ ولد غيره — فوجد قَرْيَةَ النمل ووجد الغراب يَنقُرُ عندها بين الْوَثَنَيْنِ إسَافٍ ونائلة اللذَيْنِ كانت قريش تَنْحَر عندهما ذبائحها ، فجاء بالمِعْوَلِ ، وقام ليحفر حيث أُمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جِدَّه ، فقالوا : والله لا نتركك تحفر بين وثَنَيْنَا هذين اللذين ننحر عندهما ، فقال عبد المطلب لابنه الحرث : ذُدْعَنِّى حتى أحفر ، فوالله لأَمْضِيَنَّ لما أُمرت به ، فلما عرفوا أنه غير نازع خَلَّوْا

تَعَلَّمْ أنَّهُ لاَ طَـيْرَ إلاّ   عَلَى مُتَطَيِّرٍ ، وَهُوَ الثُّبُورُ

(١) الجافل ـ بالجيم ـ : الكثير الذى يجىء ويذهب ، وهو السريع أيضا ، ويروى حافل ـ بالحاء المهملة ـ ومعناه الكثير أيضا ، من الحفل ، وهو اجتماع الناس ، قاله أبو ذر

بينه و بين الحفر ، وكَفُّوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيرا حتى بدا له الطَّيُّ فـكبر ، وعرف أنه قد صُدق ، فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزَالَيْن من ذهب — وهما الغزالان اللذان دفنت جُرْهُمُ فيها حين خرجت من مكة — ووجد فيها أسيافا قَلْعِيَّة (١) وأدراعا ، فقالت له قريش : ياعبد المطلب ، لنا معك فى هذا شِرْكٌ وحَقٌّ ، قال : لا ، ولـكن هلم إلى أمْرٍ نَصَفٍ بينى و بينكم ، نضرب عليها بالْقِدَاح (٢) قالوا : و كيف تصنع ؟ قال : أجعل للـكعبة قِدْحين ، ولى قِدْحين ، ولـكم قِدْحين ؛ فمن خرج له قدحاه على شىء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شىء له ، قالوا : أنصفت ، فجعل قِدْحين أصفرين للـكعبة ، و قِدْحين أسودين لعبد المطلب ، وقِدْحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا القداح صاحب القداح الذى يضرب بها عند هُبَل (وهُبَل : صنم فى جوف الـكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذى يعنى أبو سفيان ابن حرب يوم أحد حين قال : أَعْلِ هُبَلُ ، أى : أظهر دينك) وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ، فضرب صاحب القداح ؛ فخرج الأصفران على الغزالين للـكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف قِدْحا قريش ؛ فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للـكعبة ، وضرب فى الباب الغزالين من ذهب ، فـكان أولَ ذهب حُلِّيَتْهُ الـكعبة ، فيما يزعمون ، ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج

هبل

---

(١) قلعية ـ بفتح فسكون ـ نسبة إلى قلعة ، قيل : وهو جبل بالشام ، وقيل : قلعة فى أول بلاد الهند من جهة الصين .

(٢) القداح : جمع قدح ـ بكسر القاف وسكون الدال ـ وهو السهم الذى كانوا يستقسمون به ، يقال للسهم أول مايقطع قطع ـ بكسر القاف وسكون الطاء ـ ثم ينحت ويبرى فيسمى بريا ، ثم يقوم قدحا ، ثم يراش ويركب

حفرت قريش بئاراً بمكة قبل حفر زمزم

قال ابن هشام : وكانت قريش — قَبْل حَفر زمزم — قد احتفرت بِئاراً بمكة ، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّائي ، عن محمد بن إسحق ، قال : حَفَر عبدُ شمس بن عبد مناف الطَّوِيَّ (١) ، وهى البئر التى بأعلى مكة عند البيضاء دار محمد بن يوسف (٢)

الطوى

وحفر هاشمُ بن عبد مناف بَذَّرَ (٣) ، وهى البئر التى عند المُسْتَنْذَرِ خَطْمِ الخَنْدَمَة على فَمِ شِعْب أبى طالب ، وزعموا أنه قال حين حفرها : لأَجعلنَّهَا بلاَغاً للناس

بذر

قال ابن هشام : وقال الشاعر : —

سَقَى اللهُ أَمْوَاهاً عَرَفْتُ مَكَانَهَا جُرَاباً وَمَلْكُوماً وَبَذَّرَ والغَمْرَا (٤)

نصله فيسمى سهما ، وهذه القداح هى الأزلام المذكورة فى قوله عز وجل (وأن تستقسموا بالأزلام)

(١) قال ياقوت : الطوى — بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء — . قال الزبير بن أبى بكر : الطوى : بئر حفرها عبد شمس بن عبد مناف ، وهى البئر التى بأعلى مكة عند البيضاء دار محمد بن سيف (كذا) ، فقالت سبيعة بنت عبد شمس : —

إنَّ الطَّوِيَّ ، إذا ذَكَرْتُمْ مَاءَهَا ، صَوْبُ السَّحَابِ عُذُوبَةً وَصَفَاءَ

(٢) قد سمعت فى عبارة ياقوت أنه محمد بن سيف ، لكن عبارة ياقوت غير صحيحة ، لأنهم يقصدون محمد بن يوسف أخا الحجاج بن يوسف وكانت داره هناك

(٣) قال ياقوت : « بذر من التبذير ، وهو التفريق ، وهو اسم بئر فلعل ماءها قد كان يخرج متفرقا من غير مكان ، وهى بئر بمكة لبنى عبد الدار وذكر أبو عبيدة فى كتاب الآبار : وحفر هاشم بن عبد مناف بذر ، وهى البئر التى عند خطم الخندمة (جبل على فم شعب أبى طالب) وقال حين حفرها

أَنبطْتُ بَذَّرًا بِمَاءٍ قَلاَسْ جَعَلْتُ مَاءَهَا بَلاَغًا لِلنَّاسْ

(٤) جراب — بزنة غراب — اسم ماء ، وقيل : بئر قديمة بمكة ، وملكوم —

سجلة قال ابن إسحق : وحفر (١) سَجْلَةَ ، وهى بئر المطعم بن عَدِىّ بن نوفل بن عبد مناف التى يسقون عليها اليوم ؛ ويزعم بنو نوفل أن المطعم ابتاعها من أسد بن هاشم ، ويزعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم فاستغنوا بها عن تلك الآبار

الحفر وحفر أمية بن عبد شمس الحَفْرَ (٢) لنفسه

بزنة اسم المفعول ـ اسم ماء بمكة . وبذر : تقدم بيانه (ص ١٥٩ س ١٩ وما بعده فى ه ٣) . والغمر ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ـ بئر قديمة بمكة ، قال أبو عبيدة : حفرت بنوسهم الغمر فقال بعضهم : ـ

نَحْنُ حَفَرْنَا الْغَمْرَ لِلْحَجِيجِ   تَثُجُّ مَاءً أَيَّمَا ثَجِيجِ

والبيت الذى أنشده فى السيرة قد أنشده ياقوت فى عدة مواضع من كتابه ، وأنشده سيبويه (ج ٢ ص ٧) ولم ينسباه ، ونسبه الاعلم الشنتمرى إلى كثير عزة ، وكذلك رواه فى اللسان (مادة : بذر) منسوبا إلى كثير ، وهو فى ديوانه (ج ٢ ص ١٨٠) بيتا مفردا ليس معه سابق أو لاحق ، ولهذا البيت قصة مع المتنبي

(١) قال ياقوت : « سجلة ـ بفتح أوله وسكون ثانيه ـ بئر حفرها هاشم بن عبد مناف . فوهبها أسد بن هاشم لعدى بن نوفل ، ولم يكن لأسد ابن هاشم عقب ، وقالت خالدة بنت هاشم : ـ

نَحْنُ وَهَبْنَا لِعَدِىٍّ سَجْلَهْ   تَرْوِى الْحَجِيجَ زُغْلَةً فَزُغْلَهْ

وقيل : حفرها قصى » اه

(٢) قال ياقوت : « وحفر ـ بالفتح ثم السكون وراء ـ بئر لبنى تيم بن مرة بمكة ، ورواه الحازمى بالجيم » اه

وحَفَرَتْ بنو أسد بن عبد الْعُزَّى (١) سُقَيَّةَ ، وهى بئر بنى أسد سقية

وحفرت بنو عبد الدار أمَّ أَحْرَادٍ (٢) أم أحراد

وحفرت بَنُو جُمَحَ السُّنْبُلَةَ ، (٣) وهى بئر خَلَف بن وَهْب السنبلة

(١) قال ياقوت : « سقية بلفظ تصغير سقية ، وقدرواها قوم شفية بالشين المعجمة والفاء ـ وهى بئر قديمة كانت بمكة ، وقال أبو عبيدة : وحفرت بنو أسد شفية ، فقال الحويرث بن أسد :ـ

مَاءُ شُفَيَّةٍ كَصَوْبِ الْمُزْنِ وَلَيْسَ مَاءُهَا بِطَرْقٍ أَجْنِ

قال الزبير : وخالفه عمى ؛ فقال : إنما هى سقية بالسين المهملة والقاف» اه كلامه بحروفه

(٢) قال ياقوت : « وهى بئر بمكة قديمة . روى الزبير بن بكار عن أبى عبيدة فى ذكر آبار مكة قال : احتفرت كل قبيلة من قريش فى رباعهم بئرًا ؛ فاحتفرت بنو عبد العزى شفية (سبق تصويب أن اسمها سقية) وبنو عبد الدار أم أحراد . . . فقالت أميمة بنت عميلة امرأة العوام بن خويلد :ـ

نَحْنُ حَفَرْنَا الْبَحْرَ أُمَّ أَحْرَادْ لَيْسَتْ كَبَذَّرَ النَّذُورِ الْجَمَّادْ

فأجابتها ضرتها صفية :ـ

نَحْنُ حَفَرْنَا بَذَّرْ تَسْقِى الْحَجِيجَ الأَكْبَرْ وَأُمُّ أَحْرَادٍ شَرّْ

(٣) قال ياقوت : « بلفظ سنبلة الزرع ـ بئر حفرها بنو جمح بمكة وفيها قال قائلهم * نحن حفرنا للحجيج سنبلة * ورواه الأزهرى بالفتح ، والأول رواية العمرانى ، وماأراه إلا سهوا من العمرانى ، وقال نصر : سنبلة ـ بالضم ـ بئر بمكة ، قال أبو عبيدة : وحفرت بنو جمح السنبلة ، وهى بئر خلف بن وهب ، قال بعضهم :

نَحْنُ حَفَرْنَا لِلْحَجِيجِ سُنْبُلَهْ صَوْبَ سَحَابٍ ذُو الْجَلَالِ أَنْزَلَهْ

وأنا بالأزهرى أوثق ، ومن خطه نقلت » اه كلامه

الغمر وحفرت بنو سهم الْغَمْرَ ، (١) وهى بئر بنى سهم

وكانت آبار حفائر خارجاً من مكة قديمة : من عهد مُرَّة بن كعب وكلاب بن مرة وكبراء قريش الأوائل ، منها يشربون ، وهى : رُمّ ، وخُمّ (٢) : بئر مرة بن كعب بن لؤى ، وخم ، (٣) وخم : بئر بنى كلاب ابن مرة ، والحفر ، (٤) قال حُذَيْفة بن غانم أخو بنى عَدِىّ بن كَعْب ابن لُؤَى (قال ابن هشام : وهو أبو أبى جَهْم بن حذيفة) : — رم وخم والحفر

وَقِدْمًا غَنِينَا قَبْلَ ذَلِكَ حِقْبَةً   ولاَ نَسْتَقِى إِلَّا بِخُمٍّ أَوِ الْحَفْرِ

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها — إن شاء الله — فى موضعها

---

(١) سبق لنا ذكرها فارجع إلى الهامشة رقم (٤) فى ص (١٥٩ - ١٦٠)

(٢) قال ياقوت : « بضم أوله - بئر بمكة من حفائر مرة بن كعب ، ثم من حفائر كلاب بن مرة ، حفر رم والحفر ، وهما بئران بظاهر مكة ومنهما كانوا يشربون قبل أن يهبطوا إلى البطحاء ، ثم سموا برم وبالحفر بعد ذلك غيرهما ، حين احتفروا بالبطحاء ، وهى عند دار خديجة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم » اه كلامه

(٣) قال ياقوت : « وخم ورم : بئران حفرهما عبد شمس بن عبد مناف ، وقال : -

حَفَرْتُ خُمًّا وَحَفَرْتُ رُمًّا   حَتَّى تَرَى الْمَجْدَ لَنَا قَدْ تَمَّا

وهما بمكة ، وقال محمد بن إسحاق الفاكهى فى كتاب مكة : بئر خم قريبة من الميثب ، حفرها مرة بن كعب بن لؤى ، قال : وكان الناس يأتون خما فى الجاهلية والاسلام من الدهر الأول يتنزهون به ويكونون فيه » اه

(٤) « الحفر » هذه البئر غير تلك البئر التى تسمى باسمها ؛ فلا تتوهمن أن

ظهور زمزم ينسى جميع الآبار

قال ابن إسحق : فعفّتْ زمزم على المياه التى كانت قبلها يَسْقى عليها الحاج ، وانصرف الناس إليها ؛ لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على ماسواها من المياه ؛ ولأنها بئر إسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب : فقال مُسَافِر بن أبى عَمْرو بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو يفخر على قريش : بما ولوا عليهم من السقاية والرفادة ، وما أقاموا للناس من ذلك ، وبزمزم حين ظهرت لهم ، وإنما كان بنو عبد مناف أهلَ بيتٍ واحدٍ شرفُ بعضهم لبعض شَرَفٌ ، وفضلُ بعضهم لبعض فضلٌ : —

شعراء قريش تفخر بزمزم

وَرِثْنَا الْمَجْدَ مِنْ آبَا ... ئِنَا فَنَمَى بِنَا صُعُدَا
أَلَمْ نَسْقِ الْحَجِيجَ وَنَنْـ ... ـحَرُ الدَّلَّافَةَ الرُّفُدَا (١)
وَنُلْفَى عِنْدَ تَصْرِيفِ الْـ ... ـمَنَايَا شُدَّدًا رُفُدَا (٢)
فَإِنْ نَهْلِكْ فَلَمْ نُمْلَكْ ... وَمَنْ ذَا خَالِدٌ أَبَدَا ؟ (٣)
وَزَمْزَمُ فِى أَرُومَتِنَا ... وَنَفْقَأُ عَيْنَ مَنْ حَسَدَا (٤)

المؤلف قد كرر ذكرها ؛ لأن تلك بئر فى داخل مكة ؛ وهذه بئر فى خارجها : كانت قد حفرت قبل سكناهم البطحاء ، كما سمعت فى عبارة ياقوت قريبا

(١) قال أبوذر : الدلافة يريد بها هنا الابل التى تمشى متمهلة لكثرة سمنها . يقال : دلف الشيخ دلفا ، إذا مشى مشيا ضعيفا ، وهو فوق الدبيب . والرفد : جمع رفود ، وهى التى تملأ الرفد ، وهو قدح يحلب فيه

(٢) « رفدا » هو من الرفد ، وهو الاعطاء

(٣) « فلم نملك » روى بالبناء للمجهول ، ومعناه أننا لم يكن علينا وال ولا ملك ، وروى بالبناء للمعلوم ؛ ومعنـــاه أننا لانملك دفع الموت عن أنفسنا

(٤) « أرومتنا » بفتح الهمزة ـ أى : أصلنا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له

قال ابن إسحق : وقال حُذَيْفَةُ بن غانم أخو بنى عَدِيّ بن كعب ابن لؤى : —

وَسَاقِى الْحَجِيجِ ثُمَّ لِلْخَيْرِ هَاشِمٌ وَعَبْدُ مَنَافٍ ذَلِكَ السَّيِّدُ الْفِهْرِى (١)

طَوَى زَمْزَمًا عِنْدَ الْمَقَامِ فَأَصْبَحَتْ سِقَايَتُهُ فَخْراً عَلَى كُلِّ ذِى فَخْرِ

قال ابن هشام : يعنى عبد المطلب بن هاشم ، وهذان البيتان فى قصيدة لحذيفة بن غانم سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى

عبد المطلب ينذر ذبح ولد من أولاده

قال ابن إسحق : وكان عبد المطلب بن هاشم ، فيما يزعمون ، والله أعلم ، قد نذر — حين لقى من قريش مالقى عند حفر زمزم — لئن وُلد له عشرةُ نفرٍ ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لَيَنْحَرَنَّ أحدهم لله عند الكعبة ؛ فلما توافى بنوه عشرةً ، وعرف أنهم سيمنعونه ؛ جَمَعَهم ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه ، وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخُذْ كل رجل منكم قِدْحاً ، ثم يكتب فيه اسمه ، ثم ائتونى ، ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهم على هُبَلَ فى جوف الكعبة

القداح عند هبل وصنيع العرب فيها

وكان هُبَلُ على بئر فى جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هى التى يُجْمَع فيها مايُهْدَى للكعبة ، وكان عند هُبَلَ قِدَاحٌ سبعة [كل قدح منها فيه كتاب] : قِدْحٌ منها فيه « الْعَقْل » إذا اختلفوا فى الْعَقْل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة فإن خرج العقل فعلى من خرج حَمْله ، وقدْحٌ فيه « نعم » للأمر إذا أرادوه يضرب به فى القِدَاح فان خرج قِدْحُ « نعم » عملوا به .

---

(١) « الفهرى » المنسوب إلى فهر ، وروى « الغمر » قال أبو ذر « والغمر : الكثير العطاء ، ومن رواه القهر — بالقاف — فمعناه القاهر ، وصفه بالمصدر ، كما يقال : رجل عدل ورضى » اهـ كلامه

وقدح فيه «لا» إذا أرادوا أمرا ضربوا به فى القداح فان خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه «منكم» ، وقدح فيه «مُلْصَق» ، وقدح فيه « من غيركم » ، وقدح فيه « المياه » إذا أرادوا أن يَحْفِرُوا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به ، وكانوا إذا أرادوا أن يَخْتِنُوا غلاما ، أو ينكحوا مَنْكَحاً ، أويدفنوا مَيتا ، أو شكُّوا فى نسب أحدهم ؛ ذهبوا به إلى هُبَلَ ، وبمائة درهم وجَزُور فأعطَوْها صاحب القداح الذى يضرب بها ، ثم قَرَّبُوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلٰهنا ، هذا فلان ابن فلان ، قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحقَّ فيه ؛ ثم يقولون لصاحب القداح : اضْرِبْ ، فان خرج عليه « منكم » كان منهم وسيطا (١) وإن خرج عليه « من غيركم » كان حليفاً ، وإن خرج عليه « مُلْصَق » كان على منزلته فيهم لا نسب له ولا حِلْف ، وإن خرج فيه شىء مما سوى هذا مما يعملون به « نعم » عملوا به ، وإن خرج « لا » أخَّرُوه عامَه ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ، ينتهون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح

فقال عبد المطلب لصاحب القداح : اضْرِبْ على بَنِيَّ هؤلاء بقداحهم هذه ، وأخْبَرَهُ بنذره الذى نذر ، فأعطاه كلُّ رجل منهم قِدْحَه الذى فيه اسمه ، وكان عبدُ الله بن عبد المطلب أصْغَرَ (٢) بنى أبيه ، كان هو والزُّبَيْرُ وأبو طالب لفاطِمَةَ بنت عَمْرو بن عائذ بن عَبْد بن عِمْران بن مَخْزُوم ابن يَقَظَة بن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر

عبد المطلب يستهم على بنيه ليذبح أحدهم

(١) « وسيطا » قال أبو ذر : « يعنى خالص النسب فيهم ، ويقال هو الشريف فى قومه أيضا ؛ لأن النسب الكريم دار به من كل جهة وهو وسط » اهـ كلامه

(٢) « أصغر بنى أبيه » قال أبو ذر : « يعنى أنه كان أصغر بنى أبيه

قال ابن هشام : عائذ : ابنُ عِمْران بن مَخْزوم

قال ابن إسحق : وكان عبد الله ، فيما يزعمون ، أحبَّ ولد عبد المطلب إليه ، وكان عبدُ المطلب يرى أن السَّهْمَ إذا أخطأه فقد أشْوَى (١) وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم

عبد المطلب يهم بذبح عبد الله فتمنعه قريش

فلما أخذ صاحب القداح القداحَ ليضرب بها قام عبد المطلب عند هُبَلَ يدعو الله ، ثم ضرب صاحب القداح فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشَّفْرَةَ (٢) ثم أقبل به إلى إسافٍ ونائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد ياعبد المطلب ؟ قال : أذبحه ، فقالت له قريش وبَنُوه : والله لاتذبحه أبدا حتى تُعْذِرَ فيه ، لَئِنْ فعلتَ هذ لايزال الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ وقال له المغيرة بن عبد الله بن عَمْرو بن مخزوم بن يَقَظة — وكان عبد الله ابن أخت القوم — : والله لاتذبحه أبدا حتى تُعْذِرَ فيه ، فان كان فداؤه بأموالنا فديناه ، وقالت له قريش و بَنُوه : لاتفعل ، وانطلق به إلى الحجاز فان به عَرَّافَةً لها تابع فَسَلْها ، وأنت على رأس أمرك : إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمرٍ لك وله فيه فَرَجٌ قبلته ، فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها — فيما يزعمون — بخيبر فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقصَّ عليها عبد المطلب خَبَرَه وخبر ابنه ، وما أراد به ، ونَذْرَه فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله ، فرجعوا من

فى ذلك الوقت ، وإلا فالعباس وحمزة أصغر من عبد الله ، فعلى هذا يخرج قول ابن إسحق » اه كلامه

(١) « أشوى » قال أبو ذر : « يعنى فقد أبقى ، يقال : أشويت من الطعام ، إذا أبقيت منه » اه

(٢) « الشفرة » السكين

عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم غَدَوْا عليها ، فقالت لهم : قد جاءني الخبر ، كم الدِّيَةُ فيكم ؟ قالوا : عَشْرٌ من الابل ، وكانت كذلك ، قالت : فارجعوا إلى بلادكم ثم قَرِّبوا صاحبكم وقَرِّبوا عَشْرًا من الابل ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح : فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم ، فان خرجت على الابل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم ، فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم قَرَّبوا عبدَ الله وعشرا من الابل ، وعبدُ المطلب قائم عند هُبَلَ يدعو الله عز وجل ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل عشرين ، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل ثلاثين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل أربعين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الأبل خمسين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل ستين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل سبعين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل ثمانين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل تسعين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فزادوا عشرا من الابل ، فبلغت الابل مائةً ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على الابل ، فقالت قريش ومَنْ حَضَر : قد انتهى رضا ربك ياعبد

نجاة عبد الله بمائة من الابل

المطلب ، فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله ، حتى أضرِبَ عليها ثلاث مرات ، فضربوا على عبد الله وعلى الابل ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، فخرج القِدْحُ على الابل ؛ ثم عادوا الثانية ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا فخرج القِدْحُ على الابل ؛ ثم عَادُوا الثالثةَ وعبدُ المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا فخرج القِدْحُ على الابل ؛ فنحرت ، ثم تركت لا يُصَدُّ عنها إنسان ولا يُمْنَع

قال ابن هشام ويقال : إنسان ولا سَبُع

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رَجَزٌ لم يصحَّ عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر

امرأة من بنى أسد تعرض نفسها على عبد الله

قال ابن إسحق : ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد عبد الله ، فمرَّ به ، فيما يزعمون ، على امرأة [1] من بنى أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ بن كلاب

(١) قال السهيلى : « واسم هذه المرأة رقية بنت نوفل ، أخت ورقة ابن نوفل ، وتكنى أم قتال ، وبهذه الكنية وقع ذكرها فى رواية يونس عن ابن إسحق ، وذكر البرقى عن هشام بن الكلبى قال : إنما مر على امرأة اسمها فاطمة بنت مر كانت من أجمل النساء ، وكانت قرأت الكتب ، فرأت نور النبوة فى وجهه ، فدعته إلى نفسها ، فلما أبى قالت : —

إنِّى رَأيْتُ مَخِيلَةً نَشَأَتْ ... فتلألأتْ بِحَناتِمِ القَطْرِ
فلمأْتُهَا نُورًا يُضِىءُ بِهِ ... مَاحَوْلَهُ كَإضَاءَةِ الْفَجْرِ
وَرَأَيْتُ سُقْيَاهَا حَيَا بَلَدٍ ... وَقَعَتْ بِهِ وَعِمَارَةَ القَفْرِ
وَرَأَيْتُهُ شَرَفًا أَبُوءُ بِهِ ... مَا كُلُّ قَادِحِ زَنْدِهِ يُورِى
لِلّهِ مَازُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ ... مِنْكَ الَّذِى اسْتَلَبَتْ وَمَاتَدْرِى

وفى غريب ابن قتيبة أن التى عرضت نفسها عليه هى ليلى العدوية » اه كلامه .
قال أبو رجاء : وفى النفس من هذه القصة شىء . ولماذا اختار الرواة أخت ورقة بن نوفل أو امرأة كانت قد قرأت الكتب ؟ وما الذى فى سرد هذا الكلام

ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهر ، وهى أختُ وَرَقَة بن نَوْفَل ابن أسَد بن عبد الْعُزَّى ، وهى عند الكعبة ، فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أيْنَ تذهب ياعبد الله ؟ قال : مع أبى ، قالت : لك مثلُ الابل التى نُحِرَتْ عنك وَقَعْ علىَّ الآن ! ! قال : أنا مع أبى ، ولا أستطيع خِلافه ولافراقه

عبد المطلب يزوج عبدالله آمنة بنت وهب

فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وَهْبَ بن عبد مَنَاف بن زُهْرة بن كِلاَب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهر ، وهو يومئذٍ سيدُ بنى زهرة نسبًا وشَرَفًا ، فزوَّجه ابنته آمنة بنت وَهْب ، وهى يومئذٍ أفضلُ امرأةٍ فى قريش نَسَبًا ومَوْضِعًا ، وهى لِبَرَّة بنتِ عبد الْعُزَّى بن عُثْمان بن عَبْد الدار بن قُصَىٍّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فهر . وبَرَّةُ لأم حبيب بنت أسَدِ بن عبد الْعُزَّى بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرَّة ابن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهر ؛ وأمُّ حبيب لبَرَّةَ بنتِ عَوْف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عَدِىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهر

آمنة بنت وهب تحمل برسول الله صلى الله عليه وسلم

فزعموا أنه دخل عليها حين أُمْلِكَهَا مكانَهُ فَوَقَعَ عليها ، فحَمَلَت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التى عَرَضَتْ عليه ما عرضت ، فقال لها : مالكِ لا تعرضين علىَّ اليوم ما كنت عرضت علىَّ بالأمس ؟ قالت له : فَارَقَكَ النورُ الذى كان معك بالأمس ، فليس لى بك اليومَ حاجةٌ ، وقد كانت تسمع من أخيها وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَل — وكان تَنَصَّر واتبع الكتب — أنه كائن فى هذه الأمة نبىٌّ

قال ابن إسحق : وحدثنى أبى إسحق بن يَسَار أنه حُدِّث ، أن عبدالله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وَهْب ، وقد عمل فى طين له ، وبه آثارٌ من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من

أثر الطين ، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج عامدا إلى آمنة ، فمرّ بها ، فدعته إلى نفسها ، فأبى عليها ، وعمد إلى آمنة فدخل عليها ، فأصابها ، فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ثم مرّ بامرأته تلك ، فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا ، مررت بى و بين عينيك غُرَّةٌ بيضاء ، فدعوتك فأبيت على ، ودخلت على آمنة فذهبتْ بها

قال ابن إسحق : فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدّثُ أنه مرّ بها و بين عينيه غُرَّةٌ مثلُ غُرَّة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن تكون تلك بى ، فأبى علىّ ، ودخل على آمنة ، فأصابها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوْسطَ قومه نسباً ، وأعظمهم شرفاً ، من قِبَلِ أبيه وأمه ، صلى الله عليه وسلم

و يزعمونَ — فيما يتحدث الناس ، والله أعلم — أن آمنة ابنة وَهْبٍ أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدّث أنّها أُتِيَتْ — حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم — فقيل لها : إنك قد حملت بسيِّد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولى : أعيذُهُ بِالْوَاحِدْ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدْ ، ثم سَمِّه محمدًا . ورأتْ — حين حملت به — أنه خرج منها نورٌ رأت به قُصورَ بُصْرى (١) من أرض الشام

(١) قال ياقوت : « بصرى فى موضعين بالضم والقصر : أحدهما بالشام ، من أعمال دمشق ، وهى قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديما وحديثا ، ذكرها كثير فى أشعارهم » اه ، وأغلب الظن أن هذا الموضع هو المقصود فى كلام ابن إسحق وكتبة السيرة

وفاة عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم

ثم لم يَلْبَثْ عبدُ الله بن عبد المطلب أبو رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنْ هَلَكَ وأمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

زمان ولادة النبى صلى الله عليه وسلم

قال : حدثنا أبو محمدٍ عبدُ الملِك بن هشام ، قال : حدثنا زيادُ ابنُ عبد الله الْبَــكَّائى ، عن محمد بن إسحق المطلبى ، قال : وُلد رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الاثنين ، لاثْنَتَىْ عَشْرَةَ ليلةً خلَتْ من شهر ربيع الأول ، عام الفيل

قال ابن إسحق : وحدثنى المطلبُ بن عبد الله بن قَيْس بن مَخْرمة ، عن أبيه ، عن جده قال : وُلِدْتُ أنا وَرسولُ الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، فنحن لِدَتَانِ (١)

قال ابن إسحق : وحدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف ، عن يَحْيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سَعْد (٢) بن زُرَارة الأنصارى ، قال : حدَّثنى مَنْ شئت من رجال قومى ، عن حَسَّان بن ثابت ، قال : والله إنِّى لغُلَامٌ يَفَعَة (٣) ابنُ سَبْع سنين ، أو ثمان ، أعْقِلُ كلَّ ما سمعت ؛ إذ سمعت يَهُودِيًّا يَصْرخ بأعلى صوته على أُطُمِهِ (٤) بيثرب : يامَعْشَرَ يَهُودَ ، حتى إذا

---

(١) تقول : فلان لدة فلان ـ بكسر اللام وفتح الدال مخففة ـ إذا كان قد ولد معه فى زمان واحد ، ووقع فى بعض نسخ الكتاب « فنحن لدان » بلا تاء ، قال أبو ذر : « المشهور فيه لدتان بالتاء » اه

(٢) قال أبو ذر : « كذا وقع ، والصواب فيه أسعد بن زرارة » اه

(٣) « غلام يفعة » معناه : قوى قد طال قده ، مأخوذ من اليفاع ، وهو العالى من الأرض ، فأما الغلام اليافع فهو الذى قارب الحلم . قاله أبو ذر

(٤) الأطم : الحصن ، والهاء ضمير ، ويروى « على أطمة » بتاء التأنيث على أنه أنثه باعتبار البقعة

اجتمعوا إليه قالوا له : وَيْلَكَ مَالَكَ !! قال : طَلَعَ اللَّيْلَةَ نَجْمُ أَحْمَدَ الَّذِي ولد به .

قال محمد بن إسحق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسَّان بن ثابت ، فقلت : ابْنَ كَمْ كَانَ حَسَّانُ بن ثابت مَقْدَمَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ؟ فقال : ابْنَ ستِّينَ ، وقدمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابنُ ثلاثٍ وخمسين سنةً ، فسمع حَسَّانُ ماسمع وهو ابنُ سَبْعِ سِنِين .

ولادته وتسميته صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فلما وضعته أمه صلى الله عليه وسلم أرسلتْ إلى جدِّه عبد المطلب أَنَّهُ قد وُلِدَ لك غلامٌ فأْتِهِ فانْظُرْ إليه ، فأتاه ، فنظر إليه ، وحَدَّثَتْه بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمِرَت به أن تُسَمِّيه ، فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ؛ والْتَمَس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّضَعَاء

قال ابن هشام : المراضع ، وفى كتاب الله تبارك وتعالى فى قصة موسى عليه السلام (٢٨ : ١٢) : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ)

رضاعه ونسب مرضعته وزوجها

قال ابن إسحق : فاسترضع له امرأةً من سَعْد بن بكر يُقَال لها حَليمة ابنة أبي ذُؤَيْب ، وأبو ذؤيب : عبدُ الله بن الحرث بن شِجْنَة بن جابر بن رِزام بن ناصرة بن فُصَيَّة [1] بن نَصْر بن سَعْد بن بَكْر بن هَوَازِن بن مَنْصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان . واسم أبيه الذي أرضعه صلى الله عليه وسلم : الحرثُ بن عبد العُزَّى بن رفاعة بن مَلَّان بن ناصرة ابن فُصَيَّة [1] بن نَصْر بن سَعْد بن بكر بن هَوَازِن

قال ابن هشام : ويقال : هِلاَل بن ناصرة

---

(١) قال أبو ذر : يروى بالقاف ، وصوابه بالفاء

اخوة النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة

قال ابن إسحق : وإخوته من الرضاعة : عبدُ الله بن الحرث ، وأُنيْسة بنت الحرث ، وخِذَامَةُ (١) بنت الحرث ، وهي الشَّيْماء ، غلب ذلك علي اسمها فلا تُعْرَفُ في قومها إلاَّ به ، وهم لحليمةَ بنتِ أبي ذُؤَيْب عبدِ الله بن الحرث أمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكرون أنَّ الشَّيْماءَ كانت تَحْضُنه مع أمه (٢) إذ كان عندهم

حليمة السعدية تحدث عن أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : وحدثني جَهْم مولى الحرث بن حَاطِب الْجُمَحِيّ ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، أوعمن حدثه عنه ، قال : كانت حليمةُ بنت أبي ذُؤَيْب السَّعْدِيَّةُ أمُّ رسول الله صلي الله عليه وسلم التي أرضعته تُحَدِّث أنها خَرَجَتْ من بلدها مع زوجها وابن لها صغيرٍ تُرْضعه ؛ في نِسْوةٍ من بني سعد بن بكر تَلْتَمِسُ الرُّضَعَاء ، قالت : وهي في سنة شَهْبَاءَ (٣) لم تُبْقِ لَنَا شَيْئاً ، قالت: فخرجتُ على أتانٍ لي قَمْرَاءَ (٤) معنا شَارِف (٥)

---

(١) قال أبوذر : «خذامة ابنة الحرث ، هذا روى بخاء معجمة مكسورة وذال معجمة ، ويروى أيضا بجيم مضمومة ودال مهملة ، وروى أيضا بحاء مهملة مضمومة وذال معجمة وفاء ، قيدها أبو عمر النمرى وهو الصواب » اه : لكن الذى ذكر أنه هو الصواب دون غيره غير مسلم له ، فقد ضبطها جماعة من فحول الرجال بأحد الضبطين الآخرين ، انظر السهيلى والاصابة وطبقات ابن سعد .

(٢) يروى « مع أمها » والمقصود واحد ؛ فان حليمة أمه أيضا

(٣) « سنة شهباء » تريد بها سنة الجدب والقحط ، وذلك أن الأرض حينئذ تكون بيضاء لانبات فيها

(٤) « قمراء » قال في القاموس « القمرة ـ بالضم ـ لون إلى الخضرة ، أو بياض فيه كدرة ؛ وحمار أقمر ، وأتان قمراء » اه

(٥) الشارف : الناقة المسنة ، وقولها « ماتبض » قال أبو ذر :

لنا واللهِ ما تَبضُّ بقطْرَةٍ ، وما نَنَامُ لَيْلَنَا أجْمَعَ من صَبِيِّنَا الذى معنا ، مِنْ بُكائه من الجوع ، ماقى ثديى مايُغْنِيـــه ، وما فى شَارِفنَا مايُغَدِّيه (قال ابن هشام :ويقال يُغَذِّيه) ولـكنا كُنَّا نرجو الْغَيْثَ والْفَرَجَ ،فخرجتُ على أتانى تلك ، فلقد أدَمْتُ بالركب حتى شَقَّ ذلك عليهم ضَعْفاً وعَجَفاً ، حتى قَدِمْنَا مكةَ نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاء ، فما منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه ، إذا قيل لها : إنه يتيم ، وذلك أنا إنما كنا نرجو الْمَعْرُوفَ من أبى الصبى ، فكنا نقول : يتيم !! وما عسى أن تصنع أمه وجده ؟ فَكُنَّا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدِمَت معى إلا أخذتْ رَضيعاً غيرى ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى : واللهِ إنى لأكره أنْ أرجع من بين صَوَاحِبى ولم آخـذ رضيعا ، والله لأذْهَبَنَّ إلى ذلك اليتيم فَلآخُذَنَّه ، قال : لاَ عَلَيْكِ أنْ تفعلى ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركةً ، قالت : فذهبتُ إليه فأخذْتُه ، وما حملنى على أخذه إلا أنى لم أجد غيره ، قالت: فلما أخذْتُه رجعت به إلى رَحْلى ، فلما وضعته فى حِجْرى أقبل عليه ثدْيَاىَ بما شاء من لبن ، فشرب حتى رَوِىَ ، وشرب معه أخُوه حتى رَوِى ، ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجى إلى شَارِفنا تلك فإذا إنَّها[(١)] لحَافِلٌ فحلب منها ماشربَ ، وشربتُ معه حتى انتهينا رِيًّا وشِبَعاً ، فبتنا بخير ليلة ، قالت : يقول صاحبى حين أصبحنا : تَعَلَّمِى والله ياحليمةُ لقد أخذتِ نَسَمَةً مباركةً ، قالت: فقلت : والله إنى لأرجو ذلك ، قالت: ثم خرجنا وركبت

« بالضاد المعجمة معناه ماتنشغ ولا ترشح ، ومن رواه بالصاد المهملة فمعناه لايبرق عليها أثر لبن ، من البصيص ، وهو البريق واللمعان » اه

(١) « حافل » ممتلئة الضرع من اللبن ، والحفل : اجتماع اللبن فى الضرع ، والمحفلة : التى اجتمع لبنها فى ضرعها أياما

أتانى وحملته عليها معى ، فوالله لَقَطَعَتْ بالركب ، مايَقْدِر عليها شىء من حُمُرِهم ، حتى إن صواحبى لَيَقُلْنَ لى : ياابنةأبى ذُؤَيب ، ويحك !! ارْبَعِى علينا (١) ، أليست هذه أتانكِ التى كنت خرجتِ عليها ؟ فأقول لهن : بلى ، والله إنها لهى هى ، فيقلن : والله إنَّ لها لَشَأْنًا ، قالت : ثم قدِمْنَا منازلنا من بلاد بنى سعد ، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجْدَبَ منها ، فكانت غنمى تَرُوحُ علىَّ حين قدِمنا به معناشباعا لُبَّنًا (٢) ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرةَ لبنٍ ولا يجدها فى ضَرْعٍ ، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم : وَيْلَكُمْ !! اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ راعى بنت أبى ذؤيب ، فتروح أغنامهم جياعًا ماتَبِضُّ بقطرة لبنٍ ، وتروح غنمى شِبَاعًا لُبَّنًا (٢) ، فلم نزل نتعرف من الله الزيادةَ والخيرَ حتى مضَتْ سَنَتَاهُ ، وفَصَلْتُهُ ، وكان يَشِبُّ شبابا لايشبه الغِلْمانُ ، فلم يبلغ سَنَتَيْه حتى كان غُلامًا جَفْرًا (٣) قالت : فقدمنا به على أمه ، ونحن أحْرَصُ شىءٍ على مُكْثه فينا ؛ لما كنا نرى من بركته ، فكلمنا أمَّه ، وقلت لها : لو تركتِ بُنَىَّ عِنْدى حتى يغلُظَ فإنى أخشى عليه وَبَأ (٤) مكةَ ، قالت : فلم نَزَلْ بها حتى رَدَّته معنا ، قالت : فرجعنا به .

---

(١) « اربعى علينا » أى : أقيمى وانتظرى ، يقال : ربع فلان على فلان ، إذا أقام عليه وانتظره ، وقال عمر بن أبى ربيعة

* عوجى علينا واربعى يافاطما *

(٢) « لبن » أى : غزيرات اللبن

(٣) « جفرا » أى : غليظا شديدا ، ومنه الجفر والجفرة من المعز ، ويقال : هو الصبى ابن أربعة أعوام

(٤) الوبأ ـ مهموز ومقصور ـ كثرة الأمراض والموت ، كالوباء

شق صدره صلى الله عليه وسلم

فوالله إنه — بعدَ مَقْدمنا بأشهرٍ — مع أخيه لَفِي بَهْمٍ[١] لنا خلفَ بُيوتنا إذ أتانا أخوه يشتدُّ ، فقال لى ولأبيه : ذاك أخى القرشيُّ قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيضٌ فأضجعاه فشقَّا بطنه ، فهما يَسُوطانه[٢] قالت : فخرجتُ أناوأبوه نحوَهُ ، فوجدناه قائما مُنْتَقَعاً وَجْهُهُ[٣] قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له : مالك يابنى ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى وشقَّا بَطْنى ، فالتمسا [فيه] شيئا لا أدرى ماهو ، قالت : فرَجَعْنا إلى خبائنا ، قالت : وقال لى أبوه : ياحليمةُ ، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فأَلْحِقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به .

حليمة تخاف فترجع به الى أمه

قالت : فاحتملناه فقدمنا به على أمه ، فقالت : ماأقدمك به ياظِئْرُ[٤] وقد كنت حريصةً عليه وعلى مُكثه عندك ؟ قالت : فقلت : نعم قد بَلَغَ الله بابنى وقَضَيْتُ الذى علىّ ،[٥] وتخوَّفْتُ الأحداث عليه ، فأدَّيْتُه عليك كما تحبين ، قالت : ماهذا شأنَكِ فأصدقينى خبرك ،

---

(١) البهم ـ بفتح فسكون ـ الصغار من الغنم ، واحدتها بهمة

(٢) « يسوطانه » قال أبو ذر : « يقال : سطت اللبن والدم وغيرهما أسوطه ، إذا ضربت بعضه ببعض وحركته ، واسم العود الذى يضرب به المسوط » اهـ

(٣) « منتقعا وجهه » أى : متغيرا ، يقال : انتقع وجه الرجل ـ بالبناء للمجهول ـ وامتقع ـ بالميم كذلك ـ إذا تغير

(٤) أصل الظئر الناقة التى تعطف على ولد غيرها فتدر عليه ، ثم أطلقوه على المرأة التى ترضع ولد غيرها

(٥) قال السهيلى : « وكان رد حليمة إياه إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر فيما ذكر أبو عمر ، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين : إحداهما بعد تزوجه خديجة رضى الله عنها ، جاءته تشكو إليه السنة وإن قومها قدأسنتوا

قالت : فلم تَدَعْنى حتى أخبرتها ، قالت : أفتخوّفتِ عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ، قالت : كَلاَّ ! ! والله ماللشيطان عليه من سبيل ، و إن لبُنَىَّ لشأنا ، أفلا أخبرك خبره ؟ قالت : قلت : بلى ، قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج منى نورٌ أضاءلى [به] قصور بُصْرَى من أرض الشام ، (١) ثم حملت به ، فوالله مارأيت من حملٍ قط كان أخفَّ ولا أيْسَرَ منه ، ووقع حين ولدته و إنه لواضعٌ يده بالأرض ، رافعٌ رأسه إلى السماء ، دعيه عنك وانطلقى راشدةً

قال ابن إسحق : وحدثنى ثَوْرُ بن يزيد ، عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن مَعْدان الْـكَلاَعىّ ، أنّ نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له : يارسولَ الله ، أخبِرْنَا عن نفسك ، قال : « نعم ، أنَا دَعْوَةُ أبِي إبْرَاهِيمَ ، وبُشْرَى أخى عِيسَى ، وَرَأَتْ أُمِّى حِينَ حَمَلَتْ بِي أنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أضَاءَ لَهَا قُصُورَ الشَّامِ (١) ، وَاسْتُرْضِعْتُ فِى بَنِى سَعْدِ ابْنِ بَكْرٍ ، فَبَيْنَا أنَا مَعَ أخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْمًا لَنَا إذْ

فكلم لها خديجة فأعطتها عشرين رأسا من الغنم وبكرات ، والمرة الثانية يوم حنين » اهـ كلامه

(١) قال السهيلى فى تأويل هذا النور : « ذلك مافتح الله عليه من تلك البلاد حتى كانت الخلافة فيها مدة بنى أمية ، واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره صلى الله عليه وسلم ؛ وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاص قبل المبعث بيسير نورا يخرج من زمزم حتى ظهرت له البسر (البسر : جمع بسرة ولذلك أنث الفعل) فى نخيل يثرب ، فقصها على أخيه عمرو بن العاص ، فقال : إن زمزم حفيرة عبد المطلب ، وإن هذا النور منهم ؛ فكان ذلك سبب مبادرته إلى الاسلام » اهـ كلامه ، ويثرب : هى مدينة الرسول التى سطع فيها نوره بهجرته إليها صلى الله عليه وسلم .

أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءةٍ ثَلْجًا فَأَخَذَانِي فَشَقَّا بَطْنِي ، وَاسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ ، فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا ، ثُمَّ غَسَلَا قَلْبِي وَبَطْنِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقَيَاهُ » قال : « ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ ، فَوَزَنْتُهُمْ ، ثم قال : زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ ، فَوَزَنْتُهُمْ ، فَقَالَ : دَعْهُ عَنْكَ ، فَوَاللهِ لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا »

رعى جميع الانبياء الغنم

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى الْغَنَمَ (١) » قيلَ : وَأَنْتَ يارسول الله ؟ قال : « وَأَنَا » .

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : « أَنَا أَعْرَبُكُمْ ؛ أَنَا قُرَشِيٌّ وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ ابْنِ بَكْرٍ » .

اعتز النبي صلى الله عليه وسلم بقبيلته وبمن أرضع فيهم

قال ابن إسحق : وزعم الناس ، فيما يتحدثون ، والله أعلم ، أن أمه

(١) قال السهيلي بعد ذكر صحاح الأحاديث التي ثبت فيها أنه صلى الله عليه وسلم رعى الغنم : « وإنما جعل الله هذا في الأنبياء تقدمة لهم ، ليكونوا رعاة الخلق ، ولتكون أممهم رعايا لهم . وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يعني في منامه) أنه ينزع على قليب (القليب : البئر) وحولها غنم سود وغنم عفر ، قال : ثم جاء أبو بكر فنزع نزعا ضعيفا ، والله يغفر له ، ثم جاء عمر ، فاستحالت غربا (يعني الدلو) فلم أر عبقريا يفري فريه ، فأولها الناس بالخلافة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولولا ذكر الغنم السود والعفر لبعدت الرؤيا عن معنى الخلافة والرعاية ، إذ الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم » اهـ كلام السهيلي رحمه الله

السعدية لما قدمت به مكةَ أضلها فى الناس وهى مُقْبِلَةٌ به نحو أهله ؛ فالتمسته ، فلم تجده ، فأتت عبد المطلب ، فقالت له : إنى قد قَدِمْتُ بمحمد هذه الليلة ، فلما كنت بأعلى مكةَ أضَلَّنى ، فوالله ما أدرى أين هو ، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده ، فيزعمون أنه وجده وَرَقَةُ بْنُ نوفل بن أسد ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة ؛ فأخذه عبد المطلب ، فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة : يُعَوِّذُه ، ويَدْعُو له ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة

قوم من نصارى الحبشة يحاولون أخذ النبى من حليمة مرضعته

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن مما هاج أمه السعدية على رَدِّه إلى أمه — مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه — أن نفرًا من الحبشة نصارى رَأَوْهُ معها حين رجعت به بعد فِطَامه ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه ، وقلّبوه ، ثم قالوا لها : لَنَأْخُذَنَّ هذا الغلام فَلَنَذْهَبَنَّ به إلى ملكنا وبلدنا ؛ فان هذا غلام كائن له شأن ، نحن نعرف أمره ، فزعم الذى حدثنى أنها لم تكد تَنْفَلِتُ به منهم

وفاة أمه آمنة بنت وهب

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب وجدِّه عبدِ المطلب بن هاشم فى كَلاَءة الله وحفظه يُنْبِته الله نَبَاتًا حَسَنًا ؛ لما يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم سِتَّ سنين تُوفِّيت أمه آمنة بنت وهب

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن أمَّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم آمنةَ توفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين بالأبْوَاءِ بَيْنَ مكة والمدينة : كانت قد قَدِمَتْ به على أخواله من بنى عَدِىِّ بن النَّجَّار تُزِيرُهُ إياهم ، فماتت وهى راجعة به إلى مكة

قال ابن هشام : أمُّ عبد المطلب بن هاشم سَلْمَى بنت عمرو النجارية، فهذه الخؤلة التي ذكر ابنُ إسحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم

كفالة جده عبد المطلب له ورعايته إياه

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم ، وكان يُوضَعُ لعبد المطلب فِرَاشٌ في ظل الكعبة ؛ فكان بَنُوه يَجْلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجْلالاً له ، قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جَفْرٌ حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابْنِي ؛ فوَاللهِ إنَّ لَهُ لَشَأْنًا ، ثم يجلسه معه عليه ، ويمسح ظهره بيده ، ويَسُرُّه ما يراه يصنع

وفاة عبد المطلب ، وما رثي به من الشعر

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانِي سِنِينَ هَلَكَ عبدُ المطلب بن هاشم ، وذلك بعد الفيل بثماني سنين

قال ابن إسحق : وحدثني العبَّاس بنُ عبد الله بن مَعْبَد بن العباس ، عن بعض أهله ، أن عبد المطلب تُوُفِّيَ ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابنُ ثماني سنين

قال ابن إسحق : حدثني محمد بن سَعيد بن المُسَيَّب ، أن عبد المطلب لما حضرته الوفاةُ ، وعرف أنه ميت : جمع بناته — وكُنَّ ستَّ نسوةٍ : صَفِيَّةَ ، وبَرَّة ، وعاتِكة ، وأمّ حكيم البيضاء ، وأُمَيْمَةَ ، وأرْوَى — فقال لهن : ابْكِينَ عَلَيَّ حتّى أسمع ماتَقُلْنَ قبل أن أموت

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب كتبناه

صفية بنت عبد المطلب تبكى أباها

فقالت صفية ابنة عبد المطلب تبكى أباها : —

أَرِقْتُ لِصَوْتِ نَائِحَةٍ بِلَيْلٍ ... عَلَى رَجُلٍ بِقَارِعَةِ الصَّعِيدِ
فَفَاضَتْ عِنْدَ ذَلِكُمُ دُمُوعِي ... عَلَى خَدِّى كَمُنْحَدِرِ الْفَرِيدِ (١)
عَلَى رَجُلٍ كَرِيمٍ غَيْرِ وَغْلٍ ... لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعَبِيدِ (٢)
عَلَى الْفَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِى الْمَعَالِي ... أَبِيكِ الْخَيْرِ وَارِثِ كُلِّ جُودِ (٣)
صَدُوقٍ فِي الْمَوَاطِنِ غَيْرِ نِكْسٍ ... وَلَا شَخْتِ الْمَقَامِ وَلَا سَنِيدِ (٤)
طَوِيلِ الْبَاعِ أَرْوَعَ شَيْظَمِيٍّ ... مُطَاعٍ فِي عَشِيرَتِهِ حَمِيدِ (٥)
رَفِيعِ الْبَيْتِ أَبْلَجَ ذِى فُضُولٍ ... وَغَيْثِ النَّاسِ فِي الزَّمَنِ الْحَرُودِ (٦)
كَرِيمِ الْجَدِّ لَيْسَ بِذِى وُصُومٍ ... يَرُوقُ عَلَى الْمُسَوَّدِ وَالْمَسُودِ (٧)
عَظِيمِ الْحِلْمِ مِنْ نَفَرٍ كِرَامٍ ... خَضَارِمَةٍ مَلَاوِثَةٍ أُسُودِ (٨)

---

١ تريد كالدر الذى انتثر

٢ الوغل : الدنىء الساقط النذل

(٣) الفياض : الكريم الجواد . والخير : يحتمل وجهين : أحدهما أنها وصفته بالخير مبالغة ، والثانى أنها أرادت الخير — بتشديد الياء — نخففت ، كما تقول فى هين ولين وقيل : قيل ولين وهين — بسكون الياء بعد تشديدها —

(٤) النكس : الضعيف ، والشخت : الدقيق الضامر ، والسنيد — : الدعى فى قومه

(٥) الشيظمى : الفتى الجسيم

(٦) يقال : حردت الابل ، إذا انقطعت ألبانها أو قلت ، وحردت السنة ، إذا قل ماؤها ، ومنه ناقة حرود؛ شبه الزمن فى قلة خيره وشدة جدبه بالناقة الحرود ، ويروى « الجرود » بالجيم

(٧) الوصوم : جمع وصم ، وهو العار

(٨) الخضارمة : جمع خضرم — كزبرج — وهو الجواد المعطاء والسيد الحمول ، والملاوثة : الأشداء ، واحدهم ملواث

فَلَوْ خَلَدَ امْرُؤٌ لِقَدِيمِ مَجْدٍ ... وَلٰكِنْ لاسَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ
لَكَانَ مُخَلَّدًا أُخْرَى اللَّيَالِي ... لِفَضْلِ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ التَّلِيدِ

وقالت بَرَّةُ بنت عبد المطلب تبكى أباها : —

برة بنت عبد المطلب تبكى أباها

أَعَيْنَيَّ جُودَا بِدَمْعٍ دُرَرْ ... عَلَى طَيِّبِ الْخِيمِ وَالْمُعْتَصَرْ (١)
عَلَى مَاجِدِ الْجَدِّ وَارِى الزِّنَادِ ... جَمِيلِ الْمُحَيَّا عَظِيمِ الْخَطَرْ
عَلَى شَيْبَةَ الْحَمْدِ ذِى الْمَكْرُمَاتِ ... وَذِى الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْمُفْتَخَرْ
وَذِى الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ فِى النَّائِبَاتِ ... كَثِيرِ الْمَكَارِمِ جَمِّ الْفَجَرْ (٢)
لَهُ فَضْلُ مَجْدٍ عَلَى قَوْمِهِ ... مُنِيرٌ يَلُوحُ كَضَوْءِ الْقَمَرْ
أَتَتْهُ الْمَنَايَا فَلَمْ تُشْوِهِ ... بِصَرْفِ اللَّيَالِي وَرَيْبِ الْقَدَرْ (٣)

عاتكة بنت عبد المطلب تبكى أباها

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكى أباها : —

أَعَيْنَيَّ جُودا وَلاَ تَبْخَلاَ ... بِدَمْعِكُمَا بَعْدَ نَوْمِ النِّيَامْ
أَعَيْنَيَّ وَاسْحَنْفِرَا وَاسْكُبَا ... وَشُوبَا بُكَاءً كُمَا بِالْتِدَامْ (٤)

---

(١) الخيم — بالكسر — السجية والطبيعة ، ومعنى كونه طيب المعتصر : أنه جواد عند المسألة

(٢) الفجر — بالجيم — العطاء والكرم والجود والمعروف والمال وكثرته .

(٣) « لم تشوه » أى : لم تصب أطرافه ، وإنما أصابت مقاتله ، ومنه حديث عبد المطلب السابق فى الاستهام على بنيه لذبح أحدهم « كان يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى » يقال : رمى فأشوى ، إذا لم يصب المقتل . والشوى — بفتح أوله — أطراف البدن كالرأس واليد والرجل ، الواحد شواة

(٤) الالتدام : ضرب النساء وجوههن فى النياحة ، ومنه حديث عائشة « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى حجرى ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهى »

أَعَيْنَيَّ وَاسْتَخْرِطَا وَاسْجُمَا ... عَلَى رَجُلٍ غَيْرِ نِكْسٍ كَهَامْ (١)
عَلَى الْجَحْفَلِ الْغَمْرِ فِي النَّائِبَاتِ ... كَرِيمِ الْمَسَاعِي وَفِيِّ الذِّمَامْ (٢)
عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ وَارِي الزِّنَادِ ... وَذِي مَصْدَقٍ بَعْدُ ثَبْتِ الْمَقَامْ
وَسَيْفٍ لَدَى الْحَرْبِ صَمْصَامَةٍ ... وَمُرْدِي الْمُخَاصِمِ عِنْدَ الْخِصَامْ (٣)
وَسَهْلُ الْخَلِيقَةِ طَلْقُ الْيَدَيْنِ ... وَفِي عُدْمُلِيٍّ صَمِيمٍ لُهَامْ (٤)
تَبَنَّكَ فِي بَاذِخٍ بَيْتُهُ ... رَفِيعِ الذُّؤَابَةِ صَعْبِ الْمَرَامْ (٥)

وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكى أباها : —

أم حكيم البيضاء تبكى أباها

أَلَا يَا عَيْنُ جُودِي وَاسْتَهِلِّي ... وَبَكِّي ذَا النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ (٦)
أَلَا يَا عَيْنُ ، وَيْحَكِ ، أَسْعِفِينِي ... بِدَمْعٍ مِنْ دُمُوعٍ هَاطِلَاتِ
وَبَكِّي خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ... أَبَاكِ الْخَيْرَ تَيَّارَ الْفُرَاتِ (٧)

(١) الكهام : الرجل الكليل المسن ، تريد : أنه ليس بنكس ـ أى : ضعيف ـ ولا كليل

(٢) الجحفل : الرجل العظيم والسيد الكريم ، والغمر : الكريم الكثير العطاء

(٣) « مردى » اسم فاعل من أرداه ، أى : أهلكه ؛ فهو على هذا بضم الميم ، ويجوز أن يكون بكسرها ؛ والمردى : الحجر الذى يقتل من أصيب به ؛ وفى المثل كل ضب عنده مرداته

(٤) « وفى » أصله بتشديد الياء فخففتها ليستقيم لها الوزن ، والعدملى : الضخم ؛ واللهام ـ كغراب ـ كثير الخير

(٥) « تبنك » أى : تأصل ؛ مأخوذ من البنك ـ بضم الباء ـ وهو أصل الشىء وخالصه ، والباذخ : العالى ؛ والذؤابه : أعلى الشىء ؛ و « صعب المرام » أى : لايقدر على طلبه أحد ؛ تريد أنه لايلحق ولا يجارى

(٦) « بكى » فعل أمر من بكاه ـ بالتشديد ـ بكى عليه ورثاه

(٧) « الخير » بتخفيف الياء ـ أصله الخيّر ـ بالتشديد ـ خففت الياء ،

طَوِيلَ الْبَاعِ شَيْبَةَ ذَا الْمَعَالِي كَرِيمَ الْخِيمِ مَحْمُودَ الْهِبَاتِ
وَصُولاً لِلْقَرَابَةِ هِبْرِزِيًّا وَغَيْثاً فِي السِّنِينَ الْمُمْحِلاَتِ (١)
وَلَيْثاً حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي تَرُوقُ لَهُ عُيُونُ النَّاظِرَاتِ
عَقِيلُ بَنِي كِنَانَةَ وَالْمُرَجَّى إِذَا مَا الدَّهْرُ أَقْبَلَ بِالْهَنَاتِ
وَمَفْزَعُهَا إِذَا مَاهَاجَ هَيْجٌ بِدَاهِيَةٍ وَخَصْمُ الْمُعْضِلاَتِ (٢)
فَبَكِّيهِ وَلاَ تَسَمِي بِحُزْنٍ وَبَكِّي مَابَقِيتِ الْبَاكِيَاتِ (٣)

وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكى أباها :—

أميمة تبكى أباها عبد المطلب

أَلاَ هَلَكَ الرَّاعِي الْعَشِيرَةَ ذُو الْفَقْدِ
وَسَاقِي الْحَجِيجِ وَالْمُحَامِي عَنْ الْمَجْدِ (٤)
وَمَنْ يُؤْلِفُ الضَّيْفَ الْغَرِيبَ بُيُوتَهُ
إِذَا مَاسَمَاءُ النَّاسِ تَبْخَلُ بِالرَّغْدِ

ومنه فى التنزيل : (خيرات حسان) (وانظر ص ١٨١ ه ٣) و « تيار » هو معظم الماء ، و « الفرات » الماء العذب

(١) الهبرزى : الجميل الوسيم ، أو الحاذق فى أموره ، وأصله الأسوار من أساورة الفرس

(٢) « مفزعها » أصله اسم مكان من فزع يفزع ، أى : أنه المكان الذى يفزعون إليه إذا نزلت نازلة فيأمنون عنده . و « هاج هيج » نارت نائرة وقام حرب . والمعضلات : الأمور الشداد التى لايعرف وجه الخلاص منها

(٣) « ولاتسمى » أى : لاتسأمى ، فسهل الهمزة بعد نقل حركتها إلى ماقبلها فصارت ألفا ، ثم حذف هذه الألف

(٤) « الراعى العشيرة » معناه الحافظ لها القائم بأمورها . والحجيج اسم لجماعة الحجاج

كَسَبْتَ وَلِيدًا خَيْرَ مَا يَكْسِبُ الْفَتَى
فَلَمْ تَنفَكِكْ تَزْدَادُ يَاشَيْبَةَ الْحَمْدِ
أَبُو الْحَارِثِ الْفَيَّاضُ خَلَّي مَكَانَهُ
فَلَا تَبعَدَنْ فَكُلُّ حَيٍّ إِلَى بُعْدِ (١)
فَإِنِّى لَبَاكٍ ، مَا بَقِيتُ ، وَمُوجَعٌ
وَكَانَ لَهُ أَهْلاً لِمَا كَانَ مِنْ وَجْدِى (٢)
سَقَاكَ وَلِيُّ النَّاسِ فِى الْقَبْرِ مُمْطِراً
فَسَوْفَ أُبَكِّيهِ وَإِنْ كَانَ فِى اللَّحْدِ
فَقَدْ كَانَ زَيْناً لِلْعَشِيرَةِ كُلِّهَا   وَكَانَ حَمِيداً حَيْثُمَا كَانَ مِنْ حَمْدِ

وقالت أرْوَى بنت عبد المطلب تبكى أباها : —

أروى تبكى أباها عبد المطلب

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا الْبُكَاءُ   عَلَى سَمْحٍ سَجِيَّتُهُ الْحَيَاءُ (٣)
عَلَى سَهْلِ الْخَلِيقَةِ أَبْطَحِيٍّ   كَرِيمِ الْخِيمِ نِيَّتُهُ الْعَلَاءُ (٤)
عَلَى الْفَيَّاضِ شَيْبَةَ ذِى الْمَعَالِي   أَبِيكِ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ (٥)

---

(١) الفياض : الكثير العطاء ، ومثله الفيض من باب الوصف بالمصدر

(٢) أخبرت عن نفسها إخبار المذكر على إرادة الشخص ، كما قالت الأخرى : —

قَامَتْ تُبَكِّيهِ عَلَى قَبْرِهِ   مَنْ لِىَ مِنْ بعدِكَ يَاعَامِرُ
تَرَكْتَنِي فِى الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ   قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

تريد شخصا ذا غربة ، قاله أبو ذر

(٣) السمح : الكريم ، والسجية : الطبيعة

(٤) « أبطحى » أى : منسوب إلى قريش البطاح ، وهم الذين ينزلون بين أخشبي مكة ، والبطحاء : المكان السهل منها

(٥) « ليس له كفاء » أى : لانظير له ولا مثل

طَوِيلِ الْبَاعِ أَمْلَسَ شَيْظَمِيٍّ أَغَرَّ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ضِيَاءُ (١)
أَقَبِّ الْكَشْحِ أَرْوَعَ ذِى فُضُولٍ لَهُ الْمَجْدُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَاءُ (٢)
أَبِيِّ الضَّيْمِ أَبْلَجَ هِبْرِزِىٍّ قَدِيمِ الْمَجْدِ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ (٣)
وَمَعْقِلِ مَالِكٍ وَرَبِيعِ فِهْرٍ وَفَاصِلِهَا إِذَا الْتُمِسَ الْقَضَاءُ (٤)
وَكَانَ هُوَ الْفَتَى كَرَماً وَجُوداً وَبَأْساً حِينَ تَنْسَكِبُ الدِّمَاءُ (٥)
إِذَا هَابَ الْكُمَاةُ الْمَوْتَ حَتَّى كَأَنَّ قُلُوبَ أَكْثَرِهِمْ هَوَاءُ (٦)
مَضَى قُدُماً بِذِى رُبَدٍ خَشِيبٍ عَلَيْهِ، حِينَ تُبْصِرُهُ، الْبَهَاءُ (٧)

قال ابن إسحق : فزعم لى محمد بن سعيد بن المسيّب أنه أشار برأسه وقد أصْمَتَ (٨) : أنْ هكذا فابكيننى

---

(١) شيظمى : فصيح

(٢) « أقب » من القبب ، وهو دقة الخصر ، والأروع : من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته كالرائع ، والجمع أراوع

(٣) « أبى الضيم » أى : لا يقبل الذل ولا يرضاه ، والأبلج : الواضح و « ليس به خفاء » فى بعض النسخ « ليس له خفاء »

(٤) الفاصل : بالصاد المهملة - الذى يقضى فى الخصومات ، وفى بعض النسخ « وفاضلها »

(٥) « تنسكب الدماء » أى : تسيل ، وأرادت وقت الهيجاء وحين اشتداد الخطوب

(٦) الكماة : الشجعان ، واحدهم كمى ، سمى بذلك لأنه يستتر فى دروعه .

(٧) الربد — كصرد — الطرائق فى السيف ، وأرادت بذى ربد سيفا . والخشيب : الصقيل ، وقوله « البهاء » روى أبو ذر فى مكانها « الهباء » بتقديم الهاء ، وقال : « والهباء : مايظهر على السيف المجوهر تشبيها بالغبار ومن رواه البهاء فهو حسن الهيئة » اهـ كلامه

(٨) يقال : أصمت المريض ، إذا اعتقل لسانه وشارف الموت

قال ابن هشام : المسيب : ابن حزن بن أبى وَهْب بن عَمْرو بن عائذ ابن عِمْرَان بن مَخْزوم . نسب المسيب ابن حزن

قال ابن إسحق : وقال حُذَيْفَةُ بن غانم ، أخو بنى عَدِىّ بن كَعْب ابن لُؤَى ، يبكى عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويذكر فضله ، وفضل قُصَىّ على قريش ، وفضل ولده من بعده عليهم ، وذلك أنه أُخذ بغُرْم أربعة آلاف درهم بمكة ، فوقف بها ، فمر به أبو لهب عَبْدُ الْعُزَّى بن عبد المطلب فافْتَكه : —

أَعَيْنَىَّ جُودَا بِالدُّمُوعِ عَلَى الصَّدْرِ ... وَلاَ تَسْأَمَا أُسْقِيتُمَا سَبَلَ الْقَطْرِ

وَجُودَا بِدَمْعٍ وَاسْفَحَا كُلَّ شَارِقٍ ... بُكَاءَ امْرِئٍ لَمْ يُشْوِهِ نَائِبُ الدَّهْرِ (١)

عَلَى رَجُلٍ جَلْدِ الْقُوَى ذِى حَفِيظَةٍ ... جَمِيلِ الْمُحَيَّا غَيْرِ نِكْسٍ وَلَا هَذْرِ

عَلَى الْمَاجِدِ الْبُهْلُولِ ذِى الْبَاعِ وَاللُّهَا

رَبِيعِ لُؤَىٍّ فِى الْقُحُوطِ وَفِى الْعُسْرِ (٢)

عَلَى خَيْرِ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِلٍ

كَرِيمِ الْمَسَاعِى طَيِّبِ الْخِيمِ وَالنَّجْرِ (٣)

وَخَيْرِهِمُ أَصْلاً وَفَرْعًا وَمَعْدِنًا ... وَأَحْظَاهُمُ بِالْمَكْرُمَاتِ وَبِالذِّكْرِ

---

(١) « كل شارق » منصوب على الظرفية ، أى : فى كل شارق ، وأراد عند طلوع شمس كل يوم و « أشوى » : أصاب الشوى ولم يصب المقتل وفى بعض النسخ زيادة بيت بعدهذا ، وهو قوله : —

وَسُحًّا وَجُمًّا وَاسْجُمَا مَا بَقِيتُمَا ... عَلَى ذِى حَيَاءٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَذِى سِتْرِ

(٢) البهلول : السيد الجامع لكل خير ، واللها : جمع لهوة ـ بضم اللام وفتحها ـ وهى العطية ، ويروى « والندى » وهو العطاء ، ويروى « والنهى » وهو جمع نهية بمعنى العقل

(٣) النجر : الأصل أو الطبع

وَأَوْلاَهُمُ بِالْمَجْدِ وَالْحِلْمِ وَالنُّهَى
وَ بِالْفَضْلِ عِنْدَ الْمُجْحِفَاتِ مِنَ الْغُبْرِ (١)
عَلَى شَيْبَةِ الْحَمْدِ الَّذِي كَانَ وَجْهُهُ يُضِيءُ سَوَادَ اللَّيْلِ كَالْقَمَرِ الْبَدْرِ
وَسَاقِي الْحَجِيجِ ثُمَّ لِلْخَيْرِ هَاشِمٌ
وَعَبْدِ مَنَافٍ ذَلِكَ السَّيِّدُ الْفِهْرِي (٢)
طَوَى زَمْزَمًا عِنْدَ الْمَقَامِ فَأَصْبَحَتْ
سِقَايَتُهُ فَخْرًا عَلَى كُلِّ ذِي فَخْرِ
لِيَبْكِ عَلَيْهِ كُلُّ عَانٍ بِكُرْبَةٍ وَآلُ قُصَيٍّ مِنْ مُقِلٍّ وَذِي وَفْرِ (٣)
بَنُوهُ سَرَاةٌ كَهْلُهُمْ وَشَبَابُهُمْ تَفَلَّقَ عَنْهُمْ بَيْضَةُ الطَّائِرِ الصَّقْرِ
قُصَيٌّ الَّذِي عَادَى كِنَانَةَ كُلَّهَا وَرَابَطَ بَيْتَ اللهِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
فَإِنْ تَكُ غَالَتْهُ الْمَنَايَا وَصَرْفُهَا
فَقَدْ عَاشَ مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ وَالْأَمْرِ (٤)
وَأَبْقَى رِجَالاً سَادَةً غَيْرَ عُزَّلٍ
مَصَالِيتَ أَمْثَالَ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ (٥)

---

(١) المجحفات: جمع مجحفة، وهى السنة التى تذهب بالأموال، والغبر: جمع غبراء، وهى السنة المجدبة

(٢) روى «ذلك السيد الفهرى» بالفاء، وهو المنسوب إلى فهر. وروى «القهر» وهو مصدر قهره يقهره إذا غلبه. وصفه به مبالغة، وذلك كما تقول: رجل عدل، ورجل صوم، ورجل فطر

(٣) العانى: الأسير. وذو الوفر: صاحب المال الوفير

(٤) «غالته المنايا» أى: ذهبت به وأهلكته. و «ميمون النقيبة» أى: منجح الفعال ظافر المطالب، وأصل النقيبة: النفس

(٥) عزل: ضعاف لا سلاح معهم، ومصاليت: جمع مصلات، وهو الرجل الماضى فى الحوائج. والردينية: الرماح

أَبُو عُتْبَةَ الْمُلْقِي إِلَيَّ حِبَاءَهُ ... أَغَرُّ هِجَانُ اللَّوْنِ مِنْ نَفَرٍ غُرِّ (١)
وَحَمْزَةُ مِثْلُ الْبَدْرِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى ... نَقِيُّ الثِّيَابِ وَالذِّمَامِ مِنَ الْغَدْرِ
وَعَبْدُ مَنَافٍ مَاجِدٌ ذُو حَفِيظَةٍ ... وَصُولٌ لِذِي الْقُرْبَى رَحِيمٌ بِذِي الصِّهْرِ
كُهُولُهُمُ خَيْرُ الْكُهُولِ وَنَسْلُهُمْ ... كَنَسْلِ الْمُلُوكِ لَا تَبُورُ وَلَا تَحْرِي (٢)
مَتَى مَاتُلَاقِي مِنْهُمُ الدَّهْرَ نَاشِئًا ... تَجِدْهُ بِإِجْرِيَّا أَوَائِلِهِ يَجْرِي (٣)
هُمُ مَلَأُوا الْبَطْحَاءَ مَجْدًا وَعِزَّةً ... إِذَا اسْتَبَقَ الْخَيْرَاتُ فِي سَالِفِ الْعَصْرِ
وَفِيهِمْ بُنَاةٌ لِلْعُلَا وَعِمَارَةٌ ... وَعَبْدُ مَنَافٍ جَدُّهُمْ جَابِرُ الْكَسْرِ
بِإِنْكَاحِ عَوْفٍ بِنْتَهُ لِيُجِيرَنَا ... مِنَ أَعْدَائِنَا إِذْ أَسْلَمَتْنَا بَنُو فِهْرِ
فَسِرْنَا تِهَامِيَّ الْبِلَادِ وَنَجْدَهَا ... بِأَمْنِهِ حَتَّى خَاضَتِ الْعِيرُ فِي الْبَحْرِ (٤)

---

(١) الحباء ـ بكسر الحاء ـ العطاء ، و « هجان اللون » أبيض ، و « غر » جمع أغر

(٢) « تحرى » أى : لا تهلك ولا تنقص ، وفى الحديث « مازال جسم أبى بكر يحرى حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم » أى : ينقص لحمه حتى مات

(٣) الاجريا : العادة والطريقة ، وما يجرى عليه من أفعال آبائه ويتعوده وهو بكسر الهمزة وسكون الجيم وكسر الراء وتشديد الياء المثناة ، وهو بعد ذلك يمد ويقصر

(٤) تهامى البلاد : ما انخفض منها ، ونجدها : ما علا منها ، وهما

وَهُمْ حَضَرُوا وَالنَّاسُ بَادٍ فَرِيقُهُمْ وَلَيْسَ بِهَا إِلاَّ شُيُوخُ بَنِي عَمْرِو
بَنَوْهَا دِيَارًا جَمَّةً وَطَوَوْا بِهَا
بِئَارًا تَسُحُّ الْمَاءَ مِنْ ثَبَجِ الْبَحْرِ (١)
لِكَيْ يَشْرَبَ الْحُجَّاجُ مِنْهَا وَغَيْرُهُمْ
إِذَا ابْتَدَرُوهَا صُبْحَ تَابِعَةِ النَّحْرِ
ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ تَظَلُّ رِكَابُهُمْ
مُخَيِّسَةً بَيْنَ الْأَخَاشِبِ وَالْحِجْرِ (٢)
وَقِدْمًا غَنِينَا قَبْلَ ذٰلِكَ حِقْبَةً وَلاَ نَسْتَقِي إِلاَّ بِخُمٍّ أَوِ الْحَفْرِ (٣)
وَهُمْ يَغْفِرُونَ الذَّنْبَ يُنْقَمُ دُونَهُ
وَيَعْفُونَ عَنْ قَوْلِ السَّفَاهَةِ وَالْهُجْرِ (٤)
وَهُمْ جَمَعُوا حِلْفَ الْأَحَابِيشِ كُلِّهَا
وَهُمْ نَكَّلُوا عَنَّا غُوَاةَ بَنِي بَكْرِ (٥)

منصوبان على الظرفية ، وقوله « بأمنه » فان هذا الشاعر قد حذف حرف الاشباع من الضمير حين اضطر إلى ذلك ، ومثله بيت أنشده سيبويه

سَأَجْعَلُ عَيْنَيْهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعَا

وربما حذفوا الواو من « هو » والياء من « هي » إذا اضطروا أيضا وذلك كقول الآخر :-

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ

أراد « فبينا هو » فحذف على ما ذكرنا

(١) ثبج البحر : معظمه ، ويروى «ثبج بحر» على الوصف بغير إضافة
(٢) « مخيسة » مذللة ، ويروى « محبسة » بالحاء المهملة والباء الموحدة والأخاشب : جبال بمكة ، وهما أخشبان ، ولكنه أرادهما بما حولها فجمع
(٣) خم والحفر : بئران ، وتقدم الكلام عليهما
(٤) الهجر : القبيح من الكلام الفاحش
(٥) الأحابيش : أحياء القارة ، انضموا إلى بنى ليث في محاربتهم قريشا ،

نَخَارِجَ ، إِمَّا أَهْلِكَنَّ فَلاَ تَزَلْ
لَهُمْ شَاكِرًا حَتَّى تُغَيَّبَ فِي الْقَبْرِ (١)
وَلاَ تَنْسَ مَا أَسْدَى ابْنُ لُبْنَى فَإِنَّهُ
قَدَ أَسْدَى يَدًا مَحْقُوقَةً مِنْكَ بِالشُّكْرِ (٢)
وَأَنْتَ ابْنَ لُبْنَى مِنْ قُصَيٍّ إِذَا انْتَمَوْا
بِحَيْثُ انْتَهَى قَصْدُ الْفُؤَادِ مِنَ الصَّدْرِ
وَأَنْتَ تَنَاوَلْتَ الْعُلاَ فَجَمَعْتَهَا ... إِلَى مَحْتِدِ الْمَجْدِ ذِي ثَبَجٍ جَسْرِ (٣)
سَبَقْتَ وَفُتَّ الْقَوْمَ بَذْلاً وَنَائِلاً ... وَسُدْتَ وَلِيدًا كُلَّ ذِي سُؤْدَدٍ غَمْرِ
وَأُمُّكَ سِرٌّ مِنْ خُزَاعَةَ جَوْهَرٌ
إِذَا حَصَّلَ الْأَنْسَابَ يَوْمًا ذَوُو الْخُبْرِ (٤)
إِلَى سَبَإِ الْأَبْطَالِ تُنْمَى وَتَنْتَمِي ... فَأَكْرِمْ بِهَا مَنْسُوبَةً فِي ذُرَا الزُّهْرِ
أَبُو شَمِرٍ مِنْهُمْ وَعَمْرُو بْنُ مَالِكٍ ... وَذُو جَدَنٍ مِنْ قَوْمِهَا وَأَبُو الْجَبْرِ (٥)

وقيل : حالفوا قريشا تحت جبل يسمى حبشيا ، فسموا بذلك ، قال أبو ذر : « والأحابيش : من حالفوا قريشا من القبائل ودخل فى عقدها وذمتها » اه وقوله « نكلوا » أى : صرفوا وزجروا

(١) « نخارج » أراد ياخارجة ، فحذف حرف النداء ورخم ، قاله أبو ذر .

(٢) « محقوقة » يريد أنها تستحق الشكر وتستوجبه ، وفى بعض النسخ « محفوفة » بالفاء بدل القاف

(٣) جسر : ماض فى أموره قوى عليها

(٤) « وأمك سر » أى : خالصة النسب ، والخبر ـ بالضم ـ العلم

(٥) قال أبو ذر : « أبو شمر وعمرو وذو جدن وأبو الجبر وأسعد : كلهم من ملوك اليمن ، وأسعد كان أعظمهم » اه

وقال السهيلى : « أسعد : هو أسعد أبو حسان بن أسعد ، وقد تقدم فى التبابعة ،

وَأَسْعَدُ قَادَ النَّاسَ عِشْرِينَ حِجَّةً ... يُؤَيَّدُ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ بِالنَّصْرِ (١)

قال ابن هشام : قوله « أمك سر من خزاعة » يعنى أبا لهب : أمه لُبْنَى بنت هاجر الخزاعى ، وقوله « بإجْرِيًّا أوائله » عن غير ابن إسحق

مطرود الخزاعى يرثى عبد المطلب

قال ابن إسحق : وقال مطرود بن كعب الخزاعى يبكى عبد المطلب و بنى عبد مناف :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوِّلُ رَحْلَهُ ... هَلاَّ سَأَلْتَ عَنَ آلِ عَبْدِ مَنَافِ

هَبِلَتْكَ أُمُّكَ لَوْ حَلَلْتَ بِدَارِهِمْ ... ضَمِنُوكَ مِنْ جُرْمٍ وَمِنْ إِقْرَافِ (٢)

الْمُنْعِمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ ... وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْإِيلاَفِ

وَالْمُطْعِمِينَ إِذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ ... حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَّافِ (٣)

وكذلك أبو شمر ، وشمر هو الذى بنى سمرقند ، وأبوه مالك ، يقال له الأملوك ، ويحتمل أن يكون أراد أبا شمر الغسانى والد الحرث ، وعمرو ابن مالك الذى ذكره أحسبه عمرا ذا الأذعار ، وأبو جبر : ملك من ملوك اليمن » اه كلامه باختصار

(١) قال السهيلى : « وإنما جعل هؤلاء مفخراً لأبى لهب لأن أمه خزاعية من سبأ ، والتبابعة كلهم من حمير بن سبأ » اه

(٢) يقال : هبلته أمه تهبله هبلا ـ بالتحريك ـ أى : ثكلته ، وتارة يستعمل بمعنى المدح والاعجاب ، وما هنا من الأول ، وقوله « ضمنوك من جرم ومن إقراف » أى : منعوك من أن تنكح بناتك وأخواتك من لئيم فيكون الابن مقرفا للؤم أبيه وكرم أمه فيلحقك وصم من ذلك ، ويروى فى بعض النسخ بعد هذا البيت بيت آخر ، وهو قوله : —

الْخَالِطِينَ غَنِيَّهُمْ بِفَقِيرِهِمْ ... حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي

(٣) « تناوحت » تقابلت ، يقال : تناوح الجبلان ، إذا تقابلا ، والرجاف : البحر ، سمى بذلك لأنه يرجف ، أى : يضطرب

إِمَّا هَلَكْتَ، أَبَا الْفِعَالِ، فَمَا جَرَى مِنْ فَوْقِ مِثْلِكَ عَقْدُ ذَاتِ نِطَافِ (١)
إِلاَّ أَبِيكَ أَخِي الْمَكَارِمِ وَحْدَهُ وَالْفَيْضِ مُطَّلِبٍ أَبِي الْأَضْيَافِ (٢)

فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولى زمزم والسِّقاية عليها بعده العبَّاسُ بن عبد المطلب، وهو يومئذ من أحدث إخوته سنًّا، فلم تزل إليه حتى قام الاسلام وهى بيده، فأقرَّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم له على مامضى من ولايته؛ فهى إلى آل العباس بولاية العباس إياها إلى هذا اليوم

النبى صلى الله عليه وسلم فى كفالة عمه أبى طالب

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عبد المطلب مع عمه أبى طالب، وكان عبد المطلب — فيما يزعمون — يوصى به عمه أبا طالب، وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا طالب أخوان لأب وأم، أمُّهما: فاطمة بنت عَمْرو بن عائذ بن عَبْد بن عِمْران ابن مَخزوم.

قال ابن هشام: عائذ: ابن عمران بن مخزوم.

قال ابن إسحق: وكان أبو طالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلى الله وسلم بعد جده؛ فكان إليه ومعه

قال ابن إسحق: وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبَيْر، أن أباه حدثه، أن رجلا من لِهْبٍ (قال ابن هشام: ولِهْبٌ من أزْد شنوءة)

(١) قال أبو ذر: «من روى عقد بكسر العين فالنطاف: جمع نطفة، وهى القرط الذى يعلق فى الأذن، ومن روى عقد بفتح العين فالنطاف: جمع نطفة من الماء وهى القليل الصافى»

(٢) «أبى الأضياف» يريد أنه كالأب لهم، والعرب تقول لكل جواد أبو الأضياف، قال مرة بن محكان: —

أُدْعَى أَبَاهُمْ وَلَمْ أُقْرَفْ بِأُمِّهِمُ وَقَدْ عَمَرْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسَبَا

كان عائفا (١) فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش (٢) بغلمانهم ينظر إليهم ، و يعتاف لهم فيهم ، قال : فأتى به أبو طالب — وهو غلام — مع من يأتيه ؛ فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغ قال : الغُلَامَ ، عَلَيَّ به ، فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيّبه عنه ، فجعل يقول : وَيْلَكُمْ !! ردُّوا عليَّ الغلام الذى رأيت آنفاً ، فوالله ليكونَنَّ له شأن ، قال : فانطلق أبو طالب

قصة بحيرى

النبى يتعلق بعمه أبى طالب فيأخذه معه إلى الشام

قال ابن إسحق : ثم إن أبا طالب خرج فى رَكْب تاجراً إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير صَبَّ (٣) به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يزعمون ، فرَقَّ له ، وقال : والله لأخْرُجَنَّ به معى ، ولا يفارقنى ولا أفارقه أبداً . أوكما قال ، فخرج به معه ، فلما نزل الركب بُصْرَى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرى فى صومعة له ، وكان إليه علمُ أهل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصَّوْمعة منذ قط راهبٌ إليه

بحيرى الراهب يكرم الركب الذى فيه النبى

(١) يريد أنه كان صادق الحدس والظن ، كما يقال لمن يصيب بظنه : ماهو إلا كاهن ، وللبليغ فى قوله : ماهو إلا ساحر ، وأصل العيافة : زجر الطير ، وبنو لهب من أعرف الناس بها ، وفيهم يقول الشاعر :—

خَبِيرٌ بَنُو لِهْبٍ فَلَا تَكُ مُلْغِيًا ... مَقَالَةَ لِهْبِيٍّ إِذَا الطَّيْرُ مَرَّتِ

ويقول آخر :—

سَأَلْتُ أَخَا لِهْبٍ لِيَزْجُرَ زَجْرَةً ... وَقَدْ رُدَّ زَجْرُ الْعَالَمِينَ إِلَى لِهْبِ

(٢) فى بعض النسخ « رجال من قريش »

(٣) « صب به » من الصبابة ، وهى رقة الشوق ، أى : اشتد ميله إليه ورق قلبه له ، وفى بعض الروايات « ضبث به » أى : لزمه وتعلق به ، وفى رواية ثالثة ذكرها أبو ذر « ضب به » وهى قريبة المعنى من سابقتها

يصير علمهم عن كتاب فيها ، فيما يزعمون ، يتوارثونه كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى ، وكانوا كثيراً مايمرُّون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام ؛ فلما نزلوا به قريباً من صَوْمعته صَنَعَ لهم طعاماً كثيراً ، وذلكَ — فيما يزعمونَ — عن شيء رآه وهو فى صَوْمَعته : يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى صومعته فى الركب حين أقبلوا وغمامَةٌ تُظِلُّه من بين القوم ، قال : ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصَّرت (١) أغصانُ الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بَحيرى نزل من صَوْمعته [وقد أمر بذلك الطعام فصنع] ، ثم أرسل إليهم ، فقال : إنى قد صنعت لكم طعاماً يامعشرَ قريشٍ ؛ فأنا أحب أن تَحْضُروا كلُّكم صغيرُكم وكبيرُكم وعبدُكم وحُرُّكم ، قال له رجل منهم : والله ، يا بحيرى ، إنَّ لك لشأناً اليومَ ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيراً ! ! فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرى : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضَيْفٌ وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم ؛ فاجتمعوا إليه ، وتخلَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم — لحداثة سنه — فى رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرى فى القوم ولم يرَ الصِّفَةَ التى يَعرفُ ويجدُ عنده قال : يا معشرَ قريشٍ ، لايتخلفنَّ أحد منكم عن طعامى ، قالوا له : يا بحيرى ، ما تخلَّف عنك أحدٌ ينبغى له أن يأتيك إلا غُلاماً وهو أحدث القوم سنًّا فتخلَّف فى رحالهم ، فقال : لاتفعلوا ، أُدْعُوه فليَحْضُر هذا الطعام معكم ، قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللاتِ وَالْعُزَّى

---

(١) « تهصرت » قال أبو ذر : « تهصرت أغصان الشجرة : أى مالت وتدلت ، تقول : هصرت الغصن ، إذا جذبته إليك حتى يميل » اهـ

إنْ كان لَلُؤْمٌ بنا أن يتخلَّف ابنُ عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه (١) ، وأجلسه مع القوم ، فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده ، وقد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى فقال له : ياغلام ، أسألك بحقِّ اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاَ تَسْأَلْنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى شَيْئاً ، فَوَ اللهِ ما أَبْغَضْتُ شَيْئاً قَطُّ بُغْضَهُمَا » فقال بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، فقال له : « سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ » فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه ، وهيئته ، وأموره ؛ فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده.

قال ابن هشام : وكان مثل أثر المحجم (٢)

بحيرى ينصح لأبى طالب بالعودة بالنبى

قال ابن إسحق : فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال له : ماهذا الغلام منك ؟ قال : ابنى ، قال له بحيرى : ماهو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ، قال : فانه ابن أخى ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حُبْلَى به ، قال : صدَقْتَ فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فو اللهِ لئِنْ رأَوْه وعرَفُوا منه ماعرفت ليَبْغُنَّهُ شرا ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم ، فأسْرِعْ به إلى بلاده ؛ فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكةَ حين فرغ من تجارته بالشأم

---

(١) « احتضنه » أى : أخذه مع حضنه ، أى : جنبه

(٢) قال السهيلى « يعنى أثر المحجمة القابضة على اللحم حتى يكون ناتئا وفى الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود » اه ، وقال أبو ذر : « المحجم : الآلة التى يحجم بها ، والمحجم : المصدر » اه

قوم من أهل الكتاب يحاولون إيذاء النبي فيردهم بحيرى

فزعموا، فيما روى الناس، أن زُرَيْرًا وتَمّاماً ودَرِيساً — وهم نفرٌ من أهل الكتاب — قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رآه بحيرى، فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب، فأرادوه، فردهم عنه بحيرى، وذكّرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن أجمعُوا لما أرادوا به لم يَخْلُصوا إليه، ولم يزل بهم حتى عرفوا ماقال لهم، وصدَّقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه

كلاءة الله تعالى نبيه وحفظه منذ نشأته

فَشَبَّ رسول صلى الله عليه وسلم والله تعالى يَكْلَؤُه ويَحْفَظُه ويَحُوطه من أقذار الجاهلية؛ لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أنْ كانَ رجلاً أفضلَ قومه مروءةً، وأحسنَهم خُلُقًا، وأكرمَهُمْ حَسَبًا، وأَحْسَنَهُمْ جِوَارا، وأعظمهم حلماً، وأصدَقَهُمْ حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفُحْش والأخلاق التى تدنس الرجال تَنَزُّهاً وتَكَرُّماً، حتى ما اسمه فى قومه إلا «الأمين» لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما ذكر لى، يحدِّث عمَّا كان الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته أنه قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنِى فى غِلْمَانِ قريش نَنْقُلُ حجارةً لبعض ما يَلْعَبُ به الغلمان، كُلُّنَا قد تعرّى وأخذ إزَارَهُ فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة: فانى لأُقْبِلُ معَهم كذلك وأُدْبِرُ إذْ لَكَمَنِى [1] لاكم ما أراهُ لكمةً وجيعةً؛ ثم قال: شُدَّ عَلَيْكَ إزَارَكَ، قال: فأخذتُه وشددته علىَّ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى، وإزارى علىَّ من بين أصحابى» [2]

---

(١) قال أبو ذر: «إذ لكمنى» أى: لكزنى»

(٢) قال السهيلى: هذه القصة إنما وردت فى الحديث الصحيح فى حين بنيان الكعبة: كان عليه السلام يحمل الحجارة وإزاره مشدود عليه؛

حرب الفجار

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَرْبَعَ عَشْرَةَ سنة ، أو خمس عشرة سنة ، فيما حدثني أبو عُبَيْدَةَ النحويُّ ، عن أبي عمرو ابن العلاء ؛ هاجَتْ حربُ الفِجَارِ (١) بين قريش ومن معها من كِنَانَةَ ، وبين قَيْسِ عَيْلَانَ ، وكان الذي هاجها أنَّ عُرْوَةَ الرَّحَّالَ بن عُتْبة بن جَعْفَر بن كلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن مُعَاوية بن بكر

فقال له العباس : ياابن أخي ، لو جعلت إزارك على عاتقك . ففعل ، فسقط مغشيا عليه ، ثم قال : إزاري ، إزاري ، فشد عليه إزاره ، وقام يحمل الحجارة ، وفي آخر أنه لما سقط ضمه العباس إلى نفسه ، وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودي من السماء أن اشدد إزارك يامحمد ، وإنه لأول مانودي ؛ ولعل هذا وقع له صلى الله عليه وسلم مرتين : في حال صغره ، وعند بنيان الكعبة » اه ومن ذلك ماذكره صاحب عيون الأثر بسنده وابن عساكر يصل به إلى علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما هممت بشيء مما يهم به أهل الجاهلية إلا مرتين من الدهر ، كلتاهما عصمني الله عز وجل منهما ، أي : من فعلهما ، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها : أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان ، قال : نعم . فخرجت ، فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء ، وصوت دفوف ، ومزامير ، فقلت : ماهذا ؟ فقالوا : فلان تزوج فلانة ، لرجل من قريش ، فلهوت بذلك الصوت ، حتى غلبتني عيني . فنمت ، فما أيقظني إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال : مافعلت ؟ فأخبرته . ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماهممت بعدها بسوء مما يعمله أهل الجاهلية ، حتى كرمني الله عز وجل بنبوته »

(١) قال السهيلي : « الفجار ـ بكسر الفاء ـ بمعنى المفاجرة ، كالقتال والمقاتلة ، وذلك لأنه كان قتالا في الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعا ، فسمي

سبب حرب الفجار

ابن هَوَازن أجَارَ لَطِيمَةً (١) للنعمان بن المنذر ، فقال له الْبَرَّاض بن قَيْس أحدُ بنى ضَمْرة بن بكر بن عَبْدمَنَاةَ بن كنانة : أتجيرُها على كنانة ؟ قال : نعم وعلى الخلق [كله] فخرج فيها عُرْوة الرَّحَّال ، وخرج الْبَرَّاض يطلب غَفْلته ، حتى إذا كان بتَيْمَنَ ذِى طَلاَّل (٢) بالعالية غَفَل عُرْوةُ ، فوثب عليه الْبَرَّاض ؛ فقتله فى الشهر الحرام ، فلذلك سمى الفِجار ، وقال الْبَرَّاضُ فى ذلك : —

وَدَاهِيَةٍ تُهِمُّ النَّاسَ قَبْلِي شَدَدْتُ لَهَا بَنِي بَكْرٍ ضُلُوعِي

الفجار ، وللعرب لجارات أربع آخرها لجار البراض المذكور فى السيرة وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة : يوم شمطة ، ويوم العبلاء ، وهما عند عكاظ ، ويوم الشرب (بفتح فكسر) وهو أعظمها . وفيه قيد حرب بن أمية وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كى لا يفروا ، فسموا العنابس والعنابس : جمع عنبس ، وهو الأسد) . ويوم الحريرة (بزنة التصغير) عند نخلة ، ويوم الشرب ، انهزمت قيس إلا بنى نصر منهم فانهم ثبتوا » اه كلام السهيلى . قلت : أما الفجار الأول فكان بين كنانة وهوازن . وأما الفجار الثانى فكان بين قريش وهوازن ، وأما الفجار الثالث فكان بين كنانة وهوازن : وقد تحاور الحيان فى الأول حتى كادت تقع الحرب بينهما ، ثم تراجع القوم . وأما فى الثانى فقد هاجت الحرب وكان بينهم قتال ودماء ، ثم تحملها حرب بن أمية وأصلح بينهم ؛ وأما فى الثالث فقد تراجعوا بعد أن تهايج الناس وكاد القتال يقع بينهم . وسنذكر قريبا كلمة أخرى عن أسباب الفجارات الثلاث

(١) اللطيمة : الجمال التى تحمل البز والمسك ؛ وإجارتها : أن يكون لها جارا فيمنع التعدى عليها

(٢) « تيمن » بفتح التاء وسكون الياء وفتح الميم أو كسرها وآخره نون و « ذو طلال » قال فى القاموس « وذو طلال ـ ككتاب ـ ماء أو موضع ببلاد بنى مرة » . وقال أبو ذر فى شرح السيرة : والجيد ذو طلال بالتشديد كما قال

هَدَمْتُ بِهَا بُيُوتَ بَنِي كِلَابٍ وَأَرْضَعْتُ المَوَالِيَ بِالضُّرُوعِ (١)
رَفَعْتُ لَهُ بِذِي طَلَالَ كَفِّي نَخَرَّ يَمِيدُ كَالْجِذْعِ الصَّرِيعِ (٢)

وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب : —

أَبْلِغْ إِنْ عَرَضْتَ بَنِي كِلَابٍ وَعَامِرَ وَالْخُطُوبُ لَهَا مَوَالِي
وَبَلِّغْ إِنْ عَرَضْتَ بَنِي نُمَيْرٍ وَأَخْوَالَ الْقَتِيلِ بَنِي هِلَالِ
بِأَنَّ الْوَافِدَ الرَّحَّالَ أَمْسَى مُقِيماً عِنْدَ تَيْمَنَ ذِي طِلَالِ

وهذه الأبيات فى أبيات له فيما ذكر ابن هشام

---

* رفعت له بذى طلال كفى *

وأما قول لبيد

* . . . عند تيمن ذى طلال *

فانما خففه لضرورة الشعر » اه وضبطه ياقوت « ذو ظلال » بالظاء المعجمة . وذكر فى حرف الظاء عبارة السيرة بحروفها مع هذه الأبيات ، ثم قال : « فى هذا عدة اختلافات : بعضهم يرويه بالطاء المهملة ، وبعضهم يرويه بتشديد اللام والظاء المعجمة ، وبعضهم يرويه بتخفيف اللام والظاء المعجمة ، وأكثرهم قال هو اسم موضع ، وقال قوم فى قول البراض إن ذا ظلال اسم سيفه » اه كلامه

(١) أى : ألحقت الموالى منزلتهم من اللؤم ورضاع الضروع ، وأظهرت فسالتهم ، وهتكت بيوت أشراف بنى كلاب وصرحائهم ، وهذا كما يقال : لئيم راضع ، أى : يرضع اللؤم من ثدى أمه

(٢) قال السهيلى : « وقوله بذى طلال فلم يصرفه يجوز أن يكون جعله اسم بقعة فترك تنوينه للعلمية والتأنيث ، فان قلت : كان يجب أن يقول : بذات طلال ، أى : ذات هذا الاسم ، كما قالوا : ذو عمرو ، أى : صاحب هذا الاسم ، ولوكانت أنثى لقالوا : ذات هند ، فالجواب أن قوله بذى يجوز أن يكون وصفا لطريق أو جانب مضاف إلى طلال اسم البقعة » اه

القتال بين الفريقين

فأتى آت قريشاً فقال : إن الْبَرَّاض قد قَتَل عُرْوة ، وهم فى الشهر الحرام بعكاظ ، فارتحلوا وهوازن لا تشعر [بهم] ثم بلغهم الخبر ، فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن ، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما والقوم متساندون [1] على كل قبيل من قريش وكنانة رئيسٌ منهم ، وعلى كل قبيل من قيسٍ رئيسٌ منهم ، وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ أيامهم ، أخرجه أعمامه معهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت أُنْبِلُ على أعمامى » ، أى : أرد عنهم نَبْلَ عدوهم إذا رموهم بها

سن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفجار وحضوره القتال

قال ابن إسحق : هاجت حرب الفجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابنُ عشرين سنةً ، وإنما سمى يوم الفجار بما استحل هذان الحيّانِ كنانةُ وقيس عُيْلان فيه من المحارمَ بينهم ، وكان قائدُ قريش وكنانة حَرْبَ ابن أمية بن عبد شمس ، وكان الظفر فى أول النهار لقيس على كنانة ، حتى إذا كان فى وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس

قال ابن هشام : وحديث [2] الفجار أطول مما ذكرت ، وإنما منعنى

---

(١) « متساندون » قال أبو ذر « أى : ليس لهم أمير واحد يجمعهم » قلت : وهذا يفسر قول صاحب السيرة بعد : على كل قبيل رئيس منهم .

(٢) ذكر هذا الحديث مبسوطا فى كتب السيرة ، وملخصه أن العرب كان لها فجارات أربعة آخرها فجار البراض ـ بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وضاد معجمة ـ على ماذكرنا آنفا ، وقد حضره النبى صلى الله عليه وسلم وعمره أربع عشر سنة على الصحيح ، أما الفجار الأول فكان عمره فيه عشر سنين ، وسببه أن بدر بن معشر الغفارى كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ، ويفتخر على الناس ، فبسط يوما رجله ، وقال : أنا أعز العرب ، فمن زعم أنه أعز منى فليضربها بالسيف ؛ فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته

من استقصائه قطعه حديثَ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها

سن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام زواجه بها

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خُوَيْلد بن أسَد بن عبد الْعُزَّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَى بن غالب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم ، عن أبى عمرو المدنى

فأسقطها وأزالها ، فتحاور الحيان ثم تراجعوا . وسبب الفجار الثانى أن امرأة من بنى عامر كانت جالسة بسوق عكاظ ، فطاف بها شاب من قريش من بنى كنانة ، فسألها أن تكشف وجهها ، فأبت ، فجلس خلفها وهى لا تشعر ، وعقد ذيلها بشوكة . فلما قامت انكشف وجهها ، فضحك الناس منها ، فنادت : المروءة يا آل عامر ، ونادى الشاب : يا بنى كنانة ، فاقتتلوا : وسبب الفجار الثالث أنه كان لرجل من بنى عامر دين على رجل كنانى ، فمطله ، فجرت بينهما مخاصمة ، فتهايج الناس ثم تراجعوا

(١) قال السهيلى : وكان آخر الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ ، فجاءوا للوعد ، وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة وكان عتبة بن ربيعة يتيما فى حجره ، فضن به حرب ، وأشفق من خروجه معه ، فخرج عتبة بغير إذنه ، فلم يشعروا إلا وهو على بعيره بين الصفين ينادى : يامعشر مضر ، علام تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ماتدعو إليه ؟ فقال : الصلح على أن ندفع إليكم دية قتلاكم ونعفو عن دمائنا ، قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع إليكم رهنامنا ، قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال : أنا ، قالوا : ومن أنت ؟ قال : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فرضيت كنانة ورضوا ، ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام ، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم ، وانقضت حرب الفجار ، وكان يقال : لم يسد من قريش مملق إلا عتبة وأبو طالب بن عبد المطلب فانهما سادا قريشا مع الفقر » اه

منزلة خديجة وخروج النبي فى تجارة لها

قال ابن إسحق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأةً تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها ، وتضاربهم إياه بشىء تجعله لهم ، وكانت قريشٌ قوما تُجَّارًا ، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها : من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ؛ بعثت إليه ، فعَرَضَتْ عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشأم تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له مَيْسَرَةُ ؛ فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وخرج فى مالها ذلك ، وخرج معه غلامها مَيْسَرة ، حتى قدم الشام

راهب من رهبان النصارى يخبر ميسرة بنبوة النبي

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلٍّ شجرة قريبا من صَوْمَعَة راهب من الرهبان ، فاطَّلَع الراهب إلى ميسرة ، فقال له : من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، قال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قَطُّ إلا نبىٌّ

ميسرة يحدث خديجة عما رأى من النبي

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سِلْعَتَه التى خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشترى ، ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة — فيما يزعمون — إذا كانت الْهَاجِرَةُ واشتد الحرُّ يرى مَلَكَين يُظِلاَّنه من الشمس ، وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضْعَفَ أو قريباً ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه ، وكانت خديجة امرأةً حازمةً شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت (1) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له —

(1) وروى عن نفيسة بنت علية أنها قالت : أرسلتنى خديجة خفية إلى محمد بعد أن رجع فى عيرها من الشأم ، فقلت له : يا محمد ، ما يمنعك أن تتزوج ؟

خديجة تعرض نفسها على النبي ليتزوجها

فيما يزعمون — : ياابن عم ، إنى قد رغبتُ فيك ؛ لقرابتك ،

فقال : مابيدى ماأتزوج به ، قلت : فإن كُفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاية ألا تجيب ؟ قال : فمن هى ؟ قلت : خديجة ، قال : وكيف لى بذلك ؟ قلت : على وأنا أفعل ؛ فذهبت فأخبرتها ، فأرسلت إليه عليه السلام أن ائت ساعة كذا وكذا ، فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها ، فحضر ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمومته ، فزوجه أحدهم ، وقد اختلف فى المزوج لها على أقوال كثيرة ، كما اختلف فى المزوج له عليه الصلاة والسلام ، والصحيح أن المزوج لها عمها عمرو بن أسد ؛ لأن أباها مات قبل الفجار ؛ وأن المزوج للنبي صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ، ولما تم الايجاب والقبول أمرت السيدة خديجة بشاة فذبحت ، واتخذت طعاما ، ودعت عمها عمرا ، وبعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى ومعه حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب ورؤساء مضر ، فأكلوا ، ثم خطب أبو طالب فقال : الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ، وضئضىء (أى : أصل) معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسوّاس حرمه ، وجعل لنا بيتا محجوجا ، وحرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن ابن أخى هذا محمد ابن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح ، وإن كان فى المال قل فالمال ظل زائل ، وأمر حائل ، ومحمد ممن قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله كذا من مالى ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم ، وخطر جليل جسيم ؛ وقد روى أنه لما أتم أبو طالب خطبته تكلم ورقة بن نوفل ، فقال : الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت ، وفضلنا على ماعددت ؛ فنحن سادة العرب وقادتها ، وأنتم أهل ذلك كله ، لا تنكر العشيرة فضلكم ، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ، وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم ، فاشهدوا على معاشر قريش بأنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله ، على أربعمائة دينار ، ثم سكت ورقة وتكلم أبو طالب ، وقال : قد أحببت أن يشركك عمها ، فقال عمها : اشهدوا على يامعشر قريش أنى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد ، وشهد

وسطَتِكَ في [1] قومك ، وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجةُ يومئذٍ أوسَطَ نساء قريش نَسَباً ، وأعظمَهُنَّ شَرَفاً ، وأكثرَهُنَّ مالاً ، كلُّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه

نسب خديجة من جهة أبيها

وهي : خديجة بنت خُوَيلد بن أسَد بن عبد الْعُزَّى بن قُصَيٍّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر

نسب خديجة من جهة أمها

وأمها : فاطمة بنت زائدة بن الأصَمِّ بن رَوَاحة بن حَجَر [2] بن عبد ابن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فهر ؛ وأمُّ فاطمةَ : هَالَةُ بنت عبد مَنَاف بن الحرث بن عَمْرو بن مُنْقذ بن عَمْرو بن مَعِيص بن عامر ابن لُؤَيّ بن غالب بن فهر ؛ وأمُّ هَالَةَ : قِلاَبَةُ بنت سُعَيْد بن سعد بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَي بن غالب بن فهر

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خُوَيْلد بن أسد ، فخطبها إليه ، فتزوجها .

على ذلك صناديد قريش ، وما جاء في خطبة ورقة بن نوفل من أنه أصدقها أربعمائة درهم لاينافي قول ابن إسحق هنا إنه أصدقها عشرين بكرة ؛ إذ يمكن الجمع بتقويم الثمن بذلك ، أو أن أحد الشيئين مهر والآخر هدية من عمه لخديجة رضي الله تعالى عنها ، أو أنه صلى الله عليه وسلم زاد ذلك في صداقها على صداق أبي طالب ، فكان الكل صداقا

(١) « سطتك » بكسر السين وفتح الطاء المهملة مخففة — أي : شرفك وسامي منزلتك

(٢) قال أبو ذر : « بن حجر : وقع في الرواية هنا حجر — بحاء مهملة مضمومة وجيم ساكنة — وحجير — بالتصغير — وحجر — بفتحتين — وهكذا قيده الدارقطني . وهو الصواب » اه

صداق خديجة

قال ابن هشام : وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضى الله عنها .

أولاد النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة

قال ابن إسحق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم ، إلا إبراهيم : القاسم ، وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم ، والطاهر ، والطيب ، وزينب ، ورُقَية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، عليهم السلام

قال ابن هشام : أكبر بنيه القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته رُقَيَّة ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة

وفيات أولاده صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا فى الجاهلية . وأما بناته فكلهن أدركن الاسلام فأسلمن ، وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وأما إبراهيم فأمه مارية

قال ابن هشام : حدثنا عبدُ الله بن وَهْب ، عن ابن لَهِيعة . قال : أمُّ إبراهيمماريةُ سُرِّيّة النبى صلى الله عليه وسلم التى أهداها إليه المقوقس من حَفْن من كورة أنْصِنا (١)

خديجة تحدث ورقة بحديث ميسرة عن النبي

قال ابن إسحق : وكانت خديجة بنت خُوَيْلد قد ذكرت لوَرَقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى — وكان ابن عمها ، وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس — ماذكر لها غلامُها مَيْسَرَةُ من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظلانه ، فقال ورقةُ : لئن كان هذا حقًّا ياخديجةُ إن محمدًا لنبيُّ هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن

(١) انظر (ص ٤) من هذا الجزء ، واقرأ الهامشة (٢)

لهذه الأمة نبي يُنْتَظر ، هذا زمانه ، أو كما قال ، فجعل ورقةُ يستبطىء الأمر ، ويقول : حتى متى ؟ فقال ورقة فى ذلك :

ورقة يستبطىء بعثة النبى

لَجِجْتَ وَكُنْتَ فِى الذِّكْرَى لَجُوجَا لِهَمٍّ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا (١)
وَوَصْفٍ مِنْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَصْفٍ فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِى يَاخَدِيجَا
بِبَطْنِ الْمَكَّتَيْنِ عَلَى رَجَائِى حَدِيثَكِ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا (٢)
بِمَا خَبَّرْتِنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ مِنَ الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعُوجَا (٣)

(١) النشيج : البكاء مع صوت

(٢) قال السهيلى : « ثنى مكة وهى واحدة لأن لها بطاحا وظواهر . . . على أن للعرب مذهبا فى أشعارها فى تثنية البقعة الواحدة وجمعها ، نحو قوله

تَسْفِى الرِّيَاحُ عَلَيْهِ بَيْن غَزَّات

(انظر ص ١٥١س ٧) يريد بغزة ، وقولهم بغادين فى بغدان ، وأما التثنية فكثير نحو قوله :ـ

(لَيْثٌ هِزَبْرٌ مُدِلٌّ عِنْدَ خيستَهِ) بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٍ وَأَعْرَاسُ

وقول زهير :ـ

وَدَار لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ (كَأَنَّهَا مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِى نَوَاشِرِ مِعْصَمِ)

وإنما مقصد العرب فى هذا الاشارة إلى جانبى كل بلدة ، أو الاشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى ، وقد قالوا : صدنا بقنوين ، وهو قنا اسم جبل ، وقول عنترة :ـ

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ (فَأَصْبَحَتْ
عَسِرًا عَلَىَّ طِلاَبُكِ ابْنَةَ مخرم)

هو من هذا الباب فى أصح القولين » اهـ كلامه مع زيادة تكملة الشواهد التى أشار إليها

(٣) القس : عابد النصارى . ويعوج : يقف أو يرجع ، يريد يخشى تأخره

بأنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ فِينَا
وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجَا (١)

وَيَظْهَرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءُ نورٍ يُقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا (٢)
فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَاراً وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا (٣)
فَيَا لَيْتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ
شَهِدْتُ وَكُنْتُ أَكْثَرَهُمْ وُلُوجَا (٤)
وَلَوْ جَانَ الَّذِي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيجَا (٥)
أُرَجِّي بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعاً إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَفَلُوا عُرُوجَا (٦)
وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ بِمَنْ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ الْبُرُوجَا (٧)
فَإِنْ يَبْقَوْا وَأَبْقَ تَكُنْ أُمُورٌ يَضِجُّ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجَا
وَإِنْ أَهْلِكْ فَكُلُّ فَتًى سَيَلْقَى مِنَ الْأَقْدَارِ مَتْلَفَةً حَرُوجَا (٨)

---

(١) يخصم : يغلب فى الخصومة . والحجيج : المناظر

(٢) تموج : يضطرب بعضها فى بعض

(٣) الفلوج : الظهور على العدو والخصم

(٤) ليتى : يريد ليتنى ، وهو من شواهد النحاة ، وقوله « أكثرهم ولوجا » يروى فى مكانه « أولهم ولوجا »

(٥) عجت عجيجا : ارتفعت أصواتها

(٦) العروج : الصعود والعلو

(٧) سمك : بنى ورفع

(٨) المتلفة : المهلكة . والحروج : الكثيرة التصرف قاله أبو ذر

حديث بنيان الكعبة
وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين قريش فى وضع الحجر

حالة الكعبة قبل بنائها

قال ابن إسحق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنةً اجتمعت قريشٌ لبنيان الكعبة ، وكانوا يهمُّون بذلك ليُسَقِّفوها ويهابون هَدْمَهَا ، وإنما كانت رَضْماً [1] فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وذلك أن نفرًا سرقوا كنزًا للكعبة ، وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة ، وكان الذى وجد عنده الكنز دُوَيْكاً مولًى لبنى مُليح بن عمرو من خزاعة . (قال ابن هشام : فقطعت قريش يده ، وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك) وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الرُّوم فتحطمت ، فأخذوا خشبها ، فأعدوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قِبْطى نجار ، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعضُ مايصلحها ، وكانت حيةٌ تخرج من بئر الكعبة التى كانت يُطرح فيها مايُهْدى لها كلَّ يوم ، فتَتَشَرَّق [2] على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لايدنو منها أحد إلا احزَأَلَّتْ وَكَشَّتْ [3] وفتحت فاها ، وكانوا

---

(١) «رضما» قال أبوذر : «الرضم الحجارة يجعل بعضها على بعض» اه

(٢) «تتشرق» أى : تبرز للشمس ، تقول : تشرقت ، إذا قعدت للشمس لايحجبك عنها شىء

(٣) «احزألت» أى : رفعت رأسها ، و«كشت» أى : صوتت باحتكاك بعض جلدها ببعض ؛ وقال أبو ذر «احزألت : رفعت ذنبها ، والمحزئل : المرتفع ، وكشت : صوتت»

يهابونها ، فبينا هى ذات يوم تَتَشَرَّقُ على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله إليها طائرًا فاختطفها ، فذهب بها ، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رضى ماأردنا ، عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب . وقد كفانا الله الحية

اجتماع قريش على بنائها ونصيحة أبى وهب لهم

فلما أجمعوا أمرهم فى هَدْمها و بنائها قام أبو وَهْب بن عمرو بن عائذ ابن عَبْد بن عِمْران بن مخزوم (قال ابن هشام : عائذ : ابن عمران بن مخزوم) فتناول من الكعبة حَجَراً ، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال : يامعشر قريش ، لاتُدْخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا ، لايدخل فيه مهر بغى ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس [١]

والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

قال ابن إسحق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى نَجِيح المكى . أنه حُدِّث ، عن عبد الله بن صَفْوان بن أُمية بن خَلَف بن وَهب بن حُذافة ابن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤَى ، أنه رأى ابنا لجَعْدَة ابن هُبَيْرة بن أبى وَهْب بن عَمْرو يطوف بالبيت . فسأل عنه . فقيل : هذا ابن لجعدة بن هبيرة . فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك : جدُّ هذا (يعنى أبا وهب) الذى أخذ حجراً من الكعبة ـ حين أجمعت قريش لهدمها ـ فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : « يامعشرَ قريشٍ ، لا تُدْخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيبا ، لاتدخلوا فيه مَهْرَ بَغِىٍّ ، ولا بَيْعَ ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس » [١] ؟ ؟

---

(١) وفى لفظ «لا تجعلوا فى نفقة هذا البيت شيئا أصبتموه غصبا ، ولا قطعتم فيه رحما ، ولا أنهكتم فيه ذمة أحد بينكم وبين أحد من الناس »

قال ابن إسحق : وأبو وهب : خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شريفا ، وله يقول شاعر من العرب : — أبو وهب المخزومي

وَلَوْ بِأَبِي وَهْبٍ أَنَخْتُ مَطِيَّتِي غَدَتْ مِنْ نَدَاهُ رَحْلُهَا غَيْرُ خَائِبِ

بِأَبْيَضَ مِنْ فَرْعَىْ لُؤَىٍّ بْنِ غَالِبٍ

إِذَا حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا فِي الذَّوَائِبِ (١)

أَبِيٌّ لأَخْذِ الضَّيْمِ يَرْتَاحُ لِلنَّدَى تَوَسَّطَ جَدَّاهُ فُرُوعَ الْأَطَايِبِ

عَظِيمُ رَمَادِ الْقِدْرِ يَمْلَأ جِفَانَهُ

مِنَ الْخُبْزِ يَعْلُوهُنَّ مِثْلُ السَّبَائِبِ (٢)

قريش تقسم الكعبة فيما بينها فيأخذ كل قوم قسما

ثم إن قريشا تجزَّأت (٣) الكعبة : فكان شِقُّ الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جُمَح وسَهْم ابنَيْ عَمْرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى ، وكان شق الحِجْر لبني عبد الدار ابن قُصَى ولبني أسد بن العُزَّى بن قصى ولبني عَدِىّ بن كعب بن لؤى — وهو الحطيم — ثم إن الناس هابوا هَدْمَها وَفَرِقُوا منه (٤) ، فقال الوليد ابن المغيرة : أنا أبْدَؤُكم فى هدمها ، فأخذ المِعْوَلَ (٥) ، ثم قام عليها وهو

الوليد بن المغيرة يبدأ هدم الكعبة

---

(١) الذوائب : الأعالى ، واحدها ذؤابة . وأراد بها هنا الأنساب الكريمة

(٢) السبائب : جمع سبيبة ، وهى فى الأصل ثياب رقيقة بيضاء ، فشبه الشحم الذى يعلو الجفان بها

(٣) يريد أنهم تقسموها أقساما . وفى بعض النسخ «جزأوها»

(٤) فرقوا : خافوا

(٥) المعول : الفأس التى تكسر بها الحجارة

يقول : اللهم لم تُرَعْ[1] (قال ابن هشام: ويقال لم نَزِغ) ، اللهم إنّا لانريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربّص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله صنعنا فهدمنا ، فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله ، فهدم وهدم الناس معه ، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساسِ إبراهيم أفضَوْا إلى حجارة خُضْرٍ كالأسنمة[2] آخذٍ بعضُها بعضا

قال ابن إسحق : فحدثنى بعض من يروى الحديث أن رجلا من قريش ، ممن كان يهدمها ، أدخل عَتَلَةً بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تَنَقَّضَتْ[3] مكةُ بأسرها ، فانتهوا عن ذلك الأساس

قال ابن إسحق : وحُدِّثتُ أن قريشا وجدوا فى الركن كتاباً بالسُّرْيانية ، فلم يدروا ماهو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فاذا هو « أنا الله ذو بكّة ؛ خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحففتُها بسبعة أملاك حُنَفَاء ، لاتزول حتى يزول أَخْشَبَاها ، مُبَارَكٌ لأهلها فى الماء واللبن »

قال ابن هشام : أخشباها : جبلاها

قال ابن إسحق : وحُدِّثت أنهم وجدوا فى المقام كتابا فيه « مكة

---

(١) قال أبو ذر : لم ترع (بالبناء للمعلوم) أى : لم تفزع . ومن قال لم ترع (بالبناء للمجهول) فانما يعنى الكعبة ، فأضمرها لتقدم ذكرها . ومن قال لم نزغ فانما يعنى لم نمل عن دينك ولا خرجنا عنه ، يقال : زاغ عن كذا ، إذا خرج عنه » اه

(٢) « كالأسنمة » قال أبو ذر : «والأسنمة : جمع سنام ، وهو أعلى الظهر ، وأراد أن الحجارة دخل بعضها فى بعض ، فشبهها بها ، ومن رواه كالأسنة فهو جمع سنان الرمح ، شبهها بالأسنة فى الخضرة » اه

(٣) « تنقضت » اى : اهتزت

[بيت] الله الحرام ، يأتيها رزقها من ثلاثة سبُلٍ ، لايُحِلُّهَا أوَّلُ مِنْ أهلها »

قال ابن إسحق : وزعم ليث بن أبي سُلَيم أنهم وَجدوا حجرًا فى الكعبة قبلَ مَبْعَث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة — إن كان ماذكر حقا — مكتوبا فيه « مَنْ يَزْرَعْ خيرًا يَحْصِدْ غِبْطَةً ، ومَنْ يَزْرَعْ شرًّا يَحْصِدْ نَدَامةً ، تعملون السيئات وتُجْزَوْنَ الحسنات !!! أجل ، كمالا يُجْتَنَى من الشوك العنب »

اختلاف قريش فى وضع الحجر الأسود

قال ابن إسحق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها ، كلٌّ قبيلة تجمع على حِدَةٍ ، ثم بَنَوْها ، حتى بلغ البنيان موضع الرُّكْن ، [1] فاختصموا فيه ، كلٌّ قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا [2] ، وتحالفوا ، وأعدُّوا للقتال ، فقربت بنو عبد الدار جَفْنَةً مملوءة دمًا ، ثم تعاقدوا هم و بنو عديٍّ بن كعب بن لُؤَى على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة ، فسُمُّوا لَعَقَةَ الدَّم ، فمكثت قريش على ذلك أربعَ ليالٍ أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد ، وتشاوروا ، وتناصفوا ؛ فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، و كان عامئذ أسنَّ قريشٍ كلها ، قال :

---

(١) يعنى بالركن ههنا الحجر الأسود ، وسمى ركنا لأنه مبنى فى الركن . قاله أبو ذر

(٢) « تحاوروا » هو كذلك بالراء المهملة فى بعض النسخ ، ومعناه تجادلوا وكثر الكلام والحوار بينهم ، وفى نسخة « تحاوزوا » بالزاى ، وعليها شرح أبو ذر ، وقال : « أى : انحازت كل قبيلة إلى جهة » اه

النبي صلى الله عليه وسلم يحكم بينهم فيحسم الخلاف

يامعشرَ قريش ، اجعلوا بينكم — فيما تختلفون فيه — أوَّل من يدخل من باب هذا المسجد (١) يقضي بينكم فيه ، ففعلوا ، فكان أولَ داخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد ؛ فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر ، فقال صلى الله عليه وسلم : «هَلُمَّ إِلَيَّ ثَوْباً» فأُتى به ، فأخذ الركن ، فوضعه فيه بيده ، ثم قال : « لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ من الثوب » (٢) ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا ، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه ، وكانت قريش تُسَمِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم — قبل أن ينزل عليه الوحي — : الأمين ؛ فلما فرغوا من البنيان وبَنَوْها على ما أرادوا قال الزُّبَيْرُ بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها : —

(١) هو باب بنى شيبة ، كان يقال له فى الجاهلية باب بنى عبد شمس ، ويقال له الآن باب السلام ، وفى رواية « أول من يدخل باب الصفا » وروى أن المشير على قريش مهشم بن المغيرة ويكنى أبا حذيفة

(٢) أى : بناحية من زواياه ، ولما فعلوا كان فى ربع عبد مناف عتبة بن ربيعة ، وكان فى الربع الثانى زمعة ، وفى الثالث ... و حذيفة بن المغيرة ، وفى الرابع قيس بن عدى ، وقد تم بناء الكعبة قبل الهجرة بثمان عشرة سنة بعد أن حلت كلمة الوفاق محل الشقاق ، ورضى الكل بحكمه صلوات الله عليه ، وإلى قضية التحكيم يشير قول هبيرة بن وهب المخزومى : -

تَشَاجَرَتِ الْأَحْيَاءُ فِي فَصْلِ خُطَّةٍ … جَرَتْ بَيْنَهُمْ بِالنَّحْسِ مِنْ بَعْدِ أَسْعُدِ
تَلَاقَوْا بِهَا بِالْبُغْضِ بَعْدَ مَوَدَّةٍ … وَأَوْقَدَ نَاراً بَيْنَهُمْ شَرٌّ مُوقِدِ
فَلَمَّا رَأَيْنَا الْأَمْرَ قَدْ جَدَّ جِدُّهُ … وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ غَيْرُ سَلِّ الْمُهَنَّدِ
رَضِينَا وَقُلْنَا : الْعَدْلُ أَوَّلُ طَالِعٍ … يَجِيءُ مِنَ الْبَطْحَاءِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ
فَفَاجَأَنَا هَذَا الْأَمِينُ مُحَمَّدٌ … فَقُلْنَا : رَضِينَا بِالْأَمِينِ مُحَمَّدِ

شعر الزبير بن عبد المطلب فى بناء الكعبة

عَجِبْتُ لِمَا تَصَوَّبَتِ الْعُقَابُ ... إِلَى الثُّعْبَانِ وَهْىَ لَهَا اضْطِرَابُ
وَقَدْ كَانَتْ يَكُونُ لَهَا كَشِيشٌ ... وَأَحْيَانًا يَكُونُ لَهَا وِثَابُ (١)
إِذَا قُمْنَا إِلَى التَّأْسِيسِ شَدَّتْ ... تُهَيِّبُنَا الْبِنَاءَ وَقَدْ تُهَابُ
فَلَمَّا أَنْ خَشِينَا الرِّجْزَ جَاءَتْ ... عُقَابٌ تَتْلَئِبُّ لَهَا انْصِبَابُ (٢)
فَضَمَّتْهَا إِلَيْهَا ثُمَّ خَلَّتْ ... لَنَا الْبُنْيَانَ لَيْسَ لَهُ حِجَابُ
فَقُمْنَا حَاشِدِينَ إِلَى بِنَاءٍ ... لَنَا مِنْهُ الْقَوَاعِدُ وَالتُّرَابُ
غَدَاةَ نُرَفِّعُ التَّأْسِيسَ مِنْهُ ... وَلَيْسَ عَلَى مُسَوِّينَا ثِيَابُ
أَعَزَّ بِهِ الْمَلِيكُ بَنِي لُؤَيٍّ ... فَلَيْسَ لِأَصْلِهِ مِنْهُمْ ذَهَابُ
وَقَدْ حَشَدَتْ هُنَاكَ بَنُو عَدِيٍّ ... وَمُرَّةُ قَدْ تَقَدَّمَهَا كِلَابُ
فَبَوَّأَنَا الْمَلِيكُ بِذَاكَ عِزًّا ... وَعِنْدَ اللهِ يُلْتَمَسُ الثَّوَابُ

قال ابن هشام : ويروى « وليس عَلَى مَسَاوِينَا ثِيَابُ »

وكانت الكعبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة

بِخَيْرِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا أَمْسِ شِيمَةً ... وَفِى الْيَوْمِ مَعْ مَا يُحْدِثُ اللهُ فِى غَدِ
فَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ... أَعَمَّ وَأَرْضَى فِى الْعَوَاقِبِ وَالْبَدِ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الرِّدَاءِ وَكُلُّنَا ... لَهُ حِصَّةٌ مِنْ رَفْعِهَا قَبْضَةَ الْيَدِ
فَقَالَ : ارْفَعُوا، حَتَّى إِذَا مَا عَلَتْ بِهِ ... أَكُفُّهُمُ وَافَى بِهِ غَيْرَ مُسْنَدِ
وَكُلٌّ رَضِينَا فِعْلَهُ وَصَنِيعَهُ ... فَأَعْظِمْ بِهِ مِنْ رَأْيِ هَادٍ وَمُهْتَدِى
وَتِلْكَ يَدٌ مِنْهُ عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ ... يَرُوحُ لَهَا هٰذَا الزَّمَانُ وَيَغْتَدِى

(١) الكشيش : الصوت . والوثاب : المواثبة والوثوب

(٢) الرجز : العذاب ، وذكر أبوذر أنه يروى الزجر ، ومعناه المنع ، و « تتلئب » تتابع فى سيرها فلا تعوج يمنة ولا يسرة

ذِرَاعاً ، وكانت تكسى القَبَاطِيَّ (١) ثم كسيت الْبُرود (٢) ، وأولُ من كساها الديباج الحجَّاجُ بن يوسف

حديث الحمس

قريش تبتدع أشياء ترعمها دينا

قال ابن إسحق : وقد كانت قريش — لاأدرى أقبل الفيل أم بعده — ابتدعت رأى الْحُمْسِ (٣) رأيا رَأَوْهُ وأَدَارُوه ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحرمة ، وولاة البيت ، وقُطَّان مكة وساكنها ؛ فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف له العرب مثل ماتعرف لنا ، فلا تعظموا شيئا من الحِلِّ كما تعظمون الْحَرَم ؛ فانكم إن فعلتم ذلك استخفت العربُ بحرمتكم ، وقالوا : قد عَظَّموا من الحِلِّ مثل ماعظموا من الحرم : فتركوا الوقوف على عرفة ، والافاضة منها ، وهم يعرفون ويُقِرُّون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، ويَرَوْن لسائر العرب أن يَقِفُوا عليها ، وأن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهل الحرم فليس ينبغى لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها ، نحن الْحُمْسُ ، والْحُمْسُ أهل الحرم ، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم ، بولادتهم إياهم يحل لهم مايحل لهم ، ويحرم عليهم مايحرم عليهم ، وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك .

---

(١) القباطى : ثياب بيض كانت تصنع بمصر

(٢) البرود : ضرب من ثياب اليمن

(٣) الحمس ـ بضم الحاء وسكون الميم ـ جمع أحمس ، وهو الشديد الصلب . مأخوذ من الحماسة التى هى الشدة ، وإنما سموا الحمس لأنهم اشتدوا فى دينهم فى زعمهم

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة النحوىُّ أن بنى عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم فى ذلك ، وأنشدنى لعَمْرو بن معد يكرب .

أَعَبَّاسُ لَوْ كَانَتْ شِيَاراً جِيادُنَا ... بِتَثْلِيثَ مَا نَاصَيْتَ بَعْدِي الْأَحَامِسَا(١)

قال ابن هشام : تثليث : موضع من بلادهم ، والشيار : الحسان(٢).

يعنى بالأحامس بنى عامر بن صعصعة ، وعباس : عباسُ بنُ مِرْدَاس السُّلَمى ، وكان أغار على بنى زبيد بتثليث ، وهذا البيت فى قصيدة لعمرو ، وأنشدنى للَقِيط بن زُرارة الدَّارِمىّ فى يوم جبلة : —

أَجْذِمْ إِلَيْكَ إِنَّهَا بَنُو عَبْس ... الْمَعْشَرُ الْجِلَّةُ فِي الْقَوْمِ الْحُمْس(٣)

يوم جبلة

لأن بنى عبس كانوا يوم جبلة حُلَفَاء فى بنى عامر بن صعصعة ، ويوم جبلة : يوم كان بين بنى حنظلة بن مالك بن زَيْد مَنَاةَ بن تميم وبين بنى عامر بن صعصعة ، فكان الظفر فيه لبنى عامر بن صعصعة على بنى حنظلة ، وقتل يومئذ لَقِيط بن زُرَاة بن عُدَس(٤) ، وأسر حَاجب

(١) «ناصيت» أى : أخذت بناصيتهم ونازعتهم ، ومنه حديث عائشة «لم تكن واحدة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم تناصيني غير زينب» أى : تنازعنى وتبارينى ، وهو أن يأخذ كل واحد من المتنازعين بناصية الآخر ، وروى «ناصبت» بالباء الموحدة ، ومعناه عارضت وأردت المساواة بهم ، وقد يكون معناه أظهرت لهم العداوة .

(٢) «والشيار الحسان» ومنه الحديث «رأى امرأة شيرة عليها مناجد» أى : حسنة الشارة والهيئة

(٣) «أجذم إليك» هذه كلمة تزجر بها الخيل ، والمعشر الجلة ـ بالجيم أى : العظماء ، ورواه بعضهم «الحلة» بالحاء ، ومعناه الذين يسكنون الحل

(٤) قال أبو ذر : «جميع النسابين يقولون فيه عدس بضم الدال فى هذا ، وأبو عبيدة وحده يفتحها فى هذا» اهـ

ابن زُرَاة بن عُدَس ، وانهزم عَمْرو بن عَمْرو بن عدَس بن زَيْدبن عَبْد الله ابن دَارِم بن مَالك بن حَنْظلة ، ففيه يقول جرير للفرزدق : —

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطًا وَحَاجِباً ... وَعَمْرَو بْنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَوْا يَا لَدَارِمِ

يوم ذى نجب

وهذا البيت فى قصيدة له ، ثم التقوا يوم ذى نَجَب ، فكان الظفر لحنظلة على بنى عامر ، وقتل يومئذ حَسَّان بن مُعَاوية الْكِنْدِىّ ، وهو ابن كبشة ، وأُسر يزيد بن الصَّعِق الْكِلاَبى ، وانهزم الطُّفَيْلُ بن مالك ابن جَعْفر بن كِلاب أبو عَامِر بن الطُّفَيْلِ ؛ ففيه يقول الفرزدق : —

وَمِنْهُنَّ إِذْ نَجَّي طُفَيْلُ بْنُ مَالِكٍ
عَلَى قُرْزُلٍ رَجْلاً رَكُوضَ الْهَزَائِمِ (١)
وَنَحْنُ ضَرَبْنَا هَامَةَ ابْنِ خُوَيْلد
يَزِيدَ عَلَى أُمِّ الْفِرَاخِ الْجَوَاثِمِ (٢)

---

(١) البيتان فى ديوان الفرزدق (ص ٨٥٨) مع بعض تغيير فى أولهما ، وقرزل ـ بالضم ـ اسم فرس لطفيل بن مالك ، وكان طفيل يلقب بفارس قرزل

(٢) قال أبو ذر : «أم الفراخ : الرماح . والجواثم : الساكنة اللاطئة مع الارض . وهو استعارة أيضا» وهو بعيد ، وأحسن منه أن أم الفراخ كنية الرأس ، والفراخ : جمع فرخ وهو مقدم الدماغ ، وقد يراد منه الهامة التى كانوا يعتقدونها . فقد كانوا يقولون : إذا قتل الرجل منهم إن بوما يخرج من رأسه فلا يزال يصيح اسقونى اسقونى ، حتى يأخذوا بثأره ، وعلى ذلك يكون قوله «الجواثم» محتملا لما ذكره فى تفسيره ولأن يكون بالحاء المهملة ـ جمع حائمة ، هذا ، وقد روى ياقوت بيتا مثل هذا فى معجم البلدان (مادة : نجب) ونسبه لسحيم بن وثيل الرياحى ، وروايته هكذا : ـ

وَنَحْنُ ضَرَبْنَا هَامَةَ ابْنِ خُوَيْلِدٍ ... يَزِيدَ ، وَضَرَّجْنَا عُبَيْدَةَ بِالدَّمِ

وهذان البيتان فى قصيدة له ، فقال جرير : —

وَنَحْنُ خَضَبْنَا لِابْنِ كَبْشَةَ تَاجَهُ
وَلاَ قَى امْرَأً فِى ضَجَّةِ الْخَيْلِ مِصْقَعَا [١]

وهذا البيت فى قصيدة له ، وحديث يوم جَبَلة ويوم ذى نَجَبٍ أطْوَلُ مما ذكرنا، وإنما منعنى من استقصائه ماذكرت فى حديث يوم الفجار

عود إلى ذكر ما ابتدعه الحمس

قال ابن إسحق : ثم ابتدعوا فى ذلك أموراً لم تكن لهم ، حتى قالوا : لاينبغى للحُمْسِ أن يأتَقِطوا الأقِطَ ، ولا يَسْلأُوا السَّمْنَ [٢] وهم حُرُم ، ولا يدخلوا بيتا من شَعَرٍ ، ولا يستظلوا إن استظلوا إلا فى بيوت الأَدَم ، [٣] ما كانوا حرما ، ثم رفعوا فى ذلك ، فقالوا : لاينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حُجَّاجا أو عُمَّارا ، ولا يَطَّوَّفُوا بالبيت إذا قدموا أولَ طوافهم إلا فى ثياب الحُمْس ؛ فان لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عُرَاة ، فان تكرَّم منهم متكرم من رجل أو امرأة ولم يجد ثياب الحمس فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحل ألقاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يمسها هو ولا أحد غيره أبدا ، وكانت العرب تسمى تلك الثياب [٤] اللَّقَى ، فحملوا على ذلك العرَبَ ، فدانت به ، ووقفوا

---

(١) الضجة . الأصوات المختلطة ، وفى أكثر النسخ كالديوان (ص٣٣٩) «ضمة الخيل» . والمصقع : مأخوذ من صقعه إذا ضربه على شىء يابس . قاله أبو ذر

(٢) الأقط ـ مثلثة ، ويحرك ، وككتف ورجل وإبل ـ شىء يتخذ من المخيض الغنمى ، وجمعه أقطان ، وأقط الطعام : عمله به ، ويقال : سلأت السمن واستلأته ، إذا طبخ وعولج ، والاسم السلاء ، بالكسر ممدودا .

(٣) « بيوت الأدم » هى الأخبية التى تصنع من الجلد

(٤) « اللقى » بفتح أوله مقصورا ـ هو الشىء الملقى ، ويقال : هو الشىء المتروك ، وجمعه ألقاء

على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عراة ، أما الرجال فيطوفون عُراةً ، وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعا مُفرَّجًا[1] عليها ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب وهى كذلك تطوف بالبيت : —

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

ومن طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها من الحل ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره ، فقال قائل من العرب يذكر شيئا تركه من ثيابه فلا يَقرَبُه وهو يحبه : —

كَفَى حَزَنًا كَرِّى عَلَيْهَا كَأَنَّهَا لَقًى بَيْنَ أَيْدِى الطَّائِفِينَ حَرِيمُ

يقول : لا تُمَسُّ

القرآن يبطل ما ابتدعه الحمس

فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأنزل عليه حين أحكم له دينه ، وشرع له سُنَنَ حَجِّه (٢ : ١٩٩) : (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يعنى قريشاً : والناس : العرب ، فرفعهم فى سنة الحج إلى عرفات والوقوف عليها والافاضة منها : وأنزل الله عليه فيما كانوا حَرَّمُوا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عُراةً وَحَرَّموا ماجاءوا به من الحل من الطعام (٧ : ٣١ — ٣٢) : (يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ[2] كُلِّ مَسْجِدٍ . وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ

(١) « درعا مفرجا » مشقوقا من قدام أو من خلف

(٢) المراد بالزينة اللباس وعدم التعرى ، ومما نزل فى ذلك قوله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) لأنهم كانوا يطوفون عراة ويصفقون بأيديهم ، ويصفرون ، وكذلك نزل فيهم قوله تعالى : (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) لأنهم كانوا لا يدخلون تحت سقف . ولا يحول بينهم وبين السماء عتبة باب ولا غيرها ، فان احتاج بعضهم إلى حاجة فى داره تسنم البيت من ظهره ، فقال سبحانه وتعالى : (وأتوا البيوت من أبوابها ، واتقوا الله لعلكم تفلحون)

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ؟ قُلْ : هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) فوضع الله تعالى أمر الحمس ، وما كانت قريش ابتدعت منه ، عن الناس بالاسلام ، حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

رسول الله يبطل ما ابتدعه الحمس قبل نزول القرآن

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عثمان بن أبى سليمان بن جبير بن مطعم ، عن عمه نافع بن جبير ، عن أبيه جبير بن مطعم ، قال : لَقَدْ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحى وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها ، توفيقاً من الله له صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

إخبار الكهان من العرب والأحبار من اليهود والرهبان من النصارى

أحبار اليهود ورهبان النصارى ومصدر علمهم بصفات النبى

قال ابن إسحق : وكانت الأحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهّان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، لما تقارب من زمانه : أمّا الأحبار من يهود والرهبان من النصارى فعمّا وجدوا فى كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه ، وأما الكهّان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع ، إذ كانت وهى لا تحجب عن ذلك بالقذف من النجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكرُ بعض أموره ، لا تُلْقِي العربُ لذلك فيه بالاً ، حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت

تلك الأمور التى كانوا يذكرون ؛ فعرفوها ؛ فلمّا تَقَارَبَ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَضَرَ مَبْعَثُه حُجِبت الشياطين عن السمع ، وحِيلَ بينها وبين المَقَاعِد التى كانت تَقْعُد لاستراق السمع فيها، فرُمُوا بالنجوم فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله فى العباد ؛ يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ـ حين بعثه ـ وهو يقصّ عليه خبر الجن إذ حُجبوا عن السمع فعرفوا ما عرفوا وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا

الشهب ترجم مسترق السمع

(٧٢ : ١ — ١٠) (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ (٢) رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا (٣) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ـ إلى قوله : وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٤) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ

---

(١) أى : عجيبا ، مباينا لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه ، والعجب : ما يكون خارجا عن العادة ، وهو مصدر وضع موضع العجيب

(٢) الجد : العظمة ، يقال : جد فلان فى عينى ، إذا عظم ، ومنه قول سيدنا عمر رضى الله عنه « كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا » أى : عظم فى عيوننا

(٣) المراد به الكفر ، من قولهم : شطت الدار ، إذا بعدت ، فكأنهم بنسبتهم الصاحبة والولد إليه جل شأنه بعدوا عن الصواب

(٤) بمعنى الراصد ، أى : يجد شهابا راصدا له ؛ أو هو اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم ، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع

بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) فلما سمعت الجنُّ القرآنَ عرفت أنها إنما منعت من السمع قبل ذلك لئلا يشكل الوحى بشىء من خبر السماء ؛ فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه ؛ لوقوع الحجة ، وقطع الشبهة ، فآمنوا وصدقوا ، ثم ولَّوْا إلى قومهم منذرين (٤٦ : ٣٠) : (قَالُو يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِى إِلَي الْحَقِّ وَإِلَي طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ـ الآية) وكان قول الجن (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) أنه كان الرجل من العرب ، من قريش وغيرهم ، إذا سافر فنزل بطن واد من الأرض ليبيت فيه قال : إنى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجن الليلةَ من شر مافيه

تفسير الرهق

قال ابن هشام : الرَّهَقُ : الطغيان والسفه ؛ قال رؤبة بن العجاج :

* إِذْ تَسْتَبِى الْهَيَّامَةَ الْمُرَهَّقَا (١) *

وهذا البيت فى أرجوزة له ؛ والرهق أيضا : طلبك الشىء حتى تدنو منه فتأخذه أولا تأخذه ؛ قال رؤبة بن العجاج يصف حَمِيرَ وَحْشٍ : —

* بَصْبَصْنَ وَاقْشَعْرَرْنَ مِنْ خَوْفِ الرَّهَقْ (٢) *

وهذا البيت فى أرجوزة له ؛ والرهق أيضا : مصدر لقول الرجل للرجل : رَهِقْتُ الإِثْمَ أو العُسْرَ الذى أَرْهَقْتَنِى رَهَقًا شَدِيدًا ، أى : حَمَلْتُ الإثم أو العسر الذى حملتنى حملا شديدا ، وفى كتاب الله تعالى (١٨ : ٨٠)

---

(١) قال أبو ذر : « تستبى : أى تذهب بعقله ، والهيامة : الكثير الهيام ، وأصل الهيام داء يصيب الابل فتشتد حرارة أجوافها ، فلا تروى من الماء إذا شربت ، ومنه قوله تعالى : (فشاربون شرب الهيم) » اهـ كلامه .

(٢) « بصبصن » معناه حركن أذنابهن

(نَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) وقوله (١٨ : ٧٣) : (وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا)

عمرو بن أمية يذكر لثقيف رأيا في الشهب

قال ابن إسحق : وحدثني يعقوب بن عُتْبَة بن المُغيرة بن الأخنس، أنه حُدِّثَ ، أن أول العرب فزع للرَّمى بالنُّجوم — حين رُمى بها — هذا الحَيّ من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عَمْرو بن أُمَيَّة أحد بني عِلاَج ؛ قال : وكان أَدْهَى العرب وأنكَرَهَا(١) رأيا ، فقالوا له : يا عَمْرُو ، ألم تَرَ ماحدث في السماء من القَذْف بهذه النجوم ؟ قال : بلى . فانظروا : فان كانت معالِمُ(٢) النجوم — التي يُهْتَدَى بها في البر والبحر وتُعْرف بها الأنْوَاء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس في معايشهم — هي التي يُرْمَى بها فهو والله طَيُّ الدنيا وهَلاَكُ هذا الخلق الذي فيها ، وإن كانت نجوما غيرها ، وهي ثابتة على حالها ؛ فهذا لأمرٍ أراد الله به هذا الخلق فما هو

النبي صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن الشهب

قال ابن إسحق : فذكر محمد بن مُسْلم بن شِهاب الزُّهْرِي ، عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عن عبد الله بن عباس ، عن نفر من الأنصار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : «ما كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي هذا النَّجْمِ الَّذِي يُرْمَى بِهِ» ؟ قالوا: يانبي الله ، كنا نقول حين رأيناها يُرْمَى بها : مات ملك ، مُلِّكَ مَلِكٌ ، ولد مولود ، مات مولود ،

---

(١) « وأنكرها رأيا » قال أبو ذر : « يروى بالباء وبالنون ، فمن رواه بالنون فمعناه أعداها رأيا ، من النكر - بفتح النون - وهو الدهاء ، ومن رواه بالباء فمعناه أشدهم إبداء لرأى لم يسبق إليه ، من البكور في الشيء ، وهو أوله » اه قلت : وفي بعض نسخ الكتاب « وأمكرها رأيا » بالميم

(٢) « معالم النجوم » يعني النجوم المشهورة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ ذَٰلِكَ كَذَٰلِكَ ، وَلَـٰكِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ إِذَا قَضَى فِي خَلْقِهِ أَمْرًا سَمِعَهُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ، فَسَبَّحُوا فَسَبَّحَ مَنْ تَحْتَهُمْ ، فَسَبَّحَ لِتَسْبِيحِهِمْ مَنْ تَحْتَ ذَٰلِكَ ، فَلَا يَزَالُ التَّسْبِيحُ يَهْبِطُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسَبِّحُوا ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : سَبَّحَ مَنْ فَوْقَنَا فَسَبَّحْنَا لِتَسْبِيحِهِمْ ، فَيَقُولُونَ : أَلَا تَسْأَلُونَ مَنْ فَوْقَكُمْ مِمَّ سَبَّحُوا ، فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذَٰلِكَ ، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى حَمَلَةِ الْعَرْشِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : قَضَى اللهُ فِي خَلْقِهِ كَذَا وَكَذَا ، لِلأَمْرِ الذى كان ، فَيَهْبِطُ بِهِ الْخَبَرُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَتَحَدَّثُوا بِهِ ، فَتَسْتَرِقُهُ الشَّيَاطِينُ بِالسَّمْعِ عَلَى تَوَهُّمٍ وَاخْتِلَافٍ ، ثُمَّ يَأْتُوا بِهِ الْكُهَّانَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَيُحَدِّثُوهُمْ بِهِ ، فَيُخْطِئُونَ وَيُصِيبُونَ ، فَيَتَحَدَّثُ بِهِ الْكُهَّانُ فَيُصِيبُونَ بَعْضًا وَيُخْطِئُونَ بَعْضًا ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَجَبَ الشَّيَاطِينَ بِهَذِهِ النُّجُومِ الَّتِي يُقْذَفُونَ بِهَا ، فَانْقَطَعَتِ الْكَهَانَةُ الْيَوْمَ ، فَلَا كَهَانَةَ »

قال ابن إسحق : وحدثني عمرو بن أبي جعفر ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لَبِيبَةَ ، عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه ، بمثل حديث ابن شهابٍ عنه .

الغيطلة كاهنة بنى سهم

قال ابن إسحق : وحدثني بعضُ أهل العلم ، أن امرأة من بني سهم يقال لها الغَيْطلة ، كانت كاهنةً في الجاهلية ، فلما جاءها صاحبُها في ليلة من الليالي ، فأنقضَ تحتها (١) ، ثم قال :

---

(١) « فأنقض تحتها» قال أبو ذر : « من رواه أنقض (بوزن أكرم)

أدْرما أدْر [١]، يوم عقْرٍ ونَحْرٍ؛ قالت قريش — حين بلغها ذلك —: ما يريد ؟ ثم جاءها ليلةً أخرى، فانقض تحتها، ثم قال: شعُوبٌ ماشعُوبْ [٢]، تُصْرَع فيه كَعْبٌ لِجُنُوب؛ فلما بلغ ذلك قريشا قالوا: ماذا يريد ؟ إن هذا لأمرٌ هو كائن، فانظروا ماهو ؟ فما عرفوه حتى كانت وقعةُ بدرٍ وأحد بالشِّعب؛ فعرفوا أنه الذى كان جاء به إلى صاحبته

قال ابن هشام: الغَيْطَلَة: من بنى مُرَّة بن عَبْد مَنَاة بن كِنانة إخوة مُدْلِج بن مُرَّة، وهى أم الغياطل الذين ذكر أبوطالب فى قوله: —

قَيْضًا مِهِ — لَقَدْ سَفُهَتْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا ... بَنِى خَلَفٍ قَيْظًا بِنَا وَالْغَيَاطِلِ [٣]

فقيل لولدها «الغياطل» وهم من بنى سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص؛ وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها؛ إن شاء الله تعالى

كاهن جنب يخبر قومه بنبوة النبى

قال ابن إسحق: وحدثنى على بن نافع الجرشى، أن جَنْباً، بطناً من اليمن، كان لهم كاهن فى الجاهلية، فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر فى العرب قالت له جَنْبٌ: انظر لنا فى أمر هذا الرجل، واجتمعوا له فى أسفل جبله، فنزل عليهم — حين طلعت الشمس —

فمعناه صوت، أى: تكلم بصوت خفى، تقول: سمعت نقيض الباب، ونقيض الرجل، أى: صوته، ومن رواه فانقض (بوزن احمر) فمعناه سقط تحتها يقال: انقض الطائر، إذا سقط على الشىء» اه كلامه

(١) فى بعض الروايات فى هذه القصة «بدر مابدر»

(٢) «شعوب» قال أبو ذر: «من رواه بالضم فهو جمع شعب (بكسر فسكون) وهو الموضع الخفى بين جبلين، ومن رواه بفتح الشين فهو اسم للمنية لا ينصرف» اه قلت: المحمل الثانى بعيد لقولها تصرع فيه — الخ

(٣) «قيضابنا» أى: عوضامنا، تقول: قاضه بكذا، أى: عوضه به

فوقف لهم قائما متكئا على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلا ، ثم جعل ينزو[١] ، ثم قال : أيها الناسُ ، إنَّ الله أكرم محمداً واصطَفَاه ، وطَهَّر قلبه وحَشَاه ، ومُكْثه فيكم أيها الناس قليل ؛ ثم اشتدَّ[٢] فى جبله راجعاً من حيث جاء

عمر بن الخطاب وسواد بن قارب

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان ، أنه حدث ، أن عمر بن الخطاب بَيْنَا هو جالسٌ فى الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذ أقبل رجلٌ[٣]

---

(١) « ينزو » أى : يثب ، يقال : نزا ينزو ، إذا وثب

(٢) « اشتد » أسرع ، وفى نسخة « أسند » أى : علا فيه وارتفع

(٣) هذا الرجل هو سواد بنَ قارب : كان كاهنا فى الجاهلية ثم أسلم وقد روى قصته محمد بن كعب القرظى على غير هذا الوجه مشتملة على سياقة حسنة وزيادة مفيدة ؛ قال : بينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم جالسا إذ مر به رجل ، فقيل : ياأمير المؤمنين ، أتعرف هذا المار ؟ قال : ومن هذا ؟ قالوا : هذا سواد بن قارب الذى أتاه رئيه ـ أى : تابعه من الجن ـ الذى يرى له ، أتاه بظهور النبى عليه السلام ، قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟ قال : فغضب ، وقال : مااستقبلنى بهذا أحد منذ أسلمت ياأمير المؤمنين ، فقال عمر له : سبحان الله !! ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك . فأخبرنى ماأنبأ رئيك بظهور رسول الله عليه السلام قال : نعم ياأمير المؤمنين ، بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتانى رئيى فضربنى برجله ، وقال : قم ياسواد بن قارب ، واسمع مقالتى واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته ؛ ثم أنشد يقول :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلَابِهَا وشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَقْتَابِهَا
تَهْوِى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِى الْهُدَى مَاصَادِقُ الْجِنِّ كَكَذَّابِهَا

من العرب داخلا المسجدَ يريد عمر بن الخطاب ؛ فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه قال : إنّ هذا الرجل لَعَلَى شِرْكه مافارقه بعدُ ، أو لقد كان كاهنا

فَادْخُلْ إِلَي الصفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ قُدَامَاهَا كَأَذْنَابِهَا

قال : قلت : دعنى أنام ، فانى أمسيت ناعسا ، فلما كانت الليلة الثانية أتانى ، فضربنى برجله وقال: قم ياسواد بن قارب ، فاسمع مقالتى ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول : ـ

عَجِبْتُ لِلجِنِّ وَتَخْبَارِهَا وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَكْوَارِهَا
تَهْوِى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَكُفَّارِهَا
فَارْحَلْ إِلَي الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ بَيْنَ رَوَابِيهَا وَأَحْجَارِهَا

قال : قلت : دعنى أنام ، فانى أمسيت ناعسا ، فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله ، وقال : قم ياسواد بن قارب ، فاسمع مقالتى ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب ، يدعو إلى الله عزوجل وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول : ـ

عَجِبْتُ لِلجِنِّ وَتَجْسَاسِهَا وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَحْلَاسِهَا
تَهْوِى إِلَي مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَاخَيِّرُ الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا
فَادْخُلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ وَارْمِ بِعَيْنَيْكَ إِلَي رَاسِهَا

فقمت فقلت : قد امتحن الله قلبى ، فرحلت ناقتى ، ثم أتيت المدينة ، (وفى رواية حتى أتيت مكة ، وهى أقرب إلى الصحة ، لأن الجن إنما جاءت إليه عليه السلام للايمان به فى مكة) فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله ، فلما رآنى قال : مرحبا ياسواد بن قارب ، قد علمنا ماجاء بك . فقلت : يارسول الله ، قد قلت شعرا ، فاسمع مقالتى يارسول الله ، فقال : هات ، فأنشأ يقول : ـ

أَتَانِي رَئِيِّ بَعْدَ هَدْءٍ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبِ

فى الجاهلية ؛ فسلَّم عليه الرجل ؛ ثم جلس ؛ فقال له عمر رضى الله عنه : هل أسلمت ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهنا فى الجاهلية ؟ فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! ! ! لقد خِلْتَ فىَّ واستقبلتنى بأمر ماأراك قُلْته لأحَدٍ من رعيتك منذ وَليتَ ماوليت ، فقال عمر : اللهم(١) غفراً ؛ قد كنا فى الجاهلية على شَرٍّ من هذا : نَعْبُدُ الأصنام ونعتنق الأوثان ؛ حتى أكرمنا الله برسوله وبالاسلام ؛ قال : نعم والله

ثَلاَثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَىِّ بْنِ غَالِبِ

فَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِ الْإِزَارِ وَوَسَّطَتْ

بِى الذِّعْلِبُ الْوَجْنَاء بَيْنَ السَّبَاسِبِ

فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لاَرَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبِ

وَأَنَّكَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةً

إِلَي اللهِ يَاابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطَايِبِ

فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَاخَيْرَ مُرْسَلٍ

وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاء شَيْبُ الذَّوَائِبِ

وَكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لاَذُو شَفَاعَةٍ

سِوَاكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ

قال : ففرح النبى عليه السلام هو وأصحابه بمقالتى فرحا شديدا حتى رؤى الفرح فى وجوههم ، وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال : أفلحت ياسواد ، فرأيت عمر رضى الله عنه التزمه ، وقال : كنت أشتهى أن أسمع هذا الحديث منك ، فهل يأتيك رئيك اليوم ، قال : أما منذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله عز وجل

(١) « واللهم غفرا » هذه كلمة تقولها العرب إذا أخطأ الرجل على الرجل ، ومعناه اللهم اغفرلى

يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهناً فى الجاهلية ؛ قال : فأخبرنى ماجاءك به صاحبك ؛ قال : جاءنى قبل الاسلام بشهر أو شَيْعِه (١) ؛ فقال : ألم تَرَ إلى الجن وإبلاسها ، وإياسها من دينها ، ولُحُوقها بالقِلَاص وأحلَاسها (٢)

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر

قال عبد الله بن كعب : فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس : والله إنِّى لعِنْدَ وَثَنٍ من أوثان الجاهلية فى نَفَرٍ من قريش قد ذَبَح له رجل من العرب عِجلاً ، فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه إذ سمعت من جوف العِجْل صوتاً ما سمعتُ صوتا قط أنْفَذَ منه ، وذلك قبيل الاسلام بشهر أوشَيْعِهِ (١) ، يقول : ياذريح ، أمر نجيح ، رجل يصيح ، يقول لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال : رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يقول لاإله إلا الله

وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر : —

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلَاسِهَا ... وَشَدِّهَا الْعِيسَ بِأَحْلَاسِهَا (٣)
تَهْوِى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِى الْهُدَى ... مَامُؤْمِنُو الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا

(١) « أو شيعه » يعنى أودونه بقليل

(٢) « إبلاسها » تقول : أبلس الرجل ، إذا سكت ذليلا أو مغلوبا : والإبلاس واليأس واحد . والقلاص : الابل الفتية . والاحلاس : جمع حلس — بكسر فسكون — وهو كساء جلد يوضع على ظهر البعير ثم يوضع عليه الرحل ليقيه من الدبر .

(٣) العيس : الابل الكرام . وتقدم تفسير سائر ألفاظ البيتين

قال ابن إسحق : فهذا مابلغنا عن الـكهان من العرب

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

اليهود تنذر العرب بمبعث النبى

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا : إن مما دعانا إلى الاسلام ، مع رحمة الله تعالى وهداه ، لَمَا كُنَّا نسمع من رجال يهود ، كنا أهلَ شرك ، أصحابَ أوثان ، وكانوا أهلَ كتاب ، عندهم علم ليس لنا ، وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور ، فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه تقارب زمانُ نبي يبعث الآن نقتلكم معه قَتْلَ عادٍ وإرم ، فكنا كثيرا مانسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعَّدُوننا به فبادرناهم إليه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة (٢ : ٨٩) : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَاعَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)

قال ابن هشام : يستفتحون : يستنصرون ، ويستفتحون أيضا : يتحاكمون ، وفى كتاب الله تعالى (٧ : ٨٩) : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)

قال ابن إسحق : وحدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف عن محمود بن لَبيد أخى بنى عبد الأشهل ، عن سلمة بن سلامة بن وقش (وكان سلمة من أصحاب بدر) قال : كان لنا جارٌ من يهود فى بنى عبد الأشهل ، قال : فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بنى عبد الأشهل ، قال سلمة : وأنا يومئذ أحدَثُ من فيه سنًّا علىَّ بُرْدَةٌ لى مُضْطَجِعٌ فيها بفناء أهلى ، فذكر

القيامةَ والبعثَ والحسابَ والميزانَ والجنةَ والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يَرَوْن أنَّ بعثاً كائنٌ بعد الموت ، فقالوا له : ويحك يافلان !!! أو ترى هذا كائنا أنَّ الناس يُبْعَثُون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يُجزَوْنَ فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم والذى يُحلَفُ به ، ويَوَدُّ أن له بحظِّه من تلك النار أعظَمَ تَنُّورٍ فى الدار ، يُحْمُونه ثم يُدْخلونه إياه فيطينونه عليه ؛ بأن يَنْجُوَ من تلك النار غدا ، فقالوا له : ويحك يافلان !!! فما آية ذلك ؟ قال : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده إلى مكة واليمن ، فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلىَّ وأنا من أحدَثهم سنًّا فقال : إن يَستنفدْ هذا الغلامُ عمرَهُ يُدْركه ، قال سلمة : فوالله ماذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حى بين أظهرنا ، فآمنَّا به ، وكفر به بَغْياً وحَسَدًا ، قال : فقلنا له : ويحك يافلان !!! ألست الذى قلت لنا فيه ماقلت ! قال : بلى ولكن ليس به .

ابن الهيبان ينذر اليهود بمبعث النبى

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة ، عن شيخ من بنى قُرَيْظة ، قال : قال لى : هل تدرى عمَّ كان إسلام ثعلبة بن سعية(١) وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد ؟؟ (نفر من بنى هدل إخوة بنى قريظة كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم فى الاسلام) قال : قلت : لا ، قال : فإنَّ رجلاً من يهود من أهل الشام ، يقال ابن الهَيَّبَان(٢) ، قدم علينا قبيل الاسلام

---

(١) « وأسيد بن سعية » قال أبو ذر : « وقع فى الرواية بضم همزة أسيد وفتحها ، وسعية بالياء المثناة وبالنون ، وأسيد بفتح الهمزة هو الصواب فيه ، قاله الدارقطنى وعبد الغنى » اهـ كلامه بحروفه

(٢) « الهيبان » بفتح الهاء وتشديد الياء مفتوحة بعدها باء موحدة وآخره نون ، وأصله صفة ، يقال : قطن هيبان ، إذا كان منفوشا . د

بسنين ، فحلَّ بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلا قطُّ لا يصلى الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا ، فكنا إذا قَحِطَ عنا المطر قلنا له : اخرج يا ابن الهَيْبَّانِ فاستسق لنا ، فيقول : لا والله ، حتى تُقَدِّموا بين يدى مَخْرَجِكم صدَقةً ، فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر ، أو مُدَّيْن من شعير ، قال : فنُخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتِنا فيستسقى الله لنا ، فوالله ما يَبْرَحُ مجلسه حتى تمر السحابة ونسقى ، قد فَعَلَ ذلك غَيْرَ مرةٍ ولا مرتين ولا ثلاث ، قال : ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يامعشر يهود ، ما تَرَوْنَه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : إنك أعلم ، قال : فانى إنما قدمت هذه البلدة أتوَكَّفُ (١) خروج نبى قد أظلَّ زمانُه (٢) ، وهذه البلدة مُهَاجَرُهُ ، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه ، وقد أظلَّكم زمانه ، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يامعشر يهود ، فانه يُبْعث بسَفْك الدماء ، وسَبْى الذَّرارى والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكمْ ذلك منه ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَاصَرَ بنى قريظة قال هؤلاء الفتية — وكانوا شبابا أحداثا — : يابنى قُرَيْظة ، والله إنه لَلنَّبِيُّ الذى كان عهد إليكم فيه ابن الهَيْبَّان ، قالوا : ليس به ، قالوا : بلى ، والله إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم .

قال ابن إسحق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود

حديث إسلام سَلْمَان رضى الله عنه

منها سلمان الفارسى

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، عن

---

(١) « أتوكف خروج نبى » معناه أنتظر خروجه وأستشعره

(٢) « أظل زمانه » معناه أشرف عليكم وقرب

محمود بن لَبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثنى سَلْمَانُ الْفَارِسِىُّ مِنْ فِيه قال : كنتُ رجلا فارسيا من أهل أصبهان ، من أهل قرية يقال لها جَىّ ؛ و كان أبى دِهْقَانَ[(١)] قريته ، و كنت أحَبَّ خلق الله إليه ، لم يزل به حبه إياى حتى حَبَسَنى فى بيته كما تُحْبَس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قَطَنَ[(٢)] النار الذى يُوقدُهَا ، لايتركها تخبو ساعة ، قال : وكانت لأبى ضَيْعَةٌ عظيمة ، قال : فشُغِل فى بُنْيان له يوما . فقال لى : يا بُنَىَّ ، إنى قد شُغلت فى بُنْيَانِى هذا اليومَ عن ضيعتى ، فاذهب إليها فاطّلعها ، وأَمَرَنى فيها ببعض مايريد ، ثم قال لى : ولا تَحْتَبِسْ عنى ؛ فانك إن احتبست عنى كنت أهَمَّ إلى من ضيعتى ، وشغلْتَنِى عن كل شىء من أمرى ، قال : فخرجت أريد ضَيْعته التى بعثنى إليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يُصَلّون ، وكنت لاأدرى ماأمْرُ الناس ؛ لحبس أبى إياى فى بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر مايصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ، ورغبت فى أمرهم ، وقلت : هذا والله خَيْرٌ من الدين الذى نحن عليه ، فوالله مابرحتهم حتى غَرَبَت الشمس ، وتركت ضَيْعَةَ أبى فلم آتها ، ثم قلت لهم : أين أصْلُ هذا الدين ؟ قالوا : بالشام ، فرجعت إلى أبى وقد بعث فى طلبى ، وشغَلْتُهُ عن عمله كله ، فلما جئته قال : أىْ بُنَىَّ ، أين كنت ؟ أوَلَمْ أكن عَهِدْتُ إليك ماعهدت ؟ قال : قلت : ياأبَتِ ، مررتُ بأناس يُصَلُّون فى كنيسةٍ لهم ، فأعجبنى مارأيت من دينهم ، فوالله

---

(١) الدهقان ـ بكسر فسكون ـ شيخ القرية العارف بالفلاحة ومايصلح بالأرض من الشجر ، يلجأ إليه فى معرفة ذلك .

(٢) قطن النار : هو خادمها الذى يخدمها ويمنعها من أن تنطفىء .

مازلت عندهم حتى غربت الشمس ، قال : أىْ بُنَىَّ ، ليس فى ذلك الدين خير ، دينُكَ ودينُ آبائك خيرٌ منه ، قال : قلت له : كلاًّ ، والله إنه لخير من ديننا ؛ قال : فخافنى ، فجعل فى رجلى قَيْدًا ، ثم حبسنى فى بيته ، قال : و بعثتُ إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدِمَ عليكم رَكْبٌ من الشأم فأخبرونى بهم ، قال : فقدم عليهم ركب من الشأم تُجَّار من النصارى ، فأخبرونى بهم ، فقلت لهم : إذا قَضَوْا حوائجهم وأرادوا الرَّجْعَة إلى بلادهم فآذنونى بهم ، قال : فلما أرادوا الرَّجْعَة إلى بلادهم أخْبَرونى بهم ، فألقيت الحديد من رجلى ، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشأم ، فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين عِلْماً ؟ قالوا : الأسْقُفُ [1] فى الكنيسة ، قال : فجئته ، فقلت له : إنى قد رغبت فى هذا الدين ، فأحببت أن أكون معك ، وأخدمك فى كنيستك ، فأتعلم منك ، وأصلى معك ، قال : ادخل ، فدخلت معه ؛ قال : وكان رجل سوء : يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فاذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سَبْعَ قِلاَلٍ من ذهب ووَرِق قال : فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع ، ثم مات ، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إنَّ هذا كان رجلَ سَوْء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا قال : فقالوا لى : وما علمك بذلك ؟ قال : قلت لهم : أنا أدلكم على كنزه ، قالوا : فدُلَّنَا عليه ، قال : فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا سَبْعَ قِلاَلٍ مملوءةً ذهباً ووَرِقًا ، قال : فلما رأوها قالوا : والله لاندفنه أبدا ، قال :

والفرس كانوا مجوسا يعظمون النار ويعبدونها

(١) الأسقف : هو عالم النصارى الذى يقيم لهم أمر دينهم ، يقال بضم الهمزة وسكون السين وضم القاف ، والفاء مشددة أو مخففة

فصلبوه ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه ، قال : يقول سلمان : فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس أرى أنه كان أفضل منه ، وأزهد فى الدنيا ، ولا أرغب فى الآخرة ، ولا أدأب ليلا ولا نهارا منه ، قال : فأحببته حُبًّا لم أحبه شيئا قبله مثله ، قال : فأقمت معه زمانا ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يافلان ، إنى قد كنت معك ، وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك وقد حضرك ماترى من أمر الله تعالى ، فإلى مَنْ توصى بى ؟ وبم تأمرنى؟ قال : أىْ بُنَىَّ ، والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه ، فقد هلك الناس ، وبَدَّلوا ، وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلا بالمَوْصِل ، وهو فلان ، وهو على ماكنت عليه ، فالْحَقْ به

سلمان يرحل ليلحق بقس الموصل

فلما مات وغُيِّبَ لَحِقْتُ بصاحب الموصل ، فقلت له : يافلان ، إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحق بك ، وأخبرنى أنك على أمره ، قال : فقال لى : أَقِمْ عندى ، فأقمت عنده ، فوجدته خَيْرَ رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يافلان ، إن فلانا أوصى بى إليك ، وأمرنى باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ماترى ، فالى مَنْ توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : يا بُنَىَّ ، والله ماأعلم رجلا على مثل ما كُنَّا عليه إلاّ رجلا بنصيبينَ ، وهو فلان ، فالْحَقْ به

سلمان يلحق بقس نصيبين

فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبرى ، وما أمرنى به صاحباى ، فقال : أَقِمْ عندى ، فأقمت عنده ، فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله مالبث أن نَزَل به الموت، فلما حُضِرَ قلت له : يافلان ، إن فلانا كان أوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فالى مَنْ توصى بى؟ وبم تأمرنى ؟ قال : يا بُنَىَّ ، والله ماأعلمه

بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه ، إلاّ رجلا بعَمُّورِيَّة من أرض الروم ؛ فانه على مثل مانحن عليه ، فان أحببت فأْتِهِ ، فانه على أمرنا ،

سلمان يلحق بقس عمورية فيوصيه باتباع النبي ويصفه له

فلما مات وغُيِّبَ لَحِقْتُ بصاحب عَمُّورِيَّة ، فأخبرته خبرى ، فقال : أقِمْ عندى ، فأقمت عند خير رجل على هَدْىِ أصحابه وأمرهم ، قال : واكتسبت حتى كانت لى بَقَراتٌ وغُنَيْمة ، قال: ثم نزل به أمر الله ، فلما حُضِر قلت له : يافلان ، إنى كنت مع فلان فأوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان ، [ثم أوصى بى فلان إلى فلان] ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فالى مَنْ توصى بى ؟ وبم تأمرنى ؟ قال : أىْ بُنَىَّ ، والله ماأعلمه أصْبَحَ اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أظل زمان نبى ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مُهَاجَرُهُ إلى أرض بين حَرَّتَيْنِ (١) بينهما نَخلٌ ، به علامات لاتخفى : يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، فان استطعت أن تَلْحَقَ بتلك البلاد فافْعَلْ

سلمان يرتحل الى أرض العرب مع قوم من بنى كلب

قال : ثم مات وغُيِّبَ ، ومكثت بعَمُّورِيَّة ماشاء الله أن أمكث ، ثم مر بى نفر من كَلْبٍ تُجَّار ، فقلت لهم : أحملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بَقَرَاتى هذه وغُنَيْمتى هذه ، قالوا : نعم ، فأعطيتهموها ، وحملونى معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلمونى ، فباعونى من رجل يهودى عَبْدًا ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرَجَوْتُ أن يكون البلد الذى وَصَفَ لى صاحبى ، ولم يَحِق فى نفسى ، فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم

سلمان يقدم المدينة

له من بنى قُرَيْظة من المدينة ، فابتاعنى منه ، فاحتملنى إلى المدينة ، فوالله ماهو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبى ، فأقمت بها ، وبعث رسول الله

(١) الحرة : كل أرض ذات حجارة سود

صلى الله عليه وسلم ، فأقام بمكة ما أقام لاأسمع له بذكر ، مع ما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إنى لفى رأس عَذْقٍ[1] لسيدى أعمل له فيه بعض العمل ، وسيدى جالس تحتى ؛ إذْ أقبل ابن عم له ، حتى وقف عليه ، فقال : يافلان ، قاتل الله بنى قَيْلَةَ ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبى

سلمان يسمع بمهاجر النبى صلى الله عليه وسلم

نسب قيلة

قال ابن هشام : قَيْلَةُ : بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسْلُم بن إلحاف بن قضاعة ، أم الأوس والخزرج . قال النعمان بن بَشير الأنصارى يمدح الأوس والخزرج : —

بَهَالِيلُ مِنْ أَوْلَادِ قَيْلَةَ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمْ خَلِيطٌ فِى مُخَالَطَةٍ عَتْبَا[2]
مَسَامِيحُ أَبْطَالٌ يُرَاحُونَ لِلنَّدَى يَرَوْنَ عَلَيْهِمْ فِعْلَ آبَائِهِمْ نَحْبَا[3]

وهذان البيتان فى قصيدة له

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عُمَر بن قتادة الأنصارى ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قال سلمان : فلما سمعتها أخذَتْنِى العُرَوَاء (قال ابن هشام : العُرَوَاء : الرعدة من البرد والانتفاض ؛ فان كان مع ذلك عَرَق فهى الرُّحَضَاء ، وكلاهما ممدود) حتى ظننت أنى سأسقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ فغضب سيدى ، فلكمنى لكمةً شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبِلْ على عملك ، قال : قلت : لاشىء ، إنما أردت أن أستَثْبِته

(١) « عذق » هو بفتح العين النخلة ، وبكسرها الكباسة وهو عنقود النخلة

(٢) البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد ،

(٣) مساميح : هم الأجواد الكرام ، وأبطال : شجعان ، ويراحون : يهتزون ، والنحب : النذر ، وكل ما وجب عليك أداؤه

عمّا قال ، وقد كان عندى شىء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شىء قد كان عندى للصدقة ، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم ، قال : فقربته إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « كلوا » وأمسك يده فلم يأكل ، قال : فقلت فى نفسي : هذه واحدة ، قال : ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحوَّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة،ثم جئته به، فقلت له : إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها ، قال : فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه ، فقلت فى نفسى : هاتان ثنتان ، قال : ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغَرْقَد قد تَبِعَ جِنَازة رجل (١) من أصحابه ، عَلَيَّ شَمْلَتَان (٢) لى ، وهو جالس فى أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذى وَصَفَ لى صاحبى ، فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته عَرَفَ أنّى أستثبت فى شىء وصف لى ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرتُ إلى الخاتم ، فعرفته ، فأكببت عليه أقبله وأبكى ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « تَحَوَّلْ » فتحولت ، فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثى كما حدثتك يا ابن عباس ، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يسمع ذلك أصحابه ، ثم شغل سَلْمَانَ الرِّقُّ حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بَدْرٌ وأحد ؛ قال سلمان : ثم قال لى رسول الله

سلمان يستثبت من صفات النبي صلى الله عليه وسلم

(١) الميت هو كلثوم بن الهرم ، قاله أبو ذر

(٢) الشملة : الكساء الغليظ يشتمل به الانسان ، أى : يلتحف به

النبي يأمر سلمان ان يكاتب عن نفسه ويأمر أصحابه بإعانته

صلى الله عليه وسلم « كَاتِبْ يَاسَلْمَانُ » فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أُحْيِيهَا له بِالْفَقِير [١] وأربعين أُوقيةً ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أَعِينُوا أَخَاكُمْ » فأعانوني بالنخل : الرجلُ بثلاثين وَدِيَّةً [٢] ، والرجلُ بعشرين وَدِيَّةً ، والرجلُ بخمسَ عشرةَ وَدِيَّةً ، والرجلُ بعشرٍ ، يُعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلثمائة وَدِيَّةٍ فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذْهَبْ يَاسَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا ؛ [٣] فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُنْ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدِي » قال : فَفَقَّرْتُ وأعانني أصحابي ، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي إليها ، فجعلنا نُقَرِّب إليه الوَدِيَّ ويَضَعُهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، حتى فرغنا ، فوالذي نفسُ سلمان بيده ما ماتت منها وَدِيَّةٌ واحدة ، فأدَّيْتُ النخل . وبقي عليَّ المالُ ، فأُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بَيْضَة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن ، فقال : « مَافَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ » ؟ قال : فدُعيتُ له ؛ فقال : « خُذْ هٰذِهِ فَأَدِّهَا مِمَّا عَلَيْكَ يَاسَلْمَانُ » قال : قلت : وأين تقع هذه يارسول الله مما علي ؟ فقال « خُذْهَا فَإِنَّ اللهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ » قال : فأخذتها . فوزنت لهم منها ، والذي نفسُ سلمان بيده ، أربعين أوقيةً ، فأوْفَيْتُهُمْ حقَّهم منها ،

---

(١) « بالفقير » قال في القاموس « الفقير : البئر تغرس فيها الفسيلة ، الجمع فقر ـ بضمتين ـ وقد فقر لها تفقيرا » اه ، وقال أبو ذر : « بالفقير . أي : بالحفر وبالغرس ، يقال : فقرت الأرض ، إذا حفرتها ، ومنه سميت البئر فقيرا . وقال الوقشي : الصواب هنا التفقير ، وأراد الوقشي هنا المصدر وهو أحسن » اه كلامه.

(٢) الودية : واحد الودى ، وهو فراخ النخل الصغار

(٣) فقرلها : أي احفر لها

وعَتَقَ سلمان ، فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الخندَقَ حرًّا ، ثم لم يفتنى معه مَشْهَدٌ .

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن رجل من عبد القيس ، عن سَلْمَان ، أنه قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذى علىّ يارسول الله ؟ أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه ، ثم قال : « خُذْهَا فَأَوْفِهِمْ مِنْهَا » فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كلَّه : أربعين أوقية .

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حدثنى من لاأتهم ، عن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، قال : حُدِّثْتُ عن سَلْمان أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره خبره : إن صاحب عَمُّورِيَةَ قال له : ائْتِ كَذَا وكذا من أرض الشام ؛ فان بها رجلا بَيْنَ غَيْضَتَيْنِ (١) يَخْرُجُ فى كل سنة من هذه الغَيْضَةَ إلى هذه الغيضة مستجيزا ، يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحد منهم إلا شفى ، فاسأله عن هذا الدِّين الذى تبتغى ؛ فهو يخبرك عنه ، قال سلمان : فخرجت حتى أتيت حيث وصف لى ، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمَرْضَاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلة مُسْتَجيزا من إحدى الغيضتين إلى الأخرى ، فغَشِيه الناس بمرضاهم لايدعو لمريض إلا شفى ، وغلبونى عليه ، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التى يريد أن يدخل ، إلا منكبه ، قال : فتناولته ، فقال : من هذا ؟ والتفت إلىّ ، فقلت : يرحمك الله ، أخبرنى عن الحنيفية دين إبراهيم ، قال : إنك تسألنى عن شىء مايسأل عنه الناس اليوم ، قد أظَلَّكَ زمان نبى يبعث بهذا الدين من أهل الحرم ، فأْتِهِ فهو يحملك عليه ، قال : ثم دخل ، قال :

---

(١) « غيضتين » الغيضة : الشجر الملتف

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمان : « لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي يَاسَلْمَانُ لَقَدْ لَقِيتَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ » على نبينا وعليه السلام

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل

قال ابن إسحق : واجتمعت قريشٌ يوماً فى عيدٍ لهم عند صَنَمٍ من أصنامهم ، كانوا يعظمونه ، وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويديرون به ، وكان ذلك عيدًا لهم فى كل سنة يوما ، فَخَلَصَ منهم أربعةُ نفرٍ نَجِيًّا (١) ثم قال بعضهم لبعض : تَصَادقوا وليَكْتُمْ بعضُكم على بعض ، قالوا : أجل ، وهُمْ : وَرَقَة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى : وعُبَيْد الله بن جحش بن رِئاب ابن يَعْمَر بن صَبْرة بن مُرَّة بن كبير بن غَنْم بن دودَان بن أَسَد بن خزيمة ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب ؛ وعُثْمان بن الْحُوَيْرث بن أَسَد بن عبد الْعُزَّى بن قصى ؛ وزَيْد بن عَمْرو بن نُفَيْل بن عبد الْعُزَّى ابن عبد الله بن قُرْط بن رِيَاح بن رَزَاح بن عَدِيّ بن كعب بن لؤى : فقال بعضهم لبعض : تَعَلَّمُوا والله ماقَوْمُكم على شيء ، لقد أخطئوا دين أبيهم إبراهيم . ماحَجَرٌ نُطِيف به لايَسْمَع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ! ! ! ياقوم التمسوا لأنفسكم : فانكم والله ماأنتم على شيء ، فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفة دين إبراهيم

---

(١) « نجيا » النجى : الجماعة يتحدثون سرا يتمون حديثهم عن غيرهم وهو لفظ يستوى فيه الواحد والاثنان والجماعة . قال الله تعالى : (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا)

ورقة بن نوفل

فأما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم عِلماً من أهل الكتاب

عبيد الله بن جحش

وأما عُبيد الله بن جَحْش فأقام على ماهو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان مُسْلِمَةً ؛ فلما قدمها تَنَصَّر وفارق الاسلام ، حتى هلك هنالك نصرانيا

قال ابن إسحق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : كان عبيدالله ابن جحش حين تنصر يَمُرُّ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهم هنالك من أرض الحبشة — فيقولون : فَقَّحْنَا وصَأْصَأْتُم (أى: أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، ولم تبصروا بعد ، وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر صأصأ لينظر ، وقوله « فَقَّح » فتح عينيه)

قال ابن إسحق : وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن على بن حسين ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيها إلى النجاشى عمرو بن أمية الضَّمْرِيَّ ، فخطبها عليه النجاشى ، فزوجه إياها وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار ، فقال محمد بن على : مانرى عبدَ الملك بن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار إلا عن ذلك ؟ وكان الذى أملكها للنبى صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص

عثمان بن الحويرث

قال ابن إسحق : وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قَيْصَر ملك الروم فتنصر وحَسُنَت منزلته عنده

قال ابن هشام : ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديث منعنى من ذكره ماذكرت فى حديث حرب الفجار

زيد بن عمرو بن نفيل

قال ابن إسحق : وأما زيد بن عمرو بن نُفَيْل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الأوثان ، ونهى عن قتل المو ءودة ، وقال : أَعْبُدُ ربَّ إبراهيم ، وبَادَى قومَهُ بعيب ماهم عليه

قال ابن إسحق : وحدثنى هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن أمه أسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهما ، قال : لقد رأيت زَيْدَ بن عَمْرو ابن نُفَيل شَيْخاً كبيرا مسندا ظهره إلى الكعبة وهو يقول : يامَعْشَرَ قريش ، والذى نفسُ زيد بن عمرو بيده ماأصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول : اللّٰهم لو أنى أعلم أىّ الوجوه أحبّ إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد على راحته .

قال ابن إسحق : وحُدِّثْتُ أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل وعُمَرَ بن الخطاب ــ وهو ابن عمه ــ قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنستَغْفِرُ لزيد بن عمرو ؟ قال: « نعَمْ ؛ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ» وقال زيد بن عَمْرو بن نُفَيل فى فراق دين قومه ، وما كان لقى منهم فى ذلك : —

أَرَبًّا واحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبٍّ ... أَدِينُ إِذَا تُقُسِّمَتِ الْأُمُورُ
عزَلْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى جَمِيعاً ... كَذَلِكَ يَفْعَلُ الْجَلْدُ الصَّبُورُ
فَلاَ عُزَّى أَدِينُ وَلَا ابْنَتَيْهَا ... وَلَا صَنَمَىْ بَنِي عَمْرٍو أَزُورُ
وَلَا غَنْماً أَدِينُ وَكَانَ رَبًّا ... لَنَا فِى الدَّهْرِ إِذْ حِلْمِى يَسِيرُ (١)
عَجِبْتُ وَفِى اللَّيَالِي مُعْجَبَاتٌ ... وَفِى الْأَيَّامِ يَعْرِفُهَا الْبَصِيرُ
بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَفْنَى رِجَالًا ... كَثِيراً كانَ شَأْنَهُمُ الْفُجُورُ

(١) « غنما » كذلك وقع فى أصول الكتاب والذى فى الأصنام « ولاهبلا ـ الخ »

وَأَبْقَى آخَرِينَ بِبِرِّ قَوْمٍ
فَيَرْبِلُ مِنْهُمُ الطِّفْلُ الصَّغِيرُ (١)

وَبَيْنَا الْمَرْءُ يَعْثُرُ ثَابَ يَوْماً كَمَا يَتَرَوَّحُ الْغُصْنُ الْمَطِيرُ (٢)
وَلٰكِنْ أَعْبُدُ الرَّحْمٰنَ رَبِّي لِيَغْفِرَ ذَنْبِيَ الرَّبُّ الْغَفُورُ
فَتَقْوَى اللهِ رَبِّكُمُ احْفَظُوهَا مَتَى مَا تَحْفَظُوهَا لَا تَبُورُوا (٣)
تَرَى الْأَبْرَارَ دَارُهُمُ جِنَانٌ وَلِلْكُفَّارِ حَامِيَةٌ سَعِيرُ
وَخِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ يَمُوتُوا يُلَاقُوا مَا تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً (قال ابن هشام : هي لأمية بن أبي الصلت في قصيدة له ، إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا ، وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحق) : —

إِلَى اللهِ أُهْدِي مِدْحَتِي وَثَنَائِيَا
وَقَوْلاً رَصِيناً لَا يَنِي الدَّهْرَ بَاقِيَا (٤)

إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ
إِلٰهٌ وَلَا رَبٌّ يَكُونُ مُدَانِيَا

أَلَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِيَّاكَ وَالرَّدَى فَإِنَّكَ لَا تُخْفِي مِنَ اللهِ خَافِيَا
وَإِيَّاكَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ فَإِنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ أَصْبَحَ بَادِيَا

(١) « فيربل » يقال : ربل الطفل ، كنصر وكضرب ، إذا شب وكبر

(٢) « يتروح الغصن » يهتز ويخضر ، ويروى « وبينا المرء يفتر — الخ »

(٣) « لاتبوروا » لاتهلكوا

(٤) « قولا رصينا » بالصاد — هو هكذا فى رواية أبي ذر ؛ والرصين : الثابت المحكم ، و« لايني » أي : لايفتر ولا يضعف

حَنَانَيْكَ إِنَّ الْجِنَّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ
وَأَنْتَ إِلٰهِى رَبُّنَا وَرَجَائِيَا[١]
رَضِيتُ بِكَ اللَّهُمَّ رَبًّا فَلَنْ أُرَى أَدِينُ إِلٰهاً غَيْرَكَ اللهُ ثَانِيَا[٢]
أَنْتَ الَّذِى مِنْ فَضْلِ مَنٍّ وَرَحْمَةٍ بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولاً مُنَادِيَا
فَقُلْتَ لَهُ يَااذْهَبْ وَهٰرُونَ فَادْعُوَا إِلَى اللهِ فِرْعَوْنَ الَّذِى كَانَ طَاغِيَا
فَقُولاَ لَهُ آأَنْتَ سَوَّيْتَ هٰذِهِ بِلاَ وَتِدٍ حَتَّى اطْمَأَنَّتْ كَمَا هِيَا
فَقُولاَ لَهُ آأَنْتَ رَفَعْتَ هٰذِهِ بِلاَ عَمَدٍ أَرْفِقْ إِذًا بِكَ بَانِيَا[٣]
فَقُولاَ لَهُ آأَنْتَ سَوَّيْتَ وَسْطَهَا مُنِيراً إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ هَادِيَا
وَقُولاَ لَهُ مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدْوَةً
فَيُصْبِحَ مَامَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ ضَاحِيَا[٤]
وَقُولاَ لَهُ مَنْ يُنْبِتُ الْحَبَّ فِى الثَّرَى
فَيُصْبِحَ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيَا[٥]
وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِى رُءُوسِهِ وَفِى ذَاكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا
وَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُونُساً
وَقَدْ بَاتَ فِى أَضْعَافِ حُوتٍ لَيَالِيَا
وَإِنِّى لَوْ سَبَّحْتُ بِاسْمِكَ رَبَّنَا لَأُكْثِرُ إِلاَّ مَا غَفَرْتَ خَطَائِيَا

---

(١) « حنانيك » مثنى حنان ، وأريد بتثنيته تكرير معناه ، والمراد حنانا بعد حنان ، والحنان : العطف ، والرحمة

(٢) « أدين إلها » أى : أعبد

(٣) « أرفق إذا بك بانيا » هذا على التعجب ، أى : ماأرفقك بانيا !! ومثله قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر)

(٤) « ضاحيا » بارزا للشمس

(٥) « رابيا » ظاهرا على وجه الأرض

فَرَبَّ ٱلْعِبَادِ ، أَلْقِ سَيْباً وَرَحْمَةً عَلَيَّ وَبَارِكْ فِي بَنِيَّ وَمَالِيَا [1]

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمى (قال ابن هشام : واسم الحضرمى عبد الله بن عباد [2] [بن أكبر] أحد الصدف ، واسم الصدف : عمرو بن مالك أحد السَّكون بن أشرس بن كِندى ، ويقال : كِنْدَةُ : ابن ثور بن مرتع بن عفير بن عدىّ بن الحرث بن مُرَّة ابن أُدَدَ بن زيد بن مهسع بن عَمْرو بن عَريب بن زَيْد بن كهلان ابن سبأ ، ويقال : مرتعٌ : ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ)

قال ابن إسحق : وكان زيد بن عَمْرو قد أجمع الخروج من مكة ليضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فكانت صفية بنت الحَضْرَمِىّ كُلَّما رأته قد تهيَّأ للخروج وأراده آذنت به الخَطَّاب بن نُفَيل ؛ وكان الخطاب بن نُفَيل عَمَّه وأخاه لأمه ، وكان يعاتبه على فراق دين قومه ، وكان الخطاب قد وَكَّلَ صفيةَ به ، وقال : إذا رأيته قد هَمَّ بأمر فآذنينى به ، فقال زيد : —

لاَ تَحْبِسِينِي فِي ٱلْهَوَا نِ صَفِيّ مَادَابِي وَدَابُهْ [3]
إِنِّى إِذَا خِفْتُ ٱلْهَوَا نَ مُشَيَّعٌ ذُلُلٌ رِكَابُهْ [4]

---

(١) السيب : العطاء والرحمة

(٢) قال أبو ذر : « كذا وقع ، والصواب عماد مكان عباد ، قاله ابن الدباغ وابن أبى الخصال وغيرهما » اه

(٣) « صفى » أصله ياصفية ، لحذف حرف النداء ورخم ؛ والدأب : العادة ، وسهل همزته لحاجته إلى التسهيل للشعر

(٤) المشيع : الجرىء الشجاع . والذلل : جمع ذلول ، وهو السهل الذى قد ارتاض

دُعْمُوصُ أَبْوَابِ الْمُلُو ... كِ وَجَائِبُ الْخَرْقِ نَابُهْ(١)

قَطَّاعُ أَسْبَابٍ تَذِ ... لُّ بِغَيْرِ أَقْرَانٍ صِعَابُهْ(٢)

وَإِنَّمَا أَخَذَ الْهَوَا ... نَ الْعَيْرُ إِذْ يُوهِي إِهَابُهْ(٣)

وَيَقُولُ إِنِّي لَا أَذِ ... لُّ بِصَكِّ جَنْبَيْهِ صِلَابُهْ(٤)

وَأَخِي ابْنُ أُمِّي ثُمَّ عَمِّـ ... ـي لَا يُوَاتِينِي خِطَابُهْ(٥)

وَإِذَا يُعَاتِبُنِي بِسُو ... ءٍ قُلْتُ أَعْيَانِي جَوَابُهْ

وَلَوْ أَشَاءُ لَقُلْتُ مَا ... عِنْدِي مَفَاتِحُهُ وَبَابُهْ

قال ابن إسحق : وحُدِّثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل أن زيدا كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال : لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا ، تَعَبُّدًا ورِقًّا ، عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إبراهيم مستقبلَ الكعبة وهو قائم إذْ قال :

أَنْفِي لَكَ اللَّهُمَّ عَانٍ رَاغِمْ ... مَهْمَا تُجَشِّمْنِي فَإِنِّي جَاشِمْ

الْبِرَّ أَبْغِي لَا الْخَالَ ، ليس مُهَجِّرٌ كمن قال(٦)

قال ابن هشام : ويقال : البر أَبْقَى لا الخال ، ليس مُهَجِّر كمن قال ، قال : وقوله « مستقبل الكعبة » عن بعض أهل العلم

---

(١) الدعموص في الأصل : دويبة تغوص في الماء مرة بعد مرة ، يشبه بها الرجل إذا كان يكثر الدخول في الأمور ، وجائب : قاطع ، تقول : جاب الأرض يجوبها ، إذا قطعها : والخرق : الفلاة الواسعة

(٢) الأقران : جمع قرن ـ بفتحتين ـ وهو الحبل .

(٣) «يوهي» يشق ، والإهاب : الجلد

(٤) « صلابه » جمع صلب

(٥) « لايواتيني » لايوافقني

(٦) الخال : الخيلاء والكبر . والمهجر : الذي يسير في الهاجرة ، وهي منتصف النهار حين يشتد الحر ، و« قال » من القيلولة ، وهي : النوم في ذلك الوقت

قال ابن إسحق : وقال زيد بن عَمْرو بن نُفَيل : —

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالاَ

دَحَاهَا فَلَمَّا رَآهَا اسْتَوَتْ ... عَلَى الْمَاءِ أَرْسَى عَلَيْهَا الْجِبَالاَ (١)

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلاَلاَ (٢)

إِذَا هِيَ سِيقَتْ إِلَي بَلْدَةٍ ... أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سِجَالاَ (٣)

وكان الخطاب قد آذى زيدا ، حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل حِرَاء مقابل مكة ، ووكَّلَ به الخطابُ شبابا من شباب قريش ، وسُفَهَاءَ من سفهائهم ، فقال لهم : لاتتركوه يدخل مكة ، فكان لايدخلها إلا سرًّا منهم ، فاذا علموا بذلك آذَنُوا به الخطاب ، فأخرجوه ، وآذَوْهُ كراهيةَ أن يفسد عليهم دينهم ، وأن يتابعه أحد منهم على فراقه ، فقال وهو يعظِّم حُرْمته على من استحل منه ما استحل من قومه : —

لاَهُمَّ إِنِّي مُحْرِمٌ لاَحِلَّهْ (٤) ... وإِنَّ بَيْتِي أَوْسَطَ الْمَحِلَّهْ

* عِنْدَ الصَّفَا لَيْسَ بِذِي مَضَلَّهْ * (٥)

ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأحبار — زيد وقس البلقاء

(١) « دحاها » بسطها ، وفى التنزيل : (والأرض بعد ذلك دحاها) و « أرسى » أى : أثبتها عليها وثقلها بها

(٢) المزن : السحاب ، وخصه بعضهم بالأبيض منه

(٣) السجال : جمع سجل ، وهو الدلو المملوءة ماء ، استعارها للمطر الكثير

(٤) « محرم » أى : ساكن الحرم ، وقوله « لاحله » بكسر الحاء وتشديد اللام — أراد ساكن الحل ، والحل : ماخرج عن دائرة الحرم ، ويقال للواحد والجمع والمذكر والمؤنث : حل ، وحله

(٥) الصفا : جبل معروف بمكة .

حتى بلغ المَوْصِل والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجال الشام كلها ، حتى انتهى إلى راهب بِمَيْفَعَةٍ [١] من أرض البلقاء [٢] ، كان ينتهي إليه علمُ أهل النصرانية ، فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال : إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظلَّ زمانُ نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يُبْعَثُ بدين إبراهيم الحنيفية ، فالْحَقْ بها فانه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شامَ اليهودية والنصرانية فلم يَرْضَ شيئا منهما ، فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال . يريد مكة ، حتى إذا توسَّط بلاد لَخْمٍ عَدَوْا عليه فقتلوه ، فقال ورقة بن نوفل بن أسد يبكيه : —

رَشِدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو وَإِنَّمَا ... تَجَنَّبْتَ تَنُّورًا مِنَ النَّارِ حَامِيَا

بِدِينِكَ رَبًّا لَيْسَ رَبٌّ كَمِثْلِهِ ... وَتَرْكِكَ أَوْثَانَ الطَّوَاغِي كَمَا هِيَا [٣]

ورقة بن نوفل يرثي زيدا

وَإِدْرَاكِكَ الدِّينَ الَّذِي قَدْ طَلَبْتَهُ ... وَلَمْ تَكُ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ سَاهِيَا

فَأَصْبَحْتَ فِي دَارٍ كَرِيمٍ مُقَامُهَا ... تُعَلَّلُ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ لَاهِيَا

تُلَاقِي خَلِيلَ اللهِ فِيهَا وَلَمْ تَكُنْ ... مِنَ النَّاسِ جَبَّارًا إِلَي النَّارِ هَاوِيَا

وَقَدْ تُدْرِكُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةُ رَبِّهِ ... وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ سَبْعِينَ وَادِيَا

---

(١) « بميفعة » أصل الميفعة : الموضع المرتفع من البقاع ، وفى بعض النسخ بيفعة — بدون ميم — والذى فى القاموس يفع ويفاع — بفتح أولهما بلا تاء.

(٢) البلقاء : كورة من أعمال دمشق قصبتها عمان . وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة . قاله ياقوت

(٣) الطواغى : جمع طاغية ، وهو هنا ما عبد من دون الله ، قاله أبو ذر

بن

قال ابن هشـام : يروى لأمية بن أبى الصلت البيتان الأولان منها وآخرها بيتا فى قصيدة له ، وقوله « أوثان الطواغى » عن غير ابن إسحق

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

عيسى ابن مريم يذكر مبعث النبى

قال ابن إسحق : وقد كان ، فيما بلغنى ، عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله فى الانجيل لأهل الإنجيل ، من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أثْبَتَ يُحَنَّسُ الحَوَارِىُّ لهم حين نسخ لهم الأنجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام فى رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة ، ولـكن من الآن بَطِروا وظنوا أنهم يَعُزونَنِى [1] وأيضا للرب ، ولـكن لابد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس ، إنهم أبغضونى مجانا ، أى : باطلا ، فلو قد جاء الْمُنْحَمَنَّا هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب روح القدس ، هذا الذى من عند الرب خرج ، فهو شهيد على ، وأنتم أيضا ؛ لأنكم قديما كنتم معى فى هذا ، قلت لـكم لـكيما لا تشكوا .

والْمُنْحَمَنَّا بالسريانية محمد ، وهو بالرومية الْبَرَقْلِيطِس ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله الْبَكَّائى ، عن محمد بن إسحق المطلبى ، قال : فلما بلغ محمد رسول

---

(١) « يعزوننى » أى : يغلبوننى ؛ تقول : عز الرجل أخاه ، إذا غلبه ومنه قوله تعالى : (وعزنى فى الخطاب) أى : غلبنى ، وبابه رد على الأصل فى المضعف الثلاثى المتعدى

الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنةً بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، وكافّةً للناس بشيرا ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالايمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يُؤَدُّوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدَّوْا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه ، يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم (٣ : ٨١) : (وإذْ أخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي) أي : ثقل ما حملتكم من عهدى (قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وأدَّوْا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين

الرؤيا الصادقة

قال ابن إسحق : فذكر الزُّهْرِى ، عن عُرْوَة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنها حدثته ، أنَّ أوَّل ما بُدِئ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به — الرُّؤْيا الصادقة . لا يَرَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى نومه إلا جاءت كفَلَق الصبح ، قالت : وحَبَّبَ الله تعالى اليه الخَلْوَةَ . فلم يكن شيء أحبَّ إليه من أن يخلو وحده

زمان مبدأ الوحى

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الملك بن عبيد الله بن أبى سفيان ابن العلاء بن جارية الثقفى ، وكان واعيةً [1] عن بعض أهل العلم .

(١) « واعية » أى : حافظا . من قولهم : وعى العلم يعيه ، إذا حفظه وأدخلت التاء فى واعية للمبالغة

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين أراده الله بكرامته ، وابتدأ بالنبوة — كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى تحسر[1] عنه البيوت ، ويُفْضِي إلى شِعَابِ[2] مكة وبطون أوْدِيَتِهَا ، فلا يَمُرُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بحَجَرٍ ولا شَجَرٍ إلا قال : السلام عليك يارسول الله ، قال : فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة ، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ، ماشاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء فى شهر رمضان

قال ابن إسحق : وحدثنى وَهْب بن كَيْسان مولى آل الزبير ، قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عُمَيْر بن قتادة الليثى : حدِّثْنا ياعبيدُ كيف كان بدء ماابتدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريل عليه السلام ، قال : فقال عبيد ، وأنا حاضر يُحَدِّثُ عبدَ الله بن الزبير ومن عنده من الناس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجَاوِر[3] فى حِرَاء من كل سنة شهرًا ، وكان ذلك مما تَحَنَّثُ[4] به قريش فى الجاهلية (والتحنث : التبرر)

قال ابن إسحق : وقال أبو طالب : —

(١) « تحسر » أى : تبعد عنه ويتخلى عنها

(٢) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال

(٣) « يجاور » يريد يعتكف

(٤) « تحنث » قال أبو ذر : « قد فسره ابن هشام على أنهم يريدون به الحنيفية ، فأبدلوا من الفاء ثاء ، والجيد فيه أن يكون التحنث هو الخروج من الحنث — أى : الإثم - كما يكون التأثم الخروج عن الإثم ، لأن تفعل قد تستعمل فى الخروج عن الشىء وفى الانسلاخ منه ، ولايحتاج فى هذا إلى الأبدال الذى ذكره ابن هشام » اهـ

وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيراً مَكَانَهُ ... وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ

العرب تبدل الثاء فاء

قال ابن هشام: تقول العرب: التحنث والتحنف، يريدون الحنيفية، فيبدلون الفاء من الثاء، كما قالوا: جَدَفٌ وجَدَثٌ، يريدون القبر، قال رؤبة بن العجاج: —

* لَوْ كَانَ أَحْجَارِي مَعَ الْأَجْدَافِ *

يريد الأجداث، وهذا البيت في أرجوزة له، وبيت أبي طالب في قصيدة له سأذكرها — إن شاء الله — في موضعها

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول: فُمَّ، في موضع ثُمَّ؛ يبدلون الفاء من الثاء.

مجيء جبريل الى النبي في حراء

قال ابن إسحق: حدثني وَهْب بن كَيْسان قال: قال عُبَيْدٌ: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجَاور ذلك الشَّهْرَ من كل سنة يطعِمُ مَنْ جاءه من المساكين؛ فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جِوَاره من شهره ذلك كان أولَ ما يبدأ به — إذا انصرف من جواره — الكعبةُ، قبل أن يدخل بيته؛ فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته من السَّنة التي بعثه الله تعالى فيها، وذلك الشهر شهر رمضان؛ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حِرَاء كما كان يخرج لجواره، ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ وَأَنَا نَائِمٌ بِنَمَطٍ مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ؛ فَقَالَ:

اُقْرَأْ ، قَالَ : قُلْتُ : مَا أَقْرَأُ[1] ، قال : فَغَتَّنِي[2] بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اُقْرَأْ ، قال : قُلْتُ : ما أَقْرَأُ ، قال: فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ ، قال: قُلْتُ : مَاذَا أَقْرَأُ ؟ قَالَ : فَغَتَّنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اُقْرَأْ ، قال : فَقُلْتُ : مَاذَا أَقْرَأُ ؟ مَا أَقُولُ ذٰلِكَ إِلاَّ افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَاصَنَعَ بِي فقال(٩٦ : ١ ـ ٥) : اُقْرَأْ ، بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اُقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . قَالَ : فَقَرَأْتُهَا ، ثُمَّ انْتَهَى فَانْصَرَفَ عَنِّي وَهَبَبْتُ مِنْ نَوْمِي فَكَأَنَّمَا كُتِبَتْ فِي قَلْبِي كِتَاباً ،قال: فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسَطٍ مِنَ الْجَبَلِ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ : يَامُحَمَّدُ ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ ،قال : فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ أَنْظُرُ فَإِذَا جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍّ قَدَمَيْهِ فِي أُفُقِ السماء ، يقول : يامحمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال : فَوَقَفْتُ أنظر إليه ، فَمَا أَتَقَدَّمُ وَمَا أَتَأَخَّرُ ، وجعلت أَصْرِفُ وجهي عنه في آفَاقِ السماء ، قال : فَلَا أَنْظُرُ في ناحيةٍ منها إلاَّ رأيته كذلك ، فما زِلْتُ واقفاً ما أَتَقَدَّمُ أمامي وما أَرْجِعُ ورائي ، حَتَّى بَعَثَتْ خديجةُ رُسُلَهَا في طَلَبِي فَبَلَغُوا أَعْلَى مَكَّةَ

---

(١) الذى فى الروايات « ما أنا بقارىء » ؛ والمراد أنه صلى الله عليه وسلم يقول : أفالست ممن يقرأون لأنني لاأعرف القراءة

(٢) قال أبو ذر : « يقال غتني بالتاء ، وغطني بالطاء أيضا ، ومعناه شدني » اه لكن المعروف أن الغط والغت معناهما حبس النفس ؛ قال ابن الأثير : « الغت والغط سواء ، كأنه أراد عصرني عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة كما يجد من يغمس فى الماء قهرا » اه وقال فى حديث يغتهم الله فى العذاب غتا : « أى يغمسهم فيه غمسا متتابعا »

ورَجعُوا إليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ، ثم انصرف عنى ، وانصرفتُ راجعا إلى أهلى ، حتى أتيت خديجةَ ، فجلست إلى فخذها مُضيفاً إليها (١) فقالت : ياأَبَا الْقَاسِمِ ، أَيْنَ كُنْتَ ؟ فوالله لَقَدْ بَعَثْتُ رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لى ، ثم حَدَّثْتُهَا بالذى رأيت ، فقالت : أَبْشِرْ يَا ابْنَ عَمِّ واثْبُتْ ، فَوَ الَّذِي نَفْسُ خديجةَ بِيَدِهِ إِنّى لأرجو أن تكون نبىَّ هـذه الأمة ، ثم قامت فَجَمَعَتْ عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى وَرَقَةَ بْن نَوْفل بن أسَد بن عبد الْعُزَّى بن قُصَى — وهو ابن عمها ، وكان وَرَقة قد تَنَصَّر ، وقرأ الـكتب ، وسمع من أهل التوراة والانجيل — فأخبرته بمـا أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسـلم أنه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قُدُّوسٌ قدوس ، والذى نفسُ وَرَقَة بيده لَئِنْ كُنْتِ صَدَقْتِينِي ياخديجة لَقَدْ جَاءهُ النَّامُوس (٢) الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لَنَبِيُّ هذه الأمة ، فقولى له فَلْيَثْبُتْ ، فرجعت خديجة إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل

خديجة تحدث ورقة بن نوفل حديث النبي

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع : بدأ بالـكعبة فطاف بها ، فلقيه وَرَقَةُ بن نَوْفل وهو يطوف بالـكعبة . فقال : ياابن أخى ، أَخْبِرْنى بما رأيتَ وسمعتَ ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة : والذى نَفْسى بيده إِنَّكَ لنبىٌّ هذه

رسول الله يخبر ورقة بن نوفل بنبأته فى الكعبة

(١) « مضيفا » أى : ملتصقا بها مائلا إليها ، يقال : أضفت إلى الرجل ؛ إذا ملت نحوه ولصقت به ، ومنه سمى الضيف ضيفا ، لأنه يميل إلى بيت المضيف عن طريقه الذى كان فيه

(٢) أصل الناموس هو صاحب سر الرجل فى خيره وشره ؛ فعبر عن الملك الذى جاءه بالوحى بذلك

الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى : ولَتُــكَذَّبَنَّهْ [١] وَلَتُؤْذَيَنَّهْ ولتخْرَجَنَّه ولَتُقَاتَلَنَّهْ ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنْصُرَنَّ الله نصرًا يعلمه ، ثم أدْنَى رأسَه منه فقبَّلَ يَأفُوخَه [٢] ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله

خديجة تريد أن تستوثق من مجىء الملك النبى صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : وحدثنى إسمعيل بن أبى حكيم مولى آل الزبير ، أنه حُدِّث عن خديجة رضى الله عنها ، أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أىِ ابْنَ عَمّ ، أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : « نَعَمْ » قالت : فاذا جاءك فأخبرنى به ، فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة « يَاخَدِيجَةُ ، هٰذَا جِبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِي » قالت : قُمْ ياابن عم فاجلس على فخذى اليسرى ، قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : « نَعمْ » قالت : فتحوَّلْ فاجلس على فخذى اليمنى ، قالت : فتحوَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها اليمنى ، فقالت : هل تراه ؟ قال : « نَعمْ » قالت : فتحوَّلْ فاجلس فى حِجْرى ، قالت : فتحوَّلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فى حجرها ، قالت :

---

(١) « ولتكذبنه » بضم التاء ، وفتح الكاف ، وتشديد الذال المعجمة مفتوحة : مبنيا للمجهول ، والهاء للسكت : وكذا قوله « ولتؤذينه » و « لتخرجنه » و « ولتقاتلنه » كلها مبنية للمجهول والهاء للسكت : قال أبو ذر - : « الهاء فى قوله ولتكذبنه وفيما بعدها للسكت ، كذا جاءت الرواية بسكونها وقد كان يحتمل أن يكون ضميراً منتصبا بالفعل ، لكن كذا جاءت الرواية » اه قلت : جعل الهاء ضميرا منصوب المحل إن أمكن فى لتكذبنه بتمحل فهو غير ممكن فى الفعلين بعده

(٢) « يافوخه » اليافوخ : وسط الرأس

هل تراه ؟ قال : « نَعمْ » قال : فَتَحَسَّرَت [1] وألقت خِمَارَهَا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى حجرها ، ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : « لا » قالت : يابْنَ عَمِّ اثبُتْ وأبْشِرْ ؛ فو الله إنه لَمَلَكٌ وَمَا هَذَا بِشَيْطَانٍ .

قال ابن إسحق : وقد حدَّثْتُ عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال: قد سمعت أمي فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتها تقول : أدْخَلَتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين دِرْعِهَا ، فذهب عند ذلك جبريل ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ هذا لَمَلَكٌ وما هو بشيطان .

الاستدلال بالقرآن على أن بدء نزوله كان فى شهر رمضان

قال ابن إسحق : فابتدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل فى شهر رمضان ، يقول الله عز وجل (٢ : ١٨٥) : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) وقال الله تعالى (٩٧ : ١ ـ ٥) : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ؟ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِىَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) وقال الله تعالى : (٤٤ : ١ ـ ٥) : (حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِين)وقال تعالى (٨ : ٤١) : (إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) وذلك مُلْتَقَى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين ببدر

قال ابن إسحق : وحدثنى أبو جعفر محمد بن على بن حسين ، أن

(١) قال أبو ذر : « فتحسرت قد فسره بقوله ألقت خمارها ، ويقال أيضا : تحسر الرجل . إذا ألقى عمامته عن رأسه »

رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون ببَدْرٍ يوم الجمعة صبيحة سَبعَ عَشْرَةَ من رمضان

قال ابن إسحق : ثم تَتَامَّ الوحْيُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مؤمن بالله ، مصدق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله ، وتحمَّل منه ما حُمِّلَه ، على رضا العباد وسخطهم ، والنبوة أثقال ومؤنة لايحملها ولايستطيع بها إلا أهل القوة والْعَزْمِ من الرُّسُل بعوْن الله تعالى وتوفيقه ، لما يَلْقَوْنَ من الناس ، وما يُرَدُّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى

خديجة تبادر إلى الإيمان بالله ورسوله وتوازر النبي وتثبته

قال : فَمَضَى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، على ما يَلْقَى من قومه من الخِلاَف والأذى ،

وآمنت به خديجةُ بنتُ خُوَيْلد ، وصَدَّقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أولَ مَنْ آمن بالله و برسوله وصَدَّق بما جاء منه ، فخفَّفَ الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم : لايسمع شيئا مما يكرهه من رَدٍّ عليه وتكذيب له فيحْزِنُهُ ذلك إلا فَرَّجَ الله عنه بها إذا رجع إليها : تُثَبِّته ، وتخفِّفُ عليه ، وتصدِّقه ، وتهوِّن عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى .

بشارة النبي صلى الله عليه وسلم لخديجة

قال ابن إسحق : وحدثني هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه عُرْوَة بن الزُّبير ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ مِن قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ »

قال ابن هشام : القَصَبُ ههنا : اللؤلؤ المجوف

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به ، أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أَقْرِئ خَدِيجَةَ السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَاخَدِيجَةُ ، هٰذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ مِنْ

رَبِّكِ » فقالت خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام .

فترة الوحى ونزول سورة الضحى

قال ابن إسحق : ثم فَتَرَ الوحيُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فَتْرَةً من ذلك ، حتى شَقّ ذلك عليه فأحزنه ، فجاءه جبريل بسُورَة الضُّحَى يقسم له ربه — وهو الذى أكرمه بما أكرمه به — ماودعه ربُّهُ وما قَلَاه ؛ فقال تعالى : (٩٣ : ١ — ٨) : (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) يقول : ماصَرَمك فتركك وما أبغضك منذ أحبك (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى) أى : لَمَا عندى فى مَرْجعك إلىّ خير لك مما عَجَّلْتُ لك من الكرامة فى الدنيا (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) من الفَلْجِ [1] فى الدنيا والثواب فى الآخرة (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) يعرفه الله ماابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ، ومَنّه عليه فى يُتْمه وعَيْلته وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته

قال ابن هشام : سَجَى: سكن ، قال أُمَيَّةُ بن أبى الصَّلْتِ الثقفى : —

إِذْ أَتَى مَوْهِناً وَقَدْ نَامَ صَحْبِى ۞ وَسَجَى اللَّيْلُ بِالظَّلَامِ الْبَهِيمِ [2]

تفسير سجى

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال للعين إذا سكن طرفها : ساجية ، وسجا طرفها ، قال جرير بن الخَطَفَى : —

---

(١) « الفلج » الظهور والنصر والظفر ، يقال : فلج الرجل على خصمه . إذا ظهر عليه ، قاله أبو ذر ؛ وقال الرازى : « الفلج — بوزن الفلس — الظفر والفوز ، وفلج على خصمه — من باب نصر — وفى المثل : من يأت الحكم وحده يفلج ، وأفلجه الله عليه ، والاسم الفلج بالضم » اه

(٢) الموهن : ساعة من الليل ، والبهيم : الشديد السواد ليس فيه ضياء . وكذا البهيم فى ألوان الخيل هو الذى ليس فيه بياض من غرة ولاتحجيل ولا غير ذلك ، قاله أبو ذر

وَلَقَدْ رَمَيْنَكَ حِينَ رُحْنَ بِأَعْيُنٍ
يَقْتُلْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ سَوَاجِي (١)

تفسير العائل

وهذا البيت فى قصيدة له ، والعائل : الفقير ، قال أبو خِرَاشٍ الهذلىُّ :—

إِلَيْ بَيْتِهِ يَأْوِى الضَّرِيكُ إِذَا شَتَا
وَمُسْتَنْبِحٌ بَالِي الدَّرِيسَيْنِ عَائِلُ (٢)

وجمعه عَالَة وعُيَّل ، وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله ، والعائل أيضا : الذى يَعُول العيال ، والعائل أيضا : الحائف ، وفى كتاب الله تعالى (٤ ــ ٣) : (ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا) وقال أبو طالب : ــ

بِمِيزَانِ قِسْطٍ لاَ يُخِسُّ شَعِيرَةً ... لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها إن شاء الله فى موضعها ، والعائل أيضا : الشىء المُثْقِلُ المعيى ، يقول الرجل : قدعالنى هذا الأمر ، أى : أثقلنى وأعيانى ، قال الفرزدق : ــ

تَرَى الْغُرَّ الْجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ
إِذَا مَا الْأَمْرُ فِى الْحَدَثَانِ عَالاَ (٣)

(١) « خلل الستور » الشق الذى يكون بينها ؛ يعنى ستور الهوادج ؛ قاله أبو ذر

(٢) « الضريك » أى : الفقير ، وقوله « إذا شتا » أى : أجدب فى الشتاء ، وذلك لأن الشتاء عندهم زمان الجدب والقحط . والمستنبح : الذى يصل بالليل فينبح نباح الكلاب لتسمعه الكلاب فتجاوبه فيعلم موضع البيوت فيقصدها ، والدريس : الثوب الخلق ، وثناه لأنه أراد إزاره ورداءه وهما أقل ما يكون للرجل من اللباس : قاله أبو ذر بحروفه

(٣) قال أبو ذر : « الغر : المشهورون ، وأصله السادة ، وهو جمع أغر ؛

وهذا البيت فى قصيدة له :

(٩٣ — ٩ — ١١) : (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) أى لاتكن جبارا ، ولامتكبرا ، ولافحَّاشا فظاعلى الضعفاء من عباد الله (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) أى : بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث : أى اذكرها وادع إليها

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سِرًّا ، إلى من يطمئن إليه من أهله ،

وافترضت عليه الصلاة ، فصلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته

ابتداء ما افترض الله سبحانه على النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، وأوقاتها

فرضت الصلاة ركعتين ركعتين

قال ابن إسحق : وحدثني صالح بن كَيْسان ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها ؛ قالت : افْتُرِضَت الصلاة على رسول الله صلى الله

والجحاجح : السادة ، واحدهم جحجاح . وكان الوجه أن يقال الجحاجيح بالياء فحذفها لاقامة وزن الشعر ، والحدثان : حوادث الدهر ، وهذا الشعر يقوله الفرزدق يمدح به سعيد بن العاص ، وكان حينئذ أمير المدينة من قبل معاوية رحمه الله . وكان يوليه معاوية سنة ويولى مروان سنة أخرى ، فأنشد الفرزدق سعيد بن العاص بحضرة مروان هذه القصيدة وفيها البيت ويتصل به : —

قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ ... كَأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ الْهِلَالَا

فقال له مروان : قل قعودا ينظرون . فقال : لاأقول إلا قياما . وإنك ياأبا عبد الملك لصافن من بينهم ، يقال : صفن الفرس ، إذا وقع على ثلاث قوائم ورفع الواحدة ، ويقال : صفن الرجل ، إذا رفع إحدى قدميه ووقف الأخرى » اه كلامه

عليه وسلم أولَ ما افترضت عليه رَكْعَتَيْن ركعتين كل صلاة ، ثم إن الله تعالى أتمّها فى الحَضَر أربعًا ، وأقرّها فى السَّفَر على فرضها الأول ركعتين

أول فرض الصلاة والوضوء

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريلُ وهو بأعلى مكة ، فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى ، فانفجرت منه عَيْنٌ ، فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه لِيُرِيَه كَيْفَ الطُّهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريلَ توضأ ، ثم قام به جبريل فصلىَّ به وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف جبريل عليه السلام

رسول الله يعلم خديجة الوضوء والصلاة

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجةَ فتوضأ لها ليريها كيف الطُّهور للصلاة كما أراه جبريل ؛ فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه السلام ، ثم صلىَّ بها رسول الله عليه السلام كما صلى به جبريل ، فصلت بصلاته ،

مواقيت الصلاة

قال ابن إسحق : وحدثنى عُتْبَة بن مُسْلِم مولى بنى تَيْم ، عن نافع ابن جبير بن مطعم — وكان نافعٌ كثيرَ الرواية عن ابن عباس — قال : لما افْتُرِضَت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريلُ عليه السلام فصلَّى به الظهر حين مالَت الشمسُ ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخِرَةَ حين ذهب الشفقُ ، ثم صلى به الصبْحَ حين طَلَعَ الفجرُ ، ثم جاءه فصلى به الظهر من غدٍ حينَ كان ظلُّه مثلَه ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ، ثم صلى به المغربَ حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ؛ ثم صلى به العشاء الآخرةَ حين ذهب ثلث الليل الأول ، ثم صلى به الصبح مُسْفِرًا غير مشرق ، ثم قال : يا محمد ، الصلاةُ فيما بين صلاتِكَ اليومَ وصلاتك بالأمس :

أول الناس إيمانا برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : ثم كان أول ذَكَرٍ من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلّي معه وصدّق بما جاءه من الله تعالى عليُّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، ابن عبد المطلب بن هاشم ، وهو ابن عشرِ سنين يومئذ ، وكان مما أنعم الله على عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه أنه كان في حِجْر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام

قال ابن إسحق : وحدثني عبد الله بن أبي نَجيح ، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج ، قال : كان من نعمة الله على عليّ بن أبي طالب ، ومما صنع الله له ، وأراده به من الخير ــ أن قريشا أصابتهم أزمة [1] شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه ــ وكان من أيسر بني هاشم ــ : « يا عَبَّاس ، إنَّ أَخَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ ، وقَدْأَصابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ هٰذِهِ الْأَزمَةِ [1] ، فَانْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ فَلْنُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ آخُذُ مِنْ بَنِيهِ رَجُلاً وَتَأْخُذُ أَنْتَ رَجُلاً فَنَكِلهما عَنْهُ » فقال العباس : نعم ، فانطلقا ، حتى أتيا أبا طالب فقالا له : إنا نريد أن نخففَ عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لى عَقِيلاً فاصنَعا ماشئتما

قال ابن هشام : ويقال : عقيلا وطَالبا

فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليًّا فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفرا فضمَّه إليه ، فلم يَزَلْ عليٌّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا ، فاتبعه عليٌّ رضى الله عنه ، وآمن به ، وصدَّقه ولم يزل جعفرَ عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه

---

(١) الأزمة : هي الشدة ، وأراد بها سنة القحط والجوع ، يقال : أزم يأزم ــ إذا اشتد

أبو طالب يرى رسول الله مع على يصليان

قال ابن إسحق : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاةُ خرج إلى شِعاب مكة وخرج معه علىٌّ بن أبى طالب مستخفيا من أبيه أبى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلِّيان الصلوات فيها ، فاذا أمْسَيَا رجعا ، فمكثا كذلك ماشاء الله أن يمكثا ، ثم إن أبا طالب عَثَرَ عليهما يوما وهما يُصَلِّيان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخى ، ماهذا الدِّينُ الذى أراك تدين به ؟ قال : « أَىْ عَمِّ ، هٰذَا دِينُ اللهِ وَدِينُ مَلَائِكَتِهِ وَدِينُ رُسُلِهِ وَدِينُ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ » أو كما قال صلى الله عليه وسلم « بَعَثَنِي اللهُ بِهِ رَسُولاً إِلَى الْعِبَادِ وَأَنْتَ أَىْ عَمِّ أَحَقُّ مَنْ بَذَلْتُ لَهُ النَّصِيحَةَ وَدَعَوْتُهُ إِلَى الْهُدَى ، وَأَحَق مَنْ أَجَابَنِي إِلَيْهِ وَأَعَانَنِي عَلَيْهِ » أو كما قال، فقال أبو طالب : أى ابن أخى ، إنى لا أستطيعُ أن أفارقَ دينَ آبائى وما كانوا عليه ، ولكن والله لايُخْلَصُ(١) إليك بشىء تكرهه مابقيتُ ؛ وذكروا أنه قال لعلى : أىْ بُنَىَّ ، ماهذا الدين الذى أنت عليه ؟ فقال : ياأبت آمنت بالله وبرسول الله ، وصدَّقته بما جاء به ، وصليت معه لله ، واتبعته ؛ فزعموا أنه قال له : أما إنه لم يَدْعُك إلا إلى خير ، فالزمه

اسلام زيد بن حارثة

قال ابن إسحق : ثم أسلم زَيْدُ بن حارثة بن شُرَحْبيلَ بن كَعْب ابن عبد الْعزَّى بن امرىء القيس الكلبى ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد على بن أبى طالب

قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شُرَحْبيل بن كَعْب بن عبد الْعزَّى ابن امرىء القيس بن عامر بن النُّعْمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عَوْف بن

---

(١) « لايخلص إليك بشىء » أى : لايوصل إليك ، يقال : خلصت إليه ، أى : وصلت إليه ، قاله أبو ذر

كِنانة بن بَكر بن عَوْف بن عُذْرة بن زَيْدِ الله بن رُفَيْدة بن ثَوْر ابن كَلْب بن وَبرة ، وكان حكيم بن حزام بن خُوَيلد قدم من الشام برقيق فيهم زيدُ بن حارثة وصيف ، فدخلت عليه عمته خديجةُ بنت خويلد ، وهي يومئذٍ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : اختارى ياعمةُ أيَّ هؤلاء الغلمان شئتِ فهو لك ، فاختارت زيدا ، فأخذته ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ، فاستوهبه منها ، فوهبته له ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتَبَنَّاه ، وذلك قبل أن يُوحَى إليه ، وكان أبوه حارثةُ قد جَزِعَ عليه جزَعاً شديدا ، وبكى عليه حين فقده ، فقال : —

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ ولَمْ أَدْرِ مَا فَعَلْ
أحَيٌّ فيُرْجَى أَمْ أَتَى دُونَهُ الْأَجَلْ
فوَاللهِ مَا أَدْرِى وَإِنِّى لَسَائِلٌ
أغَالَكَ بَعْدِى السَّهْلُ أمْ غَالَكَ الْجَبَلْ (١)
وَيَالَيتَ شِعْرِى هَلْ لَكَ الدَّهْرَ أَوْبَةٌ
فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا رُجُوعُكَ لِي بَجَلْ (٢)
تُذَكِّرُنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا
وَتَعْرِضُ ذِكْرَاهُ إِذَا غَرْبُهَا أَفَلْ (٣)

(١) يقال : غال الشيء ، إذا أهلكه

(٢) الأوبة : الرجوع . وبجل : كلمة بمعنى حسب ، ومعناهما جميعا الاكتفاء بالشيء ، قاله أبو ذر

(٣) قال أبو ذر : «الأفول : غيوبة الشمس . يقال : أفلت الشمس ، إذا غابت ، ونسب الأفول إلى الغروب اتساعا ومجازا » اه

وَإِنْ هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ هَيَّجْنَ ذِكْرَهُ
فَيَاطُولَ مَا حُزْنِي عَلَيْهِ وَمَا وَجَلْ[(١)]
سَأُعْمِلُ نَصَّ الْعِيسِ فِي الْأَرْضِ جَاهِداً
وَلاَ أَسْأَمُ التَّطْوَافَ أَوْ تَسْأَمَ الْإِبِلْ[(٢)]
حَيَــاتِيَ أَوْ تَأْتِي عَلَيَّ مَنِيَّتِي
فَكُلُّ امْرِئٍ فَانٍ وَإِنْ غَرَّهُ الْأَمَلْ

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ شِئْتَ فَأَقِمْ عِنْدِي وَإِنْ شِئْتَ فَانْطَلِقْ مَعَ أَبِيكَ » فقال : بل أقيم عندك ؛ فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فصدقه وأسلم وصلى معه ، فلما أنزل الله عز وجل (٥ : ٣٣) : (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ) قال : أنا زيد بن حارثة

أبو بكر رضى الله عنه وإسلامه وإسلام من أسلم بإسلامه

قال ابن إسحق : ثم أسلم أبو بكر بن أبي قُحافة ، واسمه عَتيق ، واسم أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر

قال ابن هشام : واسم أبي بكر عبدُ الله ، وعتيق لقبٌ لحسن وجهه وعتقه .

---

(١) الأرواح : جمع ريح ؛ جمعه على الأصل ؛ لأن أصل هذه الياء التي في المفرد واو ، والوجل: الخوف . وما في قوله «فياطول ماحزني وياطول ماوجل» زائدة بين المضاف والمضاف إليه ، مثل زيادتها بين الجار والمجرور في نحو قوله تعالى : (فبما نقضهم ميثاقهم . . عما قليل ليصبحن نادمين . . . مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا)

(٢) النص : أرفع السير وأسرعه ، والعيس : الابل البيضاء الكرام

قال ابن إسحق : فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله و إلى رسوله ، وكان أبو بكر رجلا مؤلفا لقومه . مُحَبَّباً سَهْلا وكان أنسبَ قريش لقريش ، وأعلمَ قريش بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرًا ذا خلقٍ ومعروفٍ ، وكان رجالُ قومه يأتونه ويَأْلفونه لغير واحد من الأمر ؛ لعلمه ، وتجارته ، وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الله وإلى الاسلام مَنْ وَثِقَ به من قومه مِمَّن يَغْشَاه ويجلس إليه ، فأسلم بدعائه — فيما بلغني — عثمانُ بن عفَّان بن أبى العاص بن أُمَيَّة بن عَبْد شَمْس بن عبد مَنَاف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب ؛ وَالزُّبَيْرُ بن الْعَوَّام بن خُوَيلد بن أسَد ابن عبد الْعُزَّى بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَى : وعبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبدعَوْف بن عَبْد بن الحرث بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤى : وسَعْدُ بن أبى وَقَّاص ، واسم أبى وقاص مالك ابن أهيب بن عَبْدمناف بن زُهْرة بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَى ، وطَلْحَةُ بن عُبَيْد الله بن عُثْمان بن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَى ، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم — حينَ استجابوا له — فأسلموا وصَلَّوْا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغنى : «مَا دَعَوْتُ أحَداً إلَى الْإِسْلَامِ إلاَّ كَانَتْ فِيهِ عِنْدَهُ كَبْوَةٌ (١) وَنَظَرٌ وَتَرَدُّدٌ ، إلاَّ مَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ ، مَا عَكَمَ عَنْهُ حِينَ ذَكَرْتُهُ لَهُ وَمَا تَرَدَّدَ فِيهِ » .

---

(١) « كبوة » يعنى تأخيرا وقلة إجابة ، وهو من قولهم : كبا الزند . ذا لم يور نارا : قاله أبو ذر . وقال ابن الأثير : « الكبوة : الوقفة كوقفة العاثر ، أو الوقفة عند الشيء يكرهه الانسان ، ومنه كبا الزند ، إذا لم يخرج نارا »

قال ابن هشام : قوله « بدعائه » عن غير ابن إسحق

قال ابن هشام : قوله « عكم » تلبَّث . قال رؤبة بن العجاج

* فَانْصاعَ وثّابٌ بِهَا وَمَا عَكَمْ(١) *

قال ابن إسحق : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالاسلام . فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله

اسلام أبى عبيدة وآخرين

ثم أسلم أبو عُبَيْدَةَ . واسمه عامر بن عبد الله بن الجَرَّاح بن هِلال ابن أُهَيْب بن ضَبَّةَ بن الحرث بن فهر ، وأبو سَلَمة . واسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم بن يَقَظَةَ بن مُرَّة بن كعب ابن لؤى ، والأرقمُ بن أبى الأرقم . واسم أبى الأرقم عبدُ مَنَاف بن أسد وكان أسدٌ يُكْنى أبا جُنْدب بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم بن يَقَظة ابن مُرَّة بن كَعْب بن لؤى ؛ وعثمانُ بن مَظْعُون بن حَبيب بن وَهْب بن حذافة بن جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لُؤى ، وأخواه قُدامةُ وعَبْدُ الله ابنا مَظْعون بن حبيب ؛ وعُبَيْدَة بن الحرث بن الْمُطَّلب بن عبْد مَنَاف بن قصَى بن كِلاب بن مرَّة بن كَعْب بن لؤى ، وسَعيد بن زَيْد بن عمْرو بن نُفَيل بن عبد الْعُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح بن رزاح بن عَدِىّ بن كَعْب بن لؤى ، وامرأتُهُ فاطمةُ بنت الخَطَّاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح بنى رَزاح بن عَدِىّ ابن كَعْب بن لؤى أختُ عُمَرَ بن الخطاب ، وأسماء بنت أبى بكر ، وعائشةُ بنت أبى بكر ، وهى يومئذ صغيرة . وخَبَّاب بن الْأَرَتّ حليفُ بنى زُهْرَةَ

قال ابن هشام : خَبَّاب بن الْأَرَتّ من بنى تميم ، ويقال: هو من خزاعة

---

(٢) انصاع : ذهب ، و«عكم» قد فسره ابن هشام

قال ابن إسحق : وعُمَيْر بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود بن الحرث بن شَمْخ بن مَخْزوم بن صَاهلة بن كاهل ابن الحرث بن تميم بن سعد بن هُذَيْل حليف بني زُهْرة ، ومَسْعودُ بن القَارِيّ ، وهو مسعود بن ربيعة بن عَمْرو بن سَعْد بن العزى بن حَمَالَة ابن غالب بن مُحَلِّم بن عائذة بن سبيع بن الْهُون بن خزيمة من القارة

قال ابن هشام : والقَارةُ : لقب ، ولهم يقال :-

قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا(١)

وكانوا رُمَاةً

قال ابن إسحق : وسَليط بن عَمْرو بن عَبْد شَمْس بن عبد وُدّ بن نَصْر ابن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فهر ، وأخوه حاطب بن عمرو ، وعَيَّاش بن أبي ربيعة بن الْمُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزوم بن يقظة بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ ، وامرأته أسماء بنت سلامة بن مُخَرِّبة التميمية ، وخُنَيْس(٢) بن حُذَافة بن قَيْس بن عَدِيّ بن سُعَيد(٣) بن سَهْم بن عَمْرو

---

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ، يجرى مجرى الأمثال ، بعده فيما يروون :-

إِنَّا إِذَا مَا فِئَةٌ نَلْقَاهَا نَرُدّ أُولَاهَا عَلَى أُخْرَاهَا

وكان هؤلاء القوم رماة لا يقوم لهم أحد ، فجاء قوم من رماة الفرس فعارضوهم في الرمى ، فقال الناس : قد أنصف القارة من راماها ، فجرى مثلا ، قاله أبو ذر ، وقال السهيلي : «وسمى بنو الهون بن خزيمة قارة لقول الشاعر منهم في بعض الحروب :-

دَعُونَا قَارَةً لَا تَذْعَرُونَا فَنُجْفِلَ مِثْلَ إِجْفَالِ الظَّلِيمِ

وهكذا أنشده أبو عبيدة في كتاب الأنساب . وأنشده قاسم في الدلائل :-

دَعُونَا قَارَةً لَا تَذْعَرُونَا فَتَنْبِنَكَ الْقَرَابَةُ وَالذِّمَامُ

(٢) «خنيس» خنيس هذا كان زوج حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم

(٣) قال أبو ذر : «كذا وقع ، وصوابه سعد ، وإنما سعيد ابنه» اهـ

ابن هُصَيْص بن كَعْب بن لؤَى ، وعامرُ بن ربيعة ، من عنز[1] بن وائل ، حليفُ آل الخطاب بن نفيل بن عبد العزى

قال ابن هشام : عَـنْز[1] : ابن وائل ، أخو بكر بن وائل ، من ربيعة ابن نزار

قال ابن إسحق : وعبد الله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبِرة بن مُرَّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودَان بن أسَد بن خُزَيمة ، وأخوه أبو أحمد بن جَحْش ، حليفا بنى أُمَيَّة بن عَبْد شَمْس ، وجعفرُ بن أبى طالب ، وامرأته أسْمَاء بنت عُمَيْس بن النُّعمان بن كَعْب بن مالك بن قُحافة ، من خَثْعَم ؛ وحاطبُ بن الحرث بن مَعْمَر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ابن عَمْرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤى ؛ وامرأتُهُ فاطمة بنت المجلّل بن عبد الله بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر ؛ وأخوه حَطَّابُ بن الحرث ، وامرأته فُكَيهة بنت يَسَار ؛ ومَعْمَرُ بن الحرث بن معمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى ؛ والسائبُ بن عُثْمان بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب ؛ والْمُطَّلب بن أَزْهَر بن عَبْد عَوْف بن عبد ابن الحرث بن زُهْرة بن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤى ؛ وامرأتُهُ

كلامه ، وقال السهيلى : « وحيثما تكرر نسب عدى بن سعد بن سهم يقول فيه ابن إسحاق : سعيد ، والناس على خلافه ، إنما هو سعد ، وفى شعر عبد الله ابن قيس شاهد على ذلك ، وإنما سعيد بن سهم أخو سعد وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ، وفى سهم سعيد آخر ، وهو ابن سعد المذكور » اه كلامه

(١) قال السهيلى: «عنز ـ بسكون النون ـ ، ويذكر عن على بن المدينى أنه قال فيه عنز بفتح النون ، والسكون أعرف » اه

رَمْلَةُ بنت أبي عَوْف بن صُبَيْرة[1] بن سُعَيد [بن سَعْد][2] بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَى ؛ والنَّحَّام ، واسمه نُعَيْم بن عبد الله بن أسِيد ، أخو بنى عدىّ بن كعب بن لؤى

قال ابن هشام : هو نُعَيْم بن عَبْد الله بن أَسِيد بن عبد الله بن عَوْف[3] بن عَبيد بن عويج بن عدىّ بن كعب بن لؤى ، وإنما سمى النَّحَّام لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لَقَدْ سَمِعْتُ نَحْمَهُ فِي الْجَنَّةِ » .

قال ابن هشام : نَحْمُهُ : صوته وحِسُّه

قال ابن إسحق : وعامر بن فُهَيْرَة ، مولى أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

قال ابن هشام : عامر بن فُهَيْرَة مُوَلَّدٌ من مُوَلَّدى الأسْد ، أسْوَدُ ، اشتراه أبو بكر رضى الله عنه منهم .

قال ابن إسحق : وخالد بن سَعيد بن الْعَاص بن أُمَيَّة بن عَبْد شَمْس ابن عَبْد مَنَاف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ ، وامرأته

---

(١) قال السهيلى : وقد قيل فى صبيرة : ضبيرة - بالضاد المعجمة - وهو الذى كان شابا جميلا يلبس حلة ويقول للناس : هل ترون بأسا بى ؛ إعجابا بنفسه ، فأصابته المنية بغتة ، فقال الشاعر فيه : -

مَنْ يَأْمَنُ الحِدْثَانَ بَعْـ ـدَ صُبَيْرَةَ الْقُرَشِيِّ مَاتَا
سَبَقَتْ مَنِيَّتُهُ الْمَشِـيبَ وَكَانَ مِيتَتُهُ افْتِلاتَا

(٢) الزيادة عن السهيلى

(٣) قال أبو ذر : «قوله أسيد بن عبد الله بن عوف بن عبيد ، هكذا وقع، والصواب أسيد بن عبد عوف ،قاله ابن الكلبى وأبو عمر بن عبد البر» اه

أُمَيْنَةُ [١] بنت خَلَف بن أسْعَد بن عامر بن بَيَاضة بن يُثَيْع [٢] بن جِثْمَةَ [٣] بن سَعْد بن مُلَيح بن عَمْرو ، من خزاعة

قال ابن هشام : ويقال : هُمَيْنة بنت خَلَف

قال ابن إسحق : وحاطب بن عَمْرو بن عَبْد شَمْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فِهْر ؛ وأبوحُذَيْفة [ابن عتبة بن ربيعة] ، واسمه مِهْشَم [٤] فيما قال ابن هشام ، بن عُتْبه بن رَبيعة بن عَبْد شَمْس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ ؛ ووَاقدُ بن عَبْـد الله بن عَبْد مَنَاف بن عَرِين بن ثَعْلَبة بن يَرْبوع بن حَنْظَلة بن مالك بن زَيْد مَنَاةَ بن تميم ، حليف بنى عدى بن كعب .

قال ابن هشام : جاءت به باهلة فباعوه من الخطاب بن نفيل ، فتبنَّاه . فلما أنزل الله تعالى (٣٣ : ٥) : (ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ) قال : أنا واقد بن عَبْد الله ، فيما قال أبو عمرو المدنى

قال ابن إسحق : وخالدٌ وعامرٌ وعاقلٌ وإياس بنو البُكَيْر بن

(١) قال أبو ذر « وامرأته أمينة بنت خلف ، يروى هنا أمينة بالنون وأميمة بالميم ، وأمينة بالنون هو الصواب » اه كلامه بمعناه

(٢) قال أبو ذر : « وقوله فى نسب أمينة : بن بياضة بن سبيع ، كذا وقع هنا ، وصوابه يثيع : بياء مضمومة مثناة النقط وثاء مثلثة »اه

(٣) قال أبو ذر : « وقوله بن خثعمة بن سعد ، وقع هنا بخاء معجمة مفتوحة . وصوابه جعثمة بجيم مكسورة وعين ساكنة وثاء مثلثة مكسورة» اه

(٤) قال أبو ذر : « أبو حذيفة هذا اسمه قيس بن عتبة ، وإنما مهشم أبو حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم » اه ومثل هذا فى كلام السهيلى

عبد يَاليل بن ناشب بن غِيَرة ، من بنى سَعْد[1] بن لَيْث بن بَكْر بن عَبْدمَنَاة بن كِنانة ، حُلَفاء بنى عدى بن كعب ، وعَمَّار بن ياسر ، حليفُ بنى مَخْزوم بن يقظة

قال ابن هشام : عَمَّار بن ياسر عَنْسى من مَذْحج

قال ابن إسحق : وصُهَيْب بن سِنَان أحد النَّمر بن قاسط ، حليف بنى تَيْم بن مُرَّة .

قال ابن هشام : النَّمر بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار ، ويقال : أَفْصَى بن دُعْمِي بن جَديلة بن أسد ، ويقال : صُهَيْبٌ مولى عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ، ويقال : إنه رومىّ ، فقال بعض من ذكر أنه من النمر بن قاسط : إنما كان أسيرا فى أرض الروم فاشْتُرِى منهم ، وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « صُهَيْبٌ سَابِقُ الرُّومِ »

رسول الله يجهر بالدعوة الى دين الله

قال ابن إسحق : ثم دخل الناس فى الاسلام أرْسَالاً من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الاسلام بمكة ، وتُحُدِّث به ، ثم إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يُبَادِى الناس بأمره ، وأن يدعو إليه ، وكان بين ماأخفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى باظهار دينه ثلاثُ سنين ، فى بلغنى ، من مبعثه ، ثم قال الله تعالى له : (١٥ : ٩٤) : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) وقال تعالى (٢٦ : ٢١٤–٢١٦) (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)

---

(١) فى نسخة « بن غيرة بن سعد بن ليث »

قال ابن هشام : فاصدع : افْرُقْ بين الحق والباطل ، قال أبو ذؤيب الهذلى (واسمه خُوَيْلد بن خالد) يصف أُتُنَ (١) وَحْش وفحلها : —

وَكَأَنَّهُنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسَرٌ يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ (٢)

أى : يفرق على القداح ويبين أنصباءها ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال رؤبة بن العجاج : —

أَنْتَ الْحَلِيمُ وَالْأَمِيرُ الْمُنْتَقِمْ تَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَتَنْفِى مَنْ ظَلَمْ

وهذان البيتان فى أرجوزة له

أصحاب النبى يصلون خفية

قال ابن إسحق : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صَلَّوْا ذهبوا فى الشِّعاب ، واستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سَعْد بن أبى وَقَّاص فى نَفَرٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شِعْبٍ من شِعاب مكة إذْ ظهر عليهم نَفَرٌ من المشركين ، وهم يُصَلُّون ، فناكروهم ، وعابوا عليهم مايصنعون ، حتى قاتلوهم ؛ فضَرَبَ سعد بن أبى وَقَّاص يومئذ رجُلا من المشركين بلَحْى (٣) بعيرٍ فشَجَّه (٤) فكان أول دم أُهَرِيق فى الاسلام .

المشركون يظهرون على أصحاب النبى فيقاتلونهم وصنيع سعد بن أبى وقاص

قال ابن إسحق : فلمَّا بَادَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قومَه بالاسلام ، وصَدَعَ به كما أمره الله ؛ لم يبعد منه قومُه ، ولم يَرُدُّوا عليه ـ

(١) الآتن ـ بضمتين ـ جمع أتان ، وهى الأنثى من الحمر

(٢) الربابة : خرقة تلف فيها القداح ، وتكون أيضا جلدا ، واليسر ـ بفتح الياء والسين ـ الذى يدخل فى الميسر ، والقداح : جمع قدح ، وهو السهم

(٣) الذى فى شرح السيرة لأبى ذر « بلحى بعير » قال أبو ذر : « هو تثنية لحى ، واللحى : العظم الذى على الخد ، وهو من الانسان العظم الذى تنبت عليه اللحية » اه

(٤) « شجه » جرحه

فيما بلغنى — حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظَموه ، وناكروه ، وأجمعوا خِلافَه وعَدَاوَته ، إلا من عَصَم الله تعالى منهم بالاسلام ، وهم قليل مُسْتَخْفُون ، وحَدِب [1] على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمُّه أبو طالب ، ومنعه ، وقام دونه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مُظْهراً لأمره : لا يَرُدُّه عنه شيء

جماعة من المشركين يذهبون الى أبى طالب يسألونه أن يكف عنهم رسول الله

فلما رأت قريشٌ أن رسولَالله صلى الله عليه وسلم لا يُعتِبهم [2] من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيْب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حَدِب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم ؛ مشى رجال من أشراف قريش إلى أبى طالب عتبةُ وشَيْبَةُ ابنا ربيعةَ بن عَبْد شمْس بن عبد مَنَاف بن قُصَى بن كلاب بن مرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب ، وأبو سُفْيَان بن حَرْب بن أُمَيَّة بن عَبْد شَمْس بن عبد مَنَاف بن قُصَى بن كلاب بن مُرَّة ابن كَعْب بن لُؤَى بن غالب بن فِهر

قال ابن هشام : واسم أبى سفيان صَخْر

قال ابن إسحق : وأبو البَخْتَرِىّ ، واسْمُه العاصُ بن هِشام [3] بن الحرث بن أسَد بن عَبْدالعُزَّى بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤى

قال ابن هشام : أبو البخترى العاص بن هاشم [3]

---

(١) «حدب» معناه عطف عليه ومنعه ، يقال : فلان حدب على فلان ، إذا كان عاطفا عليه ومانعا له .

(٢) « لايعتبهم من شيء » أى : لايرضيهم ، يقال : استعتبنى فأعتبته ، أى : أرضيته وأزلت العتاب عنه . ومن هنا تفهم أن الهمزة فى « أعتب » للازالة ، كالهمزة فى «أعجم» ونحوه

(٣) قال أبو ذر : « وافق ابن الكلبى ابن إسحاق على هشام ، ووافق مصعب الزبيرى ابن هشام على هاشم » اه

قال ابن إسحاق : والأسود بن المُطَّلب بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قصَي بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَى ، وأبو جَهْل (واسْمه عَمْرو ، وكان يُكْنَى أبا الحكم) بن هشام بن المُغيرة بن عَبْد الله بن عُمَر ابن مَخْزوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤى ؛ والوَليدُ بن المُغيرة بن عَبْدالله بن عُمَر بن مَخْزوم بن يَقَظَة بن مُرَّة بن كَعْب بن لؤى ، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج بن عامر بن حُذَيْفة بن سعْد بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى ؛ والعاصُ بن وائل

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم (١) بن سعد بن سَهْم بن عَمْرو بن هُصيْص بن كَعْب بن لُؤَى

قال ابن إسحق : أوْ مَن مشى منهم ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنَّ ابن أخيك قد سَبَّ آلهتنا ، وعابَ دينَنَا ، وسَفَّهَ أحلامنا ، وضَلَّلَ آباءنا ، فإما أنْ تَكُفَّه عَنَّا وإما أن تُخَلِّيَ بيننا وبينه ، فإنك على مِثْلِ ما نحن عليه من خِلافِه ، فنكفيكه ، فقال لهم أبو طالب قَوْلاً رَفيقاً ، وردهم رداً جميلا ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماهو عليه : يُظْهِر دينَ الله ، ويدعو إليه ، ثم شَرِيَ الأمر (٢) بينه وبينهم ، حتى تباعد الرجال وتَضَاغنوا (٣) ، وأكثرت قريشٌ ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها ، وتذامروا فيه (٤) ، وحضَّ بعضُهم بعضا عليه ، ثم

---

(١) فى نسخة «ابن وائل بن هشام بن سعيد»

(٢) قال أبو ذر : «معناه كثر وتزيد ، يقال : شرى البرق يشرى (كرضى يرضى) إذا كثر لمعانه ، ويقال : شرى الرجل ، إذا غضب» اه

(٣) «تضاغنوا» أى : تعادوا ، والضغن : العداوة والحقد

(٤) فى بعض النسخ «فتذامروا» بالفاء ، وفى بعضها بالواو وهو كذلك

إنهم مَشَوْا إلى أبي طالب مَرَّةً أخرى ، فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإنا قد استَنْهَيْنَاكَ من ابن أخيك فلم تَنْهَهُ عنا، وإنا والله لا نَصْبِر على هذا من شَتْم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعَيْب آلهتنا حتى تَكُفَّه عنا أو نُنَازِله[1] وإياك فى ذلك حتى يَهْلِك أحدُ الفريقين، أو كما قالوا له ، ثم انصرفوا عنه . فعَظُم على أبي طالب فِراقُ قومه وعَداوتهم ، ولم يَطِبْ نَفْساً باسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، ولا خِذْلانه[2]

أبو طالب يعرض على النبي ترك ما هو عليه فيأبى النبي فيشجعه على التمسك به

قال ابن إسحق : وحدثني يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخنس ، أنه حُدِّث ، أن قريشا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، للذى كانوا قالوا له ، فأبْقِ عليَّ وعلى نفسك ، ولا تُحَمِّلْني من الأمر مالا أطيق ، قال : فظنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بَدَاء ، وأنه خاذله ومُسْلِمُه ، وأنه قد ضعف عن نُصْرته والقيام معه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَاعَمِّ وَاللهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُه » قال : ثم اسْتَعْبَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ، ثم قام . فلما وَلَّى ناداه أبو طالب فقال : أقْبِلْ يا ابن أخي ، قال : فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أُسْلِمُك لشيء أبدا

فى الطبرى (ج ٢ ص ٢٢٠) عن ابن إسحق ، و « تذامروا » معناه حض بعضهم بعضا

(١) « تنازله وإياك » أى : نحاربكما . تقول : تنازل القوم ، إذا تحاربوا

(٢) « خذلانه » تركه ، تقول : خذلت الرجل ، إذا تركته ولم تنصره

قريش تعرض على أبى طالب أن يسلم النبى اليهم ويأخذ بعمارة بن الوليد

قال ابن إسحق : ثم إن قريشا — حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خِذْلاَنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه وإجْمَاعَه لفراقهم فى ذلك وعَدَاوتهم — مَشَوْا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له — فيما بلغنى — : ياأطالب هذا عمارة بن الوليد أنْهَدُ فَتًى [1] فى قريش وأجْمَلُه ، نخذه فلك عَقْلُهُ [2] ونَصْرُهُ ، واتَّخِذْه وَلَداً فهولك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرّق جماعةَ قومك ، وسفَّه أحلامهم فنقتله ، فإنما هو رجل برجل . قال : والله لَبِئْسَ مَا تَسُومُونَنِى [3] أتُعْطونى ابنكم أغْذُوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟ ! هذا والله مالا يكون أبدا ، قال : فقال الْمُطْعِم بن عَدِىّ بن نَوْفل بن عبد مناف بن قصى : والله ياأبا طالب لقد أنْصَفَكَ قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا ، فقال أبو طالب للمطعم : والله ماأنصفونى ، ولكنك قد أجْمَعْتَ خِذْلانى ومُظَاهَرَةَ القوم [4] علىّ ، فاصنع مابدالك ، أو كما قال

قال : فحَقِبَ الأمر [5] ، وحَمِيت الحرب ، وتَنَابَذَ [6] القوم ، وبَادَى بعضهم بعضًا ، فقال أبو طالب عند ذلك يُعَرِّض بالمطعم بن عَدِىّ ويَعُمُّ من خَذَله من عبد مَنَاف ومَنْ عَاداه من قبائل قريش ، ويذكر ماسألوه وما تباعد من أمرهم : —

---

(١) «أنهد فتى» يعنى أشده وأقواه ؛ والفرس النهد : هو الغليظ

(٢) «فلك عقله» أى : ديته إذا قتل

(٣) «تسومونى» تكلفونى ، تقول : سمت الرجل كذا ، إذا كلفته إياه

(٤) «مظاهرة القوم» يريد إعانتهم ، تقول : ظاهر فلان فلانا ، إذا عاونه

(٥) «حقب الأمر» زاد واشتد

(٦) «تنابذ القوم» تركوا ماكان بينهم من عهد

. طالب يهجو من خذله من قبائل قريش

أَلاَ قُلْ لِعَمْرٍو والْوَلِيدِ وَمُطْعِمٍ
أَلاَ لَيْتَ حَظِّى مِنْ حِيَاطَتِكُمْ بَكْرُ (١)
مِنَ الْخُورِ حَبْحَابٌ كَثِيرٌ رُغَاؤُهُ
يُرَشُّ عَلَى السَّاقَيْنِ مِنْ بَوْلِهِ قَطْرُ (٢)
تَخَلَّفَ خَلْفَ الْوِرْدِ لَيْسَ بِلاَحِقٍ
إِذَا مَا عَلاَ الْفَيْفَاءَ قِيلَ لَهُ وَبْرُ (٣)
أَرَى أَخَوَيْنَا مِنْ أَبِينَا وأُمِّنَا
إِذَا سُئِلاَ قَالاَ إِلَي غَيْرِنَا الْأَمْرُ
بَلَى لَهُمَا أَمْرٌ وَلٰكِنْ تَجَرْجَمَا
كَمَا جَرْجَمَتْ مِنْ رَأْسِ ذِى عَلَقٍ صَخْرُ (٤)
أَخُصُّ خُصُوصاً عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً
هُمَا نَبَذَانَا مِثْلَ مَا يُنْبَذُ الْجَمْرُ
هُمَا أَغْمَزَا لِلْقَوْمِ فِى أَخَوَيْهِمَا
فَقَدْ أَصْبَحَا مِنْهُمْ أَكُفُّهُمَا صِفْرُ (٥)

---

(١) يروى «من حياطتكم» كما هنا، ويروى «من حفاظكم» والحفاظ والحفيظة: الغضب، وخصه بعضهم بالغضب فى الحرب، والبكر: الفتى من الابل

(٢) الخور: جمع أخور، وهو الضعيف؛ و «حبحاب» يروى بالحاء المهملة، ومعناه القصير، ويروى بالجيم، ومعناه فى الأصل الكثير الكلام، فاستعاره هنا للكثير الرغاء، ويروى بالخاء المعجمة، ومعناه الضعيف

(٣) الفيفاء: الأرض القفر، ووبر: دويبة على قدر الهرة

(٤) تجرجما: سقطا وانحدرا، تقول: تجرجم الشىء، إذا سقط؛ وذو علق: جبل فى ديار بنى أسد

(٥) أغمزا: طعنا. والصفر: الخالى

همَا أَشْرَكَا فِي الْمَجْدِ مَنْ لاَ أَبَالَهُ
مِنَ النَّاسِ إلاَّ أَنْ يُرَسَّ لَهُ ذِكْرُ (١)
وَتَيْمٌ وَمَخْزُومٌ وَزُهْرَةُ مِنْهُمُ
وَكَانُوا لَنَا مَوْلًي إِذَا بُغِيَ النَّصْرُ
فَوَاللهِ لاَ تَنْفَكُّ مِنَّا عَدَاوَةٌ
وَلاَ مِنْهُمُ مَا كَانَ مِنْ نَسْلِنَا شَفْرُ (٢)
فَقَدْ سَفُهَتْ أَحْلاَمُهُمْ وَعُقُولُهُمْ
وَكَانُوا كَجَفْرٍ بِئْسَ مَا صَنَعَتْ جَفْرُ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما

قال ابن إسحق : ثم إن قريشا تَذَامَرُوا بينهم على مَنْ فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه ؛ فوثبت كلُّ قبيلة على من فيهم من المسلمين : يعذبونهم ، ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعمه أبى طالب ، وقد قام أبوطالب — حين رأى قريشا يصنعون مايصنعون — فى بنى هاشم وبنى المطلب فدعاهم إلى ماهو عليه مِنْ مَنْع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى مادعاهم إليه ، إلا ما كان من أبى لَهَب عَدُوِّ الله الملعون

أبوطالب يمنع رسول الله ويدعو لذلك قومه فيجيبونه

فلما رأى أبو طالب من قومه ماسَرَّه فى جَهْدهم معه وحَدَبِهم عليه ،

---

(١) « يرس له ذكر » معناه أن يذكر ذكرا خفيفا ، وتقول : رسست الحديث ، إذا حدثت به فى خفاء

(٢) «شفر» أى : أحد ، يقال : مابالدار أحد ، وما بها شفر ، ومابها كتيع ، وما بها عريب ، وما بها نافخ ، كل ذلك بمعنى

جَعَل يمدحهم ، ويذكر قديمهم ، ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، ومكانه منهم ؛ ليشد لهم رأيهم ، وليَحْدبوا معه على أمره ، فقال : —

أبو طالب يمدح من وافقه على منع رسول الله ويذكر فضل النبي

إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْماً قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ فَعَبْدُ مَنَافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا (١)

فَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عَبْدِ مَنَافِهَا فَفِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا (٢)

وَإِنْ فَخَرَتْ يَوْماً فَإِنَّ مُحَمَّدًا هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمُهَا

تَدَاعَتْ قُرَيْشٌ غَثُّهَا وَسَمِينُهَا
عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ وَطَاشَتْ حُلُومُهَا (٣)

وَكُنَّا قَدِيماً لاَ نُقِرُّ ظُلاَمَةً
إِذَا مَاثَنَوْا صُعْرَ الْخُدُودِ نُقِيمُهَا (٤)

وَنَحْمِي حِمَاهَا كُلَّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ
وَنَضْرِبُ عَنْ أَحْجَارِهَا مَنْ يَرُومُهَا (٥)

---

(١) « سرها وصميمها » أى : خالصها وكريمها ، يقال : فلانٌ من سر قومه : أى من خيارهم ولبابهم وأشرافهم

(٢) « أشراف عبد منافها » وفى رواية « أنساب عبد منافها »

(٣) « غثها وسمينها » أصل الغث اللحم الضعيف ، فاستعاره هنا لمن ليس نسبه هنالك ، والسمين : مقابله أصلا واستعارة ، وأراد أنها اجتمعت كلها ، و « طاشت حلومها » أى : ذهبت عقولها

(٤) « ثنوا » عطفوا ، و « صعر » جمع أصعر ، وهو المائل ، يقال : صعر خده ، إذا أماله إلى جهة كما يفعل المتكبر ، وفى التنزيل : (ولا تصعر خدك للناس)

(٥) « ونضرب عن أحجارها » يريد ندفع عن حوزتهم ومواضعهم المانعة لهم ، ويروى بتقديم الجيم على المهملة وعكسه

بِنَا انْتَعَشَ الْعُودُ الَّذَوَاءُ وَإِنَّمَا ... بِأَكْنَافِنَا تَنْدَى وَتَنْمِي أُرُومُهَا(١)

الوليد بن المغيرة وقريش يتناقشون فى أمر النبي

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سِنٍّ فيهم ، وقد حضر المَوْسِمُ ، فقال لهم : يامعشرَ قريشٍ ، إنه قد حَضَر هذا الموسمُ ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأَجمِعوا فيه رأيا واحدًا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويَرُدَّ قولكم بعضُه بعضاً ، قالوا : فأنت ياأبا عبد شمس فَقُلْ وأَقِمْ لنا رأيا نَقُلْ به ، قال : بل أنتم فقولوا أَسْمَعْ ؛ قالوا : نقول : كاهن ، قال: لا والله، ماهو بكاهن ، لقد رأينا الكُهَّانَ فما هو بزَمْزَمَة(٢) الكاهن ولا سَجْعه قالوا : فنقول : مَجْنُون ، قال : ماهو بمجنون ، لقد رأينا الجُنُونَ وعرفناه فما هو بخَنْقِه ولا تَخَالُجِه ولا وَسْوَسته(٣) قالوا : فنقول : شاعر ، قال : ماهو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كلَّه رَجَزَه وهَزَجَه وقَرِيضَه ومَقْبُوضه ومَبْسُوطه(٤) ، فماهو بالشعر ؛ قالوا : فنقول : ساحر ، قال : ماهو بساحر لقد رأينا السحَّار وسِحْرَهم ، فما هو بنَفْثِهم ولا عَقْدِهم(٥) ، قالوا : فما نقول

---

(١) «انتعش» حي وظهرت فيه الخضرة . و«العود الذواء» الذي جفت رطوبته وأثر فيه اليبس . و«الأكناف» النواحي . و«الأرومة» الأصل .

(٢) «زمزمة الكاهن» كلام خفي لا يفهم ، و«سجعه» أن يجعل لكلامه المنثور نهايات كنهايات الشعر .

(٣) الخنق : الاختناق الذي يصيب المجنون ، والتخالج : اختلاج الأعضاء وتحركها عن غير إرادة ، والوسوسة : ما يلقيه الشيطان فى نفس الانسان

(٤) هذه كلها أنواع من الشعر

(٥) « بنفثهم ولا عقدهم » هذا إشارة إلى ماكان يفعل الساحر ؛ إذ كان يأخذ خيطا فيعقده ثم ينفث عليه ، ومن ذلك قوله تعالى : (ومن شر النفاثات فى العقد) أراد الساحرات

يا أبا عبد شمس ؟؟ قال : والله إنَّ لقوله لَحَلاَوةً وإن أصله لَعَذَق وإن فَرْعَه لَجَنَاة (١) (قال ابن هشام : ويقال لَغَدَق) وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلاَّ عُرِف أنه باطل ، وإنَّ أقرب القول فيه لأَنْ تقولوا هو ساحر جاء بقول هو سحرٌ يُفَرِّق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك : فجعلوا يجلسون بسُبُل (٢) الناس — حين قدموا الموسم — لا يَمُرُّ بهم أحد إلاَّ حَذَّروه إياه ، وذكروا لهم أمره ؛ فأنزل الله تعالى فى الوليد بن المغيرة وفى ذلك من قوله : (٧٤ : ١١ — ١٦) : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) أى : خصيما

قال ابن هشام : عنيد : معاند مخالف ، قال رؤبة بن العجاج : —

* وَنَحْنُ ضَرَّابُونَ رَأْسَ الْعُنَّدِ (٣) *

وهذا البيت فى أرجوزة له

(٧٤ : ١٧ — ٢٣) : (سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ)

قال ابن هشام : بسر : كره وجهه . قال العجاج : —

---

(١) «العذق» العذق : الكثير الشعب والأطراف . ومن رواه غدق بالغين المعجمة والدال المهملة — فمعناه كثير الماء . ومنه قوله تعالى : (ماء غدقا) وقوله «لجناة» أى : فيه ثمر يجنى ، ومنه قول الراجز : —

هَذَا جَنَايَ وَخِيَارُهُ فِيهْ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهْ

(٢) السبل : طرق الناس ، واحدها سبيل

(٣) أصل العند أن يكون جمعا لعاند ، مثل راكع وركع ، ولكنهم أماتوا المفرد وأبقوا جمعه

* مُضْبَرُ اللَّحْيَيْنِ بَسْرًا مِنْهَسَا [١] *

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت فى أرجوزة له

(٧٤ : ٢٣ ـ ٢٥) : (ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هٰذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هٰذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ)

قال ابن إسحق : وأنزل الله تعالى فى رسوله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى و فى النفر الذين كانوا معه يُصَنِّفُون القول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى (١٥ ـ ٩٠ ـ ٩٣) : (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) أى : أصنافا (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

قال ابن هشام : واحدة العضين عِضَةٌ . يقول : عَضَّوْهُ : فرّقوه [٢] قال رؤبة بن العجاج : —

* وليس دِينُ اللهِ بالمُعَضَّى *

وهذا البيت فى أرجوزة [٣] له

---

(١) «مضبر» أى : شديد الخلق . واللحيان : العظمان اللذان فى وجهه ، واحدهما لحى ، بفتح فسكون . والمنهس : الكثير النهس ؛ وهو العض ، والأرجوزة سينية ثابتة فى ديوان رجزه (ص ٣١ - ٣٣)

(٢) هذا أحد وجهين فى هذه الكلمة ، وحاصله أن لام عضة المحذوفة أصلها واو ، وذلك لأنهم وجدوا العضو الذى هو واحد أعضاء الانسان واوى اللام ، ووجدوا العرب تجمع عضة على عضوات ، ووجدوا مثل قول العجاج يدل على ملاحظة هذا الاشتقاق . والرأى الثانى أن لام العضة المحذوفة هاء ، وأصلها عضهة ، وقد بسطنا القول على هذين الرأيين وشرحناهما بأدلتهما شرحا وافيا فى كتابتنا على شرح الأشمونى

(٣) هى أرجوزة ثابتة فى ديوان أراجيزه (ص ٧٩ - ٨١) وفيها البيت الذى استشهد به

قال ابن إسحق : فجعل أولئك النفر يقولون ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لَقُوا من الناس ، وصَدَرَت العرب من ذلك المَوسِم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها

أبو طالب يعتب على قريش ويخبرهم أنه غير مسلم النبى لهم

فلما خشى أبو طالب دَهْمَاء العرب[1] أن يركبوه مع قومه ، قال : قصيدته التى تَعَوَّذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتَوَدَّدَ فيها أشرافَ قومه ، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم فى ذلك من شعره أنه غير مُسْلِمٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تاركه لشىء أبدا ، حتى يهلك دونه ، فقال أبو طالب : ـ

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لاَوُدَّ فِيهِمُ ... وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ[2]
وَقَدْ صَارَحُونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى ... وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمُزَايِلِ
وَقَدْ حَالَفُوا قَوْماً عَلَيْنَا أَظِنَّةً ... يَعَضُّونَ غَيْظاً خَلْفَنَا بِالْأَنَامِلِ[3]
صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ
وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تُرَاثِ الْمَقَاوِلِ[4]
وأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي
وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ[5]

---

(١) دهماء العرب : عامتهم وجماعتهم

(٢) الوسائل : جمع وسيلة ، وهى القربة . وتقول : وسل فلان إلى فلان وسيلة ، إذا تقرب إليه ، والوسيلة أيضا : المنزلة عند الملك

(٣) أظنة : جمع ظنين ، وهو المتهم ، والأنامل : جمع أنملة ، وهى طرف الأصبع

(٤) « سمراء سمحة » أراد بها قناة لينة تسمح بالانعطاف عند هزها ، والعضب : القاطع ، والمقاول : أراد بهم السادات ، وأصله الذى يخلف الملك عند حمير

(٥) الوصائل : ثياب حمر فيها خطوط كان البيت يكسى بها

قِيَاماً مَعاً مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَهُ
لَدَى حَيْثُ يَقْضِي حَلْفَهُ كُلُّ نَافِلِ (١)
وَحَيْثُ يُنِيخُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ
بِمُفْضَى السُّيُولِ مِن إِسَافٍ ونَائِلِ (٢)
مُوَسَّمَةُ الْأَعْضَادِ أَوْ قَصَرَاتِهَا مُخَيَّسَةٌ بَيْنَ السَّدِيسِ وَبَازِلِ (٣)
تَرَى الْوَدْعَ فِيهَا وَالرُّخَامَ وزِينَةً بِأَعْنَاقِهَا مَعْقُودَةً كَالْعَثَاكِلِ (٤)
أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلِ
وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَي لَنَا بِمَعِيبَةٍ وَمِنْ مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ مَالَمْ نُحَاوِلِ
وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيراً مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ (٥)

---

(١) «كل نافل» يعني كل متبرىء، يقال: انتفل من كذا، إذا تبرأ منه، فاستعمل اسم الفاعل من الثلاثي المجرد، وقال الأعشى أعشى قيس: ـ

لَاتَلْقَنَا عَنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ نَنْتَفِلُ

(٢) سبق ذكر هذا البيت: فانظر (ص ٨٦)

(٣) موسمة: يعني معلمة، تقول: وسمه، إذاعلمه، والسمة: العلامة. والقصرات: أصول الأعناق، واحدتها قصرة، ومخيسة: مذللة، والسديس من الابل: الذى دخل فى سنته الثامنة، والبازل: الذى خرج نابه، وذلك فى السنة التاسعة

(٤) الودع: الخرز، وفيها: أى فى أعناقها، والعثاكل: الأغصان التى ينبت عليها التمر، واحدها عثكال وعثكول، وكان حق الجمع أن يكون عثاكيل، لحذف الياء تخفيفا

(٥) ثور وثبير وحراء: جبال فى مكة

وَبِالْبَيْتِ حَقِّ الْبَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةٍ
وَبِاللهِ إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِغَافِلِ
وَبِالْحَجَرِ الْمُسْوَدِّ إِذْ يَمْسَحُونَهُ إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ (١)
وَمَوْطِىءِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً
عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِياً غَيْرَ نَاعِلِ
وَأَشْوَاطِ بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ إِلَي الصَّفَا وَمَا فِيهِمَا مِنْ صُورَةٍ وَتَمَاثِلِ (٢)
وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاجِلِ
وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ
إِلَالٍ إِلَي مُفْضَى الشِّرَاجِ الْقَوَابِلِ (٣)

---

(١) اكتنفوه : أي أحاطوا به ، وروى كثفوه ، ومعناه ازدحموا حوله ، مأخوذ من الشيء الكثيف ، وهو الملتف

(٢) الأشواط : جمع شوط ، وهو الجرى إلى الغاية مرة ، وأراد بالأشواط هنا السعي بين الصفا والمروة . والتماثيل : الصور ، واحدها تمثال ، وأسقط الياء هنا كما أسقطها فى العثاكل

(٣) «إلال» فى القاموس : «وكسحاب وكتاب جبل بعرفات ، أوجبل رمل عن يمين الامام بعرفة » اه وقال ياقوت بعد ذكر ذلك : « وقيل : إلال جبل عرفة نفسه ، قال النابغة الذبيانى :-

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهْوَ طَائِعُ
بِمُصْطَحِبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وَثَبْرَةٍ يَزُرْنَ أَلَالاً سَيْرُهُنَّ التَّدَافُعُ

وقال الزبير بن بكار : إلال هو البيت الحرام ، والأول أصح » اه كلامه . والشراج : مسايل الماء في الحرة ، والقوابل : التى يقابل بعضها بعضاً ، ويقال : هى رءوس السواقى .

وَتَوْقَافِهِمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةً يُقِيمُونَ بِالْأَيْدِى صُدُورَ الرَّوَاحِلِ (١)
وَلَيْلَةِ جَمْعٍ وَالْمَنَازِلِ مِنْ مِـــنًى
وَهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ
وَجَمْعٍ إِذَا مَا الْمُقْرَبَاتُ أَجَزْنَهُ
سِرَاعًا كَمَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَقْعِ وَابِلِ (٢)
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى إِذَا صَمَدُوا لَهَا
يَؤُمُّونَ قَذْفًا رَأْسَهَا بِالْجَنَادِلِ (٣)
وَكِنْدَةَ إِذْ هُمْ بِالْحِصَابِ عَشِيَّةً
تُجِيزُ بِهِمْ حُجَّاجُ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ (٤)
حَلِيفَانِ شَدَّا عَقْدَ مَا احْتَلَفَا لَهُ وَرَدَّا عَلَيْهِ عَاطِفَاتِ الْوَسَائِلِ
وَحَطْمِهِمُ سُمْرَ الرِّمَاحِ وَسَرْحَهُ وَشِبْرِقَهُ وَخْدَ النَّعَامِ الْجَوَافِلِ (٥)

---

(١) توقافهم : أى وقوفهم . والرواحل : جمع راحلة

(٢) المقربات : الخيل التى تقرب مرابطها من البيوت لكرمها . والوابل : المطر الشديد

(٣) صمدوا : قصدوا

(٤) الحصاب : موضع رمى الجمار ، مأخوذ من الحصباء وأصل الحصاب مصدر فنقل إلى المكان

(٥) الحطم : الكسر ، والسمر : يحتمل أن يكون أصله سمرا ـ بفتح فضم ـ وهو من شجر الطلح ، ثم نقل حركة العين إلى الفاء بعد سلب حركتها فصار بضم فسكون ، وأن يكون جمع أسمر أو سمراء ، والرماح : جمع رمح ويروى فى مكانه الصفاح ، وهو جمع صفح ، وهو عرض الجبل ، ويقال : أسفله حيث يسيل ماؤه . وعندنا أن من روى « سمر الصفاح » فالسمر عنده على المعنى الأول ، ومن روى « سمر الرماح » فالسمر عنده على المعنى الثانى والسرح : شجر ، والشبرق : نبات ، والوخد : السير السريع ، والجوافل : الذاهبة المسرعة ، واحدتها جافلة

فَهَلْ بَعْدَ هٰذَا مِنْ مَعَاذٍ لِعَائِذٍ وَهَلْ مِنْ مُعِيذٍ يَتَّقِي اللّهَ عَاذِلِ
يُطَاعُ بِنَا أَمْرُ الْعِدَا وَدَّ أَنَّنَا تُسَدُّ بِنَا أَبْوَابُ تُرْكٍ وَكَابُلِ (١)
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللّهِ نَتْرُكُ مَكَّةَ وَنَظْعَنُ إِلاَّ أَمْرُكُمْ فِي بَلاَبِلِ (٢)
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللّهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا وَلَمَّا نُطَاعِنْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ (٣)
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ وَنُذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلاَئِلِ (٤)
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ إِلَيْكُمُ نُهُوضَ الرَّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلاَصِلِ (٥)

---

(١) يروى هذا البيت كما ترى ، وضمير « ود » حينئذ يعود إلى واحد العدى ، أى : كل واحد منهم ود أننا — الخ ، ويروى هكذا : —

* يُطَاعُ بِنَا الْعُدَّى وَوَدُّوا لَوَ أَنَّنَا *

والعدى : جمع عاد ، وهو اسم فاعل من عدا يعدو ، وجمع معتل اللا. يجيء كثيرا على هذا نحو غاز وغزى وعاف وعفى ، قال أبوذر : « والعدى جمع عاد من عدا عليه يعدو ، كما قالوا : غاز وغزى وعاف وعفى » اه ، وترك وكابل : جيلان من العجم

(٢) بلابل : هى وساوس الهموم ، واحدها بلبال ، ويروى « أمركم فى تلاتل » أى : فى حركة واضطراب

(٣) نبزى : أى نغلب عليه ونسلبه ، ونناضل : أى نرامى بالسهام

(٤) الحلائل : الزوجات ، واحدتها حليلة

(٥) الروايا : الابل التى تحمل الماء ، واحدتها راوية ، والصلاصل : جمع صلصلة ، وهى الصوت ، وذات الصلاصل : المزادات التى فيها بقية من الماء يسمع لها صوت حين تسير الابل

وَحَتَّى نَرَى ذَا الضِّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ
مِنَ الطَّعْنِ فِعْلَ الْأَنْكَبِ الْمُتَحَامِلِ (١)
وَإِنَّا لَعَمْرُ اللهِ إِنْ جَدَّ مَا أَرَى لَتَلْتَبِسًا أَسْيَافُنَا بِالْأَمَاثِلِ
بِكَفَّيْ فَتًى مِثْلِ الشِّهَابِ سَمَيْدَعٍ
أَخِي ثِقَةٍ حَامِي الْحَقِيقَةِ بَاسِلِ (٢)
شُهُورًا وَأَيَّامًا وَحَوْلاً مُجَرَّمًا عَلَيْنَا وَتَأْتِي حِجَّةٌ بَعْدَ قَابِلِ (٣)
وَمَا تَرْكُ قَوْمٍ — لاَ أَبَالَكَ — سَيِّدًا
يَحُوطُ الذِّمَارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مُوَاكِلِ (٤)
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ
ثِمَالَ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ (٥)
يَلُوذُ بِهِ الْهُلاَّكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْرَى أَسِيدٌ وَبَكْرُهُ إِلَى بُغْضِنَا ، وَجَزَّآنَا لِآكِلِ

---

(١) الضغن : العداوة ؛ ويقال : ركب ردعه ، إذا خر صريعا لوجهه ، والأنكب : الذى يمشى على شق

(٢) سميدع : سيد ، وباسل : شجاع كريه

(٣) حولا مجرما : أى مكملا ، تقول : تجرمت السنة ، إذا كملت وانقضت

(٤) الذمار : ما يلزمك أن تحميه ، وذرب : فاسد ، ومواكل : يتكل على غيره

(٥) ثمال اليتامى : أى قائما بأمرهم غياثا لهم

وَعُثْمَانُ لَمْ يَرْبَعْ عَلَيْنَا وَقُنفُذٌ
وَلَـٰكِنْ أَطَاعَا أَمْرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ (١)

أَطَاعَا أُبَيًّا وَابْنَ عَبْدِ يَغُوثِهِمْ وَلَمْ يَرْقُبَا فِينَا مَقَالَةَ قَائِلِ
كَمَا قَدْ لَقِينَا مِنْ سُبَيْعٍ وَنَوْفَلٍ وَكُلٌّ تَوَلَّى مُعْرِضًا لَمْ يُجَامِلِ

فَإِنْ يُلْفَيَا أَوْ يُمْكِنِ اللهُ مِنْهُمَا
نَكِلْ لَهُمَا صَاعًا بِصَاعِ الْمُكَايِلِ (٢)

وَذَاكَ أَبُو عَمْرٍو أَبَى غَيْرَ بُغْضِنَا لِيُظْعِنَنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ (٣)
يُنَاجِي بِنَا فِي كُلِّ مُمْسًى وَمُصْبَحٍ فَنَاجِ أَبَا عَمْرٍو بِنَا ثُمَّ خَاتِلِ (٤)
وَيُؤْلِي لَنَا بِاللهِ مَا إِنْ يَغُشُّنَا بَلَى قَدْ نَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ حَائِلِ (٥)

أَضَاقَ عَلَيْهِ بُغْضُنَا كُلَّ تَلْعَةٍ
مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَخْشَبٍ فَمَجَادِلِ (٦)

---

(١) لم يربع : لم يعطف ، وستقف على حقيقة هذه الأعلام فى كلام المؤلف

(٢) «فإن يلفيا» مبنى للمجهول من ألفيته إذا وجدته ، وفى نسخة «فإن يلقيا» بالقاف ، وهو مبنى للمعلوم ، والمراد فإن يلقيا عنهما العناد والمبادأة بالشر ، ويلزمه أن يطيعا ويخضعا ، و«نكل» مضارع كاله يكيله

(٣) الجامل : اسم لجماعة الجمال ، ومثله الباقر اسم لجماعة البقر

(٤) «خاتل» من الختل ، وهو الخداع والغدر

(٥) «يؤلى» أى : يحلف ويقسم ، والألية : اليمين

(٦) التلعة : المشرف المرتفع من الأرض ، وهى أيضا مسيل الماء من حروف الوادى إلى وسطه ، والأخشب يروى فى هذا البيت بضم الشين ، وعلى هذه الرواية شرح أبو ذر ، قال : «والأخشبان : جبلان بمكة ، لجمعهما مع

وسائلْ أبا الْوَلِيدِ ماذا حَبَوْتَنَا بسَعْيِكَ فينا مُعْرِضًا كالْمُخاتِلِ
وكُنْتَ امْرَأً مِمَّن يُعاشُ بِرَأْيِهِ وَرَحْمَتِهِ فينا وَلَسْتَ بِجَاهِلِ
فَعُتْبَةُ ، لاَ تَسْمَعْ بِنَا قَوْلَ كَاشِحٍ
حَسُودٍ كَذُوبٍ مُبْغِضٍ ذِي دَغَاوِلِ[1]
وَمَرَّ أَبُو سُفْيَانَ عَنِّيَ مُعْرِضاً كَمَا مَرَّ قَيْلٌ مِنَ عِظَامِ الْمَقَاوِلِ
يَفِرُّ إِلَى نَجْدٍ وَبَرْدِ مِيَاهِهِ وَيَزْعُمُ أَنِّي لَسْتُ عَنْكُمْ بِغَافِلِ[2]
وَيُخْبِرُنَا فِعْلَ الْمُنَاصِحِ أَنَّهُ شَفِيقٌ وَيُخْفِي عَارِمَاتِ الدَّوَاخِلِ[3]
أَمُطْعِمُ ، لَمْ أَخْذُلْكَ فِي يَوْمِ نَجْدَةٍ
وَلاَ مُعْظِمٍ عِنْدَ الْأُمُورِ الْجَلاَئِلِ
وَلاَ يَوْمِ خَصْمٍ إِذْ أَتَوْكَ أَلِدَّةٍ
أُولِي جَدَلٍ مِنَ الْخُصُومِ الْمَسَاجِلِ[4]

ما اتصل بهما على غير قياس ، وقياسه الأخاشب » اه ، ويروى بفتح الشين ، قال أبو ذر أيضا : « ومن رواه بفتح الشين فقد أفرده ومراده به التثنية لشهرة الأخشبين » اه ، والمجادل : القصور والحصون فى رءوس الجبال

(١) كاشح : عدو ، والدغاول : الأمور الفاسدة

(٢) نجد : هو ما ارتفع من بلاد الحجاز

(٣) عارمات : يروى بالراء المهملة وبالزاى الموحدة ، قال أبو ذر : « من رواه بالراء فمعناه الشديدات ، ومن رواه بالزاى فهى التى عزم على إنفاذها ، والدواخل - بالدال المهملة والخاء - النمائم والافساد بين الناس ، ويروى الذواحل - بالذال المعجمة والحاء المهملة - وهى العداوات ، مأخوذ من الذحل ، وهو طلب الثأر » اه كلامه

(٤) المساجل : يروى بالجيم الموحدة وبالحاء المهملة : فمن رواه بالجيم فمعناه الذين يعارضونه فى الخصومة ويغالبونه ، وأصله من المساجلة ، وهى

أَمُطْعِمُ ، إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوكَ خُطَّةً
وَإِنِّى مَتَى أُوكَلْ فَلَسْتُ بِوَائِلِ (١)

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً
عُقُوبَةَ شَرٍّ عَاجِلاً غَيْرَ آجِلِ

بِمِيزَانِ قِسْطٍ لاَ يُخِسُّ شَعِيرَةً
لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ (٢)

لَقَدْ سَفِهَتْ أَحْلاَمُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا بَنِي خَلَفٍ قَيْضًا بِنَا وَالْغَيَاطِلِ (٣)
وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ وَآلِ قُصَيٍّ فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ

وَسَهْمٌ وَمَخْزُومٌ تَمَالَوْا وَأَلَّبُوا
عَلَيْنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ طِمْلٍ وَخَامِلِ (٤)

فَعَبْدَ مَنَافٍ ، أَنْتُمُ خَيْرُ قَوْمِكُمْ فَلاَ تُشْرِكُوا فِي أَمْرِكُمْ كُلَّ وَاغِلِ (٥)

أن يأتى الرجل بمثل ما أتى به صاحبه ، ومن رواه بالحاء فهم الخطباء البلغاء ، واحدهم مسحل

(١)ساموك : أى كلفوك ، ولست بوائل : أى لست بناج ، يقال : ما وأل من كذا ، أى : ما نجا منه

(٢) لا يخس : أى لا ينقص ، ويروى «لا يخيس» من قولهم : خاس بالعهد ، إذا نقضه وأفسده ، وعائل : أى جائر

(٣) انظر (ص ٢٢٦ من هذا الجزء)

(٤) الطمل : الرجل الفاحش لايبالى ماصنع ، واللئيم ، والأحمق ، واللص الفاسق

(٥) «كل واغل» أراد كل ملصق بكم ليس من صميمكم ، وأصل الواغل الداخل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعى

لَعَمْرِي لَقَدْ وَهَنْتُمُ وَعَجَزْتُمُ
وَجِئْتُمْ بِأَمْرٍ مُخْطِيءٍ لِلْمَفَاصِلِ (١)
وَكُنْتُمْ حَدِيثاً حَطْبَ قِدْرٍ وَأَنْتُمُ أَلآنَ حِطَابُ أَقْدُرٍ وَمَرَاجِلِ (٢)
لِيَهْنِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ عُقُوقُنَا
وَخِذْلاَنُنَا وَتَرْكُنَا فِي الْمَعَاقِلِ (٣)
فَإِنْ نَكُ قَوْمًا نَتَّئِرْ مَا صَنَعْتُمْ وَتَحْتَلِبُوهَا لِقْحَةً غَيْرَ بَاهِلِ (٤)
وَسَائِطُ كَانَتْ فِي لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ نَفَاهُمْ إِلَيْنَا كُلُّ صَقْرٍ حُلاَحِلِ
وَرَهْطُ نُفَيْلٍ شَرُّ مَنْ وَطِىءَ الْحَصَى
وَأَلْأَمُ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِلِ
فَأَبْلِغْ قُصَيًّا أَنْ سَيُنْشَرُ أَمْرُنَا
وَبَشِّرْ قُصَيًّا بَعْدَنَا بِالتَّخَاذُلِ
وَلَوْ طَرَقَتْ لَيْلاً قُصَيًّا عَظِيمَةٌ إِذًا مَالَجَأْنَا دُونَهُمْ فِي الْمَدَاخِلِ
وَلَوْ صَدَقُوا ضَرْبًا خِلاَلَ بُيُوتِهِمْ
لَكُنَّا أُسًى عِنْدَ النِّسَاءِ الْمَطَافِلِ (٥)

---

(١) « مخطىء للمفاصل » يريد أنه لايوافق صواب الأمور

(٢) المراجل : القدور ، واحدها مرجل ، وخصه بعض أهل البصر باللغة بالقدور إذا كانت من نحاس

(٣) « ليهن ـ الخ » دخله الكف ، وهو حذف السابع من مفاعيلن فى قوله « بنى عبد » وهو قبيح عند الخليل

(٤) « نتئر ماصنعتم » أى : نأخذ بثأرنا منكم ، ويروى « نبتئر » ومعناه ندخره ونحتفظ به حتى ننتصف منكم ؛ تقول : ابتأرت الشىء ، إذا خبأته وادخرته . واللقحة : الناقة ذات اللبن ، و« غير باهل » تقول : ناقة باهل : أى غير مصرورة مباحة لكل حالب

(٥) أسى : جمع أسوة ، وهى القدوة ، يريد لاقتدى بعضنا ببعض ، والمطافل : جمع مطفل ، وهى التى لها طفل

فَكُلُّ صَدِيقٍ وَابْنِ أُخْتٍ نَعُدُّهُ ... لَعَمْرِى وَجَدْنَا غِبَّهُ غَيْرَ طَائِلِ

سِوَى أَنَّ رَهْطاً مِنْ كِلاَبِ بْنِ مُرَّةٍ
بَرَاءٌ إِلَيْنَا مِنْ مَعَقَّةِ خَاذِلِ (١)

وَهَنَّا لَهُمْ حَتَّى تَبَدَّدَ جَمْعُهُمْ ... وَيَحْسُرَ عَنَّا كُلُّ بَاغٍ وَجَاهِلِ

وَكَانَ لَنَا حَوْضُ السِّقَايَةِ فِيهِمُ
وَنَحْنُ الْكُدَى مِنْ غَالِبٍ وَالْكَوَاهِلِ (٢)

شَبَابٌ مِنَ الْمُطَيَّبِينَ وَهَاشِمٍ
كَبِيضِ السُّيُوفِ بَيْنَ أَيْدِى الصَّيَاقِلِ

فَمَا أَدْرَكُوا ذَحْلاً وَلاَ سَفَكُوا دَماً
وَلاَ حَالَفُوا إِلاَّ شِرَارَ الْقَبَائِلِ

بِضَرْبٍ تَرَى الْفِتْيَانَ فِيهِ كَأَنَّهُمْ
ضَوَارِى أُسُودٍ فَوْقَ لَحْمٍ خَرَادِلِ (٣)

بَنِى أَمَةٍ مَحْبُوبَةٍ هِنْدِكِيَّةٍ ... بَنِى جُمَحٍ عُبَيْدِ قَيْسِ بْنِ عَاقِلِ (٤)

---

(١) براء ـ بفتح الباء ـ مصدر مثل سلام ، ولهذا يوصف به الواحد والاثنان والجمع ، تقول : رجل براء ، وامرأة براء ، ورجلان براء ، ورجال براء ، وهو بكسر الباء جمع برىء ، مثل كريم وكرام وطويل وطوال ، ولا يوصف به حينئذ إلا الجمع . والمعقة : العقوق ، والخاذل : ضد الناصر

(٢) الكدى : جمع كدية ـ بضم الكاف فيهما ـ وهى فى الأصل الصفاة الشديدة ، وأراد أنهم مثلها فى العز والامتناع . والكواهل : جمع كاهل ، والمراد به سند القوم الذى يرجعون فى أمورهم إليه

(٣) «خرادل» أى : قطع عظيمة

(٤) قال فى القاموس : «رجل هندكى ـ بكسر الهاء والدال ـ من أهل الهند ، وليس من لفظه لأن الكاف ليست من حروف الزيادة» اهـ

وَلَـكِنَّنَا نَسْلٌ كِرَامٌ لِسَادَةٍ بِهِمْ نُعِيَ الأَقْوَامُ عِنْدَ الْبَوَاطِلِ
وَنِعْمَ ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ غَيْرَ مُـكَذَّبٍ
زُهَيْرٌ حُسَامًا مُفْرَدًا مِنْ حَمَائِلِ
أَشَمُّ مِنَ الشُّمِّ الْبَهَالِيلِ يَنْتَمِي
إِلَى حَسَبٍ فِي حَوْمَةِ الْمَجْدِ فَاضِلِ (١)
لَعَمْرِي لَقَدْ كَلِفْتُ وَجْدًا بِأَحْمَدٍ وَإِخْوَتِهِ دَأْبَ الْمُحِبِّ الْمُوَاصِلِ (٢)
فَلاَ زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالاً لِأَهْلِهَا وَزَيْنًا لِمَنْ وَالاَهُ رَبُّ الْمَشَاكِلِ
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مُؤَمَّلٍ إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ
حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ يُوَالِي إِلٰهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ
فَوَاللهِ لَوْلاَ أَنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ تَجُرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ
لَـكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لاَ مُـكَذَّبٌ لَدَيْنَا وَلاَ يُعْنَى بِقَوْلِ الأَبَاطِلِ
فَأَصْبَـحَ فِينَا أَحْمَدٌ فِي أَرُومَةٍ تُقَصِّرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ (٣)
حَدِبْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمَيْتُهُ
وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَا وَالْـكَلاَكِلِ (٤)
فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ وَأَظْهَرَ دِينًا حَقُّهُ غَيْرُ بَاطِلِ

---

(١) أشم : أى عزيز ؛ والبهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد

(٢) كلفت : أولعت

(٣) « سورة المتطاول » يروى بضم السين وبفتحها ؛ فمن رواه بضمها فالسورة المنزلة ، ومن رواه بفتحها فالسورة الشدة والبطش

(٤) حدبت : عطفت ومنعت ، والذرا : جمع ذرة ، وهى أعلى ظهر البعير ، والكلاكل : جمع كلكل ، وهو معظم الصدر

رِجَالٌ كِرَامٌ غَيْرُ مِيلٍ نَمَاهُمُ ... إِلَى الْخَيْرِ آبَاءٌ كِرَامُ الْمَحَاصِلِ

فَإِنْ تَكُ كَعْبٌ مِنْ لُؤَيٍّ صُقَيْبَةً ... فَلَا بُدَّ يَوْمًا مَرَّةً مِنْ تَزَايُلِ

قال ابن هشام : هذا ماصح لى من هذه القصيدة ، و بعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها

رسول الله يستسقى لأهل المدينة فيسقيهم الله فيتمنى أن أبا طالب حى

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به ، قال : أقحط أهلُ المدينة ، فأتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فشَكَوْا ذلك إليه ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، فاستسقى . فما لبث أن جاء من المطر ماأتاه أهل الضواحى (١) يَشْكون منه الغرق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا » فانجاب السحاب (٢) عن المدينة ، فصار حواليها كالأكليل (٣) ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أَدْرَكَ أَبُو طَالِبٍ هٰذَا الْيَوْمَ لَسَرَّهُ » فقال له بعض أصحابه : كأنك يارسول الله أردت لقوله : ـ

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالَ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ

قال : « أجل »

ترجمة الاعلام التى ذكرها أبو طالب فى قصيدته

قال ابن هشام : وقوله « وشِبْرِقَهْ » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : والغياطل من بنى سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص ؛ وأبو سفيـــان : ابن حرب بن أمية ، ومطعم : ابن عدى بن نوفل بن

---

(١) « أهل الضواحى » أراد بهم أهل البادية ، وإنما قيل لهم ذلك لأنهم فى الغالب ليس لهم جدران يستترون بها ، وهم بارزون للشمس ، من قولهم : ضحى الرجل يضحى . إذا ظهر للشمس

(٢) « انجاب السحاب » انقطع بعضه عن بعض

(٣) الأكايل : خيط منظوم ، ومنه يقال : تكلل السحاب ، إذا علا بعضه بعضا واتصل

عبد مناف ، وزهير : ابن أبي أُمَيَّة بن المُغيرة بن عبدالله بن عُمَر بن مَخزوم وأمُّهُ عاتكة بنت عبد المطلب

قال ابن إسحق : وأَسيدٌ ، وبِكْرُه : عتاب بن أسيد بن أبي العِيص ابن أُمَيَّة بن عَبْد شمس بن عبد مَنَاف بن قصي ، وعثمانُ : ابن عُبَيْداللهِ أخو طَلْحة بن عُبَيْد الله التَيْميّ ، وقُنْفُذ : ابن عُمَير بن جُدْعان بن عَمْرو ابن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرَّة ، وأبو الوليد : عتبة بن ربيعة ، وأُبَيٌّ : الأخنسُ بن شريق الثَّقَفي ، حليف بني زهرة بن كلاب

قال ابن هشام : وإنما سمي الأخنس لأنه خَنَسَ بالقوم يوم بدر ، وإنما اسمه أُبَيٌّ ، وهو من بني عِلاج ؛ وهو عِلاجُ بن أبي سَلَمَة بن عَوْف ابن عُقْبَة(١)

والأسود : ابن عَبْد يَغُوث بن وَهْب بن عَبْد مناف بن زُهْرة بن كِلاب ، وسُبَيْع : ابن خالد ، أخو بَلْحرث بن فِهْر ؛ ونَوْفَل : ابن خُوَيلد ابن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ ، وهو ابن العَدَوِيَّة ، وكان من شياطين قريش ، وهو الذي قَرَنَ بين أبي بكر الصديق وطَلْحة بن عبيد الله ، رضي الله عنهما ، في حَبْل حين أسلما ، فبذلك كانا يسميان القرينين ، قَتَلَهُ عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر ، وأبو عَمْرو : قُرظَة بن عَبْد عَمْرو بن نَوْفَل بن عبد مناف ، و « قوم علينا أظِنَّةٌ » بنو بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة ؛ فهؤلاء الذين عَدَّد أبو طالب في شعره من العرب

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتشر في العرب وبين أهل المدينة

فلما انتشر أمْرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العرب ، وبلغ البُلْدان ذُكِرَ بالمدينة ، ولم يكن حيٌّ من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين ذُكر ، وقبل أن يذكر — من هذا الحي من الأوس والخزرج ، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود ، وكانوا لهم حُلَفاء ومعهم

(١) في نسخة « بن عقدة »

فى بلادهم ، فلما وقع ذكره بالمدينة وتحدَّثوا بما بَيْنَ قُرَيش فيه من الاختلاف قال أبو قَيْس بن الأسْلَت أخو بنى وَاقِفٍ

نسب أبى قيس ابن الاسلت

قال ابن هشام : نسب ابن إسحق أبا قيس هذا هنا إلى بنى واقف ، ونسبه فى حديث الفيل (١) إلى خَطْمَةَ ؛ لأن العرب قد تنسب الرجل إلى أخى جده الذى هو أشهر منه

ذكر بعض من نسبوه إلى اخوة جدهم

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة ، أن الحَكَم بن عَمْرو الغِفَارى من ولد نُعَيْلة (٢) أخى غِفـار ، وهو غِفَارُ بْنُ مُلَيْل ، وَنُعَيْلة (٢) : ابن مُلَيْل بن ضَمْرة بن بَكْر بن عبد مَنَاة ، وقد قالوا : عُتْبَة بن غَزْوان السُّلَمى ، وهو من والد مازن بن مَنْصور ، وَسُلَيم : ابن مَنْصور

قال ابن هشام: فأبو قيس بن الأسلت من بنى وائل ، ووائل وواقف وخَطْمة إخوة ، من الأوس

قال ابن إسحق : فقال أبو قيس بن الأسْلَت ، (وكان يحب قريشا ، وكان لهم صِهْراً : كانت عنده أرْنَبُ بنت أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ ، وكان يقيم عندهم السِّنِينَ بامرأته) قصيدةً يعظِّم فيها الحرمة ، وَيَنْهى قريشا فيها عن الحرب ، ويأمرهم بالكفّ بعضهم عن بعض ، ويذكر فَضْلَهم وأحْلامهم ، ويأمرهم بالكَفِّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويُذَكّرهم بَلاءَ الله عندهم ، ودَفْعَه عنهم الفيل وكَيْدَهُ عنهم ؛ فقال : —

يَارَاكِبًا إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَا ... مُغَلْغَلَةً عَنِّى لُؤَىَّ بْنَ غَالِبِ (٣)

---

(١) انظر (ص ٦٠ س ٧ وما بعده) من هذا الجزء

(٢) قال أبو ذر : « نعيلة : روى بالنون وبالثاء المثلثة النقط ، ونعيلة بالنون هو الصواب ، وكذلك قيده الدار قطنى ، وقال : هو مفرد لا نظير له » اهـ

(٣) مغلغلة : رسالة

رَسُولَ امْرِئٍ قَدْ رَاعَهُ ذَاتُ بَيْنِكُمْ
عَلَى النَّأْىِ مَحْزُونٍ بِذَلِكَ نَاصِبِ [١]

وَقَدْ كَانَ عِنْدِى لِلْهُمُومِ مُعَرَّسٌ فَلَمْ أَقْضِ مِنْهَا حَاجَتِي وَمَآرِبِي

نُبَيِّئُكُمْ شَرْجَيْنِ كُلُّ قَبِيلَةٍ
لَهَا أَزْمَلٌ مِنْ بَيْنِ مُذْكٍ وَحَاطِبِ [٢]

أُعِيذُكُمُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ صُنْعِكُمْ وَشَرِّ تَبَاغِيكُمْ وَدَسِّ الْعَقَارِبِ

وَإِظْهَارِ أَخْلَاقٍ وَنَجْوَى سَقِيمَةٍ
كَوَخْزِ الْأَشَافِي وَقْعُهَا حَقُّ صَائِبِ [٣]

فَذَكِّرْهُمُ بِاللهِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ
وَإِحْلَالِ أَحْرَامِ الظِّبَاءِ الشَّوَازِبِ [٤]

وَقُلْ لَهُمُ وَاللهُ يَحْكُمُ حُكْمَهُ:
ذَرُوا الْحَرْبَ تَذْهَبْ عَنْكُمُ فِي الْمَرَاحِبِ [٥]

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً
هِيَ الْغُولُ لِلْأَقْصَيْنَ أَوْ لِلْأَقَارِبِ [٦]

---

(١) ناصب : هو المتعب المعي

(٢) « شرجين » أى : نوعين ، والأزمل : الصوت ، والمذكى : الذى يوقد النار ، والحاطب : الذى يجمع لها الحطب

(٣) الوخز : الطعن ، والأشافى : جمع إشفى ، وهى حديدة يغرز بها الاسكاف

(٤) « أحرام الظباء » التى يحرم صيدها فى الحرم ، والشوازب : الضامرة البطون

(٥) المراحب : المواضع المتسعة

(٦) الغول : أراد بها المنية

تُقَطِّعُ أَرْحَامًا وَتُهْلِكُ أُمَّـةً
وَتَبْرِى السَّدِيفَ مِنْ سَنَامٍ وَغَارِبِ (١)
وَتَسْتَبْدِلُوا بِالْأَتْحَمِيَّةِ بَعْدَهَا
شَلِيلاً وَأَصْدَاءَ ثِيَابَ الْمُحَارِبِ (٢)
وَبِالْمِسْكِ وَالْـكَافُورِ غُبْرًا سَوَابِغًا كَأَنَّ قَتِـيرَيْهَا عُيُونُ الْجَنَادِبِ (٣)
فَإِيَّاكُمُ وَالْحَرْبَ لَاتَعْلَقَنَّـكُمْ
وَحَوْضًا وَخِيمَ الْمَاءِ مُرَّ الْمَشَارِبِ (٤)
تَزَيَّنُ لِلْأَقْوَامِ ثُمَّ يَرَوْنَهَا بِعَاقِبَةٍ إِذْ بَيَّنَتْ أُمَّ صَاحِبِ (٥)

---

(١) تبرى : تقطع ، والسديف : لحم الظهر ، والسنام : الظهر ، والغارب : أعلى الظهر

(٢) الأتحمية : ضرب من ثياب اليمن ، والشليل : ثياب تلبس تحت الدروع ، ويقال : هى الدروع بعينها ، والأصداء : الدروع المتغيرة بالصدأ

(٣) الغبر : جمع غبراء ، والسوابغ : جمع سابغة ، وأراد بها الدروع الكاملة ، والقتير : مسامير حلق الدروع ، والجنادب : جمع جندب ، وهو ذكر الجراد

(٤) وخيم : أى ثقيل

(٥) تزين : أى تتزين ، بعاقبة : أى فى آخر الأمر ، وبينت : ظهر أمرها واتضح ، وأم صاحب . قال السهيلى : «أى عجوزا كأم صاحب لك ، إذ لايصحب الرجل إلا الرجل فى سنه ، وهذا كقول عمرو بن معد يكرب :

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَاتَكُونُ فَتِيَّةً تَسْعَى بِبَزَّتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ
حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا
وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ
شَمْطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَهَا فَتَنَكَّرَتْ
مَكْرُوهَةً بِالشَّمِّ وَالتَّقْبِيـــلِ

تُحَرَّقُ لاَ تُشْوِى ضَعِيفاً وَتَنْتَحِى
ذَوِى الْعِزِّ مِنْكُمْ بِالْحُتُوفِ الصَّوَائِبِ (١)

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِى حَرْبِ دَاحِسٍ
فَتَعْتَبِرُوا أَوْ كَانَ فِى حَرْبِ حَاطِبِ (٢)

وَكَمْ قَدْ أَصَابَتْ مِنْ شَرِيفٍ مُسَوَّدٍ
طَوِيلِ الْعِمَادِ ضَيْفُهُ غَيْرُ خَائِبِ

عَظِيمِ رَمَادِ النَّارِ يُحْمَدُ أَمْرُهُ
وَذِى شِيمَةٍ مَحْضٍ كَرِيمِ الْمَضَارِبِ (٣)

وَمَاء هُرِيقَ فِى الضَّلاَلِ كَأَنَّمَا
أَذَاعَتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ (٤)

يُخَبِّرُكُمْ عَنْهَا امْرُؤٌ حَقُّ عَالِمٍ
بِأَيَّامِهَا وَالْعِلْمُ عِلْمُ التَّجَارِبِ

وفى جامع البخارى كانوا إذا وقعت الحرب يأمرون بحفظ أبيات عمرو هذه » اه كلامه

(١) تشوى : أى لا تخطىء ، وتنتحى: معناه تعتمد وتقصد، والصوائب : جمع صائب ، والحتوف : جمع حتف ، وهو الموت

(٢) ستقف على بيان حرب داحس وحرب حاطب فى كلام المؤلف

(٣) محض : خالص ، كريم المضارب : أى السيوف ، ويروى « كريم الضرائب » أى الخلال

(٤) هريق : أريق ، أبدلت الهمزة هاء ، و « فى الضلال » يروى بالضاد معجمة ، وهو ضد الهدى ، ويروى « فى الصلال » بالصاد مهملة ، وهو جمع صلة ، وهى الأرض التى لا تمسك الماء ، يريد أنه بدد حيث لا ينتفع به ، و « أذاعت به » بددته وفرقته ، و « الجنائب » جمع جنوب ، وهى ريح تقابل ريح الصبا

خَبيعُوا الحِرَابَ مِلْمُحَارِبِ وَاذْكُرُوا
حِسَابَكُمُ وَاللهُ خَيْرُ مُحَاسِبِ[1]

وَلِيّ امْرِىءٍ فَاخْتَارَ[2] دِيناً ، فَلاَ يَكُنْ
عَلَيْكُمْ رَقِيباً غَيْرُ رَبِّ الثَّوَاقِبِ[3]

أَقِيمُوا لَنَا دِيناً حَنِيفاً فَأَنْتُمُ
لَنَا غَايَةٌ ، قَدْ يُهتَدَى بِالذَّوَائِبِ

وَأَنْتُمْ لِهَذَا النَّاسِ نُورٌ وَعِصْمَةٌ
تُؤَمُّونَ وَالأَحْلاَمُ غَيْرُ عَوَازِبِ

وَأَنْتُمْ — إِذَا مَا حُصِّلَ النَّاسُ — جَوْهَرٌ
لَكُمْ سُرَّةُ البَطْحَاءِ شُمُّ الأَرَانِبِ[4]

تَصُونُونَ أَجْسَاداً كِرَاماً عَتِيقَةً مُهَذَّبَةَ الأَنْسَابِ غَيْرَ أَشَائِبِ[5]

يَرَى طَالِبُ الحَاجَاتِ نَحْوَ بُيُوتِكُمْ
عَصَائِبَ هَلْكَى تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

---

(١) ملمحارب : أى من المحارب

(٢) قال السهيلى « أى هو ولى امرىء اختار دينا ، والفاء زائدة على أصل أبى الحسن » اه

(٣) الثواقب : النجوم

(٤) سرة الشيء : خيره وأعلاه . وشم : جمع أشم ، وهو العالى المرتفع ، والأرانب : جمع أرنبة ، وهى القصبة التى فيها ثقب الأنف

(٥) غير أشائب : يعنى أنها خالصة النسب

لَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ سَرَاتَكُمْ
عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرُ أَهْلِ الجَبَاجِبِ(١)
وَأَفْضَلُهُ رَأْياً وَأَعْلَاهُ سُنَّةً وَأَقْوَلُهُ لِلْحَقِّ وَسْطَ المَوَاكِبِ(٢)
فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبَّكُمْ وَتَمَسَّحُوا
بِأَرْكَانِ هٰذَا البَيْتِ بَيْنَ الأَخَاشِبِ(٣)
فَعِنْدَكُمُ مِنْهُ بَلَاءٌ وَمَصْدَقٌ
غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الكَتَائِبِ
كَتِيبَتُهُ بِالسَّهْلِ تُمْشِي وَرَجْلُهُ عَلَى القَاذِفَاتِ فِي رُءُوسِ المَنَاقِبِ(٤)
فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي العَرْشِ رَدَّهُمْ
جُنُودُ المَلِيكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ(٥)
فَوَلَّوْا سِرَاعاً هَارِبِينَ وَلَمْ يَؤُبْ
إِلَى أَهْلِهِ مِلْحِبْشِ غَيْرُ عَصَائِبِ
فَإِنْ تَهْلِكُوا نَهْلِكْ وَتَهْلِكْ مَوَاسِمٌ
يُعَاشُ بِهَا ، قَوْلُ امْرِئٍ غَيْرِ كَاذِبِ

---

(١) الجباجب : جمع جبجبة ، وهى المنزل

(٢) المواكب : جمع موكب ، وهى الجماعة من الخيل

(٣) صلوا : أى ادعوا ، أو ما تراه عداه بنفسه ؟ والأخاشب : جمع أخشب ، وبمكة جبلان يقال لهما : الأخشبان ، وقد أرادهما بما حولهما فجمع ، وانظر لهذا البيت والأربعة بعده (ص ٦١) من هذا الجزء

(٤) القاذفات : أعالى الجبال ، والمناقب : جمع منقبة ، وهى الطريق فى أعلى الجبل

(٥) السافى : الذى أصابه الغبار ، والحاصب : الذى أصابه الحصباء ، وهى الحجارة ، وذلك على معنى النسب ، وقد يكون السافى الذى يثير الغبار ، والحاصب الذى يثير الحصباء ، أى ينقلها ، قاله أبو ذر .

قال ابن هشام : أنشدنى بيته « ومَاءَ هُرِيق » وبيتـه « فَبِيعوا الْحِراب » وقوله « وَلِىٌّ امرىء فاختار » وقوله « على القاذفات فى رءوس المناقب » أبو زيد الأنصارى وغيره

حرب داحس

قال ابن هشام : وأما قوله « ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس » فحدثنى أبو عبيدة النحوى ، أن داحِساً فَرَسٌ كان لقيس بن زُهَيْر بن جَذِيمَة بن رَوَاحة بن ربيعة بن الْحٰرِث بن مازن بن قُطَيْعَة بن عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان ؛ أَجْرَاهُ مع فرس لحُذَيْفَة بن بَدْر بن عَمْرو ابن زيد بن جُؤَيَّة بن لَوْذَان بن ثَعْلَبة بن عَدِى بن فَزَارة بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان يقال لها الْغَبْراء ؛ فَدَسَّ حُذَيْفَةُ قوما ، وأمرهم أن يضربوا وَجْهَ داحسٍ إن رأوه قد جاء سابقا ، فجاء داحس سابقا ، فضربوا وجهه ؛ وجاءت الغبراء ، فلما جاء فارس داحس أخبر قيسا الخبر ، فوثب أخوه مالك بن زُهَير فلطم وَجْهَ الغبراء ، فقام حَمَلُ بن بَدْر فَلَطَم مالكا ، ثم إن أبا الْجُنَيْدِب الْعَبْسِىَّ لقى عَوْف بن حُذَيفة فقتله ، ثم لقى رجل من بنى فَزَارة مالكا فقتله ، فقال حَمَلُ بن بدر أخو حُذَيْفة بن بدر — :

قَتَلْنَا بِعَوْفٍ مَالِكاً وَهْوَ ثَأْرُنَا
فَإِنْ تَطْلُبُوا مِنَّا سِوَى الْحَقِّ تَنْدَمُوا

وهذا البيت فى أبيات له

وقال الربيع بن زياد العبسى : —

أفَبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ (١)

(١) الأطهار : جمع طهر ، وهو النقاء من الحيض ، وعروض البيت يشتمل على الاقواء ، وهو هنا حذف حرف من الوتد ، ولهذا ضبطه جماعة بزنة تصغير زهير ؛ وللاقواء معنى آخر ليس مرادا هنا .

وهذا البيت فى قصيدة له

فوقعت الحرب بين عَبْس وفَزَارَة ، فقتل حُذَيفة بن بدر وأخوه حَمَل ابن بدر ، فقال قيس بن زُهَير بن جَذيمة يرثى حُذَيْفَةَ وجَزِع عليه : —

كَمْ فَارِسٍ يُدْعَى وَلَيْسَ بِفَارِسٍ   وَعَلَى الْهَبَاءَةِ فَارِسٌ ذُو مَصْدَقِ (١)

فَابْكُوا حُذَيْفَةَ لَنْ تُرَثُّوا مِثْلَهُ   حَتَّى تَبِيدَ قَبَائِلٌ لَمْ تُخْلَقِ (٢)

وهذان البيتان فى أبيات له

وقال قيس زهير : —

عَلَى أَنَّ الْفَتَى حَمَلَ بْنَ بَدْرٍ   بَغَى ، وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ (٣)

وهذا البيت فى أبيات له

وقال الحرث بن زهير أخو قيس بن زهير : —

---

(١) الهباءة : اسم موضع ، قال ياقوت : «هى الأرض التى فى بلاد غطفان ، قتل بها حذيفة وحمل ابنا بدر الفزاريان ، قتلهما قيس بن زهير ، وجفر الهباءة : مستنقع فى هذه الأرض» اه كلامه

(٢) قال أبو ذر : «ترثوا — بالثاء المثلثة — من الرثاء ، ومن رواه يربوا — بالباء الموحدة وتاء مضمومة — فهو بمعنى التربية ، ومن رواه تربوا — بفتح التاء — فمعناه تصيرونه رباعليكم ، أى : أميراً ، وتبيد : أى تهلك» اه كلامه

(٣) قبل هذا البيت قوله : —

تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيْتٌ   عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءَةِ لَا يَرِيمُ

وَلَوْلَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي   عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ

وبعده البيت ، وبعده قوله : —

أَظُنُّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي   وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ

تَرَكْتُ عَلَى الْهَبَاءَةِ غَيْرَ فَخْرٍ حُذَيْفَةَ عِنْدَهُ قِصَدُ الْعَوَالِى[1]

وهذا البيت فى أبيات له

قال ابن هشام: ويقال : أرسل قيس داحساً والغبراء ، وأرسل حذيفة الخطّار والحَنْفاء ، والأول أصح الحديثين ، وهو حديث طويل منعنى من استقصائه قَطْعُهُ حديثَ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

حرب حاطب

قال ابن هشام : وأما قوله «حرب حاطِب» فيعنى حاطبَ بن الحرث بن قيس بن هَيْشَةَ بن الحرث بن أُمية بن مُعَاوية بن مالك بن عَوْف بن عمْرو ابن عَوْف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهوديا جارا للخزرج ، فخرج إليه يزيدُ بن الحرث بن قَيْس بن مالك بن أَحْمَرَ بن حارثة بن ثَعْلبة بن كَعْب ابن الخَزْرج بن الحرث بن الخزرج وهو الذى يقال له ابن فُسْحُم وفُسْحُمُ أمه ، وهى امرأة من القَيْن بن جَسْر — ليلاً فى نفرٍ من بنى الحرث بن الخزرج فقتلوه ، فوقعت الحربُ بين الأوس والخزرج ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فكان الظَّفَرُ للخزرج على الأوس ، وقتل يومئذ سُوَيد بن صامت بن خالد ابن عَطِيَّة بن حَوْط بن حَبيب[2] بن عَمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس ، قتله الُمجَذَّر بن ذِيَاد البَلوى ، واسمه عبد الله [بن ذِيَاد البلوى] ، حليف بنى عَوْف بن الخزرج ، فلما كان يوم أُحُد خرج الُمجَذَّر بن ذِيَاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج معه الحرث بن سُوَيد بن صامت

(١) قصد ـ بكسر القاف وفتح الصاد ـ جمع قصدة ـ بكسر فسكون ـ وهى القطعة المتكسرة ، والعوالى : الرماح

(٢) قال أبو ذر : «وقع هنا خبيب (بفتح أوله وكسر ثانيه) وحبيب (بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد الياء) والصواب فيه حبيب بفتح الحاء وكسر الباء» اه كلامه

فوجد الحرث بن سُوَيد غِرَّةً (١) من المُجَذَّر ، فقتله بأبيه ، وسأذكر حديثه في موضعه إن شاء الله تعالى

ثم كانت بينهم حروب منعني من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ماذكرت في حديث حرب داحس

حكيم بن أمية يعاتب قومه في عداوتهم النبي

قال ابن إسحق : وقال حكيم بن أميــة بن حارثة بن الأوْقص السُّلمي ، حليفُ بني أمية ، وقد أسلم ،يُوَرِّع قومه (٢) عما أجمعوا عليه من عَدَاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم شريفا مُطَاعاً : —

هَلْ قَائِلٌ قَوْلاً مِنَ الْحَقِّ قَاعِدٌ
عَلَيْهِ ؟ وَهَلْ غَضْبَانُ لِلرُّشْدِ سَامِعُ (٣)

وَهَلْ سَيِّدٌ تَرْجُو الْعَشِيرَةُ نَفْعَهُ
لِأَقْصَى الْمَوَالِي وَالْأَقَارِبِ جَامِعُ ؟

تَبَرَّأْتُ إِلاَّ وَجْهَ مَنْ يَمْلِكُ الصَّبَا
وَأَهْجُرُكُمْ مَا دَامَ مُدْلٍ وَنَازِعُ (٤)

وَأُسْلِمُ وَجْهِي لِلْإِلٰـهِ وَمَنْطِـقِي
وَلَوْ رَاعَنِي مِنَ الصَّدِيقِ رَوَائِـعُ

ذكر بعض مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

قال ابن إسحق : ثم إن قريشا اشتدَّ أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عَدَاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فأغْرَوْا برسول

(١) غرة : أي غفلة

(٢) يورع قومه عما اجمعوا عليه : أي يصرفهم ويكفهم عنه

(٣) في بعض النسخ « هل قائل قولا هو الحق قاعد » وفي ثالثة « هل قائل قولا هو الحق عاقد » ولعل هذه الثالثة خيرها جميعا

(٤) مدل : هو مرسل الدلو في البئر ، ونازع : هو الذي يجذبها من البئر

الله صلى الله عليه وسلم سُفَهاءهم ؛ فكذبوه ، وآذَوْه ، وَرَمَوْه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهرٌ لأمر الله ، لا يستخفى به ، مُبَادٍ لهم بما يكرهون : من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم

قال ابن إسحق : فحدثنى يحيى بن عُرْوة بن الزبير ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته ؟ قال : حَضَرْتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً فى الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط : سَفَّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفَرَّقَ جماعتنا ، وَسَبَّ آلهتنا ؛ لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا . فبيناهم فى ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مَرَّ بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غَمَزُوه[1] ببعض القول ، قال : فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ثم مضى ، فلما مَرَّ بهم الثانية غَمَزُوه بمثلها ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مَرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : « أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ » قال : فأخذت القومَ كلمتُه ، حتّى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وَصَاة[2] قبل ذلك لَيَرْفَؤُه[3] بأحسن ما يجد من القول ،

---

(١) غمزوه : أى طعنوا فيه بالقول

(٢) الوصاة : الوصية ، يعنى الذين كانوا يحرضون عليه ويوصون بإيذائه

(٣) يرفؤه : يهدئه ويسكنه

حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جَهُولاً ، قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ، فبيناهم فى ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وَثْبَةَ رجل واحد ، وأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عَيْب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نَعَمْ أَنَا الَّذِى أَقُولُ ذَلِكَ» قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمَجْمَع ردائه ، قال : فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه وهو يبكى ، ويقول : أتقتلون رجلا أنْ يَقُولَ ربى الله ، ثم انصرفوا عنه ، فان ذلك لأشد ما رأيت قريشاً نالوا منه قط

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض آل أم كلثوم ابنة أبى بكر أنها قالت : رجع أبو بكر يومئذٍ وقد صَدَعُوا فَرْقَ رأسه ممَّا جَبَذُوه بلحيته[1] ، وكان رجلا كثير الشعر

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أن أشد ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوماً ، فلم يلقه أحد من الناس إلّا كذبه وآذاه ، لا حُرٌّ ولا عبدٌ ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله فَتَدَثَّر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه (٧٤ : ١ ـ ٢) (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ)

---

(١) صدعوا : أى شقوا ، وفرق رأسه : المكان الذى يفرق منه الشعر ، وهو منتصف الرأس من الأمام ، وجبذوه : أى جذبوه ، مقلوب منه

إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : حدثنى رجل من أسلم ، كان واعية ، أن أبا جَهْلٍ مَرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا ، فآذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَمَوْلاَةٌ لعبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سَعْد ابن تَيْم بن مُرَّة فى مسكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه ، فعمد إلى نادٍ من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم ، فلم يَلْبَثْ حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ [1] راجعا من قَنَص [2] له ، وكان صاحب قَنَص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قَنَصِهِ لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يَمُرَّ على نادٍ من قريش إلا وقف وسَلَّمَ وتحدث معهم ، وكان أَعَزَّ فَتًى فى قريش ، وأشد شكيمةً ، فلما مَرَّ بالْمَوْلاَة وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عُمارة ، لو رأيت مالقى ابنُ أخيك محمد آنفاً من أبى الحكم ابن هشام !! وجده ههنا جالساً فآذاه وسبَّهُ و بلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ، ولم يقف على أحد ، مُعِدًّا لأبى جهل — إذا لقيه — أن يوقع به ؛ فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً فى القوم ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوسَ فضرب به بها فَشَجَّهُ شَجَّةً

---

(١) متوشحا قوسه : أى يتقلده كما يتقلد السيف

(٢) القنص : الصيد

منكرة ، ثم قال : أتشتمه ؟ فأنا على دينه أقول مايقول ، فَرُدَّ ذلك عليّ إن استطعت ، فقامت رجال من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دَعُوا أبا عُمارة فانى والله قد سَبَبْتُ ابن أخيه سبًّا قبيحا وتم حمزة رضى الله عنه على إسلامه وعلى ماتابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله

فلما أسلم حمزةُ عرفت قريشٌ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عَزَّ وامتنع وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيدبن زياد ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ قال : حُدِّثت أن عُتْبة بن ربيعة ، وكان سيدا ، قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده : يامعشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرضَ عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكفّ عنا ، وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون ، فقالوا : بلى ياأبا الوليد ، قم إليه فكلمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياابن أخى ، إنك منّا حَيْثُ قد علمت : من السِّطَة [1] فى العشيرة والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيتَ قومك بأمر عظيم فرَّقْتَ به جماعتهم وسفَّهت به أحلامهم ، وعِبْتَ به آلهتهم ودينهم ، وكَفَّرْتَ به مَنْ مَضَى من آبائهم ، فاسمع منى أَعْرِضْ عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها

عتبة بن ربيعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قُلْ ياأَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ » قال : ياابن أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تريد به شرَفًا سَوَّدْنَاكَ علينا حتى لانَقْطَعَ أمراً دونك ، وإن كنت تريد به مُلْكا

---

(١) السطة ـ بكسر السين وفتح الطاء مخففة ـ المنزلة الرفيعة

مَلَكْنَاكَ علينا ، و إن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا تراه لاتستطيع رَدَّهُ عن نفسك طلبنا لك الطبَّ و بذلنا فيه أموالنا حتى نُبْرِئَك منه ، فانه ربما غلب التابعُ على الرجل حتى يداوى منه ، أو كما قال له ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال : « أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيد»؟ قال : نعم ، قال : «فاستَمِعْ مِنّى» قال : أفعل ، فقال (٤١ : ١ ـ ٥) :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، حٰمٓ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ)

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عُتْبَة أَنْصَتَ لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال : « قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ ، فَأَنْتَ وَذَاكَ » فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نَحْلِفُ بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أنى سمعت قولاً والله ماسمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعونى ، واجعلوها بى ، وخَلوا بين هذا الرجل و بين ما هو فيه ، فاعتزِلوه ، فوالله ليكونَنَّ لقوله الذى سمعت منه نبأٌ عظيم : فان تُصِبْهُ العرب فقد كُفِيتُمُوهُ بغيركم ، وإن يَظْهَرْ عَلَى العرب فمُلْكه ملككم وعِزُّه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سَحَرَكَ والله ياأبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيى فيه ، فاصنعوا ما بدالكم

وصف عتبة للقرآن ومشورته على قريش

قال ابن إسحق : ثم إن الاسلام جعل يَفْشو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء ، وقريشٌ تحبس من قَدَرَت على حبسه ، وَتَفْتِنُ من

حديث زعماء قريش مع النبى صلى الله عليه وسلم

استطاعت فتنته من المسلمين ، ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة — كما حدثنى بعض أهل العلم ، عن سعيد بن جبير ، وعن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما — قال : اجتمع عتبةُ بن رَبيعة ، وَشَيْبة بن ربيعة ، وأبو سُفْيان بن حرب ، والنَّضْر بن الحرث بن كَلَدة أخو بنى عبد الدار ، وأبو البَخْتَرىّ بن هشام ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وَزَمْعَةُ بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام [لعنه الله] وعبد الله بن أبى أمية ، والعاصُ بن وائل ، وَنُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج السهميان ، وأُمَيَّة بن خلف ، أو من اجتمع منهم ، قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تُعْذِرُوا فيه ، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأْتِهِم ، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلَّمَهم فيه بَدَاء ، وكان عليهم حريصاً : يُحِبُّ رُشْدَهم ، وَيَعِزُّ عليه عَنَتُهم ، حتى جاس إليهم ، فقالوا له : يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نَعْلَمُ رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ؛ لقد شتمت الآباء ، وعِبْت الدين ، وَشَتَمْت الآلهة ، وسَفَّهْت الأحلام ، وَفَرَّقْتَ الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك ، أو كما قالوا له ؛ فان كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نُسَوِّدُكَ علينا ، وإن كنت تريد به مُلْكا مَلَّكْناك علينا ؛ وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا تراه قد غَلَب عليك — وكانوا يسمون التابع من الجن رَئِيًّا — فربما كان ذلك بَذَلْنَا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نُبرئك منه أو نُعْذر فيك ، فقال لهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « مَابِي مَا تَقُولُونَ ، مَاجِئْتُ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوالَكُمْ وَلاَالشَّرَفَ فِيكُمْ ، وَلاَ الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولاً ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَاباً ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيراً وَنَذِيراً ، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يامحمد ، فان كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك فانك قد علمتَ أنه ليس من الناس أحد أضيقُ بلداً ، ولا أقلُّ ماءً ، ولا أشدُّ عَيْشاً ؛ منَّا ، فسل لنا ربَّكَ الذى بعثك بما بعثك به فَلْيُسَيِّرْ عنا هذه الجبال التى قد ضَيَّقَتْ علينا ، ولْيَبْسُطْ لنا بلادنا ، ولْيُفَجِّر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، ولْيَبْعَثْ لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصَيّ بن كلاب فانه كان شيخَ صِدْقٍ ، فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل : فان صدقوك وصنعت ما سألناك صَدَّقْنَاكَ وعرفنا به منزلتك من الله وأنه بعثك رسولا كما تقول : فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه « مَا بِهَذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ ، وَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ فَإِنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » قالوا : فاذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك ، سَلْ ربك أن يبعث معك مَلَكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ، وسَلْه فَلْيَجْعَلْ لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى ، فانك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ؛ حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن

كنت رسولا كما تزعم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي يَسْأَلُ رَبَّهُ هَذَا ، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا وَلَكِنَّ اللهَ بَعَثَنِي بَشِيراً وَنَذِيراً » أو كما قال « فَإِنْ تَقْبَلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » قالوا : فأسقط السماء علينا كِسَفاً كما زعمت أن ربك لو شاء فعل ؛ فانا لا نؤمن لك إلا أن تفعل ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذَلِكَ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَهُ بِكُمْ فَعَلَ » قالوا : يا محمد ، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ماجئتنا به ؟ إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن ؛ وإنَّا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً . فقد أعذرنا إليك يامحمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا ، وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وهى بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا ، فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وهو ابن عمته ؛ فهو لعاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا محمد ، عَرَض عليك قومُك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك مايعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوّفهم به من العذاب فلم تفعل ، أو كما قال له ؛ فوالله لاأومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سُلَّما ثم ترقى فيه وأنا

عبدالله بن أبى أمية ورسول الله

أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتى معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله أنْ لَوْ فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزيناً آسفاً مما فاته ، مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوْهُ ، ولما رأى من مباعدتهم إياه

فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل لعنه الله : يامعشر قريش ، إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجْلِسَنَّ له غدا بحجر ما أطيق حمله ، أو كما قال : فاذا سجد فى صلاته فَضَخْتُ به رأسه ، فأسْلِمُونِى عند ذلك أو امنعونى ؛ فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدالهم ، قالوا : والله مَا نُسْلِمُكَ لشىء أبداً ، فامض لما تريد

أبو جهل يبيت قتل رسول الله والله يحفظه

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره ، وغَدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وَقِبْلَتُهُ إلى الشام ، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليمانى والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ماأبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزما مُنْتَقِعًا لونُهُ (١) مَرْعُوباً ، قد

---

(١) منتقعا لونه : أى متغيرا ، يقال بالنون والميم على زنة اسم المفعول ، والفعل انتقع وامتقع مبنيا للمجهول

يَبِسَتْ يداه على حَجَره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش ، فقالوا له : مالك ياأبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لى دونه فَحْلٌ من الابل ، لا والله مارأيت مثل هامته ولامثل قَصَرتِهِ [1] ولا أنيابه لفحل قطُّ ؛ فَهَمَّ بى أن يأكلنى

قال ابن إسحق : فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ذَلِكَ جِبْرِيلُ عليه السلام ، لَوْ دَنَا لَأَخَذَه »

فلما قال لهم ذلك أبو جهل قام النَّضْر بن الحرث بن كَلَدَة بن عَلْقَمة ابن عَبْد مَنَاف بن عبد الدار بن قصي

النضر بن الحرث يذكر لقريش رأيه فى النبى ويسفههم لتكذيبه

قال ابن هشام : ويقال النضر بن الحرث بن عَلْقَمَة بن كَلَدَة بن عبد مناف

قال ابن إسحق : فقال : يامعشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتَيْتُمْ له بحيلة بعدُ ، قد كان محمد فيكم غلاماً حَدَثاً أرْضاكُمْ فيكم ، وأصدَقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانةً ، حتى إذا رأيتم فى صُدْغَيْه الشيبَ وجاءكم بما جاءكم به قلتم : ساحر ، لا والله ، ما هو بساحر ، لقد رأينا السَّحَرَة وَنَفْثَهُمْ وعَقْدَهم ، وقلتم : كاهن ، لاوالله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكَهَنَة وتَخالُجَهُمْ ، وسمعنا سَجْعَهم ، وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشِّعْر وسمعنا أصنافه كلها هَزَجَه ورَجَزه ؛ وقلتم : مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ؛ لقد رأينا الجنون فما هو بخَنْقه ولا وَسْوَسته ولا تَخْليطه ، يامعشر قريش ؛ فانظروا فى شأنكم ؛ فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم ؛

(١) القصرة : أهل العنق

وكان النضر بن الحرث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينْصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار [1] ، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فذكر فيه بالله وحذّر قومه ماأصاب مَنْ قبلهم من الأمم من نِقْمَة الله خَلَفَه فى مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يامعشر قريش أَحْسَن حديثاً منه ، فهلم إلى فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار [1] ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا منى

قال ابن هشام : وهو الذى قال فيما بلغنى : سأنزل مثل ما أنزل الله

قال ابن إسحق : وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول فيما بلغنى : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قول الله عز وجل (٦٨ : ١٥) : (إِذَا تُتْـلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن

قريش ترسل النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط الى يهود المدينة يسألانهم عن النبى

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحرث بعثوه وبعثوا معه عُقْبَةَ بن أبى مُعَيْط إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سَلاَهُمْ عن محمد ، وصِفَا لَهُمْ صفته ، وأخبراهم بقوله ، فانهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار

---

(١) فى شرح السيرة لأبى ذر « اسبنديار » وقال : هما حكيمان من حكماء الفرس

يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووَصَفَالهم أمره ، وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم : إنكم أهلُ التَّوْراة ، وقد جئنا كم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، فقالت لهما أحبار يهود : سَلُوه عن ثلاث نأمركم بهنّ ؛ فان أخبركم بهنّ فهو نبيٌّ مُرْسَل و إن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّل فرَوْا فيه رأيكم : سلوه عن فِتْيَةٍ ذهبوا فى الدهر الأول ، ما كان أمرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجلٍ طَوَّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نَبَؤُه ؟ وسلوه عن الروح ماهى ؟ فان أخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبى ، و إن لم يفعل فهو رجل مُتَقَوِّل فاصنعوا فى أمره مابدا لكم

النضر وصاحبه يعودان الى قريش فيذكران لهم حديث الأحبار

فأقبل النضر بن الحرث وعُقْبة بن أبى مُعَيْط بن أبى عَمْرو بن أُمَيَّة ابن عَبْد شمس بن عَبْد مَنَاف بن قصى ، حتى قدما مكة على قريش ، فقالا : يامعشر قريش ، قدجئنا كم بفَصْل ما بينكم و بين محمد صلى الله عليه وسلم ، قد أَخبَرَنا أحبارُ يهود أن نسأله عن أشياء أَمرُونا بها : فان أخبركم عنها فهو نبى ، و إن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّل فرَوْا فيه رأيكم

قريش تسأل النبى عما أمرتهم به أحبار يهود

فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول قد كانت لهم قصة عَجَبٌ ، وعن رجل كان طَوَّافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ماهى ؟ قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُخْبِرُكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَدًا » ولم يستثن ، فانصرفوا عنه ، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لايحدِث الله إليه فى ذلك وحيا ولايأتيه جبريل ، حتى أَرْجَفَ أهل مكة ، وقالوا : وعدَنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لايخبرنا بشىء مما سألناه عنه ، وحتَّى أحْزَنَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مُكْثُ الوحى عنه ، وشقّ عليه مايتكلم به أهل مكة ،

ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف : فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخَبَرُ ماسألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطَّوّاف والروح

قال ابن إسحق : فذُكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه :« لَقَدِ احْتَبَسْتَ عَنِّى يَاجِبْرِيلُ حَتَّى سُؤْتُ ظَنًّا » فقال له جبريل (١٩ : ٦٤) : (وَمَا نَتَنَزَّلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبكَ نَسِيًّا) فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده ، وذكر نبوة رسوله ، لما أنكروا عليه من ذلك ، فقال (١٨ : ١ ــ ٢٦) : (الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ، إنك رسولٌ منى : أى تحقيق لما سألوا عنه من نبوتك (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قَيِّمًا) أى : معتدلا لااختلاف فيه (لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ) أى : عاجل عقوبته فى الدنيا وعذابا أليما فى الآخرة من عند ربك الذى بعثك رسولا (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا) أى : دار الخلد لايموتون فيها ، الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال (وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا) يعنى قريشا فى قولهم : إنا نعبد الملائكة وهى بنات الله (مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لِآبَائِهِمْ) الذين أعظَمُوا فراقهم وعَيْبَ دينهم (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) أى لقولهم : إن الملائكة بنات الله (إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ) يامحمد (عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) أى : لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أى : لاتفعل

قال ابن هشام : باخع نفسك : أى مهلك نفسك ، فيما حدثنى أبو عبيدة ، قال ذو الرمة : ـ

أَلاَ أَيُّهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجْدِ نَفْسَهُ ... لِشَىْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ(١)

وهذا البيت فى قصيدة له

وجمعه باخعون وبَخَعَة ، وتقول العرب : قد بخعت له نصحى ونفسى أى : جهدت له

(إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَ هُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)

قال ابن إسحق : أى : أيهم أتبع لأمرى وأعمل بطاعتى (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزًا) أى : الأرض ، وإن ماعليها لفان وزائل ، وإن المرجع إلىَّ فأجزى كُلاَّ بعمله ، فَلاَ تَأْسَ ولايحزنك ما تسمع وترى فيها .

---

(١) تقول : بخع نفسه يبخعها بخعا ـ مثل فتح يفتح فتحا ـ إذا قتلها غيظا أو غما . وفى حديث عائشة : « بخع الأرض فقاءت أكلها » أى : قهر أهلها وأذلهم واستخرج ما فيها من الكنوز وأموال الملوك ، وتقول : بخعت الأرض بالزراعة ، إذا أنهكتها وتابعت حراثتها ولم تجمها عاما ، وتقول : بخع الوجد نفسه ، إذا أنهكها وأذلها ، وهذا البيت يروى بخفض الوجد ونصب نفسه ، على أنه أضاف اسم الفاعل إلى فاعله ثم نصب به مفعوله ، وذلك هو الأصل ؛ ويروى برفع الوجد وخفض نفسه ، على أنه أضاف اسم الفاعل إلى مفعوله وفصل بين المضاف والمضاف إليه بفاعل المضاف ، ومثل هذا فى الفصل بالفاعل بين المضاف العامل والمضاف إليه المعمول قول الراجز . ـ

مَا إِنْ رَأَيْنَا لِلْهَوَى مِنْ طِبٍّ ... وَلاَ عَدِمْنَا قَهْرَ وَجْدٌ صَبٍّ

وقول ذى الرمة « نحته » أى : أبعدته ، والمقادر : جمع مقدار ، وكان حقه أن يقول المقادير ؛ لحذف الياء تخفيفا

قال ابنُ هشَام : الصعيد : الأرض ، وجمعه صعد . قال ذو الرمة يصف ظبيا صغيرا :—

كَأَنَّهُ بِالضُّحَى تَرْمِى الصَّعِيدَ بِهِ
دَبَّابَةٌ فِي عِظَامِ الرَّأْسِ خُرْطُومُ(١)

وهذا البيت فى قصيدة له

والصعيد أيضا : الطريق ، وقد جاء فى الحديث « إِيَّاكُمْ وَالْقُعُودَ عَلَى الصعدَاتِ » يريد الطريق ، والْجُرُز : الأرض التي لا تنبت شيئا . وجمعها أجراز ويقال : سَنَةَ جُرُز ، وسنون أجراز، وهى التى لا يكون فيها مطر وتكون فيها جدوبة ويبس وشدة . قال ذو الرمة يصف إبلا : —

طَوَى النَّحْزُ وَالْأَجْرَازُ مَافِى بُطُونِهَا
فَمَا بَقِيَتْ إِلاَّ الضُّلوعُ الْجَرَاشِعُ(٢)

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحق : ثم استقبل قصة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية

(١) الصعيد : الأرض ، وأصله التراب كما فى قوله تعالى : (فتيمموا صعيدا طيبا) و « ترمى الصعيد به » أصله كأنه شارب ترميه على الصعيد الخ . ودبابة : هى الخمر ، لأنها تدب فى رأس شاربها ، والخرطوم : من أسماء الخمر أيضا ، قال السهيلى : « أى كأنه من نشاطه دبت الخمر فى رأسه » اه

(٢) النحز : النخس والدق ، والأجراز : جمع جرز ؛ وقد فسره ابن هشام ، والضلوع : جمع ضلع ، والجراشع : جمع جرشع ـ بزنة قنفذ ـ وهو المنتفخ المتسع ، قال السهيلى : « فمعناه إذا فى البيت أن الضلوع من الهزال قد تنأت وبرزت كالصدر البارز » اه ، يصف ذو الرمة إبلا قد أضعفها طول السير بها فى الأرض المجدبة اليابسة وكثرة ما نخسها راكبها ، فيقول : قد طال بها ذلك حتى طواها وأنضاها فلم يبق منها إلا ضلوعها البارزة الناتئة

فقال : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً) أى : قد كان من آياتى فيما وضعت على العباد من حججى ماهو أعجب من ذلك

قال ابن هشام : والرقيم : الكتاب [١] الذى رقم فيه بخبرهم ، وجمعه رُقُم ، قال العجاج : —

*وَمُسْتَقَرِّ الْمُصْحَفِ الْمُرَقَّمِ *

وهذا البيت فى أرجوزة له [٢]

قال ابن إسحق : ثم قال تعالى : (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً) ثم قال تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ) أى : بصدق الخبر عنهم (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ

---

(١) قال السهيلى : « وعن أنس أن الرقيم الكلب ، وعن كعب أنه اسم القرية التى خرجوا منها ، وقيل : هو اسم الوادى ، وقيل : هو صخرة وقيل : هو لوح كتب فيه أسماؤهم ودينهم وقصتهم ، وقال ابن عباس : كل القرآن أعلم ، إلا الرقيم والغسلين وحنانا والأواه » اه

(٢) هى أرجوزة طويلة ثابتة فى ديوان رجزه (ص ٥٨ - ٦٢) وفيها هذا البيت ، وقبله قوله : —

ثُمَّ رَأَى أَهْلَ الدَّسِيعِ الْأَعْظَمِ ... خِنْدِفَ وَالْجِدَّ الْخِضَمَّ الْمِخْضَمِ

وَذِرْوَةِ النَّاسِ وَأَهْلِ الْحُكْمِ ... وَمُسْتَقَرِّ . . . . الخ

مِنْ دُونِهِ إِلٰهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطاً) أى : لم يشركوا بى كما أشركتم بى ما ليس لكم به علم

قال ابن هشام : والشطط : الغُلُوّ ومجاوزة الحق ، قال أعشى بنى قيس ابن ثعلبة : —

لاَيَنْتَهُونَ وَلاَ يَنْهَى ذَوِى شَطَطٍ
كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ والْفُتُلُ(١)

وهذا البيت فى قصيدة له

(هَؤُلاَءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) قال ابن إسحق : أى بحجة بالغة (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِنْهُ)

قال ابن هشام : تزاور: تميل، وهو من الزور ، وقال امرؤ القيس بن حُجْر : —

وَإِنِّى زَعِيمٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكاً ... بِسَيْرٍ تَرَى مِنْهُ الْفُرَانِقَ أَزْوَرَا(٢)

وهذا البيت فى قصيدة له

وقال أبو الزحف الكليبى يصف بلدا : —

---

(١) الشطط : الجور وتجاوز الحد، و« يذهب فيه » هذه رواية الخطيب، ويروى « يهلك فيه » والمعنى لا ينهى ذوى الجور مثل طعن جائف لو وضع فى مكانه الزيت والفتل لغابت ولم تظهر، وهذا البيت مما استشهد به النحاة على أن الكاف تأتى اسما بمعنى مثل ، وجعلوا الكاف فى قوله « كالطعن » فاعلا لينهى

(٢) الفرانق : الذى يسير بالكتب على رجليه ، وهو الفيج أيضا ، وكلاهما أعجمى ، وأزور : أى مائلا

جَأْبُ الْمُنَدَّى عَنْ هَوَانَا أَزْوَرُ
يُنْضِى الْمَطَايَا خِمْسُهُ الْعَشَنْزَرُ (١)

وهذان البيتان فى أرجوزة له

وتقرضهم ذات الشمال : تجاوزهم وتتركهم عن شمالها ، قال ذوالرمة :ــ

إِلَى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أَقْوَازَ مُشْرِفٍ
شِمَالاً وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ (٢)

وهذا البيت فى قصيدة له

والفجوة : السَّعة ، وجمعها الفِجاء ، قال الشاعر : ـــ

أَأَلْبَسْتَ قَوْمَكَ مَخْزَاةً وَمَنْقَصَةً
حَتَّى أُبِيحُوا وَخَلَّوْا فَجْوَةَ الدَّارِ (٣)

(ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ) أى : فى الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ، ممن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم ، فى صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم (مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ)

---

(١) الجأب: الغليظ الجافى ، ويروى «جدب» بالدال المهملة ، وهو من الجدوبة بمعنى القحط، والمندى : مرعى الابل إذا امتنعت عن شرب الماء ، وينضى : يهزل ، وخمسه: هو أن ترد الابل الماء عن خمسة أيام ، والعشنزر: الشديد ، قاله أبوذر

(٢) الظعن : الابل التى عليها الهوادج ، وأقواز : جمع قوز ، وهو الجبل من الرمل ، ويروى أجواز ـ بالجيم ـ وهو جمع جوز ، وجوز كل شىء وسطه ، ومشرف : اسم موضع ، والفوارس ههنا : رمال بعينها

(٣) مخزاة : مفعلة من الخزى ، أى : صنعت صنيعا قبيحا فعاد منه على قومك الخزى والعار حتى تركوا منازلهم وهاجروا

قال ابن هشام : الوصيد : الباب ، قال العبسى (واسمه عُبَيْد بن وهب) : —

بِأَرْض فَلَاةٍ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلَيَّ وَمَعْرُوفِى بِهَا غَيْرُ مُنْكَرِ (١)

وهذا البيت فى أبيات له

والوصيد أيضا : الفناء ، وجمعه وَصَائدووُصُد ووُصْدَان، وأُصُدوأُصْدَان

(لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا) إلى قوله : (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ) أهل السلطان والملك منهم (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا سَيَقُولُونَ) يعنى أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم (ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ) أى : لا علم لهم (وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا) أى : لاتكابرهم (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) فانهم لاعلم لهم بهم (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِى رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) أى : ولاتقولن لشىء سألوك عنه كما قلت فى هذا إنى مخبركم غدا ، واستثن مشيئة الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل: عسى أن يهدينى ربى لخير مما سألتمونى عنه رشدا ؛ فانك لاتدرى ما أنا صانع فى ذلك (وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا)أى: سيقولون ذلك (قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ

(١) « لايسد وصيدها » إذ ليس لها وصيد حتى يسد على

أَحَدًا) أى : لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه

وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف (١٨ : ٨٣ — ٨٥) :
(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا) حتى انتهى إلى آخر قصة خبره .

خبر ذى القرنين

وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى مالم يؤت أحد غيره ، فمُدَّت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لايطأ أرضا إلا سُلِّط على أهلها ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ماليس وراءه شيء من الخلق .

قال ابن إسحق : حدثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم — فيما توارثوا من علمه — أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مَرْزَبان [١] بن مرذبة اليونانى ؛ من ولد يونان بن يافث بن نوح

قال ابن هشام : واسمه الاسكندر ، وهو الذى بنى الاسكندرية فنسبت إليه .

قال ابن إسحق : وقد حدثنى ثَوْرُ بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدان الكَلَاعى ، وكان رجلا قد أدرك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال : « مَلكٌ مسح الأرض من تحتها بالأسباب »

وقال خالد : سمع عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول : ياذا القرنين ، فقال عمر : اللَّهُمَّ غفرًا ، مارضيتم أن تَسَمَّوْا بالأنبياء ، حتى تسميتم بالملائكة .

---

(١) فى السهيلى « اسمه مرزبى بن مرذبه بذال مفتوحة فى اسم أبيه ، وزاى فى اسمه » ثم ذكر خلافا طويلا فى اسمه فانظره (ج ١ص ١٩٥)

قال ابن إسحق : والله أعلم أى ذلك كان ، أقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا [فان كان قاله ف] الحق ما قال

وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح (١٧ : ٨٥) : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)

قال ابن إسحق: وحدثت عن ابن عباس أنه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قالت أحبار يهود : يامحمد ، أرأيت قولَكَ (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) إيانا تريد أم قومك ؟ قال : كلا ، قالوا: فانك تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهَا فِى عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ وَعِنْدَكُمْ فِى ذَٰلِكَ مَا يَكْفِيكُمْ لَوْ أَقَمْتُمُوهُ » قال : فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك (٢٦ — ٢٧) :(وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) أى : إن التوراة فى هذا من علم الله قليل

قال : وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وبَعْث من مضى من آبائهم من الموتى (١٣ : ٣١) : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) أى : لا أصنع من ذلك إلا ما شئت

وأنزل عليه فى قولهم : خذ لنفسك ، ماسألوه أن يأخذ لنفسه أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا ويبعث معه مَلَكاً يصدقه بما يقول ويرد عنه (٢٥ : ٧ — ١٠) : (وَقَالُوا مَالِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى الْأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ

يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً تَبَارَكَ الَّذِى إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذٰلِكَ) أى : من أن تمشى فى الأسواق وتلتمس المعاش (جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً)

وأنزل عليه فى ذلك من قولهم (٢٥ : ٢٠) : (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً) أى : جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يُخالَفُوا لفعلت

وأنزل الله عليه فيما قال عبدالله بن أبى أمية : (١٧ : ٩٠ — ٩٣) : (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِاللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِى السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً)

قال ابن هشام : الينبوع : ما نبع من الماء من الأرض وغيرها ، وجمعه ينابيع ، قال ابن هَرْمة (واسمه إبراهيم بن عبد الله[1] الفهرى) : —

وَإِذَا هَرَقْتَ بِكُلِّ دَارٍ عَبْرَةً ... نُزِفَ الشَّؤْنُ وَدَمْعُكَ الْيَنْبُوعُ[2]

---

(١) هو ابراهيم بن على

(٢) عبرة : دمعة ، وروى «لكل واد عبرة» وقوله نزف : ذهب ونضب والشؤون : مجارى الدموع ، وأراد نضب دمع عينك

وهذا البيت فى قصيدة له

والـكِسَفُ : القطع من العذاب، وواحدته كِسْفَة ، مثل سِدْرة وسِدر ، وهى أيضا واحدة : الـكِسْف ، والقبيل : يكون مُقَابلةً ومُعَاينةً ، وهو كقوله تعالى (١٨ : ٥٥) : (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا) أى : عيانا ، وأنشدنى أبو عبيدة لأعشى بنى قيس بن ثعلبة : —

أُصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا
كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَتْهَا قَبِيلُهَا (١)

يعنى القابلة لأنها تقابلها وتقبل ولدها ، وهذا البيت فى قصيدة له

ويقال: القبيل جمعه قُبُل، وهى الجماعات، وفى كتاب الله تعالى(٦ : ١١١): (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا) فقبل : جمع قبيل ، مثل سُبُل جمع سبيل، وسُرُر جمع سرير ، وقُمُص جمع قميص ، والقبيل أيضاً فى مثل من الأمثال ، وهو قولهم : « مايعرف قبيلا من دَبِير»أى:لايعرف ما أقبل مما أدبر ، قال الـكُمَيْتُ بن زيد : —

تَفَرَّقَتِ الْأُمُورُ بِوِجْهَتَيْهِمْ فَمَا عَرَفُوا الدَّبِيرَ مِنَ الْقَبِيلِ

وهذا البيت فى قصيدة له

ويقال : إنما أريد بهذا الفتل ؛ فما فتل إلى الذراع فهو القَبِيل ، وما فتل إلى أطراف الأصابع فهو الدبير ، وهو من الاقبال والادبار الذى ذكرت ، ويقال : فتل المِغْزَل : فاذا فتل إلى الركبة فهو القبيل ، و إذافتل إلى الورك

---

(١) تبوءوا بمثلها: أى ترجعوا وقد نالكم مثلها ، وصرخة حبلى: صيحتها واستغاثتها ، ومثلها قول الشاعر :

قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الصُّرَاخَ رَأَيْتَهُمْ مَا بَيْنَ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ

فالصراخ فيه الاستغاثة، والسافع : الآخذ بالناصية، وسيأتى هذا البيت قريبا فى كلام ابن هشام

فهو الدبير ، والقبيل أيضا قوم الرجل ، والزُّخْرُف : الذهب ، والمزخرف : المزين بالذهب ، قال العَجَّاج : —

مِنْ طَلَلٍ أمْسَى تَخَالُ الْمُصْحَفَا رُسُومَهُ وَالْمُذْهَبَ الْمُزَخْرَفَا

وهذان البيتان في أرجوزة له

ويقال أيضا لكل مزين : مزخرف

قال ابن إسحق : وأنزل عليه في قولهم : إنا قد بلغنا أنك إنما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن ، ولن نؤمن به أبدا (١٣ : ٣٠) : (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ)

وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام [لعنه الله] وما هم به (٩٦ : ٩—١٩) : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)

قال ابن هشام : لَنَسْفَعًا : لنجذبن ولنأخذن ، قال الشاعر : —

قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الصُّرَاخَ رَأَيْتَهُمْ
مِنْ بَيْنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ (١)

والنادي : المجلس الذي يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورهم ، وفي كتاب الله تعالى (٢٩ : ٢٩) : (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) وهو النَّدِيّ

قال عَبيدُ بن الأبرص : —

إِذْهَبْ إِلَيْكَ فَإِنِّي مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَهْلِ النَّدِيِّ وَأَهْلِ الْجُرْدِ وَالنَّادِي (٢)

---

(١) سبق قريبا هذا البيت في كلامنا

(٢) سقط هذا البيت من بعض النسخ ، والجرد : الخيل العتاق أو

وفى كتاب الله تعالى (١٩ : ٧٣) : (وَأَحْسَنَ نَدِيًّا) وجمعه أندية ، يقول : فليَدْعُ أهل ناديه، كاقال تعالى(١٢: ٨٢):(وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ) يريدأهل القرية ، قال سَلامة بن جَنْدل أحد بنى سعد بن زيد مَنَاةَ بن تميم : —

يَوْمَانِ يَوْمُ مقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ وَيَوْمُ سَيْرٍ إِلَي الْأَعْدَاءِ تَأْوِيب (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

وقال الكميت بن زيد :

لاَ مَهَاذِيرِ فِي النديِّ مَكَاثِيـرَ وَلاَ مُصْمِتِينَ بِالْإِفْحَامِ (٢)

وهذا البيت فى قصيدة له

ويقال : النادى : الجلساء ، والزبانية : الغلاظ الشداد ، وهم فى هذا الموضع خزنة النار ، والزبانية أيضا فى الدنيا : أعوان الرجل الذين يخدمونه و يعينونه ، والواحد زِبْنِيَةٌ ، قال ابن الزِّبَعْرَى فى ذلك : —

مَطَاعِيمُ فِي الْمَقْرَى مَطَاعِينُ فِي الْوَغَى
زَبَانِيَةٌ غُلْبٌ عِظَامٌ حُلُومُهَا (٣)

يقول : شداد ، وهذا البيت فى أبيات له

القصيرات الشعر ، وقيل : هى التى تتجرد عن الخيل التى معها فى الحلبة ، أى تسبقها و تتقدمها وواحدها أجرد ، ويروى فى مكانه والجود بالواو - وهو الكرم

(١) التأويب : اسير النهار كله

(٢) المهاذير : جمع مهذار ، وهو الذى يكثر الكلام من غير فائدة ، والمكاثير : جمع مكثار ، ومصمتين من أصمت : أى سكت ، والافحام : انقطاع الرجل عن الكلام عيا أو غلبة .

(٣) « المقرى » مأخوذ من القرى ، وهو الضيافة ، ومطاعين : من الطعن والوغى : الحرب ، وقد فسر المؤلف الزبانية ، وغلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الشديد ، والحلوم : العقول

وقال صَخْرُ بن عبد الله الْهُذَلى ، وهو صخر الْغَىِّ : —

وَمِنْ كَبِيرٍ نَفَرٌ زَبَانِيَهْ (١)

وهذا البيت فى أبيات له

قال ابن إسحق : وأنزل الله تعالى عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم . (٤٧:٣٤): (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

إنما كفر قريش عنادا وبغيا

فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حَدَّث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب — حين سألوه عما سألوا عنه — حالَ الحسدُ منهم له بينهم وبين اتّباعه وتصديقه، فعَتَوْا على الله ، وتركوا أمره عياناً ، وَلَجُّوا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم (٢٦:٤١): (لاَ تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) أى : اجعلوه لغوا و باطلا ، واتخذوه هُزُوًا لعلكم تغلبونه بذلك ، فانكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غلبكم

---

(١) بعد هذا البيت قوله : —

لَوْ أَنَّ أَصْحَابِي بَنُو مُعَاوِيَهْ مَا تَرَكُونِي لِلذِّئَابِ الْعَادِيَهْ

وَلاَ لِبِرْذَوْنٍ أَغَرَّ النَّاصِيَهْ

و «كبير» فى بيت الكتاب المراد به قبيلة من هذيل ، قاله أبو ذر ، وفى بعض النسخ «كثير» ولعلة تحريف،قال السهيلى : «وجدت فى حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت : كبير حى من هذيل ، وفى أسد أيضا كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، ومن ذريته بنو جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة ابن كبير ، ولعل الراجز أراد هؤلاء فانهم أشهر ، وبنو كبير أيضا بطن من بنى غامد وهم من الأزد ، والذى تقدم ذكره من هذيل هو كبير بن طابخة بن لحيان بن سعد بن هذيل» اه كلامه مع إصلاح ما وقع فيه من تحريف الأعلام

مقالة لأبى جهل ما نزل فيها من القرآن

فقال أبو جهل يوما وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق : يامعشر قريش ، يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأنتم أكثر الناس عدداً وكثرة ؛ فيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم ، فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قوله (٧٤: ٣١) : (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) إلى آخر القصة

فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو يصلى يتفرقون عنه ، ويأبَوْن أن يستمعوا له ، وكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ ما يتلو من القرآن وهو يصلى استرق السمع دونهم فرقًا منهم ؛ فان رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذَهَبَ خَشْيَةَ أذاهم ، فلم يستمع ، وإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته فظن الذى يستمع أنهم لايستمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه

قال ابن إسحق : حدثنى داود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان . أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم ، أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم : إنما أنزلت هذه الآية (١٧: ١١٠) : (وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً) من أجل أولئك النفر ؛ يقول : لاتجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك . ولاتخافت بها فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع فينتفع به .

أول من جهر بالقراءة فى مكة من أصحاب النبى

قال ابن إسحق : وحدثنى يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : اجتمع يوما أصحابُ رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فَمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمُوه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دعونى فان الله سيمنعنى ، قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى ، وقريشٌ فى أنديتها، حتى قام عند المقام، ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) رافعا بها صوته : (٥٥ : ١ — ٢) : (الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ) قال : ثم استقبلها يقرؤها ، قال : وتأملوه ، فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد [صلى الله عليه وسلم] ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ماشاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا فى وجهه . فقالوا له : هذا الذى خشينا عليك ، فقال : ما كان أعداء الله أهون علىّ منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادِيَنَّهم بمثلها غدا ، قالوا : لا ، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون

بعض المشركين يخرج ليلا ليستمع القرآن

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، أنه حُدِّث ، أن أباسفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شَرِيق ابن عمرو بن وهب الثقفى حليف بنى زهرة ؛ خرجوا ليلةً ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى من الليل فى بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ماقالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل

رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا ؛ فلما أصبح الأخنس بن شَرِيق أخذ عَصَاه ثم خرج حتى أتى أباسفيان فى بيته ، فقال : أخبرنى ياأبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : ياأبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ماعرفت معناها ولا ما يراد بها ، قال الأخنس : وأنا والذى حلفت به كذلك ، قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته ، فقال : ياأبا الحكم ، مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أَطْعَمُوا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطَوْا فأعطَيْنَا ، حتى إذا تجاذينا على الركب وكنا كفَرَسَيْ رِهان قالوا : منا نبى يأتيه الوحى من السماء ، فمتى نُدْرِكُ مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ، ولا نصدقه ، قال : فقام عنه الأخنس وتركه

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله قالوا يهزؤن به : قلوبنا فى أَكِنَّةٍ مما تدعونا إليه لا نَفْقَهُ ما تقول ، وفى آذاننا وقر لا نسمع ما تقول ، ومن بيننا و بينك حجاب قد حال بيننا و بينك ، فاعمل بما أنت عليه إننا عاملون بما نحن عليه ، إنا لا نفقه عنك شيئاً ، فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من قولهم (١٧ : ٤٥-٥١) : (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً) إلى قوله (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً) أى : كيف فهموا توحيدك ربك إن كنتُ جعلتُ على قلوبهم أكنة وفى آذانهم وقرا و بينك و بينهم حجابا بزعمهم ، أى : إنى لم أفعل ذلك (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ

نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا) أى : ذلك ماتواصَوْا به من ترك مابعثتك به إليهم (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً) أى : أخطؤا المثل الذى ضربوا لك فلا يصيبون به هدى ، ولا يعتدل لهم فيه قول (وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً) أى : قد جئت تخبرنا أنا سنبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما ورفاتا ، وذلك مالا يكون (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أى : الذى خلقكم مما تعرفون فليس خلقكم من تراب بأعزَّ من ذلك عليه

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : سألته عن قول الله تعالى (أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) ما الذى أراد الله به ؟ فقال : الموت

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

صنوف من تعذيب الكفار للمستضعفين من المسلمين

قال ابن إسحق : إنهم عدوْا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ؛ فمنهم من يفتتن من شدة البلاء الذى يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم ، وكان بلالٌ مولى أبى بكر رضى الله عنهما لبعض بنى جُمَح مُوَلَّداً من مولديهم . (وهو بلال بن رَبَاح ، وكان اسم أمه حَمامة) وكان صادق الاسلام ، طاهر القلب ، وكان أميَّةُ بن خَلَف بن وهب بن حذافة

بلال بن رباح وصبره على التعذيب

ابن جُمَح يُخْرِجه ـ إذا حميت الظَّهِيرة فيطرَحه على ظَهْره فى بطحاء مكة ثم يأمر بالصخْرة العظيمة فتُوضَع على صدره ، ثم يقول له : لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللاّتَ والْعُزَّى ، فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحَدٌ أحَدٌ

قال ابن إسحق : وحدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : كان وَرَقَة بن نَوْفل يَمُرُّ به وهو يعذب بذلك ، وهو يقول : أحَدٌ أحد ، فيقول : أحدٌ أحد والله يابلال ، ثم يُقْبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بنى جمح ؛ فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حَنَانا (١) حتى مَرَّ به أبو بكر الصديق رضى الله عنه يوما وهم يصنعون ذلك به ، وكانت دار أبى بكر فى بنى جُمَح ، فقال لأمية بن خلف : ألا تتقى الله فى هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ قال : أنت الذى أفسَدْته ، فأنقِذْهُ مما ترى ، فقال أبو بكر : أفعَلُ ، عندى غلام أسود أجْلَدُ منه ، وأقوى على دينك ، أُعْطِيكه به ، قال : قد قبلت ، قال : هو لك ، فأعطاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه غلامه ذلك ، وأخذه فأعتقه

عتق أبى بكر رضى الله عنه

ثم أعتق معه على الاسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ستَّ رقاب ، بلالٌ سابعهم : عامر بن فُهَيْرَة ، شهد بدرا وأحدُا وقتل يوم بئر مَعُونه شهيدا وأم عُبَيس (٢) وزِنّيرَة ، وأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت قريش :

---

(١) « لأتخذنه حنانا » أراد لأجعلنَّ قبره موضع حنان ، أى: مظنة رحمة ، فأستمطر عنده رحمة الله وأتبرك به ، وألوذ بجواره

(٢) « أم عبيس » بعين فباء موحدة فياء مثناة ـ هكذا وقع فى نسخ السيرة ، وفى شرحها ، ووقع فى المواهب «أم عنيس» بعين مهملة فنون ، على وزن التصغير أيضا ، وذكر الزرقانى أنه اختلف فى ضبطها على هذين الوجهين

(٣) « زنيرة » بزاى فنون فياء مثناة ـ هكذا وقع فى نسخ السيرة . وفى شرحها ، وقال أبو ذر : «وهكذا ضبطه الدارقطنى ، ومن رواه زبيرة (بالباء الموحدة) فهو من زبره : أى منعه » اه

ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت : كذبوا وبيت الله ما تضرُّ اللاتُ والعزى ، وماتنفعان ، فرداللهُ بصرها ؛ وأعتق النَّهْدِيَّةَ وبنتها ، وكانتا لامرأة مَن بنى عبد الدار ، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهى تقول : والله لاأعتقكما أبداً ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : حِلٌّ يا أم فلان (١) ، فقالت : حِلٌّ أنت أفسدتهما فأعْتِقْهُما ، قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا ، قال : قدأخذتهما وهما حُرَّتَان ، أرْجِعَا إليها طحينها ، قالت : أو نفرغ منه ياأبا بكرثم نرده إليها ؟ قال : ذلك إن شئتما

ومر بجارية بنى مؤمل — حى من بنى عدى بن كعب — وكانت مسلمة ، وكان عمر بن الخطاب يعذبها لتترك الاسلام ، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها ، حتى إذا مَلَّ قال : إنى أعتذر إليك ، إنى لم أتركك إلا مَلاَلَةً ، فتقول : كذلك فعل الله بك ، فابتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن عبد الله بن أبى عتيق ، عن عامر ابن عبد الله بن الزبير ، عن بعض أهله ، قال : قال أبو قُحَافة لأبى بكر : يا بُنَىَّ إنى أراك تُعْتِق رِقَاباً ضعافا ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رِجَالاً جُلْداً يمنعونك ويقومون دونك ، قال : فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبَتِ ، إنى إنما أريد ما أريد لله ، قال : فيتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال له أبوه (٩٢ : ٥ — ٢١) (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) إلى قوله تعالى . (وَمَا لِأَحَدٍ

---

(١) «حل يا أم فلان» قال أبو ذر : « معناه تحللى من يمينك واستثنى فيها ، وأكثر ماتقوله العرب بالنصب ، وقد روى بالوجهين هنا : بالرفع ، والنصب » اه كلامه

عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى)

بن ياسر وأبوه يعذبون فى سبيل الله

قال ابن إسحق : وكانت بنو مخزوم يُخْرِجون بعمَّار بن ياسر وبأَبيه وأُمه — وكانوا أهل بيت إسلام — إذا حَمِيَت الظهيرةُ يعذِّبونهم برَمْضَاء مكة فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول فيما بلغنى « صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ مَوْعِدُكُمُ الْجَنَّةُ » فأما أُمه فقتلوها وهى تأْبى إلا الاسلام .

وكان أَبو جهل الفاسق الذى يُغْرِى بهم فى رجال من قريش ، إذا سمع بالرجل قد أَسلم له شَرَفٌ ومَنَعة أَنَّبه وخَزَّاه ، وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لَنُسَفِّهَنَّ حلمك ، (١) وَلَنُفَيِّلَنَّ رأيك ، وَلَنَضَعَنَّ شرفك ، وإن كان تاجراً قال : والله لَنُكْسِدَنَّ تجارتك ، ولَنُهْلِكَنَّ مالك ، وإن كان ضعيفاً ضَرَبَه وأغْرَى به

قال ابن إسحق: حدثنى حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لعبد الله بن عباس : أَ كان المشركون يَبْلغون من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يُعْذَرون به فى ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ؛ إن كانوا ليَضْرِبون أحدَهم ويُجيعونه ويعطشونه حتى ما يَقْدِرُ على أن يستوى جالساً من شدة الضر الذى نزل به ، حتى يعطيهم ماسأَلوه من الفتنة ، حتى يقولوا له : اللات والعزى إلــهُكَ من دون الله ؟ فيقول : نعم ، حتى إن الْجُعَلَ لَيَمُرُّ بهم فيقولون له : هذا الجعل إلٰهُكَ من دون الله فيقول : نعم ، افتداءً منهم مما يبلغون من جَهْده

مشركو مكة يحاولون فتنة جماعة عن أسلموا فيدفعهم الله عنهم

قال ابن إسحق : وحدثنى الزبير بن عكاشة بن عبد الله بن أبى أحمد ، أنه حُدِّث ، أن رجالا من بنى مخزوم مَشَوْا إلى هشام بن الوليد — حين أسلم

---

(١) قوله لنفيلن رأيك اى لنقبحنه ونخطئنه كما فى القاموس

أخوه الوليد بن الوليد بن المغيرة — وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتيةً منهم كانوا قد أسلموا : منهم سلمة بن هشام ، وعَيَّاش بن أبى ربيعة ، قال : فقالوا له وخَشُوا شرَّه : إنا قد أردنا أن نُعَاتب هؤلاء الفتيةَ على هذا الدين الذى أحدثوا ؛ فانا نأمن بذلك فى غيرهم ، قال : هذا فعليكم به فعاتبوه ، وإياكم ونفسه ، ثم قال : —

أَلاَ لاَيُقْتَلَنَّ أَخِي عُيَيْسٌ ۞ فَيَبْقَى بَيْنَنَا أَبَدًا تَلاَحِي

احذروا على نفسه ، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلا ، قال : فقالوا : اللهم العنه ، من يغرر بهذا الحديث ، فوالله لو أصيب فى أيدينا لقتل أشرفنا رجلا ، فتركوه ونزعوا عنه ، قال : وكان ذلك مما دفع الله به عنهم

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبب الهجرة الى الحبشة

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّائى ، عن محمد بن إسحق المُطَّلبى ، قال :

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ؛ لمكانه من الله ، ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : « لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَي أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لاَ يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ » فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة ؛ مخافة الفتنة ، وفرارا إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة كانت فى الاسلام

اجرون الاولون . ارض الحبشة وقبائلهم

وكان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر: عثمان بن عفّان ابن أبي العاص بن أمية ، معه امرأته رُقَيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عُتْبة بن ربيعة ابن عبد شمس ، معه امرأته سَهْلة بنت سُهَيل بن عَمْرو ، أحد بنى عامر بن لؤى ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حذيفة

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزُّبَيْر بن العوّام بن خُوَيْلد ابن أسد

ومن بنى عبد الدار بن قصي : مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار

ومن بنى زُهْرة بن كلاب : عَبْدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عوف ابن عبد بن الحرث بن زهرة

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظة بن مرة : أبو سَلَمَة بن عبد الأسد بن هلال ابن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزوم ، معه امرأته أم سَلَمَة بنت أبي أمية بن المغيرة ابن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب : عُثمان بن مَظْعون ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمَح

ومن بنى عدىّ بن كعب : عامر بن ربيعة ، حليف آل الخطاب ، من عنز بن وائل (قال ابن هشام : ويقال : من عنزة بن أسد بن ربيعة) ، مع امرأته لَيْلى بنت أبي حَثْمة بن حذافة بن غانم بن عبد الله ابن عَوْف (١) بن عبيد بن عُوَيج بن عدى بن كعب

(١) قال أبو ذر : «كذا وقع ، وإنما هو غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج ؛ وكذا قال فيه أبو عمر» اهـ كلامه ، يريد أن المؤلف

ومن بنى عامر بن لؤى : أبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العُزّى بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، ويقال : بل أبو حاطب بن عَمْرو بن عَبْد شَمْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل ابن عامر ؛ ويقال : هو كان أول من قدمها

ومن بنى الحرث بن فهر : سُهَيْل بن بَيْضَاء (وهو سُهَيل بن وَهْب ابن رَبيعة بن هِلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحرث)

فكان هؤلاء العشرةُ أولَ من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغنى

قال ابن هشام : وكان عليهم عثمانُ بن مَظْعون — فيما ذكر لى بعض أهل العلم

قال ابن إسحق : ثم خرج جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه

من بنى هاشم بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كلاب بن مرة بن كَعْب ابن لُؤى بن غالب بن فهر : جعفرُ بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، معه امرأته أسماء بنت عُمَيس بن النُّعْمان بن كَعْب بن مالك بن قُحَافة بن خَثْعم ، ولدت له بأرض الحبشة عَبْدَ الله بن جعفر ، رجلٌ المهاجرون من بنى هاشم الى الحبشة

ومن بنى أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمانُ بن عَفَّان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته رُقَيَّة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته فاطمة بنت المهاجرون من بنى أمية الى الحبشة

أسقط عامر بين غانم وعبد الله ، وزاد عوفا بين عبد الله وعبيد ؛ فتدبر ذلك .

صَفْوَان بن أمية بن محرث [١] بن شق بن رَقَبة بن مُخْدج الكِنَانِىّ ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته أُمَيْنَة بنتُ خلف ابن أسعد بن عامر بن بَيَاضة بن يثيع [٢] بن جشمة بن سَعْد بن مُلَيح بن عمرو ، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال هُمَيْنَة بنت خلف

قال ابن إسحق : ولدت له بأرض الحبشة سعيدَ بن خالد ، وأمة بنت خالد ؛ وتزوج أمة بعد ذلك الزبير بن العوام فولدت له عمرو بن الزبير وخالد ابن الزبير .

المهاجرون الى الحبشة من بنى أسد بن خزيمة

ومن حلفائهم من بنى أسد بن خزيمة : عبدُ الله بن جَحْش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبِرة بن مُرَّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد ، وأخوه عُبَيْد الله بن جحش ، معه امرأته أمُّ حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية ، وقَيْسُ بن عَبْد الله ، رجل من بنى أسد بن خزيمة ، معه امرأته بَرَكَة بنت يسار مولاة أبى سفيان بن حرب بن أمية ، ومُعَيْقيب بن أبى فاطمة ، وهؤلاء آلُ سعيد بن العاص ، سبعة نفر

قال ابن هشام : مُعَيْقيب من دَوْس

المهاجرون الى الحبشة من بنى عبد شمس

قال ابن إسحقَ : ومن بنى عبد شَمْس بن عبد مناف : أبو حُذَيْفة بن عُتْبة ابن رَبيعة بن عبد شمس ؛ وأبو موسى الأشعرى ، واسمه عبدالله بن قَيْس حليف آل عتبة بن ربيعة ، رجلان .

المهاجرون من بنى نوفل

ومن بنى نَوْفل بن عبد مناف : عُتْبة بن غَزْوان بن جابر بن وَهْب بن نَسيب بن مالك بن الْحرث بن مازن بن مَنْصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة ابن قَيْس بن عَيْلان ، حليف لهم ، رجل

---

(١) فى نسختين «محرق» بالقاف فى مكان الثاء ، وفى بعضها «محرث بن خمل بن شق» .

(٢) سبق ذكر التصويب فى هذا العلم (ص ٢٧٣) من هذا الجزء

المهاجرون من بنى أسد بن عبد العزى

ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى بن قصى: الزُّبَيْر بن العَوَّام بن خُوَيلد بن أسد، والأَسْوَدُ بن نوفل بن خُوَيلد بن أسد، ويَزيد بن زَمْعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد، وعَمْرو بن أمية بن الحرث بن أسد، أربعةُ نفر.

المهاجرون من بنى عبد بن قصى

ومن بنى عبد بن قصى: طُلَيْب بن عُمَير بن وَهْب بن أبى كبير (١) بن عَبْد [بن قصى (٢)] رجل

المهاجرون من بنى عبد الدار بن قصى

ومن بنى عبد الدَّار بن قصى: مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وسويبط بن سَعْد بن حَرْمَلَة بن مالك بن عُمَيلة ابن السَّبَّاق بن عبد الدار، وجَهْم بن قيْس بن عبد شُرحْبيل بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار، معه امرأته أمُّ حَرْمَلَة بنت عبد الأسود ابن جُذَيمة بن أقيش بن عامر بن بَيَاضة بن يثيع بن جعثمة بن سَعْد ابن مُلَيح بن عَمْرو، من خزاعة، وابناه: عمرو بن جَهْم، وخزيمة بن جَهْم، وأبو الروم بن عُمَير بن هَاشم بن عَبْد مَنَاف بن عَبْد الدار، وفِرَاس ابن النَّضْر بن الْحرث بن كَلَدَة بن عَلْقَمة بن عَبْد مَنَاف بن عبد الدار، خمسة نفر.

المهاجرون من بنى زهرة بن كلاب

ومن بنى زهرة بن كلاب: عَبْدُ الرحمن بن عَوْف بن عَبْد عوف ابن عَبْد بن الْحرث بن زهرة، وعامر بن أبى وَقَّاص، وأبو وقاص: مالكُ ابن أُهَيْب بن عبد مناف بن زُهْرة، والمُطَّلب بن أزهر بن عَبْد عَوْف ابن عَبْد بن الْحرث بن زهرة، معه امرأته رَمْلة بنت أبى عوف بن ضبيرة

---

(١) فى بعض النسخ كثير، بالثاء المثلثة،

(٢) زاده أبو ذر، وهو مذكور فى صدر كلام ابن إسحاق فالخطب فيه هين، وقال أبو ذر: « وليس وهب بابن أبى كبير، بل هو أخوه » اهـ

ابن سُعَيْد بن سعد بن سَهْم ، ولدت له بأرض الحبشة عبدَ الله بن المطلب

المهاجرون من هذيل

ومن حلفائهم من هذيل : عبدُ الله بن مَسعود بن الْحرث بن شمخ ابن مَخزوم بن صَاهلة بن كَاهل بن الْحرث بن تميم بن سَعْد بن هذيل ، وأخوه عُتْبَة بن مسعود

المهاجرون من بهراء

ومن بهراء : الِمقْدَاد بن عَمْرو بن ثَعْلَبة بن مالك بن رَبيعة ابن ثُمَامة بن مَطْرود بن عَمْرو بن سَعْد بن زُهَير بن ثور [1] بن ثعْلبة ابن مالك بن الشّريد بن هزل بن فائش [2] بن دُرَيم بن الْقَيْن بن أهود ابن بَهْراء ابن عمرو بن إلحاف بن قضاعة

قال ابن هشام : ويقال : هزل بن فاس بن ذر ودَهير [3] ابن ثَوْر .

قال ابن إسحق : وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يَغوث ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وذلك أنه كان تَبَنَّاه فى الجاهلية وحالفه ، ستة نفر .

المهاجرون من بنى تيم بن مرة

ومن بنى تَيْم بن مُرَّة : الحرثُ بن خَالد بن صَخْر بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سَعْد بن تَيْم . معه امرأته رَيْطة بنت الْحرث بن جَبَلة ابن عامر بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم . ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحرث ، وعائشة بنت الحرث ، وزينب بنت الحرث . وفاطمة

---

(١) قال أبو ذر : «هكذا وقع ، وصوابه زهير بن لؤى» اه

(٢) قال أبو ذر : «هكذا وقع بن هزل بن قائش ؛ وصوابه ابن أبى أهوز ابن أبى فائش» اه

(٣) قال أبوذر : « ويقال أيضا دهير (بالتصغير) ويقال أيضا دهبر بالباء بواحدة مفتوحة ، والصواب فيه بفتح الدال وكسر الهاء ، وكذا قيده الدارقطنى رحمه الله » اه

بنت الحرث ، وعَمْرُو بن عثمان بن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد بن تيم ، رجـلان .

المهاجرون من بنى مخزوم وحلفائهم

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة : أبو سَلَمة بن عبد الأسد ابن هِلال بن عَبْد الله بن عُمَر بن مَخْزوم ، معه امرأته أمُّ سَلَمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، ولدت له بأرض الحبشة زينبَ بنت أبى سلمة ، واسم أبى سلمة عبد الله ، واسم أم سلمة هند ، وشمَّاسُ بن عثمانَ [بن عَبْد] بن الشّريد بن سُوَيد بن هَرْمى بن عامر ابن مَخْزوم

قال ابن هشام : اسم شماس عثمان ، وإنما سمى شماساً لأن شَمَّاساً من الشمامسة [1] قدم مكة فى الجاهلية ، وكان جميلا ، فعجب الناس من جماله ، فقال عتبة بن ربيعة وكان خال شمَّاس : فأنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان ، فسمى شماسا ، فيما ذكر ابن شهاب وغيره

قال ابن إسحق : وهَبَّار بن سُفْيان بن عَبْد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وأخوه عبد الله بن سفيان ، وهشام بن أبى حُذَيفة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وسَلَمة بن هِشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعَيَّاش بن أبى ربيعة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

ومن حلفائهم : مُعَتِّب بن عَوْف بن عامر بن الْفَضْل بن عَفِيف بن كُلَيب بن حَبَشية بن سَلُول بن كَعْب بن عمرو ، من خزاعة ، وهو الذى يقال له عَيْهَامة ، ثمانية نفر

---

(١) الشمامسة : هم الرهبان ، لأنهم يشمسون أنفسهم ، يريدون تعذيب النفوس بذلك

قال ابن هشام : ويقال حُبْشِيَة بن سلول ، وهو الذى يقال له مُعَتِّب ابن حمراء

المهاجرون من بنى جمح

ومن بنى جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب : عثمانُ بن مَظْعون ابن حَبيب بن وَهْب بن حذافه بن جُمَح ، وابنه السائب بن عثمان ، وأخواه : قُدامة بن مَظْعون ، وعبد الله بن مظعون ، وحاطب بن الحَرِث ابن مَعْمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، معه امرأته فاطمة بنت المُجَلَّل بن عبد الله بن أبى قَيْس بن عَبْدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وابناه : محمد بن حاطب ، والحرث بن حاطب . وهما لبنت المُجَلَّل ، وأخوه حَطَّاب بن الحَرث ، معه امرأته فُكَيْهة بنت يسار ، وسُفْيان بن مَعْمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح . معه ابناه : جابر بن سفيان ، وجُنادة بن سفيان ، ومعه امرأته حَسنة . وهى أمهما ، وأخوهما من أمهما شُرَحبيل بن حَسنة ، أحد الغوث

قال ابن هشام : شُرَحبيل : ابنُ عبد الله أحد الغوث بن مُرّ أخى تميم بن مُرّ

قال ابن إسحق : وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وَهْب بن حُذافة ابن جُمَح ، أحد عشر رجلا

المهاجرون من بنى سهم بن عمرو

ومن بنى سَهْم بن عمْرو بن هُصَيص بن كعب: خُنَيس بن حُذَافة ابن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد [1] بن سَهْم . وعَبْدُ الله بن الحرث بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد ابن سهم

---

(١) قد قدمنا أن ابن إسحق يذكر حيث وقع فى كتابه «سعيد بن سهم» وذكرنا عن السهيلى وأبى ذر أن صوابه سعد بن سهم

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سَعْد بن سهم

قال ابن إسحق : وقَيْسُ بن حُذَافة بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد ابن سهم ، وأبو قيس بن الحرث بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد ابن سَهْم ، وعبدُ الله بن حُذافة بن قيس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم ، والحْرثُ بن الحرث بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم ، ومَعْمَر بن الحرث بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم ، وبِشْر بن الحرث بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم ، وأخٌ له من أمه من بنى تميم يقال له سَعِيد بن عَمْرو ، وسَعيد بن الحرث بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم ، والسائب بن الحرث بن قَيْس بن عَدِىّ بن سَعْد بن سَهْم ، وعُمَيْر بن رئاب بن حُذَيفة بن مُهَشِّم بن سعد سَهْم ، ومَحْمِيَة بن الجزاء[1] ، حليف لهم من بنى زُبَيد ، أربعة عشر رجلا

المهاجرون من بنى عدى بن كعب

ومن بنى عدىّ بن كعب: مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلة بن عبد الْعُزَّى ابن حُرْثان بن عَوْف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عَدِىّ ، وعُرْوَة بن عبد الْعُزَّى بن حُرْثان بن عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيْج بن عَدِى ، وعَدِىّ ابن نَضْلة بن عبد الْعُزَّى بن حُرْثان بن عَوْف بن عُبَيْد بن عُوَيْج بن عَدى ، وابنه النُّعْمَان بن عدى ، وعامر بن رَبيعة ، حليف لآل الخطاب من عَنْز بن وائل ، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم ، خمسة نفر

المهاجرون من بنى عامر بن لؤى

ومن بنى عامر بن لؤى : أبو سَبْرة[2] بن أبى رُهْم بن عَبْد الْعُزَّى بن أبى قيس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مَالك بن حِسل بن عامر ، معه امرأته أمّ كلثوم بنت سُهَيل بن عَمْرو بن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن

---

(١) فى بعض النسخ «الجزء» بدون ألف . وقال أبو ذر : «ومحمية بن الجزاء ، ويروى أيضا ابن الجز بفتح الجيم وكسرها وبالزاى مشددا ، والصواب فيه الجز والله أعلم» اه كلامه

(٢) ذكره المؤلف مرة قبل هذه (ص ٣٤٥)

حسْل بن عامر ، وعبد الله بن مَخرمة بن عبد العُزَّى بن أبي قَيْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ،وعبد الله بن سُهَيْل بن عَمْرو ابن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وسَليط ابن عَمْرو بن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وأخوه السَّكران بن عمرو ، معه امرأته سَوْدَة بنت زَمْعَة بن قَيْس بن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، ومالكُ ابن زَمْعة (١) بن قيس بن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، معه امرأته عَمْرة بنت السَّعْدى بن وَقْدان بن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وأبو وحاطب بن عَمْرو بن عَبْد شَمْس بن عبدوُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل ابن عامر ، وسعد بن خَوْلة ، حليفٌ لهم ، ثمانية نفر

قال ابن هشام : سعد بن خولة من اليمن

المهاجرون من بني الحارث بن فهر

قال ابن إسحق : ومن بني الحرث بن فهر : أبو عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاح وهو عامر بن عبد الله بن الجَرَّاح بن هِلال بن أُهيب بن ضَبَّةَ بن الحرث ، وسُهَيْل ابن بَيْضَاء ، وهو سُهَيْل بن وَهْب بن رَبيعة بن هِلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحرث ، ولكن أمه غلبت على نسبه، فهو ينسب إليها ، وهي دعد بنت جَحْدَم ابن أُميَّة بن ظَرِب بن الحرث بن فِهْر ، وكانت تدعى بيضاء ، وعَمْرو ابن أبي سَرْح بن رَبيعة بن هِلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحرث، وعِياضُ ابن زُهَيْر بن أبي شَدَّاد بن ربيعة بن هِلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحَرْث ويقال : بل ربيعة ابن هلال بن مالك بن ضَبَّة ، وعَمْرو بن الحرث بن زُهَيْر ابن أبي شَدَّاد بن ربيعة بن هِلال بن مالك بن ضَبة بن الحرث ، وعَمْرو ابن عَبْد غَنْم بن زُهَير بن أبي شَدَّاد بن ربيعة بن هِلال بن مالك بن ضَبَّة بن

(١) في نسخة « ومالك بن ربيعة »

بن الحرث ، وسَعْدُ بن عَبْد قَيْس بن لَقيط بن عامر بن أُمَيَّة بن ظَرِب ابن الحرث ، والحرثُ بن عَبْد قَيْس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظَرِب ابن الحرث بن فهر ، ثمانية نفر

فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين ـ سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها — ثلاثةً وثمانين رجلا ، إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه

وكان مما قيل من الشعر فى الحبشة أن عبد الله بن الحرث بن قَيْس ابن عَدِى بن سَعْد بن سَهْم ، حين أمنوا بأرض الحبشة ، وحمدوا جوار النَّجَاشى ، وعَبَدوا الله لا يخافون على ذلك أحدا . وقد أحسن النجاشى جِوَارهم حين نزلوا به ، قال : —

شعر عبد الله بن الحارث فى هجرة الحبشة

يَارَاكِبًا بَلِّغًا عَنِّى مُغَلْغَلَةً مَنْ كَانَ يَرْجُو بَلَاغَ اللهِ وَالدِّينِ (١)

كُلَّ امْرِىءٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ مُضْطَهَدٍ بِبَطْنِ مَكَّةَ مَقْهُورٍ وَمَفْتُونِ (٢)

أَنَّا وَجَدنا بِلَادَ اللهِ وَاسِعَةً تُنْجِى مِنَ الذُّلِّ وَالْمَخْزَاةِ وَالْهُونِ

فَلَا تُقِيمُوا عَلَى ذُلِّ الْحَيَاةِ وَخِزْ يٍ فِى الْمَمَاتِ وَعَيْبٍ غَيْرِ مَأْمُونِ

إِنَّا تَبِعْنَا رَسُولَ اللهِ وَاطَّرَحُوا قَوْلَ النَّبِىِّ وَعَالُوا فِى الْمَوَازِينِ (٣)

فَاجْعَلْ عَذَابَكَ فِى الْقَوْمِ الَّذِينَ بَغَوْا وَعَائِذٌ بِكَ أَنْ يَعْلُوا فَيُطْغُونِى

وقال عبد الله بن الحرث أيضا ، يذكر نَفْىَ قريش إياهم من بلادهم ، ويعاتب بعض قومه فى ذلك : —

أَبَتْ كَبِدِى لَا أَكْذِبَنْكَ قِتَالَهُمْ عَلَىَّ وَتَأْبَاهُ عَلَىَّ أَنَامِلِى

---

(١) المغلغلة : الرسالة ترسل من بلد إلى بلد

(٢) المضطهد : المغلوب على أمره الذى لا يزال يؤذى ، وهو الذليل

(٣) عالوا : جاروا وظلموا

وَكَيْفَ قِتَالِى مَعْشَراً أَدَّبُوكُمُ عَلَى الْحَقِّ أَنْ لاَ تَأْشِبُوهُ بِبَاطِلِ (١)

نَفَتْهُمْ عِبَادُ الْجِنِّ مِنْ حُرِّ أَرْضِهِمْ
فَأَضْحَوْا عَلَى أَمْرٍ شَدِيدِ الْبَلاَبِلِ (٢)

فَإِنْ تَكُ كَانَتْ فِى عَدِىٍّ أَمَانَةٌ
عَدِىِّ بْنِ سَعْدٍ عَنْ تُقًى أَوْ تَوَاصُلِ

فَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنَّ ذَلِكَ فِيكُمُ
بِحَمْدِ الَّذِى لاَ يُطَّبَى بِالْجَعَائِلِ (٣)

وَبُدِّلْتُ شِبْلاً شِبْلَ كُلِّ خَبِيثَةٍ بِذِى فَجَرٍ مَأْوَى الضِّعَافِ الْأَرَامِلِ (٤)

وقال عبد الله بن الحرث أيضاً : —

تِلْكَ قُرَيْشٌ تَجْحَدُ اللهَ حَقَّهُ كَمَا جَحَدَتْ عَادٌ وَمَدْيَنُ وَالْحِجْرُ (٥)

فَإِنْ أَنَا لَمْ أُبْرِقْ فَلاَ يَسَعَنَّنِى
مِنَ الْأَرْضِ بَرٌّ ذُو فَضَاءٍ وَلاَ بَحْرُ (٦)

بِأَرْضٍ بِهَا عَبْدُ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ أُبَيِّنُ مَا فِى النَّفْسِ إِذْ بَلَغَ النَّقْرُ (٧)

---

(١) تأشبوه : تخلطوه

(٢) حر أرضهم : هى الأرض الكريمة ، والبلابل : وساوس الأحزان

(٣) لايطبى : أى لايستمال ولا يستدعى ، والجعائل قال أبو ذر : «جمع جعل» ولا نوافقه ، بل هو جمع جعيلة ، فعيلة بمعنى مفعولة ، أو جمع جعالة ومعناهما ومعنى الجعل واحد ،

(٤) الفجر : العطاء الكثير

(٥) الحجر : سكنى ثمود ، وهو قوم صالح صلى الله عليه وسلم

(٦) أبرق : أهدد وأتوعد

(٧) النقر : يروى بالقاف المثناة ، وهو البحث عن الشىء ، ويروى بالفاء

فسمى عبد الله بن الحرث يرحمه الله لبيته الذى قال « الْمُبرِق »

وقال عثمان بن مَظعون يعاتب أميَّةَ بن خَلَف بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح ، وهو ابن عمه ، وكان يؤذيه فى إسلامه ، وكان أمية شريفاً فى قومه فى زمانه ذلك : —

عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن خلف

أَتيمَ بْنَ عَمْرٍ ، لِلَّذِي جَاء بِغضَةً
وَمِنْ دُونِهِ الشَّرْمَانِ وَالْبَرْكُ أَكْتَعُ (١)

أَأَخْرَجْتَنِي مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ آمِناً
وَأَسْكَنْتَنِي فِي صَرْحِ بَيْضَاءَ تُقْذِعُ (٢)

تَرِيشُ نِبَالاً لَا يُوَاتِيكَ رَيْشُهَا
وَتَبْرِي نِبَالاً رِيشُهَا لَكَ أَجْمَعُ (٣)

وَحَارَبْتَ أَقْوَامًا كِرَامًا أَعِزَّةً
وَأَهْلَكْتَ أَقْوَامًا بِهِمْ كُنْتَ تَفْزَعُ (٤)

---

(١) الشرمان : يروى برفع النون على أنه مفرد كسلمان ، وهو اسم موضع ، ويروى بكسر النون على أنه مثنى شرم ، وهو لجة البحر ، وأراد منه هنا البحر من باب إطلاق اسم الجزء على الكل ، وأراد بالشرمين البحر الملح والبحر العذب، والبرك : قيل : هو جماعة الابل الباركة ، وقيل : هو اسم موضع . قال أبوذر : وهو أشبه ، وفى قوله « أكتع » غرابة ؛ لأنه إنما يؤكد بهذا اللفظ بعد ذكر أجمع

(٢) الصرح : العالى المرتفع من الأبنية ، وتقذع : يروى بالذال المعجمة وبالدال المهملة ، فمن رواه بالمعجمة فمعناه تذم ، ومن رواه بالمهملة فمعناه تكف وتنهى ، والمعنى على أنه يكف ساكنها ، يريد أنه ألجأه إلى سكنى مكان لا تستريح فيه النفس ، وهو يمثل حب العرب لوطنهم ، وأراد الحبشة

(٣) « تريش » هو مضارع راش السهم بريشه ، إذا قواه بالريش ، ويستعمل ذلك فى معنى جبره ونفعه وأصلح شأنه ، تقول : راش فلان فلانا بهذا المعنى ، وقوله « ريشها » يروى بفتح الراء وسكون الياء ، على أنه مصدر هذا الفعل ، ويروى بكسر الراء على أنه جمع ريشة

(٤) « تفزع » يروى بالفاء على معنى أنك كنت بهؤلاء تغيث من استغاث بك وتنصر من استنصرك ، ويروى بالقاف ، ومعناه تضارب

سَتَعْلَمُ إِنْ نَابَتْكَ يَوْمًا مُلِمَّةٌ
وَأَسْلَمَكَ الْأَوْبَاشُ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ (١)

وتيم بن عمرو الذى يدعو عثمان : جمح ، كان اسمه تيما

قريش تبعث إلى الحبشة ليردوا عليهم المهاجرين

قال ابن إسحق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ؛ ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جليدين إلى النجاشى فيردهم عليهم ؛ ليفتنوهم فى دينهم ، ويخرجوهم من دارهم التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن أبى ربيعةَ وعَمْرو بن العاص ابن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقته (٢) ثم بعثوهما إليه فيهم ، فقال أبو طالب حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوا بهما فيه أبياتاً للنجاشى يحضه على حُسْن جوارهم والدَّفْع عنهم : —

أبو طالب يحرض النجاشى على الدفع عن المهاجرين

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى كَيْفَ فِى النَّأْىِ جَعْفَرٌ
وَعَمْرٌو وَأَعْدَاءُ الْعَدُوِّ الْأَقَارِبُ
فَهَلْ نَالَ أَفْعَالُ النَّجَاشِىِّ جَعْفَراً وَأَصْحَابَهُ أَوْ عَاقَ ذَلِكَ شَاغِبُ (٣)
تَعَلَّمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَّكَ مَاجِدٌ كَرِيمٌ فَلاَ يَشْقَى لَدَيْكَ الْمُجَانِبُ (٤)

---

(١) الأوباش : الضعفاء الداخلون فى القوم وليسوا منهم

(٢) البطارقة : فسره أبو ذر بالوزراء .

(٣) عاق : منع ، وشاغب يروى بالغين معجمة من الشغب . ويروى بالعين مهملة ، ومعناه المفرق ومنه سميت المنية شعوب : فعول بمعنى فاعل ؛ لأنها تفرق بين المحبين وتصدع شملهم

(٤) أبيت اللعن : هذه تحية العرب فى الجاهلية للملوك : يريدون أبيت أن تأتى من الأمور ما يكون سببا فى اللعن ، والمجانب : أراد به الداخل فى حماه ، يقال لمن انضوى إلى جانبك ولاذ بجوارك : مجانب ، ولا يصح أن يكون من المجانبة

تَعلمْ بِأَنَّ اللهَ زَادَكَ بَسْطَةً ... وَأَسْبَابَ خَيْرٍ كُلُّهَا بِكَ لَازِبُ (١)

وَأَنَّكَ فَيْضٌ ذُو سِجَالٍ غَزِيرَةٍ ... يَنَالُ الْأَعَادِى نَفْعهَا وَالْأَقَارِبُ (٢)

قال ابن إسحق : حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ، عن أبى بكر ابن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومى ، عن أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت : لما نزلنا أرضَ الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشىّ ، أمنَّا على ديننا ، وعَبَدْنا الله تعالى لا نُؤْذَى ولا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى فينا رجلين منهم جليدين ، وأن يُهْدُوا للنجاشى هدايا مما يُسْتَطْرف من مَتَاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأَدَم ، فجمعوا له أدَماً كثيرا ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهْدَوْا له هديةً ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبى ربيعة و عَمْرو بن العاص ، فأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تُكلِّما النجاشى فيهم ، ثم قدِّمَا إلى النجاشى هداياه ، ثم سَلَاه أن يُسْلمهم إليكما قبل أن يكلمهم ، قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشى ، ونحن عنده بخير دار عند خير جار ، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشى ، وقالا لكل بطريق منهم : إنه قد ضَوَى (٣) إلى بلد الملك منا غِلْمَانٌ سُفَهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين مُبْتَدَع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بَعَثَنَا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردَّهم

---

(١) لازب : لاصق ولازم

(٢) فيض : أراد به أنه كريم ، وسجال : فى الأصل جمع سجل ، وهو الدلو إذا امتلأت ، وأراد منه ههنا العطية

(٣) ضوى : أى أوى ولجأ ولصق

إليهم ، فاذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ، ولا يكلمهم ؛ فان قوْمهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لهما : نعم ، ثم إنهما قدَّمَا هداياهما إلى النجاشى ، فقبلها منهما ، ثم كلماه فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضَوَى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردَّهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ، قالت : ولم يكن شىء أبغض إلى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامَهُم النجاشي ، قالت : فقالت بطارقته حوله : صدَقا أيها الملك ، قَوْمُهُم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسْلِمْهُمْ إليهما فَلْيَرُدَّاهم إلى بلادهم وقومهم ، قالت : فغضب النجاشى ، ثم قال : لَاهَا اللهِ ، إذاً لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادى واختاروني على من سواى حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم : فان كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاورونى ، قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا ، وما أَمرَنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوا — وقد دعا النجاشى أساقفته [1] فنشروا مصاحفهم حوله — سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟ قالت : فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب فقال له : أيها الملك ، كنَّا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى

عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة فى حضرة النجاشى

(١) الأساقفة : جمع أسقف ، وهو العالم فى النصرانية

جواب المسلمين فى الدفاع عن أنفسهم

الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوىُّ منا الضعيف ، فكُنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ، ونعبده ، ونَخْلَعَ ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بِصِدْق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرَّحِم ، وحُسْن الجوار ، والكفّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقَذْف المُحْصَنة ، وأمرَنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، قالت : فعدَّدَ عليه أمور الاسلام ، فصدقناه وآمنا به واتَّبَعْنَاه على ما جاء به من الله ؛ فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ، وحَرَّمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فَعَدَا علينا قومُنا فعذَّبونا وفَتَنُونا عن ديننا ؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلمَّا قَهَرونا وظلمونا وضَيَّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ، ورجونا أن لا نُظْلَم عندك أيها الملك ، قالت : فقال له النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال له النجاشي : فاقرأه علىّ ، قالت : فقرأ عليه صدرا من (كهيعص) قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخْضَلَّتْ [1] لحيته ؛ وبكت أساقفته حتى أخْضَلوا مصاحِفَهُمْ حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى لَيَخْرُجُ من

---

(١) اخضلت : ابتلت ، وفى بعض النسخ «أخضل لحيته» كما هو كذلك فى النهاية ، فأخضل على هذا مثل أكرم ، ومعناه بلها ، ولحيته على هذا مفعول ، مثل قوله « أخضلوا مصاحفهم » تقول : أخضل المطر الأرض ، إذا بلها

مشْكاة[1] واحدة ، انطلقا فلا و الله لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون ؛
قالت : فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خَضْرَاءهم[2] ، قالت : فقال له عبدالله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا : لا تفعل ؛ فإن لهم أرحاما و إن كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد ، قالت : ثم غدا عليه من الغد ، فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قَوْلاً عظيما ، فأرسِلْ إليهم فَسَلْهُم عمَّا يقولون فيه ، قالت : فأرسل إليهم ليسألهم عنه ، قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط ، فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ماقال الله وما جاءنا به نبينا كائنا فى ذلك ما هو كائن ، قالت : فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم ؟ قالت : فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم الْعَذْراء الْبَتُول ، قالت : فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عودا ثم قال : والله ماعدَا عيسى ابنُ مريم ما قلت هذا[3] العودَ ، قالت : فتناخرت بطارقَتُهُ حَوْلَه حين قال ماقال ، فقال : وإن نخرتم والله ، واذهبوا فأنتم شيوم بأرضى (والشيوم : الآمنون) من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ما أحب أن لى دَبْراً من ذهب (قال ابن هشام: ويقال : دِبْرًا من ذهب ، ويقال :

عمرو بن العاص يوقع بالمسلمين عند النجاشى

---

(1) المشكاة : الثقب الذى يوضع فيه الفتيل والمصباح ، وهى الكوة غير النافذة .

(2) « أستأصل به خضراءهم » يعنى جماعتهم ومعظمهم

(3) قال أبو ذر : « تقديره ماجاوز مقدار هذا العود أو قدر هذا العود » اهـ

فأنتم سيوم) وأنى آذيت رجلا منكم (والدبر بلسان الحبشة : الجبل) رُدُّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها ، فوالله ما أخذ الله منى الرِّشْوَةَ حين رَدَّ على ملكى فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناسَ فىَّ فأطيعهم فيه ، قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ماجاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار

رجل من الحبشة ينازع النجاشى الملك فينصره الله عليه

قالت : فوالله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه ، قالت : فوالله ما علمتُنَا حَزِنَّا حُزْنًا قط كان أشد من حزن حَزِنَّاه عند ذلك ؛ تخوُّفًا أن يَظْهَرَ ذلك الرجل على النجاشى ، فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشى يعرف منه

قالت : وسار إليه النجاشى و بينهما عرض النيل ، قالت : فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ رَجُلٌ يخرج حتى يحضُرَ وقيعة القوم ، ثم يأتينا بالخبر ، قالت : فقال الزبير بن العوام : أنا ، فقالوا : فأنت ، وكان من أحدث القوم سنا ، قالت : فَنَفَخُوا له قربة ، فجعلها فى صدره ، ثم سَبَحَ عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها مُلْتَقَى القوم ، ثم انطلق حتى حَضَرَهم ، قالت: فَدَعَوْنا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له فى بلاده ، قالت : فوالله إنَّا لَعَلَى ذلك متوقِّعون لما هو كائن إذ طلع الزبير وهو يسعى ، فلمع بثوبه وهو يقول : ألا أبشروا فقد ظفر النجاشى ، وأهلك الله عدوه ، ومكن له فى بلاده ، قالت : فوالله ما علمتُنَا فَرِحْنَا فَرْحَةً قطُّ مثلها ، قالت : ورَجَعَ النجاشى وقد أهلك الله عدوه ، ومكن له فى بلاده ، واستوثق عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده فى خير مَنْزل ، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة

أهل الحبشة يقتلون أبا النجاشي ويملكون عمه ثم يبيعون النجاشي فيرد الله إليه ملكه

قال ابن إسحق : قال الزهرى : فحدثت عروة بن الزبير حديث أبى بكر بن عبد الرحمن عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تدرى ما قوله « ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه ، وماأطاع الناس فىَّ فأطيع الناس فيه» قال : قلت : لا ، قال : فان عائشة أم المؤمنين حدثتنى أن أباه كان ملك قومه ، ولم يكن له ولد إلا النجاشى ، وكان للنجاشى عم له من صلبه اثنا عشر رجلا، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة ، فقالت الحبشة بينها : لوأنا قتلنا أبا النجاشى وملّكنا أخاه ، فانه لا ولد له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صلبه اثْنَىْ عَشَرَ رجلاً فتوارثوا ملكه من بعده ؛ بقيت الحبشة بعده دهراً ، فغَدَوْا على أبى النجاشى ، فقتلوه ، وملكوا أخاه ؛ فمكثوا على ذلك حينا ، ونشأ النجاشى مع عمه ، وكان لبيبا حازما من الرجال ، فغلب على أمر عمه ، ونزل منه بكل منزلة ؛ فلما رأت الحبشة مكانه منه قالت بينها : والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه ، وإنا لنتخوف أن يُمَلِّكه علينا ، وإن مَلَّكه علينا لَيَقْتُلَنَّنَا أجمعين ، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه ، فمشوا إلى عمه ، فقالوا : إما أن تقتل هذا الفتى ، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا ، فإنا قد خِفْنَاه على أنفسنا ، قال : ويلكم ! ! قتلت أباه بالأمس وأقتله اليوم ؟ بل أخرجه من بلادكم ، قالت : فخرجوا به إلى السوق ، فباعوه من رجل من التجار بستمائة درهم ، فقذفه فى سفينة ، فانطلق به حتى إذا كان العشىُّ من ذلك اليوم هاجت سحابةٌ من سحائب الخريف ، فخرج عمه يستمطر تحتها ، فأصابته صاعقة فقتلته ، قالت : ففزعت الحبشة إلى ولده ، فاذا هو

مُحْمِقٌ (١) ليس فى ولده خير . فَمَرَجَ (٢) على الحبشة أمرهم فلما ضاق عليهم ماهم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض: تَعَلَّمُوا والله إن مَلِككم الذى لايُقيم أمْرَكم غيرُه لَلَّذى بِعْتُمْ غُدْوَةً، فان كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه . قالت : فخرجوا فى طلبه وطلب الرجل الذى باعوه منه ، حتى أدركوه فأخذوه منه ، ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج ، وأقعدوه على سرير الملك فملّكوه . فجاءهم التاجر الذى كانوا باعوه منه ، فقال: إما أن تعطونى مالى ، وإما أن أكلمه فى ذلك ، قالوا : لانعطيك شيئاً ، قال : إذاً والله أكلمه . قالوا : فدونك وإياه ، قالت : فجاءه ، فجلس بين يديه ، فقال : أيها الملك . ابتعتُ غلاماً من قوم بالسوق بستمائة درهم ، فأسلموا إلى غلامى وأخذوا دراهمى ، حتى إذا سِرْتُ بغلامى أدركونى فأخذوا غلامى ومنعونى دراهمى ، قالت : فقال لهم النجاشى : لَتُعْطُنَّهُ دراهمه أو لَيَضَعَنَّ غلامه يده فى يده فَلَيَذْهَبَنَّ به حيث شاء ، قالوا: بل نعطيه دراهمه ، قالت : فلذلك يقول : « ما أخذ الله منى رشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه . وما أطاع الناس فىَّ فأطيع الناس فيه » قالت : وكان ذلك أول ما خبر من صلابته فى دينه وعدله فى حكمه

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما مات النجاشى كان يُتَحَدَّث أنه لايزال يُرَى على قبره نور

أهل الحبشة يحاولون خلع النجاشى فيكيد لهم

قال ابن إسحق : وحدثنى جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشى : إنك قد فارقت ديننا ، وخرجوا عليه ، قال :

---

(١) « محمق » المحمق : هو الذى يلد الحمق

(٢) « مرج » معناه قلق واضطرب

فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهيأ لهم سفنا ؛ وقال : اركبوا فيها ، وكونوا كما أنتم ، فان هُزِمْتُ فامْضُوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظَفِرْتُ فاثبتوا ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ، ثم جعله فى قبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة وصفُّوا له ، فقال : يامعشر الحبشة ، ألست أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى ، قال: فكيف رأيتم سيرتى فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ، قال : فما لكم ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبد ، قال : فما تقولون أنتم فى عيسى ؟ قالوا : نقول : هو ابن الله ، فقال النجاشى — ووضع يده على صدره على قبائه — : هو يشهد أن عيسى ابن مريم لم يزد على هذا شيئاً ، وإنما يعنى ما كتب ، فرَضُوا ، وانصرفوا ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما مات النجاشى صلى عليه واستغفر له

ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

إسلام عمر بن الخطاب

قال ابن إسحق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة على قريش ولم يدركوا ماطلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وردّهم النجاشي بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلا ذا شكيمة لا يُرَامُ ما وراء ظهره ، امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتى عَازُّوا[1] قريشا ، وكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما

---

(١) « عازوا قريشا » غلبوهم ، وفى التنزيل : (وعزنى فى الخطاب) فسروه بهذا المعنى .

أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه ، وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة

المسلمون يعتز بإسلام ع

قال البكائى : قال : حدثنى مِسْعَرُ بن كِدام ، عن سَعْد بن إبراهيم ، قال : قال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصرا ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا مانصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عَيَّاش بن أبى ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبى حَثْمة ، قالت : والله إنا لنترحَّل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر فى بعض حاجاتنا ، إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علىَّ ، وهو على شركه ، قالت : وكنا نَلْقَي منه البلاء أذًى لنا وشدَّةً علينا ، قالت : فقال : إنَّه الانْطِلاَقُ ياأمَّ عبد الله ، قالت : فقلت : نعم والله لنخرجَنَّ فى أرض الله ، آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله لنا مخرجا ، قالت : فقال : صَحِبَكم الله ، ورأيت له رِقَّةً لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه — فيما أرى — خروجُنَا ، قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقلت له : ياأبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقَّتَهُ وحزنه علينا ، قال : أطَمِعْتِ فى إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم ، قال : فلا يسلم الذى رأيتِ حتى يسلم حمار الخطاب ، قالت : يأساً منه لما كان يرى من غِلْظته وقَسْوته عن الاسلام

سبب إسلام عمر

قال ابن إسحق : وكان إسلام عمر — فيما بلغنى — أن أخته فاطمة بنت الخطاب — وكانت عند سعيد بن زَيْد بن عَمْرو بن نفيل ، وكانت قد

أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد وهما مستخفيان باسلامهما من عمر ، وكان نُعَيْمُ بن عبد الله النَّحَّام — رجلٌ من قومه من بنى عدى بن كعب — قد أسلم وكان أيضا يستخفى باسلامه فَرَقًا من قومه ، وكان خَبَّابُ بن الأرتّ يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يُقْرِئها القرآن ، فخرج عُمَرُ يوما متوشّحًا بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمُّه حمزةُ بن عبدالمطلب وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم ، ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقيه نُعَيْم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد ياعمر ؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابىء الذى فرّق أمرَ قريش وسَفَّه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرّتْكَ نفسُكَ من نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مَنَافٍ تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا ، أفلا ترجع إلى أهل بيتك فَتُقِيم أمرهم !!؛ قال : وأى أهل بيتى ؟ قال : خَتَنُكَ وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه ، فعليك بهما ، قال : فرجع عمر عامداً إلى أخته وخَتَنه ، وعندها خَبَّاب بن الأرت معه صحيفة فيها طه يُقْرِئُهمَا إياها ، فلما سمعوا احسّ عمر تَغَيَّب خَبَّاب فى مُخْدَع (١) لهم أوفى بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خَبَّاب

---

(١) المخدع — بضم الميم أو فتحها — البيت يكون فى جوف البيت

عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الْهَيْنَمَةُ (١) التى سمعت ؟ قالا له : ماسمعت شيئا ، قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبَطَش بخَتنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتَكُفَّهُ عن زوجها ، فضربها فشجَّها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله و رسوله ، فاصنع مابدالك ، فلما ر أى عمر مابأخْتهِ من الدم ندم على ماصنع ، فارعوى ، وقال لأُخته : أعطيني هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرؤن آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمد ، وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك قالت له أخته : إنَّا نخشاك عليها ، قال: لاتخافى ، وحلف لها بآلهته لَيَرُدَّنَّها إذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه ، فقالت له : ياأخى ، إنك نَجَسٌ على شركك ، وإنه لا يمسها إلا الطاهر ، فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها ، فلما قرأ منها صَدْراً قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه !! فلما سمع ذلك خَبَّاب خرج إليه ؛ فقال له : ياعمر والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خَصَّك بدعوة نبيه ، فانى سمعته أمس وهو يقول: «اللَّهُمَّ أيِّدِ الإسْلاَمَ بأبى الحكم بن هشام أو بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» فالله الله يا عمر ، فقال له عند ذلك عمر : فدُلَّنى ياخَبَّابُ على محمد حتى آتيه فأسلم ، فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشَّحه ، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خَلَلِ الباب فرآه متوشّحاً السيف ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فَزِعٌ ، فقال : يارسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف ، فقال حمزة

---

(١) الهينمة : الصوت الذى لايسمع والكلام الذى لايفهم

ابن عبد المطلب : فأْذَنْ له . فان كان جاء يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ائْذَنْ لَهُ » فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجرة ، فأخذ بحُجْزَته ، أو بمجمع ردائه ، ثم جبذه جَبْذَةً شديدة ، وقال « مَا جَاءَ بِكَ يَاابْنَ الْخَطَّابِ ، فَوَاللهِ مَاأَرَى أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّى يُنْزِلَ اللهُ بِكَ قَارِعَةً » فقال عمر : يارسول الله ، جئتك لأومن بالله و برسوله و بما جاء من عند الله ، قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرفَ أهلُ البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم . فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقَدْ عَزُّوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و ينتصفون بهما من عدوهم ، فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم

رواية أخرى فى سبب اسلام عمر

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح المكيُّ ، عن أصحابه عطاء ومجاهد . أو عمن روى ذلك : أن إسلام عمر — فيما تحدثوا به عنه — أنه كان يقول : كنت للاسلام مُباعدا . وكنت صاحب خَمْرٍ فى الجاهلية أحبها وأشربها . وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحَزْوَرَةِ (١) عند دورآل عُمَر بن عَبْد بن عِمْران المخزومى ، قال : فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك فى مجلسهم ذلك . قال : فجئتهم ، فلم أجد فيه منهم أحدا ، قال : فقلت : لو أنى جئت فلاناً الخمار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلى أجد عنده خمراً فأشْرَبَ منها . قال : فخرجت فجئته ، فلم أجده ، قال :

---

(١) الحزورة : هى الآن قطعة من المسجد فى مكة ، وكانت من قبل سوقا من أسواق مكة .

فقلت : لو أنى جئت الكعبة فطُفْتَ بها سبعا أو سبعين ، قال : فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، وكان إذا صلى استقبل الشأم وجعل الكعبة بَينه و بين الشأم ، وكان مُصَلَّاه بين الركنين : الركن الأسود والركن اليمانى ، قال : فقلت حين رأيته : والله لو أنى استمعت من محمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت : لئن دنوت منه أستمع منه لأرَوِّعَنَّه ، فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها ، فجعلت أمشى رُوَيْدًا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى يقرأ القرآن ، حتى قمت فى قبلته مستقبله ما بينى و بينه إلا ثياب الكعبة ، قال : فلما سمعت القرآن رَقَّ له قلبي ، فبكيت ودخلنى الاسلام ، فلم أزل قائما فى مكانى ذلك حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبى حُسَين ، وكانت طريقه،حتى يَجْزَعَ[1] الْمَسْعَى ، ثم يَسْلك بين دار عباس بن [عبد] المطلب و بين دار ابن أزهر بن عَبْد عَوْف الزُّهْرى ، ثم على دار الأخنس بن شَرِيق ، حتى يدخل بيته ، وكان مسكنه صلى الله عليه وسلم فى الدار الرقطاء التى كانت بيدى معاوية بن أبى سفيان ، قال عمر رضى الله عنه : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسِّى عرفنى ، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى إنما اتبعته لأوذيه ، فَنَهَمَنى[2] ثم قال : « مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ هٰذِهِ السَّاعة » قال : قلت : جئت لأومن بالله

---

(١) « يجزع المسعى » يقطعه ، تقول : جزعت الوادى ، إذا جزته وقطعته سيرا ، وفى بعض النسخ « حتى يجيز على المسعى » وهو تصحيف

(٢) « نهمنى » زجرنى

وبرسوله و بما جاء من عند الله ، قال : فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « قَدْ هَدَاكَ اللهُ يَا عُمَرُ » ثم مسح صدرى ، ودعالى بالثبات ، ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته

قال ابن إسحق : والله أعلم أى ذلك كان

عمر يذيع اسلامه فى قريش

قال ابن إسحق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : لما أسلم أبى عمر قال : أىُّ قريشٍ أنْقَلُ للحديث ؟ قال : قيل له : جميل بن مَعْمَر الجُمَحى ، قال : فغدا عليه ، قال عبد الله بن عمر : وغدوت أَتْبعُ أَثَرَه وأنظر مايفعل ، وأنا غلام أعقل كُلَّ مارأيت ؛ حتى جاءه ، فقال له : أعلمتَ يا جميلُ أنى قد أسلمت ودخلت فى دين محمد ؟ قال : فوالله ماراجعه حتى قام يجر رِدَاءه ، واتَّبَعه عمر ، واتبعت أبى ، حتى إذا قام على باب المسجد صَرَخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، وهُمْ فى أنديتهم حول باب الكعبه ؛ ألاإن عمر بن الخطاب قد صَبَأَ ، قال : ويقول عمر من خلفه : كذب ، ولكنى [قد] أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم ، قال : وطَلَح (١) فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لَوْقَدْ كُنَّا ثلاثمائة رجلٍ لتركناها لكم ، أو لتركتموها لنا ؛ قال : فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حُلَّةٌ حِبَرَةٌ (٢) وقميص مُوَشًّى حتى وقف

---

(١) أى : أعيا ، ومنه البعير الطليح ، ومنه قالوا : راكب الناقة طليحان أى : هو والناقة طليحان ، أى : متعبان قد جهدهما السير وأعياهما

(٢) حبرة : هى ضرب من برود اليمن

عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبأ عمر ، فقال : فمه ؟ رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلوا عن الرجل ؛ قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبًا كُشِطَ [١] عنه ، قال : فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟ فقال : ذلك أىْ بُنَيَّ الْعَاص بن وائل السَّهْمِيُّ

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم أنه قال : يا أبت ، مَنِ الرجل الذى زَجَر القوم عنك يوم أسلمت وهم يقاتلونك جزاه الله خيراً ؛ قال : يابنى ، ذاك العاص بن وائل ، لاجزاء الله خيراً

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الرحمن بن الحرث ، عن بعض آل عمر ، أو بعض أهله ، قال : قال عمر : لما أسلمت تلك الليلة تذكَّرْتُ أى أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوةً حتى آتيه فأخبره أنى قد أسلمت ، قال : قلت : أبو جهل ، وكان عمر لحَنْتَمَةَ بنت هشام ابن المُغيرة ، قال : فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه ، قال : فخرج إلى أبو جهل ، فقال : مَرْحباً وأهلا يابن أختى ، ماجاء بك ؟ قال : قلت : جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله و برسوله محمد ، وصدَّقْت بما جاء به ، قال : فضرب الباب فى وجهى ، وقال : قَبَّحَكَ الله ، وَقَبَّحَ ما جئت به

خبر الصحيفة

قال ابن إسحق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بَلداً أصابوا به أمْنًا وقَرَاراً ، وأن النجاشى قد مَنَعَ من

(١) كشط عنه : نزع عنه

تآمر المشركين على بنى هاشم

لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل الاسلام يفشو فى القبائل ؛ اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بنى هاشم و بنى المطلب : على أن لا ينكحوا إليهم ، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا فى صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة فى جَوْف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة مَنْصُور بن عِكْرِمَةَ بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قُصَىّ (قال ابن هشام : ويقال النَّضْرَ بن الْحَارِث[1]) فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَشَلَّ بَعْضُ أصابعه

قال ابن إسحق : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه فى شِعْبه ، فاجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم أبُو لَهَب عبدُ العُزَّى بن عبد المطلب إلى قريش ، فظاهرهم[2]

أبو لهب يخرج على اخوته بنى عبد المطلب ويظاهر قريشا ويفخر بذلك

قال ابن إسحق : حدثنى حسين بن عبد الله ، أن أبا لهب لقى هِنْد بنتَ عُتْبَةَ بن ربيعة — حين فارق قومه ، وظاهر[1] عليهم قريشا — فقال : يا بنت عتبة ، هل نَصَرْتُ اللّاتَ وَالْعُزَّى ، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت : نعم ، فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة

قال ابن إسحق : وَحُدِّثتُ أنه كان يقول فى بعض مايقول : يَعِدنى محمد أشياء لا أراها : يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع فى يدى بعد ذلك ؟ ثم ينفخ فى يديه ، ويقول : تبًّا لكما ما أرى فيكما شيئاً مما

(١) انظر (ص ٣٩٩ من هذا الجزء)
(٢) ظاهرهم : أعانهم وكان معهم فى تحالفهم ضد إخوته وبنى أخوته

يقول محمد ، فأنزل[1] الله تعالى فيه (١١١ : ١) : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)

قال ابن هشام : تبت : خسرت ، والتباب : الخسار ، وقال حَبيبُ ابن[2] خُدْرة الخارجى أحدُ بنى هلال بن عامر بن صَعْصَعَةَ : —

يَا طِيبُ إِنَّا فِي مَعْشَرٍ ذَهَبَتْ ... مَسْعَاتُهُمْ فِي التَّبَارِ وَالتَّبَبِ[3]

وهذا البيت في قصيدة له

شعر أبى طالب فى مقاطعة قريش بنى هاشم

قال ابن إسحق : فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذى صنعوا قال أبو طالب : —

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِّى عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا ... لُؤَيًّا وَخُصَّا مِنْ لُؤَيٍّ بَنِي كَعْبِ

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّداً ... نَبِيًّا كَمُوسَى خُطَّ فِي أَوَّلِ الْكُتْبِ

وَأَنَّ عَلَيْهِ فِي الْعِبَادِ مَحَبَّةً ... وَلاَ خَيْرَ مِمَّنْ خَصَّهُ اللهُ بِالْحُبِّ[4]

---

(١) ويقال : نزلت هذه السورة حين قال لرسول الله يوم أمره الله تعالى بانذار عشيرته ، وقيل : حين أمره الله تعالى بالجهر بالدعوة ، فلما جمع قريشا وذكر لهم ذلك قال له أبو لهب : تبا لك !! ألهذا جمعتنا ؟

(٢) « حبيب بن خدرة » قال أبو ذر : «وقع هنا على وجوه ؛ فروى جدرة بالجيم والدال المفتوحتين ؛ وروى أيضا خدرة بخاء معجمة مضمومة ودال ساكنة ، وهكذا قيده الدارقطنى » اه كلامه

(٣) التبار : الهلاك ، تقول : تبره الله : أى أهلكه ، والتبب كالتباب وفسره ابن هشام

(٤) « ولا خير » أصله ولا خيرا ممن خصه الله بالحب موجود ، فحذف الخبر ، وحذف تنوين الاسم تخفيفا

وَأَنَّ الذِى أَلْصَقْتُمُ مِنْ كِتَابِكُمْ
لَـكُمْ كَائِنٌ نَحْساً كَرَاغِيَةِ السَّقْبِ (١)

أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرَى
وَيُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْباً كَذِى الذَّنْبِ

وَلاَ تَتْبَعُوا أَمْرَ الْوُشَاةِ وَتَقْطَعُوا أَوَاصِرَنَا بَعْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ (٢)

وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْباً عَوَاناً وَرُبَّمَا
أَمَرَّ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ حَلَبُ الْحَرْبِ (٣)

فَلَسْنَا وَرَبِّ الْبَيْتِ نُسْلِمُ أَحْمَداً
لِعَزَّاءِ مِنْ عَضِّ الزَّمَانِ وَلاَ كَرْبِ (٤)

وَلَمَّا تَبِنْ مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَالِفٌ
وَأَيْدٍ أُتِرَّتْ بِالْقُسَاسِيَّةِ الشُّهْبِ (٥)

---

(١) « كراغية السقب » الراغية : من الرغاء — بضم أوله — وهو أصوات الابل ، والسقب : ولد الناقة هنا ، وأراد به ولد ناقة صالح عليه السلام .

(٢) الأواصر : جمع آصرة ، وهى سبب القرابة والمودة

(٣) « حربا عوانا » هى التى قوتل فيها مرة بعدمرة ، والبكر : التى لم يقاتل فيها قبل مرتهم .

(٤) العزاء : هى السنة الشديدة ، وعض الزمان : شدته وكلبه

(٥) تبن : تنفصل ، والسوالف : صفحات الأعناق ، وأترت : معناه قطعت ، والقساسية سيوف منسوبة إلى معدن بأرمينية يقال له : القُسَاس كغراب ، كما فى القاموس ، وقيل : منسوبة إلى قساس ، وهوجبل فيه معدن الحديد ، والشهب : جمع أشهب

بِمُعْـتَرَكٍ ضَيْقٍ تَرَى كِسَرَ الْقَنَا

بِهِ وَالنُّسُورَ الطُّخْمَ يَعْـكُفْنَ كَالشَّرْبِ (١)

كَأَنَّ مُجَالَ الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِهِ

وَمَعْمَعَةَ الْأَبْطَالِ مَعْرَكَةُ الْحَرْبِ (٢)

أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدَّ أَزْرَهُ

وأَوْصَى بَنِيهِ بِالطِّعَانِ وَبِالضَّرْبِ

وَلَسْنَا نَمَلُّ الْحَرْبَ حَتَّى تَمَلَّنَا

وَلاَ نَشْتَكِي مَا قَدْ يَنُوبُ مِنَ النَّكْبِ

وَلَـكِنَّنَا أَهْلُ الْحَفَائِظِ وَالنُّهَي

إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْـكُمَاةِ مِنَ الرُّعْبِ (٣)

حكيم بن حزام يصل بني هاشم فيراه أبو جهل

فأقاموا على ذلك سنتين أوثلاثا ، حتى جهدوا ، لا يصل إليهم شيء إلا سرا ، مستخفيا [به] من أراد صلتهم من قريش ، وقد كان أبو جهل ابن هشام — فيما يذكرون — لقي حكيم بن حزام بن خُوَيلد بن أسد معه غلام يحمل قَمْحًا يريد به عمته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول

---

(١) المعترك : موضع الحرب ، وضنك وضيق : بمعنى واحد ، والطخم: جمع أطخم ، وهو الذى فى لونه سواد ، ويعكفن : يقمن ويلازمن ، والشرب : الجماعة من القوم يشربون

(٢) مجال — بضم الجيم — أى إجالة الفرسان إياها ، والحجرات : النواحى ، والمعمعة : الصوت

(٣) الحفائظ : جمع حفيظة ، وهى الغضب فى الحرب ، والنهى : جمع نهية ، وهى العقل ، والكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع ، قيل له ذلك لأنه يتكمى فى سلاحه ، أى : يستتر فيه ، والرعب : الفزع

الله صلى الله عليه وسلم ومعه في الشعب ، فتعلّق به ، وقال : أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ، فجاءه أبو الْبَخْتَرِى بن هشام بن الحرث بن أسد ، فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعام إلى بنى هاشم ، فقال أبو البخترى : طعام كان لعمته عنده بعثت إليه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خَلِّ سبيل الرجل ، قال : فأبى أبوجهل ، حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البخترى لَحْيَ بعير فضربه به ، فشجَّه ، و وطئه وطئًا شديدا ، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيشمتوا بهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا ، وسرا وجهارا ، مباديا بأمر الله ، لا يتقى فيه أحدا من الناس

فجعلت قريش — حين منعه الله منها ، وقام عمه وقومه من بنى هاشم و بنى المطلب دونه ، وحالوا بينه و بين ما أرادوا من البطش به — يهمزونه ويستهزئون به ، ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل فى قريش بأحداثهم وفيمن نصب لعداوته منهم ، فمنهم من سُمِّي لنا ، ومنهم من نزل فيه القرآن فى عامة من ذكر الله من الكفار

فكان ممن سُمِّي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب ابن عبد المطلب ، وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب ، و إنما سماها الله تعالى حمالة الحطب ؛ لأنها كانت — فيما بلغنى — تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمر ، فأنزل الله تعالى فيهما (١١١ : ١ ـ ٥) : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبْ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَد)

قال ابن هشام : الجيد : العنق ، قال أعشى بنى قيس ابن ثعلبة : —

يَوْمَ تُبْدِى لَنَا قتيلةُ عَنْ جِيــدٍ أَسِيلٍ تَزِينُهُ الْأَطْوَاقُ (١)

(١) الأسيل : الذى فيه طول ، والأطواق : جمع طوق ، وهو فى هذا الموضع القلادة ، وأصله مايحيط بالعنق ، قال السهيلى : تزينه : أى تزيده حسنا ، وهذا من القصد فى الكلام ، وقد أبى المولدون إلا الغلو فى هذا المعنى وأن يقلبوه ، فقال فى الحماسة الحسين بن مطير : —

مُبَتَّلَةُ الْأَطْرَافِ زَانَتْ عُقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا

وقال خالد القسرى لعمر بن عبد العزيز : من تكن الخلافة زينته فأنت زينتها ، ومن تكن الخلافة شرفته فأنت شرفتها ، وأنت كما قال : —

وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطِّيبِ طِيباً إِنْ تَمَسِّيهِ ، أَيْنَ مِثْلُكِ أَيْنَا ؟

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكِ زَيْنَا

فقال عمر : إن صاحبكم أعطى مقولا ، ولم يعط معقولا ، قلت : وإنما لم يحسن هذا من خالد لما قصد به التملق ، وإلا فقد صدر مثل هذا المعنى عن الصديق ، فحسن لما عضده من التحقيق والتحرى للحق والبعد عن الملق والخلابة ، وذلك حين عهد إلى عمر بالخلافة ودفع إليه عهده مختوما وهو لايعرف مافيه ، فلما عرف مافيه رجع إليه حزينا كهيئة الثكلى يقول : حملتنى عبئا لاأضطلع به ، وأوردتنى موردا لاأدرى كيف الصدر عنه ، فقال له الصديق : ماآثرتك بها ولكنى آثرتها بك ، وما قصدت مساءتك ولكنى رجوت إدخال السرور على المؤمنين بك ، ومن هنا أخذ الحطيئة قوله : —

مَا آثَرُوكَ بِهَــا إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا

لَــكِنْ لِأَنْفُسِهِمْ كَانَتْ بِهَا الْأُثَرُ

اه كلامه بحروفه

وهذا البيت فى قصيدة له (١)

وجمعه أجياد ، والمسَد : شجر يدق كما يدق الكتان فيفتل منه حبال ، قال النابغة الذبيانى (واسمه زياد بن عمرو بن معاوية) : —

مَقْذُوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بَازِلُهَا
لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بِالْمَسَدِ (٢)

وهذا البيت فى قصيدة له

وواحدته : مَسَدَة

أم جميل حمالة الحطب تحاول إيذاء رسول الله فيكفها الله عنه

قال ابن إسحق : فذكر لى أن أمَّ جميل حَمَّالَةَ الحطب — حين سمعت ما نزل فيها وفى زوجها من القرآن — أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق ، وفى يدها فِهْرٌ (٣) من حجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : ياأبا بكر ،

---

(١) وبعد هذا البيت قوله : —

وَشَتِيتٍ كَالْأُقْحُوَانِ جَلَاهُ الـ ـطَّلُّ فِيهِ عُذُوبَةٌ وَاتِّسَاقُ
وَأَثِيثٍ جَثْلِ النَّبَاتِ تُرَوِّيـــهِ لَعُوبٌ غَرِيرَةٌ مِفْتَاقُ
حُرَّةٌ طَفْلَةُ الْأَنَامِلِ كَالدُّمْـــيَةِ لَا عَانِسٌ وَلَا مِهْزَاقُ

(٢) الدخيس : اللحم الكثير ، والنحض : اللحم ، وبازلها : أى البازل منها وهو الذى فطر نابه ، وذلك فى تسع سنين من عمره ، والصريف : الصوت ، والقعو : الذى تدور فيه البكرة إن كان من خشب ، فان كان من حديد فهو خطاف . يصف إبلا بالسمن والامتلاء

(٣) الفهر — بكسر فسكون — حجر على مقدار ملء الكف ، قال السهيلى : « المعروف فى الفهر التأنيث ، وتصغيره فهيرة ، ووقع هنا مذكرا » اهـ

أين صاحبك ؟ قد بلغني أنه يهجوني ، والله لو وجدته لضربتُ بهذا الفِهْرِ فاهُ ، أما والله إني لشاعرة ، ثم قالت : —

مُذَمَّماً عَصَيْنَا وَأَمْرَهُ أَبَيْنَا

وَدِينَهُ قَلَيْنَا (١)

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يارسولَ الله ، أما تراها رأتك؟ فقال : ما رأتني ، لقد أخذ الله ببصرها عني

قال ابن هشام : قولها « ودينه قلينا » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وكانت قريش إنما تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُذَمَّما ، ثم يَسُبُّونه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَلاَ تَعْجَبُونَ لِمَا صَرَفَ اللهُ عَنِّي مِنْ أَذَى قُرَيْشٍ ، يَسُبُّونَ ويهجون مُذَمَّماً وَأَنَا مُحَمَّد »

إيذاء أمية بن خلف للنبي وما نزل فيه من القرآن

وأمية بن خلف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح ، كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَمَزَهُ وَلَمَزَهُ ، فأنزل الله تعالى فيه (١٠٤ : ١ — ٩) (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الذي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ)

قال ابن هشام : والْهُمَزَة : الذي يشتم الرجل علانية ، ويكسر عينه عليه ، ويغمز به ، قال حسان بن ثابت : —

هَمَزْتُكَ فَاخْتَضَعْتَ لِذُلِّ نَفْسٍ بِقَافِيَةٍ تَأَجَّجُ كَالشُّوَاظِ (٢)

وهذا البيت في قصيدة له .

---

(١) قلينا : أبغضنا

(٢) اختضعت : تذللت ، وتأجج : أصله تتأجج ، فحذف إحدى التاءين ، ومعناه تتوقد ، والشواظ : لهب النار

وجمعه هُمَزات ، واللُّمَزَة : الذى يعيب الناس سرا و يؤذيهم ، قال رؤبة بن العجاج : —

فى ظِلِّ عَصْرِى بَاطِلِى وَلَمْزِى

وهذا البيت فى أرجوزة له

وجمعه : لمزات

مقالة العاص بن وائل السهمى وما نزل فيها من القرآن

قال ابن إسحق : والعاص بن وائل السَّهْمِي ، كان خَبَّابُ بن الأَرَتِّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قَيْناً [1] بمكة يعمل السيوف ، وكان قد باع من العاص بن وائل سُيُوفاً عملها له ، حتى إذا كان له عليه مال ، فجاء يتقاضاه ، فقال له : ياخَبَّاب ، أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابْتَغَى أَهْلُهَا من ذهب أو فضة أو ثياب أوخدم ؟ قال خباب : بلى ، قال : فأَنْظِرْنى إلى يوم القيامة ياخَبَّاب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك ، فوالله لاتكون أنت وأصحابك [2] ، ياخَبَّابُ ، آثَرَ عند الله منى ، ولا أعظم حظا فى ذلك ، فأنزل الله تعالى فيه (١٩ : ٧٧ ــ ٨٠) : (أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً أَطَّلَعَ الْغَيْبَ) إلى قوله تعالى : (وَنَرِثُهُ مَايَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا)

مقالة أبى جهل وما نزل فيها من القرآن

ولقى أبو جهل بن هشام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، فقال له : والله يامحمد لَتَتْرُكَنَّ سبَّ آلهتنا أو لَنَسُبَّنَّ إلهك الذى تعبد ، فأنزل الله تعالى عليه فيه (٦ : ١٠٨) : (وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ) فذكر لى أن رسول الله

---

(١) القين ــ بفتح فسكون ــ الحداد

(٢) فى نسخة « أنت وصاحبك »

صلى الله عليه وسلم كَفَّ عن سَبِّ آلهتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله

النضر بن الحارث وما نزل فيه من القرآن

والنَّضْر بن الحرث بن كَلَدة بن (١) عَلْقَمة بن عَبْد مَنَاف بن عبد الدار بن قصى ، كان إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى ، وتلا فيه القرآن ، وحَذَّر قريشا ما أصاب الأمم الخالية ، خَلَفَهُ فى مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رستم السِّنديذ (٢) وعن اسفنديار وملوك فارس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحْسَنَ حديثاً منى ، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكْتَتَبَهَا كما اكْتَتَبْتُهَا ، فأنزل الله فيه (٢٥ : ٥ ـ ٦) : (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) ونزل فيه (٦٨ : ١٥) : (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) ونزل فيه (٤٥ : ٧ ـ ٨) : (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)

قال ابن هشام : الأفَّاك : الكذاب ، وفى كتاب الله تعالى (٣٧ : ١٥١ ـ ١٥٢) : (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) وقال رؤبة :ـ

مَا لِامْرِىءٍ أَفَّكَ قَوْلاً إِفْكَا

---

(١) قال أبو ذر : « قوله فى نسب النضر بن الحارث : بن كلدة بن علقمة ، كذا وقع ، والصواب : ابن علقمة بن كلدة » اهـ كلامه

(٢) « السنديذ » قال أبو ذر : « السنديذ بلغة فارس طلوع الشمس ، وهم ينسبون إليه كل جميل ، وهو بذال معجمة » اهـ ، ووقع فى أصول الكتاب : « رستم الشديد »

وهذا البيت فى أرجوزة له [١]

قال ابن إسحق : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوما فيما بلغنى، مع الوليد بن المغيرة فى المسجد ؛ فجاء النضر بن الحرث حتى جلس معهم فى المجلس ، وفى المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحرث ، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ؛ ثم تلا عليه وعليهم (٢١ : ٩٨ ـ ١٠٠) : (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ)

قال ابن هشام : حصب جهنم : كل ما أوقدت به ، قال أبو ذؤيب الهذلى (واسمه خُوَيْلد بن خالد) : —

فَأَطْفِىءْ وَلَا تُوقِدْ وَلَا تَكُ مُحْصِبًا   لِنَارِ الْعُدَاةِ أَنْ تَطِيرَ شَكَاتُهَا [٢]

وهذا البيت فى أبيات له

ويروى « ولاتك مِحْضَأً [٣] » قال الشاعر : —

---

(١) هى أرجوزة طويلة ثابتة فى ديوان رجزه (ص ١١٩ — ١٢٠) . وقبل هذا البيت قوله : —

كَيْفَ إِذَا مَوْلَاكَ لَمْ يَصِلْكَا   وَقَطَعَ الْأَرْحَامَ قَطْعًا بَشْكَا
يَبْرِى مَعَ الْبَارِى وَلَمْ يَرِشْكَا   وَالْأَرْضُ لَوْ تَمْلِكُ لَمْ تَسَعْكَا
وَلَا تَهَيَّبُهُ وَلَمْ يَهَبْكَا

(٢) شكاتها : شدتها .

(٣) المحضأ — بكسر الميم وسكون الحاء المهملة بعدها ضاد مفتوحة —

حَضَأْتُ لَهُ نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءهَا
وَمَا كَانَ لَوْلاَ حَضْأَةُ النَّارِ يَهْتَدِي

قال ابن إسحق : ثم قام رسول الله صلى الله عايه وسلم ، وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ حتى جاس ، فقال الوايد بن المغيرة لعبد الله ابن الزِّبَعْرَى : والله ما قام النَّضْرُ بن الحرث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَبُ جهنم ؛ فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى : أما والله لو وجدته لَخَصَمْتُه ؛ فَسَلُوا محمدا أكلُّ ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ؛ واليهود تعبد عُزَيْراً ، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم ، فعجب الوايد ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزِّبَعْرَى ، ورأوا أنه قد احْتَجَّ وخاصم ، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزِّبَعْرَى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ ، إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَمَنْ أَمَرَتْهُمْ بِعِبَادَتِهِ »

فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك (٢١ : ١٠١ – ١٠٢) (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ) أى : عيسى ابن مريم وعزير ومن عبدوا من الأحبار والرهبان الذين مَضَوْا على طاعة الله فاتخذهم من يَعْبُدهم من أهل الضلالة أرْبَاباً من دون الله

العود الذى تحرك به النار وتلتهب ، وتقول : حضأت النار أحضؤها ، إذا ألهبتها ، ومنه البيت الذى أنشده ابن هشام ، ومنه قول الشاعر : —

وَنَارٍ قَدْ حَضَأْتُ بُعَيْدَ وَهْنٍ بِدَارٍ مَا أُرِيدُ بِهَا مُقَامَا

ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله : (٢١ : ٢٦ — ٢٩) : (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) إلى قوله (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى ابن مريم أنه يُعْبَد من دون الله وعَجَب الوليد ومن حضره من حُجَّته وخصومته (٤٣ : ٥٧) : (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) أى : يصدون عن أمرك بذلك من قولهم ، ثم ذكر عيسى ابن مريم فقال : (٤٣ : ٥٩ ـ ٦١) (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) أى : ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأسقام ، فكفى به دليلا على علم الساعة ، يقول : فلا تمترن بها (وَاتَّبِعُونِ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)

الأخنس بن شريق وما نزل فيه من القرآن

والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ، حليفُ بنى زهرة ، وكان من أشراف القوم ، وممن يُسْتَمَع منه ، فكان يصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرد عليه ، فأنزل الله تعالى فيه : (٦٨ : ١٠ ـ ١٣) (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) إلى قوله تعالى : (زَنِيمٍ) ولم يقل (زَنِيمٍ) لعيب فى نسبه ؛ لأن الله لا يعيب أحداً بنسب ، ولكنه حقق بذلك نعته ليعرف . والزنيم : العديد[1] للقوم ، وقد قال الخَطِيمُ التميمى فى الجاهلية : ـ

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً
كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ

---

(١) العديد : الذى يعد فى الناس وليس منهم ، فعيل بمعنى مفعول .

مقالة الوليد بن المغيرة وما نزل فيها من القرآن

والوليد بن المغيرة ، قال : أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ؟ ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سَيِّدُ ثقيف ؟ فنحن عظيما القريتين ، فأنزل الله تعالى فيه فيما بلغنى (٤٣ : ٣١ — ٣٢) : (وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) إلى قوله تعالى : (مِمَّا يَجْمَعُونَ)

أبى بن خلف وعقبة بن أبى معيط

وأبىُّ بن خلف بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح ، وعقبة بن أبى معيط ، وكانا متصافيين ، حَسَناً ما بينهما ، فكان عُقْبَةُ قد جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع منه ، فبلغ ذلك أبيًّا ، فأتى عقبةَ ، فقال له : ألم يبلغنى أنك جالست محمداً وسمعت منه ؟ ثم قال : وَجْهِى من وجْهِكَ حَرَامٌ أنْ أكلمك ، واسْتَغْلَظَ [له] من اليمين ، إن أنت جَلَسْتَ إليه أو سمعت منه ، أو لم تأته فتتفُل فى وجهه ، ففعل ذلك عدوُّ الله عقبة ابن أبى مُعَيْط (١) ، لعنه الله ، فأنزل الله تعالى فيهما (٢٥ : ٢٧ ـ ٢٩) : (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً) إلى قوله تعالى : (لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً)

ومشى أُبىُّ بن خَلَف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعَظْمٍ بالٍ قد ارْفَتَّ (٢) فقال : يامحمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ماأَرَمَّ (٣) ثم فَتَّه بيده ، ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ ، يَبْعَثُهُ اللهُ وَإِيَّاكَ بَعْدَ مَا تَكُونَانِ هٰكَذَا ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ اللهُ النَّارَ »

---

(١) قال أبو ذر : « قال النقاش فى كتابه : ذكر أنه رجع بعد ماخرج من فيه إلى وجهه فعاد فيه برصا » اه .

(٢) ارفت — بتشديد آخره ، بوزن احمر — أى : تحطم وتكسر

(٣) أرم — بفتح الهمزة والراء وتشديد الميم — بلى

فأنزل الله تعالى فيه (٣٦ : ٧٨ ـ ٨٠) : (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ)

الأسود والوليد وأمية والعاص

واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة ، فيما بلغني ، الأسودُ بن المطلب بن أسد بن عبد العُزَّى ، والوليدُ بن المغيرة ، وأُمَيَّةُ بن خلف ، والعاصُ بن وائل السَّهْمِي ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ؛ فقالوا : يامحمد ، هَلُمَّ فلْنَعْبُدْ ماتعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر : فان كان الذى تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه ، فأنزل الله تعالى فيهم (١٠٩ : ١ ـ ٦) : (قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) السورةَ كلَّها ، أى : إن كنتم لاتعبدون الله إلا أن أعبد ما تعبدون فلا حاجة لى بذلك منكم ، لكم دينكم جميعا ولى دين .

أبو جهل بن هشام يفسر شجرة الزقوم

وأبو جهل بن هشام ، لما ذكر الله شَجرَةَ الزَّقُّوم تخويفاً بها لهم قال : يامعشر قريش ، هل تَدْرُون ماشجرة الزقوم التى يخوِّفكم بها محمد ؟ قالوا : لا ، قال : عَجْوَة يثْربَ (١) بالزُّبْد ، والله لئن استمكنَّا منها لَنَتَزَقَّمَنَّهَا (٢) تَزَقُّماً ، فأنزل الله تعالى فيه (٤٤ : ٤٣ ـ ٤٨) : (إِنَّ

---

(١) « عجوة يثرب » العجوة : ضرب من التمر ، ويثرب : مدينة طيبة التى هاجر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى مشهورة بالتمر

(٢) « نتزقمنها تزقما » نبتلعها ابتلاعا

شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ)

أي : ليس كما يقول

قال ابن هشام : الْمُهْلُ : كل شيء أَذَبْتَهُ من نحاس أو رصاص ، أو ما أشبه ذلك ، فيما أخبرني أبو عبيدة تفسير المهل

و بلغنا عن الحسن بن أبي الحسن ، أنه قال : كان عبد الله بن مسعود واليا لعمر بن الخطاب على بيت مال الكوفة ، وأنه أمر يوما بفضة فأذيبت ، فجعلت تَلَوَّنُ ألوانا ؛ فقال : هل بالباب من أحد ؟ قالوا : نعم ، قال : فأَدْخِلُوهُمْ ، فأدخلوا ، فقال : إنّ أَدْنَى ما أنتم راءون شَبَهاً بالْمُهْلِ لَهذا ، وقال الشاعر : —

يَسْقِيهِ رَبِّي حَمِيمَ الْمُهْلِ يَجْرَعُهُ
يَشْوِي الْوُجُوهَ فَهُوَ فِي بَطْنِهِ صَهِرُ[(١)]

[وقال عبد الله بن الزَّبِير الأسدي : —

فَمَنْ عَاشَ مِنْهُمْ عَاشَ عَبْداً وَإِنْ يَمُتْ
فَفِي النَّارِ يُسْقَى مُهْلَهَا وَصَدِيدَهَا

وهذا البيت في قصيدة له]

و يقال : إن المهل صديدُ الجسد

بلغنا أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما حُضِرَ أمر بثوبين لَبِيسَيْنِ[(٢)] يُغْسَلَان فَيُكَفَّن فيهما ، فقالت له عائشة : قد أغناك الله ياأبتِ عنهما ، فَاشْتَرِ كَفَناً ، فقال : إنما هي ساعةٌ حتى يصير إلى المهل ، قال الشاعر : —

---

(١) صهر : أي ذائب

(٢) لبيسين : هو فعيل بمعنى مفعول ، أي : ملبوسين

شَابَ بِالْمَاءِ مِنْهُ مُهلاً كَرِيهاً ثُمَّ عَلَّ الْمُتُونَ بعد النِّهَالِ[1]

قال ابن إسحق : فأنزل الله تعالى فيه (١٧ : ٦٠) : (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً)

ابن أم مكتوم يعرض للرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدعو الوليد بن المغيرة للاسلام

ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكلمه ، وقد طمع فى إسلامه ، فبينا هو فى ذلك إذ مَرَّ به ابن أمّ مَكْتُوم الأعمى ، فكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يستقرئه القرآن ، فَشَقَّ ذلك منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أضْجَرَهُ ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد ، وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه فأنزل الله تعالى فيه (٨٠ : ١ـ١٤) : (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى) إلى قوله تعالى (فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ) أى : إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ، لم أخص بك أحدا دون أحد ، فلا تمنعه مِمَّن ابتغاه ؛ ولا تَتَصَدَّ به لمن لا يريده

قال ابن هشام : ابن أم مكتوم : أحد بنى عامر بن لؤى ، واسمه عبد الله ، ويقال : عمرو

ذكر من عاد من أهل الحبشة لما بلغهم اسلام أهل مكة

قال ابن إسحق : وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلامُ أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ؛ حتى إذا دَنَوْا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجِوَارٍ أو مُسْتَخْفِياً ، فكان ممن

---

(١) شاب : خلط ، والعلل : الشرب بعد الشرب ، والمتون : جمع متن وهو الظهر ، والنهال : جمع نهل وهو الشرب الأول

قدم عليه مكة منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد معه بدرا ، ومن حبس عنه حتى فاته بدر وغيره ، ومن مات بمكة

منهم من بنى عَبْد شَمْس بن عَبْدمَنَاف بن قُصَىّ : عُثْمان بن عفّان بن أبى العاص بن أُمَيَّة بن عَبْد شمس ، معه امرأته رُقَيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حُذَيْفَةَ بن عُتْبَة بن رَبيعة بن عَبْد شَمْس ، معه امرأته سهلة بنت سهيل

ومن حلفائهم : عبدُ الله بن جَحْش بن رِئاب

ومن بنى نَوْفَل بن عبد مناف : عُتْبَة بن غَزْوان ، حليفٌ لهم من قيس عَيْلان

ومن بنى أسَد بن عَبْد العُزَّى بن قُصَىّ : الزُّبَيْرُ بن العوَّام بن خُوَيلد ابن أسَد

ومن بنى عبد الدار بن قصى : مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عَبْد مَنَاف ، وسُوَيبط بن سعد بن حَرْمَلة (١)

ومن بنى عَبْد بن قُصَى : طُلَيْب بن عُمَير بن وَهْب بن أبِى (٢) كَبِير بن عَبْد

ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عَوْف بن عَبْد عَوْف بن عَبْد بن الحرث بن زُهْرَة ؛ والمِقْدَادُ بن عَمْرو حليف لهم ؛ وعبدُ الله بن مَسْعود حليف لهم

---

(١) فى نسخة « حريملة » بالتصغير

(٢) قال أبو ذر « ليس وهب هنا با بن أبى كبير ، بل هو أخوه ، وهما ويحيى أخوهما : بنو عبد بن قصى ، قاله ابن الدباغ » اه ، هذا وفى بعض النسخ « بن أبى كثير » بالثاء تحريفا وانظر (ص٣٤٧)

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظَة : أبو سلَمَة بن عبد الأسد بن هِلال بن عَبْد الله بن عُمَر بن مَخْزوم ، معه امرأته أمُّ سلمة بنتُ أبى أُمَيَّةَ بن المُغيرة ، وشَمَّاس بن عُثْمَان بن الشَّريد بن سويد بن هَرْمى بن عامر بن مخزوم ، وسَلَمَة بن هِشام بن المُغيرة ، حَبَسَه عَمُّه بمكة فلم يَقْدَمْ إلا بعد بَدْر وأحد والخندق ؛ وعيَّاش بن أبى ربيعة بن المغيرة ، هاجر معه إلى المدينة ، ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل بن هشام ، والحرث بن هشام ، فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأحد والخندق

ومن حلفائهم : عَمَّار بنُ ياسر ، يَشُكُّ فيه ، أكان خرج إلى الحبشة أم لا ؛ ومُعَتِّب بن عَوْف بن عامر من خُزَاعة

ومن بنى جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كَعْب : عُثْمان بن مَظْعون ابن حبيب بن وهْب بن حُذافة بن جُمَح ؛ وابنُه السَّائب بن عثمان ، وقُدَامة ابن مَظْعون ، وعبدُ الله بن مظعون

ومن بنى سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب : خُنَيْس بن حُذافة ابن قَيْس بن عَدِى ؛ وهِشَام بنُ العاص بن وائل ؛ حُبِس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى قدم بعد بدر وأحد والخندق

ومن بنى عَدِىّ بن كَعْب بن لُؤَى : عَامِرُ بن ربيعة حليف لهم ، معه امرأته لَيْلَى بنتُ أبى حَثْمة بن غانم

ومن بنى عامر بن لؤى : عبدُ الله بن مَخْرَمَة بن عبد العُزَّى بن أبى قَيْس ؛ وعبد الله بن سُهَيْل بن عَمْرو ، وكان حُبِس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة ، حتى كان يوم بدر ، فانحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد معه بدرا ؛ وأبو سَبْرة

ابن أبى رُهْم بن عبد العُزَّى ، معه امرأته أم كلثوم بنت سُهَيل بن عَمْرو ، والسَّكْرَان بن عَمْرو بن عبد شَمْس ، معه امرأته سَوْدة بنت زَمْعة بن قيس ، مات بمكة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فخَلَفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سَوْدة بنت زَمْعة

ومن حلفائهم : سعدُ بن خَوْلة

ومن بنى الحرث بن فِهْر : أبو عُبَيْدة بن الجَرَّاح ، وهو عامر بن عبد الله ابن الجراح ، وعَمْرو بن الحرث بن زُهير بن أبى شَدَّاد ، وسُهَيل ابن بَيْضاء ، وهو سهيل بن وَهْب بن ربيعة بن هلال ، وعَمْرُو بن أبى سَرْح ابن رَبيعة بن هِلال

فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثةٌ وثلاثون رجلا .

وكان مَنْ دَخَلَ منهم بجِوَارٍ ، فيمن سُمِّىَ لنا : عثمانُ بن مَظْعون ابن حَبيب الجُمَحِىّ ، دخل بجوار من الوَليد بن المغيرة ، وأبو سَلَمة ابن عبد الأسَد بن هِلال المخزومى ، دخل بجوار من أبى طالب ابن عبد المطلب ، وكان خالَه ، وأمُّ أبى سلمة بَرَّة بنت عبد المطلب

قصة عثمان بن مظعون فى رد جوار الوليد

قال ابن إسحق : فأما عثمان بن مَظْعون فإن صالح بن إبراهيم ابن عَبْد الرحمن بن عَوْف حدثنى ، عمن حدثه عن عثمان قال : لما رأى عثمانُ بن مَظْعون ما فيه أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من البَلاَء ، وهو يَغْدو ويَرُوح فى أمان من الوليد بن المغيرة ، قال : والله إن غُدُوِّى ورَوَاحى آمناً بجوار رَجُل من أهل الشرك وأصحابى وأهلُ دينى يلْقَوْنَ من البلاء والأذى فى الله ما لا يصيبنى لَنَقْصٌ كبير فى نفسى ، فمَشَى إلى الوليد بن المغيرة ، فقال له : يا أبا عبد شمس ، وَفَتْ ذِمَّتُكَ ، وقد

رَدَدْتُ إليك جوارك ، قال له : لِمَ يا ابن أخى ؟ لعله آذاك أحد من قومى قال : لا ، ولكنى أرْضَى بجوار الله ، ولا أريد أن أستجير بغيره ، قال: فانْطَلِقْ إلى المسجد فَأرْدُدْ علىَّ جوارى علانيةً كما أجَرْتُكَ علانيةً ، قال : فانطلقا ، فخرجا حتى أتيَا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمانُ قد جاء يَرُدُّ علىَّ جوارى ، قال : صَدَق ، قد وجدته وَفِيًّا كريمَ الجِوار ، ولكنى قد أَحْبَبْتُ ألاّ أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جِواره ؛ ثم انصرف عثمان (١) ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب فى مَجْلس من قريش يُنْشِدُهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد : —

* ألاَ كُلُّ شَيْءٍ ماخَلاَ اللهَ بَاطِلُ *

قال عثمان : صدقت ، قال : —

* وَكُلُّ نَعيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ *

قال عثمان : كذبتَ ، نعيمُ الجنة لايزول ، قال لبيدُ بن ربيعة : يامعشر قريش ، والله ما كان يُؤْذَى جليسكم ، فمتى حَدَث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيهٌ فى سُفَهَاءَ مَعَهُ قد فارقوا ديننا ، فلا تَجِدَنَّ فى نفسك من قوله ، فرد عليه عثمان حتى شَرِيَ أمْرُهُما (٢) فقام إليه ذلك الرجل فَلَطَمَ عينه فَخَضَّرَها ، والوليدُ بن المغيرة قريبٌ يَرَى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما والله ياابْنَ أخى إنْ كانت عَيْنُك عَمَّا أصابها لَغَنِيَّةً ، لقد كنت فى ذِمَّة مَنيعة ، قال : يقول عثمان : بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب

---

(١) فى نسخة « ثم انصرف وعثمان ولبيد بن ربيعة الخ » وظاهر أن هذه الواو مقحمة

(٢) شرى : أى زاد وعظم وتفاقم

أختها فى الله : وإنى والله انى جوار مَنْ هو أعزّ منك وأقدر ياأبا عبد شمس : فقال له الوليد : هَلُمَّ يا ابن أخى إن شئت إلى جوارك فَعُدْ : فقال : لا

قصة أبى سلمة فى جواره

قال ابن إسحق : وأما أبو سَلَمة بن عبد الأسد ، فحدثنى أبى إسحق ابن يَسَار ، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سَلَمة ، أنه حدثه ، أن أبا سلمة لما استجار بأبى طالب مشى إليه رجال بنى مخزوم ، فقالوا : ياأبا طالب ، ما هذا ؟ منعتَ منّا ابنَ أخيك محمدا ، فمالك ولصاحبنا تمنعه منّا ؟ قال : إنه استجار بى ، وهو ابن أختى ، وإنْ أنا لم أمنع ابنَ أختى لم أمنع ابن أخى ، فقام أبو لهب فقال : يامعشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لتنتهُنّ عنه أو لنقومَنّ معه فى كل ماقام فيه حتى يبلغ ماأراد ، قال : فقالوا : بل ننصرف عمّا تكره ياأبا عتبة ، وكان لهم وليّا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابقوا على ذلك ، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول مايقول ، ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو طالب يُحرّضُ أبا لهب على نُصْرته ونُصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

إنَّ امْرَأً أَبو عُتَيْبَةَ عَمُّهُ
لَفِى رَوْضَةٍ ما إنْ يُسَامُ الْمَظَالِمَا (١)

أَقولُ لَهُ وَأَيْنَ مِنْهُ نَصِيحَتِى أَبَا مُعْتِبٍ ثَبِّتْ سَوادَكَ قَائِمَا (٢)

---

(١) يسام : يكلف ، والمظالم : جمع مظلمة ، أى : من كنت عمه (يريد النبى صلى الله عليه وسلم) يعتز ويفلج

(٢) « ثبت سوادك » يريد كثر قومك ولا تقللهم بتفرقك ، والسواد : الشخص

فَلاَ تَقْبَلَنَّ الدَّهْرَ مَاعِشْتَ خُطَّةً تُسَبُّ بِهَا إِمَّا هَبَطْتَ ٱلْمَوَاسِمَا (١)

وَوَلِّ سَبِيلَ ٱلْعَجْزِ غَيْرَكَ مِنْهُمُ فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ عَلَى الْعَجْزِ لاَزِمَا

وَحَارِبْ فَإِنَّ الْحَرْبَ نِصْفٌ وَلَنْ تَرَى أَخَا الْحَرْبِ يُعْطِي الْخَسْفَ حَتَّى يُسَالَمَا (٢)

وَكَيْفَ وَلَمْ يَجْنُوا عَلَيْكَ عَظِيمَةً وَلَمْ يَخْذُلُوكَ غَانِمًا أَوْ مُغَارِمَا

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً وَتَيْمًا وَمَخْزُومًا عُقُوقًا وَمَأْثَمَا

بِتَفْرِيقِهِمْ مِنْ بَعْدِ وُدٍّ وَأُلْفَةٍ جَمَاعَتَنَا كَيْمَا يَنَالُوا الْمَحَارِمَا

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا وَلَمَّا تَرَوْا يَومًا لَدَى الشِّعْبِ قَاتِمَا (٣)

قال ابن هشام : نُبْزَى : نُسْلَب

قال ابن هشام : بقِيَ منها بيت تركناه

دخول أبى بكر فى جوار ابن الدغنة ورد جواره عليه

قال ابن إسحق : وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، رضى الله عنها ،

---

(١) المواسم : جمع موسم ، وهو الاجتماع فى مواطن الحج المشهورة ، وقد تكون المواسم الاجتماع فى أسواقهم المشهورة التى يجتمعون فيها كل عام كذى المجاز وعكاظ

(٢) « الحرب نصف » أى : أنها سبب لانتصاف الإنسان من أعدائه ، و« الخسف » الذل ، يقول : من وطن نفسه على الحرب لم يخضع ولم يذل إلا أن يسالمه الناس فلا يعتدى عليهم

(٣) « نبزى محمدا » نسلبه ونغلب عليه ونقهر دونه ، و« قاتما » مسودا من كثرة الغبار ، يريد أنه يثير الحرب فى الدفاع عنه حتى يعلو غبارها ، وفى بعض النسخ « قائما » وهو تحريف

حين ضاقت عليه مكة ، وأصابه فيها الأذى ، ورأى من تَظَاهُر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى ؛ استأذَنَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، فأذن له ، فخرج أبو بكر مُهَاجِراً معه (١) ، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين لقيه ابن (٢) الدُّغُنَّةِ أخو بنى الحرث ابن بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش (٣)

قال ابن إسحق : والأحابيش (٣) : بنو الحرثِ بن عبد مناة بن كنانة والْهُونِ بن خُزَيمة بن مدركة و بنو الْمُصْطَلَق من خزاعة

قال ابن هشام : تحالفوا جميعاً ، فسُمُّوا الأحابيش (٣) [لأنهم تحالفوا بواد يقال له الأحابيش بأسفل مكة] (٤) للحِلْف ، ويقال : ابن الدغينة

قال ابن إسحق : وحدثنى الزُّهْرى ، عن عُرْوة ، عن عائشة ، قالت : فقال ابن الدُّغُنَّة : أين ياأبا بكر ؟ قال : أَخْرَجَنِى قومى ، وآذَوْنى ، وضَيَّقُوا علىَّ ، قال : ولم ؟ فوالله إنك لَتزِينُ الْعَشِيرة ، وتُعِينُ على النَّوائِب ، وتَفْعَل المعروف ، وتَكْسِبُ الْمَعْدوم (٥) ارْجِعْ وأنت فى

---

(١) كلمة معه ثابتة فى جميع نسخ الكتاب ، ولا يظهر لنا وجه لبقائها

(٢) «ابن الدغنة» ضبطه القسطلانى بفتح الدال وكسر الغين وفتح النون مخففة وبضم الدال والغين وفتح النون مشددة ، وعلى الأول اقتصر صاحب السيرة الحلبية ٤٠١/١ بولاق وهو ضبط المحدثين ، والثانى ضبط أهل اللغة ، وصوبه الفيروزبادى فى القاموس ، وزاد للمحدثين ضبطا آخر ، وفى القاموس : «أو بضم فسكون كحزمة» وقال السهيلى : «والدغنة : اسم امرأة عرف بها الرجال ، والدغن : الغيم يبقى بعد المطر» اه

(٣) «الأحابيش» هم أحياء من القارة انضموا إلى بنى ليث ، والتحبش : التجمع، وقيل: حالفوا قريشا تحت جبل يسمى حبشيا بأسفل مكة فسموا بذلك

(٤) زيادة فى بعض نسخ الكتاب

(٥) فى بعض النسخ « المعدم » ولعلة تحريف ، وقال السهيلى : « يقال : كسبت الرجل مالا ، فتعديه إلى مفعولين ، هذا قول الأصمعى ، وحكى غيره

جِوارى ؛ فرجع معه ؛ حتى إذا دخل مكة قام ابن الدُّغُنَّة فقال : يامعشر قريش ؛ إنى قد أجَرْت ابن أبى قُحَافة ؛ فلا يَعْرِضَنَّ له أحد إلا بخير ؛ قالت : فَكَفُّوا عنه ؛ قالت : وكان لأبى بكرٍ مسجدٌ عند باب داره فى بنى جُمَح ، فكان يُصَلى فيه ؛ وكان رجلاً رقيقا إذا قرأ القرآن استبكى ، قالت : فيقفُ عليه الصبيان والعبيد والنساء يُعْجَبُون لما يَرَوْن من هيئته ، قالت : فَمَشَى رجالٌ من قريش إلى ابن الدُّغُنَّة فقالوا : ياابن الدُّغُنَّة ، إنك لم تُجِرْ هذا الرجل ليؤذِيَنَا ؛ إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يَرِقُّ ويبكى ، وكانت له هيئة ونحو ، فنحن نَتَخَوَّف على صبياننا ونسائنا وضَعَفَتنا أن يفتنهم ؛ فأْتِه فَمُرْه أن يَدْخل بيته فَلْيَصْنع فيه ماشاء ؛ قالت : فمشى ابن الدُّغُنَّة إليه ؛ فقال له : ياأبا بكر ، إنى لم أُجِرْك لتؤذِىَ قومك ، إنهم قدكرهوامكانك الذى أنت به وتأذَّوْا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت ، قال : أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله ، قال : فارْدُدْ علىَّ جوارى ، قال : قد رددته عليك ، قال : فقام ابن الدُّغُنَّة فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أبى قُحَافة قد رَدَّ علىَّ جوارى ، فشأنَكُم بصاحبكم

قال ابن إسحق : وحدثنى عبدُ الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم ابن محمد ، قال : لقيه سفيهٌ من سُفَهاء قريش ، وهو عامد إلى الكعبة ، فَحَثَا على رأسه ترابا ، قال : فمرَّ بأبى بكر الوليدُ بن المغيرة ، أو العاصُ ابن وائل ، قال : فقال أبو بكر : ألا ترى إلى مايصنع هذا السفيه ؟ قال : أنتَ فعلت ذلك بنفسك ، قال : وهو يقول : أيْ رَبِّ ، أىْ رَبِّ مَا أَحْلَمَكَ ، أىْ رَبِّ مَاأَحْلَمَكَ ، أىْ رَبِّ مَاأَحْلَمَك

أكسبته مالا . فمعنى تكسب المعدوم : أى تكسب غيرك ماهو معدوم عنده» اه . وقال أبو ذر : «المعدوم هنا النفيس» اه

حديث نقض الصحيفة

موالاة هشام بن عمرو لبنى هاشم

قال ابن إسحق : وبنو هاشم وبنو المطلب فى منزلهم الذى تعاقدت فيه قريش عليهم فى الصحيفة التى كتبوا ، ثم إنه قام فى نَقْض تلك الصحيفة التى تكاتبت فيها قريش على بنى هاشم وبنى المطلب نَفَرٌ من قريش ، ولم يُبْلِ فيها أحدٌ أحْسَنَ من بلاء هشام بن عَمْرو (١) بن ربيعة ابن الحرث بن حُبيب (٢) بن نَصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤَى، وذلك أنه كان ابن أخى نَضْلة بن هاشم بن عبد مَنَاف لأمِّه ، وكان هشام لبنى هاشم واصلا ، وكان ذا شرفٍ فى قومه ، فكان — فيما بلغنى — يأتى بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب فى الشِّعب ليلاً قد أوْقَرَهُ (٣) طعاما ، حتى إذا أقبل به فَمَ الشِّعب خَلَعَ خِطَامه (٤) من رأسه ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم ، ثم يأتى به قد أوقره بُرًّا (٥) فيفعل به مثل ذلك

هشام بن عمرو يحرض زهير بن أبى أمية على نقض الصحيفة

قال ابن إسحق : ثم إنه مشى إلى زُهَيْر بن أبى أمية بن المغيرة ابن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزوم ، وكانت أمُّه عاتكةَ بنت عبد المطلب ، فقال : يازهير ، أقد رضيت أن تأكل الطعامَ وتَلْبَس الثياب وتَنْكِح

---

(١) فى بعض النسخ «هاشم بن عمرو» والذى أثبتناه موافق لما فى بعض النسخ وما فى الطبرى والسهيلى

(٢) فى بعض النسخ «خبيب» بالخاء المعجمة

(٣) أوقره : حمله

(٤) «خطامه» : الخطام حبل يشد على مقدم أنف البعير

(٥) قال السهيلى : «بزا بالزاى المعجمة ، وفى غير نسخة الشيخ أبى بحر: برا ، وفى رواية يونس : بزا أو برا ، على الشك من الراوى» اه

النساء وأخوالُكَ حيث قدعلمت لايُبَاعُون وَلَا يُبْتَاع منهم ، ولا يَنْـكحون ولا يُنْـكح إليهم ، أما إنى أحلف بالله أنْ لَوْ كانوا أخوال أبى الحكم ابن هشام ثم دَعَوْتَهُ إلى [مثل] مادعاكَ إليه منهم ماأجابك إليه أبداً ، قال : ويحك ياهشام ! ! فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله أنْ لَوْ كان معى رجلٌ آخر لَقُمْتُ فى نَقْضها حتى أنقضها ؛ قال : قد وجدتَ رجلاً ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : أبغنا رجلا ثالثاً

هشام يعرض المطعم بن عدى

فذهب إلى الْمُطْعِم بن عدى ، فقال له : يامطعم ، أَقَدْ رضيتَ أن يهلك بَطْنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ؟ أما والله لَئِنْ أَمْـكَنْتُمُوهم من هذه لَتجِدُنَّهَا إليها منـكم سِرَاعا ، قال : ويحك ! ! فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، قال : قدوجدتَ ثانياً ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : أبغنا ثالثا ، قال : قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زُهَيْر بن أبى أمية ، قال : أبغنا رابعا

هشام يعرض أبا البخترى ابن هشام

فذهب إلى أبى الْبَخْتَرى بن هشام ، فقال له نحوا مما قال لمُطْعِم بن عَدِى ، فقال : وهل من أحد يُعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : زُهير بن أبى أميَّة والْمُطْعِم بن عدى وأنا معك ، قال : أبغنا خامسا

هشام يعرض زمعة بن الاسود ابن المطلب

فذهب إلى زَمْعَة بن الأسود بن الْمُطّلب بن أسد ، فـكلمه ، وذكر له قرابتهم وحَقَّهم ، فقال له : وهل على هـذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمى له القوم ، فاتَّعَدُوا خَطْمَ الْحَجُونِ (١) ليلاً بأعلى مكة

(١) « خطم الحجون » اسم مكان بمكة ، ووقع فى بعض النسخ « حطم » بالحاء مهملة ، وهو تصحيف

اجتماع الخمسة واتفاقهم على المجاهرة بنقض الصحيفة

فاجتمعوا هنالك ، فأجمعوا أمرهم ، وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أول من يَتَكَلَّمُ

فلما أصبحوا غَدَوْا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبى أُمَيَّة عليه حُلَّة ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أنأكل الطعام وَنَلْبَس الثِّياب و بنو هاشم هَلْكَى لا يُبَاعون ولا يُبْتَاع منهم ، والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ، قال أبو جهل وكان في ناحية المسجد : كذبتَ والله لا تُشَق ، قال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حيث كُتبت ، قال أبو البَخْتَرى: صدق زَمْعة ، لا نرضَى ما كتب والله فيها ولا نُقرُّ به ، قال المطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها ، وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك ، قال أبو جهل : هذا أمر قُضِىَ بِلَيْلٍ تُشُووِرَ فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالسٌ في ناحية المسجد ، فقام المُطْعِمُ إلى الصحيفة لِيَشُقَّها ، فوجد الأَرَضَة قد أكلتها إلا « باسمك اللهم » وكان كاتب الصحيفة منصورَ (١) بن عِكْرِمة ، فشَلَّتْ يَدُه ، فيما يزعمون

قال ابن هشام : وقد ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى طالب : ياعَمِّ ، إنَّ الله قد سَلَّطَ الأَرَضَة على صحيفة قريش ، فلم تَدَعْ فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منها الظُّلْم والقَطيعة والبُهْتان ، فقال : أرَبُّك أخْبَرَك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج إلى قريش فقال : يامعشر قريش ؛ إن ابن أخى

---

(١) قال السهيلى : « للنساب من قريش في كاتب الصحيفة قولان : أحدهما أن كاتب الصحيفة هو بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والقول الثانى أنه منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم من بنى عبد الدار

أخبرنى بكذا وكذا ، فهَلُمَّ صحيفتكم : فان كانت كما قال ابن أخى فانْتَهُوا عن قطيعتنا ، وانزِلُوا عمَّا فيها ، وإن كان كاذبا دفعت إليكم ابن أخى ؛ فقال القوم : رضينا ، فتعاقَدُوا على ذلك ، ثم نظروا ؛ فاذا هى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فزادهم ذلك شرا ؛ فعند ذلك صَنَعَ الرَّهْطُ من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا

قال ابن إسحق : فلما مُزِّقت الصحيفة و بَطَلَ ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك النَّفَر الذين قاموا فى نَقْضها يمدحهم : —

أَلاَ هَلْ أَتَى بَحْرِيِّنَا صُنْعُ رَبِّنَا عَلَى نَأْيِهِمْ واللهُ بِالنَّاسِ أَرْوَدُ (١)

فَيُخْبِرَهُمْ أَنَّ الصَّحِيفَةَ مُزِّقَتْ وَأَنْ كُلُّ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللهُ مُفْسَدُ

تَرَاوَحَهَا إِفْكٌ وَسِحْرٌ مُجَمَّعٌ وَلَمْ يُلْفَ سِحْرٌ آخِرَ الدَّهْرِ يَصْعَدُ

تَدَاعَى لَهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِقَرْقَرٍ فَطَائِرُهَا فِى رَأْسِهَا يَتَرَدَّدُ (٢)

وَكَانَتْ كِفَاءً وَقْعَةٌ بِأَثِيمَةٍ لِيُقْطَعَ مِنْهَا سَاعِدٌ وَمُقَلَّدُ (٣)

أيضا ، وهو خلاف قول ابن إسحق ، ولم يذكر الزبيرى كاتب الصحيفة غير هذين القولين ، والزبيريون أعلم بأنساب قومهم » اه بحروفه (وانظر ص ٣٧٢)

(١) « بحرينا » يريد به من كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة فى البحر ، و «أرود» معناه أرفق

(٢) « بقرقر » قال أبو ذر : «القرقر : اللين السهل » اه وقال السهيلى : « من ليس فيها بقرقر : أى ليس بذليل ؛ لأن القرقر الأرض الموطوءة التى لا تمنع سالكها ، ويجوز أن يريد به من ليس بذى هزل ؛ لأن القرقرة الضحك ، وطائرها فى رأسها يتردد : أى حظها من الشؤم والشر ، وفى التنزيل : (ألزمناه طائره فى عنقه)» اه

(٣) المقلد : العنق ، وهو اسم مكان من التقليد ؛ وذلك لأنه الموضع الذى تلبس فيه القلائد ونحوها

وَيَظْعَنُ أَهْلُ الْمَكَّتَيْنِ فَيَهْرُبُوا
فَرَائِصُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الشَّرِّ تُرْعَدُ (١)
وَيُتْرَكُ حَرَّاثٌ يُقَلِّبُ أَمْرَهُ أَيُتْهِمُ فِيهَا عِنْدَ ذَاكَ وَيُنْجِدُ (٢)
وَتَصْعَدُ بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ كَتِيبَةٌ لَهَا حُدُجٌ سَهْمٌ وَقَوْسٌ وَمِرْهَدُ (٣)

---

(١) يظعن : يرحل ، والفرائص: جمع فريصة ، وهى بضعة فى مرجع الكتف ترعد إذا فزع الانسان ، وترعد - بالبناء للمجهول - تضطرب ، وأصله من الرِّعدة

(٢) حراث : مكتسب، ويقلب أمره : يدبره بأعمال الفكر فيه، ويتهم : يأتى تهامة ، وهى ما انخفض من أرض الحجاز ، وينجد : يأتى نجدا ، وهو ما ارتفع من أرض الحجاز

(٣) قال أبوذر : «الأخشبان : جبلان بمكة ، وكتيبة : جيش ، وحدج: كثرة ، وأصل الحدج صغار الحنظل والخشخاش ، فشبه كثرتهم به ، ومرهد : رمح لين ، ومن رواه فرهد فمعناه الرمح الذى إذا طعن به وسع الخرق ، ومن رواه مزهد - بالزاء - فهو ضعيف لا معنى له إلا أن يراد به الشدة ، على معنى الاشتقاق » اه كلامه ، وعلى هذا التفسير يضبط قوله «حدج» بفتح الحاء والدال جميعا ، و كأنه أخذ قوله «ومرهد» من الرهادة ، وهى النعمة ، ومنه قيل للشابة الرخصة الناعمة : رهيدة ، وقال السهيلى : «لعله حدج بضم الحاء والدال جمع حدج (بكسر فسكون) على ماحكى الفارسى ، و نظيره ستر وستر ، فيكون المعنى أن الذى يقوم لها مقام الحدج سهم وقوس ومرهد» اه ثم قال : « ومر هد فى الأصل بالراى وكسر الميم فيحتمل أن يكون مقلوبا من مهرد ، مفعل من هرد الثوب إذا مزقه ، ويعنى به رمحا أو سيفا ، ويحتمل أن يكون غير مقلوب ، ويكون من الرهيد ، وهو الناعم ، أى : ينعم صاحبه بالظفر ، أو ينعم هو بالرى من الدم ، وفى بعض النسخ مزهد - بفتح الميم وبالزاى - فان صحت الرواية به فمعناه مزهد فى الحياة وحرص على الممات» اه كلامه

فَمَنْ يَنشَ مِنْ حُضَّارِ مَكَّةَ عِزُّهُ   فَعِزَّتُنَا فِى بَطْنِ مَكَّةَ أَتْلَدُ (١)
نَشَأْنَا بِهَا وَالنَّاسُ فِيهَا قَلَائِلٌ
فَلَمْ نَنفَكِكْ نَزْدَادُ خيراً ونُحْمَدُ (٢)
وَنُطْعِمُ حَتَّى يَتْرُكَ النَّاسُ فَضْلَهُمْ
إِذَا جَعَلَتْ أَيْدِى الْمُفِيضِينَ تُرْعَدُ (٣)
جَزَى اللهُ رَهْطاً بِالْحَجُونِ تَتَابَعُوا
عَلَى مَلَأٍ يَهْدِى لِحَزْمٍ وَيُرْشِدُ (٤)

---

(١) «ينش» هو هكذا فى شرح السيرة ، وفى بعض نسخ الأصل بالشين المعجمة ، وفى نسختين ينس ـ بالسين مهملة ـ قال أبو ذر : «ينش : أى ينشأ ، فحذف الهمزة» يعنى أنه سهل الهمزة بقلبها ألفا لسكونها بعد فتحة ، ثم حذف هذه الألف على غير قياس ؛ لأن سبيل الهمزة التى تقلب ألفا فى مثل هذه الحال أن تبقى ، وهذا أحد وجهين للنحاة فى تقدير مثل ذلك ، وقوله «أتلد» معناه أقدم ، يريد أنه ليس فى حاضرى مكة من هو مثلهم فى العز والمجد لأنه مامن مجد إلا مجدهم أعرق منه

(٢) « والناس فيها قلائل » هكذا هو فى بعض النسخ ، وفى نسختين « والناس فيها قليل» فضبطها قوم بضم القاف وفتح اللام وتشديد الياء المثناة ، وهو إغراق فى البعد ، والخير ـ بكسر الخاء ـ الكرم ـ و بفتحها اسم جامع للفضائل

(٣) المفيضين : هم الضاربون بقداح الميسر ، قال السهيلى : «وكان لا يفيض معهم فى الميسر إلا سخى ، ويسمون من لا يدخل معهم فى ذلك البرم (بالتحريك) وقالت امرأة لبعلها ـ وكان برما بخيلا ورأته يقرن بضعتين فى الأكل : أبرما وقرونا ، ويسمونه أيضا الحصور ، يريد أبو طالب أنهم يطعمون إذا بخل الناس ؛ والميسر : هى الجزور التى تقسم ، يقال : يسرت ، إذا قسمت ، هكذا فسره القتبى ، وأنشد : ـ

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَيْسِرُونَنِى   أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّى ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ

قال : ييسروننى : أى يقتسمون مالى» اه

(٤) الملأ : جماعة الناس وأشرافهم ، وقوله «تتابعوا» يروى فى مكانه

قُعُودًا لَدَى خَطْمِ الْحَجُونِ كَأَنَّهُمْ مَقَاوِلَةٌ بَلْ هُمْ أَعَزُّ وَأَمْجَدُ (١)
أَعَانَ عَلَيْهَا كُلُّ صَقْرٍ كَأَنَّهُ
إِذَا مَامَشَى فِي رَفْرَفِ الدِّرْعِ أَحْرَدُ (٢)
جَرِيءٌ عَلَى جُلَّى الْخُطُوبِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بِكَفَّيْ قَابِسٍ يَتَوَقَّدُ (٣)
مِنَ الْأَكْرَمِينَ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ إِذَا سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ يَتَرَبَّدُ (٤)
طَوِيلُ النِّجَادِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ عَلَى وَجْهِهِ يُسْقَى الْغَمَامُ وَيُسْعَدُ (٥)
عَظِيمُ الرَّمَادِ سَيِّدٌ وَابْنُ سَيِّدٍ
يَحُضُّ عَلَى مَقْرَى الضُّيُوفِ وَيَحْشُدُ (٦)
وَيَبْنِي لِأَبْنَاءِ الْعَشِيرَةِ صَالِحًا إِذَا نَحْنُ طُفْنَا فِي الْبِلَادِ وَيَمْهَدُ
أَلَظَّ بِهَذَا الصُّلْحِ كُلُّ مُبَرَّإٍ عَظِيمِ اللِّوَاءِ أَمْرُهُ ثَمَّ يُحْمَدُ (٧)

« تبايعوا » ويعنى بهم الخمسة الذين تحالفوا على نقض الصحيفة ، وقد تقدم ذكرهم قريبا

(١) المقاولة : الملوك

(٢) « رفرف الدرع » ما فضل منها ؛ و « أحرد » بطيء المشي لثقل الدرع ، قال السهيلى : « والأحرد : الذى فى مشيه تثاقل ، وهو من الحرد ؛ وهو عيب فى الرجل » اه

(٣) « جلى » الجلى - بضم الجيم - الأمر العظيم ، والقابس : الذى يأخذ قبسا من النار ، أو الذى يشعلها

(٤) سيم - بالبناء للمجهول - كلف ؛ والخسف : الذل ، ويتربد : يتغير إلى السواد

(٥) النجاد - بكسر النون - حمائل السيف

(٦) « عظيم الرماد » هذه كناية عن الكرم ، و « مقرى الضيوف » قراهم ، وهو إكرامهم ، وقد يقال المقرى هو مايقدم للضيف من طعام

(٧) « ألظ بهذا الصلح » ألح ؛ ولزمه ، وفى الحديث : « ألظوا بيا ذا الجلال والاكرام »

قَضَوْا مَا قَضَوْا فِي لَيْلِهِمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا
عَلَى مَهَلٍ وَسَائِرُ النَّاسِ رُقَّدُ (١)
هُمُ رَجَعُوا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءَ رَاضِياً وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَمُحَمَّدُ (٢)
مَتَى شرك الْأَقْوام فِي جُلِّ أَمْرِنَا وَكُنَّا قَدِيمًا قَبْلَهَا نَتَوَدَّدُ
وَكُنَّا قَدِيمًا لاَ نُقِرُّ ظُلاَمَةً وَنُدْرِكُ مَاشِئْنَا وَلاَ نَتَشَدَّدُ
فَيَالَ قُصَيٍّ هَلْ لَكُمْ فِي نُفُوسِكُمْ
وَهَلْ لَكُمُ فِيمَا يَجِيءُ بِهِ غَدُ
فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ قَائِلٌ
لَدَيْكَ الْبَيَانُ لَوْ تَكَلَّمْتَ أَسْوَدُ (٣)

وقال حسّان بن ثابت يبكي المُطْعِم بن عَدِيٍّ حين مات ، ويذكر قيامه فى نَقْض الصحيفة : —

أَيَا عَيْنُ فَابْكِي سَيِّدَ الْقَوْمِ وَاسْفَحِي
بِدَمعٍ وَإِنْ أَنْزَفْتِهِ فَاسْكُبِي الدَّمَا (٤)

---

(١) « على مهل » كذا هو فى بعض نسخ الكتاب ، وفى نسختين « على مهمل » بزيادة ميم — ولعله تحريف

(٢) « سهل بن بيضاء » قال السهيلي : « سهل هذا هو ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبة بن الحارث بن فهر ، يعرف بابن البيضاء ، وهى أمه ، واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر » اه

(٣) « لو تكلمت أسود » قال أبوذر : « أسود هنا اسم رجل ، وأراد ياأسود ، وهو مثل يضرب للقادر على الشيء ولا يفعله » اه ، وهذا كلام غير صحيح ، والصواب ما قاله السهيلي : « أسود اسم جبل قتل فيه قتيل فلم يعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول هذه المقالة ، فذهبت مثلا » اه وفى معجم ياقوت ذكر كثير من الجبال بهذا الاسم

(٤) اسفحى : أى أسيلى ، وأنزفته : أى أنفدته

وَبَكَّى عَظِيمَ الْمَشْعَرَيْنِ كِلَيْهِمَا عَلَى النَّاسِ مَعْرُوفًا لَهُ مَا تَكَلَّمَا
فَلَوْ كَانَ مَجْدٌ يُخْلِدُ الدَّهْرَ وَاحِدًا
مِنَ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الْيَوْمَ مُطْعِمَا (١)
أَجَرْتَ رَسُولَ اللهِ مِنهُمْ فَأَصْبَحُوا عَبِيدَكَ مَا لَبَّى مُهِلٌّ وَأَحْرَمَا
فَلَوْ سُئِلَتْ عَنْهُ مَعَدٌّ بِأَسْرِهَا وَقَحْطَانُ أَوْ بَاقِي بَقِيَّةِ جُرْهُمَا
لَقَالُوا هُوَ الْمُوفِي بِخُفْرَةِ جَارِهِ وَذِمَّتِهِ يَوْمًا إِذَا مَا تَذَمَّمَا (٢)
فَمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فَوْقَهُمْ عَلَى مِثْلِهِ فِيهِمْ أَعَزَّ وَأَعْظَمَا
وَآبَى إِذَا يَأْبَى وَأَعْظَمَ شِيمَةً
وَأَنْوَمَ عَنْ جَارٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا (٣)

---

(١) قال السهيلى : « هذا البيت عند النحويين من أقبح الضرورة ؛ لأنه قدم الفاعل وهو مضاف إلى ضمير المفعول ، فصار فى الضرورة مثل قوله : —

* جزَى رَبُّهُ عَنِّي عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ *

غير أنه فى هذا البيت أشبه قليلا ، لتقدم ذكر مطعم ، فكأنه قال : أبقى مجد هذا المتقدم ذكره مطعما ، ووضع الظاهر موضع المضمر ، ولا بأس بمثل هذا ، لاسيما إذا قصدت قصد التعظيم وتفخيم ذكر الممدوح ، كما قال الشاعر : —

وَمَا لِيَ أَنْ أَكُونَ أَعِيبُ يَحْيَى وَيَحْيَى طَاهِرُ الْأَثْوَابِ بَرُّ

اه كلامه ، قال أبو رجاء : والذى ذكر أنه من أقبح الضرورات عند النحويين هو ما اختار جوازه كثير من حذاقهم وأصحاب الرأى المعتد به منهم ، وممن أجازه أبو الفتح ابن جنى ، وأبو عبد الله الطوال ، وقد وردت منه جملة صالحة من شواهد العربية ، فلا داعى لهذا التشنيع الفظيع

(٢) « خفرة جارة » الخفرة هنا : العهد ، و « تذمما » أى : طلب الذمة وهى العهد ، والضمير المستتر فيه يعود إلى الجار

(٣) « وأعظم شيمة » الشيمة الخلق والطبيعة ، ويروى « وألين شيمة » ، ويروى البيت هكذا : —

إِبَاءً إِذَا يَأْبَى وَأَكْرَمَ شِيمَةً وَأَنْوَمَ عَنْ جَارٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

قال ابن هشام : قوله « كليهما » عن غير ابن إسحق

قال ابن هشام : وأما قوله «أجرت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] منهم » فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه ونُصْرته صار إلى حراء ، ثم بعث إلى الأخنس بن شَريق ليُجيره ، فقال : أنا حَليفٌ والحليفُ لا يجير ، فبعث إلى سهيل بن عَمْرو ، فقال : إن بنى عامر لا تجير على بنى كَعْب ، فبعث إلى المطعم بن عَدِيّ ، فأجابه إلى ذلك ، ثم تسلّح المطعم وأهلُ بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد ، ثم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف إلى منزله ، فذلك الذى يعنى حسان بن ثابت

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت أيضا يمدح هشام بن عَمْرو لقيامه فى الصَّحيفة : —

هل يُوفِيَنَّ بَنُو أُمَيَّةَ ذِمَّةً … عَقْدًا كَمَا أَوْفَى جِوَارُ هِشَامِ (١)

مِنْ مَعْشَرٍ لَا يَغْدِرُونَ بِجَارِهِمْ … لِلْحَارِثِ بْنِ حُبَيِّبِ ابْنِ سُحَامِ (٢)

وَإِذَا بَنُو حِسْلٍ أَجَارُوا ذِمَّةً … أَوْفَوْا وَأَدَّوْا جَارَهُمْ بِسَلَامِ

---

(١) هشام بن عمرو هذا أسلم ، وهو معدود فى المؤلفة قلوبهم

(٢) حبيب : جاء به حسان على صيغة تصغير حبيب ؛ وإنما هو حبيب على صيغة تصغير حب ، قال السهيلى : « لما كان الحب والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما فى مكان الآخر ، وقوله ابن سحام هو اسم أمه ، وأكثر أهل النسب يقولون فيه شحام بشين معجمة . وأبو عبيدة النسابة وعوانة يقولون فيه سحام بسين وحاء مهملتين . والذى فى الأصل من قول ابن هشام سخام بسين مهملة وخاء معجمة » اهـ كلامه ، قلت : فابن سحام : صفة للحارث،

وكان هشام أخا سُحَام

قال ابن هشام : ويقال سخام

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ على ما يرى من قومه ـ يَبْذُل لهم النصيحة ، ويدعوهم إلي النجاة مِمَّا هُمْ فيه ، وجعلت قريش حين مَنَعه الله منهم يُحَذِّرونَهُ النَّاسَ ومَنْ قَدِم عليهم من العرب

وكان الطفيل بن عَمْرو [١] الدَّوْسيُّ يُحَدِّث أنه قَدِم مكة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجال من قريش ، وكان الطُّفَيْلُ رجلاً شريفاً ، شاعراً ، لَبِيباً ، فقالوا له : ياطُفَيْلْ ، إنك قدِمْتَ بلادَنَا ، وهـذا الرجلُ الذى بين أظْهرِنَا قد أعْضَلَ [٢] بنا ، وقد فَرَّقَ جماعتنا ، وشتَّت أمرنا ، وإنما قولُه كالسحر : يُفَرِّقُ بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبـين الرجل وبين زوجتـه ، وإنا نَخْشى عليك وعلى قومك ما قد دَخل علينا ، فلا تُكلِّمْه ، ولا تَسْمَعَنَّ منه شيئا ، قال : فوالله مازالوا بى حتى أجمعت ألا أسمعَ منه شيئا ولا أكلمه ، حتى حشوت فى أُذُنَىَّ حين غَدَوْتُ إلى المسجد كُرْسُفاً [٣] فَرَقاً من أن يبلغنى شىء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه ، قال : فغَدَوْتُ إلى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يُصَلِّى عند الكعبة ، قال : فقمت

---

(١) هو الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاصى بن ثعلبة بن سليم بن جهم بن غنم بن دوس

(٢) « أعضل بنا » أى : اشتد أمره ، يقال : أعضل الأمر ، إذا اشتد ولم يوجد له وجه ، قاله أبو ذر

(٣) الكرسف ـ بضمتين بينهما سكون ـ القطن

منـه قريباً ، فأبى الله إلا أن يُسْمِعَني بعضَ قوله ، قال : فسمعت كلاما حسنا ، قال : فقلت في نفسي : وَاثُكْلَ أمّي ، والله إني لرجل لَبيبٌ شاعر ما يَخْفى على الحَسَنُ من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فان كان الذى يأتي به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته ، قال : فمكَثْتُ حتى انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، فأتبعته حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه ، فقلت : يا محمد ، إن قومك قد قالوا لى كذا وكذا ، للذى قالوا ، فو الله ما بَرِحُوا يُخَوِّفُونني أمْرَكَ حتى سَدَدْتُ أذنى بكُرْسُفٍ لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك ، فسمعته قولا حسنا ، فاعْرِضْ علىّ أمْرَكَ ، قال : فعرض علىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ، وتلا على القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قطُّ أحْسَنَ منه ، ولا أمرا أعدل منه ، قال : فأسلمت ، وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يا نبىَّ الله ، إنى امرؤ مُطَاعٌ فى قومى ، وأنا راجع إليهم ، وداعيهم إلي الاسلام ، فادعُ الله أن يجعل لي آيةً تكون لى عَوْناً عليهم فيما أدعوهم إليه ، قال : «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيةً » قال : فخرجت إلي قومى ، حتى إذا كنت بِثَنِيَّةٍ[1] تُطْلعنى على الحاضر[2] وقع نورٌ بين عَيْنَيَّ مثلُ المصباح ، قال : قلت : اللَّهُمَّ فى غير وجهى . إنى أخشى أن يَظُنُّوا أنها مُثْلَة وقعت فى وجهى لفراق دينهم ، قال : فَتَحَوَّلَ فوقع فى رأس سَوْطى ، قال : فجعل الحاضرُ[2] يَتَرَاءَوْنَ ذلك النور فى سَوْطى كالقنديل المعلّق ، وأنا أهبط إليهم من الثَّنيّة[1] ، قال : حتى جئتهم ، فأصبحت فيهم ، قال : فلما نزلت أتانى أبى ـ وكان شيخا كبيرا ـ قال : فقلت : إلَيْكَ عَنِّي يا أبتِ ، فلستُ منك ولستَ

---

(١) الثنية : الفرجة بين الجبلين ، أوهى المكان المرتفع

(٢) الحاضر : القوم النازلون على الماء

مني ، قال : لِمَ يا بُنَيَّ ؟ قال : قلت : أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : أيْ بُنَيَّ فديني دينك ، قال : فقلت : فاذهب فاغتسل وَطَهِّرْ ثيابك ثم تعال حتى أُعَلِّمَكَ ما عُلِّمْتُ ، قال : فذهب فاغتسل وطهر ثيابه،قال : ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام فأَسلم، ثم أتتني صاحبتي ، فقلت: إليك عني فلستُ منكِ ولستِ مني ، قالت : لِمَ بأَبي أنتَ وأمّي ؟ قال : فرَّقَ بيني وبينكِ الاسلام ، وتابعتُ دينَ محمد صلى الله عليه وسلم ، قالت : فديني دينك ، قال : قلت : فاذهبي إلي حِنَى (١) ذي الشرَي (قال ابن هشام : ويقال حِمَي ذي الشرَي) فتَطَهَّرِي منه ،وكان ذُو الشَّرَي صَنَماً لدَوْس وكان الحِمَى حِمًى حَمَوْهُ له ، به وَشَلٌ (٢) من ماء يَهْبِطُ من جبل ، قال : قالت : بأَبي أنت وأمي ، أتخشى على الصِّبْيَه من ذى الشري شيئا ؟ قال : قلت : لا أناضامن لذلك ، قال : فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام ، فأسلمت ، ثم دعوتُ دَوْسًا إلى الاسلام ، فأَبطَؤُا عليّ ، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقلت له : يانبيّ الله ، إنه قد غلبني على دَوْسٍ الرنا (٣) فادْعُ الله عليهم ، فقال : « اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا ، ارْجِعْ إلىَ قَوْمِكَ فادْعُهُمْ وَارْفُقْ بِهِمْ » قال : فلم أزل بأَرض دَوْس أدعوهم إلى الاسلام حَتَّي هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى

---

(١) قال السهيلي : « إن صحت رواية ابن إسحاق فالميم قد تبدل نونا ، كما قالوا : حلان ، وحلام ، للجدى ، ويجوز أن يكون من حنوت العود ، ومن محنية الوادى ، وهو ما انحنى منه » اه

(٢) الوشل : الماء القليل

(٣) قوله « الرنا » هو لهو مع شغل قلب وبصر وغلبة كما فى القاموس ، وفى نسخة « الزنا »

بدروأحدوالخندق ، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بخَيْبَرَ ، حتى نزلت المدينة بسبعين أوثمانين بيتا من دَوْس ، ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخَيْبَر فأسْهَم لنا (١) مع المسلمين ، ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتَّى إذا فتح الله عليه مكة قلت : يارسولَ الله ، ابعَثْنِي إلى ذي الْكَفَين (صنمِ عمرو ابن حُمَمة) حتَّى أحرقه

قال ابن إسحق : فخرج إليه ، فجعل طفيل يوقد عليه النار ويقول :

يَاذَا الْكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عِبَادِكَا

مِيلاَدُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلاَدِكَا (٢)

* إِنِّي حَشَوْتُ النَّارَ فِي فُؤَادِكَا *

قال : ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فكان معه بالمدينة حتى قَبَضَ اللهُ رسولهصلى الله عليه وسلم ، فلما ارْتَدَّتِ العرب خرج مع المسلمين . فسار معهم حتى فَرَغوا من طُلَيْحة ، ومن أرض نجد كُلِّها ، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عَمْرو بن الطُفَيْل . فرأى رؤيا رؤيا طفيل وتعبيره إياها

(١) « فأسهم لنا » أى : جعل لنا من سهام الغنيمة نصيبا كالمحاربين

(٢) « ياذا الكفين » قال السهيلي : « بالتشديد ، خففه للضرورة ، وقيل : هو مخفف : فان صح فهو محذوف اللام ، كأنه تثنية كفء ، من كفأت الاناء ، أو كف. (بفتح الكاف) بمعنى كف. (بضمها) ثم سهلت الهمزة وألقيت حركتها على الفاء ، كما يقال الخبء والخب »اه والغرض أن « ذا الكفين » قد ورد فى أبيات طفيل بفتح الكاف والفاء وسكون الياء وأن العلماء قد اختلفوا فى ضبط اسم هذا الصنم الحقيقى ؛ فمنهم من ذكر أن ضبطه الحقيقي كما ورد فى أبيات طفيل ، والاختلاف بين هؤلاء إنما هو فى اشتقاق هذا الاسم ، ومن العلماء من ذكر أن ضبطه الحقيقى بفتح الكاف وتشديد الفاء فيكون طفيل قد خففه

وهو مُتَوَجِّه إلى اليمامة فقال لأصحابه : إنّي قد رأيت رؤيا فَاعْبُرُوها لي:[1] رأيت أنّ رأسي حُلِقَ ، وأنه خَرَجَ من فمي طائر ، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها ، وأرى ابني يطلبني طلبا حَثِيثاً ، ثم رأيته حُبِس عني ، قالوا : خيرا ، قال : أما أنا والله فقد أَوَّلْتُها ، قالوا : ماذا ؟ قال : أما حلق رأسي فوضعه ، وأما الطائر الذي خرج من فمي فَرُوحي ، وأما المرأة التي أدخلتني فرجها فالأرض تُحفَر لي فأُغَيَّب فيها ، وأما طَلَبُ ابني إياي ثم حبسه عني فاني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني ، فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ثم اسْتَبَلَّ منها[2] ثم قتل عام الْيَرْمُوك في زمن عمر رضي الله عنه شهيدا

أعشى بني قيس يفد على مكة ليسلم فتصده قريش

قال ابن هشام : حدثني خَلاَّد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم ، أن أعشى بني قيس بن ثَعْلبة ابن عُكَابة بن صَعْب بن علي بن بَكْر بن وائل خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الاسلام ، فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْناكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا   وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدَا[3]

---

(١) عبر الرؤيا يعبرها ـ من باب نصر ـ فسرها ، وفي التنزيل : (إن كنتم للرؤيا تعبرون)

(٢) « استبل منها » يقال : بل ، وأبل ، واستبل المريض من مرضه ، إذا أفاق وبرىء

(٣) قال أبو ذر : « الأرمد : الذي يشتكي عينيه من الرمد ، والسليم : الملدوغ ، والمسهد : الذي منع النوم » اهـ وقال السهيلي : « لم ينصب ليلة على الظرف لأن ذلك يفسد معنى البيت ، ولكنه أراد المصدر فحذفه ، والمعنى اغتماض ليلة أرمد ، فحذف المصدر المضاف إلى الليلة وأقامها مقامه فصار

وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ ، وَإِنَّمَا
تَنَاسَيْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَدَا (١)

وَلٰكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِى هُوَ خَائِنٌ
إِذَا أَصْلَحَتْ كَفَّاىَ عَادَ فَأَفْسَدَا

كُهُولاً وَشُبَّاناً فَقَدْتُ وَثَرْوَةً فَلِلّهِ هٰذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا

وَمَا زِلْتُ أَبْغِى الْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ
وَلِيدًا وَكَهْلاً حِينَ شِبْتُ وَأَمْرَدَا (٢)

وَأَبْتَذِلُ الْعِيسَ الْمَرَاقِيلَ تَغْتَلِى
مَسَافَةَ مَا بَيْنَ النُّجَيْرِ فَصَرْخَدَا (٣)

أَلاَ أَيُّهٰذَا السَّائِلِى أَيْنَ يَمَّمَتْ فَإِنَّ لَهَا فِى أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا(٤)

إعرابها كاعرابه »اه بحروفه ، قال أبو رجاء : هذا الذى ذكره السهيلى مبنى على أن « أرمد » صفة معناها الذى أصاب عينه الرمد ، كما قاله أبو ذر ، والألف فيه ألف الاطلاق ، وعندى أن خيرا من هذا كله أن يكون قوله « أرمدا » فعلا ماضيا مسندا إلى ألف الاثنين التى تعود إلى قوله « عيناك » وعليه يكون ليلة منصوبا على الظرفية ، قال الفيومى فى المصباح « رمدت العين ، من باب تعب ، وأرمدت بالألف لغة » ؛ ويكون قد حذف تاء التأنيث من الفعل المسند إلى ضمير المثنى المؤنث

(١) الخلة : الصداقة ، ويروى فى مكانه « صحبة » وهى بمعناه ، ومهدد : اسم امرأة

(٢) اليافع : الذى قارب زمن الاحتلام

(٣) العيس : الأبل البيض يخالطها حمرة ، والمراقيل : مأخوذ من الارقال ، وهو السرعة فى السير ، و « تغتلى » يزيد بعضها على بعض فى السير ، والنجير : موضع فى حضر موت من اليمن ، وصرخد : موضع بالجزيرة

(٤) يممت : قصدت ، ويثرب : المدينة التى هاجر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا مشكل مع أن مجىء الأعشى إلى النبى كان فى مكة ، وهذه القصة التى يسوقها ابن إسحاق تدل تمام الدلالة على هذا

فَإنْ تَسْأَلِي عَنِّي فَيَارُبَّ سَائِلٍ
حَفِيٍّ عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا (١)
أَجَدَّتْ بِرِجْلَيْهَا النَّجَاءَ وَرَاجَعَتْ يَدَاهَا خِنَافًا لَيِّنًا غَيْرَ أَحْرَدَا (٢)
وَفِيهَا إِذَا مَا هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ
إِذَا خِلْتَ حِرْبَاءَ الظَّهِيرَةِ أَصْيَدَا (٣)
وَآلَيْتُ لَا آوِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ
وَلَا مِنْ حَفًى حَتَّى تُلَاقِي مُحَمَّدَا (٤)
مَتَى مَا تُنَاخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ
تُرَاحِي وَتَلْقَيْ مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى (٥)

---

(١) « حفى » مبالغ فى السؤال ، وأصعد : أى ذهب

(٢) الخناف — بكسر الخاء — أن تلوى يديها فى السير من النشاط ، وقال ثعلب : أبو عبيدة : خنافا هى التى كأنها حرداء لأن يديها ترجع من ورائها ، والحرد : جسوء يكون فى اليد . وقال أبو ذر : والأحرد : الذى لا ينبعث فى المشى ويعتقل

(٣) هجرت : مشت فى الهاجرة ، وهى وقت القائلة ، والعجرفية : تخليط فى غير استقامة ، والحرباء — بكسر فسكون — دويبة تكون فى أعلى الشجر وتستقبل الشمس بوجهها حيث دارت ، والأصيد : الذى لا يعطف عنقه إما من كبر وإما من داء أصابه

(٤) « لا آوى » هذه رواية السيرة وشرحها ، والمعنى لا أشفق عليها ولا أرحمها ، ويروى « لا أرثى » والمعنى واحد ، والكلالة : التعب ، ويروى البيت بتمامه هكذا :—

فَمَا لَكِ عِنْدِي مُشْتَكًى مِنْ كَلَالَةٍ
وَلَا مِنْ حَفًى حَتَّى تُلَاقِي مُحَمَّدَا

(٥) « تراحى » يروى فى مكانه « تريحى » والفواضل : جمع فاضلة ، و « ندى » هو الجود ، ويروى « يدا » بالياء ، وهى النعمة

نَبِيٌّ يَرَى مَالاَ تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ أَغَارَ لَعَمْرِى فِى الْبِلاَدِ وَأَنْجَدَا (١)
لَهُ صَدَقَاتٌ مَاتُغِبُّ وَنَائِلٌ وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعَهُ غَدَا (٢)
أَجِدَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الْإِلٰهِ حَيْثُ أَوْصَى وَأَشْهَدَا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
وَلاَ قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لاَ تَكُونَ كَمِثْلِهِ
فَتُرْصِدَ لِلْمَوْتِ الَّذِى كَانَ أَرْصَدَا (٣)
فَإِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لاَ تَقْرَبَنَّهَا وَلاَ تَأْخُذَا سَهْمًا حَدِيدًا لِتَفْصِدَا
وَلاَ النُّصُبَ الْمَنْصُوبَ لاَ تَنْسُكَنَّهُ
وَلاَ تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ وَاللّٰهَ فَاعْبُدَا (٤)

---

(١) « نبى » يروى بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، ويروى « نبيا » على أنه منصوب بأمدح محذوفا ، وقوله « أغار لعمرى » معناه بلغ الغور ، وهو ماانخفض من الأرض ، و « أنجد » بلغ النجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ، ويروى الشطر الثانى هكذا : ـ

* لَعَمْرِى غَارَ فِى الْبِلاَدِ وَأَنْجَدَا *

(٢) « تغب » يروى بضم تاء المضارعة على أنه مضارع أغب ، وله مفعول محذوف ، ويروى بفتح تاء المضارعة على أن ماضيه غب ، ولا مفعول له لأنه لازم ، والنائل : العطاء

(٣) ترصد : تعد ، ويروى : ـ

* وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَا *

(٤) النصب : حجارة كانوا يذبحون لها ، والنسك : الدم كانوا يعترون عند أصنامهم ثم يطلون رءوس الأصنام بدماء العتائر ، ويروى « وذا النصب المنصوب ـ الخ » ويروى « ولا تعبد الشيطان »

وَلاَ تَقْرَبَنَّ حُرَّةً كَانَ سِرُّهَا
عَلَيْكَ حَرَاماً فَانْكِحَنْ أَوْ تَأَبَّدَا (١)
وَذَا الرَّحِمِ الْقُرْبَى فَلاَ تَقْطَعَنَّهُ
لِعَاقِبَةٍ وَلاَ الْأَسِيرَ الْمُقَيَّدَا (٢)
وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى
وَلاَ تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللهَ فَاحْمَدَا
وَلاَ تَسْخَرًا مِنْ بَائِسٍ ذِى ضَرَارَةٍ
وَلاَ تَحْسَبَنَّ الْمَالَ لِلْمَرْءِ مُخْلِدَا (٣)

فلما كان بمكة أو قريبا منها اعترضه بعضُ المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيُسْلِمَ ، فقال له : ياأبا بصير ، إنه يحرم الزِّنا ، فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر مالي فيه من أَرَب ، فقال له : ياأبا بصير ، فانه يحرم الخمر ، فقال الأعشى :

---

(١) « ولا تقربن حرة » يروى فى مكانه « ولا تقربن جارة » ؛ والسر : النكاح ، والتأبد : التعزب والبعد عن النساء ، ومن هذا قيل للوحش أوابد

(٢) يروى صدر البيت هكذا : —

* وَلاَ السَّائِلَ الْمَحْرُومَ لاَ تَتْرُكَنَّهُ *

(٣) البائس : الفقير ، و « ذى ضرارة » أى : مضطر ، والضرارة والضرورة بمعنى ، ويروى « ذى ضرورة » كما يروى « ذى ضراعة » والضراعة : الذل ، والضارع : الذليل ، ويروى عجز هذا البيت هكذا : —

* وَلاَ تَحْسَبَنَّ الْمَرْءَ يَوْماً مُخَلَّدَا *

هذ ، واعلم أن هذه القصيدة فى ديوان الأعشى فى أربعة وعشرين بيتا ، وأن ترتيب أبياتها يختلف كثيرا عن ترتيب رواية ابن إسحاق ، انظر الديوان (ص ١٠١ - ١٠٣)

أما هذه فوالله إن فى النفس منها لعلالات ، ولكنى مُنْصَرِف فأَتَرَوَّى منها عامى هذا ، ثم آتيه فأسلم ، فانصرف ، فمات فى عامه ذلك ، ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

أبو جهل حينما يرى النبى يأخذه الرعب

قال ابن إسحق : وقد كان عدوٌّ الله أبو جهل بن هشام ، لعنه الله ، مع عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبُغْضه إياه وشدته عليه ، يُذِلّه الله له إذا رآه

قال ابن إسحق : حدثنى عبدالملك بن عبد الله بن أبى سفيان الثقفى ، وكان واعية ، قال : قدم رجل من أراش (قال ابن هشام : ويقال أراشة) بإبل له بمكة ، فابتاعها منه أبو جهل ، فمطله بأثمانها ، فأقبل الأراشى حتى وقف على نادٍ من قريش ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ناحية المسجد جالس ، فقال : يامعشر قريش ، مَنْ رَجُلٌ يُؤْدِينى[1] على أبى الحكم ابن هشام فانى رجل غريبٌ ابنُ سبيل ، وقد غلبنى على حق ، قال : فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يَهْزَؤُن به لما يعلمون بينه وبين أبى جهل من العداوة ، اذْهَبْ إليه فانه يُؤْدِيكَ عليه ، قال : فأقبل الأراشى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ياعبد الله ، إن أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قِبَله ، وأنا غريب ابن سبيل ، وقد سألتُ هؤلاء

---

(١) « يؤدينى » قال أبو ذر : « معناه يعيننى ، أى ينصفنى » اه ، وقال السهيلى : « أى يعيننى على أخذ الحق منه ، وهو من الأداة التى يتوصل الانسان بها إلى ما يريد كأداة الحرب وأداة الصانع ، فالحاكم يؤدى الخصم : أى يوصله إلى مطلبه ، وقد قيل : إن الهمزة بدل من عين ، ويؤدى ويعدى بمعنى واحد : أى يزيل العدوان ، وهو الظلم ، كما تقول : هو يشكيك : أى يزيل شكواك » اه

القوم عن رجل يُؤدِينى عليه يأخذُ لى حَقِّى منه ، فأشاروا لى إليك ، فخذْلى حقى منه يرحمك الله ، قال : « انطلق إليه » ، فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا رَأَوْهُ قام معه قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه انظر ماذا يصنع ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه ، فضرب عليه بابه ، فقال : من هذا ؟ فقال : « محمدفاخْرُجْ إلىَّ » ، فخرج إليه وما فى وجهه من رائحة [1] ، قد انْتُقِـع لَوْنه[2] فقال : « أعْطِ هذا الرجل حقه » ، فقال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذى له ، قال : فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال للأراشي : « الحق بشأنك » ، فأقبل الأراشى حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزَاهُ الله خيراً فقد والله أخذلى حقى ، قال : وجاء الرجل الذى بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ! ! ماذا رأيت ؟ قال : عَجَباًمن العجب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه رُوحُهُ ، فقال له : أعط هذا حقه ، فقال : نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه ، قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا : ويلك ! مالك ! والله مارأينا مثل ماصنعت قطّ ، قال : ويحكم !! والله ماهو إلا أن ضرب علىَّ بابى وسمعت صوته فَمُلِئْتُ منه رُعْباً ، ثم خرجت إليه وإنَّ فوق رأسه لفَحْلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قَصَرَته[3] ولا أنيابه لفحل قط ، والله لو أَبَيْتُ لأكلنى

---

(١) « وما فى وجهه من رائحة » قال أبو ذر : « أى من قطرة دم » وقال السهيلى : « أى بقية روح »

(٢) « انتقع لونه » بالبناء للمجهول ـ أى تغير ، ويروى « امتقع لونه » بالميم ، وهو بمعناه

(٣) الهامة : الرأس ، والقصرة : أصل العنق

ركانة بن عبد يزيد والنبى صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : وحدثنى أبى إسحق بن يسار ، قال : كان رُكانة ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشدَّ قريش ، فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ياركانة ، ألا تتقى الله وتقبلُ ما أدعوك إليه» ، قال : إنى لو أعلم أن الذى تقول حقٌّ لا تبعتك ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَفَرَأَيْتَ إِنْ صَرَعْتُكَ أَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَقُولُ حَقٌّ » ؟ قال : نعم ، قال : « فَقُمْ حَتَّى أُصَارِعَكَ » قال : فقام ركانة إليه فصارعه ، فلما بطش به رسول الله صلى الله عليه وسلم أضجعه وهو لا يملك من نفسه شيئًا ، ثم قال : عُدْ يامحمد ، فعاد ، فصرعه ، ثم قال : يامحمد ، والله إن هذا لَلْعَجَبُ ، أتصرعنى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُرِيكَهُ إِنِ اتَّقَيْتَ اللهَ واتَّبَعْتَ أَمْرِى » قال : ما هو ؟ قال : «أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى» ، قال : ادْعُها ، فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فقال لها : « ارْجِعِي إِلَي مَكَانِكِ » قال : فرجعت إلى مكانها ، قال : فذهب ركانة إلى قومه فقال : يابنى عبد مناف ، سَاحِرُوا (1) بصاحبكم أهلَ الأرض ، فوالله ما رأيت أسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع

وفد نصارى الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقالة قريش لهم وردهم عليهم

قال ابن إسحق : ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا ، أو قريب من ذلك ، من النصارى ، حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه فى المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ، ورجالٌ من

---

(1) أى : غالبوهم به فى السحر

قريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فَاضَتْ أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله وآمنوا به ، وصدقوه وعرفوا منه ما كان يُوصَف لهم فى كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبوجهل بن هشام فى نفرٍ من قريش ، فقالوا لهم : خَيَّبَكُمُ الله من رَكْبٍ ، بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينكم تَرْتَادُونَ لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تَطْمَئِنَّ مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ، ما نعلم ركبا أحمق منكم ، أو كما قالوا لهم ، فقالوا لهم : سلامٌ عليكم ؛ لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نَأْلُ (١) أنفسنا خيرا ، ويقال: إن النفر من النصارى من أهل نجران ، فالله أعلم أى ذلك كان ، فيقال والله أعلم : فيهم نزلت هؤلاء الآيات (٢٨ : ٥٢ ـ ٥٥) (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) إلى قوله : (لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)

قال ابن إسحق : وقد سألت ابن شهاب الزهرى عن هؤلاء الآيات فيمن نزلت ، فقال لى : مازلت أسمع من علمائنا أنهن أنزلن فى النجاشى وأصحابه ، والآيات من المائدة قوله (٥ : ٨٢ ـ ٨٣) : (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) إلى قوله: (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)

---

(١) « لم نأل أنفسنا خيرا » قال أبو ذر : « أى لم نقصرها عن بلوغ الخير ، يقال : ما ألوت أفعل كذا وكذا ، أى ماقصرت » اه

مشركو قريش يزعمون أن اتباع الفقراء للنبي نقص في الدين

قال ابن إسحق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المسجد فجلس إليه المستضعفون من أصحابه خَبَّابٌ وَعَمَّارٌ وأبو فُكَيْهَة يَسَار مولى صَفْوان بن أمية بن محرث [1] وصُهَيْبٌ وأشباههم من المسلمين هزأت بهم قريش، فقال بعضهم لبعض: هؤلاء أصحابه كما ترَوْنَ، أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا بالهدى والحق؟ لو كان ما جاء به محمد خيراً ماسبقنا هؤلاء إليه وما خصَّهم الله به دوننا، فأنزل الله تعالى فيهم (٦ : ٥٢ — ٥٤) (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوأً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

ويزعمون أنه يتعلم من غلام نصراني

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما بلغني، كثيراً مايجلس عند المرْوَة إلى مَبيعةِ [2] غلامٍ نصراني يقال له جبر، عَبْدٌ لابن الحضرمي، وكانوا يقولون: والله ما يُعَلِّمُ محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبرٌ النصرانيُّ غلامُ ابن الحضرمي، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم (١٦ : ١٠٣): (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)

(١) قوله «ابن محرث» في نسخة «ابن محرب»

(٢) قال السهيلي: «المبيعة مفعلة مثل المعيشة، وقد يجوز أن يكون مفعلة (بضم العين) وهو قول الأخفش، وأما قولهم سلعة مبيعة فمفعولة حذفت الواو منها في قول سيبويه» اهـ

قال ابن هشام : يلحدون إليه : يميلون إليه ، والالحاد : الميل عن الحق ، قال رؤبة بن العجاج : —

* إذ تَبِعَ الضَّحَّاكَ كُلُّ مُلْحِدِ *

قال ابن هشام : يعنى الضَّحَّاكَ الخارجى ، وهذا البيت فى أرجوزة له

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحق : وكان العاص بن وائل السَّهْمِىُّ ، فيما بلغنى ، إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دَعُوه فانما هو رجل أَبْتَرُ لا عقب له لو قد مات لقد انقطع ذكره واسترحتم منه ، فأنزل الله فى ذلك من قوله (١٠٨ : ١ ـ ٣) (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) ما هو خير لك من الدنيا وما فيها ، والكوثر : العظيم

تفسير الكوثر

قال ابن إسحق : قال لبيد بن ربيعة الكلابى : —

وَصَاحِبِ مَلْحُوبٍ فُجِعْنَا بِيَوْمِهِ
وعِنْدَ الرَّدَاعِ بَيْتُ آخَرَ كَوْثَرِ (١)

يقول : عظيم

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن هشام : وصاحب ملحوب : عَوْفُ بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، مات بملحوب ، وقوله « وعند الرداع بيت آخر كوثر » يعنى

(١) ملحوب والرداع : موضعان : أما ملحوب فمفعول من لحبت العود إذا قشرته ، فكأن هذا الموضع سمى ملحوبا لأنه لا أكم فيه ولا شجر ، وفيه يقول عبيد بن الأبرص : —

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ فَالْقُطَبِيَّاتُ فَالْجَنُوبُ

وأما الرداع فمن أرض اليمامة .

شُرَيْحَ [1] بن الأَخْوَص بن جَعْفَر بن كلاب ، مات بالرداع ، والكوثر : أراد الكثير ، ولفظه مشتق من لفظ الكثير

قال ابن هشام : قال الكميت بن زيد يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :ـ

وأَنْتَ كَثِيرٌ يا ٱبْنَ مَرْوانَ طَيِّبٌ
وَكَانَ أَبُوكَ ٱبْنَ ٱلْعَقَائِلِ كَوْثَرَا [2]

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن هشام : وقال أمية بن أبي عائذ الهذلي يصف حمارَ وَحْشٍ

وَيَحْمِي الْحَقِيقَ إِذَا مَا ٱحْتَدَمْـ
ـنَ حَمْحَمَ فِي كَوْثَرٍ كَالْجِلَالْ [3]

يعنى بالكوثر الغبار الكثير ، شبهه لكثرته عليه بالجلال ، وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحق : حدثنى جعفر بن عمرو (قال ابن هشام : هو جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أمية الضَّمْرِى) عن عبد الله بن مسلم أخى محمد ابن مسلم بن شِهَاب الزُّهْرى ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم وقيل له : يارسول الله ، ما الكوثر الذى أعطاك الله ؟ قال « نَهْرٌ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاء إِلَى أيلة ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُوم السَّماء تَرِدُهُ طَيْرٌ

---

(١) ويقال : صاحب الرداع هو حبان بن عتبة بن مالك بن جعفر بن كلاب

(٢) العقائل : جمع عقيلة ، وهى المرأة الكريمة

(٣) احتدمن : أسرعن الجرى فأكثرنه ، والجلال : جمع جل

لَهَا أَعْنَاقٌ كَأَعْنَاقِ الْإِبِلِ » قال : يقول عمر بن الخطاب : إنها يارسول الله لناعمة ، قال : « آكِلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا »

قال ابن إسحق : وقد سمعنا فى هذا الحديث أو غيره أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لاَ يَظْمأُ أَبَدًا »

قال ابن إسحق : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه إلي الاسلام : وكلّمهم فأبلغ إليهم ، فقال له زَمْعَةُ بن الأسود ، والنَّضْر بن الحرث ، والأسود ابن عبد يَغُوث ، وأُبيّ بن خَلَف ، والعاص بن وائل : لو جعل معك يا محمد مَلَك يُحَدِّث عنك الناس ويرى معك ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم (٦: ٨–٩) (وَقَالُوا : لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ، وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ ، وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ)

قال ابن إسحق : ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، بالوليد ابن المغيرة وأمية بن خلف وبأبى جهل بن هشام ، فغمزوه وهمزوه واستهزؤا به ، فغاظه ذلك ، فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من أمرهم (٦ : ١٠) (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)

قد تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ، طبع الجزء الأول من كتاب « سيرة النبى صلى الله عليه وسلم » لأبى محمد عبد الملك بن هشام ؛ ويليه ـ إن شـاء الله تعـالى ـ الجزء الثانى مفتتحاً بذكر الاسراء والمعراج ، والله تعالى المسئول أن يعين على إكماله ، بمنه وكرمه ؛ هو المعين وعليه التـكلان

فهرست الموضوعات

الواردة فى الجزء الأول من كتاب

سيرة النبى صلى الله عليه وسلم

لأبى محمد عبد الملك بن هشام

ص	الموضوع
٢٢١	الشهب ترجم مسترق السمع
٢٢٢	تفسير الرهق
٢٢٤	عمرو بن أمية الثقفى يذكر لقومه رأيا فى الشهب
—	النبي صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن الشهب
٢٢٥	الغيطلة كاهلة بنى سهم
٢٢٧	عمر بن الخطاب وسواد بن قارب
٢٣١	اليهود تنذر أهل المدينة ببعثة رسول الله
٢٣٢	ابن الهيبان ينذر يهود بمبعث النبي
٢٣٣	حديث إسلام سلمان الفارسى رضى الله عنه
—	نشأة سلمان ، وخروجه من دار أبيه واتصاله بالرهبان
٢٣٦	سلمان يلحق بقس نصيبين
٢٣٧	سلمان يلحق بقس عمورية فيصف له النبي ويوصيه باتباعه إن أدركه
—	سلمان يرحل إلى أرض العرب مع قوم من بنى كلب
—	سلمان يقدم المدينة

ص	الموضوع
٢٣٨	سلمان يسمع بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم
—	نسب قيلة أم الأوس والخزرج
٢٣٩	سلمان يذهب إلى النبي ويستثبت من صفاته التى ذكرها له قس عمورية
٢٤٠	النبي يأمر سلمان بأن يكاتب عن نفسه ويأمر أصحابه بأن يعاونوه فى أداء ما كاتب به
٢٤٢	جماعة من قريش يجتمعون فيما بينهم فينكرون ما عليه قومهم من عبادة الاصنام
٢٣٤	منهم ورقة بن نوفل ، وبيان ما صار إليه
—	ومنهم عبيد الله بن جحش ، وما صار إليه
—	ومنهم عثمان بن الحويرث ، وما صار إليه
٢٤٤	ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل وبيان حاله
—	شهادة النبي لزيد بن عمرو بن نفيل

تمت فهرست الموضوعات الواردة فى الجزء الأول من كتاب

« سيرة النبي صلى الله عليه وسلم »

لأبى محمد عبد الملك بن هشام

والحمد لله أولا وآخراً

مطابع المختار الاسلامى

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

لأبي محمد عبد الملك بن هشام

راجع أصولها ، وضبط غريبها ، وعلق حواشيها ، ووضع فهارسها

محمد محيي الدين عبد الحميد

الجزء الثاني

مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين

ذكر الاسراء والمعراج

قال : حدثنا أبو محمد عَبْدُ الملك بْنُ هشام ، قال : حدثنا زياد بن عَبْد الله الْبَكَّائِيُّ ، عن محمد بن إسحق المطلبي ، قال :

ثم أُسْرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس ، من إيلياء ، وقد فَشَا الاسلامُ بمكة فى قريش وفى القبائل كلها

قال ابن إسحق : كان من الحديث ــ فيما بلغنى عن مَسْرَاه صلى الله عليه وسلم ، عن عبد الله بن مسعود ، وأبى سعيد الْخُدْرِيّ ، وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومُعَاوِيَةَ بن أبى سُفْيَان ، والحسن بن أبى الحسن ، وابن شِهَاب الزُّهْرِيّ ، وَقَتَادة ، وغيرهم من أهل العلم ، وأمِّ هانىء بنت أبى طالب ــ مااجتمع فى هذا الحديث ، كلٌّ يحدِّث عنه بعض ماذكر من أمره حين أُسْرِى به صلى الله عليه وسلم؛ وكان فى مَسْرَاه وما ذكر منه بَلاَءٌ وَتَمْحِيصٌ وأمرٌ من أمر الله فى قُدْرته وسُلْطانه ، فيه عِبْرَةٌ لأولى الألباب ، وهُدًى ورحمة وثبَات لمن آمن بالله وصدَّق ، وكان من أمر الله على يقين ، فأسْرَى به كيف شاء [وكما شاء] لِيُرِيَهُ من آياته ما أراد ، حتى عَايَنَ ماعاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التى يصنع بها مايريد

فكان عبد الله بن مسعود ـ فيما بلغني عنه ـ يقول : أُتِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالْبُراق ـ وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء قبله : تَضَعُ حافرها في مُنْتهى طَرْفِهَا ـ فَحُمِلَ عليها ، ثم خرج به صاحبه يرى الآياتِ فيما بين السماء والأرض، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم الخليل وموسى وعيسى في نَفَرٍ من الأنبياء قد جُمِعُوا له فَصَلَّى بهم ، ثم أُتِيَ بثلاثةِ آنيةٍ : إناء فيه لبن ، وإناء فيه خَمْر ، وإناء فيه ماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ حِينَ عُرِضَتْ عَلَيَّ : إِنْ أَخَـذَ الْمَاءَ غَرِقَ وَغَرِقَتْ أُمَّتُهُ ، وَإِنْ أَخَـذَ الْخَمْرَ غَوَى وغَوَتْ أُمَّتُهُ ، وَإِنْ أَخَذَ اللَّبَنَ هُدِيَ وهُدِيَتْ أُمَّتُهُ » قال : « فَأَخَذْتُ إِنَاءَ اللَّبَنِ فَشَرِبْتُ مِنْهُ ، فقال لي جبريل عليه السلام : هُدِيت وهُدِيَتْ أمتك يا محمد »

قال ابن إسحق : وحُدِّثْتُ عن الحسن أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بَيْنَا أنا نائم في الحِجْر إذ جاءني جبريل ، فَهَمَزني بقَدَمه فجلست ، فلم أر شيئاً ، فَعُدْتُ إلى مَضْجِعي ، فجاءني الثانيةَ ، فَهَمَزَني بقدمه ، فجلست فلم أر شيئاً ، فعدت إلى مضجعي ، فجاءني الثالثة ، فَهَمَزَني بقدمه ، فجلستُ ، فأخذ بعَضُدي ، فقمت معه ، فخرج إلى باب المسجد ، فإذا دابّةٌ أبيض بين البَغْل والحمار في فخذيه جَناحان يَحْفِزُ بهما رجليه[1] يضعُ يده في منْتَهى طَرْفه ، فحملني عليه ، ثم خرج معي لا يَفُوتني ولا أفوته »

قال ابن إسحق : وحُدِّثْتُ عن قَتَادة أنه قال : حُدِّثْتُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ لأركبه شَمَسَ[2] ، فَوَضَعَ جبريل

(١) « في نسخة يحفر بهما » بالراء المهملة

(٢) شمس : نفر ، والشموس ـ بفتح الشين ـ النفور من الدواب الذي لا يستقر لشغبه وحدته ونشاطه

يده على مَعْرَفَتِه(١) ، ثم قال : ألا تَستَحى يابُرَاقُ مما تصنع ، فوالله يا بُرَاقُ مَا رَكِبَكَ عَبْدٌ لله قبلَ محمدٍ أكرمُ على الله منه ، قال : فاستحيا حتى ارْفَضَّ عَرَقًا ، ثم قرّ(٢) حتى رَكِبْتُه »

قال الحسن فى حديثه : فمَضَي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومضى جبريل عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيمَ ومُوسى وعيسى فى نفرٍ من الأنبياء ، فأمَّهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فصلَّى بهم ، ثم أُتِيَ باناءين فى أحدهما خَمْر وفى الآخر لَبَنٌ ، قال : فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إناء اللبن فشرب منه ، وترك إناء الخمر ، قال : فقال له جبريل : هُدِيتَ لِلفِطْرَةِ وهُدِيتْ أمَّتُك يامحمد ، وحُرِّمَت عليكم الخمر ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ،

فلما أصبح غدَا على قريش ، فأخبرهم الخبر ، فقال أكْثَرُ الناس : هذا والله الإِمْرُ(٣) البَيِّنُ ، والله إنَّ العِيرَ لَتَطَّرِدُ شهْراً من مكة إلى الشأم مُدْبِرةً وشهرا مُقْبِلةً ، أفيذهب ذلك محمدٌ فى ليلة واحدة ويرجع إلى مكة ؟

أبو بكر يستوصف النبي بيت المقدس فيصفه له فيصدقه

قال : فارْتَدَّ كثير ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبى بكر ، فقالوا له : هل لك ياأبا بكر فى صاحبك ؟ يزعم أنه قد جاء هذه الليلةَ بيتَ

---

(١) المعرفة ـ بفتح الميم والراء بينهما عين مهملة ساكنة ـ اللحم الذى ينبت عليه شعر العرف

(٢) « قر » هكذا وقع فى نسخ السيرة . ومعناه سكن وانقاد ، ورواه ابن الأثير « استصعب ثم ارفض وأقر » والمعنى واحد

(٣) الامر ـ بكسر الهمزة وسكون الميم ـ الأمر العظيم الشنيع . وقيل : هو العجب ، وفى التنزيل : (لقد جئت شيئا إمرا)

المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ! ! قال : فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : بلى ، هاهو ذاك فى المسجد يُحدِّث به الناس ، فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لَقَدْ صدق ، فما يُعْجِبكم من ذلك ؟ فوالله إنه لَيُخبِرُنى إن الخبر ليأتيه [من الله] من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليلٍ أو نهار فأصدّقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبيَّ الله أحَدَّثتَ هؤلاء القومَ أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : « نعم » قال : يانبيَّ الله فصِفْهُ لى فانى قد جئتُه ، قال الحسن : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَرُفِع لِي حَتَّى نَظَرْتُ إلَيْهِ » فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يصفه لأبى بكر ، ويقول أبو بكر : صَدَقْتَ ، أشهد أنك رسول الله ، كلما وصف له منه شيئاً قال : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، قال : حتى انتهى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « أنْتَ يَاأَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقُ » فيومئذٍ سماه الصِّدِّيق

قال ابن إسحق : قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتدّ عن إسلامه لذلك (١٧ ٦٠): (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُم فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً) فهذا حديث الحسن عن مَسْرَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما دخل فيه من حديث قتادة

عائشة تذكر أن الاسراء كان رؤيا نوم

قال ابن إسحق : وحدّثنى بعضُ آل أبى بكر أن عائشةَ زوجَ النبى صلى الله عليه وسلم كانت تقول : مَا فُقِدَ جَسَدُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنّ الله أسرى برُوحه

معاوية يذكر مثل ماذكرت عائشة

قال ابن إسحق : وحدثنى يَعْقُوبُ بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخنس . أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سُئل عن مَسْرَى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانَت رؤيا من الله تعالى صادقةً ، فلم يُنْكر ذلك من قولها لقول الحسن إن هذه الآية أُنْزلت فى ذلك : قول الله تبارك وتعالى (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ)(١) ولقول الله تعالى فى الخبر عن إبراهيم أنه قال لابنه(٣٧: ١٠٢):(يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) ثم مضى على ذلك ، فعرفت أن الوحى من الله يأتى الأنبياء أيْقَاظًا ونياما

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغنى : « تَنَامُ عَيْنِي وَقَلْبِي يَقْظَانُ » والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه وعاين فيه ماعاين من أمر الله ، على أى حاليه كان نائما أو يقظان ، كل ذلك حقٌّ وصدْقٌ

---

(١) وجه استدلا لهم بهذه الآية ادعاء أن الرؤيا ـ بالقصر ـ لاتكون إلا فى الحلمية التى تكون فى النوم ، فأما التى تكون بالعين الباصرة فى اليقظة فيقال فيها رؤية ـ بالتاء ـ والرد عليهم من وجهين : أما أولا فقد استعمل العرب الرؤيا ـ بالقصر ـ فى البصرية ، ومنه قول الراعى يصف صيادا : ـ

وَكَبَّرَ لِلرُّؤْيَا وَهَشَّ فُؤَادُهُ ... وَبَشَّرَ قَلْباً كَانَ جَمًّا بَلاَبِلُهْ

وأما ثانيا فان الآية نفسها تشير إلى أن ذلك كان يقظة وعيانا ، فانها ذكرت أنها كانت فتنة للناس ، وهذا هو الذى حدث فعلا ، فقد ارتد قوم ممن كانوا أسلموا ، ولجوا فى تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس من المعقول أن يكون ذلك التكذيب لأنه حدثهم أنه رأى فى منامه ذلك ، أو شيئا منه ، فان كل واحد منا يصبح فيحدث إخوانه بأنه رأى فى نومه أنه صعد السماء أو قطع المسافات الشاسعة أو رأى ما وراء البحار فلا يكون ذلك مثار التعجب ولا باعثا على تكذيبه ، ثم إنهم استبعدوا عليه ذلك ، فما هو الذى استبعدوه ياترى ؟!!

قال ابن إسحق : وزعم الزُّهْرِيُّ عن سعيد بن المُسَيِّب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم فى تلك الليلة ، فقال : « أما إبراهيم فلم أر رَجُلاً أَشْبَهَ بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه ، وأما موسى فرجل آدَمُ طويلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ أَقْنَى كأنه من رجال شَنُوءة (١) ، وأما عيسى ابن مريم فرجل أَحْمَرُ بين القَصِير والطويل سَبْطُ الشَّعر كثير خِيلاَنِ الوجه (٢) كأنه خرج من دِيمَاسٍ (٣) تَخَالُ رأسَهُ يَقْطُرُ مَاءً وليس به ماء أشبه رجالكم به عُرْوَة بن مسعود الثقفى »

رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام

قال ابن هشام : وكان صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر عمر مولى غُفْرة ، عن إبراهيم بن محمد بن على بن أبى طالب — قال : كان على بن أبى طالب عليه السلام إذا نَعَتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لم يكن بالطويل المُمَغَّط (٤) ولا القصير المتردِّد ، كان رَبْعَةً من القوم ، ولم يكن بالجَعْدِ القَطَط (٥) ، ولا السَّبْط (٦) ، كان جَعْداً

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الضرب من الرجال : الخفيف اللحم ، والجعد : المتكسر الشعر ، والأقنى : المرتفع قصبة الأنف ، وشنوءة : قبيلة من الأزد

(٢) الخيلان - بكسر الخاء - جمع خال ، وهو هنا شامة سوداء تكون فى الوجه

(٣) الديماس : الحمام

(٤) الممغط - بالغين المعجمة - هو الممتد ، وكذلك هو بالعين المهملة ، وقال أبو على الغسانى : الممعط بالعين المهملة وهو المضطرب الخلق قاله أبو ذر

(٥) القطط - بفتح القاف والكاف - الشديد جعودة الشعر ، قال ابن الأثير « وقيل هو الحسن الجعودة ، والأول هو الأكثر ، وقد تكرر فى الحديث » اه

(٦) السبط - بفتح السين بعدها باء موحدة مكسورة أو ساكنة - الممتد الذى ليس فيه تجعد ولا نتوء ، وهو الممد الأعضاء التام الخلق

رَجِلاً (١)، ولم يكن بالمُطَهَّمِ (٢) ولا المُكَلْثَمِ ، (٣) وكان أبيضَ مُشْرَباً أدْعجَ العَيْنَيْنِ (٤)، أهْدَبَ الأشْفار (٥)، جَلِيلَ المُشَاشِ (٦) والكَتِدِ (٧)، دَقيقَ المَسْرُبَة (٨) أجْرَد (٩) شَثْنَ (١٠) الكَفَّيْن والقدمين ، إذامشى تَقَلَّعَ (١١) كأنَّمَا يمشى فى صَببٍ (١٢) وإذا التَفَتَ التفت مَعًا ، بين كَتِفَيْه خاتَمُ النبوة ، وهو خاتم النبيين ، أجود الناس كَفًّا ، وأجرأ الناس صَدْرًا ،

---

(١) الرجل ـ بفتح فكسر ـ الذى بين شديدالجعودةوشديد السبوطة ، وقال أبو ذر : يعنى مسرح الشعر

(٢) المطهم · العظيم الجسم ، يريد لم يكن بدينا شديد البدانة

(٣) المكلثم : هو المستدير الوجه فى صغر

(٤) أدعج العينين : أسودهما

(٥) أهدب الأشفار : طويلها ، والأشفار : جمع شفر ـ بضم الشين أو فتحها وسكون الفاء ـ وهو حرف الجفن الذى ينبت عليه الشعر

(٦) المشاش ـ كغراب ـ عظام رءوس المفاصل

(٧) الكتد : ما بين الكتفين

(٨) المسربة : الشعر الذى يمتد من الصدر إلى السرة

(٩) الأجرد : القليل شعر الجسم

(١٠) شثن ـ بفتح فسكون ـ أى : غليظ

(١١) « إذا مشى تقلع » أى : لم يثبت قدميه

(١٢) قال ابن الأثير : « فى صفته صلى الله عليه وسلم : إذا مشى كأنما ينحط فى صبب : أى فى موضع منحدر ، وفى رواية كأنما يهوى من صبوب ، يروى بالفتح والضم : فالفتح اسم لما يصب على الانسان من ماء وغيره كالطهور والغسول ، والضم جمع صبب ، وقيل : الصبب والصبوب تصوب نهر أو طريق » اهـ

وأصدقُ الناس لَهْجَةً (١) ، وأوفى الناس ذِمَّةً (٢) ، وأليبهم عَرِيكَةً (٣) ، وأكرمهم عِشْرَةً ، من رآه بديهةً (٤) هابه ، ومن خالطه أحبَّه ، يقول ناعِتُه : أرَ قَبْلَه ولا بعده مثله ، صلى الله عليه وسلم

حديث أم هانىء في الإسراء

قال محمد بن إسحق : وكان فيما بلغنى عن أم هانىء بنت أبى طالب رضى الله عنها (واسمها هند) فى مَسْرَى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول : ما أُسرِى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلاَّ وهو فى بيتى ، نائم عندى تلك الليلة فى بيتى ، فصلَّى العشاء الآخرةَ ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهَبَّنا (٥) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صلَّى الصبح وصلينا معه قال : « ياأمَّ هانىء ، لَقَدْ صَلَّيتُ معكم العشاء الآخرةَ كما رأيتِ بهذا الوادى ، ثم جئتُ بيت المقدس فصليْتُ فيه ، ثم قد صليت صلاةَ الغداة معكم الآن كما تَرَيْنَ » ثم قام ليخرج فأخذتُ بطَرَف ردائه فتكشّفَ عن بطنه وكأنه قُبْطِيَّةٌ مَطْوِيَّةٌ (٦) ، فقلت له : يا نبِيَّ الله ، لا تحدِّث بهذا الحديث الناسَ فَيُكَذِّبوك ويُؤْذوك ، قال : « وَاللهِ لأُحَدِّثَنَّهُمُوهُ » فقلت لجارية لى حبشية : وَيْحَكِ !! اتبعى محمدا رسول الله

(١) أصل اللهجة طرف اللسان ، ويكنى بصدق اللهجة عن الصدق

(٢) الذمة : العهد

(٣) أصل العريكة لحم ظهر البعير ، ويكنى بلين العريكة عن حسن المعاشرة ، لأن البعير إذا لانت عريكته سهل ركوبه

(٤) بديهة : أى ابتداء

(٥) أهبنا : أيقظنا ، تقول : هب الرجل من نومه ، إذا استيقظ ، وتقول : أهببت الرجل ، إذا أيقظته

(٦) قال ابن الأثير : « القبطية (بضم القاف) الثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء ، وكأنه منسوب إلى القبط ، وهم أهل مصر ، وضم القاف من تغيير النسب ، وهذا فى الثياب ، فأما فى الناس فقبطى بالكسر » اه

حتى تسمعى مايقول للناس ، ومايقولون له ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس أخبرهم ، فعجبوا وقالوا : ماآية ذلك يا محمد فانا لم نسمع بمثل هذا قطّ ؟ قال : « آيَةُ ذَلِكَ أَنِّى مَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِى فلانٍ بِوَادِى كذاوكذا فأَنفرَهُمْ حِسُّ الدابة ، فَنَدَّلَهُمْ (١) بعيرٌ ، فَدَلَلْتُهُمْ عليه ، وأنا مُوَجِّه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضَجَنَان (٢) مررت بِعِيرِ بنى فلان فوجدت القوم نِيَامًا ، ولهم إناء فيه ماء قد غَطَّوْا عليه بشىء ، فَكَشَفْتُ غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيْتُ عليه كما كان ، وآية ذلك أن عِيرَهُم الآن تُصَوِّبُ من البيضاء ثَنِيَّة التنعيم يَقْدُمها جَمَلٌ أَوْرَقُ (٣) عليه غرارتان إحداهما سوداء والاخرى بَرْقاء ، (٤) قالت : فابْتَدَرَ القومُ الثَّنِيَّةَ فلم يَلْقَهُمْ أَوَّلُ من الجمل كما وصف لهم ، وسألوهم عن الإناء ، فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءا ماء ثم غَطَّوْهُ ، وأنهم هبُّوا فوجدوه مُغَطًّى كما غطَّوه ولم يجدوا فيه ماء ، وسألوا الآخرين وهم بمكة فقالوا : صَدَقَ والله ، لقد أَنْفَرَنَا فى الوادى الذى ذكره ، ونَدَّلنا بعير فسمعنا صوت رجلٍ يدعونا إليه حتى أخذناه

قصة المعراج وما شاهد فيه النبى من الآيات

قال ابن إسحق : وحدّثنى من لا أتهم ، عن أبى سعيد الخُدْرِى رضى الله عنه ، أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَمَّا فَرَغْتُ مما كان فى بيت المقدس أُتِى بالْمِعْرَاج ، ولم أَرَ شَيْئًا قطُّ أحْسَنَ

(١) ند : شرد ونفر

(٢) ضجنان ـ بفتحات ـ مكان قال ياقوت : « قال الواقدى : بين ضجنان ومكة خمسة وعشرون ميلا ، وهى لأسلم وهذيل وغاضرة ، ولضجنان حديث فى حديث الاسراء » اهـ

(٣) جمل أورق : هو الذى لونه بين السواد والغبرة

(٤) برقاء : ذات ألوان مختلفة

منه ، وهو الذي يَمُدُّ إليه ميتُكم عينيه إذا حُضِرَ ، فأصعَدَنى صاحبي فيه ، حتى انتهى بى إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحَفَظَة عليه مَلَك من الملائكة يقال له إسماعيل تحت يديه اثنا عشر ألفَ مَلَك تحت يَدَىْ كل مَلَكٍ منهم اثنا عشر ألف مَلَك » قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدث بهذا الحديث « وَمَا يَعْلَمُ (١) جُنُودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ » قال « فَلَمَّا دَخَلَ بى قال : من هذا ياجبريل ؟ قال : محمد ، قال : أَوَقدْ بُعِثَ ؟ قال : نعم ، قال : فَدَعَالى بخير وقاله »

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض أهل العلم ، عمن حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تَلَقَّتْنى الملائكة حين دخَلْتُ السماء الدنيا ، فلم يَلْقَنى مَلَكٌ إلا ضاحكا مستبشراً ، يقول خيراً ويدعو به ، حتى لقينى مَلَكٌ من الملائكة ، فقال مثل ما قالوا ، ودعا بمثل ما دعوا به ، إلا أنه لم يضحك . ولم أرمنه من البشر مثل ما رأيت من غيره ، فقلت لجبريل : ياجبريل ،مَنْ هذا الملك الذى قال لى كما قالت الملائكة ولم يضحك ولم أرمنه من البشر مثل الذى رأيت منهم؟ قال : فقال لى جبريل : أما إنه لو كان ضَحِكَ إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك لضحك إليك ، ولكنه لا يضحك ، هذا مَالِكٌ خازن النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت لجبريل وهو من الله تعالى بالمكان الذى وَصَفَ لكم (مُطَاعٍ (١) ثَمَّ أَمِين): ألا تأمره أن يرينى النار ،فقال : بلى ، يا مالكُ أرِ محمداً النار ، قال : فكشف عنها غِطَاءها فَفَارَتْ وَارْتَفَعَتْ حتى ظننت لتَأْخُذَنَّ ما أرى ، قال : فقلت لجبريل : يا جبريلُ ، مُرْهُ فَلْيَرُدَّهَا إلى مكانها ،

---

(١) هذا لفظ آية من الكتاب العزيز ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم تقريراً لحد .

قال : فأمره ، فقال لها: اخْبِي (١) ، فرجعت إلى مكانها الذى خَرجت منه ، فما شَبَّهْتُ رجوعها إلا وُقُوع الظل ، حتى إذا دخلتْ من حيثُ خرجت رُدَّ عليها غطاءها »

آدم وأرواح بنيه

قال أبو سعيد الخدرى فى حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : « لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رَجُلاً جالساً تُعْرَض عليه أرواح بنى آدم فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيراً ويسر به ، ويقول : روح طيبة خرجت من جسد طيب ، ويقول لبعضها إذا عرضت عليه : أُفٍّ ، ويَعْبِسُ بوجهه ،ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث ، قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تُعْرَض عليه أرواح ذُرِّيته فاذا مَرَّت به روحُ المؤمن منهم سُرَّ بها وقال :روح طيبةٌ خرجت من جسدٍ طيب ، وإذا مَرَّت به روح الكافر منهم أَفَّفَ منها وكرهها وساءه ذلك ، وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث»

أكلة أموال اليتامى

قال : «ثم رأيت رجالا لهم مَشَافِرُ كمشافر (٢) الابل ، فى أيديهم قِطَعٌ من نار كالأفهار (٣) يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم ، فقلت : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أَكَلَةُ أموالِ اليتامى ظلماً »

أكلة الربا

قال : «ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أَرَ مثلها قطُّ بسبيل آل فرعونَ يَمُرُّونَ عليهم كالابل المَهْيُومة (٤) حين يُعْرَضون على النار يَطَؤُنهم

(١) « اخبى » فعل أمر مسند لياء المؤنثة المخاطبة ، وماضيه خبت النار تخبو : أى سكن لهبها

(٢) المشافر : جمع مشفر ، وهو للبعير كالشفة للانسان والجحفلة للفرس

(٣) الأفهار : جمع فهر - بكسر فسكون - وهو الحجر

(٤) الابل المهيومة : هى العاطشة ، والهيام داء يصيب الابل فى أجوافها فلا تروى من الماء

لا يَقْدِرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك ، قال : قلتُ مَنْ هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء أَكَلَةُ الربا»

الزناة

قال : «ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لَحْمٌ سمين طيبٌ إلى جنبه لحم غثٌ (١) مُنْتِنٌ يأكلون من الغثّ المنتن ويتركون السمين الطيب ، قال:قلت : مَن هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن »

الزانيات

قال : «ثم رأيت نساء مُعلَّقاتٍ بِثُدُيِّهِنَّ ، فقلت : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال مَنْ ليس من أولادهم »

قال ابن إسحق : وحدثني جعفر بن عمرو ، عن القاسم بن محمد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اشْتَدَّ غضَبُ الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فأَكَلَ حَرَائِبَهُمْ(٢) وَاطَّلَعَ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ»

صعوده صلى الله عليه وسلم إلى السموات السبع

قال ابن إسحق : ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخدري ، قال : « ثم أصعَدَني إلى السماء الثانية ، فاذا فيها ابْنَا الخالة (٣) عيسى ابن مريم ويَحْيَى بن زكريا ، قال : ثم أصعدني إلى السماء الثالثة ، فاذا فيها رجُلٌ صورته كصورة القمر ليلة البدر ، قال : قلتُ : مَنْ هذا يا جبريل ؟ قال : هٰذَا أَخُوكَ يوسف بن يعقوب ، قال : ثم أصعدني إلى السماء الرابعة ، فاذا فيها رجُلٌ ، فسألته مَنْ هو ؟ فقال : هذا إدريس ، قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٩ : ٥٧) : (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) قال : ثم أصعدني إلى

---

(١) الغث : الضعيف المهزول

(٢) «حرائبهم» أي : أموالهم التي يعيشون بها

(٣) في بعض النسخ «ابن الخالة» بالافراد ، وهو تحريف

السماء الخامسة ، فاذا فيها كَهْلٌ أبيض الرأس واللحية عظيم الْعُثْنُونِ [١] لم أر كَهْلاً أجملَ منه ، قال : قلت : مَنْ هذا ياجبريل ؟ قال : هٰذا الْمُحَبَّبُ في قومه هٰرُون بن عِمْران ، قال : ثم أصعدني إلى السماء السادسة ، فاذا فيها رجل آدَمُ طويلٌ أقْنَى كأنه من رجال شَنُوءة ، فقلت له : مَنْ هٰذا ياجبريل ؟ قال : هٰذا أخُوكَ موسى بنُ عمران ، ثم أصعدني إلى السماء السابعة ، فاذا فيها كَهْلٌ جالس على كرسي إلى باب البيتِ المعمورِ يَدْخُله كلَّ يوم سَبْعُونَ ألفَ مَلَكٍ لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة ، لَمْ أَرَ رَجُلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه ، قال : قلت : مَنْ هٰذا ياجبريل ؟ قال : هٰذا أبوك إبراهيم ، قال : ثم دخل بي إلى الجنة ، فرأيت فيها جارية لَعْساءَ [٢] فسألتها لِمَنْ أنتِ ؟ وقد أعجبتني حين رأيتها ، فقالت : لزيد بن حارثة ، فبَشَّرَ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زَيْدَ بن حارثة »

قال ابن إسحق : ومن حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغني أن جبريل لم يَصْعَدْ به إلى سماء من السمٰواتِ إلا قالوا له حين يَسْتأذن في دخولها : من هذا ياجبريل ؟ فيقول : محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : أوَقَدْ بُعِثَ إليه ؟ فيقول : نعم ، فيقولون : حيَّاهُ الله مِنْ أخٍ وصاحب ، حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، فَفَرَضَ عليه خَمْسين صلاةً كلَّ يوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَأَقْبَلْتُ راجعًا ، فلما مَرَرْتُ بموسى بن عمران ، ونِعْمَ الصَّاحِبُ كان لكم ، سألني كَمْ فرضَ عليكَ من الصلاة ؟ فقلت : خمسين صلاةً كلَّ يوم ، فقال : إن الصلاة ثقيلةٌ ، وإن أُمَّتَكَ ضعيفةٌ ، فارجع

افتراض الصلوات

---

(١) « عظيم العثنون » يريد أنه عظيم اللحية .

(٢) اللعساء : التي في شفتها حمرة تضرب إلى السواد

إلى ربك فاسأله أن يخفِّفَ عَنْك وعن أمتك ، فرجَعْتُ فسألت ربى أن يخفِّفَ عنِّ وعن أمتى ، فوضع عنى (١) عَشْرًا ، ثم انصرفْتُ فمَرَرتُ على موسى ، فقال لي مثل ذلك ، فرجعت ، فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى ، فوضع عنى عَشْرًا ، ثم انصرفت ، فمررت على موسى ، فقال لى مثل ذلك ، فرجعت ، فسألت ربى ، فوضع عنى عشرا ، ثم رجعت ، فمررت على موسى ، فقال لى مثل ذلك ، فرجعت ، فسألته ، فوضع عنى عشرا ، فمررت على موسى ، ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك كلما رجعت إليه ، قال : فأرجع فأسأل ، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عنى إلا خَمْسَ صلوات فى كل يوم وليلة ، ثم رجعت إلى موسى ، فقال لى مثل ذلك ، فقلت : قَدْ رَاجَعْتُ رَبِّى وسألته حتى استَحْيَيْتُ منه ، فما أنا بفاعل ، فَمَنْ أدَّاهُنَّ منكم إيمانًا بهنَّ واحتسابًا لَهُنَّ كان له أجر خمسين صلاةً » صلوات الله على محمد صلى الله عليه وسلم

المستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفاية الله أمرهم

قال ابن إسحق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله تعالى صابراً محتسباً مُؤَدِّيا إلى قومه النصيحة ، على ما يلقى منهم من التكذيب والأذى [والاستهزاء] ، وكان عظماء المستهزئين كما حدثنى يَزيدُ بن رُومَان ، عن عروة بن الزبير ، خمسةَ نفرٍ من قومه ، وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم : من بنى أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ بن كلاب : الأسْوَدُ بن المطلب بن أسَد ، أبو زَمْعَة ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ــ فيما بلغنى ــ قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به ، فقال : « اللَّهُمَّ أعْمِ بَصَرَه

---

(١) الروايات غير التى روى ابن إسحاق أنها حطت خمسا بعد خمس ، ولو كانت رواية ابن إسحاق «عشرا» بضم العين لاتفقت مع ماعداها ، فان كانت بفتح العين ولابد فانه يمكن الجمع بين الروايات لدخول الخمس فى العشر .

وأَثْكَلْهُ وَلَدَه » ، ومن بنى زُهرة بن كلاب : الأسْوَدُ بن عَبْد يَغُوث ابن وَهْب بن عَبْدمَناف بن زُهرة ، ومن بنى مَخْزوم بن يقَظة بن مُرَّة : الوليدُ بن المُغيرة بن عبدالله بن عُمَر بن مَخْزوم ؛ ومن بنى سَهْم بن عَمْرو ابن هُصَيص بن كَعْب : العاصُ بن وائل بن هِشام

قال ابن هشام : العاص : ابنُ وائل بن هاشم بن سُعَيْد بن سهم

ومن بنى خُزاعة : الحرثُ بن الطُّلاطلة (١) بن عَمْرو بن الحرث بن عَبْد عَمْرو [بن بُوى] بن مَلْكان

(١) فى القاموس : « والطلاطلة : والد مالك أحد المستهزئين بالنبى صلى الله عليه وسلم » اه قال السيد المرتضى : « هكذا وقع فى السيرة الشامية وفى أنساب أبى عبيد فى نسب أسلم من خزاعة فى بنى بوى بن ملكان بن أفصى والذى فى الروض للسهيلى هو الحرث بن الطلاطلة ، قاله ابن إسحق ، والطلاطلة أمه ، قاله أبو الوليد الوقشى ، وقرأت فى أنساب ابن الكلبى هو الحرث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم كان من المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم » اه كلامه بحروفه ، وقال القسطلانى فى شرح المواهب (ج ١ ص ٢٨٩ طبع بولاق) : « الحرث بن قيس بن عدى السهمى ، ابن عم العاص بن وائل السهمى . كان من أشراف قريش فى الجاهلية ، وإليه كانت الحكومة والأموال التى كانوا يسمونها ، قال ابن عبد البر : أسلم وهاجر إلى الحبشة مع بنيه الحرث وبشر ومعمر ، وتعقبه ابن الأثير بأن الزبير بن بكار وابن الكلبى ذكرا أنه كان من المستهزئين ، وزاد الذهبى فى التجريد : لم يذكر أحد أنه أسلم إلا أبو عمر ، ورده فى الاصابة بأنه ذكره فى الصحابة أيضا أبو عبيد ومصعب والطبرى وغيرهم ، ولا مانع أن يكون تاب وصحب وهاجر ، . الآية ليست صريحة فى عدم توبة بعضهم ، وأمة كنانية واسمها العيطلة (كذا) وينسب إليها ، روى ابن جرير عن أبى بكر الهذلى قال : قيل للزهرى : إن سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا فى رجل من المستهزئين فقال سعيد : الحرث بن عيطلة ، وقال عكرمة : الحرث بن قيس ، فقال : صدقا

فلما تمادَوْا فى الشر ، وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء؛ أنزل الله تعالى عليه (١٥: ٩٤–٩٦) : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)

قال ابن إسحق : فحدثنى يزيد بن رُومَان ، عن عُرْوة بن الزبير أو غيره من العلماء ، أن جبريل أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهُمْ يطوفون بالبيت ، فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فَمَرَّ به الأسود بن المطلب ، فَرَمَى فى وجهه بورَقَةٍ خَضْرَاء فَعَمِيَ ، وَمَرَّ به الأسْوَدُ بن عبد يغُوث ، فأشار إلى بطنه فاسْتَسْقَى [بطنه] فمات منه حَبَناً[1] ؛ وَمَرَّ به الوليدُ بن المغيرة فأشار إلى أثر جُرْح بأسفل كَعْب رِجْله كان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر سَبَلَه[2] وذلك أنه مَرَّ برجل من خُزَاعة وهو يَرِيشُ نَبْلاً له فتعلَّقَ سَهْمٌ من نَبله بإزاره فَخَدَشَ فى رجله ذلك الخدْشَ ،

جميعا ، كانت أمة عيطلة ، وكان أبوه قيسا ، وما ذكر من أنه الحرث هو ما وقفت عليه فى نسخ صحيحة ، وفى بعضها عدى بن قيس » اهـ كلامه بحروفه فانظر مافيه مع رواية ابن إسحق ومتابعة شراحه على كلامه من غير اعتراض ، وقال أيضا فى (ص ٢٩١) : « وأسقط الشامى من المستهزئين ابن أبى معيط ، وأبدله بمالك بن الطلاطلة ، وهو خلاف مافى العيون ونظم السيرة . على أن اليعمرى سماه قبل ذكر المستهزئين بقليل فى المجاهرين بالظلم الحرث ابن الطلاطلة الخزاعى (بطاءين مهملتين الأولى مضمومة والثانية مكسورة بينهما لام خفيفة ثم لام مفتوحة ثم تاء تأنيث) وهى لغة الداء العضال الذى لادواء له . وعند ابن إسحق أن الحارث هذا مر به صلى الله عليه وسلم فأشار إلى رأسه فامتخض قيحا فقتله كافرا » اهـ

(١) الحبن — بحاء مهملة وبفتحتين — داء فى البطن ينتفخ منه ويعظم ويرم

(٢) سبله — بفتح السين والباء الموحدة — فضول ثيابه

وليس بشيء ، فانْتَقَضَ[١] به فقتله ؛ وَمَرَّ به العاصُ بن وائل فأشار إلى أَخْمَصِ رجله ، فخرج على حمار له يريد الطائفَ فرَبَضَ[٢] به على شِبْرِقَةٍ[٣] فدخلت فى أخْمَصِ رجله شَوْكَةٌ فقتلته ، وَمَرَّ به الحرثُ ابن الطُّلَاطِلَة فأشار إلى رأسه فامتخض[٤] قَيْحًا فقتله

موت الوليد بن المغيرة ووصيته لابنائه

قال ابن إسحق : فلما حَضَرت الوليدَ الوفاةُ دعا بنيه ، وكانوا ثلاثة : هشامَ بن الوليد ، والوليد بن الوليد ، وخالد بن الوليد ؛ فقال لهم : أىْ بَنِيَّ ، أوصيكم بثلاث فلا تضيعوا فيهن : دمى فى خُزاعة فلا تُطِلُّنَّه[٥] والله إنى لأعلم أنهم منه بُرَآء ، ولكنى أخشى أن تُسَبُّوا به بعد اليوم ، ورِبَاىَ فى ثقيف فلا تَدَعُوه حتى تأخذوه ، وعُقْرى[٦] عند أبى أُزَيْهِر

---

(١) انتقض الجرح : تجدد بعد مادمل وبرىء

(٢) فى نسخة « ربص » بالصاد المهملة

(٣) شبرقة — بكسرتين بينهما باء ساكنة — هو نبات ذو شوك يقال له الضريع ، وفى المواهب «فدخلت فيه شوكة من رطب الضريع »

(٤) وردت هذه الكلمة بثلاث روايات : أولاها : امتحض بالحاء المهملة والضاد المعجمة ، وهذه وقعت فى نسختين من أصل الكتاب ، والثانية امتخض بالخاء والضاد المعجمتين ، ووقعت هذه فى نسخة من أصول الكتاب ، والثالثة امتحظ بحاء مهملة وظاء مشالة ، وهذه رواية المواهب ، قال القسطلانى : « ويقال أكل حوتا مملوحا فما زال يشرب حتى انقد بطنه وقيل : أخذه الماء الأصفر فى بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات » اه

(٥) « تطلنه » أى : لاتهدروه ولا تضيعوه ، بل خذوا بثأرى ، قال السموءل : —

* وَلاَ طُلَّ منَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ *

(٦) « وعقرى » العقر — بضم فسكون — ههنا هودية الفرج ، قال السهيلى : « العقر دية الفرج المغصوب ، وأصله فى البكر من أجل التدمية ومنه عقر السرج الفرس ، إذا أدماه » اه

الدَّوْسى فلا يَفُوتُنَّكم به ، وكان أبو أزَيْهر قد زوَّجَهُ بنْتَاله ثم أمسكها عنه فلم يُدْخلها عليه حتى مات ، فلما هلك الوليدُ بن المغيرة وَثَبَتْ بنو مَخْزوم على خُزَاعة يطلبون منهم عَقْل الوليد ، وقالوا: إنما قتله سَهْمُ صاحبكم ، وكان لبنى كعب حلفٌ من بنى عبد المطلب بن هاشم ، فأبت عليهم خُزاعةُ ذلك حتى تَقَاوَلُوا أشْعَاراً ، وغلظ بينهم الأمر ، وكان الذى أصاب الوليدَ سَهْمُه رجلاً من بنى كعب بن عمرو ، من خزاعة ، فقال عبد الله بن أبى أمية بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزوم :

إنِّى زَعِيمٌ أنْ تَسِيرُوا فتَهْرُبُوا
وَأنْ تَتْرُكُوا الظَّهْرَانَ تَعْوِى ثَعَالِبُهْ (١)
وَأنْ تَتْرُكُوا ماءً بِجِزْعَةِ أطْرِقَا
وَأنْ تَسْألُوا أىُّ الْأرَاكِ أطَايِبُهْ (٢)
فَانَّا أُنَاسٌ لاَ تُطَلُّ دِماؤُنَا وَلاَ يَتعَالَى صَاعِداً مَنْ نُحَارِبُهْ

وكانت ظَهْران وأراكة منازل بنى كعب من خزاعة

وأجابه الجَوْنُ بن أبى الجَوْنِ أخو بنى كعب بن عَمْرو الخُزَاعى فقال :

وَاللهِ لاَ نُؤْتِى الْوَلِيدَ ظُلاَمَةً
وَلَمَّا تَرَوْا يَوْماً تَزُولُ كَوَاكِبُهْ

---

(١) زعيم : أى ضامن ، والظهران ـ بفتح فسكون ـ واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها مر ، وتضاف إليه فيقال : مر الظهران

(٢) جزعة ، بكسر فسكون ـ هو منقطع الوادى ، وقيل : جانبه ، وأطرقا ـ على صورة أمر الاثنين ـ اسم مكان ، قال ياقوت : « شعر عبد الله بن أمية (وهو الذى نشرحه لك) يؤذن بأن أطرقا من نواحى مكة ، لأن الظهران وهى منازل كعب من خزاعة » اه وقوله « تسألوا » وقع فى معجم ياقوت « تسلكوا » ونعتقد أنه مصحف عما أثبتناه

وَيُشْرِعَ مِنْكُمْ مُسْمِنٌ عِنْدَ مُسْمِنٍ
وَتُفْتَحَ بَعْدَ الْمَوْتِ قَسْراً مَشَارِبُهْ (١)
إِذَا مَا أَكَلْتُمْ خُبْزَكُمْ وَخَزِيرَكُمْ
فَكُلُّكُمُ بَاكِي الْوَلِيدِ وَنَادِبُهْ (٢)

ثم إن الناس تَرادُّوا ، وعرفوا أنما يخشى القوم السُّبَّةَ ، فأعطتهم خُزَاعَةُ بعضَ الْعَقْل وانصرفوا عن بعض ، فلما اصطلح القوم قال الْجَوْنُ ابن أبي الْجَوْنِ : —

وَقَائِلَةٍ لَمَّا اصْطَلَحْنَا تَعَجُّباً لِمَا قَدْ حَمَلْنَا لِلْوَلِيدِ وَقَائِلِ
أَلَمْ تُقْسِمُوا تُؤْتُوا الْوَلِيدَ ظُلاَمَةً
وَلَمَّا تَرَوْا يَوْماً كَثِيرَ الْبَلاَبِلِ (٣)
فَنَحْنُ خَلَطْنَا الْحَرْبَ بِالسِّلْمِ فَاسْتَوَتْ
فَأَمَّ هَوَاهُ آمِناً كُلُّ رَاحِلِ (٤)

ثم لم ينته الجون بن أبي الجون حتى افتخر بقتل الوليد ، وذكر أنهم أصابوه وكان ذلك باطلا ، فلحق بالوليد وبولده وقومه من ذلك ما حَذِرَ فقال الْجَوْن بن أبي الْجَوْنِ : —

(١) المسمن : السمين ، وأراد به ههنا الظاهر بين الناس ، وقسرا : أي قهرا وغلبة ، والمشارب : جمع مشربة ، وهي الغرفة

(٢) الخزير : حساء يتخذ بشحم ، وقال بعضهم : هو ماء النخالة يتخذ بشحم أيضا

(٣) قال السهيلي : « أراد أن تؤتوا الوليد ، ومعناه ألا تؤتوا ، كما قال الله تعالى : (يبين الله لكم أن تضلوا) أي : لئلا تضلوا ، في قول طائفة ، ومعناه عندي كره لكم أن تضلوا » اه بإيضاح قليل ، والبلابل : وساوس الأحزان.

(٤) السلم — بفتح السين وكسرها — الصلح ، وأم : قصد

أَلاَ زَعَمَ الْمُغِيرَةُ أَنَّ كَعْباً ... بِمَكَّةَ مِنْهُمُ قَدْرٌ كَبِيرُ (١)
فَلاَ تَفْخَرْ مُغِيرَةُ أَنْ تَرَاهَا ... بِهَا يَمْشِي الْمُعَلْهَجُ وَالْمَهِيرُ (٢)
بِهَا آبَاؤُنَا وَبِهَا وُلِدْنَا ... كَمَا أَرْسَى بِمَثْبَتِهِ ثَبِيرُ (٣)
وَمَا قَالَ الْمُغِيرَةُ ذَاكَ إِلاَّ ... لِيَعْلَمَ شَأْنَنَا أَوْ يَسْتَثِيرُ
فَإِنْ دَمُّ الْوَلِيدِ يُطَلُّ إِنَّا ... نُطِلُّ دِمَاءَ أَنْتَ بِهَا خَبِيرُ (٤)
كَسَاهُ الْفَاتِكُ الْمَيْمُونُ سَهْماً ... ذُعَافاً وَهْوَ مُمْتَلِئٌ بَهِيرُ (٥)
فَخَرَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مُسْلَحِبّاً ... كَأَنَّهُ عِنْدَ وَجْبَتِهِ بَعِيرُ (٦)
سَيَكْفِينِي مِطَالَ أَبِي هِشَامٍ ... صِغَارٌ جَعْدَةُ الْأَوْبَارِ خُورُ (٧)

قال ابن هشام : تركنا منها بيتاً واحداً أقذع فيه.

---

(١) « كعبا » الظاهر أنه أراد به كعب قريش ، وهو كعب بن لؤى . وقوله « كبير » هو فى نسخة « كثير »

(٢) المعلهج : المطعون عليه ، وهو أيضاً الأحمق ، والمهير : الصحيح النسب ،

(٣) أرسى : ثبت واستقر ، ومثبته : مكان ثبوته ، وهو على هذا بفتح الميم وسكون الثاء المثلثة ، وثبير : جبل بمكة

(٤) « إن » فى هذا البيت شرطية ، ودم : نائب فاعل لفعل محذوف يفسره مابعده ، وقد شدد ميمه على الأصل فيه ، وإن كان المستعمل تخفيفها ، وقد حذف الفاء التى تقع فى جواب الشرط ، وكان من حقه أن يقول « فانا نطل الخ » ووصل الهمزة التى هى همزة قطع ، وقصارى القول أنه ارتكب عدة ضرورات فى هذا البيت

(٥) الذعاف : الذى فيه السم ، والبهير : المنقطع النفس

(٦) مسلحبا : أى ممتدا ، والوجبة : السقطة ، تقول : وجبت الحائط ، إذا سقطت ، ووجبت الشمس ، إذا سقطت للغروب

(٧) الخور : الغزيرات اللبن

قال ابن إسحق : ثم عدا هشامُ بن الوليد على أبى أُزَيْهِرٍ وهو بسُوقِ ذى المجاز ، وكانت عند أبى سفيان بن حرب بنتُ أبى أُزَيْهِرٍ ، وكان أبو أُزَيْهِرٍ رجلا شريفا فى قومه ، فقتله بعُقْرِ الوليد الذى كان عنده لوصية أبيه إياه ، وذلك بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر وأصيب به مَنْ أصيب من أشراف قريش من المشركين ؛ فخرج يزيد بن أبى سفيان فجمع بنى عبد مناف ، وأبو سفيان بذى المجاز فقال الناس : أَخْفِرَ أبو سفيان فى صهره فهو ثائر به ، فلما سمع أبو سفيان بالذى صنع ابنه يزيد — وكان أبو سفيان رجلا حليما مُنْكراً يحب قومه حباً شديداً — انحط سريعاً إلى مكة ، وخشي أن يكون بين قريش حَدَثٌ فى أبى أُزَيْهِر ، فأتى ابنه وهو فى الحديد فى قومه من بنى عبد مناف والمطيبين ، فأخذ الرمح من يده ثم ضَرَبَ به على رأسه ضربةً هدَّه منها، ثم قال له : قبَّحَكَ الله !! أتريد أن تضرب قريشاً بعضَها ببعض فى رجل من دَوْسٍ سنؤْتيهم العَقْلَ إن قبلوه ، وأطفأ ذلك الأمر ، فانبعث حسان ابن ثابت يُحرِّض فى دم أبى أزيهز ، ويُعيِّر أبا سفيان خُفْرَتَهُ وتجبنَهُ ، فقال : —

غَدَا أَهْلُ ضَوْجَيْ ذِى الْمَجَازِ كِلَيْهِمَا
وَجَارُ ابْنِ حَرْبٍ بِالْمُغَمَّسِ مَا يَغْدُو(١)
كَسَاكَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيـدِ ثِيَابَهُ
فَأَبْلِ وَأَخْلِفْ مِثْلَهَا جُدُدًا بَعْدُ (٢)

(١) ضوجى : تثنية ضوج ، وهو ما انعطف من الوادى ، وذو المجاز : سوقٌ من أسواق العرب ، والمغمس: موضع ، ويروى «غدا أهل حضنى ذى المجاز»

(٢) أبل : صيره باليا ، وجدد : جمع جديد ، يعيره بأنه سكت عن الطلب بثأره لأنه قنع بلبس ثياب القتيل

قَضَى وَطَرًا مِنْهُ فَأَصْبَحَ مَاجِدًا
وَأَصْبَحْتَ رِخْوًا مَا تَخُبُّ وَمَا تَعْدُو(١)
فَلَوْ أَنَّ أَشْيَاخًا بِبَدْرٍ يُشَاهِدُوا
لَبَلَّ نِعَالَ الْقَوْمِ مُعْتَبَطٌ وَرْدُ(٢)
وَلَمْ يَمْنَعِ الْعَيْرُ الضَّرُوطُ ذِمَارَهُ وَمَا مَنَعَتْ مَخْزَاةَ وَالِدِهَا هِنْدُ(٣)

فلما بلغ أبا سفيان قول حسان قال: يريد حسانُ أن يضربَ بعضنا ببعضٍ فى رجل من دَوْس، بئس والله ما ظن

ولما أسلم أهل الطائف كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى ربا الوليد الذى كان فى ثقيف لما كان أبوه أوصاه به

قال ابن إسحق: فذكر لى بعض أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بقى من الربا بأيدى الناس نزلن فى ذلك من طلب خالد ذلك الربا (٢:٢٧٨): (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) إلى آخر القصة فيها، ولم يكن فى أبى أُزَيْهِر ثأر نعلمه، حتى حجز الاسلام بين الناس، إلا أن ضِرَار بن الخطاب بن مِرْداس الفِهْرِيَّ خرج فى نفر من قريش إلى أرض دَوْس، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غَيْلَان مولاةٍ لدَوْس، وكانت تمشُطُ النساء وتجهِّز العرائس، فأرادت دوسٌ قتلهم بأبى أُزَيْهِر، فقامت دونهم أمُّ غَيْلان ونسوة كُنَّ معها، حتى منعتهم، فقال ضِرَار بن الخطاب فى ذلك: —

---

(١) رخوا: أصله الطرى، وأراد أنه بليد غير قادر على تحصيل المجد، وتخب: من الخبب، وهو ضرب من السير

(٢) المعتبط: الطرى، وأراد به الدم الذى يسيل من القتلى

(٣) العير: الحمار، وأراد به أبا سفيان، والذمار — ككتاب — ما يجب على المرء أن يحميه ويدافع عنه، والمخزاة: الخزى أو موضعه

جَزَى اللهُ عَنَّا أُمَّ غَيْلَانَ صَالِحًا
وَنِسْوَتَهَا إِذْ هُنَّ شُعْثٌ عَوَاطِلُ (١)
فَهُنَّ دَفَعْنَ الْمَوْتَ بَعْدَ اقْتِرَابِهِ
وَقَدْ بَرَزَتْ لِلثَّائِرِينَ الْمَقَاتِلُ
دَعَتْ دَعْوَةً دَوْسًا فَسَالَتْ شِعَابُهَا
بِعِزٍّ وَأَدَّتْهَا الشِّرَاجُ الْقَوَابِلُ (٢)
وَعَمْرًا جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا فَمَا وَنَى
وَمَا بَرَدَتْ مِنْهُ لَدَيَّ الْمَفَاصِلُ (٣)
فَجَرَّدْتُ سَيْفِي ثُمَّ قُمْتُ بِنَصْلِهِ
وَعَنْ أَيِّ نَفْسٍ بَعْدَ نَفْسِي أُقَاتِلُ (٤)

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة أن التى قامت دون ضرار أمُّ جميل ،ويقال : أم غيلان ، قال : ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل فيمن قام دونه

فلما قام عمر بن الخطاب أتته أم جميل ، وهى ترى أنه أخوه ، فلما انتسبت له عرف القصة ، فقال : إنى لست بأخيه إلا فى الاسلام ، وهو

(١) الشعث : جمع شعثاء ، وهن المتغيرات الشعور ، والعواطل : جمع عاطلة ، وهى التى لا حلى عليها

(٢) الشعاب: جمع شعب ، والشراج ـ بكسر الشين ـ جمع شرجة ـ بفتح فسكون ـ وهى مسيل الماء من الحرة إلى السهل ، والقوابل : التى تقابل بعضها بعضا

(٣) ونى : ضعف وفتر

(٤) نصل السيف : حده

غازٍ ، وقد عرفت مُنَّتَكِ [١] عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سبيل .

قال ابن هشام : وكان ضِرَار لحق عمر بن الخطاب يوم أُحُد ، فجعل يضرب به بعرض الرمح ويقول : انجُ يا ابْنَ الخطاب لا أقتلك ، فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه

إيذاء قريش للرسول وهو في بيته

قال ابن إسحق : وكان النفر الذين يُؤْذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته : أبو لهب ، والحكم بن العاص بن أمية ، وعُقْبة بن أبى معيط ، وعَدِىّ بن حمراء الثقفى ، وابن الأصداء الهذلى ، وكانوا جيرانه ، لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبى العاص ؛ وكان أحدهم — فيما ذكر لى — يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحم الشاة وهو يصلى ، وكان أحدهم يطرحها فى بُرْمَته [٢] إذا نُصِبَتْ له ، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا يستتر به منهم إذا صلى ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طرحوا عليه ذلك الأذى — كما حدثنى عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن عروة بن الزبير — يخرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم على العود ، فيَقِفُ به على بابه ثم يقول : « يا بَنِى عَبْدِ مَنَاف ، أىُّ جِوارٍ هٰذا »؟ ثم يلقيه فى الطريق

وفاة خديجة وأبى طالب وما لقى النبى بعدهما

قال ابن إسحق : ثم إن خديجة بنت خُوَيلد وأبا طالب هَلَكا فى عام واحد ، فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائبُ بِهُلْكِ خديجة ، وكانت له وُزِيرَ صِدْقٍ على الاسلام : يشكو إليها ، وَبِهُلْكِ عمه أبى طالب ، وكان له عَضُدًا وَحِرْزًا فى أمره وَمَنَعَة وناصرا على قومه ، وذلك قبل مُهَاجَره

(١) المنة : يريد بها يدها عنده ونعمتها عليه

(٢) البرمة — بضم فسكون — القدر مطلقا ، وهى فى الأصل التى تتخذ من الحجر المعروف بالحجاز واليمن

إلى المدينة بثلاث سنين ، فلما هلك أبو طالب نالت قريشٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سَفيهٌ من سفهاء قريش فَنَثَرَ على رأسه ترابا

قال ابن إسحق : فحدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، قال : لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها « لاَ تَبْكِى يَابُنَيَّةُ فَإِنَّ اللهَ مَانِعٌ أَبَاكِ » قال : ويقول بين ذلك « مَا نَالَتْ مِنِّى قُرَيْشٌ شَيْئاً أَكْرَهُهُ حَتَّى مات أبو طالب »

قال ابن إسحق : ولما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثقله قالت قريش بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فشا أمر محمد فى قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبى طالب فَلْيَأْخُذْ لنا على ابن أخيه ولْيُعْطِهِ منّا ، والله ما نأمن أن يَبْتَزُّونا أمرنا (١)

أشراف قريش عند أبى طالب يكلمونه فى أمر النبى

قال ابن إسحق : فحدثنى العباسُ بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، قال : فمشوا إلى أبى طالب فكلّموه — وهم أشراف قومه : عُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأُمَيَّةُ ابن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، فى رجال من أشرافهم — فقالوا : ياأبا طالب ، إنك منا حيث قد علمت ، وقد حَضَرك ماترى ، وتَخَوَّفنا عليك ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادْعُه فَخُذْ له منا ، وخُذْ لنا منه ، لِيَكُفَّ عنا ونَكُفَّ عنه ، ولِيَدَعَنَا وديننا ونَدَعَه ودينه ، فبعث

---

(١) « يبتزونا أمرنا » معناه يسلبونا إياه ويغلبونا عليه

إليه أبو طالب ، فجاءه ، فقال : ياابن أخي ، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك ، قال:فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« يَاعَمُّ ، كلمةٌ واحدة يُعْطُونيها تملكون بها العرب وتَدِينُ لكم بها العجم» قال : فقال أبو جهل : نَعَمْ وأبيك وعَشْر كلمات ، قال : « تقولون لاإلٰهَ إلا الله وتَخْلَعُونَ ما تعبدون من دونه » قال : فصفقوا بأيديهم ، ثم قالوا : أتريد يامحمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحدا ؟ إن أمرك لعجب ، ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامْضُوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم و بينه ، قال : ثم تفرقوا ، قال : فقال أبوطالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله ياابن أخي ما رأيتك سألتهم شَطَطًا [1] قال : فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إسلامه ، فجعل يقول له : « أَىْ عَمِّ فأنت فَقُلْهَا اسْتَحِلَّ لَكَ بِهَا الشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » قال : فلما رأى حِرْصَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قال : ياابْنَ أخي ، والله لولا مخافةُ السُّبَّة عليك وعلى بنى أبيك من بَعْدِي وأن تَظُنَّ قريش أنى إنما قلتها جَزَعاً من الموت لقُلْتُهَا ، لا أقولها إلا لأسُرَّكَ بها ، قال : فلما تقارب من أبى طالب الموتُ نظر العباسُ إليه يحرك شفتيه ، قال : فأصغى إليه باذنه، قال : فقال : يا ابْنَ أخي والله لقد قال أخى الكلمةَ التى أمرْتَهُ أن يقولها ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَمْ أسْمَعْ »

قال: وأنزل الله تعالى فى الرهط الذين كانوا اجتمعوا إليه وقال لهم ماقال

(١) الشطط : تجاوز القدر

و رَدّوا عليه ماردوا (٣٨ : ١ ـ ٧) : (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) إلى قوله تعالى : (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً واحِداً إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) يعنون النصارى ، لقولهم : إن الله ثالث ثلاثة (إِنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ)

ثم هلك أبو طالب

خروج النبي الى ثقيف بالطائف

قال ابن إسحق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النُّصْرَة من ثقيف ، والمَنَعَة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ماجاءهم به من الله عز وجل ، فخرج إليهم وحده

قال ابن إسحق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي الطائف عَمَدَ إلي نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ، وهم إخوة ثلاثة : عَبْدُ ياليل بن عمرو بن عُمَيْر ، ومَسْعُود بن عَمْرو بن عُمَير ، وحبيب بن عَمْرو بن عمير بن عَوْف بن عقدة بن غيرة بن عَوْف بن ثقيف ، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمَح ، فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى الله ، وكلّمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال له أحدهم : هو يَمْرُطُ [1] ثياب الكعبة

---

(١) يمرط : أي يمزق

إن كان الله أرسلك ، وقال الآخر : أمَا وَجَد الله أحدا يرسله غيرك ؟ وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا ، لئن كُنْتَ رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خَطَراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم فيما ذكر لى « إذْ فَعلتم ما فعلتم فاكتموا عَنّى » وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه فيُذْئِرَهُمْ[1] ذلك عليه

قال ابن هشام : وقوله « يذئرهم » يعنى يحرِّش بينهم . قال عَبيد ابن الأبرص : —

وَلَقَدْ أَتَانِي عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ   ذَئِرُوا لِقَتْـلَى عَامِرٍ وَتَعَصَّبُوا

فلم يفعلوا ، وأغْرَوْا به سُفهاءهم وعبيدهم يَسبُّونه ويَصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألْجَؤه إلي حائط لعُتْبة بن ربيعة وشَيْبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سُفَهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلي ظل حَبَلَة[2] من عِنَبٍ فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ويَرَيَان مالقى من سُفَهاء أهل الطائف ، وقد لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذُكر لي — المرأَة التى من بنى جُمَح فقال لها : مَاذَا لَقِينَا مِنْ أَحْمَائِكِ » فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما ذُكر لي : « اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِى وَقِلَّةَ حِيلَتِى وهَوَانِى عَلَى النَّاس يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّى إلَي مَنْ تَكِلُنِى ؟

---

(١) يذئرهم : أى يحرشهم ، وقد قاله ابن هشام ، وفى الحديث « ذئر النساء على الرجال فأمر بضربهن » أى : غضبن ونشزن

(٢) الحبلة : طاقات من قضبان الكرم

إِلَي بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلَي عَدُوٍّ ملكته أمرى ؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلاَ أُبَالِي ، ولكن عافِيَتُكَ هِيَ أَوْسَعُ لي ، أعوذ بنُورِ وجهك الذى أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمات وَصَلَحَ عليه أَمْرُ الدنيا والآخرة من أَنْ تُنْزِلَ بِى غَضَبَك أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ ، لَكَ الْعُتْبى (١) حَتَّى تَرْضَى وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ » قال : فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقى تحرَّكَتْ له رحمهما فَدَعَوَا غلاما لهما نَصْرَانيًا يقال له عَدَّاس ، فقالا له : خذ قِطْفاً (٢) من هذا العنب فضعْه فى هذا الطَّبَق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ، ففعل عَدَّاس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال له : كُلْ ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال : بسم الله ، ثم أكل ، فنظر عَدَّاس فى وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَمِنْ أَهْلِ أَيِّ البلاد أَنْتَ يا عَدَّاسُ ؟ وما دينك ؟ » قال : نَصْرانى وأنا رجل من أهل نِينَوَى (٣) ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « مِنْ قَرْيَة الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى » ؟ فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذَاكَ أَخِي ، كَانَ نَبِيًّا وأنا نبى » فأكبَّ عَدَّاس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسَه ويَدَيْه وقدميه ، قال : يقول ابنا ربيعة

(١) العتبى : الرضى

(٢) القطف - بكسر فسكون - اسم للعنقود . وأصله اسم لكل ما يقطف كالطحن لما يطحن والذبح لما يذبح . ويجمع على قطاف وقطوف ، وكثير من المحدثين يفتحون قاف القطف ، وصوابه الكسر

(٣) نينوى : قال أبو ذر : « ورويت ههنا بضم النون الثانية وبفتحها والفتح أشهر »

أحدهما لصاحبه : أمَّا غُلاَمُكَ فقد أفسده عليك ، فلما جاءهما عَدَّاس قالاله : ويلك ياعَدَّاس ! ! مَالَكَ تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : ياسيدى ما فى الأرض شَىْءٌ خَيْرٌ من هذا ، لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبى ، قالا له : ويحك ياعَدَّاس ! ! لا يَصْرِفَنَّكَ عن دينك ، فان دينك خير من دينه

قال : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا إلى مكة ، حين يئس من خير ثقيف ، حتى إذا كان بنَخْلَة قام من جوف الليل يصلى ، فَمَرَّ به النَّفَرُ من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم — فيما ذكرلي — سبعةُ نَفَرٍ من جن أهل نَصِيبين ، فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته وَلَّوْا إلى قومهم مُنْذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا ، فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل (٤٦ : ٢٩ ــ ٣١) : (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) إلى قوله تعالى (وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) وقال تبارك وتعالى (٧٢ : ١) : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) إلى آخر القصة من خبرهم فى هذه السورة

عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل

قال ابن إسحق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقومُهُ أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعْرِض نفسه فى المواسم إذا كانت ؛ على قبائل العرب : يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبى مرسل ، ويسألهم أن يُصَدِّقوه ويمنعوه ، حتى يبين عن الله مابعثه به

قال ابن إسحق : فحدثنى من أصحابنا من لاأتهم ، عن زيد بن أسلم ، عن ربيعة بن عَبَّاد الدؤلى ومن حدثه أبو الزناد عنه

قال ابن هشام : ربيعة بن عِباد

رسول الله يعرض نفسه على القبائل بمنى وعمه أبولهب ينفرهم منه

قال ابن إسحق : وحَدَّثنى حُسَين بن عبد الله بن عبيدالله بن عباس ، قال : سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبى؛ فقال : إنى لغُلَامٌ شابٌ مع أبى بمنىً ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَقِفُ على منازل القبائل من العرب فيقول « يا بَنِى فُلَان ، إنى رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تُشْرِكوا به شيئاً ، وأن تَخْلَعوا ما تَعْبُدون من دونه من هذه الأَنْدَاد ، وأن تُؤمنوا بى وتُصَدِّقوا بى ، وتمنعونى حتى أُبَيِّنَ عن الله ما بَعَثَنى به » قال : وخلفه رجل أحْوَل وَضىء له غَدِيرتان (١) عليه حُلَّةٌ عَدَنية ، فاذافرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل : يابنى فلان ، إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللّاتَ والْعُزَّى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه ، قال : فقلت لأبى : ياأبتِ ، مَنْ هذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمه عبد الْعُزَّى بن عبد المطلب أبو لهب

قال ابن هشام : قال النابغة : —

كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِي أُقَيْشٍ ... يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنٍّ

رسول الله يعرض نفسه على كندة

قال ابن إسحق : حدثنا ابن شهاب الزهرى أنه أتى كِنْدَةَ فى منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له : مليح ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعَرَض عليهم نفسه ، فأبَوْا عليه

(١) غديرتان : تثنية غديرة ، وهى ذؤابة من الشعر

النبي يعرض نفسه على بني عبد الله بطن من كلب

قال ابن إسحق : وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين أنه أتى كَلْباً فى منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم : بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقول لهم « يا بَنِي عَبْدِ الله ، إنَّ الله عز وجل قد أحْسَنَ اسْمَ أبيكم » فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم

النبي يعرض نفسه على بني حنيفة

قال ابن إسحق : وحدثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني حنيفة فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحد من العرب أقْبَحَ عليه ردًّا منهم

النبي يعرض نفسه على بني عامر بن صعصعة

قال ابن إسحق : وحدثني الزهري ، أنه أتى بني عامر بن صَعْصَعَة ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس (قال ابن هشام : فراس : ابن عبد الله بن سلمة بن قُشَير بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) : والله لو أني أخذتُ هذا الفتى من قريش لأكلْتُ به العرب ؛ ثم قال له : أرأيتَ إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : «الأمر إلى الله يَضَعُه حيث يشاء » قال : فقال له : أَفَنُهْدِفُ نُحُورَنَا [١] للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ !! لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه ، فلما صَدَرَ الناسُ رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كانت أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون فى ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أحد بني

(١) « أفنهدف نحورنا » معناه نصيرها هدفا ، والهدف : الغرض الذي يرمي بالسهام إليه

عبد المطلب ، يزعم أنه نبيٌّ يدعونا إلى أن نمنعه ، ونقوم معه ، ونخرج به إلى بلادنا ، قال : فوضع الشيخ يديه على رأسه ، ثم قال : يابنى عامر ، هل لها من تَلَافٍ ؟ هل لذُنَابَاها من مَطْلَب ؟ والذى نفسُ فلان بيده ما تَقَوَّلَهَا إسماعيلىٌّ قَطُّ ، وإنها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم ؟

قال ابن إسحق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الاسلام ، و يعرض عليهم نفسه ، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تَصَدَّى له فدعاه إلى الله ، وعرض عليه ماعنده

سويد بن صامت

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ثم الظفرى ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدم سُوَيْد بن صامت أخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجًّا أو معتمرا ، وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل ؛ لجَلَدِهِ وشرفه ونسبه ، وهو الذى يقول :—

أَلاَ رُبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقاً وَلَوْ تَرَى
مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَكَ مَا يَفْرِى (١)

مَقَالَتُهُ كَالشَّهْدِ مَا كَانَ شَاهِداً
وَبِالْغَيْبِ مَأْثُورٌ عَلَى ثُغْرَةِ النَّحْرِ (٢)

(١) « يفرى » تقول : فرى الأديم يفريه ، إذا قطعه ، يريد أنه يسوءك بما يقطعه من عرضك بالتقول عليك والعيب فيك والغض منك

(٢) قال أبو ذر : « المأثور : السيف ، والثغرة : الحفرة التى فى الصدر » اه . وقال السهيلى : « يعنى السيف ، ومأثور : من الأثر : وهو فرند السيف » اه يريد أنه فى غيبه عنك كالسيف المسلول على نحرك

يَسُرُّكَ بَادِيهِ وَتَحْتَ أَدِيمِهِ
نَمِيمَةُ غِشٍّ تَبْتَرِى عَقِبَ الظَّهْرِ (١)
تُبِينُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَاهُوَ كَاتِمٌ
مِنَ الْغِلِّ وَالْبغضَاءِ بِالنَّظَرِ الشَّزْرِ (٢)
فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي
وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ ولاَ يَبْرِى (٣)

وهو الذى يقول ونافر رجلا (٤) من بنى سليم ، ثم أحد بنى زِعْب (٥) ابن مالك مائة ناقة إلى مائة ناقة إلى كاهنة من كُهَّان العرب ، فقضَت له ، فانصرف عنها هو والسلمى ليس معهما غيرهما ، فلما فَرَّقَتْ بينهما الطريق قال : مالى ياأخا بنى سليم ، قال : أبعث إليك به ، قال : فَمَنْ لي بذلك إذا فُتَّنى به ؟ قال : أنا ، قال : كلا والذى نفس سُوَيْد بيده ، لاتفارقنى حتى أُوتى بمالى ، فاتخذا فضرب به الأرضَ ، ثم أوثقه رِبَاطاً ، ثم انطلق به إلى دار بنى عمرو بن عَوْف ، فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سليم بالذى له ، فقال فى ذلك : —

لاَ تَحْسَبَنِّى يَاابْنَ زِعْبِ بْنِ مَالِكٍ
كَمَنْ كُنْتَ تُرْدِى بِالْغُيُوبِ وَتَخْتِلُ (٦)

---

(١) تبترى : تقطع ، والعقب : عصب الظهر

(٢) النظر الشزر : هو نظر العدو المبغض

(٣) رشنى : معناه كن لى قوة ، وبريتنى : أضعفتنى

(٤) نافر رجلا : حاكم

(٥) قال أبو ذر : « زعب : وقع هنا بالروايات الثلاثة : بفتح الزاى وكسرها وضمها ، والعين مهملة ، وزغب بالزاى المكسورة والغين المعجمة ، قيده الدار قطنى وذكر أن الطبرى حكاه كذلك » اه

(٦) تردى : توقع فى الردى ، وتختل : تخدع

تَحَوَّلْتَ قرنا إذْ صرعت بغرة
كَذَلِكَ إِنَّ الْحَازِمَ الْمُتَحَوِّلُ

ضَرَبْتُ بِهِ إِبْطَ الشِّمَالِ فَلَمْ يَزَلْ
عَلَى كُلِّ حَالٍ خَدُّهُ هُوَ أَسْفَلُ

فى أشعار كثيرة كان يقولها

قال : فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلي الله وإلي الاسلام ، فقال له سويد : فَلَعَلَّ الذى معك مِثْلُ الذي معى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَمَا الَّذِى مَعَكَ » ؟ قال : مَجَلَّة لقمان (١) ، يعنى حكمة لقمان ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَعْرِضْهَا عَلَىَّ » فعرضها عليه ، فقال له : إن هذا لكلام حسن ، والذى معى أفضل من هذا ، قرآنٌ أنزله الله تعالى علىّ هو هُدًى ونور ، فتلا [عليه] رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الاسلام ، فلم يبعد منه ، وقال : إنّ هذا لقول حسن ، ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه ، فلم يَلْبَثْ أن قتلته الخزرج ، فإن كان رجال من قومه ليَقُولون : إنا لنراه قد قتل وهو مسلم ، وكان قتله قبل يوم بُعَاث (٢)

النبي و سويد بن الصامت

النبي يعرض نفسه على قوم من بنى عبد الاشهل

قال ابن إسحق : وحدثنى الْحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عَمْرو بن سعد ابن معاذ ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما قدم أبو الْحَيْسَر أَنَسُ بن رافع مكة ومعه فِتْيَةٌ من بنى عبد الأشهل فيهم إياس بن مُعاذ يلتمسون الْحِلْفَ من

---

(١) المجلة : الصحيفة

(٢) بعاث ـ بزنة غراب ـ موضع كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج والمشهور أنه بالعين مهملة، قال أبوذر : « ويروى هنا بغاث بالغين المعجمة أيضا ، ويصرف ولا يصرف » اه

قريش على قومهم من الخزرج سَمِعَ بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم ، فجلس إليهم ، فقال لهم : « هَلْ لَكم في خَيْرٍ مِمَّا جئتم له » قال : فقالوا له : وما ذاك ؟ قال « أنا رَسُولُ الله بَعَثَنِي إلى العِبَادِ أدْعُوهُمْ إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا ، وَأنْزَلَ عَلَيَّ الكتاب » قال : ثم ذكر لهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن ، قال: فقال إياس بن معاذ وكان غلاما حدثا : أيْ قَوْمِ ، هذا والله خير مما جئتم له ، قال : فيأخذ أبو الحَيْسَر أنسُ بنُ رافع حَفْنَةً من البَطْحَاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ ، وقال : دَعْنَا منك ، فَلَعَمْرِي لقد جئنا لغير هذا ، قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة ، وكانت وقعة بُعَاث بين الأوس والخزرج ، قال : ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك ، قال محمود بن لبيد : فأخبرني من حضره من قومي عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يُهَلِّلُ (١) الله تعالى ويُكَبِّره ويُحَمِّدُه ويُسَبِّحُه حتى مات، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلما ، لقد كان استشعر الاسلام في ذلك المجلس ، حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع

قال ابن إسحق : فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه ، وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإنجاز موعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار ، فَعَرَضَ نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رَهْطًا من الخزرج أراد الله بهم خيرا

---

(١) يهلل : يقول لا إله إلا الله ، ويكبر : يقول الله أكبر ، ويحمده : يقول الحمد لله ، ويسبحه : يقول سبحان الله . والكل بوزن مضارع قدم مضعف الوسط .

النبي يعرض نفسه على نفر من الخزرج فيؤمنون به

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : « مَنْ أَنْتُمْ » ؟ قالوا : نفر من الخزرج ، قال : «أمِنْ مَوالى يَهُود » ؟ قالوا : نعم ، قال : « أفَلاَ تجلِسُونَ أُ كَلِّمُكم » ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن ، قال : وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهْلَ شِرْكٍ وأصحابَ أوثان ، وكانوا قد عَزُّوهُمْ(١) ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : إن نبيًّا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم ، فلما كَلَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولئك النَّفَرَ ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض : يا قَوْم ، تَعَلَّمُوا والله إنه لَلنَّبِي الذى تُوعِدكم به يهود فلا تَسْبِقَنَّكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الاسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مابينهم ، وعَسَى أن يجمعهم الله بك ، فسَنَقْدَم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فان يَجْمَعْهُم الله عليه فلا رجلَ أعزُّ منك ، ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا

أسماء هؤلاء النفر وبطونهم

قال ابن إسحق : وهم ـ فيما ذكر لى ـ ستةُ نفرٍ من الخزرج : منهم من بنى النجار (وهو تَيْمُ الله) ثم من بنى مالك بن النَّجَّار بن ثَعْلبة بن عَمْرو بن الخَزْرَج بن حارثة بن ثَعْلبة بن عَمْرو بن عامر : أَسْعَدُ بن زُرَارَة بن عُدَس بن عُبَيْد بن ثَعْلَبة بن غَنْم بن مَالك بن النَّجَّار ، وهو

(١) عزوهم : غلبوهم وقهروهم

أبو أمامة ، وعَوْفُ بن الحرث بن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النَّجَّار ، وهو ابن عفراء

قال ابن هشام : وعَفْرَاء : بنتُ عبيد بن ثَعْلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار

قال ابن إسحق : ومن بنى زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبدحارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج : رافعُ بن مالك بن الْعَجْلاَن بن عَمْرو بن عامر بن زُرَيق

قال ابن هشام : ويقال : عامر بن الأزرق

قال ابن إسحق : ومن بنى سَلِمة بن سَعْد بن على بن أسَد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سَوَاد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمة : قُطْبَة بن عامر بن حديدة بن عَمْرو بن غَنْم بن سواد

قال ابن هشام : عَمْرو بن سواد ؛ ليس لسواد ابنٌ يقال له غَنْم

قال ابن إسحق : ومن بنى حَرَام بن كَعْب بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمة : عُقْبَةُ بن عامر بن نابى بن زيد بن حَرَام

ومن بنى عبيد بن عَدِىّ بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمة : جابرُ ابن عبد الله بن رِئاب بن النُّعْمان بن سِنان بن عبيد

بيعة العقبة الا· فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذَكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ودعوهم إلى الاسلام حتى فشا فيهم ، فلم تَبْقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا ، فَلَقُوهُ بالعقبة وهىَ العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله صلى الله عايه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب .

رجال بيعة العقبة الأولى

منهم من بنى النجار ثم بنى مالك بن النجار : أَسْعَدُ بن زُرَارة بن عُدَس بن عبيد بن ثَعْلبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجار ، وهو أبو أمامة ، وعَوْفٌ ومُعَاذ ابنا الحرث بن رِفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك ابن النَّجار ، وهما ابنا عفراء

ومن بنى زريق بن عامر : رافعُ بن مالك بن الْعَجْلان بن عَمْرو ابن عامر بن زريق ، وذَكْوَان بن عَبْد قَيْس بن خَلَدَة بن مُخْلِد بن عامر بن زُرَيق

قال ابن هشام : ذَكْوَانُ مهاجرى أنصارى (١)

قال : ومن بنى عَوْف بن الخزرج ، ثم من بنى غَنْم بن عَوْف بن عَمْرو بن عَوْف بن الخزرج وهم الْقَوَاقِل : عُبَادَةُ بن الصَّامت بن قَيْس ابن أَحْرَم (٢) بن فهر بن ثَعْلبة بن غَنْم ؛ وأبو عَبْدالرحمن ، وهو يزيدُ ابن ثَعْلبة بن خزمة بن أصرم بن عَمْرو بن عَمَّارَة (٣) من بنى غُضَيْنة من بَلِيّ ، حليفٌ لهم

قال ابن هشام : وإنما قيل لهم الْقَوَاقل (٤) لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سَهْماً وقالوا له : قَوْقِلْ به بيثرب حيث شئت

قال ابن هشام : الْقَوْقَلَة : ضرب من المشى

---

(١) هذه العبارة معناها أن أصله من المدينة فقدم على رسول الله مكة فآمن به ثم بقى بها حتى هاجر إلى المدينة ، فلا يشكل ظاهرها عليك

(٢) فى نسخة « أصرم » بالصاد

(٣) قال أبو ذر : « يروى بفتح العين وتشديد الميم ، وبضمها وتخفيف الميم ، وبالأول قيده الدار قطنى »

(٤) فى القاموس « وهم القواقلة »

قال ابن إسحق : ومن بنى سالم بن عَوْف بن عَمْرو بن عَوْف ابن الخزرج ، ثم من بنى العَجْلان بن زيد[1] بن غَنْم بن سالم : العباس بن عُبادة بن نَضْلة بن مالك بن العَجْلان

قال ابن إسحق : ومن بنى سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخَزْرج ، ثم من بنى حَرَام بن كَعْب ابن غَنْم بن كَعْب بن سلمة : عُقْبَةُ بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام

ومن بنى سَوَاد بن غَنْم بن كَعْب بن سلمة : قُطْبَة بن عامر بن حديدة بن عَمْرو بن غَنْم بن سواد

وشهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عَمْرو بن عامر ، ثم من بنى عبدالأشهل بن جُشَم بن الحرث بن الخَزْرَج بن عَمْرو بن مالك بن الأوس : أبو الهَيْثَم بن التَّيهان ، واسمه مالك

قال ابن هشام : التَّيهان : يُخَفف ويثقل كقوله مَيِّت ومَيْت

ومن بنى عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس : عُوَيْم بن ساعدة

على م كانت بيعة العقبة الاولى

قال ابن إسحق : وحدثنى يَزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرثد[2] ابن عبد الله اليَزَنى ، عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحى ، عن عُبادة ابن الصامت ، قال : كنت فيمن حضر العقبةَ الأولى ، وكنا اثْنَىْ عَشَرَ رجلا ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يُفْتَرَض علينا الحربُ : على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولانسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببُهْتَان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ، فان وفيتم فلكم الجنة ، وإن غَشِيتُمْ من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل : إن شاء غفر ، وإن شاء عَذَّب

---

(١) فى نسخة « بن يزيد » بدل « بن زيد »
(٢) فى نسخة « عن أبى مرثد »

قال ابن إسحق : وذكر لى ابنُ شِهاب الزُّهْرى ، عن عائذ الله بن عبد الله الخولانى أبى إدريس ، أن عُبَادة بن الصامت حدثه أنه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى : على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ، فان وفيتم فلكم الجنة ، وإن غَشِيتم من ذلك شيئا فأُخِذْتُمْ بحَدِّه فى الدنيا فهو كفارة له ، وإن سُتِرْتُم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل : إن شاء عَذَّب ، وإن شاء غفر

رسول الله يرسل مع أهل المدينة من يقرئهم ويعلمهم

قال ابن إسحق : فلما انصرف عنه صلى الله عليه وسلم القومُ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مُصْعَبَ بن عُمَير بن هاشم بن عبدمَنَاف ابن عبد الدَّار بن قُصَى ، وأمره أن يُقْرِئهم القرآن ، ويُعَلِّمَهُمُ الاسلام ، ويُفَقِّهَهُمْ فى الدين ، فكان يُسَمَّى مصعبٌ بالمدينة (١) المقرىء ، وكان مَنْزَلُه (٢) على أسعد بن زُرَارة بن عُدَس أبى أمامة

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عُمَر بن قَتَادة ، أنه كان يصلى بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كَرِهَ بَعْضُهم أن يَؤُمَّه بَعْضٌ

أول صلاة الجمعة بالمدينة

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن أبى أمامة بن سَهل بن حُنَيف ، عن أبيه أبى أمامة ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : كنت قائد أبى كَعْبِ بن مالك حين ذهب بصره ، فكنت إذا خَرَجْتُ به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صَلَّى على أبى أمامةَ أسعدَ بنِ زُرَارة ، قال :

---

(١) فى نسخة « فكان يسمى المقرىء بالمدينة مصعب » والذى أثبتناه خير ، وهو كذلك فى الطبرى

(٢) منزله : أى نزوله ، فهو مصدر ، وليس اسم مكان

فمكث حيناً على ذلك : لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلّى عليه واستغفر له ، قال : فقلت في نفسي : والله إن هذا بي لَعَجْزٌ ألّا أسأله ماله إذا سمع الأذان بالجمعة صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة ، قال : فخرجت به في يوم جمعة كما كنت أخرج ، فلما سمع الأذان بالجمعة صلّى عليه واستغفر له ، قال : فقلت له : ياأبتِ ، مَالَكَ إذا سمعت الأذان بالجمعة صَلّيْتَ على أبي أمامة ؟ قال : أيْ بُنَيَّ ، كان أول من جَمَّع بنا بالمدينة في هَزْمِ النَّبيت[١] من حَرَّة بني بيَاضة يقال له نقيع الخَضِمَات[٢] ، قال : قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلا

قال ابن إسحق : وحدثني عُبَيْد الله بن المغيرة بن مُعَيقب[٣] وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم ، أن أسعد بن زُرَارة خرج بمُصْعَب بن عُمَيْر يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظَفَر ، وكان سَعْدُ ابن مُعَاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ابنَ خالةِ أسعدَ بنِ زُرَارة ، فدخل به حائطا من حَوائط بني ظَفَر

اسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ

قال ابن إسحق : واسم ظَفَر كعبُ بن الحْرث بن الخَزْرَج بن عَمْرو ابن مالك بن الأوس ، قالا : على بئر يقال لها : بئر مَرَق[٤] فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما رجالٌ ممن أسلم . وسَعْدُ بن مُعَاذ وأسيد بن حضير يومئذ

---

(١) الهزم : المنخفض من الأرض . والنبيت : موضع

(٢) قال أبو ذر : « نقيع . وقع هنا بالباء ، والنون ، والصواب بالنون ، وهو موضع يستنقع فيه الماء ، والنقيع — بالنون أيضا — البئر ، والخضمات موضع » اه

(٣) في نسخة « معيقيب »

(٤) قال ياقوت : « وبئر مرق بالمدينة ، ذكر في حديث الهجرة ، وتروى بسكون الراء » اه

سَيِّدَا قومهما من بنى عبد الأشهل ، وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير : لاأبا لك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفِّهَا ضعفاءنا فازْجُرْهُما وانْهَهُمَا عن أن يأتيا دارينا ، فانه لولا أن أسْعَدَ بن زُرَارة منِّى حيث قد علمتَ كَفَيْتُكَ ذلك ، هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدما ، قال : فأخذ أسيد بن حضير حَرْبته ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زُرَارة قال لمُصْعَب بن عُمَير : هذا سيدُ قومه قد جاءك فاصْدُقِ الله فيه ، قال مصعب : إنْ يَجْلِسْ أُكَلِّمْه ، قال : فوقف عليهما مُتَشَتِّماً ، قال : ماجاء بكما إلينا تُسَفِّهَان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أو تجلس فَتَسْمَعَ فان رضيت أمراً قبلته ، و إن كرهته كُفَّ عَنْكَ ماتكره ، قال : أنْصَفْتَ ، ثم ركز حَرْبته وجلس إليهما ، فكلَّمه مُصْعب بالاسلام ، وقرأعليه القرآن ، فقالا فيمايذكرعنهما : والله لعَرَفْنَا فى وجهه الاسلام قبل أن يتكلم به فى إشراقه وتَسَهله ، ثم قال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله !!! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فَتَطَهَّر وتُطَهِّر ثوبيك ثم تَشَهَد شهادة الحق ثم تصلى ، فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إنَّ ورائى رَجُلا إن اتبعكما لم يَتَخَلَّفْ عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن : سعْدَ بن معاذ ، ثم أخذ حَرْبته ثم انصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال : أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيْد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادى قال له سعد : مافعلتَ ؟ قال : كلمتُ الرجلين فوالله مارأيت بهما بأساً . وقد نهيتهما فقالا : نفعل ماأحببت ، وقد حُدِّثْتُ أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد

ابن زُرَارة ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليُخْفِروك[1] ، قال : فقام سعدٌ مُغْضَبا مبادرا تَخَوُّفاً للذى ذكر له من بنى حارثة ، فأخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ماأراك أغْنَيْتَ شيئا ، ثم خرج إليهما ، فلما رآهما سعد مطمئنين عرَف سعد أن أُسَيْدا إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما مُتَشَتِّما ثم قال لأسعد بن زرارة : ياأبا أمامةْ ، [أما والله] لولا مابينى وبينك من القرابة مارُمْتَ هذا منّى ، أتغشانا فى دارينا بما نكره ؟ وقد قال أسعد بن زُرَارة لمصعب بن عُمَير : أيْ مُصْعَبُ ، جاءك والله سيِّدٌ من وراءه من قومه إنْ يَتْبَعْكَ لايتخَلَّفْ عنك منهم اثنان ، قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فان رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزَلْنا عنك ماتكره ، قال سعد : أنْصَفْتَ ، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قالا : فعرفنا والله فى وجهه الاسلام قبل أن يتكلم لاشراقه وَتَسَهُّله ، ثم قال لهما : كيف تَصنَعُونَ إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين ؟ قالا : تغتسل فَتَطَّهَّرُ وتُطَهِّرُ ثوبيك ثم تَشْهد شهادة الحق ثم تُصَلِّى ركعتين ، قال : فقام فاغتسل وطَهَّرَ ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل عامدا إلى نادى قومه ومعه أُسَيْدُ بن حُضَير ؟ فلما رآه قومه مُقْبِلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يابنى عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا وأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً ، قال : فانَّ كلام رجالكم ونسائكم علىَّ حرامٌ حتى تُؤْمِنُوا بالله وبرسوله ، قالوا : فوالله ماأمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلمًا أو مسلمة ، ورجع أسْعَدُ ومُصْعَبٌ إلى منزل أسعد بن

(١) فى بعض النسخ « ليحقروك » وكذلك هو فى الطبرى

زُرَارة ، فأقام عنده يَدْعُو[١] الناس إلى الاسلام ، حتى لم تَبْقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مُسْلِمون ، إلا ما كان من دار بنى أمية ابن زيد وخطمة ووائل وواقف ، وتلك أوس الله وهم من الأوس بن حارثة ، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت وهو صَيْفِيٌّ وكان شاعراً لهم قائداً ، يسمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الاسلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق ، وقال فيما رأى من الاسلام وما اختلف الناس فيه من أمره : —

أَرَبَّ النَّاسِ ، أَشْيَاءُ أَلَمَّتْ يُلَفُّ الصَّعْبُ مِنْهَا بِالذَّلُولِ[٢]
أَرَبَّ النَّاسِ . أَمَّا إِنْ ضَلَلْنَا فَيَسِّرْنَا لِمَعْرُوفِ السَّبِيلِ
فَلَوْلَا رَبُّنَا كُنَّا يَهُوداً وَمَا دِينُ الْيَهُودِ بِذِى شُكُولِ[٣]
وَلَوْلَا رَبُّنَا كُنَّا نَصَارَى مَعَ الرُّهْبَانِ فِى جَبَلِ الْجَلِيلِ[٤]
وَلَكِنَّا خُلِقْنَا إِذْ خُلِقْنَا حَنِيفاً دِينُنَا عَنْ كُلِّ جِيلِ[٥]

---

(١) فى بعض النسخ « فأقام عنده يدعوان الناس » والذى أثبتناه موافق لما فى الطبرى عن ابن إسحاق

(٢) الذلول : السهل اللين

(٣) شكول : أراد أنه ليس ذا موافقة ، وهو جمع شكل ، قال السهيلى : « شكل الشىء — بالفتح — هو مثله ؛ فكأنه أراد أن دين اليهود بدع فليس له شكول : أى ليس له نظير فى الحقائق ؛ ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول » اه

(٤) الجليل — بالجيم — الثمام ، وهو نبت ، وجبل الجليل : أحد جبال الشام ؛ وهو معروف بهذا الاسم ؛ وقد وقع فى بعض النسخ « جبل الخليل » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف

(٥) الجيل : الصنف من الناس

نَسُوقُ الْهَدْىَ تَرْسُفُ مذعنات مُكَشَّفَةَ الْمَنَاكِبِ فِى الْجُلُولِ[1]

قال ابن هشام : أنشدنى قوله «فلولا ربنا» وقوله «ولولا ربنا» وقوله «مكشفة المناكب فى الجلول» رجل من الأنصار، أو من خزاعة

البيعة الثانية الكبرى بالعقبة

قال ابن إسحق : ثم إن مُصْعَب بن عُمَير رجع إلى مكة؛ وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حُجَّاج قَوْمهم من أهل الشِّرْك حتى قدموا مكة، فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق؛ حين أراد الله بهم ما أراد : من كرامته، والنَّصْر لنبيه، وإعزاز الاسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله

أهل المدينة يقدمون الى مكة وفيهم البراء بن معرور فيصلى الى الكعبة وحده

قال ابن اسحق : وحدثنى معبد بن كعب بن مالك بن أبى كعب ابن الْقَيْن أخو بنى سلمة، أن أخاه عبدَ الله بن كعب، وكان من أعلم الأنصار، حدثه أن أباه كعباً حدَّثه، وكان كعبٌ ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، قال : خَرَجْنا فى حُجَّاج قومنا من المشركين، وقد صَلَّيْنَا وَفَقُهنا، ومعنا الْبَرَاء بن مَعْرُور سَيِّدُنا وكبيرنا، فلما وَجَّهْنَا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا : ياهؤلاء إنى قد رأيت رأيا ووالله ما أدرى أتوافقوننى عليه ام لا ؟ قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيتُ ألَّا أدع هذه الْبَنِيَّةَ منِّى بظَهْرٍ (يعنى الكعبة) وأن أصلى إليها، قال : فقلنا : والله مابلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلى إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه، قال : فقال : إنى لَمُصَلٍّ إليها، قال : فقلنا له : لكنَّا لا نَفْعَل،

---

(١) ترسف : تمشى مشى المقيد، ومذعنات : منقادات : والجلول : جمع جل .

قال : فكُنَّا إذا حضرت الصلاة صَلَّيْناَ إلى الشام وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة ، قال : وقد كنا عِبْنَا عليه ما صنع ، وأبى إلا الإقامة على ذلك ، فلما قدمنا إلى مكة قال لى : يا ابْنَ أخى ، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعت فى سفرى هذا ، فانه والله لقد وَقَعَ فى نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياى فيه ، قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنا لا نعرفه لم نَرَهُ قبل ذلك ، فلقينا رجلاً من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا ، قال : فهل تعرفان العباسَ بن عبد المطلب عمه ؟ قال : قلنا : نعم ، قال : وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يَقْدَم علينا تاجراً ، قال : فاذا دخلتما المسجد فهو الرجلُ الجالس مع العباس ، قال : فدخلنا المسجد ، فاذا العباس رضى الله عنه جالسٌ ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه ، فسلمنا . ثم جلسنا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : « هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَاأَبَا الْفَضْلِ ؟ » قال : نعم ، هذا الْبَرَاء بن مَعْرور سيد قومه . وهذا كعب بن مالك ، قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشَّاعِر » ؟ قال : نعم ، فقال البراء بن مَعْرور : يا نبيَّ الله . إنى خرجت فى سفرى هذا وقد هدانى الله للاسلام فرأيت ألاَّ أجعل هذه الْبَنِيَّةَ منّى بِظَهْرٍ فصلَّيْتُ إليها ، وقد خالفنى أصحابى فى ذلك . حتى وقع فى نفسى من ذلك شيء ، فماذا ترى يارسول الله ؟ قال : « قَدْ كُنْتَ عَلَى قِبْلَةٍ لَوْ صَبَرْتَ عَلَيْهَا » قال : فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معنا إلى الشام ، قال : وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات . وليس ذلك كما قالوا ؛ نحن أعلم به منهم

قال ابن هشام : وقال عون بن أيّوب الأنصارى : —

وَمِنَّا الْمُصَلِّى أَوَّلَ النَّاسِ مُقْبِلاً عَلَى كَعْبَةِ الرَّحْمٰنِ بَيْنَ الْمَشَاعِرِ

يعنى البراء بن معرور ، وهذا البيت فى قصيدة له

أهل المدينة يعدون رسول الله العقبة من أوسط أيام التشريق

قال ابن إسحق: حدثنى مَعْبد بن كَعْب، أن أخاه عبد الله بن كعب حدثه ، أن أباه كعبَ بن مالك حدثه ، قال كعب : ثم خَرَجْنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبةَ من أوسط أيام التشريق ، قال : فلما فَرَغنا من الحج ، وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ومعنا عبد الله بن عَمْرو بن حَرَام أبو جابر سيّدٌ من ساداتنا وشريفٌ من أشرافنا أخذناه معنا وكنا نكتم مَنْ معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه ،وقلنا له : يا أبا جابر ، إنك سيدٌ من ساداتنا وشريفٌ من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غدا ، ثم دَعَوناه إلى الاسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة ، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً ، قال : فَنِمْنَا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا ، حتى إذا مضَى ثلثُ اللّيل خرجنا من رحالنا لميعادِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نَتَسَلَّلُ تَسَلّل الْقَطا مُسْتَخْفِين حتى اجتمعنا فى الشِّعْب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا: نَسيبةُ بنت كَعب ، أمُّ عُمارة ، إحدى نساء بنى مازن ابن النجار، وأسْمَاء بنت عَمْرو بن عدىّ بن نابى ، إحدى نساء بنى سَلِمة ، وهى أم منيع

عدة من حضر بيعة العقبة الكبرى

لقاء رسول الله أهل العقبة وكلام عمه العباس لهم وردهم عليه

قال : فاجتمعنا فى الشِّعْب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحبَّ أن يحضر أمر ابن أخيه ، ويَتَوَثَّق له ، فلما جلس كان أولَ متكلم العباسُ بن عبد المطلب ، فقال : يامعشر الخزرج ، قال : وكانت العرب

إنما يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج خَزْرَجها وَأَوْسَها ، إنَّ محمداً منَّا حيثُ قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عِزٍّ من قومه ومَنَعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللُّحُوق بكم ، فان كنتم تَرَوْنَ أنكم وَافُون له بما دَعَوْتموه إليه ومانِعُوه ممن خالفه فأنتم وما تحمَّلتم من ذلك ، وإن كنتم تَرَوْن أنكم مُسْلِمُوهُ وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فَمِنَ الآنَ فَدَعُوه فانه فى عِزٍّ وَمَنعة من قومه وبلده

قال : فقلنا له : قد سمعنا ماقلت ، فتكلَّمْ يارسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ماأحببت

صيغة البيعة التى أخذها رسول الله عليهم

قال : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورَغَّب فى الاسلام ، ثم قال : « أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِى مِمَّا تَمْنَعُونَ منهُ نِساءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُم » قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : نَعَمْ والذى بعثك بالحق لَنَمْنَعَنَّكَ مما نمنع منه أُزُرَنا (١) فبايعنا يارسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ، وأهل الحَلْقَة (٢) ورِثْنَاهَا كابراً [عن كابر] قال : فاعترض القولَ والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبُو الهَيْثَمِ بن التَّيِّهَان ، فقال : يارسول الله ، إنَّ بيننا وبين الرجال حِبَالا ، وإنا قاطعوها (يعنى اليهود) فهل عَسَيتَ إن نَحْنُ فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن تَرْجِعَ إلى قومك وتَدَعَنَا ؟ قال : فتبسَّمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بَلِ الدَّمُ الدَّمُ ، والهَدْمُ الهَدْمُ (٣) ، أَنَا

---

(١) « أزرنا » يعنى نساءنا ، والمرأة يكنى عنها بالازار

(٢) الحلقة : السلاح عاما ، وقوم من أهل اللغة يخصونه بالدروع ، وهو بفتح فسكون

(٣) قال السهيلى : « قال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دمى دمك وهدمى هدمك : أى ما هدمت من الدماء هدمته أنا ،

مِنْـكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّى أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ »

قال ابن هشام : ويقال الْهَدَمُ الْهَدَمُ ، أى : ذمتى ذمتكم ، وحرمتى حرمتكم

قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَخْرِجُوا إِلَىَّ مِنْـكُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ » فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا : تسعةً من الخزرج ، وثلاثةً من الأوس

أسماء النقباء الاثنى عشر ، وتمام خبر العقبة

نسب النقباء الاثنى عشر

قال ابن هشام : من الخزرج — فيما حدثنا زياد بن عَبْد الله الْبَكَّائِى عن محمد بن إسحق المطلبى — أبو أمامة أسْعَدُ بن زُرَارة بن عُدَس بن عبيد ابن ثَعْلبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجَّار ، وهو تيم الله ، بن ثعلبة بن عَمْرو بن الْخَزْرج ، وسَعْد بن الرَّبيع بن عَمْرو بن أبى زُهيْر بن مالك بن امرىء الْقَيْس بن مالك بن ثَعْلبة بن كَعْب بن الْخَزْرج بن الحْرث بن الْخَزْرَج ؛ وعبدُ الله بن رَوَاحة بن امرىء القيس بن عَمْرو بن امرىء القيس بن

ويقال أيضا : اللدم اللدم والهدم الهدم ، وأنشد : —

* ثمَّ الْحَقِى بِهَدَمِى وَلَدَمِى *

فاللدم جمع لادم ، وهم أهله الذين يلتدمون عليه إذا مات ، وهو من لدمت صدره إذا ضربته ؛ والهدم : قال ابن هشام : الحرمة ، وإنما كنى عن حرمة الرجل وأهله بالهدم لأنهم كانوا أهل نجعة وارتحال ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم ، فكلما ظعنوا هدموها . والهدم (بالتحريك) بمعنى المهدوم . كالقبض بمعنى المقبوض ، ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى . . ثم قال: هدمى هدمك : أى رحلتى مع رحلتك ، أى لا أظعن وأدعك » اه

مالك بن ثَعْلبة بن كَعب بن الخَزْرج بن الحرث بن الخزرَج ؛ ورَافعُ ابن مالك بن العَجْلان بن عَمْرو بن عامر بن زُرَيق بن عامر بن زُرَيق ابن عَبْد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخَزْرج . وَالبَراء بن مَعْرور بن صَخْر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدىّ بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمَة بن سَعْد بن على بن أَسد بن سَارِدة بن تزيد (١) بن جُشَم بن الخَزرج ، وعبدُ الله بن عَمْرو بن حَرَام بن ثَعْلبة بن حَرَام بن كَعْب بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمة بن سَعْد بن على بن أَسَد بن سارِدة بن تزيد (١) بن جُشَم بن الخَزْرج ؛ وَعبَادة بن الصَّامِت بن قَيس بن أصرم بن فِهْر بن ثَعْلبة بن غَنْم بن سالم بن عَوْف بن عَمْرو بن عَوْف بن الخَزْرج

قال ابن هشام: هو غنم بن عوف أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عَوْف ابن الخزرج

قال ابن إسحق : وسَعْدُ بن عُبَادة بن دُلَيم بن حَارِثة بن أبى حَزِيمَة (٢) بن ثَعْلَبة بن طَريف بن الخَزْرَج بن سَاعِدة بن كَعْب بن الخَزْرَج ؛ وَالمُنْذِر بن عَمْرو بن خنيس بن حارثة بن لَوْذَان بن عبدودّ بن زَيْد بن ثَعلبة بن الخَزْرَج بن سَاعِدة بن كَعْب بن الخزرج

قال ابن هشام : ويقال ابن خنيش

ومن الأوس : أُسَيْد بن حُضَير بن سِمَاك بن عَتِيك بن رافع بن

(١) فى القاموس : « ساردة بن يزيد بن جشم فى نسب الأنصار » وذكر الشارح السيد المرتضى أنه يروى تزيد بالتاء الفوقية ويزيد بالياء التحتية اهـ

(٢) قال أبو ذر : « وقع فى الرواية هنا حزيمة بحاء مهملة مفتوحة وزاء مكسورة ، وخزيمة بخاء معجمة مضمومة وزاء مفتوحة ، وحزيمة بالحاء المهملة المفتوحة والزاء المكسورة هو الصواب ، كذا قيده الدارقطنى رحمه الله » اهـ

امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جُشَم بن الحرث بن الخَزْرج ابن عَمْرو بن مالك بن الأوس ، وسَعْدُ بن خيثمة بن الحرث بن مالك ابن كَعْب بن النَّحَّاط بن كَعْب بن حَارِثة بن غَنْم بن السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس ؛ ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر (١) بن زَيْد ابن أُمَيَّة بن زَيْد بن مالك بن عَوْف بن عَمْرو بن عوف بن مالك ابن الأوس

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهَيْثَم بن التَّيِّهان ، ولا يعدون رفاعة

وقال كعب بن مالك يذكرهم ، فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري :—

فَأَبْلِغْ أُبَيًّا أَنَّهُ فَالَ رَأْيُهُ
وَحَانَ غَدَاةَ الشِّعْبِ وَالْحَيْنُ وَاقِعُ (٢)

أَبَى اللهُ مَامَنَّتْكَ نَفْسُكَ إِنَّهُ بِمِرْصَادِ أَمْرِ النَّاسِ رَاءٍ وَسَامِعُ
وَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ أَنْ قَدْ بَدَالَنَا بِأَحْمَدَ نُورٌ مِنْ هُدَى اللهِ سَاطِعُ

فَلَا تُرْعِيَنْ فِي حَشْدِ أَمْرٍ تُرِيدُهُ
وَأَلِّبْ وَجَمِّعْ كُلَّ مَا أَنْتَ جَامِعُ (٣)

وَدُونَكَ فَاعْلَمْ أَنَّ نَقْضَ عُهُودِنَا أَبَاهُ عَلَيْكَ الرَّهْطُ حِينَ تَبَايَعُوا
أَبَاهُ الْبَرَاءُ وَابْنُ عَمْرٍو كِلَاهُمَا وَاسْعَدُ يَأْبَاهُ عَلَيْكَ وَرَافِعُ

---

(١) فى نسخة « بن زنير » بالياء

(٢) « فال » بالفاء الموحدة : بطل وفسد ، ووقع مصحفا فى الأصول « قال » بالقاف ، و « حان » أى : هلك ، والحين : الهلاك

(٣) « ترعين » مضارع أرعى : أى أبقى ، وتقول : ما أرعى عليه ، إذا لم يبق ، ووقع فى نسختين « ترغبن » بغين معجمة وباء موحدة ، وهى تحريف ؛ يريد لاتترك مما تقدر عليه شيئا إلا فعلته ، فانا لن نباليك

وَسَعْدٌ أَبَاهُ السَّاعِدِىُّ وَمُنْذِرٌ
لِأَنْفِكَ ، إِنْ حَاوَلْتَ ذٰلِكَ ، جَادِعُ (١)
وَمَا ابْنُ رَبِيعٍ ، إِنْ تَنَاوَلْتَ عَهْدَهُ ، بِمُسْلِمِهِ ، لَا يَطْمَعَنْ ثَمَّ طَامِعُ
وَأَيْضاً فَلَا يُعْطِيكَهُ ابْنُ رَوَاحَةٍ
وَإِخْفَارُهُ مِنْ دُونِهِ السَّمُّ نَاقِعُ (٢)
وَفَاءٌ بِهِ وَالْقَوْقَلِيُّ ابْنُ صَامِتٍ بمندوحة عَمَّا تُحَاوِلُ يَافِعُ (٣)
أَبُو هَيْثَمٍ أَيْضاً وَفِيٌّ بِمِثْلِهَا وَفَاءً بِمَا أَعْطَى مِنَ الْعَهْدِ خَانِعُ (٤)
وَمَا ابْنُ حُضَيْرٍ ، إِنْ أَرَدْتَ ، بِمَطْمَعٍ
فَهَلْ أَنْتَ عَنْ أُحْمُوقَةِ الْغَيِّ نَازِعُ
وَسَعْدٌ أَخُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَإِنَّهُ
ضَرُوحٌ لِمَا حَاوَلْتَ مِلْأَمْرِ مَانِعُ (٥)
أُولَاكَ نُجُومٌ لَا يُغِبُّكَ مِنْهُمُ عَلَيْكَ بِنَحْسٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَالِعُ

فذكر كعب فيهم أبا الهيثم بن التَّيِّهان ؛ ولم يذكر رفاعة

---

(١) « جادع » قاطع ، ويقال : جدع الله أنفه : أى قطعه

(٢) إخفاره : نقض عهده ، وناقع : ثابت ولازم ، وهو كقول النابغة الذبيانى :

فَبِتُّ كَأَنِّى سَاوَرَتْنِى ضَئِيلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ فِى أَنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعُ

(٣) « يافع » وقع هذا اللفظ فى الأصول بالياء المثناة والفاء الموحدة ، وأقره أبو ذر وفسره بالموضع المرتفع ، وكأنه أراد أن القوقلى فى مكان مرتفع ، وحكى أبو ذر أنه روى « باقع » بالباء الموحدة والقاف ؛ وفسره بأنه بعيد عما تحاول

(٤) خانع : مقر متذلل

(٥) ضروح : مانع دافع عن نفسه شديد فى دفعه ؛ ويقولون : ضرحت الدابة برجلها ، إذا ضربت ، و « ملأ مر » أى من الأمر

قال ابن إسحق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : « أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ بما فيهم كُفَلاء كَكَفَالَة الْحَوارِيِّينَ لعيسى ابن مريم ، وأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمى » يعنى المسلمين ، قالوا : نعم

مقالة العباس بن عبادة لقومه الخزرج عند البيعة

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قَتَادَةَ أن القوم لما اجتمعوا لِبَيْعَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نَضْلة الأنصارى أخو بنى سالم بن عَوْف : يامَعْشَرَ الخزرج ، هل تَدْرُونَ عَلَام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ؛ قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فان كنتم تَرَوْنَ أنكم إذا نَهِكَتْ أموالكم مصيبةٌ وأشرافكُمْ قَتْلٌ [١] أسلمتموه فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خِزْيُ الدنيا والآخرة ، وإن كنتم تَرَوْنَ أنكم وافُونَ له بما دَعَوْتُموه إليه على نَهْكَةِ الأموال [٢] وَقَتْلِ الأشراف فَخُذُوه ؛ فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا : فانا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وَفَيْنا ؟ قال : « الجنة » قالوا : ابْسُطْ يَدَكَ ؛ فبسط يَدَه فبايعوه ، فأما عاصم بن عُمَر بن قَتَادة فقال : والله ماقال ذلك العباس إلا لِيشد العَقْدَ [٣] لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم ، وأما عبد الله ابن أبى بكر فقال : ماقال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبدُ الله بن أُبَىِّ ابنِ سَلُولَ فيكون أقوى لأمر القوم ، فالله أعلم أى ذلك كان

(١) هكذا فى الطبرى برفع « قتل » ووقع فى الأصول « قتلا » بنصبه ، وما بعده من قوله « مصيبة الأموال وقتل الأشراف » يرشح ما ضبطناه به

(٢) نهكة الأموال : نقصها

(٣) هذا الذى أثبتناه هو الموافق لما فى الطبرى عن ابن إسحاق ولما فى نسخة من

قال ابن هشام : سَلُولُ : امرأة من خزاعة ، وهى أم أُبىٍّ بن مالك ابن الحرث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عَوْف بن الخزرج

أول من بسط يده لبيعة رسول الله

قال ابن إسحق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أُمَامة أَسْعَدَ بن زُرَارة كان أولَ من ضَرَبَ على يده ، و بنو عَبْد الأشهل يقولون : بل أَبُو الهَيْثم ابن التَّيْهَان

قال ابن إسحق : قال الزهرى : حدثنى معبد بن كعب بن مالك ، فحدثنى فى حديثه عن أخيه عبد الله بن كعب ، عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء ابن مَعْرُور ، ثم بايع بعدُ القومُ ، فلما بايعنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صَرَخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سَمِعْتُه قط : ياأهلَ الجُبَاجِب (والجباجب : المنازل) هل لكم فى مُذَمَّم وَالصُّبَّاء[1] معه قد اجتمعوا على حَرْبكم ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هذا أَزَبُّ الْعَقَبَة ، هٰذَا ابْنُ أَزْيَبٍ »[2] (قال ابن هشام : ويقال : ابن أُزَيْب) «اسْتَمِعْ أىْ عَدُوَّ الله ، أَمَاوالله لأَفْرُغَنَّ لَكَ » قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه

أصول الكتاب ، ووقع فى باقى الأصول « العقل » محرفا عما أثبتناه ، والعقد العهد

(١) الصباء : جمع صابىء ، ووقع فى الطبرى صباة ، وكأنه حسبه جمع الصابى ـ بالياء ـ وهم إنما كانوا يقولون لمن أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صبأ ـ بالهمز ـ وهو صابىء

(٢) « ابن أزيب » أى : بفتح الهمزة وسكون الزاى وفتح الياء . وفى حكاية ابن هشام بضم الهمزة وفتح الزاى سكون الياء ، ويحكى فى ذلك ضبوط أخرى فانظر السهيلى ، قال ابن الأثير : هو شيطان اسمه أزب العقبة .

وسلم : « ارْفَضُّوا (١) إلى رِحَالِكُمْ » قال : فقال له العباس بن عُبَادة بن نَضْلة : والله الذى بعثك بالحق إن شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ على أهل منىً غداً بأسيافنا ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ ، وَلٰكِن ارْجِعُوا إلَى رِحَالِكُمْ » قال : فرجعنا إلى مضاجعنا ، فنمنا عليها حتى أصبحنا ، فلما أصبحنا غَدَتْ علينا جِلَّةُ قريش حتى جاءونا فى منازلنا ، فقالوا: يامَعْشَرَ الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حَرْبنا ، وإنه والله ما من حيٍّ من العرب أبغضَ إلينا أن تَنْشِبَ الحربُ بيننا و بينهم منكم ، قال : فانبعث مَنْ هناك من مُشْركى قومنا يَحْلفون بالله ما كان من هذا شىء ، وما علمناه ، قال : وقد صدقوا لم يعلموه ، قال : و بعضنا ينظر إلى بعض ، قال : ثم قام القوم وفيهم الْحرث بن هشام بن الْمُغيرة المخزومى وعليه نَعْلَان له جَديدان ، قال : فقلت له كلمة كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا : يا أبا جابر . أما تستطيع أن تتَّخذ وأنت سيدٌ من ساداتنا مثلَ نَعْلَىْ هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسمعها الحرثُ ، فخلعهما من رجليه ، ثم رمى بهما إلىَّ ، فقال : والله لَتَنْتَعِلَنَّهُمَا [فأل] ، قال : يقول أبو جابر: مَهْ ، أَحْفَظْتَ والله الفتى ، فارْدُدْ إليه نعليه ، قال : قلت : لا والله لا أردهما ، فَأْلٌ والله صالحٌ ، والله لئن صَدَقَ الفأل لأسْلُبَنَّهُ

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنهم أَتَوْا عبدَ الله ابن أبى ابن سَلُولَ فقالوا له مثل ما قال كَعْبٌ من القول ، فقال لهم : إن هــذا لأمْرٌ جسيم ، ما كان قومى لِيَتَفَوَّتُوا علىَّ بمثل هذا ، وما علمته كان ، قال : فانصرفوا عنه ، قال : ونفَرَ الناس من مِنًى .

(١) ارفضوا إلى رحالكم : تفرقوا إليها

فَتَنَطَّسَ القومُ [1] الخَبَرَ ، فوجدوه قد كان ، وخرجوا فى طلب القوم ، فأدركوا سَعْدَ بن عُبَادة بأَذَاخِر [2] ، والمنذرَ بن عَمْرو أخا بنى ساعِدة ابن كعب بن الخزرج ، وكلاهما كان نقيبا ، فأما المنذر فأعجزَ القومَ ، وأما سعدٌ فأخذوه فربطوا يديه إلى عنُقه بنِسْعِ [3] رَحْله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكةَ يَضْربونه ويَجْذبونه بجُمَّتِهِ ، وكان ذا شَعَرٍ كثير ، قال سعد : فوالله إنى لفى أيديهم إذ طَلَعَ علىَّ نفرٌ من قريش فيهم رجل وَضِىء أبيضُ شَعْشَاع حلو من الرجال

قال ابن هشام : الشَّعْشَاع : الطويل الحسن ، قال رؤبة :

يَمْطُوهُ مِنْ شَعْشَاعِ غَيْرِ مُوْدَنِ [4]

يعنى عنق البعير غير قصير ، يقول : مُوْدَنُ اليد : أى ناقص اليد ، يَمْطُوهُ من السير شَعشَاعٌ حُلْوٌ من الرجال

قال : قلت فى نفسى : إن يك عند أحدٍ من القوم خَيْرٌ فعند هذا ، قال : فلما دنا منى رَفَعَ يده فلكمنى لَكْمَةً شديدَةً ؛ قال : قلت فى نفسى : لا والله ما عندهم بعد هذا من خيرٍ ، قال : فوالله إنى لفى أيديهم يَسْحَبُوننى

---

(١) تنطس : أى تحسس وأكثر البحث ، والتنطس : تدقيق النظر

(٢) أذا خر : اسم موضع قريب من مكة ، وفى حديث فتح مكة « لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح دخل من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة وضربت هناك قبته »

(٣) النسع : الشراك الذى يشد به الرحل

(٤) فى عبارة ابن هشام قلق واضطراب ، والأمر هين لايحتاج إلى هذا ، فيمطوه : أى يسرع به . وأصله المطو وهو السير ؛ وشعشاع : فاعل ؛ ومن زائدة فيه على رأى أبى الحسن ، وغير مودن صفة لشعشاع حذف التنوين من شعشاع اضطرارا ؛ والمودن : هو القصير العنق الضيق المنكبين مع قصر الألواح ، هذا ما اتجه عندى .

إذ أوى [١] لى رجل ممن كان معهم ، فقال : وَيْحَكَ !! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال : قلت : بلى والله ، لقد كنت أجير لجُبَيْر بن مُطعم بن عَدِىّ بن نوفل بن عبد مناف تجَارَهُ ، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى ، وللحرث بن حَرْبِ بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . قال: ويحك !! فاهْتف باسم الرجلين ؛ واذكر ما بينك وبينهما ، قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما فى المسجد عند الكعبة فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن يُضْرَبُ بالأبطح لَيَهْتِفُ بكما ، ويذكر أن بينه وبينكما جوارا ، قالا : ومن هو ؟ قال : سَعْدُ بن عبادة ، قالا : صدق والله إن كان لَيُجِير لنا تِجَارَنَا ويمنعهم أن يُظْلَموا ببلده ، قال : فجاءا فخلصا سعدا من أيديهم ، فانطلق ، وكان الذى لَكَمَ سعداً سُهَيْلُ بن عَمْرو أخو بنى عامر بن لؤى

قال ابن هشام : وكان الرجل الذى أوى له أبا الْبَخْتَرِىّ بن هشام

قال ابن إسحق : وكان أول شعر قيل فى الهجرة بيتين قالهما ضِرار ابْنُ الخطاب بن مِرَادس ، أخو بنى مُحَارب بن فِهْر

تَدَارَكْتُ سَعْداً عَنْوَةً فَأَخَذْتُهُ وَكَانَ شِفَاءً لَوْ تَدَارَكْتُ مُنْذِرَا
وَلَوْ نِلْتُهُ طُلَّتْ هُنَاكَ جِرَاحُهُ وَكَانَ حَرِيًّا أَنْ يُهَانَ وَيُهْدَرَا

قال ابن هشام : ويروى « وكان حقيقا أن يهان وَيُهْدَرَا »

قال ابن إسحق : فأجابه حسان بن ثابت فيهما فقال : —

لَسْتَ إِلَي سَعْدٍ وَلاَ الْمَرْءِ مُنْذِرٍ
إِذَا مَامَطَايَا الْقَوْمِ أَصْبَحْنَ ضُمَّرَا [٢]

---

(١) أوى : أشفق ورحم

(٢) ضمرا : جمع ضامر ، وكان العرب يضمرون الخيل للسباق أو للركض

فَلَوْلاَ أَبُو وَهْبٍ لَمَرَّتْ قَصَائِدٌ
عَلَى شَرَفِ الْبَرْقَاءِ يَهْوِينَ حُسَّرا (١)

أَتَفْخَرُ بِالْكَتَّانِ لَمَّا لَبِسْتَهُ
وَقَدْ تَلْبَسُ الْأَنْبَاطُ رَيْطاً مُقَصَّرَا (٢)

فَلاَ تَكُ كَالْوَسْنَانِ يَحْلُمُ أَنَّهُ
بِقَرْيَةِ كِسْرَى أَوْ بِقَرْيَةِ قَيْصَرَا (٣)

وَلاَ تَكُ كَالثَّكْلَى وَكَانَتْ بِمَعْزِلٍ
عَنِ الثُّكْلِ لَوْ كَانَ الْفُؤَادُ تَفَكَّرَا (٤)

وَلاَ تَكُ كَالشَّاةِ الَّتِي كَانَ حَتْفُهَا
بِحَفْرِ ذِرَاعَيْهَا فَلَمْ تَرْضَ مَحْفَرَا (٥)

إلى العدو ، وكانوا إذا فعلوا ذلك بها أمنوا عليها البهر الشديد والاعياء إذا أحضروها ، وقد كنى حسان بذلك عن التهيؤ للحرب والاستعداد له

(١) حسرا : جمع حاسرة ، يريد لولا أبو وهب لكانت قصائدك قد انقطع بها السير فى طريقها إلينا لأنها من سفساف القول ورديئه ، لكنه حملها إلينا فبلغتنا

(٢) الكتان ـ بفتح أوله وتشديد ثانيه ـ معروف ، والانباط : جيل من الناس كانوا ينزلون سواد العراق ؛ والريط ـ بفتح فسكون ـ جمع ريطة ، وهى الملحفة البيضاء

(٣) الوسنان : النائم

(٤) الثكلى : التى فقدت ولدها

(٥) يشير إلى مثل سببه أن رجلا وجد شاة بالفلاة وهو جائع ، وليس معه ما يذبحها به ، فلما أمسكها ظلت تحفر الأرض بأرجلها حتى ظهرت مدية كانت مطمورة فى الرمل ، فأخذها فذبحها بها . وفى ذلك يقول العرب : سعى إلى حتفه بظلفه ، والحتف : الموت ، ومحفرا : يكون مصدرا بمعنى الحفر ويكون اسم مكان

وَلاَتَكُ كَالْغَاوِى فَأَقْبَلَ نَحْرَهُ
وَلَمْ يَخْشَهُ سَهْمًا مِنَ النَّبْلِ مُضْمَرَا (١)
فَإِنَّا وَمَنْ يُهْدِى الْقَصَائِدَ نَحْوَنَا
كَمُسْتَبْضِعٍ تَمْرًا إِلَي أَهْلِ خَيْبَرَا (٢)

صنم المسلمين بالمدينة صنم عمرو ابن الجموح

فلما قدموا المدينة أظهروا الاسلام بها ، وفى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك : منهم عَمْرو بن الْجُموحِ بن زيد بن حَرام بن كَعْب بن غَنْمِ بن كَعْب بن سَلِمَة ، وكان ابنه مُعَاذُ بن عمرو شهد الْعَقَبَة وبَايَع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وكان عمْرُو بن الجموح سيدًا من سادات بنى سَلِمَة ، وشريفا من أشرافهم ، وكان قد اتخذ فى داره صَنَمًا من خشب يقال له : مناة ، كما كانت الأشراف يَصْنَعُونَ ، تتخذ إلها تُعَظِّمُهُ وتُطهره ، فلما أسلم فِتْيَانُ بنى سَلِمة مُعَاذُ بن جَبَل وابنه مُعَاذُ بن عمرو فى فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة كانوا يدلجون بالليل على صَنَم عَمْرو ذلك فَيَحْملونه فيطرحونه فى بعض حُفَر بنى سَلِمة وفيها عِذَرُ الناس مُنَكَّسًا على رأسه ، فاذا أصبح عَمْرو قال : ويلكم !! من عدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ قال : ثم يغدُو يلتمسه ، حتى إذا وجده غَسَله وَطَهَّره وَطيَّبه ، ثم قال : أما والله لو أعلم مَنْ فعل هذا بك لأُخْزِيَنَّهُ ، فاذا أمسى ونام عَمْرو عَدَوْا عليه ففعلوا به مثل ذلك ، فيغدو فيجده فى مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويطهره ويطيبه ، ثم يَعْدُون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجه من

---

(١) أقبل نحره السهم : جعل نحره قبالة السهم

(٢) يقول : نحن أهل الشعر ، والمقال مقالنا . فكيف تتعرض لنا بالقول ، وخيبر : إحدى البلاد الشهيرة بالتمر ، ويقال أيضا : كمستبضع التمر إلى هجر

حيث أَلْقَوْهُ يوما فغسله فطَهَره وطيَّبه ثمّ جاء بسيفه فعلّقه عليه ، ثم قال له : إنى والله ما أعلم من يَصْنع بك ماترى : فان كان فيك خيْرٌ فامتنع فهذا السيف معك ، فلما أمسى ونام عَمْرٌو عَدَوْا عليه ، فأخذوا السيف من عُنقه ، ثم أخذوا كَلْباً مَيْتاً فقرَنوه به بحَبْل ثم ألْقَوْه فى بئرمن آبار بنى سَلمة فيها عِذَر من عِذَر الناس ، وغدا عَمْرو بن الجموح فلم يجده فى مكانه الذى كان به ، فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر مُنكَّسا مَقْرُوناً بكلب ميت ، فلما رآه أبصر شأنه وكلّمه مَنْ أسلم من قومه ، فأسلم يرحمه الله وحسن إسلامه ، فقال — حين أسلم ، وعرف من الله ماعرف ، وهو يذكر صنمه ذلك ، وما أبصر من أمره ، ويشكر الله تعالى الذى أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة — فقال : —

وَاللهِ لَوْ كُنْتَ إلهًا لَمْ تَكُنْ ... أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسْطَ بِئْرٍ فِى قَرَنْ (١)

أُفٍّ لِمَلْقَاكَ إلهًا مُسْتَدَنْ ... الْآنَ فَتَّشْنَاكَ عَنْ سُوءِ الْغَبَنْ (٢)

أَلْحَمْدُ لِلهِ الْعَلِيِّ ذِى الْمِنَنْ ... الْوَاهِبِ الرَّزَّاقِ دَيَّانِ الدِّيَنْ (٣)

---

(١) القرن — بفتح القاف والراء — الحبل

(٢) « مستدن » قال أبو ذر « أى ذليل مستعبد » وقال السهيلى « هو من السدانة وهى خدمة البيت » والغبن — بالباء — يكون فى الرأى ، تقول غبن رأى فلان ، كما تقول : سفهت نفس فلان ، وربما نصبت الرأى فقلت : غبن فلان رأيه ، كما تقول سفه فلان نفسه ، وإنما ساغ ذلك لأنك حينئذ تضمنه معنى فعل آخر ، كأنك قلت خسر فلان نفسه ، ونحو ذلك

(٣) الدين — بكسر الدال وفتح الياء — جمع دينة ، وهى العادة ، ويقال للعادة : دين أيضا بغير تاء ، ويجوز أن يكون أراد الأديان ؛ أى : هو ديان أهل الأديان ، ولكنه جمعها على دين كما يجمع نحو نحل وملل ، وذلك من باب حمل الشىء

هُوَ الَّذِى أَنْقَذَنِى مِنْ قَبْلِ أَنْ أَكُونَ فِى ظُلْمَةِ قَبْرٍ مُرْتَهَنْ
بِأَحْمَدَ الْمَهْدِى النَّبِيِّ الْمُؤْتَمَنْ

قال ابن إسحق : وكان [فى] بيعة الحرب ـ حين أذن الله لرسوله فى القتال ـ شروط سوى شرطه عليهم فى العقبة الأولى : كانت الأولى على بيعة النساء ، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذِنَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحرب ، فلما أذن له فيها وبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة الآخرة على حرب الأحمر والأسود أخذ لنفسه ، واشترط على القوم لربّه وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنةَ

بيعة العقبة الآخرة وشروطها

قال ابن إسحق : فحدثنى عُبَادة بن الْوَليد بن عُبادة بن الصَّامت عن أبيه الوليد ، عن جده عُبَادة بن الصَّامت ، وكان أحدَ النُّقَبَاء ، قال : بَايَعْنَا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بَيْعَةَ الْحَرْبِ ، وكان عُبادة من الاثْنَىْ عَشَرَ الذين بايعوا فى العقبة الأولى على بيعة النساء ، على السَّمْع والطاعة فى عُسْرنا ويُسْرنا ومَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا وأَثَرَة علينا ، وألا نُنَازِع الأمر أَهْلَه ، وأن نقول بالحق أينما كُنَّا ، لا نخاف فى الله لَوْمَةَ لائم

قال ابن إسحق : وهذه تسمية من شَهِد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، من الأوس والخزرج ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين

على مايفيد معناه ، أعنى أنهم حملوا الدين على النحلة لأنهما بمعنى فجمعوا الأول كما يجمعون الثانى ، وهذه طريقة للعرب ، ألا ترى أنهم جمعوا الحرة على حرائر ، لأنها بمعنى الكريمة والعقيلة ، وهما يجمعان على كرائم وعقائل

شهدها من الأوس بن حارثة بن ثَعلبة بن عَمْرو بن عَامر ، ثم من بنى عبد الأشهل بن جُشَم بن الْحرث بن الْخَزْرج بن عَمْرو بن مَالك بن الأوس: أُسَيْد بن حُضَير بن سِمَاك بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس ابن زَيْد بن عبد الأشهل ، نقيب ، لم يشهد بدرا ، وأبو الْهَيْثَم بن التَّيِّهان ، واسمه مالك ، شهد بدرا ، وسلمة بن سلَامة بن وَقْش بن زُغْبة[١] بن زَعُوراء بن عبد الأشهل ، شهد بدرا ؛ ثلاثة نفر

قال ابن هشام : ويقال بن زَعَوْرَاء[٢] بفتح العين

قال ابن إسحق : ومن بنى حَارثة بن الْحرث بن الْخَزرج بن عَمْرو ابن مَالك بن الأوس: ظهير بن رافع بن عَدِىّ بن زَيْد بن جُشَم بن حارثة؛ وأبو بردة بن نيار[٣] واسمه هانىء بن نيار بن عمرو بن عبيد [بن عمرو] ابن كلاب بن دهمان بن غنْم بن ذبيان[٤] بن هميم بن كاهل بن ذُهْل بنى هنى بن بلى بن عمرو بن إلحاف بن قُضَاعة ، حليف لهم ، شهد بدرا ؛ ونهير بن الهيثم ، من بنى نابى بن مجدعة بن حارثة ، ثم من آل السوَّاف ابن قيس بن عامر بن نابى بن مجدعة بن حارثه ؛ ثلاثة نفر

ومن بنى عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس : سَعْد بن خيثمة بن الْحرث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن

---

(١) فى بعض النسخ « زعبة » بالعين المهملة ، وفى أخرى « زغبة » بالغين المعجمة ، والذى فى القاموس بالمعجمة ، وضبطه بضم الزاى وسكون الغين ، ذكر ذلك فى (و ق ش) ولم يذكره فى مادته الأصلية

(٢) فى بعض النسخ « قال ابن هشام : ويقال زعور » وفى القاموس « زعور كجدول بطن »

(٣) فى بعض النسخ « بن دينار » وفى القاموس « وأبو بردة بن نيار ككتاب » اه

(٤) وقع فى بعض النسخ بدل ذبيان « ذهل »

السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس ، نقيب ، شهد بدرا فقتل به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا

قال ابن هشام : ونسبه ابن إسحق فى بنى عَمْرو بن عَوْف

قال ابن هشام : وهو من بنى غَنْم بن السلم ، لأنه ربما كانت دعوة الرجل فى القوم أو يكون فيهم فينسب إليهم

قال ابن إسحق : ورفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر (١) بن زيد بن أبى أمية بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عَمْرو ، نقيب شهد بدرا [وقتل يوم أحد شهيدا] ؛ وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البُرَك ، واسم البرك امرؤ القيس بن ثَعْلبة بن عَمْرو ، شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الرُّمَاة ، ويقال : أمية بن البَرْك (٢) فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : ومعن بن عدى بن الجد بن العجلان [بن حارثة] ابن ضبيعة ، حليف لهم من بلى ، شهد بدرا وأحدا والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، قتل يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ؛ وعُوَيْم بن ساعدة ، شهد بدرا وأحدا والخندق ، خمسة نفر

فجميع من شهد العقبة من الأوس أحَدَ عَشَرَ رجلا

وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثَعْلبة بن عَمْرو بن عامر ، ثم من

---

(١) فى القاموس «زنتر» بوزن جعفر ، وبالتاء المثناة ، ووقع فى بعض نسخ الكتاب « زنير » بالياء المثناة ، وفى بعضها « زنبر » بباء موحدة وهذا هو الصواب ، وقد استدرك على القاموس ضبطه بالتاء المثناة كما فى الشرح

(٢) « البرك » ضبط فى أصول النسخ الأول بضم البـاء وفتح الراء والثانى بفتح الباء وسكون الراء ، كذا فى هامش نسخة من الأصل

بنى النَّجّار وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج : أبو أيوب ، وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عَبْد عَوْف بن غَنْم بن مالك بن النَّجَّار ، شهد بَدْراً وأحداوالخندق والمشاهد كلها ، مات بأرض الروم غازياً فى زمن معاوية بن أبى سفيان ؛ ومُعَاذ بن الْحرث بن رِفاعة بن سَوَاد [ابن مالك] ابن غَنْم بن مالك بن النَّجّار ، شهد بدرا وأحداً والخندق والمشاهد كلها ، وهو ابن لعَفْراء ، وأخوه عَوْف بن الْحرث، شهد بدرا وقتل به شهيدا ، [وأخوه معوذ بن الحرث ، شهد بدرا وقتل به شهيدا وهو الذى قتل أبا جهل ابن هشام بن المغيرة (١)] وهو لعفراء . ويقال : رفاعة بن الْحرث بن سوَاد ، فيما قال ابن هشام ؛ وعمارة بن حَزْم بن زيد بن لَوْذَان ابن عَمْرو بن عَبْدعَوْف بن غَنْم بن مالك النَّجّار ، شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها ، قتل يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ؛ وأسعد بن زُرَارة بن عُدَس بن عبيد بن ثَعْلبة بن غَنْم بن مالك ابن النَّجّار ، نقيب ، مات قبل بدر ومسجدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبْنَى ، وهو أبو أمَامة ، ستة نفر

ومن بنى عمرو بن مبذول ، ومبذول : عامر بن مالك بن النجّار : سهل بن عتيك بن نعمان بن عمرو بن عتيك بن عمرو ، شهد بدرا ؛ رجل

ومن بنى عَمْرو بن مالك بن النَّجّار (وهم بنو حُدَيلة (٢))

قال ابن هشام : حُدَيلة : بنت مالك بن زَيْد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جُشَم بن الخزرج

---

(١) ما بين القوسين فى بعض النسخ ، وفى أخرى ثبت من قوله « هو الذى قتل أبا جهل : الخ » قبل هذه الزيادة ؛ يعنى أن هذه النسخة تثبت أن الذى قتل أبا جهل هو معوذ ، وتلك تثبته لعوف بن الحرث

(٢) فى بعض النسخ « جديلة » بالجيم الموحدة

أوسُ بْنُ ثابت بن المنذر بن حَرَام بن عَمْرو بن زَيْد مَنَاة ابن عَدِىّ بن عَمْرو بن مالك ، شهد بدرا ؛ وأبو طلحة ، وهو زَيْدُ ابن سَهْل بن الأسود بن حَرَام بن عَمْرو بن زَيْد مَنَاة بن عَدِىّ بن عَمْرو ابن مالك ، شهد بدرا ، رجلان

ومن بنى مازن بن النجار : قَيْسُ بن أبى صَعْصَعَة ، واسم أبى صعصعة : عَمْرو بن زيد بن عَوْف بن مَبْذُول بن عَمرو بن غَنْم بن مازن ، شهد بدرا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله على السَّاقة يومئذ ، وعمرو بن غزية بن عمرو بن ثَعْلَبَة [بن عطية] بن خنساء بن مَبذول بن عمرو بن غَنم بن مازن ، رجلان

فجميعُ من شهد العقبة من بنى النجار أحَدَ عَشَر رجلاً

قال ابن هشام : عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة [بن عطية] بن خَنْساء ، هذا الذى ذكره ابن إسحق إنما هو غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء

قال ابن إسحق : ومن بَلْحرث بن الخَزْرج : سَعْدُ بن الربيع بن عمرو بن أبى زُهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث ، نقيب شهد بدرا ، وقتل يوم أحد شهيدا ؛ وخارجةُ بن زَيْد بن أبى زُهَير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثَعْلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث ، شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا ، وعبدُ الله بن رواحة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث ، نقيب شهد بدراً وأحدا والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، إلا الفتح ومابعده ، قتل يوم مُؤْتَة شهيدا أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بشير بن سَعْد [بن ثعلبة بن جلاس بن زيد بن مالك] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن

الحرث ، أبو النعمان بن بشير ، شهد بدرا ، وعبد الله بن زيد [مناة] ابن ثَعْلبة بن عبد ربه بن زيد بن الحرث بن الخزرج بن الحرث ، شهد بدراً وهو الذى أُرِىَ النِّدَاء للصلاة فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر[ه] به ؛ وخَلَّاد بن سُوَيد بن ثَعْلَبَة بن عَمْرو بن حارثة بن امرىء القيس بن مالك بن ثَعْلبة بن كَعْب بن الخزرج بن الحرث ، شهد بدراً وأحدا والخندق ، وقتل يوم بنى قُرَيْظة شهيدا ، طرحت عليه رَحًا من أُطُم (١) من آطامها فشَدَخته شَدْخاً شديداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون : « إنَّ لَهُ لَأَجْرَ شَهِيدَيْنِ » وعقبة بن عمرو ابن ثعلبة بن أُسَيْرة (٢) بن عسيرة بن جِـــدَارة (٣) بن عَوْف بن الحرث ، وهو أبو مَسْعود ، وكان أَحدَثَ من شهد العقبة سِنًّا [مات فى أيام معاوية] لم يشهد بدرا ، سبعة نفر

ومن بنى بَيَاضة بن عامر بن زُرَيق بن عَبْد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج : زيادُ بن لَبِيد بن ثَعْلَبه بن سِنان بن عامر بن عَدِى بن أُمَيَّة بن بيَاضَة ، شهد بدرا ، وَفَرْوَةُ بن عمرو بن وَذَفَةَ بن عبيد بن عامر بن بيَاضَةَ ، شهد بدرا

قال ابن هشام : ويقال وَدِفة (٤)

---

(١) الأُطم — بضمتين — الحصن

(٢) فى نسخة « يسيرة »

(٣) قال أبو ذر : « يروى هنا بفتح الجيم وكسرها ويروى أيضا خدارة بخاء معجمة مضمومة ، وهو أخو خدرة الذى ينسب إليه أبو سعيد الخدرى ؛ وبالجيم المكسورة قيده الدار قطنى » اه

(٤) قال أبو ذر : « ذكره ابن إسحاق بذال معجمة ، وقال ابن هشام ويقال : ودفة يعنى بدال مهملة . قال الشيخ الفقيه أبو ذر : من رواه بالذال المعجمة فهو من توذف فى مشيته إذا تبختر ويقال إذا أسرع ، ومن رواه بالدال المهملة فهو من ودفت الشحمة إذا قطرت وبالدال المهملة ذكره صاحب العين »

قال ابن إسحق : وخالدُ بن قَيْس بن مالك بن العَجْلان بن عامر ابن بَيَاضة ، شهد بدرا ، ثلاثة نفر

ومن بني زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ابن جُشَم بن الخزرج : رَافع بن مالك بن العَجْلان بن عَمْرو بن عامر بن زُرَيق ، نقيب ؛ وذَكْوَان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق ، وكان خرج إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معه بمكة فهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فكان يقال له : مُهَاجِرِيٌّ أَنْصَارِيٌّ ، شهد بدرا وقُتل يوم أحد شهيدا. وعُبَادَة [1] بن قَيْس ابن عامر بن خَلَدَة بن مخلد [2] بن عامر بن زُرَيق ، شهد بدراً ، والحرثُ ابن قيس بن خالد [3] بن عامر بن زريق [وهو أبو خالد] شهد بدرا ، أربعة نفر

ومن بني سَلِمةَ بن سَعْد بن على بن أَسد بن سَارِدة بن تزيد بن جُشم بن الخَزْرج ، ثم من بني عبيد بن عَدِي بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة : البَرَاء بن مَعْرور بن صَخْر بن خَنْسَاء بن سِنان بن عبيد بن عدى ابن غَنْم ، نقيب ، وهو الذى تَزْعُم بنو سلمة أنه كان أوَّل من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط له واشترط عليه ، ثم توفى قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وابنه بشر بن البَرَاء بن معرور شهد بدرا وأحدا والخندق ، ومات بخيبر من أَكْلَة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة التى سُمَّ فيها ، وهو الذى قال له رسولُ الله

(١) فى نسخة « عباد »

(٢) فى نسخة « بن عامر بن خالد بن زريق »

(٣) فى نسخة « بن خالد بن مخلد بن عامر بن عامر »

صلى الله عليه وسلم حين سأل بنى سَلِمة « مَنْ سَيِّدُكُمْ يَابَنِى سَلِمة » ؟ فقالوا : الجد بن قيس على بخله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « وأىُّ دَاءٍ أَكْبَرُ مِنَ الْبُخْلِ، سَيِّدُ بَنِى (١) سَلِمة الأَبْيَضُ الْجَعْدُ بِشْرُ ابْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ » ، وسنانُ بن صَيْفِى بن صَخْر بن خنساء بن سنان ابن عبيد ، شهد بدرا [وتوفى يوم الخندق شهيدا] والطُّفَيْل بن النُّعْمان بن خَنْساء بن سِنان بن عبيد، شهد بدرا وقتل يوم الخندق شهيدا؛ ومعقل بن المنذر بن [سرح بن] خناس بن سِنان بن عبيد، شهد بدرا، ويزيد بن المنذر بن سرح ابن خناس بن سنان بن عبيد، شهد بدرا، ومسعود بن يزيد بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد ، والضَّحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد ، شهد بدرا ، ويزيد بن خذام بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد ،وجُبَار ابن صخر (٢) بن أمية بن خنساء بن سنان بن عبيد ، شهد بدرا

قال ابن هشام : ويقال : جَبَّار (٣) بن صخر (٢) بن أمية بن خناس

قال ابن إسحق : والطفيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد ، شهد بدرا ، أحد عشر رجلا

---

(١) قال السهيلى : « وروى عن الزهرى وعامر الشعبى أنهما قالا فى هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم « بل سيدكم عمرو بن الجموح » وقال شاعر الأنصار فى ذلك : —

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ، وَالْحَقُّ قَوْلُهُ ، ... لِمَنْ قَالَ مِنَّا : مَنْ تَعُدُّونَ سَيِّدَا
فَقَالُوا لَهُ : جَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى الَّتِى ... نُبَخِّلُهُ فِيهَا ، وَمَا كَانَ أَسْوَدَا
فَسَوَّدَ عَمْرَو بْنَ الْجَمُوحِ لِجُودِهِ ... وَحُقَّ لِعَمْرٍو عِنْدَنَا أَنْ يُسَوَّدَا

(٢) فى نسخة « بن صخرة »

(٣) « ويقال جبار » أى : بفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة، وضبط الأول بضم الجيم وتخفيف الموحدة فى بعض النسخ ، كذا بهامش بعض الأصول

وَمن بنى سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلمـة ، ثم من بنى كعب بن سواد : كَعْبُ بن مالك بن أبى كعب بن القَيْن[١] بن كعب ، رجل

ومن بنى غَنْم بن سَوَاد بن غَنْم بن كَعْب بن سلمة : سُلَيم بن عَمْرو بن حديدة بن عمرو بن غنم ، شهد بدرا ، وقُطْبَة بن عامر بن حديدة بن غنم بن عمرو ، شهد بدراً ، ويزيد بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم ، وهو أبو المنذر ، شهد بدرا ، وأبو اليَسَر ، واسمه كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم ، شهد بدرا ، وصَيفىّ بن سَوَاد بن عباد بن عمرو بن غنم ، خمسة نفر

قال ابن هشام : صَيْفِى : ابْنُ أسود بن عباد بن عمرو بن سواد ، ليس لسواد ابن يقال له : غنم

قال بن إسحق : ومن بنى نابى بن عمرو بن سواد بن غنم بن كَعْب بن سَلِمَةَ : ثعلبةُ بن غنمة بن عدى بن نابى ، شهد بدرا وقتل بالخَنْدَق شهيداً ، وعمرو بن غنمة بن عدى بن نابى ؛ وعبس بن عامر بن عدى بن نابى ، شهد بدرا ، وعبد الله بن أنيس ، حليف لهم من قضاعة ، وخالد بن عمرو بن عدى بن نابى ، خمسة نفر

قال ابن إسحق : ومن بنى حَرَام بن كَعْب بن غنم بن كعب ابن سَلِمة : عَبْدُ الله بن عَمْرو بن حَرام بن ثعلبة بن حَرَام ، نقيب ، شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا ، وابنه جابر بن عبد الله ، ومُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرَام ، شهد بدرا ؛ وثابت بن الجِذْع ، والجِذْع : ثعلبة بن زيد ابن الْحرث بن حَرَام ، شهد بدرا وقتل بالطائف شهيدا ، وعُمَيْر بن الْحرث ابن ثعلبة بن زَيْد بن الْحرث بن حَرَام ، شهد بدرا

قال ابن هشام : عُمَيْر : ابن الحرث بن لَبْدَة بن ثعلبة

قال ابن إسحق : وخَدِيج بن سلَامة ابن أوْس بن عَمْرو بن

(٣) فى نسخة « من القين »

الْقَرَافِر (١) ، حليف لهم من بلى ، ومُعَاذُ بن جَبَل بن عَمْرو بن أوْس ابن عائذ بن عدى بن كَعْب بن عَمْرو بن أدَىّ (٢) بن سَعْد بن على ابن أسد ، ويقال : أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج ، وكان فى بنى سلمة ، شهد بدرا والمشاهد كلها ، ومات بعَمْوَاسَ عَام الطاعون بالشام فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وإنما ادَّعَتْه بنو سَلِمة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سِنان ابن عبيد بن عَدِىّ بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمة لأمه ، سبعة نفر

قال ابن هشام : أوس بن عباد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أُدَىّ ابن سعد

قال ابن إسحق : ومن بنى عَوْف بن الخَزْرج ثم من بنى سالم بن عَوْف بن عَمْرو بن عَوْف بن الخَزْرج : عُبَادة بن الصَّامِت بن قَيْس بن أصْرَم بن فِهْر بن ثَعْلَبة بن غَنْم بن سَالِم بن عَوْف ، نقيبٌ ، شهد بدرا والمشاهد كلها

قال ابن هشام : وهو غنم بن عَوْف أخو سالم بن عوف بن عَمْرو بن عَوْف بن الخَزْرج

قال ابن إسحق : والعبَّاسُ بن عُبَادة بن نَضْلة بن مالك بن العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سَالِم بن عَوْف . وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأقام معه بها ، فكان يقال

---

(١) قال أبو ذر « القرافر : يروى بالفاء والقاف »

(٢) « أدى » هكذا هو فى نسخ الكتاب . وهو موافق لما حكاه فى الروض عن ابن إسحاق ، وفى بعض النسخ « أذن » وضبط بضم الهمزة وفتح الذال المعجمة ، مع أنها ذكرت فيما حكى ابن هشام كما أثبتناه أولا قال السهيلى : « وذكر معاذ بن جبل ونسبه إلى أدى بن سعد بن على أخى

له : مهاجريٌّ أنصاريٌّ ، وقتل يوم أحد شهيدا ؛ وأبو عبد الرحمن بن يزيد بن ثَعْلَبة بن خَزَمة (١) بن أَصْرَم بن عَمْرو بن عَمَّارة ، حليفٌ لهم من بنى غُصَيْنَة (٢) من بَلِىّ ؛ وعمرو بن الحرث بن لَبْدَة بن عمرو بن ثعلبة ، أربعة نفر ، وهم القواقل

ومن بنى سالم بن غَنْم بن عَوْف بن الخزرج ، وهم بنو الحُبْلَى

قال ابن هشام : الحُبْلَى : سَالم بن غَنْم بن عَوْف ، وإنما سمى الحُبْلى لعظم بطنه

رفاعةُ بْنُ عمرو بن زيد بن عَمْرو (٣) بن ثَعْلبة بن مالك بن سالم ابن غَنْم ، شهد بدرا ، وهو أبو الوليد

قال ابن هشام : ويقال : رفاعة بن مالك ، ومالك : ابن الوليد (٤) ابن عبد الله بن مالك بن ثعلبة بن جُشَم بن مالك بن سالم

قال ابن إسحق : وعُقْبَة بن وَهْب بن كَلْدَة بن الجَعْد بن هلال ابن الحرث بن عَمْرو بن عَدِىّ بن جُشَم بن عَوْف بن بُهْثَة بن عبد الله بن غَطَفان بن سعد بن قَيْس بن عَيْلان ، حليف لهم ، شهد بدراً ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا من المدينة إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجريٌّ أنصارى

سلمة ، وقد انقرض عقب أدى ، وآخر من مات منهم عبد الرحمن بن معاذ ابن جبل ، وقد يقال فى أدى : آذن ، فى غير رواية ابن إسحق وابن هشام » اه

(١) قال السهيلى : « بسكون الزاى . كذا قال فيه ابن إسحاق وابن الكلبى وقال الطبرى فيه خزمة بتحريك الزاى ، وهو بلوى من بنى عمارة — بفتح العين وتشديد الميم — ولا يعرف عمارة فى العرب إلا هذا » اه

(٢) فى بعض النسخ « عصينة » بالعين مهملة

(٣) فى ثلاث نسخ « عمر »

(٤) فى بعض النسخ « ومالك أبو الوليد ابن عبد الله — الخ »

قال ابن هشام : رجلان

قال ابن إسحق : ومن بنى ساعدة بن كَعْب بن الخزرج : سعد ابن عُبَادة بن دُلَيم بن حَارثة بن أبى حزيمة بن ثعلبة بن طَريف بن الخَزْرج ابن ساعدة ، نقيب ، والمنذرُ بن عمرو بن خُنَيس بن حارثة بن لَوْذان ابن عبدودّ بن زَيْد بن ثَعْلبة بن جُشَم بن الخَزْرج بن ساعدة ، نقيب شهد بدرا وأحدا ، وقتل يوم بئر معونة أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كان يقال له : أعْنَقَ [١] لِيَمُوتَ ، رجلان

قال ابن إسحق : فجميع من شهد العقبةَ ، من الأوس والخزرج ثلاثةٌ وسبعون رجلاً وامرأتان منهم ، يزعمون أنها قد بايعتا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايصافح النساء ، إنما كان يأخذ عليهنّ ، فاذا أقْرَرْنَ قال: « اذْهَبْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ »

نسيبة بنت كعب المازنية

من بنى مازن بن النجار : نسَيْبة بنت كَعْب بن عَمْرو بن عَوْف ابن مَبْذول بن عَمْرو بن غَنْم بن مازن ، وهى أم عمارة ، كانت شهدت الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت معها أخْتُها ، وزوجها زَيْد بن عاصم بن كعب ، وابناها حبيبُ [٢] بن زيد وعبد الله بن زيد ، وابْنُها حبيب [١] الذى أخذه مُسَيْلمة الكذَّابُ الحَنَفِيُّ صاحبُ اليمامة ، فجعل يقول له : أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول : نعم، فيقول : أفتشهد أنى رسول الله فيقول : لا أسمع ، وجعل يقطعه عضواً عضوا حتى مات فى يده لايزيده على ذلك إذا ذُكر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه ،

(١) أعنق — بنون بعد العين المهملة — أى سار العنق وهو ضرب من السير السريع ، وفى بعض أصول الكتاب « أعتق » بالمثناة ، وهو تحريف

(٢) فى بعض النسخ « خبيب » بالخاء معجمة

وإذا ذكر له مسيلمة قال : لاأسمع ، فخرجتْ إلى اليمامة مع المسلمين ، فباشَرَتْ الحربَ بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ، ورجعت وبها اثنَا عَشَرَ جرحا من بين طعنة وضربة

قال ابن إسحق : حدثنى هذا الحديثَ عنها محمدُ بن يحيى بن حبان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة

ومن بنى سلمة : أُمُّ منيع ، واسمها أَسْمَاء بنت عمرو بن عَدِىّ بن نابى بن عمرو بن سَوَاد بن غَنْم بن كَعْب بن سلمة

[نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدّثنا أبو محمد عبدُ الملك بن هشام ، قال : حدثنا زيادُ بن عبد الله البَكّائى ، عن محمد بن إسحق المطلبي ، قال :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بَيْعَة العقبة لم يُؤْذَن له فى الحرْب ، ولم تُحَلَّل له الدِّماء ، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله ، والصَّبر على الأذى ، والصَّفح عن الجاهل ، وكانَتْ قريشٌ قد اضطهدت من اتَّبَعَه من قومه من المهاجرين حتى فَتَنُوهُم عن دينهم ، ونَفَوْهُم من بلادهم ، فهم من بين مَفْتُون فى دينه ، ومن بين مُعَذَّب فى أيديهم ، و بين هارب فى البلاد فرارا : منهم مَنْ بأرض الحبشة ، ومنهم مَنْ بالمدينة ، وفى كل وجه

فلما عَتَتْ قريشٌ على الله عز وجل ، ورَدُّوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكَذَّبوا نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعَذَّبوا وَنَفَوْا من عَبَده ووَحّده وصدّق نبيه واعتصم بدينه — أَذِنَ الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال ، والامتناع والانتصار ممن ظلمهم و بغى عليهم ؛

فكانت أول آية أنزلت فى إذنه له فى الحرب و إحلاله له الدماء ، والقتال لمن بغى عليهم — فيما بلغنى عن عُرْوَةَ بن الزُّبَير وغيره من العلماء — قولُ الله تبارك وتعالى(٢٢ :٣٩ ـ ٤١) : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) أى : إنى إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظلموا ، ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم و بين الناس إلا أن يعبدوا الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين

ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه (٢ : ١٩٣) :(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ)أى : حتى لايفتن مؤمن عن دينه (وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) أى : حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره

رسول الله يأمر أصحابه بالهجرة الى المدينة

قال ابن إسحق : فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم فى الحرب ، وتابعه هذا الحىُّ من الأنصار على الاسلام والنُّصْرةُ له ولمن اتبعه ، وأوى إليهم من المسلمين ؛ أَمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة ، والهجرة إليها ، واللُّحُوق باخوانهم من الأنصار . وقال : «إنَّ اللهَ عزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لكم إخوانا وَدارًا تأْمَنُونَ بها» فخرجوا أرْسَالا ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يَأْذَنَ له ربه فى الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة

أول مهاجر إلى المدينة أبو سلمة المخزومي

فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش من بنى مخزوم : أبو سَلَمَة بن عبد الأسد بن هلال ابن عَبْد الله بن عُمَر بن مَخْزوم ، واسمه عبد الله ، هاجر إلى المدينة قبل بَيْعة أصحاب العقبة بسنة ، وكان قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكةَ من أرض الحبشة ، فلما آذته قريشٌ وبَلَغَه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجرا

قال ابن إسحق : فحدثني أبي إسحقُ بْنُ يَسَار ، عَن سَلَمَة بن عبد الله بن عُمَر بن أبي سَلَمَة ، عن جدَّته أمِّ سلمة زَوْج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رَحَل لى بعيرَهُ ، ثم حملنى عليه ، وحَمَل معى ابنى سَلَمَةَ بْنَ أبى سَلَمَة فى حِجْرى ، ثم خرج بى يَقُود بى بعيره ، فلما رأته رجالُ بنى المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم قاموا إليه ، فقالوا : هذه نَفْسُكَ غَلَبْتَنَا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه ، عَلامَ نَتْرُكُك تسير بها فى البلاد ؟ قالت : فنزعوا خُطَامَ البعير من يده ، فأخذونى منه ، قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رَهْطُ أبى سلمة قالوا : لا والله لانترك ابننا عندها إذْ نَزَعْتُمُوها من صاحبنا ، قالت : فتجاذبوا ابنى سَلَمَةَ بينهم ، حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحَبَسَنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة ، قالت : فَفُرِّقَ بينى و بين زوجى وبين ابنى ، قالت : فكنت أخرج كُلَّ غَدَاةٍ فأجلسُ بالأبطح ، فما أزال أبكى حتى أُمْسِي ، سَنَةً أو قريبا منها ، حتى مَرَّ بى رجلٌ من بنى عَمِّى أحد بنى المغيرة ، فرأى مابى ، فرحمنى ، فقال لبنى المغيرة : ألا تُخرجون من هذه المسكينة ؟ فَرَّقْتُمْ بينها وبين زَوْجها وبين وَلَدِها ، قالت : فقالوا لى : الْحَقِي بزَوْجِكِ إن شئت ، قالت : وَرَدَّ بنو عبد الأسد إلىَّ عندَ

ذلك ابنى ، قالت : فارتحلت بعيرى ، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ، قالت : وما معى أحدٌ من خَلْق الله ، قالت : فقلت : أتبلغ بمن لقيت حتى أَقْدَمَ عَلَى زَوْجى ، حتى إذا كنتُ بالتَّنْعيم لقيتُ عُثْمَانَ بن طَلْحَة بن أبى طَلْحَة أخابنى عبد الدار ، فقال لى : إلى أين يابنت أبى أمية ؟ قالت : فقلت : أريد زوجى بالمدينة ، قال : أوَمَامعكِ أحَدٌ ؟ قالت : فقلت : لا والله إلا الله وبُنَىّ هذا ، قال : والله مالكِ من مَتْرَك ، فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معى يَهْوِى بى ، فوالله ما صَحِبْتُ رجلاً من العرب قَطُّ أُرَى أنه كان أَكْرَمَ منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت عنه استأخر ببعيرى فحَطَّ عنه ثم قَيَّدَه فى الشجرة ، ثم تَنَحَّى إلى الشجرة فاضْطَجَع تحتها ، فاذا دنا الرَّوَاحُ قام إلى بعيرى فقدمه فرَحَلَه ، ثم استأخر عنى فقال : اركبى ، فاذا ركبتُ فاستويتُ على بعيرى أتى فأخذ بخطامه ، فقادنى حتى ينزل بى ، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عَمْرِو بن عوف بقُبَاء قال : زَوْجُكِ فى هذه القرية ، وكان أبوسلمة بها نازلا ، فادْخُلِيهَا على بركة الله ، ثم انصرف راجعا إلى مكة ، قال : فكانت تقول : والله ما أعلم أَهْلَ بيتٍ فى الاسلام أصابهم ما أصابَ آلَ أبى سَلَمَة ، وما رأيت صاحبا قَطُّ أَكْرَمَ من عُثْمَانَ بْنِ طلحة

هجرة عامر بن ربيعة وامرأته ليلى

قال ابن إسحق : ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبى سلمة : عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة [بن غانم] بن عبد الله بن عَوْف بن عبيد بن عُوَيج بن عَدِىّ بن كعب

هجرة عبد الله بن جحش وأهله

ثم عَبْدُ الله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمر بن صَبِرة بن مُرَّة بن كبير ابن غَنْم بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيمة ، حليفُ بنى أمية بن عبد شمس ،

اخْتَمَلَ بأهله وبأخيه عَبْد بن جَحْش ، وهو أبو أحمد ، وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر ، وكان يَطُوف مكة أعلاها وأسْفَلَها بغير قائد ، وكان شاعراً ، وكانت عنده الفرعة [١] ابنة أبي سُفْيان بن حَرْب ، وكانت أمُّه أُمَيْمَةَ بنتَ عبد المطلب بن هاشم ، فغُلِّقَتْ دارُ بني جَحْش هجرة ، فمرَّ بها عتبةُ بن ربيعة والعباسُ بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام بن المغيرة — وهي دارُ أبان بن عثمان اليوم التي بالرَّدْم — وهم مُصْعِدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة بن ربيعة تخفق أبوابها يبَابا [٢] ليس فيها ساكنٌ ، فلما رآها كذلك تنفس الصُّعَدَاء ، ثم قال : —

وَكُلُّ دَارٍ وَإِنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهَا
يَوْماً سَتُدْرِكُهَا النَّكْبَاءُ وَالْحُوبُ [٣]

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبي دُواد الايادى في قصيدة له ، والحُوبُ : التوجع

قال ابن إسحق : ثم قال عتبة : أصْبَحَتْ دارُ بني جَحْش خَلاَءً من أهلها ، فقال أبو جهل : وَمَا تَبْكِي عليه من قُلّ بن قُلّ [٤]

---

(١) في القاموس والاصابة «الفارعة» وكذلك هو في نسخة من أصول هذا الكتاب

(٢) اليباب ـ بزنة سحاب ـ القفر

(٣) الحوب : التفجع كما قال ابن هشام ، ويطلق على الاثم ، وعلى الحاجة ، وبعد هذا البيت قوله : ـ

كُلُّ امْرِئٍ بِلِقَاءِ الدَّهْرِ مُرْتَهَنٌ كَأَنَّهُ غَرَضٌ لِلْمَوْتِ مَنْصُوبُ

هذا ، والذى في الروض أن الذى تمثل بهذا البيت أبو سفيان

(٤) «قل بن قل» بالقاف كما في نسخة : وهو الذى لا يعرف هو ولا أبوه ، أو القليل العدد ، وفي بعض النسخ بالفاء ، وهو تحريف ، لأن بيت لبيد بن ربيعة بالقاف كما في اللسان

قال ابن هشام : القل : الواحد ، قال لبيد بن ربيعة :—

كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمُ قُلٌّ وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنَ الْعَدَدِ (١)

قال ابن إسحق : ثم قال : هذا عملُ ابن أخي هذا ، فَرَّقَ جماعتنا ، وشَتَّتَ أمرنا ، وقطع بيننا

فكان مَنْزَلُ (٢) أبي سَلَمَة بن عبد الأسد وعامر بن ربيعة وعَبْدِ الله بن جَحْش وأخيه أبي أحمد بن جَحْش على مُبَشِّر بن عَبْد الْمُنْذِر بن زَنْبَر بقباء في بني عَمْرو بن عَوْف

ثم قدم المهاجرون أَرْسَالاً وكان بنو غَنْم بن دُودَان أهلَ إسلام ؛ قد أَوْعَبُوا إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرةً رجالُهُمْ ونساؤهم : عبدُ الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد بن جحش وعكاشة بن مِحْصَن ، وشجاع وعقبة ابنا وهْب ، وأربد بن حُمَيِّر (٣)

---

(١) قال في اللسان : « والقل (بالضم) القلة ، مثل الذل والذلة ، يقال : الحمد لله على القل والكثر ، بضم أولها و كسره ، وفي حديث ابن مسعود : الربا وإن كثر فهو إلى قل ، معناه إلى قلة : أي أنه وإن كان زيادة في المال عاجلا فانه يؤول إلى النقص ، كقوله تعالى : (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) قاله أبو عبيد »

(٢) منزل : أي نزول

(٣) اختلف في هذا الاسم اختلافا كثيرا ، فورد في نسخة من الأصول « جبيرة » بالجيم في كلام ابن إسحاق ، و « حميرة » بالحاء في كلام ابن هشام ، وفي نسخة « حميرة » بالحاء فيهما ، وضبط في كلام ابن إسحاق بتشديد الياء . في كلام ابن هشام بسكونها ، وذكر ابن حجر في الاصابة أنه يقال فيه « حمزة » بحاء مهملة وزاي بعد الميم . ونقل عن ابن ماكولا أن صوابه « حميرة » بحاء مهملة وياء مشددة وراء مهملة ، وقال السهيلي : « وذكر أربد بن جميرة ، بالجيم ؛ وقاله ابن إسحاق بالحاء ، ورواه إبراهيم بن سعد عن ابن

قال ابن هشام : ويقال : ابن حُمَيْر

قال ابن إسحق : ومُنْقِذ بن نُبَاتَة ، وسعيد بن رُقَيْش ، ومحرز بن نَضْلة ، ويزيد بن رُقَيْش ، وقيس بن(١) خابر ، وعمرو بن مِحْصَن ، ومالك ابن عمرو ، وصَفْوان بن عمرو ، وثَقْفُ(٢) بن عمرو ، وربيعة بن أكثم ، والزبير بن عبيدة ، وتمام بن عبيدة ، وسَخْبَرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش

ومن نسائهم زَيْنَب بنت جَحْش ، وأمُّ حَبيب بنتُ جَحْش ، وجذامة(٣) بنتُ جندل ، وأم قيس بنت مِحْصن ، وأمُّ حبيب بنت ثمامة وآمنة(٤) بنت رُقَيْش ، وسَخْبَرة بنت تميم ، وحَمْنَة بنت جَحْش

فقال أبو أحمد بن جَحْش بن رِئاب ، وهو يذكر هجرةَ بنى أسَد بن خُزَيمة من قومه إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإيعابَهم فى ذلك حين دُعُوا إلى الهجرة : —

إسحق بخلاف ما رواه البكائى وابن هشام فقال فيه ابن حمير بتشديد الياء كأنه تصغير حمار » اه

(١) فى نسخة « جابر » بالجيم

(٢) فى نسخة « ثقيف » بياء بعد القاف ، والذى فى القاموس أنه ثقاف ككتاب ، أو ثقف بفتح فسكون ، وكذلك هو فى الروض الأنف

(٣) وقع فى الأصول « جذامة » بذال معجمة مخففة ، وقال السهيلى : « هكذا ذكر مسلم بن الحجاج ، والمعروف جدامة بالدال المهملة ، وقد يقال فيها : جدامة بالتشديد » ثم قال : « وأما جدامة بنت جندل فلا تعرف فى آل جحش الأسديين ولا فى غيرهم ، ولعله وهم فى الكتاب ، وأنها جدامة بنت وهب بن محصن بنت أخى عكاشة بنت محصن » اه

(٤) وقال أبو ذر : « قوله وآمنة بنت رقيش ، قال الوقشى : صوابه أميمة » اه

وَلَوْ حَلَفَتْ بَيْنَ الصَّفَا أُمُّ أَحْمَدٍ   وَمَرْوَتِهَا بِاللهِ بَرَّتْ يَمِينُهَا
لَنَحْنُ الْأُولَي كُنَّا بِهَا ثُمَّ لَمْ نَزَلْ
بِمَكَّةَ حَتى عَادَ غَثًّا سَمِينُهَا
بِهَا خَيَّمَتْ غَنْمُ بْنُ دُودَانَ وَابْتَنَتْ
وَمَا إِنْ غَدَتْ غَنْمٌ وَخَفَّ قَطِينُهَا (١)
إِلَي اللهِ تَغْدُو بَيْنَ مَثْنَى وَوَاحِدٍ   وَدِينُ رَسُولِ اللهِ بِالْحَقِّ دِينُهَا

وقال أبو أحمد بن جَحْش أيضا : —

لَمَّا رَأَتْنِي أُمُّ أَحْمَدَ غَادِياً
بِذِمَّةِ مَنْ أَخْشَى بِغَيْبٍ وَأَرْهَبُ (٢)
تَقُولُ : فإما كُنْتَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً   فَيَمِّمْ بِنَا الْبُلْدَانَ وَلْتَنْأَ يَثْرِبُ (٣)
فَقُلْتُ لَهَا : بَلْ يَثْرِبُ الْيَوْمَ وَجْهُنَا   وَمَا يَشَإِ الرَّحْمٰنُ فَالْعَبْدُ يَرْكَبُ
إِلَي اللهِ وَجْهِي وَالرَّسُولِ وَمَنْ يُقِمْ   إِلَي اللهِ يَوْماً وَجْهَهُ لاَ يُخَيَّبُ (٤)
فَكَمْ قَدْ تَرَكْنَا مِنْ حَمِيمٍ مُنَاصِحٍ
وَنَاصِحَةٍ تَبْكِي بِدَمْعٍ وَتَنْدُبُ
تَرَى أَنَّ وَتْراً نَأْيُنَا عَنْ بِلَادِنَا
وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ الرَّغَائِبَ نَطْلُبُ (٥)

---

(١) « قطينها » القطين : القوم المقيمون بالموضع

(٢) الذمة : العهد

(٣) يمم : أي اقصد

(٤) وجهى : توجهى وقصدى

(٥) الوتر : طلب الثأر ، يريد : أنه يستحق أن يطالبوا مخرجيهم به ، والنأى : البعد . والرغائب : جمع رغيبة ، وهى العطية الكثيرة

دعَوْتُ بَنِي غَنْمٍ لِحَقْنِ دِمائِهِمْ
وَلِلْحَقِّ لَمَّا لاحَ لِلنَّاسِ مَلْحَبُ (١)
أَجَابُوا بِحَمْدِ اللهِ لَمَّا دعَاهُمُ
إلَي الْحَقِّ دَاعٍ وَالنَّجاحِ فأوْعَبُوا (٢)
وَكُنَّا وَأَصْحابًا لَنَا فَارَقُوا الْهُدَى
أعانُوا علَيْنَا بِالسِّلاحِ وَأَجْلَبُوا (٣)
كَفَوْجَيْنِ أَمَّا مِنْهُمَا فَمُوَفَّقٌ
عَلَى الْحَقِّ مَهْدِيٌّ وَفَوْجٌ مُعَذَّبُ (٤)
طَغَوْا وتَمَنَّوْا كِذْبَةً وَأَزَلَّهُمْ
عَنِ الْحَقِّ إِبْلِيسٌ فَخَابُوا وَخَيَّبُوا (٥)
وَرُعنَا إلَي قَوْلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَطَابَ وُلاَةُ الْحَقِّ مِنَّا وَطَيَّبُوا (٦)
نَمُتُّ بِأَرْحَامٍ إِلَيْهِمْ قَرِيبَةٍ
وَلاَ قُرْبَ بِالْأَرْحَامِ إِذْ لاَ تَقَرُّبُ (٧)
فَأَيُّ ابنِ أُخْتٍ بَعْدَنَا يَأْمَنَنَّكُمْ وَأَيَّةُ صِهْرٍ بَعْدَ صِهْرِيَ تُرْقَبُ

---

(١) ملحب : أى طريق واضح بين
(٢) أوعبوا : أى اجتمعوا وكثروا
(٣) « أجلبوا » يروى بالجيم وبالحاء المهملة ، فمن رواه بالحاء المهملة فمعناه أعانوا ، ومن رواه بالجيم فمعناه أحدثوا جلبة ، وهى الصياح
(٤) فوجين : مثنى فوج ، وهو الجماعة من الناس
(٥) « فخابوا » يروى بالخاء والباء ، من الخيبة ، ويروى « فحانوا » بالحاء المهملة والنون ، من الحين وهو الهلاك ، فمعناه هلكوا
(٦) رعنا : رجعنا
(٧) نمت : نتقرب

سَتَعْلَمُ يَوْمًا أَيُّنَا إِذْ تَزَايَلُوا
وَزُيِّلَ أَمْرُ النَّاسِ لِلْحَقِّ أَصْوَبُ (١)

قال ابن هشام : قوله « ولتنأيثرب » وقوله : « إذلاتقرب » عن غير ابن إسحق .

قال ابن هشام : يريد بقوله « إذ » إذا كقول الله عز وجل (٣٤ : ٣١) (إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قال أبو النجم العجلى : —

ثُمَّ جَزَاهُ اللهُ عَنَّا إِذْ جَزَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فِي الْعَلَالِيِّ وَالْعُلَا

هجرة عمر بن الخطاب

قال ابن إسحق : ثم خرج عُمَرُ بن الخطاب وعَيَّاشُ بن أبي ربيعة الْمَخْزومىُّ حتى قدما المدينة

فحدثنى نافع مَوْلى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه عمر بن الخطاب ، قال : اتَّعَدْتُ لما أَرَدْنَا الهجرةَ إلى المدينة أنا وَعَيَّاشُ ابن أبي ربيعه وهِشَامُ بن العاص بن وائل السَّهْمى التَّنَاضُبَ (٢)

(١) تزايلوا : أى تفرقوا

(٢) « التناضب » قال أبو ذر : « بضم الضاد ، يقال : هو اسم موضع ومن رواه بكسر الضاد فهو جمع تنضب ، وهو شجر ، واحدته تنضبة ، وقيده الوقشى بكسر الضاد كما ذكرنا » اه كلامه ؛ وقال السهيلى : « التناضب بكسر الضاد ، كأنه جمع تنضبة ، وهو ضرب من الشجر تألفه الحرباء . قال الشاعر : —

أَنَّى أُتِيحَ لَهُ حِرْبَاءُ تَنْضُبَةٍ لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمْسِكًا سَاقَا

ودخان التنضب أبيض ، ذكره أبو حنيفة فى النبات . وقال الجعدى : —

كَأَنَّ الْغُبَارَ الَّذِي غَادَرَتْ ضُحَيًّا دَوَاخِنُ مِنْ تَنْضُبِ

شبه الغبار بدخان التنضب لبياضه ، وقال آخر : —

وَهَلْ أَشْهَدَنْ خَيْلًا كَأَنَّ غُبَارَهَا بِأَسْفَلِ عَلْكَدٍ دَوَاخِنُ تَنْضُبِ

اه كلامه . وقال ياقوت : « تنضب : قرية من أعمال مكة بأعلى نخلة ، فيها عين جارية » اه

من أَضَاةِ بنى (١) غِفَار فوق سَرِف (٢) ، وقلنا : أيُّنَا لم يُصْبِحْ عندها فقد حُبس فَلْيَمْضِ صاحباه ، قال : فأصبحت أنا وعَيَّاشُ بن أبى ربيعة عند التناضُب وحبس عنها هشام وفُتِنَ فَٱفْتَتَنْ ،

أبو جهل والحرث اتاهمشام ردانعياشا الى مكة ثم يفتنانه

فلما قدمنا المدينةَ نَزَلْنَا فى بنى عَمْرو بن عَوْف بقباء ، وخرج أبو جهل ابن هشام والحرث بن هشام إلى عَيَّاش بن أبى ربيعة ، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما ، حتى قدما علينا المدينة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) قال أبو ذر : «الأضاة : الغدير يجمع من ماء المطر ، يمد ويقصر» اه ، وقال السهيلى : « والأضاة : الغدير ، كأنها مقلوب من وضأة على وزن فعلة (بفتحات) واشتقاقه من الوضاءة بالمد ، وهى النظافة ، لأن الماء ينظف ، وجمع الاضاءة إضاء ، قال النابغة : -

وَهُنَّ إِضَاءٌ صَافِيَاتُ الْغَلَائِلِ

وهذا الجمع يحتمل أن يكون غير مقلوب ، فتكون الهمزة بدلا من الواو المكسورة فى وضاء ؛ لأن قياس الواو المكسورة يقتضى جواز الهمز ، ويكون الواحد مقلوبا ، لأن الواو المفتوحة لاتهمز ، وقد يجوز أن يكون الجمع محمولا على الواحدفيكون مقلوبا مثله » اه ولانسلم له أن الواو المفتوحة لاتهمز ، فقد قالوا فى أسماء : إن همزتها بدل من الواو وأصلها وسماء ، وهى فعلاء من الوسامة ، وقالو فى قولهم : امرأة أناة : إن الهمزة مبدلة من الواو وأصلها وناة ، من الونى وهو الفتور . وقال السهيلى أيضا : « وأضاة بنى غفار : على عشرة أميال من مكة » اه ، وقال ياقوت « أضاءة بنى غفار : موضع قريب من مكة فوق سرف قرب التناضب ، له ذكر فى حديث المغازى وغفار : قبيلة من كنانة » اه

(٢) « سرف » قال أبوذر : « موضع بين مكة والمدينة »اه ، وقال ياقوت : « سرف - بفتح أوله وكسر ثانيه وآخره فاء - هو موضع على ستة أميال من مكة ، وقيل : سبعة ، وتسعة ، واثنى عشر ، تزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحرث ، وهناك بنى بها ، وهناك توفيت » اه

بمكة ، فكلّماه ، وقالا : إنَّ أُمّكَ قد نَذَرَتْ أن لايمس رأسها مُشْطٌ حتى تَرَاك ، ولاتَستَظِلّ من شَمْس حتى تراك ، فرقّ لها ، فقلت له : ياعياش ، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ، ولوقد اشتدعليها حر مكة لاستظلت ، قال : فقال : أبر قَسَمَ أمي ، ولى هنالك مال فآخذه ، قال : فقلت : والله إنك تعلم أنى لمن أكثر قريشا مالا ، فلك نصف مالى ولاتذهب معهما ، قال : فأبى علىّ إلا أن يخرج معهما ؛ فلما أبى إلا ذلك قلت : أما إذ قد فعلت مافعلت فخُذْ ناقتى هذه فانها ناقة نجيبه ذَلُولٌ فالزم ظَهْرَهَا ، فان رَابَكَ من القوم رَيْبٌ فانْجُ عليها ، فخرج عليها معهما

حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : والله ياأخى لقد استَغْلَظْتُ بعيرى هذا ، أفلا تُعْقِبُنِي على ناقتك هذه ؟ قال : بلى ، قال : فأناخ وأناخا ليتَحَوَّلَ عليها ، فلما استَوَوْا بالأرض عدَوَا عليه فأوثقاه ورَبَطَاه ثم دخلا به مكة وفتناه فَافتتن

قال ابن إسحق : فحدثنى به بعض آل عياش بن أبى ربيعة أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارا موثقا ، ثم قالا : ياأهل مكة ؛ هكذا فافعلوا بسُفَهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا

قال ابن إسحق : وحدثنى نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن عمر فى حديثه ؛ قال : فكُنَّا نقول : ماالله بقابلٍ مِمَّن افتَتَنَ صَرْفًا ولا عدلاً ولا تَوْبةً ؛ قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم ، قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينه أنزل الله تعالى فيهم وفى قولنا وقولهم لأنفسهم (٣٩ : ٥٣ ـ ٥٥)

(يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَتَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنِيبُوا إِلَي رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لاَتَشْعُرُونَ) قال عمر بن الخطاب : فكتبتها بيدى فى صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام بن العاصى ، قال : فقال هشام : فلما أتتنى جعلت أَقْرَؤُهَا بذى طَوًى (١) أصعِّدُ بها فيه وأصوِّب ولاأفهمها ، حتى قلت : اللهم فهِّمْنِيها ، قال : فألقى الله تعالى فى قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول لأنفسنا ويقال فينا ، قال : فرجعت إلى بعيرى فَجَلَسْتُ عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم

الوليد بن الوليد بن المغيرة يرجع مكة فيأتى بعياش وهشام

قال ابن هشام : فحدثنى من أثق به ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالمدينة : « مَنْ لِي بِعَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَهِشَامِ بْنِ الْعَاصِي » ؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أَنَا لَكَ يارسول الله بهما ، فخرج إلى مكة ، فقدمها مُسْتَخْفِياً ، فلقى امرأةً تحمل طعاما ، فقال لها : أين تريدين ياأمةَ الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين ، تَعْنِيهِمَا ، فتبعها حتى عَرَفَ مَوْضِعَهُمَا ، وكانا محبوسين فى بيت لاسَقْفَ له ، فلما أمسى تَسَوَّرَ عليهما ، ثم أخذ مَرْوَةً (٢) فوضعها تحت قَيْدَيْهِمَا ، ثم ضَرَبَهُمَا بسيفه ، فقطعهما ،

(١) « بذى طوى » بفتح الطاء مقصورا ـ موضع بأسفل مكة ، وأما ذو طواء ـ بالفتح والمد ـ فموضع آخر بين مكة والطائف ، وأما طوى ـ بالضم مقصورا ـ فهو بالشام اسم للوادى المقدس ، ويقال : هو من صفات التقديس ، ومعناه المقدس مرتين ؛ وليس باسم له

(٢) المروة : الحجر الأبيض الصلب

فكان يقال لسيفه : ذو الْمَرْوَة ، لذلك ، ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعَثَرَ فدَمِيَتْ إصبعه ، فقال :

هَلْ أنْتِ إلاَّ إِصْبَعٌ دَمِيتِ ؟ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَالَقِيتِ

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

منازل المهاجرين على الانصار بالمدينة

قال ابن إسحق : ونزل عمر بن الخطاب ـ حين قدم المدينة ـ ومَنْ لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زَيْدُ بن الخطاب ، وعَمْرو وعبدُ الله ابنا سراقة بن المعتمر ، وخُنَيْس بن حُذَافه السَّهْمِيُّ[1] (وكان صِهْرَه على ابنته حَفْصة بنتِ عمر ، فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده) وسعيدُ ابن زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيل ، ووَاقِدُ بن عبد الله التيمى[1] ، حليف لهم ، وخَوْلِيُّ بن أبى خَوْلى ، ومالكُ بن أبى خَوْلى ، حليفان لهم

قال ابن هشام : أبو خَوْلى : من بنى عِجْل بن لُجَيْم بن صَعْبِ بن على ابن بَكر بن وائل

قال ابن إسحق : وبنو الْبُكَيْر أربعتهم : إِياس بن الْبُكَيْر ، وعاقل ابن البكير ، وعامر بن البكير ، وخالد بن البكير ، حلفاؤهم من بنى سعد بن لَيْثٍ ، عَلَى رِفَاعَة بن عَبْد الْمُنْذِر بن زَنْبَرَ فى بنى عَمْرو بن عَوْف بقباء ، وقد كان مَنْزِل عَيَّاش بن أبى ربيعة معه عليه حين قدما المدينة

ثم تتابع المهاجرون : فنزل طَلْحَةُ بن عبيد[2] الله بن عثمان ، وصُهَيْبُ

---

(١) فى نسخة « التميمى »

(٢) فى نسخة « بن عبد الله »

ابن سِنان على خُبَيْب [1] بن إساف [2] أخى بَلْحرث بن الخزرج بِالسُّنْح [3] .

قال ابن هشام : ويقال : يساف ، فيما أخبرنى عن ابن إسحق ، ويقال : بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زُرَارة أخى بنى النجار

قال ابن هشام : وذكر لى عن أبى عثمان النَّهْدِىّ أنه قال : بلغنى أنَّ صُهَيْبًا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أَتَيْتنا صُعْلُوكًا [4] حقيراً فَكَثُرَ مَالُكَ عندنا وبَلَغْتَ الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ! ! والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب : أرأيتم إنْ جَعَلْتُ لكم مالى أَتُخَلُّونَ سبيلى ؟ قالوا : نعم ، قال : فانى جعلت لكم مالى ، قال : فبلغ ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : «رَبِحَ صُهَيْب ، رَبِحَ صُهَيْب»

---

(١) فى ياقوت « حبيب » بحاء مهملة فى مادة (السنح)

(٢) قال السهيلى : « ويقال فيه يساف ـ بياء مفتوحة ـ فى غير رواية الكتاب ، وهو إساف بن عنبة ، ولم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلما فى قول الواقدى ؛ بل تأخر إسلامه حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، قال خبيب : فخرجت معه أنا ورجل من قومى ، وقلنا له : نكره أن يشهد قومنا مشهدا لانشهده معهم ، فقال له : أسلمتما ؟ فقلنا : لا ، فقال : ارجعا فانا لا نستعين بمشرك ، وخبيب هو الذى خلف على بنت خارجة بعد أبى بكر الصديق . . . مات فى خلافة عثمان » اه

(٣) السنح ـ بضم السين وسكون النون وآخره حاء مهملة ـ إحدى محال المدينة ، كان بها منزل أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تزوج مليكة وقيل حبيبة بنت خارجة ، وهى فى طرف من أطراف المدينة ، وهى منازل بنى الحرث بن الخزرج بعوالى المدينة ، بينها وبين منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميل » قاله ياقوت

(٤) صعلوكا : أى فقيرا

قال ابن إسحق : ونزل حَمْزَة بن عبد المطلب وزَيْد بن حارثة وأبو مَرْثَد كَنَّازُ ابن حِصْن

قال ابن هشام : ويقال : هو ابن حُصَيْن

قال ابن إسحق : وابنه مَرْثَد الغَنَوِيَّانِ ، حليفا حمزة بن عبد المطلب وأَنَسَةُ وأبو كَبْشَةَ (١) مَوْليَا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، على كُلْثُوم ابن هدم أخى بنى عمرو بن عوف بقباء ، ويقال : بل نزلوا على سَعْد بن خَيْثَمة ، ويقال : بل نزل حمزةُ بن عبد المطلب على أسْعَد بن زُرَارة أخى بنى النَّجَّار ، كل ذلك يقال

ونزل عُبَيْدَة بن الْحرث بن المطلب ، وأخواه : الطُّفَيْل بن الْحرث ، وَالْحصَيْن بن الحرث ، ومِسْطَح بن أُثَاثة بن عباد بن المطلب ، وَسُوَيْبط بن سَعْد بن حَرْمَلة (٢) أخو بنى عبد الدار ، وَطُلَيْب بن عُمَير أخو بنى عَبْد بن قُصَى ، وخَبَّابٌ مولى (٣) عُتْبَة بن غَزْوَان ، على عبد الله [بن سَلِمَةَ أخى

---

(١) قال السهيلى : « أما أنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من مولدى السراة ، ويكنى أبا مسروح وقيل : أبا مشرح ، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات فى خلافة أبى بكر ، وأبو كبشة اسمه سلم ، يقال : إنه من فارس ، ويقال : من مولدى أرض دوس ، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات فى خلافة عمر فى اليوم الذى ولد فيه عروة بن الزبير » اه

(٢) فى أكثر أصول الكتاب « حريملة » بالتصغير . وقال ابن حجر فى الاصابة : « سويبط بن حرملة . ويقال : ابن سعد بن حرملة ، ويقال حريملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار القرشى العبدرى » اه كلامه (وانظر الجزء الأول : ص ٣٤٧ من هذا الكتاب)

(٣) قال أبو ذر « قوله خباب مولى عتبة . كذا وقع هنا ، بفتح الخاء المعجمة وتشديد الباء . ويروى حباب بحاء مهملة مضمومة وباء مخففة ، وخباب بالخاء المعجمة والباء المشددة قيده الدار قطنى » اه كلامه

بَلْعَجْلَان بقباء ؛ ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع][1] أخي بَلْحرث بن الخزرج في دار بَلْحرث بن الْخَزْرَج

ونزل الزُّبَيْر بن الْعَوَّام ، وأبو سَبْرَةَ بن أبي رُهْم بن عَبْد الْعُزَّى ، على مُنْذر بن محمد بن عُقْبة بن أُحَيْحَة بن الْجُلَاح ، بالْعُصْبَة دَارِ[2] بني جَحْجَبي

ونزل مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم أخو بني عَبْد الدار ؛ على سَعْد بن مُعَاذ بن النُّعْمَان أخي بني عبد الأشهل ؛ في دار بني عبد الأشهل

ونزل أبو حُذَيْفة بن عُتْبَة بن ربيعة ، وسالمٌ مَوْلى أبي حذيفة

قال ابن هشام : سالم مولى أبي حذيفة : سائبةٌ لِثُبَيْتَةَ بنتِ يَعَار[3] ابن زَيْد بن عُبَيْد بن زَيْد بن مالك بن عَوْف بن عَمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس ، سَيَّبَتْهُ فانقطع إلى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، فتبناه . فقيل : سالم مولى أبي حذيفة ، ويقال : كانت ثُبَيْتَةُ بنت يَعَار تحت أبي حذيفة بن عُتْبَةَ . فأعتقت سالما سائبةً فقيل : سالم مولى أبي حذيفة

---

(١) سقط هذا الكلام كله من أكثر نسخ الكتاب . والثابت في تاريخ الصحابة أن عبد الرحمن بن عوف كان قد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع ، وانظر الاصابة في ترجمة سعد ، وسيأتي قريباً في كلام ابن إسحق ما يؤيد هذا عند كلامه على مؤاخاة النبي بين المهاجرين والأنصار .

(٢) قال ياقوت : « العصبة - بالتحريك - هو موضع بقباء ، ويروى المعصب . وفي كتاب السيرة لابن هشام : نزل الزبير لما قدم المدينة على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة دار بني جحجبي ؛ وهكذا ضبطه بالضم ثم السكون ، والله أعلم » اهـ كلامه

(٣) اختلف في اسمها واسم أبيها ، فقيل ثبيتة بنت يعار (بضم الثاء وفتح الباء في اسمها وبفتح الياء المثناة في اسم أبيها) كما أثبتناه ؛ وهو وارد كذلك في أكثر نسخ الأصل وفي القاموس المحيط ؛ وقيل : اسمها بثينة ذكره السهيلي عن أبي عمر ، وذكر عن الزهري أنه كان يقول فيها بنت تعار ، وقال ابن قتيبة في المعارف اسمها سلمى ، ويقال في اسمها عمرة .

قال ابن إسحق : ونزل عُتْبَةَ بن غَزْوَان بن جابر ، على عباد بن بشر بن وَقْش أخى بنى عبد الأشهل ، فى دار عبد الأشهل

ونزل عثمان بن عَفَّان على أوس بن ثابت بن المُنْذر أخى حَسَّان بن ثابت ، فى دار بنى النجار ، فلذلك كان حَسَّان يحبُّ عُثْمان وَيبْكِيه حين قتل

وكان يقال : نَزَلَ العُزَّابُ (١) من المهاجرين على سَعْد بن خَيْثَمَة ، وذلك أنه كان عَزَبًا ؛ فالله أعلم أى ذلك كان

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين يَنْتَظِر أن يُؤْذَنَ له فى الهجرة ، ولم يتخلَّفْ معه بمكة أحدٌ من المهاجرين إلا من حُبِسَ أو فُتِنَ ، إلا على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قُحَافَةَ رضى الله عنهما ، وكان أبو بكر كثيراً مايستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتَعْجَلْ لَعَلَّ الله يَجْعَلُ لكَ صاحِباً » فيطمع أبو بكر أن يكونه

خبر دارِ الندْوَة

قال ابن إسحق : ولمَّا رأت قريشٌ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شِيعَةٌ وَأَصْحابٌ من غيرهم بغير بَلَدهم ، وَرَأَوْا خُرُوجَ أصحابه من المهاجرين إليهم ؛ عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم مَنَعَةً ، فَحَذِرُوا خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنه قد أَجْمَعَ

---

(١) « العزاب » قال أبو ذر : « قال الوقشى : صوابه الاعزاب » اه وبأدنى تأمل فى قول ابن إسحاق بعد ذلك « لأنه كان عزبا » تعلم أن الوقشى قد أصاب ، لأن فعلا - بفتح أوله وثانيه - يجمع على أفعال ، مثل جمل وأجمال وبطل وأبطال وسبب وأسباب .

لحربهم ، فاجتمعوا له فى دار النَّدْوَة (وهى دار قُصَيٍّ بن كِلاب التى كانت قريش لاتَقْضِي أمراً إلا فيها) يتشاورون فيها مايصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه

قال ابن إسحق : فحدثنى من لاأتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مُجاهِد بن جبر أبى الحجاج وغيره ممن لاأتهم ، عن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : لما أجمعوا لذلك واتَّعَدُوا أن يدخلوا فى دار النَّدْوَة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غَدَوْا فى اليوم الذى اتَّعَدُوا له ، وكان ذلك اليوم يُسَمَّى يوم الزحمة ، فاعترضهم إبليس ، لعنه الله ، فى هيئة شَيْخ جليل عليه بَتٌّ له (١) فوقف على باب الدار ، فلما رَأَوْه واقفاً على بابها قالوا : مَنِ الشَّيْخُ ؟ قال : شيخ من أهل نَجْدٍ سَمِعَ بالذى اتَّعَدْتُم له فحضر معكم ليسمع ماتقولون ، وعسى أن لايُعْدِمَكُم منه رأياً وَنُصْحاً ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم لعنه الله ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش : من بنى عبد شَمْس : عُتْبَةُ بن ربيعة ، وَشَيْبَةُ بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب ؛ ومن بنى نَوْفَل بن عبد مناف : طُعَيْمَة بن عَدِي ، وَجُبَيْر بن مُطْعِم ، والحرث بن عامر بن نوفل ؛ ومن بنى عَبْدِ الدار بن قُصَي : النَّضر بن الحرث بن كَلَدَةَ ؛ ومن بنى أَسَدِ بن عبد العُزَّى : أبو البَخْتَرِيّ ابن هشام ، وَزَمْعَةُ بن الأسود بن المطلب ، وحَكيم بن حِزام ؛ ومن بنى مَخْزُوم : أبو جهل بن هشام ؛ ومن بنى سَهْم : نُبَيه وَمُنَبِّهٌ ابنا الحَجَّاج ؛ ومن بنى جُمَح : أُمَيَّة بن خَلَف ، ومن كان معهم ، وغيرهم ممن لايُعَدّ من قريش .

أسماء الذين حضروا دار الندوة من كفار قريش

---

(١) البت — بفتح الباء وتشديد التاء — الكساء الغليظ

ادارتهم الرأى فيما يصنعون برسول الله

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ماقد رأيتم ، فإنا والله مانأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا ، قال : فتشاوروا ثم قال قائل منهم : احبسوه فى الحديد وَأَغْلِقُوا عليه بابا ، ثم تربَّصُوا به ماأصاب أَشْبَاهَهُ من الشعراء الذين كانوا قبله زُهَيْراً والنابغة وَمَنْ مَضَى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبه ماأصابهم ، فقال الشيخ النجدى : لاوالله ماهذا لـكم برأى ، والله لئن حبستموه كما تقولون لَيَخْرُجَنَّ أَمْرُهُ من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه فَلَأَوْشَكُوا أن يَثِبُوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ماهذا لـكم برأى ، فانظروا فى غيره فتشاوروا عليه ، ثم قال قائل منهم : نُخْرِجُهُ من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فاذا أُخْرِجَ عَنَّا فوالله مَانُبَالِي أين ذهب ولاحيث وقع إذا غاب عنا وَفَرَغْنَا منه فأصلحنا أمرنا وَأُلْفَتَنَا كما كانت ، قال الشيخ النجدى : لاوالله ، ماهذا لـكم برأى ، ألم تَرَوْا احُسْنَ حَدِيثه وَحَلَاوَةَ مَنْطِقِهِ وَغَلَبَتَهُ على قلوب الرجال بما يأتى به ؟ ! ؟ والله لوفعلتم ذلك ماأمنتم أن يَحُلَّ على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليـكم حتى يطأكم فى بلادكم بهم فيأخذ أمركم من أيديـكم ، ثم يفعل بـكم ماأراد ، دَبِّرُوا (١) فيه رأيا غير هذا ، قال : فقال أبوجهل بن هشام : والله إن لى فيه لرأياً ماأراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وماهو ياأبا الحـكم؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فَتًى جليدًا نَسيبًا وسِيطًا فينا ، ثم نُعْطِي كُلَّ فَتًى منهم سَيْفًا صارما ، ثم يَعْمَدُوا إليه فيضربوه بها ضربة رجلٍ واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم

---

(١) فى نسخة « أديروا فيه رأيا »

إذا فعلوا ذلك تَفَرَّقَ دَمُهُ فى القبائل جميعا ، فلم يقدر بنوعبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فَرَضُوا منا بالعَقْل (١) فَعَقَلْنَاهُ لهم ، قال : يقول الشيخ النجدى : القولُ ما قال الرجل ، هذا الرأى ، لا رأى غيره ، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له

رسول الله يستخلف علياً لينام على فراشه

فأتى جبريل عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا تبِتْ هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه قال: فلما كانت عَتَمَةٌ من الليل اجتمعوا على بابه يَرْصُدُونه متى ينام فَيَثِبُونَ عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلى بن أبى طالب « نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجَّ بِبُرْدِي هٰذَا الْحَضْرَمِيِّ الأَخْضَر فَنَمْ فِيهِ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك إذا نام

المشركون على باب رسول الله

قال ابن إسحق : فحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : لما اجتمعوا له وفيهم أبوجهل بن هشام فقال وهم على بابه : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم مُلُوكَ العرب والعجم ، ثم بُعِثْتُم من بعد موتكم ، فجُعِلَتْ لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوه كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرَقون فيها

رسول الله يخرج على المشركين فيعمى الله أبصارهم عنه

قال : وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حَفْنَةً (٢) من تراب فى يده ، ثم قال : « نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ ، أَنْتَ أَحَدُهُمْ » وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يَرَوْنَهُ : فجعل ينثر ذلك التراب على

(١) العقل : الدية
(٢) الحفنة : ملء اليد

رءوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات (٣٦ : ١ – ٩) : (يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) إلى قوله (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم ، فقال : ماتنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا ، قال : خيَّبكم الله ! ! قَدْ والله خرج عليكم محمدٌ ثم ماترك منكم رجلاً إلا وقد وَضَعَ على رأسه ترابا وانطلق لحاجته ، أفما تَرَوْنَ مابكم ؟ قال : فوضع كلُّ رجلٍ منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ، ثم جعلوا يَتَطَلَّعُونَ فيَرَوْنَ عليًّا على الفراش مُتَسَجِّيًا بِبُرْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إنَّ هذا لمحمد نائمًا عليه بردُه ، فلم يَبْرَحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام على رضي الله عنه عن الفراش ، فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذى كان حدثنا

قال ابن إسحق : وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن فى ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له (٨ : ٣٠) : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) وقول الله عز وجل (٥٢ : ٣٠ – ٣١) : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ)

قال ابن هشام : المنون : الموت . وريب المنون : مايريب ويعرض منها ، قال أبو ذؤيب الهذلى : –

أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحق : وأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك في الهجرة

هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وصحبة أبي بكر رضى الله عنه

أبو بكر يستعد للهجرة

قال ابن إسحق : وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا ذا مال ؛ فكان حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَعْجَلْ لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُ لَكَ صَاحِبًا » قد طمع بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يعنى نفسه حين قال له ذلك ، فابتاع راحلتين فاحتبسهما فى داره يَعْلفهما إعداداً لذلك

قال ابن إسحق : فحدثنى من لا أتَّهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين ، أنها قالت : كان لا يخطىء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيتَ أبى بكر أحد طرفى النهار : إما بكرة ، وإما عشية ، حتى إذا كان ذلك اليوم الذى أذِن [الله] فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظَهْرَىْ قومه أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها ، قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث ، قالت : فلما دخل تَأَخَّر له أبو بكر عن سَريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ، وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَخْرِجْ عَنِّى مَنْ عِنْدَكَ » فقال : يا رسول الله ، إنما هما ابنتاى ، وما ذاك فداك أبى وأمى ؟ فقال : « إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِي فِى الْخُرُوجِ والهِجْرَةِ » قالت : فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ، قال : « الصحبة » قالت : فو الله ما شَعَرْتُ قط قبل ذلك اليوم

النبى فى بيت أبى بكر يتفقان على الخروج من مكة

أن أَحَداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ ، ثم قال : يا نبىّ الله ، إن هاتين راحلتان قد كنت أعدَدْتُهما لهذا ، فَاسْتأْجَرا عبد الله بن أرقط ، رَجُلاً من بنى الديل بن بكر ، وكانت أمه امرأة من بنى سَهْم ابن عمرو ، وكان مشركا ، يدُلُّهما على الطريق ، فدفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما

علي بن أبي طالب يتأخر ليرد ودائع النبي لأصحابها

قال ابن إسحق : ولم يعلم ، فيما بلغنى ، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدٌ حين خرج إلا على بن أبى طالب وأبو بكر الصديق وآل أبى بكر ؛ أما على فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلَّف بعده بمكة حتى يؤدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده ؛ لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فلما أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخروجَ أتى أبا بكر بن أبى قُحافَة فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غارٍ بثَوْرٍ جبلٍ بأسفل مكة ، فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابْنَهُ عَبْدَ الله بن أبى بكر أن يتسمَّعَ لهما مايقول الناس فيهما نَهارَهُ ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامرَ بن فهيرة مولاه أن يَرْعَى غنمه نَهارَهُ ثم يُرِيحُهَا عليهما [يأتيهما] إذا أمسى فى الغار ، وكانت أسماء بنتُ أبى بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما

النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في غار ثور

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن الحسن بن أبى الحسن [البصرى] قال : انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار لَيْلاً فدخل أبو بكر رضى الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَسَ

الغار لينظر أفيه سَبُعٌ أَوْ حَيَّةٌ ؟ يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه

قال ابن إسحق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائةَ ناقةٍ لمن يَرُدُّهُ عليهم ، وكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش نَهَارَهُ معهم يَسْمَعُ ما يأتمرون به وما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، رضى الله عنه ، يَرْعَى فى رُعْيَانِ أهل مكة ؛ فاذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر فاحتلبا وذبحا ؛ فاذا عبد الله بن أبى بكر غدا من عندهما إلى مكة اتَّبَعَ عامرُ بن فهيرة أثره بالغنم حتى يُعَفِّي عليه ، حتى إذا مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأجراه بِبَعِيرَيْهِمَا وبعيرٍ له وأتتهما أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما بِسُفْرَتِهِمَا ، ونسيت أن تجعل لها عِصَاماً (١) فلما ارتحلا ذهبت لتُعَلِّقَ السُّفْرَةَ فاذا ليس فيها عصام ، فَتَحلُّ نطَاقَهَا فتجعله عِصَاما ، ثم عَلَّقَتْهَا به ، فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر « ذَاتُ النطاق » لذلك

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول « ذات النِّطَاقَيْن » وتفسيره أنها لما أرادت أن تعلق السُّفْرَةَ (٢) شَقَّتْ نِطاقها باثنين : فعلقت السُّفْرَةَ (٢) بواحد ، وانْتَطَقَتْ بالآخر أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين

---

(١) العصام : ماتعلق به السفرة

(٢) السفرة ـ بضم فسكون ـ طعام يتخذه المسافر ، وأكثر مايحمل فى جلد مستدير ، فنقل اسم الطعام إلى الجلد وسمى به ، كما سميت المزادة راوية ، وغير ذلك من الأسماء التى تنقل من شىء إلى شىء للعلاقة بين المنقول عنه والمنقول إليه ، والسفرة فى طعام السفر كاللهنة للطعام الذى يؤكل بكرة . وفى

رسول الله يشترى إحدى الراحلتين من أبى بكر ، ويأبى الا ذلك

قال ابن إسحق : فلما قَرَّب أبو بكر ، رضى الله عنه ، الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدَّم له أفضلهما ، ثم قال : اركب فدَاكَ أبى وأمى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّى لاَ أَرْكَبُ بَعِيراً لَيسَ لِى » فقال : فهى لك يارسول الله بأبى أنت وأمى ، قال : « لاَ ، وَلٰكِنْ مَا الثَّمَنُ الَّذِى ابْتَعْتَهاَ بِهِ » ؟ قال : كذا وكذا ، قال : « قَدْ أَخَذْتُهاَ بِهِ » قال : هى لك يارسول الله ، فركبا وانطلقا ، وأَرْدَفَ أبو بكر الصِّدِّيقُ ، رضى الله عنه ، عامرَ بن فهيرة مولاه خلفه ليَخْدُمَهُمَا فى الطريق

سير رسول الله وأبى بكر إلى المدينة

قال ابن إسحق : فَحُدِّثتُ عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه أتانا نَفَرٌ من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجتُ إليهم ، فقالوا : أين أبوكِ يابنتَ أبى بكر ؟ قالت قلت : لا أدرى والله أين أبى ؟ قالت : فرَفع أبو جهل لعنه الله يَدَه ، وكان فاحشا خبيثا ، فلطم خَدِّى لطمةً ، فطرح منها قُرْطِى ، قالت : ثم انصرفوا ، فمكثنا ثلاثَ ليالٍ وما ندرى أين وَجْهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجلٌ من الجن من أسفل مكة يَتغَنَّى بأبيات من شعر غِناَء العرب . وإن الناس ليَتْبعُونَهُ يسمعون صوته وما يرَوْنه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول — :

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبدِ
هُمَا نَزَلاَ بِالْبِرِّ ثُمَّ تَرَوَّحَا ... فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ

حديث عائشة « صنعنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر سفرة فى جراب » أى : طعاما ، وذلك لما هاجرا ، وهو موضوع كلامنا

لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ   وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

رفقة رسول الله في هجرته الى المدينة

قال ابن هشام : أم معبد [1] : بنت كعب ، امرأة من بنى كعب من خزاعة ، وقوله «حلاخيمتى أم معبد» و «هما نزلا بالبرّ ثم تروحا» عن غير بن إسحق

قال ابن إسحق : قالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وَجَّهَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأن وجهه إلى

---

(١) أم معبد : هى عاتكة بنت خلد ، إحدى بنى كعب من خزاعة ، وهى أخت حبيش بن خلد وله صحبة ورواية ؛ وزوجها أبو معبد لا يعرف اسمه وكان منزلها بقديد ، ومن حديثها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بها طلب لبنا أو لحما يشترونه ، وكان القوم مرملين مسنتين ، فلم يجدوا عندها شيئا ، فنظر إلى شاة فى كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم ، فسألها : هل بها من لبن ؟ فقالت : هى أجهد من ذلك ، فقال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ فقالت : بأبى أنت وأمى إن رأيت أن بها حلبا فاحلبها ، فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها ، فدرت واجترت ، ودعا بإناء يشبع الرهط ، فحلب فيه حتى ملأه ، وسقى القوم حتى رووا ، ثم شرب آخرهم ، ثم حلب فيه مرة أخرى عللا بعد نهل ، ثم غادره عندها ، وذهبوا ، فجاء أبو معبد فلما رأى اللبن قال : ما هذا يا أم معبد ؟ أنى لك هذا والشاة عازب حيال ولا حلوبة بالبيت؟ !! فقالت : لا والله ، إلا أنه مر بنا رجل مبارك ، فقال : صفيه ، فوصفته له ، وقد ورد فى أحاديث كثيرة أن آل أم معبد كانوا يؤرخون حوادثهم بعد ذلك بمروره عليهم ؛ فيقولون : كان ذلك قبل مرور الرجل المبارك ، أو كان بعده ؛ أو كان فى اليوم الذى مر بنا فيه الرجل المبارك . وقد أرسلت قريش إلى أم معبد ـ حين سمعوا شعر الهاتف ـ فقالوا لها : هل مر بك محمد الذى من صفته كذا ؟ فقالت : لا أدرى ما تقولون ، وإنما ضافنى حالب الشاة الحائل . وانظر الروض الأنف للسهيلى (ج ٢ ص ٨) وشرح السيرة لأبى ذر (ج ١ ص ١٢٦ وما بعدها)

المدينة ، وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وعبد الله بن أرْقَط(١) دليلهما

أبو بكر يحمل معه ماله كله

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن أريقط

قال ابن إسحق : فحدثنى يَحْيَى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، أن أباه عبادا حدثه ، عن جدته أسماء بنت أبى بكر ، قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه احتمل أبو بكر مالَه كُلَّه ، معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه ، قالت : فدخل علينا جَدِّى أبو قُحَافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إنى لَأَرَاهُ قد فجعكم بماله مع نفسه ، قالت : قلتُ : كلا يا أبت ، إنه قد ترك لنا خيراً كثيرا ، قالت : فأخذتُ أحجاراً فوضعتها فى كُوَّةٍ فى البيت كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ، ضَعْ يدك على هذا المال ، قالت : فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس ، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بَلَاغٌ لكم ، ولا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكنى أردت أن أسكِّن الشيخ بذلك

قريش تجعل لمن يرد النبى إليهم مائة ناقة فيتبعه سراقة ابن مالك

قال ابن إسحق : وحدثنى الزُّهْرى ، أن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم حدثه ، عن أبيه ، عن عمه سُرَاقة بن مالك بن جعشم ، قال : لمَّا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا إلى المدينة جَعَلَتْ قُرَيْشٌ فيه مائةَ ناقةٍ لمن رَدَّهُ عليهم . قال : فبينا أنا جالسٌ فى نادى قومى إذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا . فقال : والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا على آنفا إنى لأُرَاهم مُحَمَّداً وأصحابه ، قال : فأومأت إليه بعينى أن اسكُتْ ، ثم قلت : إنما هم بنو فلان يَبْتَغُونَ ضالةً لهم ، قال : لعله ، ثم سكت . قال : ثم مكثت قليلا ، ثم قمت فدخلت بيتى ، ثم أمرت بفرسى

(٢) فى الطبرى « ابن أريقط » كما ذكر ابن هشام

فَقَيَّدلى إلى بطن الوادى ، وأمرت بسلاحى ، فأخرج لى من دبر حجرتى ، ثم أخذت قِدَاحى التى أَسْتَقْسِم بها ، ثم انطلقت فلبسْتُ لَأْمَتِي ، (١) ثم أخرجْتُ قِداحى ، فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذى أكره لا يضره ، قال : وكنت أرجو أن أرده على قريش فآخذ المائة الناقة ، قال : فركبت على أثره ، فبينا فرسى يَشْتَدُّ بى عَثَرَ بى فسَقَطْتُ عنه ، قال : فقلت : ماهذا ؟ قال : ثم أخرجت قِداحى فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذى أكره لا يضره ، قال : فأَبَيْتُ إلا أن أتبعه ، قال : فركبت فى أثره ، فبينا فرسى يَشْتَدُّ بى عَثَرَ بى ، فسقطت عنه ، قال : فقلت : ماهذا ؟ قال : ثم أخرجت قِداحى فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذى أكره لا يضره ، قال : فأبيت إلا أن أتبعه ، فركبت فى أثره ، فلما بدا لى القوم ورأيتهم عَثَرَ بى فرسى ، فذهبت يَدَاه فى الأرض ، وسَقَطْتُ عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دُخَانٌ كالإعصار (٢) ، قال : فعَرَفْتُ حين رأيت ذلك أنه قد مُنِعَ منى ، وأنه ظاهر ، قال : فناديت القوم ، فقلت : أناسراقة بن جُعْشُم ، انظرونى أكلمكم فوالله لا أَرِيبَكم ولا يَأْتيكم منى شىء تكرهونه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « قُلْ لَهُ وَمَا تَبْتَغِي مِنَّا ؟ » قال : فقال لى ذلك أبو بكر ، قال : قلت : تكتب لى كتابا يكون آيةً بينى وبينك ، قال : « اكْتُبْ لَهُ يَاأَبَا بَكْرٍ » فكتب لى كتابا فى عظم أوفى رُقْعَة أو فى خَزَفَةٍ ، (٣) ثم ألقاه إلى ، فأخذته فجعلته فى كِنَانتى ، ثم رجعت فسكت فلم أذكر شيئا مما

---

(١) « لأمتى » اللأمة ـ بفتح اللام وسكون الهمزة ـ الدرع والسلاح
(٢) الاعصار : ريح شديدة معها غبار
(٣) « خزفة » بخاء فزاى ففاء ـ هى الشقفة ؛ وفى نسخة « خرقة » بالراء المهملة والقاف

كان ، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرغ من حُنَيْنٍ والطائف خرجت ومعي الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجِعْرَانة [(١)] قال : فدخلت فى كتيبة من خَيْل الأنصار ، قال : فجعلوا يقْرَعُونَنى بالرماح ويقولون : إليك إليك ، ماذا تريد ؟ قال : فَدَنَوْتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته ، والله لكأنى أنظر إلى ساقه فى غَرْزِهِ [(٢)] كأنها جُمَّارة ، قال : فرفعت يدى بالكتاب ، ثم قلت : يارسول الله ، هذا كتابك لى ، أنا سُرَاقَةُ بن جُعْشُم ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ ، أُدْنُهْ » قال : فدنوت منه ، فأسلمت ، ثم تذكَّرْتُ شيئا أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره ، إلا أنى قلت : يارسول الله ، الضالة من الابل تغشى حياضى وقد ملأتها لابلى ، هل لى من أجر فى أن أسقيها ؟ قال : « نعَم فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ » قال : ثم رجعت إلى قومى فسُقْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتى

قال ابن هشام : عبد الرحمن بن الحرث بن مالك بن جعشم

الطريق الذى سلكه النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

قال ابن إسحق : فلما خرج بهما دليلهما عبدالله بن أرقط سلك بهما أسْفَلَ مكة ، ثم مضى بهما على الساحل [حتى عارض الطريق] أسفل

---

(١) « الجعرانة » ـ بكسر الجيم وسكون العين ، قال ياقوت : والمحدثون يخطئون فيكسرون العين أيضا ويشددون الراء ، هى ما بين الطائف ومكة ، وهى إلى مكة أقرب . وقد نزلها النبى صلى الله عليه وسلم مرجعه من حنين لما قسم غنائم هوازن

(٢) الغرز للرحل بمنزلة الركاب للسرج : يضع فيه راكب البعير رجله

من عُسْفان(١) ، ثم سلك بهما على أسفل أَمَجَ(٢)، ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قُدَيْداً (٣) ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخَرَّار (٤) ، ثم سلك [بهما] ثنية (٥) المَرَة ، ثم سلك بهما لِقفاً (٦)

---

(١) « عسفان » بضم العين المهملة وسكون السين بعدها فاء - منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل : بين المسجدين ، من مكة على مرحلتين ، وقال السكرى : عسفان على مرحلتين من مكة على طريق المدينة ، والجحفة : على ثلاث مراحل ، قاله ياقوت .

(٢) « أمج » بفتح الهمزة والميم وآخره جيم - بلد من أعراض المدينة ، وقال أبو المنذر بن هشام : أمج وغران : واديان يأخذان من حرة بنى سليم ويفرغان فى البحر ، قاله ياقوت .

(٣) « قديد » بضم القاف وفتح الدال وسكون الياء — قال أبو ذر : « موضع فيه ماء بالحجاز بين مكة والمدينة » اهـ وقال ياقوت : « اسم موضع قرب مكة ، قال ابن الكلبي : لما رجع تبع من المدينة بعد حربه لأهله نزل قديدا فهبت ريح قدت خيم أصحابه فسمى قديدا » اهـ

(٤) « الخرار » بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء - هو موضع بالحجاز يقال : هو قرب الجحفة ، وقيل : هو واد من أودية المدينة ، وقيل : ماء بالمدينة ، وقيل : موضع بخيبر . قاله ياقوت .

(٥) « ثنية المره » قال السهيلى : « هكذا وجدته مخفف الراء ، كأنه مسهل الهمزة من المرأة » اهـ

(٦) « لقفا » قال السهيلى : « بفتح اللام مقيدا فى قول ابن إسحاق ، وفى رواية ابن هشام لفتا » اهـ وقال ياقوت : « لفت : قيده القاضى عياض على ثلاثة أوجه : بفتح اللام وسكون الفاء ، عن أبى بحر ، ولفت بالتحريك عن القاضى أبى على ، وقيد غيرهم لفت بكسر اللام وسكون الفاء ، قال : وكذا ذكره ابن هشام فى السيرة ، قال : وهى ثنية بين مكة والمدينة ، وقال

قال ابن هشام : ويقال لِفتاً ، قال مَعْقِلُ بن خُوَيلد الْهُذَلى : —

نَزِيعاً مُحْلِبًا مِنْ أَهْلِ لِفتٍ ... لِحَيٍّ بَيْنَ أَثْلَةَ وَالنِّجَامِ (١)

قال ابن إسحق : ثم أجاز بهما مَدْلَجَةَ لِقْفٍ ، ثم استبطن بهما مَدْلَجَةَ مِجَاج (ويقال : (٢) مَجَاج ، فيما قال ابن هشام) ثم سلك بهما مَرْجِحَ مَجَاج ، ثم تبطن بهما مرجح (٣) من ذى الْغَضْوَيْنِ

الجحى : هى ثنية جبل قديد » اه وقال : « وفى لقف ولفت وقع الخلاف فى حديث الهجرة » اه

(١) قبل هذا البيت قول معقل الهذلى : —

لَعَمْرُكَ مَاخَشِيتُ وَقَدْ بَلَغْنَا ... جِبَالَ الْجَوْزِ مِنْ جَبَلِ تِهَامِ

وأثلة — بفتح الهمزة و سكون الثاء المثلثة — موضع قرب المدينة، والنجام — بكسر النون بعدها جيم — اسم موضع ؛ وقيل : اسم واد

(٢) ضبط فى كلام السهيلى « مجاج » بكسر الميم وجيمين فى قول ابن إسحاق ، وبفتح الميم وجيمين أيضا فى قول ابن هشام : لكن قال ياقوت : «مجاج : موضع من نواحى مكة ؛ وفى حديث الهجرة عن ابن إسحاق أن دليلهما جاز بهما مدلجة لقف ، ثم استبطن بها مدلجة محاج ، كذا ضبطه بفتح الميم وحاء مهملة وآخره جيم قال ابن هشام : ويقال مجاح بجيمه وكسر الميم ؛ والصحيح عندنا فيه غير مارووياه : جاء فى شعر ذكره الزبير بن بكار وهو مجاح بفتح الميم ثم جيم وآخره حاء مهملة ، والشعر هو قول محمد بن عروة بن الزبير : —

لَعَنَ اللهُ بَطْنَ لَقْفٍ مَسِيلاً ... وَمَجَاحاً وَمَا أُحِبُّ مَجَاحَا

لَقِيَتْ نَاقَتِي بِهِ وَبِلَقْفٍ ... بَلَدًا مُجْدِبًا وَأَرْضًا شَحَاحَا

وأنا أحسب أن هذه رواية ابن إسحاق ، وإنما انقلب على كاتب الأصل فأراد تقديم الجيم فقدم الحاء » اه

(٣) بفتح الميم وسكون الراء بعدها جيم مكسورة وآخره حاء مهملة ؛ موضع ذكره ياقوت ولم يبين موضعه ؛ وذكر هذا الحديث الذى نحن بصدده

قال ابن هشام : ويقال : الْعَضَوَيْن

ثم بطن ذى كَشْرَ [١] ثم أخذ بهما على الْجَدَاجِد [٢] ثم على الأجرد [٣] ، ثم سَلَكَ بهما ذا سَلَمٍ من بطن أعدا مَدْلَجَة تِعْهِن [٤] ، ثم على الْعَبَابِيد

قال ابن هشام : ويقال : الْعَبَابِيب ، ويقال : الْعَثْيَانَة ، يريد العبابيب

قال ابن إسحق : ثم أجاز بهما الْفَاجَة (ويقال : الْقَاحَة [٥] ، فيما قال ابن هشام)

[قال ابن هشام] : ثم هَبَط بهما الْعَرْجَ [٦] وقد أبْطَأ عليهما بعض ظُهرهما

---

(١) « كشر » بفتح الكاف وسكون الشين وآخره راء مهملة ـ هكذا ذكره ياقوت ، وذكر أنه وقع فى حديث الهجرة ، ثم قال : بين مكة والمدينة وفى أصول الكتاب « كشد » بالدال المهملة

(٢) « الجداجد » بفتح الجيم بعدها دال وبعد الألف جيم فدال ـ قال ياقوت : « يجوز أن يكون جمع جدجد ، وهى البئر القديمة ، وأظنها على هذا آبارا قديمة فى طريق ليس يعلم » اه

(٣) قال ياقوت : « اسم جبل من جبال القبلية ، له ذكر فى حديث الهجرة ؛ وقال نصر : الأشعر والأجرد : جبلا جهينة بين المدينة والشام » اه.

(٤) « تعهن » بكسر أوله وهائه وتسكين العين وآخره نون ـ اسم عين ماء سمى به موضع على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة ، وقد روى فيه فتح أوله وضمه مع كسر هائه أيضا ، قاله ياقوت

(٥) قال ياقوت : « مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا بنحو ميل ، قال نصر : موضع بين الجحفة وقديد ، وقال عرام : القاحة : فى ثافل الأصفر ، وهو جبل ، وفيها بئران عذبان غزيرتان ، وقد روى فيه الفاجة ـ بالفاء والجيم ـ ذكره فى السيرة فى حديث الهجرة القاحة والفاجة » اه

(٦) « العرج » بفتح العين وسكون الراء ـ عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج تذكر مع السقيا ، وهذا غير العرج الذى ينسب إليه العرجى

فحمل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من أسلم ، يقال له أَوْسُ بن حَجَر ، على جمل له يقال له ابن (١) الرداء ، إلى المدينة ، وبعث معه غلاما له يقال له مَسْعُود بن هُنَيْدة ، ثم خرج بهما دليلهما من العَرْجِ فسلك بهما ثَنِيَّةَ العائر (٢) عن يمين ركوبة (٣) (ويقال : ثنية الغائر فيما قال ابن هشام) حتى هبط بهما بطن (٤) رئم ، ثم قدم بهما قباء (٥) على

فذلك قرية جامعة فى واد من نواحى الطائف

(١) قال السهيلى : « وفى رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق : يقال له الرداح » اه

(٢) لم يذكر ياقوت العائر لا بالعين المهملة ولا بالغين المعجمة

(٣) « ركوبة » بفتح الراء المهملة — قال ياقوت : « ثنية بين مكة والمدينة عند العرج ، صعبة ، سلكها النبى صلى الله عليه وسلم عند مهاجرته إلى المدينة قرب جبل ورقان ؛ وكان معه صلى الله عليه وسلم ذو البجادين فحدا به وجعل يقول : —

تَعَرَّضِى مَدَارِجًا وَسُومِى تَعَرُّضَ الْجَوْزَاءِ لِلنُّجُومِ
هٰذَا أَبُو الْقَاسِمِ فَاسْتَقِيمِى

وقال الأصمعى : ركوبة : عقبة عند العرج سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان دليله إليها عبد الله ذو البجادين » اه كلامه

(٤) « رئم » بكسر الراء المهملة — موضع على أربعة برد من المدينة ، وقيل : على ثلاثة برد

(٥) « قباء » بضم أوله وآخره همز — قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة . وبها آثار بنيان كثير وهناك مسجد التقوى عامر قدامه رصيف وفضاء حسن وآبار ومياه عذبة وبها مسجد الضرار يتطوع العامة بهدمه ، قاله ياقوت

فى عَمْرو بن عوف ، لاثنَتَىْ عَشَرَةَ لَيْلَةً خلت [١] من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل

وصول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة

قال ابن إسحق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عوَيم بن ساعدة ، قال : حدثنى رجال من قومى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : لما سَمِعنَا بمَخْرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وتَوَكَّفْنَا قدومه [٢] كنا نخرج إذا صَلَّينَا الصبح إلى ظاهر حَرَّتِنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما نَبْرَحُ حتى تَغْلِبَنَا الشمس على الظلال [٣] ، فاذا لم نجد ظلاً دخلنا ، وذلك فى أيام حارَّة ، حتى إذا كان اليوم الذى قدوم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنا نجلس حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أول من راءه رجلٌ من اليهود ، وقد رأى ما كنا نصنع وأنا ننتظر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يابنى قَيْلَةَ [٤] ، هذا جدكم قد جاء ، قال : فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى ظل نَخْلة ومعه أبو بكر رضي الله عنه فى مثل سِنِّه ، وأكْثَرُنا لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، وركبه الناس ، [٥] وما

(١) قال السهيلي : « وقال غير ابن إسحاق : قدمها لثمان خلون من ربيع الأول ، وقال ابن الكلبي : خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة منه ، وكانت بيعة العقبة أوسط أيام التشريق » اه

(٢) « توكفنا قدومه » استشعرناه وانتظرناه

(٣) فى نسخة « على الظراب » وهى جمع ظرب ، وهو الجبل الصغير وهى كذلك عند أبى ذر

(٤) « بنى قيلة » يريد بهم الأنصار ، وقيلة : اسم جدة كانت لهم

(٥) « ركبه الناس » ازدحموا عليه

يعرفونه من أبي بكر ، حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظَلَّه بردائه ، فعرفناه عند ذلك

منزل أبي بكر رضي الله عنه

قال ابن إسحق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — على كُلْثُوم بن [1] هدم ، أخي بني عمرو بن عوف ، ثم أحد بني عبيد ، ويقال : بل نزل على سَعْدِ بن خَيْثَمَة ، ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن هدم : إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كُلثوم بن هدم جلس للناس في بيت سعد بن خَيْثَمَة ، وذلك أنه كان عَزَبًا لا أهل له ، وكان منزل الْعُزَّاب [2] من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين . فمن هنالك يقال : نزل على سعد بن خَيْثَمَة ، وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة : بيت العزاب [2] . فالله أعلم أي ذلك كان : كُلاًّ قد سمعنا

منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم

ونزل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على خبيب بن إساف [3] . أحد بني الحرث بن الخزرج بالسُّنْح [4] ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زيد بن أبي زهير ، أخي بني الحرث بن الخزرج

---

(١) « كلثوم بن هدم » هو أبو قيس كلثوم بن الهدم ابن امرىء القيس بن الحرث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وكان شيخا كبيرا ، مات بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بشيء يسير ، وهو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم مات بعده أسعد بن زرارة بأيام وسعد بن خيثمة

(٢) « ايقال لبيته بيت العزاب » هكذا روى وصوابه الأعزاب : لأنه جمع عزب ، ويقال : رجل عزب وامرأة عزب ، وربما قيل : امرأة عزبة بالتاء . قاله السهيلي

(٣) ويقال «ابن يساف» بالياء بدل الهمزة

(٤) السنح — بضم فسكون — إحدى محال المدينة

هجرة على بن أبى طالب رضى الله عنه

وأقام عَلِىٌّ بن أبى طالب عليه السلام بمكةَ ثلاثَ ليالٍ وأيامها ، حتى أدَّى عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لَحِقَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل معه على كُلْثُوم بن هدم ،

سهل بن حنيف يكسر أصنام قومه ويعطيها لامرأة مسلمة لتحتطب بها

فكان على بن أبى طالب [يقول و [1]] إنما كانت إقامته بِقُبَاء [على امرأة لازوج لها مسلمة [1]] ليلةً أو ليلتين [وكان] [1] يقول : كنت نزلت بقباء وكانت امرأةٌ لازوج لها مُسْلِمةٌ ، قال : فرأيت إنْسَانًا يأتيها من جَوْف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه ، فيعطيها شيئا معه ، فتأخذه ، قال : فَاسْتَرَبْتُ بشأنه ، فقلت لها : يَاأَمَةَ الله ، مَنْ هذا الرجل [الذى] يضرب عليك بابك كُلَّ ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئا لا أدرى ما هو وأنت امرأة مسلمة لازَوْجَ لك ؟ قالت : هذا سَهْلُ بن حُنَيْف بن واهب ، قد عرف أنى امرأة لاأحد لى ، فاذا أمسى عَدَا على أَوْثَانِ قومه فكَسَّرَهَا ثم جاءنى بها ، فقال : احتطبى بهذا ، فكان علىٌّ يَأْثُرُ [2] ذلك من أمر سَهْل بن حُنَيْف ، حين هلك عنده بالعراق

قال ابن إسحق : وحدثنى هذا من حديث على رضى الله عنه هِنْدُ ابن سَعْد بن سَهْل بن حُنَيْفٍ رضى الله عنه

مدة اقامة رسول الله بقباء

قال ابن إسحق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بِقُبَاء فى بنى عَمْرو بن عَوْف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وَأَسَّسَ مَسْجِدَهُ ، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة ، وبنو عمرو

---

(١) هذه الزيادة من الطبرى فيما يرويه عن ابن إسحاق

(٢) « يأثر ذلك » معناه يحدث به ، وتقول : أثر الحديث يأثره : إذا رواه ، وبابه قتل

ابن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك ؛ فالله أعلم أى ذلك كان .

أول جمعة صلاها النبى بالمدينة

/فأدركت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الجمعةُ فى بنى سالم بن عَوْفٍ فَصلَّاهَا فى المسجد الذى فى بطن الوادى وادى رَانُونَاء (١) فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ، فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نَضْلَةَ فى رجال من بنى سالم بن عَوْف ، فقالوا : يارسول الله ، أقم عندنا فى الْعَدَد وَالْعُدَّةِ وَالْمَنَعَة قال : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » لناقته ، فَخَلَّوْا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا وازنت دار بنى بَيَاضَةَ تَلَقَّاهُ زياد بن لَبيد وَفَرْوَةُ بن عَمْرو فى رجال من بنى بَيَاضَةَ ، فقالوا : يارسول الله ، هلم إلينا إلى الْعَدَد وَالْعُدَّة وَالْمَنَعَة ، قال : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » فَخَلَّوْا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بنى سَاعِدة اعترضه سَعْدُ بن عُبَادة وَالْمُنْذِر ابن عمْرو فى رجال من بنى ساعدة ، فقالوا : يارسول الله هَلُمَّ إلينا إلى الْعَدَدِ وَالْعُدَّة وَالْمَنَعَة ، قال : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » فَخَلَّوْا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا وَازَنَتْ دار بنى الْحٰرث بن الْخَزْرَج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رَوَاحة فى رجال من بنى الحرث بن الخزرج ، فقالوا : يارسول الله ، هَلُمَّ إلينا إلى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ والْمَنَعَة ، قال : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » فَخَلَّوْا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بنى عَدِىّ بن النجار — وهم أخواله دِنْيَا : أُمُّ عبدِ المطلب سَلْمى بِنْتُ عَمْرٍو إحدى نسائهم — اعترضها سليط بن قيس ، وأبو سليط أسيرة بن أبى

(١) قال ياقوت بعد أن ذكر كلام ابن إسحاق هذا : « وهذا لم أجده فى غير كتاب ابن إسحاق الذى لخصه ابن هشام ؛ وكل يقول : صلى بهم فى بطن الوادى فى بنى سالم . ورانوناء : بوزن عاشوراء وخابوراء » اهـ

خارجة ، في رجال من بني عَدِيّ بن النجار ، فقالوا : يارسول الله ، هَلُمَّ إلي أخوالكَ إلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْمَنَعَة ، قَال : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » فَخَلَّوْا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بَرَكَتْ علي باب مَسْجِدِهِ صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ مِرْبَدٌ [(١)] لِغُلَامَيْنِ يتيمين من بني النجار ، ثم من بني مالك بن النجار ، و [هما] في حِجْر مُعاذ بن عفراء : سهلٍ وَسُهَيْلٍ ابني عمرو ؛ فلما بركت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عَلَيْهَا لم ينزل وَثَبَتْ فسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضعٌ لها زِمَامَهَا لَا يَثْنِيهَا به ، ثم الْتَفَتَتْ [إلى] خلفها ، فرجعت إلى مَبْرَكِهَا أولَ مرة فبركت فيه ، ثم تَحَلْحَلَتْ [(٢)] وَرَزَمَتْ [(٣)] ووضعت جِرَانَهَا [(٤)] ،

---

(١) « مربد » بكسر الميم وفتح الباء بينهما راء مهملة ساكنة — أصله الموضع الذي يجفف فيه التمر

(٢) « تحلحلت » معناه : تحركت

(٣) « رزمت » يقال : رزمت الناقة رزوما ، إذا أقامت من الكلال والأعياء ، قاله السهيلي ، وقال ابن الأثير : رزمت الناقة رزاما ، وناقة رازم : أي ذات رزام ، وهي التي لاتتحرك من الهزال ، وقد روى ابن الأثير حديث ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن ناقته تلحلحت وأرزمت » بخلاف ماهنا في اللفظين جميعا ، وفسر أرزمت بقوله : « أي صوتت ، والارزام : الصوت لايفتح به الفم » اه كلامه ، فأما تلحلحت بتقديم اللام على الحاء — فقد حكاه السهيلي عن ابن قتيبة ، وذكر أنه فسره بمعنى لزم مكانه ؛ ثم قال « لكن الرواية في سيرة ابن إسحاق تحلحلت بتقديم الحاء على اللام » وأما أرزمت — بالهمزة — فلم يتعرض له باثبات ولا نفي ، لكنه قال بعد تفسير رزمت : « وأما أرزمت بالألف فمعناه رغت ورجعت في رغائها ، ويقال منه : أرزم الرعد ، وأرزمت الريح ، قاله صاحب العين » اه

(٤) « جرانها » الجران — بزنة كتاب — قال السهيلي : « أي عنقها » وقال أبو ذر : « والجران : ما يصيب الأرض من صدرها وباطن حلقها » اه

فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب خالدُ بن زيد رَحْلَهُ فوضعه فى بيته ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأل عن المِرْبَدِ لمن هو ، فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لِسَهْلٍ وسُهَيْلٍ ابنى عمرو ، وهما يتيمان لى ؛ وسأُرْضِيهُمَا منه ، فاتخذه مسجداً

بناء مسجد رسول الله

فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يُبْنَى مَسْجِدًا ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيُرَغِّبَ المسلمين فى العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ، وَدَأَبُوا فيه ، فقال قائل من المسلمين : —

لَئِنْ قَعَدْنَا والنَّبِيُّ يَعْمَلُ لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضَلَّلُ

فارتجز المسلمون وهم يَبْنُونه ، ويقولون : لا عَيْشَ إلاَّ عَيْشُ الآخرة ؛ اللَّهُمَّ ارحم الأنصار والْمُهَاجِرَهْ (١)

قال ابن هشام : هذا كلام ، وليس برجز

قال ابن إسحق : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاَ عَيْشَ إلاَ عَيْشُ الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار

عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية

فدخل عَمَّارُ بن ياسر وقد أثْقَلُوه باللَّبِنِ ، فقال: يارسول الله ، قَتَلُونِى يَحْمِلُون عَلَىَّ مالا يحملون ، قالت أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم : فرأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَنْفُضُ وَفْرَتَهُ بيــــده ، وكان رَجلاً جَعْدًا ، وهو يقول : « وَيْحَ ابْنِ سُمَيَّةَ ، لَيْسُوا بالَّذِينَ يَقْتُلُونَكَ ، إِنَّمَا تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ » وارتجز على بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ : —

---

(١) فى رواية : « اللهم فانصر الأنصار والمهاجرة »

لاَ يَسْتَوِى مَنْ يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَا يَدْأَبُ فِيهَا قَائِمًا وَقَاعِدًا

* وَمَنْ يُرَى عَنِ الْغُبَارِ حَائِدًا (١) *

قال ابن هشام : سألت غيرَ واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز ، فقالوا : بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به ، فلا يُدْرَى أهو قائله أم غيره

قال ابن إسحق : فأخذها عَمَّار بن ياسر فجعل يرتجز بها

قال ابن هشام : فلما أكثرَ ظنَّ رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إنما يُعَرِّضُ به ، فيما حدثنا زيادُ بن عبد الله البَكَّائي ، عن ابن إسحق . وقد سمى ابن إسحق الرجل (٢)

قال ابن إسحق : فقال : قد سمعتُ ما تقول مُنْذَ اليوم يا ابن سمية ، والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك ، قال : وفي يده عصا ، قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « مَا لَهُمْ وَلِعَمَّارٍ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ . إِنَّ عَمَّارًا جِلْدَةُ مَا بَيْنَ عَيْنِي وَأَنْفِي . فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يَسْتَبْقِ فاجتنبوه »

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عُيَيْنَةَ ، عن زكرياء ، عن الشعبي ، قال : إن أول من بَنَى مسجداً عَمَّارُ بن ياسر

قال ابن إسحق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب حتى بُنِيَ له مسجده ومساكنه ، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبي أيوب . رحمة الله عليه ورضوانه

---

(١) « حائدا » الحائد : المائل إلى جهة

(٢) قال أبو ذر : « إن هذا الرجل هو عثمان بن عفان ، رضي الله عنه »

سكنى رسول الله في دار أبي أيوب

قال ابن إسحق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليزني ، عن أبي رهم السماعي ، قال : حدثني أبو أيوب ، قال : لمّا نزل عليّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في السّفْل ، وأنا وأُمُّ أيوب في العلو ، فقلت له : يا نبيّ الله ، بأبي أنت وأُمّي ، إني لأكره وأُعظِمُ أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فاظهر أنت فكن في العلو ، وننزل نحن فنكون في السفل ، فقال : « يَا أَبَا أَيُّوبَ ، إِنَّ أَرْفَقَ بِنَا وَبِمَنْ يَغْشَانَا أَنْ نَكُونَ فِي سُفْلِ الْبَيْتِ » قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفله ، وكنا فوقه في المسكن ، فلقد انكسر حُبٌّ(١) لنا فيه ماء فقمْتُ أنا وأم أيوب بِقَطِيفَةٍ لنا مالنا لحافٌ غيرُها نُنَشِّفُ بها الماء تخوُّفًا أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء فيؤذيه ،

رسول الله يمتنع من أكل طعام فيه بصل أو ثوم

قال : وكنا نصنع له العشاء ثم نبعثُ به إليه ، فاذا رَدَّ علينا فَضْلَهُ تيمّمْتُ أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً ، أو ثوما ، فرد[ه] رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أر ليده فيه أثرا ، قال : فجئته فزِعًا ، فقلت : يا رسولَ الله ، بأبي أنت وأُمّي رَدَدْتَ عَشَاءك ولم أر فيه موضعَ يدك وَكُنْتَ إذا رَدَدْتَهُ علينا تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أيوب موضعَ يدك نبتغي بذلك البركة ، قال : « إِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِيحَ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ وَأَنَا رَجُلٌ أُنَاجِي ، فَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ » قال : فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد

تلاحق المهاجرين الى المدينة

قال ابن اسحق : وَتَلَاحَقَ المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يَبْقَ بمكة منهم أحد إلا مَفْتُونٌ أو مَحْبُوسٌ ، ولم يُوعِبْ أهلُ

---

(١) الحب – بضم الحاء – الخابئة ، وهي الجرة الكبيرة ، وجمعه حبة ، مثل جحر وجحرة

هِجْرَةٍ من مكه بأهليهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أهل دور مُسَمَّوْنَ : بنو مَظْعُون من بنى جُمَح ، و بنو جَحْش بن رئاب حُلفَاء بنى أمية ، وبنو الْبُكَيْر من بنى سَعْد بن ليث حُلفَاء بنى عَدِىّ بن كعب ؛ فان دورهم غُلِّقَتْ بمكة هجرةً ليس فيها ساكن ، ولما خرج بنو جَحْش بن رئاب من دارهم عَدَا عليها أبو سفيان ابن حَرْب فبَاَعهَا من عمرو بن عَلْقَمَة أخى بنى عامر بن لؤى ، فلما بلغ بنى جَحْش ما صَنَعَ أبو سفيان بدارهم ذكر ذلك عَبْدُ الله بن جَحْش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلاَ تَرْضَى يَا عَبْدَ اللهِ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ بِهَا دَارًا خَيْرًا مِنْهَا فى الْجَنَّة » قال : بلى ، قال « فَذٰلِكَ لَكَ » فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كلمه أبو أحمد فى دارهم . فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الناس لأبى [1] أحمد : يا أبا أحمد ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن تَرْجِعُوا فى شىء من أموالكم أصيب منكم فى الله عز وجل ، فأمسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لأبى سفيان : —

أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنْ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ نَدَامَهْ
دَارُ ابْنِ عَمِّكَ بِعْتَهَا تَقْضِى بِهَا عَنْكَ الْغَرَامَهْ
وَحَلِيفُكُمْ بِاللهِ رَ بِّ النَّاسِ مُجْتَهِدُ الْقَسَامَهْ
إِذْهَبْ بِهَا اذْهَبْ بِهَا طُوِّقْتَهَا طَوْقَ الْحَمَامَهْ

(١) قال السهيلى : « أبو أحمد هذا اسمه عبد ؛ وقيل : ثمامة ، والأول أصح ؛ وكانت عنده الفارعة بنت أبى سفيان ، ولهذا السبب تطرق أبو سفيان إلى بيع دار بنى جحش ؛ إذ كانت بنته فيهم ـ مات أبو أحمد بعد أخته زينب أم المؤمنين فى خلافة عمر » اهـ كلامه ؛ وقد يقال فى بنت أبى سفيان الفرعة كما تقدم

قال ابن إسحق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ قَدِمهَا شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بنى له فيها مسجده ومساكنه ، واستجمع له إسلام هذا الحى من الأنصار ، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من خَطْمَةَ وواقف ووائل وأمية وتلك أوس الله ، وهم حى من الأوس ، فإنهم أقاموا على شركهم

أول خطبة خطبها رسول الله بالمدينة

وكانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ؛ نَعُوذُ بِالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ـ أنه قام فيهم : فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ، تَعْلَمُنَّ وَاللهِ لَيُصْعَقَنَّ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لَيَدَعَنَّ غَنَمَه لَيْسَ لَهَا رَاعٍ ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ له ربه وَلَيْسَ لَهُ تَرْجُمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ يَحْجُبُهُ دُونَهُ أَلَمْ يَأْتِكَ رَسُولِي فَبَلَّغَكَ وَآتَيْتُكَ مَالاً وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكَ فَمَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ فَلَيَنْظُرَنَّ يَمِيناً وَشِمَالاً فَلَا يَرَى شَيْئاً ثُمَّ لَيَنْظُرَنَّ قُدَّامَهُ فَلَا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقِيَ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقٍّ مِنْ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْه فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ فَإِنَّ بِهَا تُجْزَى الْحَسَنَةُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ [وَعَلَى رَسُولِ اللهِ] وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ »

خطبة أخرى لرسول الله

قال ابن إسحق : ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ مرة أخرى . فقال : « إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُه ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا . مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ . وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللهُ فِي قَلْبِهِ وأَدْخَلَهُ فِي الإِسْلَامِ بَعْدَ

الْـكُفْرِ واخْتَارَهُ عَلى مَاسِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ إِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ أَحِبُّوا مَا أَحَبَّ اللهُ أَحِبُّوا اللهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللهِ وَذِكْرَهُ وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبُكُم فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُقُ اللهُ يَخْتَارُ وَيَصْطَفِي قَدْ سَمَّاهُ اللهُ خِيرَتَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمُصْطَفَاهُ مِنَ الْعِبَادِ وَالصَّالِحَ مِنَ الْحَدِيثِ وَمِنْ كُلِّ مَا أُوتِيَ النَّاسُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، فَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِهِ وَاصْدُقُوا اللهَ صَالِحَ مَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ يَغْضَبُ أَنْ يُنْكَثَ عَهْدُهُ والسلام عليكم »

كتاب رسول الله الذى كتبه بين المهاجرين والانصار لموادعة اليهود

قال ابن إسحق : وكتب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار وَادَعَ فيه يهودَ وعاهدهم ، وأقرَّهُمْ على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تَبِعَهُمْ فلحق بهم وجَاهَدَ مَعَهُمْ ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبْعَتِهِمْ (١) يَتعَاقَلون بينهم ، وهم يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ (٢) بالمعروف وَالقسْطِ بين المؤمنين ، و بنو عوف على رِبْعَتِهِمْ (١) يَتعَاقلون مَعَاقِلَهُمُ (٣) الأولى ، وكل طائفةٍ تَفْدى عَانيها (٢) بالمعروف

---

(١) « على ربعتهم » قال أبو ذر : « الربعة والرباعة : الحال التى جاء الاسلام وهم عليها ، ويقال : فلان يقوم برباعة أهله ، إذا كان يقوم بأمرهم وشأنهم » اه ، وقال السهيلي : « قال أبو عبيد : يقال : فلان على رباعة قومه إذا كان نقيبهم ووافدهم ، قلت : وكسر الراء فيه هو القياس على هذا المعنى ، لأنها ولاية ، وإن جعل الرباعة مصدرا فالقياس فتح الراء ، أى : على شأنهم وعادتهم من أحكام الديات والدماء » اه

(٢) العانى : الأسير

(٣) معاقلهم : جمع معقلة ، من العقل وهو الدية

والقِسْطِ بين المؤمنين ، وبَنُوساعِدَةَ على رِبْعَتِهِم يَتَعَاقَلون مَعَاقِلَهُمُ الأولى وكل طائفة منهم تَفْدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنوالحرث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو جُشَم على رِبْعَتِهِم يَتَعَاقَلُون مَعَاقِلَهُمُ الأولى، وكل طائفة منهم تَفْدِى عَانِيَهَا بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو النَّجَّارِ على رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُون مَعَاقِلَهُمْ الأولى، وكلٌّ طائفة منهم تَفْدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عَمْرو بن عَوْفٍ على رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقلون معاقِلَهُمُ الأولى وكلُّ طائفةٍ تَفْدى عَانِيَهَا بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النَّبِيتِ على رِبْعَتِهِمْ يَتَعاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الأولى ، وكلٌّ طائفة تَفْدِى عَانِيَهَا بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأوْسِ على رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقلون معاقلهم الأولى ، وكلٌّ طائفة منهم تَفْدِى عَانِيَهَا بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وإن المؤمنين لايتركون مُفْرَحا بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل »

قال ابن هشام : المفرح : المثقل من الدين الكثير والعيال ، قال الشاعر :—

إذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّى أَمَانَةً
وَتَحْمِلُ أُخْرَى أَفْرَحَتْكَ الْوَدَائِعُ(١)

« ولا يحالِفُ مؤمنٌ مَوْلَي مؤمنٍ دونه ، وإن المؤمنين المتقين عَلَى مَنْ بَغَى منهم أو ابتغى دسيعةَ (٢) ظلم أو إثم أو عُدْوان أو فساد

(١) « أفرحتك » أثقلتك ، هكذا فسره أبو عبيد كابن هشام هنا ، قال السهيلى : « يجوز أن يكون من أفعال السلب : أى سلبتك الفرح ، كما قيل : قسط الرجل ، إذا عدل : أى أزال القسط وهو الاعوجاج ، ويجوز أن تكون ألفاء فى « أفرحتك » مبدلة من الباء ، فيكون من البرح ، وهو الشدة ، تقول لقيت من فلان برحا : أى شدة » اه

(٢) أصل الدسيعة ما يخرج من حلق البعير إذا رغا ، وتستعار للعطية كما هنا

بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان وَلَدَ أحدهم ، ولا يقْتُلُ مؤمنٌ مؤمناً فى كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدةٌ : يُجِـيرُ عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وإنه من تبعنا من يَهُودَ فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدةٌ : لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سَوَاء وعَدْل بينهم ، وإن كل غَازِيَةٍ غزَتْ معنا يعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يُبِيء [1] بعضُهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يُجير مشركٌ مالاً لقريش ، ولا نفسا ، ولا يَحُول دونه على مؤمن وإنه من اعْتَبَط [2] مُؤْمناً قتلا عن بينة فانه قَوَدٌ به إلاّ أن يرضى ولىٌّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لايحل لمؤمن أقَرّ بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحْدِثاً ولا يُؤْوِيه ، وإنه من نصره أوآواه فان عليه لعنةَ الله وَغَضَبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صَرْف ولا عَدْل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مَرَدّهُ إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بنى عَوْف أمةٌ مع المؤمنين : لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ؛ إلا من أظلم وأثم فانه لا يُوتِـغُ [3] إلا نَفْسَهُ وأهْلَ بيته ، وإن لِيَهُودِ

---

(١) يبيء : يمنع ويكف

(٢) اعتبطه : أى قتله من غير ماشيء يوجب قتله

(٣) تقول : وتغ الرجل وتغا ـ مثل فرح فرحا ـ إذا هلك ، وتقول : أوتغته أو تغه ، إذا أهلكته

بنى النجارِ مِثْلَ ما ليهودِ بَنى عَوْفٍ ، وإن ليهود بنى الحرث مِثْلَ ما لِيَهُودِ بنى عَوْف ، وإن ليهود بنى ساعِدَةَ مِثْلَ ما ليهود بنى عَوْف ، وإن ليهود بنى جُشَمَ مثْلَ ماليهود بنى عَوْف ، وإن ليهودبنى الأَوْسِ مِثْلَ ما ليهود بنى عَوْفٍ ، وإن ليهود بنى ثَعْلَبَةَ مثْلَ ما ليهود بنى عَوْفٍ ، إلا من ظلم وأثم فانه لا يُوتِغُ إلا نَفْسَهُ وأَهْلَ بَيْتِهِ ، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وان لبنى الشُّطَيْبَةَ مثلَ ما ليهود بنى عوف وان الْبِرَّ دُونَ الاثم [(١)] وإنّ موالى ثعلبة كأنفسهم ، وإن بطانة [(٢)] يهود كأنفسهم ، وانه لا يخرج منهم أحد إلا باذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه لا ينحجز على ثار جرح ، وإنه من فَتَكَ فبنفسه فَتَكَ وأهلِ بيته إلا من ظلم ، وإن الله على أبر هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم [(٣)] وإن بَيْنَهُمَ النَّصْرَ على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النُّصْح والنصيحة والبرّ دون الاثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن اليهود يُنْفِقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يثرب حَرَامٌ جَوْفُهَا لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مُضَار ولا آثم ، وإنه لا تُجَارُ حرمة إلا باذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه

(١) « إن البر دون الاثم » أى إن البر ينبغى أن يكون حاجزا عن الاثم والوفاء ينبغى أن يمنع من الغدر

(٢) بطانة الرجل : خاصته وأهل سره الذين بهم يقوى وبنصرهم إياه يعتز ويفخر

(٣) قال السهيلى : « إنما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية ، إذ كان الاسلام ضعيفا ، كان لليهود إذ ذاك نصيب فى المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم فى هذا الكتاب النفقة معهم فى الحرب » اهـ كلامه

الصحيفة من حَدَثٍ أو اشْتِجار (١) يُخَاف فَسَادُه فان مَرَدَّه إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الله على أَتْقى ما فى هذه الصحيفة وأبَرّه ، وإنه لا تُجَارُ قريش ولا من نَصَرها ؛ وإن بينهم النصر على من دَهِمَ (٢) يثرب ، وإذا دُعوا إلى صُلْحٍ يصالحونه [ويلبسونه] فانهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين : على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم ، وإن يهود الأوْس مَوَالِيَهُمْ وأنفُسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البرّ الحسن من أهل هذه الصحيفة »

قال ابن هشام : ويقال مع البر المحسن من أهل هـذه الصحيفة .

قال ابن إسحق : «وإن البر دون الاثم : لايكسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق مافى هـذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وإنه من خرج آمنٌ ، ومن قعد آمِنٌ بالمدينة ، إلا من ظلم وأثم ، وإن الله جارٌ لمن بَرّ واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليهوسلم »

[قال ابن هشام : يوتغ : يهلك ، أو قال : يفسد]

رسول الله يؤاخى بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحق : وآخى (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم بين

(١) الاشتجار : الاختلاف ، وتقول : اشتجر القوم ، إذا اختلفوا

(٢) « دهم يثرب » فاجأها ، تقول : دهمتهم الخيل ، إذافاجأتهم

(٣) قال السهيلى : « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حين نزلوا المدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه : (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى

بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن تقول عليه مالم يقل : « تَآخَوْا فِي اللهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ » ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال : «هذا أخى» ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذى ليس له خطير (١) ولا نظير من العباد وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أخوين

وكان حمزة بن عبد المطلب أَسَدُ الله وأَسَدُ رسوله صلى الله عليه وسلم وعَمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وزَيْدُ بن حارثة مَوْلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخَوَيْن ، وإليه أوصى حمزةُ يوم أحد حين حضره القتال ، إن حدث به حادث الموت

وجعفرُ بن أبى طالب ذو الجناحين الطَّيَّارُ فى الجنة ومعاذ بن جبل أخو بنى سَلِمة أخوين

قال ابن هشام : وكان جعفر بن أبى طالب يومئذ غائبا بأرض الحبشة

قال ابن إسحق : وكان أبو بكر الصديق [رضى الله عنه بن أبى قُحَافة] وخَارِجَة بن زيد بن أبى زُهَير أخو بَلْحرث بن الْخَزْرج أخوين

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وعتبان بن مالك أخو بنى سالم بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين

وأبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح (واسمه عامر بن عبد الله) وسَعْدُ ابن مُعَاذ بن النعمان أخو بنى عبد الأشهل أخوين

كتاب الله) أعنى فى الميراث ، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال : (إنما المؤمنون إخوة) يعنى فى التواد وشمول الدعوة » اه

(١) الخطير : المثل والنظير

وعبدُ الرَّحمن بن عَوْف وسَعْدُ بن الرَّبيع أخو بَلْحرث بن الخزرج أخوين

والزُّبَيْر بن العَوَّام وسَلَمَةُ بن سَلَامة بن وَقْش أخو بنى عبد الأشهل أخوين ؛ ويقال : بل الزبير وعَبْدُ الله بن مسعود حليفُ بنى زُهْرَة أخوين

وعُثْمان بن عَفَّان وأوْسُ بن ثابت بن المُنْذِر أخو بنى النَّجَّار أخوين

وطلحةُ بن عُبَيْد الله وكَعْبُ بن مالك أخو بنى سَلِمة أخوين

وسعيد بن زَيْدبن عَمْرو بن نُفَيل وأبى بن كَعْب أخو بنى النجار أخوين

ومُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم وأبو أيوب خالدُ بن زيد أخو بنى النجار أخوين

وأبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة وعَبَّاد بن بِشْر بن وَقْش أخو بنى عبد الأشهل أخوين

وعَمَّار بن ياسر حَليفُ بنى مَخْزوم وحُذَيْفَة بن اليمان أخو بنى عبس حليفُ بنى عبد الأشهل أخوين، ويقال : ثابت بن قيس بن الشَّماس أخو بَلْحرث ابن الخزرج خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمار بن ياسر أخوين

وأبو ذر وهو برير بن جنادة الغفارى والمُنْذِر بن عمرو المُعْنِق (١) ليموت أخو بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج أخوين

قال ابن هشام : وسمعت غيرَ واحدمن العلماء يقول : أبو ذر : جندب ابن جنادة

قال ابن إسحق : وكان حاطب بن أبى بَلْتَعَة حليفُ بنى أسد (٢)

---

(١) المعنق : المسرع فى السير ، وفى بعض النسخ « المعتق » بالتاء ـ وهو تحريف (وانظر : هذا الجزء ص ٧٤ س ٧ مع الهامشة رقم ١)

(٢) « حليف بنى أسد » وقال السهيلى : « وقال غيره : كان عبداً لعبيد

ابن عبد العُزَّى وَعُوَيْم بن ساعدة أخو بنى عَمْرو بن عَوْف أخَوَيْن

وَسَلْمَان الْفَارِسِيُّ وَأَبُو الدَّرْدَاء عوَيْمر بن ثعلبة أخو بَلْحرث بن الخزرج أخوين

قال ابن هشام : عُوَيْمر : ابن عامر ، ويقال : عويمر : ابن زيد (١)

قال ابن إسحق : وَ بِلَالٌ مَوْلَى أبى بكر رضى الله عنهما مؤذن رسول صلى الله عليه وسلم وأبو رُوَيْحَة عبدُ الله بن عبد الرحمن الخَثْعَمى ثم أحد الفزَع (٢) أخوين

فهؤلاء من سُمِّىَ لنا ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم من أصحابه

الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى ، وقيل :كان من مذحج ، والأشهر أنه من لخم بن عدى ، واسم أبى بلتعة عمرو بن أسد بن معاذ » اه وقال ابن حجر : « حاطب ابن أبى بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب ابن سهل اللخمى ، حليف بنى أسد بن عبد العزى ، يقال : إنه حالف الزبير ، وقيل : كان مولى عبيدالله بن حميد بن زهير بن الحرث بن أسد ، فكاتبه فأدى مكاتبته ، اتفقوا على شهوده بدرا ، وثبت ذلك فى الصحيحين من حديث على » اه

(١) قال السهيلى : « وقيل : عويمر بن مالك بن ثعلبة بن عمرو بن قيس ابن أمية : من بلحرث بن الخزرج ، أمه محبة بنت واقد بن عمرو بن الأطنابة ، وامرأته أم الدرداء اسمها خيرة بنت أبى حدرد ، وأم الدرداء الصغرى اسمها جمانة ، مات أبو الدرداء بدمشق سنة اثنين وثلاثين ، وقيل : سنة أربع وثلاثين » اه

(٢) قال أبو ذر : « كذا قيده بالفاء والزاى أبو جعفر محمد بن حبيب فى مختلف أسماء القبائل ... ويروى القزع بالقاف والزاى ، وكذا رواه ابن سراج » اه وقال السهيلى : « والفزع عند أهل النسب هو ابن شهران بن

فلما دَوَّنَ عمر بن الخطاب الدواوين بالشأم ؛ وكان بلالٌ قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مجاهدا ؛ فقال عمر لبلال : إلى مَنْ تجعل ديوانك يابلال ؟ قال : مع أبي رُوَيْحة ، لا أفارقه أبدا ، للأخوة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه و بيني ؛ فضم إليه وَضُمَّ ديوان الحبشة إلى خَثْعَم ؛ لمكان بلال منهم ، فهو في خَثْعَم إلى هذا اليوم بالشأم

موت أسعد بن زرارة

قال ابن إسحق : وهلك في تلك الأشهر أبُو أُمَامة أسْعَدُ بْنُ زُرَارَة ، والمسجد يُبْنَى : أخذته الذُّبْحَة أَوْ الشَّهْقَة (١)

قال ابن إسحق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسْعَد بن زُرَارَة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بِئْسَ الْمَيِّتُ أَبُو أُمَامَةَ لِيَهُود وَمُنَا فِقِي الْعَرَبِ ، يقولون : لَوْ كَانَ نَبِيًّا لَمْ يَمُتْ صَاحِبُهُ . وَلاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي وَلاَ لِصَاحِبِي مِنَ اللهِ شَيْئًا »

قال ابن إسحق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، أنه لما مات أبوأمامة أسْعَدُ بن زُرَارة اجتمعت بنو النَّجَّار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو أمامة نَقِيبَهُمْ ، فقالوا له : يارسول الله ، إن هذاالرجل قد كان منا حيث قد علمت ، فاجْعَلْ منا رُجلاً مكانه ، يُقِيمُ من أمرنا ما كان يقيم ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : « أَنْتُمْ أَخْوَالِي

عفرس بن خلف بن أفتل ، وأفتل هو خثعم ، وهو ابن أنمار ، والفزع هذا بفتح الزاي ، وأما الفزع بسكونها فهو الفزع بن عبدالله بن ربيعة ، وكذلك الفزع في خزاعة وفي كلب هما ساكنان أيضا ... ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لأبي رويحة الخثعمي لواء عام الفتح وأمر أن ينادى : من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن » اه

(١) انظر (ص ٦٦ من هذا الجزء س ١٢ - ١٤)

وَأَنَا بِمَا فِيكُمْ وَأَنَا نَقِيبُكُم » وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخص بها بَعْضَهم دون بعض ، وكان من فضل بنى النجار الذى [كانوا يعدون] على قومهم أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبَهُمْ

التفكير فى الإعلام بحضور وقت الصلاة

خبر الأذان

قال ابن إسحق : فلما اطمأن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين ، واجتمع أمر الأنصار ؛ استحكم أمر الاسلام ، فقامت الصلاة ، وفُرِضَت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود ، وفرض الحلال والحرام ، وتبوأ الاسلام بين أظهرم ، وكان هذا الحىُّ من الأنصار هم الذين تَبَوَّأوا الدار والايمان ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة ، فهَمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يجعل بُوقاً كبُوقِ يَهُود الذى يَدْعُون به لصلاتهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فنُحِت ليُضْرَب به للمسلمين للصلاة

رؤيا عبد الله ابن زيد

فبينماهم على ذلك [إذ] رأى عبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه (١) أخو بَلْحرث بن الخزرج النِّدَاء ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يارسول الله ، إنه طاف بى هذه الليلةَ طائفٌ : مَرَّ بى رجلٌ عليه ثوبان أخضَرَان يحملُ ناقوسا فى يده ، فقلت له : ياعبدَ الله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قال : قلت : ندعو به إلى الصلاة ، قال : أفلا أدُلّكَ على خير من ذلك ؟ قال : قلت : وماهو ؟ قال: تقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله

(١) قال السهيلى : « هكذا ذكره ، وأكثر النساب يقولون : زيد بن عبد ربه : وثعلبة أخو زيد » اه

إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حَيَّ على الصلاة ، حَيَّ على الصلاة ، حَيَّ على الفلاح ، حَيَّ على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لاإله إلا الله

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللهُ ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِهَا عَلَيْهِ فَلْيُؤَذِّنْ بِهَا فَإِنَّهُ أَنْدَى (١) صَوْتًا مِنْكَ » فلما أذّن بها بلالٌ سمعها عمر بن الخطاب وهو فى بيته ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول : يانبيَّ الله ، والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فَلِلَّهِ الْحَمْدُ [عَلَى ذَلِكَ] »

قال ابن إسحق : حدثنى بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحرث ، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، عن أبيه

قال ابن هشام : وذكر ابن جريج ، قال : قال لى عطاء : سمعتُ عبيد ابن عمير الليثى يقول : ائتمر النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عُمَرُ بن الخطاب يريد أن يشترى خشبتين للناقوس إذ رأى عمر بن الخطاب فى المنام [أن] لاتجعلوا الناقوس بل أذّنوا للصلاة : فذهب عمر إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذى رأى ، وقد جاء النبيَّ صلى الله عليه وسلم الوحيُ بذلك ، فما راع عُمَرَ إلا بلالٌ يؤذن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : « قَدْ سَبَقَكَ بِذَلِكَ الْوَحْيُ »

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن امرأة من بنى النجار ، قالت : كان بيتى [من] أطول بيتٍ حولَ المسجد ،

---

(١) « أندى » بالنون ـ أنفذ وأبعد صوتا ، ومنه قول الشاعر :ـ

فَقُلْتُ ادْعُوا وَأَدْعُوَ ؛ إِنَّ أَنْدَى ... لِصَوْتٍ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ

فكان بلال يؤذن عليه للفجر كلَّ غَدَاةٍ ، فيأتي بسَحَر فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطَّى ، ثم قال : اللَّهمَّ [إني] أَحْمَدُك وأَسْتَعِينُكَ عَلَى قُرَيْش أنْ يُقِيموا [على] دينك ، قالت : ثم يؤذن ، قالت : والله ما علمته كان يَتْرُكها ليلةً واحدة

قال ابن إسحق : فلما اطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره ، وأظهر الله بها دينه ، وسَرَّه بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته ، قال أبو قَيْسٍ صِرْمَةُ بن أبي أَنس أخو بنى عَدِيّ بن النجار

أبو قيس صرمة بن أبي أنس النجارى

قال ابن هشام : أبو قيس : صِرْمَةُ بن أبي أَنَس بن صِرْمَة بن مالك ابن عديّ بن عامر بن غَنْم بن عَدِيّ بن النجار

قال ابن إسحق : وكان رجلا قد تَرَهَّب فى الجاهلية ، ولبسَ المُسُوح (١) ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة ، وتَطَهَّر من الحائض من النساء . وهَمَّ بالنصرانية ، ثم أمسك عنها ، ودخل بيتاً له فاتخذه مسجداً لاتدخله عليه فيه طامث ولا جُنُب ، وقال : أعْبُدُ ربَّ إبراهيم حين فارق الأوثان وكرهها ، حتى قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينَةَ فأسلم وحَسُن إسلامه ، وهو شيخ كبير ، وكان قَوَّالاً بالحق ، مُعَظِّما لله عز وجل فى جاهليته . يقول أشعارا فى ذلك حِسَانًا ، وهو الذى يقول : —

شعر أبي قيس

يَقُولُ أَبُو قَيْسٍ وَأَصْبَحَ غَادِيًا : أَلاَ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ وَصَاتِي فَافْعَلُوا
أُوَصِّيكُمُ بِاللهِ وَالْبِرِّ وَالتُّقَى وَأَعْرَاضِكُمْ وَالْبِرُّ بِاللهِ أَوَّلُ
وَإِنْ قَوْمُكُمْ سَادُوا فَلاَ تَحْسُدُنَّهُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ أَهْلَ الرِّيَاسَةِ فَاعْدِلُوا
وَإِنْ نَزَلَتْ إِحْدَى الدَّوَاهِي بِقَوْمِكُمْ فَأَنْفُسَكُمْ دُونَ الْعَشِيرَةِ فَاجْعَلُوا

(١) المسوح : جمع مسح . وهو ثوب أسود من شعر ، يلبسه الرهبان

وَإِنْ نَابَ غُرْمٌ فَادِحٌ فَارْفُقُوهُمُ ... وَمَا حَمَّلُوكُمْ فِي الْمُلِمَّاتِ فَاحْمِلُوا (١)

وَإِنْ أَنْتُمُ أَمْعَرْتُمُ فَتَعَفَّفُوا

وَإِنْ كَانَ فَضْلُ الْخَيْرِ فِيكُمْ فَأَفْضِلُوا (٢)

قال ابن هشام: وَيروى

* وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ فَادِحٌ فَارْدِفُوهُمُ *

قال ابن إسحق: وقال أبو قيس [صِرْمَةُ] أيضا: —

سَبِّحُوا اللهَ شَرْقَ كُلِّ صَبَاحٍ ... طَلَعَتْ شَمْسُهُ وَكُلَّ هِلاَلِ (٣)

عَالِمِ السِّرِّ وَالْبَيَانِ لَدَيْنَا ... لَيْسَ مَا قَالَ رَبُّنَا بِضَلاَلِ

وَلَهُ الطَّيْرُ تَسْتَرِيدُ وَتَأْوِى ... فِى وُكُورٍ مِنْ آمِنَاتِ الْجِبَالِ (٤)

---

(١) « فادح » مثقل ؛ تقول : فدحنى الأمر ، إذا ثقل عليك وصعب حمله . والملمات : جمع ملمة ، وهى النازلة من نوازل الدهر

(٢) « أمعرتم » يروى براء مهملة بعد العين المهملة ـ وهى التى شرح عليها السهيلى ؛ ومعناها افتقرتم ، قال المجد فى القاموس : « أمعر : افتقر وفنى زاده كمعر تمعيرا ، وأمعرت الأرض : لم يكن فيها نبات أو قل نباتها . » ويروى أيضا « أمعزتم » بالزاى ، وهى التى شرح عليها أبو ذر ، ومعناها أصابتكم شدة ، من قولهم رجل ما عز ومعز : أى شديد .

(٣) « شرق » قال أبو ذر : « الشرق هنا الضوء » اهـ ، وقال السهيلى : « الشرق : طلوع الشمس . وكل هلال بالنصب على الظرفية أى وقت كل هلال ، لأن الهلال قد أجرى مجرى المصادر فى قولهم : الليلة الهلال ، فلذلك صح أن يكون ظرفا . ولو خفضت وكل هلال عطفا على صباح لم يجز ؛ لأن الشرق لا يضاف إلى الهلال كما يضاف إلى الصباح » اهـ

(٤) « تستريد » أى تذهب وترجع . والوكور : جمع وكر ، وهو عش الطائر

وَلَهُ الْوَحْشُ بِالْفَلَاةِ تَرَاهَا ... فِي حِقَافٍ وَفِي ظِلَالِ الرِّمَالِ (١)
وَلَهُ هَوَّدَتْ يَهُودُ وَدَانَتْ ... كُلَّ دِينٍ إِذَا ذَكَرْتَ عُضَالِ (٢)
وَلَهُ شَمَّسَ النَّصَارَى وَقَامُوا ... كُلَّ عِيدٍ لِرَبِّهِمْ وَاحْتِفَالِ (٣)
وَلَهُ الرَّاهِبُ الْحَبِيسُ تَرَاهُ ... رَهْنَ بُؤْسٍ وَكَانَ نَاعِمَ بَالِ (٤)
يَا بَنِيَّ الْأَرْحَامَ لَا تَقْطَعُوهَا ... وَصِلُوهَا قَصِيرَةً مِنْ طِوَالِ (٥)
وَاتَّقُوا اللهَ فِي ضِعَافِ الْيَتَامَى ... رُبَّمَا يُسْتَحَلُّ غَيْرُ الْحَلَالِ
وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلْيَتِيمِ وَلِيًّا ... عَالِمًا يَهْتَدِي بِغَيْرِ السُّؤَالِ
ثُمَّ مَالَ الْيَتِيمِ لَا تَأْكُلُوهُ ... إِنَّ مَالَ الْيَتِيمِ يَرْعَاهُ وَالِي

---

(١) الحقاف : جمع حقف ـ بكسر فسكون ـ وهو المستدير من الرمل

(٢) هودت تابت ورجعت ، ومنه قوله تعالى : (إنا هدنا إليك) والعضال : الداء المعي الذى لا يبرأ ، فاستعاره ههنا ، قاله أبو ذر

(٣) شمس : معناه تعبد ، والشماس : عابد من عباد النصارى ، وسمى الشماس بذلك لأنهم يشمسون أنفسهم ، يريدون بذلك تعذيب أنفسهم فيما يزعمون هذا أصله (٤) الحبيس : الذى حبس نفسه عن اللذات

(٥) « قصيرة من طوال » يحتمل وجهين : أحدهما أن يريد صلوا قصرها من طولكم ، أى : كونوا أنتم طوالا بالصلة والبر إن قصرت هى ، والثانى : أن يريد مدح قومه بأن أرحامهم قصيرة النسب ولكنها من قوم طوال كما قال : ـ

أُحِبُّ مِنَ النِّسْوَانِ كُلَّ طَوِيلَةٍ ... لَهَا نَسَبٌ فِي الصَّالِحِينَ قَصِيرُ

وقال الطائى : ـ

أَنْتُمْ بَنُو النَّسَبِ الْقَصِيرِ وَطُولُكُمْ
بَادٍ عَلَى الْكُبَرَاءِ وَالْأَشْرَافِ

والنسب القصير أن يقول الانسان : أنا ابن فلان ، فيعرف من غير

يَا بَنِيَّ التُّخُـومَ لَا تخزلُوهَا إنَّ خَزلَ التُّخُومِ ذُو عُقَّالِ[(١)]
يَا بَنِيَّ الأَيَّامَ لَا تَأْمَنُـوهَا وَاحْذَرُوا مَكْرَهَا وَمَرَّ اللَّيَالِي
واعْلَمُوا أنَّ مرَّهَا لِنَفَادِ الخَلْـقِ مَا كَانَ مِنْ جَدِيدٍ وَبَالِ
وَاجْمَعُوا أَمْرَ كُمْ عَلَى البرِّ وَالتَّقْوَى وَتَرْكِ الخَنَا وَأَخْذِ الحَلَالِ

وقال أبو قيس صِرْمَةُ أيضا ، يذكر ما أكرمهم الله تبارك وتعالى به من الاسلام ، وما خصهم الله به من نزول رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم : —

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُواتِيَا[(٢)]
وَيعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ
فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِى وَلَم يَرَ دَاعِيَا[(٣)]
فَلَمَّا أَتَانَا أَظْهَرَ اللهُ دِينَـهُ فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَيْبَةَ رَاضِيَا
وَأَلْفَى صَدِيقًا وَاطْمَأَنَّتْ بِهِ النَّوَى وَكَانَ لَنَا عَونًا مِنَ اللهِ بَادِيَا[(٤)]
يَقُصُّ لَنَـا مَاقَالَ نُوحٌ لِقَوْمِـهِ وَمَا قَالَ مُوسَى إذْ أَجَابَ المنَادِيَا
فَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا قَرِيبًا وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيَا[(٥)]

حاجة إلى أن يزيد فى تعريف نفسه عن ذلك ، وهذه صفة الأشراف ، فيكنى بقولهم : فلان قصير النسب ، عن شرف أصله

(١) التخوم : حدود الأرضين ، يقال بضم التاء على أنه جمع تخم ، ويقال بفتح التاء على أنه جمع تخومة ، والعقال : مايمنع رجلك من المشى ويعقلها ، وهو بضم العين المهملة و تشديد القاف ، يريد أن من بدل فى تخوم الأرض قعد به ذلك عن بلوغ درجات المتقين

(٢) ثوى : أقام ، ومواتيا : مسعفا وموافقا

(٣) يؤوى — بضم الياء — مضارع آوى : أى جعل له مأوى

(٤) ألفى : وجد ، والنوى : البعد

(٥) نائيا : بعيدا ، يريد أنه قد أمن الأقارب والأباعد ، أى جميع الناس

بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ حِلِّ مَالِنَا وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَغَا وَالتَّآسِيَا (١)
وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ وَنَعْلَمُ أَنَّ اللهَ أَفْضَلُ هَادِيَا
نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا
أَقُولُ إِذَا أَدْعُوكَ فِي كُلِّ بِيْعَةٍ
تَبَارَكْتَ قَدْ أَكْثَرْتُ لِاسْمِكَ دَاعِيَا (٢)
أَقُولُ إِذَا جَاوَزْتُ أَرْضًا مَخُوفَةً
حَنَانَيْكَ لَا تُظْهِرْ عَلَيَّ الْأَعَادِيَا (٣)
فَطَأْ مُعْرِضًا إِنَّ الْحُتُوفَ كَثِيرَةٌ وَإِنَّكَ لَا تُبْقِي لِنَفْسِكَ بَاقِيَا (٤)
فَوَاللهِ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِي إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللهَ وَاقِيَا
وَلَا تَحْفِلُ النَّخْلُ الْمُعِيمَةُ رَبَّهَا إِذَا أَصْبَحَتْ رِيًّا وَأَصْبَحَ ثَاوِيَا (٥)

قال ابن هشام: البيت الذى أوله « فطأ معرضا إن الحتوف كثيرة » والبيت الذى يليه « فوالله مايدرى الفتى كيف يتقى » لأفنون (٦)

---

(١) الوغى: الحرب، والتآسى: التعاون

(٢) البيعة: أراد بها هنا المسجد

(٣) حنانيك: أى تحننا بعد تحنن، والتحنن: الشفقة والرأفة

(٤) الحتوف: جمع حتف، وهو الموت. وأراد هنا أسباب الموت وأنواعه، وفى نسخة « وإنك لا تبقى بنفسك باقيا »

(٥) المعيمة — بالعين المهملة — العطشى: من العيمة وهو العطش، وأكثر ما يقال ذلك فى اللبن، وثاويا: مقيما، ويروى ناويا — بالنون بدل الثاء — من النوى بمعنى الهلاك. أى هالكا

(٦) قال السهيلى: «ذكروا أن أفنون اخرج فى ركب فمروا بربوة اسمها الإلاهة — وكان الكاهن قد أخبره قبل ذلك أنه يموت بها — فلما أشرفوا عليها وأعلم باسمها

التغلبي ، وهو صُرَيْم بن مَعْشَر فى أبيات له

اليهود الذين كانوا يعادون النبي وأصحابه

قال ابن إسحق : وَنَصَبَتْ عند ذلك أحبار يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة بَغْياً وَحَسَداً وَضِغْناً ؛ لما خص الله تعالى به العربَ من أخذه رسوله منهم ، وأضاف [1] إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان عَسَا على جاهليته [2] ، فكانوا أهْلَ نفاقٍ على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث ، إلا أن الاسلام قَهَرَهم بظهوره ، واجتماع قومهم عليه ، فَظَهَرُوا بالاسلام ، واتخذوه جُنَّةً [3] من القتل ، ونافقوا فى السر وكان هَوَاهم مع يهود لتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وجحودهم الاسلام ، وكانت أحبار يَهُودَهُمُ الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم وَيَتَعَنَّتُونه [4] ويأتونه باللَّبْس لِيَلْبِسُوا الحق بالباطل ، فكان

كره المرور بها ، وأبى أصحابه إلا أن يمروا بها ، وقالوا له : لانتزل عندها ولكن نجوزها سعيا ، فلما دنا منها بركت ناقته به على حية ، فنزل لينظر ، فنهشته الحية ، فمات فقبره هنالك ، وقيل فى حديثه : إنه مر بها ليلا فلم يعرف بها حتى ربض به البعير الذى كان عليه وعلم أنه عند الالاهة ، فجزع ، فقيل له : لابأس عليك ، فقال : فلم ربض البعير ؟ فأرسلها مثلا ، وعند ماأحس بالموت قال هذين البيتين اللذين ذكرهما ابن إسحق ، وبعدهما :ـ

كَفَى حَزَنًا أَنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ غُدْوَةً ... وَأُتْرَكَ فِى جَنْبِ الْإِلَاهَةِ ثَاوِيَا

(١) أضاف إليهم : مال إليهم ، يريد أنه أخذ بما أخذوا به من الحسد والبغض والعداوة

(٢) عسا على جاهليته : بقى عليها واشتد فى الأخذ بها ، من قولهم : عسا العود يعسو ، إذا قوى واشتد

(٣) جنة : وقاية يحتنون بها : أى يستترون

(٤) يتعنتونه : أى يشقون عليه ، ويحاولون إنزال العنت به

القرآن ينزل فيهم وفيما يسألون عنه ، إلا قليلا من المسائل فى الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها

اليهود الذين نزل فيهم القرآن وكانوا يحقدون على النبى ويتعنتونه

منهم حُيَيّ بن أخطب ، وأخواه : أبو ياسر بن أخطب ، وجُدَيٌّ بن أخْطَب ، وسلام بن مِشْكَم ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ؛ وسلام ابن أبى الحقيق وأخوه سلام بن الربيع ، قال ابن إسحق : وهو أبو رافع الأعور وهو الذى قتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، والربيع بن الربيع بن أبى الحقيق ، وعمرو بن جحاش ، وكعب بن الأشرف وهو من طيء ثم أحد بنى نَبْهَان وأمُّه من بنى النضير ، والْحجّاج ابن عمرو حليف كعب بن الأشرف ، وكردم بن قيس حليف كعب بن الأشرف ، فهؤلاء من بنى النضير

ومن بنى ثعلبة بن الفطيون (١) عبد الله بن صورى الأعور (٢) ، ولم يكن بالحجاز فى زمانه أحد أعلم بالتوراة منه ، وابن صَلُوبا ، ومُخَيْريق ، وكان حبرهم [أسلم]

ومن بنى قَيْنُقَاع : زيد بن اللُّصَيت (ويقال : ابن اللُّصَيْب فيما قال ابن هشام) ، وسعد بن حنيف ، ومحمود بن سيحان ، وعزير بن أبى عزير ، وعبد الله بن صيف

(١) قال السهيلى : « الفطيون : كلمة عبرانية ، وهى عبارة عن كل من ولى أمر اليهود وملكهم ، كما أن النجاشى عبارة عن كل من ملك الحبشة ، وخاقان ملك الترك » اه وقال بعد ذلك بقليل : « إنما اليهود بنو إسرائيل وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر إنما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع ، غير أن فى الأوس والخزرج من قد تهود ، وكان من نسائهم من تنذر إذا ولدت ولدا إن عاش ولدها أن تهوده لأن اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب » اه

(٢) قال السهيلى : « ذكر النقاش أن عبد الله بن صورى أسلم لما تحقق من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة وأنه هو ، وليس فى سيرة ابن إسحاق ذكر إسلامه » اه

قال ابن هشام : ويقال : ابن ضيف

قال ابن إسحق : وسُوَيد بن الحرث ، ورفاعة بن قيس ، وفِنْحَاص وأشيع ، ونعمان بن أضا ، وبحرى بن عمرو ؛ وشاس[١] بن عدى ، وشاس[١] ابن قيس ، وزيد بن الحرث ، ونعمان بن عمرو ، وسكين بن أبى سكين ، وعدى بن زيد ، ونعمان بن أبى أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك بن الصيف

قال ابن هشام : ويقال ابن الضيف

قال ابن إسحق : وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبى رافع ، وخالد ، وإزار بن أبى إزار

قال ابن هشام : ويقال آزر بن أبى آزر

قال ابن إسحق : ورافع بن حارثة ، ورافع بن حريملة ، ورافع بن خارجة ، ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سلام بن الحرث ، وكان حَبْرَهُم وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين فلما أسلم سَمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ؛ فهؤلاء من بنى قَيْنُقَاع

ومن بنى قُرَيْظة : الزُّبَيْر بن باطا بن وهب ، وعَزَّال بن شَمْويل ، وكعب بن أسد وهو صاحب عَقْد بنى قريظة الذى نقض عام الأحزاب ، وشَمْويل بن زيد ، وجبـــل بن عمرو بن سكينة ، والنَّحَّام بن زيد ، وفردم بن كعب ، ووهب بن زيد ، ونافع بن أبى نافع ، وأبو نافع ، وعدى بن زيد ، والحرث بن عوف ، وكردم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رميلة ، وجبل بن أبى قشير ، ووهب بن يهوذا ؛ فهؤلاء من بنى قُرَيْظة

(١) فى نسخة « شاش » بالشين المعجمة

ومن يهود بنى زُرَيْق : لَبِيدُ بن أعصم ، وهو الذى أخَّذَ (١) رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه

ومن يهود بنى حارثة : كنانة بن صُوريا

ومن يهود بنى عَمْرو بن عَوْف : فردم بن عمرو

ومن يهود بنى النجار : سلسلة بن برهام

فهؤلاء أحبار اليهود ، وأهل [الشرور] والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأصحاب المسألة والنَّصب لأمر الاسلام ليطفؤه ؛ إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومُخَيْريق

إسلام عبدالله بن سَلَام

قال ابن إسحق : وكان من حديث عبد الله بن سَلَام (٢) ، كما حدثنى بعض أهله عنه ، وعن إسلامه حين أسلم ، وكان حَبْرًا عالما ، قال : لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عَرَفْتُ صفته واسمه وزمانه الذى كنا نتوَكَّف (٣) له ، فكنت مُسِرًّا لذلك ، صامتا عليه ، حتى قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، فلما نزل بقُباء فى بنى عَمْرو بن عَوْف أقبل رجلٌ حتى أخْبَرَ بقدومه ، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعمتى خالدة ابنة الحرث تحتى جالسةً ، فلما سَمِعْتُ الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أخذ : أى سحر ، من الأخذة ، وهى السحر

(٢) قال السهيلى : « سلام : هو بتخفيف اللام ، ولا يوجد من اسمه سلام ـ بالتخفيف ـ فى المسلمين ، لأن السلام من أسماء الله ، فيقال : عبد السلام ، ويقال : سلام ، بالتشديد ، وإنما سلام بالتخفيف ـ فى اليهود ، ووالد عبد الله منهم » اه

(٣) تتوكف : معناه نترقب ونتوقع

وسلم كَبَّرْتُ ، فقالت لى عمتى حين سمعت تكبيرى : خَيَّبَكَ الله ! !
والله لو كنت سمعت بمُوسَى بن عمران قادما مازدتَ ، قال : فقلت
لها : أى عمة هو والله أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بُعِثَ بما بعث
به ، قال : فقالت : أى ابنَ أخى ، أهو النبي الذى كُنَّا نُخَبر أنه يُبْعَثُ
مع نفس الساعة ؟ قال : فقلت لها : نعم ، قال : فقالت : فذَاكَ إذًا ، قال :
ثم خرجتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت ، ثم رجعت إلى
أهل بيتى فأمرتهم فأسلموا ، قال : وكتمت إسلامى من يهود ، ثم جئت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : يارسول الله ، إن يَهُودَ قوم بُهت
وإنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك وتغيبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى
حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا إسلامى ؛ فإنهم إن علموا
به بَهَتُونى وعابونى ، قال : فأدْخَلَنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض
بيوته ، ودخلوا عليه فكلموه وسألوه ، ثم قال لهم : « أىُّ رَجُلٍ الْحُصَيْنُ
ابْنُ سَلاَمٍ فيكم » ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وحَبْرُنا وعالمنا ، قال :
فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم ، فقلت لهم : يامعشر يهود ، اتَّقُوا الله
واقْبَلُوا ماجاءكم به ، فوالله إنكم لَتَعْلَمُونَ إنه لَرَسُولِ الله ، تجدونه مكتوبا
عندكم فى التوراة باسمه وصفته ، فانى أشهد أنه رسولُ الله وأومن به وأصدقه
وأعرفه ، فقالوا : كذبت ، ثم وقعوا بى ، فقلت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم : ألم أخبرك يارسول الله أنهم قوم بُهْتٌ أهلُ غَدْرٍ وكَذِبٍ وفُجُورٍ ؟
قال : وأظهرت إسلامى وإسلام أهل بيتى ، وأسلمَتْ عمتى خالدة بنت
الحرث فحسن إسلامها

حديث مخيريق

قال ابن إسحق : وكان من حديث مخيريق ، وكان حَبْرًا عالما ،وكان رجلا غنيا كثير الأموال من النخل ، وكان يَعْرِف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ومايجد فى علمه ، وغلب عليه إلْفُ دينه ، فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أُحُد ، وكان يوم أحد يوم السبت ، قال : يامعشر يهود ، والله إنكم لتعلمون إن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لاسَبْتَ لكم ، ثم أخذ سلاحه ، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم [وأصحابه] بأُحُد ، وعهد إلى من وراءه من قومه إن قُتِلْتُ هذا اليومَ فأموالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ماأراه الله ، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يقول : « مُخَيْرِيق خَيْرُ يهود » وَقَبَضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله ، فعامَّةُ صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر [بن محمد بن عمرو بن حزم] ، قال : حُدِّثْتُ عن صَفِية بنت حُيَيِّ بن أخطب أنها قالت : كُنْتُ أَحبَّ ولد أبى إليه وإلى عمى أبى ياسر ، لم أَلْقَهُمَا قَطُّ مع ولد لهما إلا أخذانى دونه ، قالت : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المَدينةَ ونزل بقباء فى بنى عَمْرو بن عَوْف غدا عليه أبى حُيَيّ بن أخطب وعَمِّى أبو ياسر بن أخطب مُغَلِّسَيْن ، قالت : فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس ، قالت : فأتيا كالَّيْن كَسْلاَنَيْن ساقطين يَمْشِيَان الْهُوَيْنى (١) ، قالت : فَهَشِشْتُ إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ماالتفت إلىَّ واحد منهما مع مابهما من الغَمّ

(١) الهوينى : ضرب من المشى فيه فتور وضعف

قالت : وسمعت عَمِّى أبا ياسر وهو يقول لأبى حُيَىّ بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : أتعرفه وتُثْبته ؟ قال : نعم ، قال : فما فى نفسك منه ؟ قال : عداوته والله مابقيت .

المنافقون وأسماؤهم

قال ابن إسحق : وكان ممن أضاف إلى يهود ، ممن سُمِّى لنا من المنافقين ، من الأوس والخزرج والله أعلم

من الأوس ، ثم من بنى عَمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس ، ثم من بنى لَوْذان بن عَمْرو بن عوف : زُوَى بن الحرث

ومن بنى حبيب بن عَمْرو بن عوف : جُلاَس بن سُوَيد بن الصامت ، وأخوه الْحرث بن سويد ، وجلاس الذى قال وكان ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبُوك : لئن كان هذا الرجل صادقًا لنحنُ شَرٌّ من الْحُمُرِ ، فرَفَعَ ذلك من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عميرُ ابن سعد أحدهم ، وكان فى حجر جلاس خلف [جُلاَسُ] على أمه بعد أبيه ، فقال له عمير بن سعد : والله ياجلاس إنك لأحَبُّ الناس إلىّ وأحسنه عندى يدا ، وأعزه على أن يصيبه شىء يكرهه ، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفْضَحَنَّك ، ولئن صَمَتُّ عليها لَيُهلِكَنَّ دينى ، ولإحداهما أيْسَرُ علىّ من الأخرى ، ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قال جلاس ، فحلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كذب على عمير ، وما قلت ما قال عمير بن سعد ، فأنزل الله عز وجل فيه (٩ : ٧٤) : (يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَاقَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍ وَلَا نَصِيرٍ)

قال ابن هشام : الأليم : الْمُوجِع ، قال ذو الرمة يصف إبلا : —

وَنَرْفَعُ مِنْ صُدُورِ شَمَرْدَلَاتٍ يَصُكُّ وُجُوهَهَا وَهَجٌ أَلِيمُ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحق : فزعموا أنه تاب فَحَسُنَتْ توبته حتى عرف منه الخير والاسلام ، وأخوه الحرث بن سُوَيْد الذى قتل المجذر بن ذياد الْبَلَوِىّ وقَيْس بن زَيْد أحدَ بنى ضبيعة يوم أحد ؛ خرج مع المسلمين ، وكان منافقا ، فلما التقى الناس عَدَا عليهما فقتلهما ؛ ثم لحق بقريش

قال ابن هشام : وكان المجذر بن ذياد قَتَلَ سُوَيْد بن صامت فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، فلما كان يَوْمَ أحد طَلَبَ الْحَرِثُ بْنُ سويد غِرَّةَ المجذر بن ذياد ليقتله بأبيه ، فقتله وحده ، وسمعت غَيْرَ واحد من أهل العلم يقوله ، والدليل على أنه لم يقتل قيس بن زيد أن ابن إسحق لم يذكره فى قتلى أحد

قال ابن إسحق : قتل سُوَيْدَ بن صامتٍ مُعَاذُ بن عَفْرَاء غِيلةً فى غير حرب ، رماه بسهم فقتله ، قبل يوم بعاث

قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يذكرون ، قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إنْ هو ظفر به ، ففاته ، فكان بمكة ثم بعث إلى أخيه جلاس يطلب التوبة ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه فيما بلغنى عن ابن عباس (٣ : ٦ * ٨) : (كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) إلى آخر القصة

---

(١) شمردلات : الابل الطوال ، ويصك : يضرب ، وأراد أنه شديد اللفح ، والوهج : الحر أو شدته

ومن بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عَمْرو بن عَوْف :
بجاد(١) بن عثمان بن عامر

[ومن بنى لَوْذان بن عمر بن عوف] : نَبْتَل ابن الحرث ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى « مَنْ أَحبَّ أَنْ يَنظُرَ إِلَى الشَّيْطَانِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى نَبْتَلِ بْنِ الْحرث » وكان رجلا جسيما أَدْلَمَ (٢) ، ثائر شعر الرأس (٣) ، أحمر العينين أَسْفَعَ الخَدَّيْن (٤) ، وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث إليـه ، فيسمع منه ، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين وهو الذى قال : إنما محمد أُذُن مَنْ حدَّثه شيئا صدَّقه ، فأنزل الله عز وجل فيه (٩ : ٦١) : (ومِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض رجال بَلْعَجْلانَ أنه حُدِّث أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : إنه يجلس إليك رجلٌ أَدْلم ثائر شعر الرأس أَسْفَعُ الخدَّيْن أحمر العينين كأنهما قِدْرانِ من صفرٍ كَبِدُه أغلظ من كَبِدِ الحِمَار يَنقُل حديثَكَ إلى المنافقين ، فاحْذَرْه ، وكانت تلك صفةَ نَبْتَل بن الحرث ، فيما يذكرون

ومن بنى ضبيعة : أبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنَى مسجد

(١) قال أبو ذر : « روى بالباء ، ويروى بالنون ، وبجاد بالباء قيده الدارقطنى » اه

(٢) الأدلم : الطويل الأسود ، ويقال : هو المسترخى الشفتين ، قال السهيلى : ويقال لجماعة النمل : الديلم لسوادهم

(٣) ثائر شعر الرأس : مرتفعه

(٤) أسفع : من السفعة ، وهى حمرة تضرب إلى السواد .

الضِّرار ؛ وثعلبة بن حَاطب ؛ ومُعَتِّب بن قشير ، وهما اللذان عاهَدَا الله لئن آتانا من فضله لنَصَّدَّقَنَّ ولنكونن من الصالحين ، إلى آخر القصة ، ومعتب هو الذى قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شىء ماقتلنا ههنا ، فأنزل الله فى ذلك من قوله تعالى : (٣ : ١٥٤) : (وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَاقُتِلْنَا هٰهُنَا) إلى آخر القصة ، وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يعِدُنا أن نأكل كنوزَ كِسْرى وقَيْصَر ، وأحَدُنَا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط ، فأنزل الله عز وجل فيه (٣٣ : ١٢) (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إلا غرورا) ، والحرث بن حاطب

قال ابن هشام : معتب بن قشير وثعلبة والحرث ابنا حاطب ، وهم من بنى أمية بن زيد ، من أهل بدر ، وليسوا من المنافقين فيما ذكر لى من أثق به من أهل العلم ، وقد نسب ابن إسحق ثعلبة والحرث فى [بنى] أمية بن زيد فى أسماء أهل بدر

قال ابن إسحق : وعباد بن حنيف ؛ أخو سهل بن حنيف ؛ وبَحْزَج وهو ممن كان بنى مسجد الضرار ، وعمرو بن خذام ، وعبد الله بن نَبْتَل

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : جارية بن عامر بن العطاف ، وابناه زيد ومُجَمِّع أبنا جارية ، وممن اتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمع غلاما حَدَثًا قد جمع من القرآن أكثره ، وكان يصلى بهم فيه ، ثم إنه لما أخرب المسجد وذهب رجال من بنى عَمْرو بن عَوْف كانوا يصلون ببنى عمرو بن عوف فى مسجدهم ؛ وكان زمان عمر بن الخطاب كُلِّم فى مُجَمِّع ليصلى بهم ، فقال : لا ، أوليس بامام المنافقين فى مسجد الضرار ؟ فقال لعمر : يا أمير المؤمنين ، والله الذى لا إله إلا هو ماعلمت بشىء من أمرهم ،

ولكنى كنت غلاماً قارئاً للقرآن، وكانوا لا قرآن معهم ، فقدّمونى أصلى بهم وما أُرى أمرَهم إلاعلى أحسن ما يذكرون ، فزعموا أن عمرتركه فصلى بقومه .

ومن بنى أمية بن زيد بن مالك : وديعة بن ثابت ، وهو ممن بنى مسجدالضِّرار ، وهو الذى قال : إنما كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم(٩ : ٦٥) :(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) إلى آخر القصة

ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك : خِذَام بن خالد ، وهو الذى أُخرج مسجد الضِّرار من داره

[قال ابن هشام :] وبشر ، ورافع بن زيد

ومن بنى النبيت : قال ابن هشام : النَّبيت : عمرو بن مالك بن الأوس

قال ابن إسحق : ثم من بنى حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : مِربَع بن قَيْظِيّ ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامد إلى أُحُد : لا أُحِلُّ لك يامحمد إن كنت نبيًّا أن تمر فى حائطي ، وأخذ فى يده حفنة من تراب ثم قال : والله لوأ علم أنى لاأصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دَعُوهُ فَهذَا الأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبِ أَعْمَى الْبَصَرِ » فضربه سعد بن زيد أخو بنى عبدالأشهل بالقوس فشجه ؛ وأخوه أوْسُ بن قيظى ، وهو الذى يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : إنَّ بيُوتنا عَوْرَة ، فأْذَنْ لنا فلنرجع إليها ، فأنزل الله تبارك تعالى فيه (٣٣: ١٣) : (يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَاهِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً) .

قال ابن هشام : عَوْرَة : أى معورة للعدو وضائعة ، وجمعها عَوْرَات ، قال النابغة الذُّبيانى : —

مَتَى تَلْقَهُمْ لَا تَلْقَ لِلْبَيْتِ عَوْرَةً وَلَا الْجَارَ مَحْرُوماً وَلَا الْأَمْرَ ضَائِعَا

وهذا البيت فى أبيات له ، والعورة أيضا : عورة الرجل ، وهى حرمته ، والعورة أيضا : السوءة

قال ابن إسحق : ومن بنى ظفر (واسمُ ظفر كَعْبُ بن الحرث بن الخزرج) : حاطب بن أمية بن رافع ، وكان شيخاً جسيماً قد عَسَا[1] فى جاهليته ، وكان له ابْنٌ من أخْيَار المسلمين يقال له : يزيد بن حاطب ، أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم ، وهو بالموت ، فجعلوا يقولون : أبشر يا ابْنَ حاطب بالجنة ، قال : فَنَجَمَ[2] نِفَاقُه [حينئذ] ، قال : يقول أبوه : أجَلْ جَنَّة من حَرْمَل ! ! ! غَرَرْتم والله هذا المسكين من نفسه

قال ابن إسحق : وبُشَيْر بن أبيرق ، وهو أبو طعمة سارق الدِّرْعَين[3].

---

(١) عسا : كبر واشتد ، أنظر (ص ١٣٥ من هذا الجزء)

(٢) نجم : ظهر

(٣) قال السهيلى : «كان من قصة الدرعين وقصة بشير ان بنى أبيرق ، وهم ثلاثة : بشير ومبشر وبشير ، نقبوا مشربة ، أو نقبها بشير وحده على ما قال ابن إسحاق ، وكانت المشربة لرفاعة بن زيد ، وسرقوا أدراعا له وطعاما . فعثر على ذلك ، فجاء ابن أخيه قتادة بن النعمان يشكوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء أسيد بن عروة بن أبيرق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إن هؤلاء عمدوا إلى أهل بيت هم أهل صلاح ودين فأبنوهم بالسرقة ورموهم بها من غير بينة ، وجعل يجادل عنهم

الذى أنزل الله تعالى فيه : (٤ : ١٠٧) : (وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنّ الله لَايُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوّانًا أَثِيماً) ، وقُزْمَان حليف لهم .

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إِنَّهُ لِمَنْ أَهْلِ النَّارِ » فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداحتى قَتَلَ بضعةَ نفرٍ[1] من المشركين ، فأثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر ، فقال له رجال من المسلمين : أَبْشِرْ ياقزمان فقد أَبْلَيْتَ اليوم ، وقد أصابك ماترى فى الله ، قال : بماذا أبشر ؟ فوالله ماقاتلت إلا حَمِيَّةً عن قومى ، فلما اشتدت به جراحاته وآذته أخذ سَهْماً من كِنَانته فقطع به رَوَاهِشَ[2] يده فَقَتَلَ نفسه

قال ابن إسحق : ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم ، إلا أن الضحاك بن ثابت أحد بنى كعب رهط سعد بن زيد قد كان يُتَّهَمُ بالنفاق وحُبِّ يهود

حتى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتادة ورفاعة ، فأنزل الله تعالى (ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم) وأنزل الله عز وجل : (ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا) وكان البرىء الذى رموه بالسرقة لبيد بن سهل قالوا : ما سرقناه وإنما سرقه لبيد بن سهل ، فبرأه الله ، فلما أنزل الله فيهم ما أنزل هرب ابن أبيرق السارق إلى مكة ، ونزل على سلافة بنت سعد بن شهيد ، فقال فيها حسان بن ثابت أبياتا يعرض فيه بها ، فقالت : إنما أهديت لى شعر حسان ، وأخذت رحله وطرحته خارج الدار ، وقالت : حلفت وسلقت وخرقت إن بت فى منزلى ليلة ، فهرب إلى خيبر ، ثم إنه نقب بيتا ذات ليلة فسقط الحائط عليه فمات » اه

(١) فى نسخة « تسعة نفر »

(٢) الرواهش : عصب ظاهر اليد

قال حسان بن ثابت : —

مَنْ مُبْلِغُ الضَّحَّاكِ أَنَّ عُرُوقَهُ أَعْيَتْ عَلَى الإِسْلَامِ أَنْ تَتَمَجَّدَا
أَتُحِبُّ يُهْدَانَ الْحِجَازِ وَدِينَهُمْ كَبِدَ الْحِمَارِ، وَلاَ تُحِبُّ مُحَمَّدَا
دِيناً ، لَعَمْرِي ، لاَيُوَافِقُ دِينَنَا مَا اسْتَنَّ آلٌ فِي الْفَضَاءِ وَخَوَّدَا

قال ابن إسحق : وكان جُلَاسُ بن سُوَيْد بن صامت قبل توبته ، فيما بلغنى ، ومعتب بن قشـير ورافع بن زيد وبشر ، وكانوا يُدْعون بالاسلام ، فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين فى خصومةٍ كانت بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَدَعَوْهُمْ إلى الـكُهَّان حُـكَّامِ أهل الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل فيهم (٤ : ٦٠) : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ومَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَـكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً) إلى آخر القصة

ومن الخزرج ، ثم من بنى النجار : رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهل

ومن بنى جشم بن الخزرج ، ثم من بنى سَلِمة : الْجَدُّ بن قيس ، وهو الذى يقول : يامحمد ، أْئذَنْ لِى وَلاَ تَفْتِنِّى ، فأنزل الله تعالى فيه (٩ : ٤٩) : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْـكَافِرِينَ) إلى آخر القصة

ومن بنى عَوْف بن الخزرج : عبدُ الله بن أُبَيّ ابنِ سلُولَ ، وكان رأس المنافقين ، وإليه يجتمعون ، وهو الذى قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فى غزوة بنى المصطلق ، وفى قوله ذلك نزلت سورة المنافقين بأسرها ، وفيهوفى وديعة رجل من بنى عَوْف ومالك بن أبي

قوقل وسويد وداعس ، وهم من رهط عبد الله بن أبي ابن سلول ، وعبدُ الله بن أبي ابن سلول وهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسُّون إلى بني النضير حين حاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن اثبتوا ، فوالله لئن أُخرجتم لَنَخْرُجَنَّ معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا ، وإن قوتلتم لننصرنكم ، فأنزل الله تعالى فيهم (٥٩ : ١١) : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله (٥٩ : ١٦) : (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله الْبَكَّائي ، قال : حدثنا محمد بن إسحق المطلبي ، قال :

من أسلم من أحبار اليهود نفاقا

وكان ممن تعوَّذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار يهود من بني قَيْنُقَاع : سَعْد بن حنيف ، وزيد بن اللُّصَيْت ، ونعمان بن أبي أوفى بن عمرو ، وعثمان بن أوفى .

وزيد بن اللصيت الذي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسوق بني قَيْنُقَاع ، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه الخبر بما قال عدوُّ الله في رحله ودلّ الله تبارك وتعالى رسولَهُ صلى الله عليه وسلم على ناقته : « إنّ قائلاً قال يَزْعُمُ محمد أنه يأتيه خبرُ السماء ولا يدري أين ناقته ، وإني والله ما أعْلَمُ إلاّ ما عَلّمَني

اللهِ وَقَدْ دَلَّنِى اللهُ عَلَيْهَا فَهِيَ فِى هٰذَا الشِّعْبِ قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا » فذهب رجال من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكما وصف .

ورافع بن حريملة ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنا حين مات : « قَدْ مَاتَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ مِنْ عُظَمَاءِ المنافقين »

ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبت عليه الريح وهو قَافِلٌ من غزوة بنى الْمُصْطلق فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لاَ تَخَافُوا فَإِنَّمَا هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَاءِ الْكُفَّارِ » فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد رفاعة بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذى هبت فيه الريح

وسلسلة بن برهام ، وكنانة بن صوريا

اجتماع المنافقين بمسجد رسول الله واخراجهم منه

وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيسمعون أحاديث المسلمين ، ويسخرون منهم ، ويستهزئون بدينهم

فاجتمع يوماً فى المسجد منهم ناس ، فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم خَافِضِى أصْوَاتِهم قد لَصِقَ بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُخْرِجُوا من المسجد إخْرَاجًا عَنيفاً ؛ فقام أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب إلى عمرو بن قَيْس أخى بنى غَنْم بن مالك بن النجار وكان صاحب آلهتهم فى الجاهلية ؛ فأخذ بِرِجْلِهِ فَسَحَبه (١) حتى أخرجه من المسجد وهو يقول : أَتُخْرِجُنِى يا أبا أيوب من مِرْبَد بنى ثعلبة ؟!! ثم أقبل أبو أيوب أيضا إلى رافع بن وديعة أحدِ بنى النجار فَلَبَّبه بردائه ؛

(١) سحبه : جره .

ثم نَتَرَهُ نَتْراً (١) شديدا ، ولطم وجهه ، ثم أخرجه من المسجد ، وأبو أيوب يقول له : أفٍّ لك منافقاً خبيثا ، أدرَاجَكَ يامنافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

[قال ابن هشام : أى ارْجِع من الطريق التى جئت منها ؛ قال الشاعر : —

فوَلّي وَأَدْبَرَ أَدْرَاجَــهُ وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ ثَمّْ (٢)]

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ، وكان رجلا طويل اللحية ، فأخذ بلحيته فقاده بها قَوْدًا عنيفا حتى أخرجه من المسجد ، ثم جَمَعَ عمارةُ يديه جميعا فلَدَمَهُ بهما فى صدره لَدْمَةً خرَّ منها ، قال : يقول : خَدَشْتَنِي ياعمارة ، قال : أَبْعَدَكَ الله يامنافق ، فما أعَدَّ الله لك من العذاب أَشَدُّ من ذلك ، فلا تَقْرَبَنَّ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : وَاللّدْمُ : الضرب ببطن الكف ، قال تميم بن أبى بن مقبل : —

ولِلْفُؤَادِ وَجِيبٌ تَحْتَ أَبْهَــرِهِ لَدْمَ الْوَلِيدِ وَرَاءَ الْغَيْبِ بِالْحَجَرِ (٣)

قال ابن هشام : الغيب : ماانخفض من الأرض ، والأبهر : عرق القلب .

قال ابن إسحق : وقام أبو محمد ، رجُلٌ من بنى النجار كان بَدْرِيًّا ، وأبو محمد : مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثَعْلَبَةَ بْن غَنْم ابن مالك بن النجار ، إلى قيس بن عَمْرو بن سهْل ، وكان قيسٌ غلاماً

---

(١) نتره : جذبه

(٢) قال فى القاموس «ورجع أدراجه ، ويكسر» أى : فى الطريق الذى جاء منه » اهـ ، وباء : رجع ، وثم بفتح الثاء — أى هناك

(٣) وجيب : خفقان واضطراب ، والأبهر : عرق فى الصلب ، والغيب الغائر من الأرض ، وقد قاله ابن هشام

شابًّا ، وكان لايعلم فى المنافقين شابٌ غيره ، فجعل يَدْفَعُ فى قفاه حتى أخرجه من المسجد .

وقام رجل من بَلْخدرة [١] بن الخزرج رَهْطِ أبى سعيد الخدرى ، يقال له : عبد الله بن الحرث — حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باخراج المنافقين من المسجد — إلى رجل يقال له : الحرث بن عمرو ، وكان ذَا جُمَّةٍ ، فأخذ بجُمَّتِهِ ، فسحبه بها سَحْباً عنيفاً على ما مَرَّ به من الأرض حتى أخرجه من المسجد ، قال : يقول [له] المنافق : لقد أغْلَظْتَ ياابن الحرث ، فقال له : إنك أهْلٌ لذلك ، أىْ عَدُوَّ الله ، لما أنزل الله فيك ؛ فلا تقْرَبَنَّ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانك نَجَسٌ

وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زُوَىّ بن الحرث فأخرجه من المسجد إخراجا عنيفا وأفَّفَ [٢] منه ، وقال : غَلَبَ عليك الشيطان وأمره

نزول صدر سورة البقرة فى المنافقين وتفسير غريبه

فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باخراجهم

ففى هؤلاء من أحبار يهود والمنافقين من الأوس والخزرج نزل صدر [من] سورة البقرة إلى المائة منها ، فيما بلغنى ، والله أعلم ، يقول الله سبحانه وبحمده (٢ : ٠٠٠) : (آلم ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَارَيْبَ فيه) أى : لاشك فيه

قال ابن هشام : قال ساعدة بن جُؤَيَّةَ الْهُذَلي : —

فَقَالُوا عَهِدْنَا الْقَوْمَ قَدْ حَصِرُوا بِهِ ⁂ فَلَا رَيْبَ أنْ قَدْ كَانَ ثَمَّ لَحِيمُ [٣]

---

(١) بلخدرة : أى من بنى خدرة

(٢) أفف منه : أى قال له أف ، وهى كلمة تقال لكل ما يستثقل ويضجر منه

(٣) قال أبو سعيد شارح ديوان ساعدة بن جؤية : « حصروا به » : أى ضاقوا به ، ويقال : حصر صدره بحاجتى أى ضاق ، يقول : كأنهم ضاقوا بهذرعا

وهذا البيت فى قصيدة له (١)

والريب أيضاً : الريبة ، قال خالد بن زهير الهذلى : —

* كأَنَّنِى أُرِيبُهُ بِرَيْبِ *

قال ابن هشام : ومنهم من يرويه : —

* كأَنَّنِى أَرَبْتُهُ بِرَيْبِ *

وهذا البيت فى أبيات له ، وهو ابن أخى أبى ذؤيب الهذلى

(هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) أى : الذين يَحْذَرُون من الله عقوبته فى ترك مايعرفون من الهدى ، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُونَ) أى : يقيمون الصلاة بفرضها ويؤتون الزكاة احتسابا لها (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) أى : يصدقونك بما جئت به من الله وما جاء به مَنْ قبلك من المرسلين لا يُفرّقون بينهم ، ولا يجحدون ماجاءوهم به من ربهم (وبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) أى : بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، أى : هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان [من] قبلك و بماجاءك من ربك (أُولٰئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ) أى : على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم (وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) أى : الذين أدركوا ماطلبوا ونَجَوْا من شر ما منه هربوا (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى : بما أنزل إليك وإن قالوا إنا قد آمنا بما جاءنا قبلك (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ

والملحم : المقتول ، والمستلحم : الذى وقع فى موضع لا يستطيع أن يخرج منه » اهـ ، وقال أبو ذر : « حصروا به : أحدقوا به » اهـ

(١) هو من قصيدة طويلة ثابتة فى ديوان شعره (الجزء الثانى من مجموعة أشعار الهذليين : ص ٣٠ - ٣٤) ومطلعها

أَهَاجَكَ مَغْنَى دِمْنَةٍ وَرُسُومُ ... لِقَيْلَةَ مِنْهَا حَادِثٌ وَقَدِيمُ

لَمْ تُنْذِرْهُمْ لايُؤْمِنُونَ) أى : أنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك ، وجحدوا ماأخذ عليهم من الميثاق لك ؛ فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم مما جاءهم به غيرك فكيف يستمعون منك إنذارا أو تحذيرا وقد كفروا بما عندهم من علمك (خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) أى : عن الهدى أن يضيبوه أبدا ، يعنى بما كذبوك به من الحق الذى جاءك من ربك حتى يؤمنوا به ، وإن آمنوا بكل ما كان قبلك (ولَهُمْ) بماهم عليه من خلافك (عَذَابٌ عَظِيمٌ) فهذا فى الأحبار من يهود فيما كذبوا به من الحق بعد معرفته (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا باللهِ وَباليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) يعنى المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم (يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ) أى : شك (فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً) شكا (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاتُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) أى : إنما نريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب، يقول الله تعالى (أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَيَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ ، وإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَي شَيَاطِينِهِم) من يهود الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحق وخلاف ما جاء به الرسول (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) أى : إنا على مثل ما أنتم عليه (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) أى : إنما نستهزىء بالقوم ونلعب بهم ، يقول الله عز وجل (اللهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) قال ابن هشام : يعمهون : يحارون ، تقول العرب : رجل عَمِهٌ وَعَامِه : أى حَيْرَانُ ، قال رؤبة بن العجاج يصف بلدا :

* أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّهِ *

وهذا البيت فى أرجوزة له

والعُمَّه : جمع عامه ، وأما عَمِهٌ فجمعه عَمِهُون ، والمرأة عَمِهَةٌ وعَمْهَى

(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى) أي: الكفر بالايمان (فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)

قال ابن إسحق : ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) أى : لا يبصرون الحق و يقولون به حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفؤه بكفرهم به ونفاقهم فيه فتركهم الله فى ظلمة الكفر فهم لا يبصرون هُدًى ولا يستقيمون على حق (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) : أى لا يرجعون إلى هدى ، صم بكم [عمى] عن الخير لا يرجعون إلى خير ولا يصيبون نجاةً ما كانوا على ماهم عليه (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ)

قال ابن هشام : الصَّيِّبُ : المطر ، وهو من صَابَ يَصُوبُ ، مثل قولهم السَّيِّدُ مِنْ سَادَ يَسُود ، وَالْمَيِّت من مَاتَ يَمُوتُ ، وجمعه صَيَائِبُ ، قال عَلْقَمَة بن عَبَدَة أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم : —

كَأَنَّهُمُ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ ... صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ (١)

---

(١) « لطيرهن دبيب » قال الأعلم : « أى أصابتها الصواعق فلم تقدر على الطيران من الفزع ، فدبت تطلب النجاة والتخلص ، يقول : كأن ما أصابهم ونزل بهم من القتل الذريع والاستئصال سحابة جاءت بصواعق فقتلت ما أصابت من الطير وبقى ما أفلت منها يدب لا يقدر على الطيران » اه

فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَمَّرٍ
سُقِيتِ رَوَايَا الْمُزْنِ حِينَ تَصُوبُ (١)

وهذان البيتان فى قصيدة له (٢)

قال ابن إسحق : أى هم من ظلمة ماهم فيه من الكفر وَالْحَذَر من القتل من الذى هم عليه من الخلاف والتخوف لكم على مثل ما وصف من الذى هو فى ظلمة الصيب يجعل أصابعه فى أذنيه من الصواعق حذر الموت ، يقول الله (وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) أى : هو مُنْزِلٌ ذلك بهم من النقمة ، (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) أى : لشدة ضوء البرق (٣) (كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا) أى : يعرفون الحق ويتكلمون به ؛ فهم من قولهم به على استقامة ، فاذا ارتكسوا منه فى الكفر قاموا متحيرين (وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ) أى : لما تركوا من الحق بعد معرفته (إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

---

(١) « تعدلى » تسوى ، من العدل بمعنى التسوية ، ووقع فى الأصول « تعذلى » بالذال المعجمة ، وهو تصحيف ، والمغمر كالغمر - بفتح فسكون وهو الجاهل الذى لم يجرب الأمور ، كأن الجهل غمره واستولى عليه ، و «روايا المزن» ماحمل الماء منه ، وواحد الروايا راوية ، وتصوب : تقصد وتنزل وتذهب صوبه

(٢) هذه القصيدة ثابتة فى ديوان شعره (ص ١٧ - ٢٩ طبع الجزائر فى سنة ١٩٢٥) ومطلع القصيدة قوله : -

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

ولكن البيتين لايتجاوران فى القصيدة بل الثانى مما رواه ابن هشام هو خامس بيت فى القصيدة ، والأول مما رواه ابن هشام هو البيت الرابع والعشرون فى القصيدة (٣) فى نسخة « لشدة ضوء الحق »

ثم قال : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ) للفريقين جميعا من الكفار والمنافقين ، أى : وحدوا ربكم (الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الذى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

قال ابن هشام : الأنداد : الأمثال ، وواحدهم نِدٌّ قال لبيد ابن ربيعة : —

أَحْمَدُ اللهَ فَلَا نِدَّ لَهُ بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلْ

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحق : أى لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التى لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه لارب لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذى يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه (وإِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) أى : فى شك مما جاءكم به (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ) أى : من استطعتم من أعوانكم على ما أنتم عليه (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا) فقد تبين لكم الحق (فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) أى : لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر ،

ثم رغبهم وحذرهم نقضَ الميثاق الذى أخذ عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم إذا جاءهم وذكر لهم بدء خلقهم حين خلقهم ، وشأن أبيهم آدم عليه السلام وأمره ، وكيف صنع به حين خالف عن طاعته ، ثم قال (يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ) للأحبار من يهود (اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) أى : بلائى عندكم ، وعند آبائكم ، لما كان نجّاهم به من فرعونِ وقومه (وَأَوْفُوا

بِعَهْدِى) الذى أخذت فى أعناقكم لنبيى أحمد إذا جاءكم (أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) أنجز لكم ما وعدتكم على تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التى كانت فى أعناقكم بذنوبكم التى كانت من أحداثكم (وَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ) أى : أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التى قد عرفتم من المسخ وغيره (وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) وعندكم من العلم فيه ما ليس عند غيركم (وَإِيَّاىَ فَاتَّقُونِ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أى : لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى ، وبما جاء به ، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أى : أتنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم ، أى : وأنتم تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تصديق رسولى ، وتنقضون ميثاقى وتجحدون ماتعلمون من كتابى ،

ثم عدد عليهم أحداثهم فذكر لهم العجل وما صنعوا فيه وتوبته عليهم وإقالته إياهم ثم قولهم « أرنا الله جهرة »

قال ابن هشام : جهرةً : أى ظاهراً لنا لا شىء يستره عنا ، قال أبو الأَخْزَرِ الحِمَّانِىُّ ، وَاسْمُهُ قُتَيْبَةُ : —

* يَجْهَرُ أَجْوَافَ الْمِيَاهِ السُّدَّمِ (١) *

وهذا البيت فى أرجوزة له (٢)

---

(١) « المياه السدم » هى التى يكاد التراب يغطيها ، ويقال السدم : هى المياه القديمة العهد بالواردة ، هجرت طويلا فلا يردها أحد ، قاله أبوذر

(٢) فى نسخة « فى أبيات له »

يجهر : يقول يُظْهِرُ الماء ويكشف عنه ما يستره من الرمل وغيره

قال ابن إسحق : وأخذ الصاعقة إياهم عند ذلك لغرّتهم ، ثم إحياءه إياهم بعد موتهم ، وتظليله عليهم الغمام ، وإنزاله عليهم المنّ والسّلوى وقوله لهم (ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حطةٌ) أى : قولوا ما آمركم به أحط به ذنوبكم عنكم ، وتبديلهم ذلك من قوله استهزاء بأمره وإقالته إياهم ذلك بعد هزئهم

قال ابن هشام : المن : شيء كان يسقط فى السَّحَر على شجرهم فيجتنونه حُلْواً مثل العسل فيشربونه ويأكلونه ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :ـ

لَوْ أُطْعِمُوا الْمَنَّ وَالسَّلْوَى مَكَانَهُمُ ... مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْمًا فِيهِمُ نَجَعَا(١)

وهذا البيت فى قصيدة له

والسَّلْوَى : طَيْر ، واحدتها سَلْواة ، ويقال : إنها السُّمَانَى ، ويقال للعسل أيضاً : السَّلوى ، وقال خالد بن زُهَيْر الْهُذَلى : —

وَقَاسَمَهَا بِاللهِ حقًّا لَأَنْتُمُ ... أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا (٢)

وهذا البيت فى قصيدة له

وحِطَّة : أى حط عنا ذنوبنا

قال ابن إسحق : وكان من تبديلهم ذلك — كما حدثنى صالح بن كَيْسان ، عن صالح مولى التَّوْءَمة بنت أمية بن خلف ، عن أبى هريرة ؛ ومن لا أتهم ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : « دَخَلُوا البابَ الذى أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا مِنْهُ سُجَّدًا يَزْحَفُونَ وَهُمْ يَقُولُونَ حِنْطٌ فى شَعِيرٍ »

---

(١) نجع : نفع

(٢) شار العسل يشوره ، واشتاره يشتاره أيضا : أخذه

قال ابن هشام : ويروى حنطة فى شعيرة

قال ابن إسحق : واستسقاء موسى لقومه ، وأمْرُه إياه أن يضرب بعصاه الحجرفانفجرت لهم منه اثنتا عشرة عينا لـكل سِبْطٍ[١] عين يشربون منها ، قد علم كل سِبْطٍ عَيْنَه التى منها يشرب ، وقولهم لموسى عليه السلام (لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا)

قال ابن هشام : الْفُوم : الحنطة ، قال أمية بن أبى الصلْت [الثقفى] : —

فَوْقَ شِيزَى مِثْلِ الْجَوَابِى عَلَيْهَا قِطَعٌ كَالْوَذِيلِ فِي نَقِيِّ فُومِ[٢]

قال ابن هشام : الْوَذِيل : قطع الفضة ، وواحدتها فومه ، وهذا البيت فى قصيدة له

(وعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ)

قال ابن إسحق : فلم يفعلوا ، ورفعهم الطور فوقهم ليأخذوا ما أوتوا ، والمسخ الذى كان فيهم إذ جعلهم قردة بأحداثهم ، والبقرة التى أراهم الله عز وجل بها العبرة فى القتل الذى اختلفوا فيه حتى بين الله لهم أمره بعد

---

(١) الأسباط فى بنى إسحق كالقبائل فى بنى إسماعيل

(٢) الشيزى : أراد بها جفانا تصنع من خشب يقال له : الشيز ، وهو خشب أسود ، والجوابى : جمع جابية ، وهى الحياض التى تجبى فيها الماء ، أى تجمع فيها ، وهم يشبهون الجفنة بالحوض للاشارة إلى الكرم ومثله قول الأعشى ميمون : —

نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ الْمُحَلَّقِ جَفْنَةٌ كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

التردد على موسى عليه السلام فى صفة البقرة ، وقسوة قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشد قسوة ، ثم قال تعالى : (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) أى : وإن من الحجارة لألين من قلوبكم عما تُدْعَوْن إليه من الحق (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

ثم قال لمحمد عليه السلام ولمن معه من المؤمنين يؤيسهم منهم (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وليس قوله يسمعون التوراة أن كلهم قد سمعها ، ولكنه يقول فريق منهم : أى خاصة — فيما بلغنى عن بعض أهل العلم — قالوا لموسى : ياموسى قد حيل بيننا وبين رؤية الله فأسمعنا كلامه حين يكلمك ، فطلب ذلك موسى من ربه ، فقال له : نَعَمْ مُرْهُمْ فَلْيَتَطَهَّرُوا وَلْيُطَهِّرُوا ثِيَابَهُمْ وَلْيَصُومُوا ، ففعلوا ، ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطور ، فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سُجَّدًا وكلّمه ربه ، فسمعوا كلامه تبارك وتعالى يأمرهم وينهاهم حتى عقلوا عنه ماسمعوا، ثم انصرف بهم إلى بنى إسرائيل ، فلما جاءهم حَرَّفَ فريق منهم ما أمرهم به ، وقالوا حين قال موسى لبنى إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا ، قال ذلك الفريق الذى ذكر الله : إنما قال كذا وكذا ، خلافا لما قال الله لهم ، فهم الذين عَنَى الله عز وجل لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم

ثم قال تعالى : (وإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا) أى : إن صاحبكم رسول الله عليه السلام ، ولكنه إليكم خاصة ، وإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا : لاتحدثوا العرب بهذا ؛ فانكم قد كنتم تَسْتَفْتِحون به عليهم ، وكان فيهم ؛ فأنزل الله عز وجل فيهم (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا

آمَنَّا وإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) أى : تقرون بأنه نبي ، وقد عرفتم أنه قد أُخِذَ له الميثاق عليكم باتباعه ، وهو يخبرهم أنه النبى الذى كنا ننتظر ونجد فى كتابنا ، اجْحَدُوه ولا تُقِرُّوا لهم به ، يقول الله عز وجل : (أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ)

قال ابن هشام [عن أبى عبيدة] : إلا أمانى : إلا قراءة ، لأن الأمى الذى يقرأ ولا يكتب ، يقول : لا يعلمون الكتاب إلا [أنهم] يقرؤنه

[قال ابن هشام : عن أبى عبيدة ويونس أنهما تأولا ذلك عن العرب فى قول الله عز وجل]

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة بذلك

قال ابن هشام : وحدثنى يُونُس بن حَبيب النحوى وأبو عبيدة أن العرب تقول : تَمَنَّى ، فى معنى قرأ ، وفى كتاب الله تبارك وتعالى (٢٢ : ٥٢) : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ) وأنشدنى أبو عبيدة النَّحْوِيُّ : —

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ وَآخِرَهُ وَافَى حِمَامَ الْمَقَادِرِ

وأنشدنى أيضا : —

تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ فِى اللَّيْلِ خَالِياً تَمَنِّىَ دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رِسْلِ (١)

وواحدة الأمانى أُمْنِيَّة ، والأمانى أيضا : أن يتمنى الرجل المالَ أو غيره

---

(١) « على رسل » أى : على مهل ورفق ، وفى بعض نسخ الأصل تقديم هذا البيت على البيت المذكور فى نسختنا قبله .

قال ابن إسحق : (وإنْ هُمْ إلاَّ يظُنُّونَ) أى : لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه ، وهم يجحدون نبوتك بالظن (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلَّا أيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ)

قال ابن إسحق : حدثنى مَوْلىً لزيد بن ثابت ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول : إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يعذب الله الناس فى النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا فى النار من أيام الآخرة ، وإنما هى سبعة أيام ، ثم ينقطع العذاب ، فأنزل الله جل ثناؤه فى ذلك من قولهم (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) أي : من عمل بمثل أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط كفره بما له عند الله من حسنة (فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) أىْ : خُلْدًا أبدًا (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) أى : من آمن بما كفرتم به ، وعمل بما تركتم من دينه ، فلهم الجنة خالدين فيها ، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبدا لا انقطاع له

قال ابن إسحق : ثم قال يؤنبهم (وإذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) أى : ميثاقكم (لاَ تَعْبُدُونَ إلاَّ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَانًا وَذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ) أى : تركتم ذلك كله ليس بالتنقص (وإذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ)

قال ابن هشام : تسفكون : تَصُبُّون ، تقول العرب : سفك دمه ، أى صبه ، وسفك الزِّقَّ : أى هَرَاقه ، قال الشاعر : —

وَكُنَّا إذَا مَا الضَّيْفُ حَلَّ بأَرْضِنَا   سَفَكْنَا دِمَاءَ الْبُدْنِ فِى تُرْبَةِ الْحَالِ

قال ابن هشام : يعنى بالحال الطِّينَ الذى يخالطه الرملُ ، وهو الذى تقول له العرب السَّهْلة ، وقد جاء فى الحديث « أن جبريل لمَّا قال فرعون ، (آمَنْتُ أَنَّهُ لاَ إلَهَ إلاَّ الذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ) (١٠ : ٩٠) : أخذ [جبريل] من حَالِ الأرض فضرب به وجه فرعون» والحال : مثل الحمأة

قال ابن إسحق : (وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) على أن هذا حق من ميثاق عليكم (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) أى : أهل الشرك حتى يسفكوا دماءهم معهم ، ويخرجوهم من ديارهم معهم (وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ) فقد عرفتم أن ذلك عليكم فى دينكم وهو محرم عليكم فى كتابكم إخراجهم (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) أتفادونهم مؤمنين بذلك ؟ وتخرجونهم كفاراً بذلك ؟ (فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إلاَّ خِزْيٌ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ) فأنبهم الله عز وجل بذلك من فعلهم : وقد حرّم عليهم فى التوراة سَفْكَ دمائهم . وافترض عليهم فيها فداء أسراهم . فكانوا فريقين : فريق منهم بنو قَيْنُقَاع وَلَفُّهُم (١) حلفاء الْخَزرج ، والنَّضير

(١) « ولفهم » أى من عد فيهم ، بالكسر والفتح ، وذكر فى القاموس أنه يثلث

وقُرَيظةُ وَلَفُّهُمْ حُلَفاء الأوس ؛ فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حَرْبٌ خرجت بنو قَيْنُقَاع مع الخزرج ، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس : يُظَاهر كلٌّ واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه ، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم ، و بأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم ، والأوسُ والخزرجُ أهلُ شركٍ يعبدون الأوثان ، لا يعرفون جنةً ، ولا نارا ، ولا بعثا ، ولا قيامة ، ولا كتابا ، ولا حلالاً ، ولا حراما ، فاذا وضعت الحربُ [أوزارها] افْتَدَوْا أسْراهم تصديقا لما فى التوراة ، وأخذ به بعضهم من بعض : يفتدى بنو قينقاع ما كان من أسراهم فى أيدي الأوس ، وتفتدي النضير وقريظة ما فى أيدى الخزرج منهم ، و يَطُلُّون [1] ما أصابوا من الدماء وقتلى من قتلوا منهم فيما بينهم مُظَاهَرَةً لأهل الشرك عليهم ، يقول الله تعالى لهم حين أنَّبهم بذلك (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) أى : تفاديه بحكم التوراة ، وتقتله وفى حكم التوراة أن لاتفعل ، وتخرجه من داره وتظاهر عليه من يشرك بالله و يعبد الأوثان من دونه ابْتغَاء عَرَض الدنيا ، ففى ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج ، فيما بلغنى ، نزلت هذه القصة

ثم قال تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ) أى : الآيات التى وضع على يديه : من إحياء الموتى ، وخَلْقه من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً باذن الله ، وإبراء الأسقام ، والخبر بكثير من الغيوب مما يَدَّخرون فى بيوتهم ، وما رد عليهم من التوراة مع الانجيل الذى أحدث الله إليه ، ثم ذكر كفرهم بذلك كله فقال (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)

---

(١) طل دم القتيل يطله — على زنة مده يمده — أى : أبطله وأهدره

ثم قال تعالى : (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ) أى : فى أكنة ، يقول الله عز وجل: (بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)

قال ابن إسحق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أشياخ منهم ، قال : قالوا : فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة : كنا قد علوناهم [ظهراً] فى الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب ، فكانوا يقولون لنا : إن نبياً يُبْعَث الآن نتبعه قد أظلَّ زمانه نقتلكم معه قَتْلَ عادٍ وإرم، فلمَّا بعثَ الله رسوله صلى الله عليه وسلم من قريش فاتبعناه كفروا به ، يقول الله (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) أى : أن جعله فى غيرهم (فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ)

قال ابن هشام : فباءوا بغضب : أى اعترفوا به واحتملوه ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة : —

أَصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَتْهَا قَبِيلُهَا (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحق : فالغضب على الغضب لغضبه عليهم فيما كانوا ضيَّعوا من التوراة ، وهى معهم ، وغضب بكفرهم بهذا النبى صلى الله عليه وسلم الذى أحدث الله إليهم

(١) تبوءوا : تعترفوا ، والقبيل : هنا القابلة

ثم أنبهم برفع الطور عليهم ، واتخاذهم العجلَ إلهاً دون ربهم ، يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أي : ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب [عند الله] ، فأبوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول الله جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) أي : لعلمهم بما عندهم من العلم بك والكفر بذلك ، فيقال : لو تمنوه يوم قال ذلك لهم ما بقي على وجه الأرض يهودي إلا مات ، ثم ذكر رغبتهم في الحياة وطول العمر فقال تعالى (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ) اليهود (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ) أي : ما هو بمنجيه من العذاب ، وذلك أن المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت فهو يحب طول الحياة ، وأن اليهودي قد عرف ماله في الآخرة من الخزي بما ضيع مما عنده من العلم ، ثم قال الله تعالى: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ)

قال ابن إسحق : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين المكي عن شَهْر بن حَوْشَب الأشعري ، أن نفراً من أحبار يهود جاءوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد ، أخبرنا عن أربع نسألك عنهن ، فان فعلت [ذلك] اتَّبَعْنَاك وصدقناك وآمنا بك ، قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللهِ وَمِيثَاقُهُ لَئِنْ أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ بِذَلِكَ لَتُصَدِّقُنَّنِي » قالوا : نعم ، قال: « فَاسْأَلُوا عَمَّا بَدَا لَكُمْ » قالوا : فأخبرنا كيف يشبه الولد أمه ، وإنما النطفة من الرجل ، قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . « أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ وَبِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي

إِسْرائِيلَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ نُطْفَةَ الرَّجُلِ بَيْضَاء غَلِيظَةٌ وَنُطْفَةَ الْمَرْأَةِ صَفْرَاء رَقِيقَةٌ فَأَيَّتُهُمَا غَلَبَتْ صَاحِبَتَهَا كَانَ لَهَا الشَّبَهُ » قالوا : اللهم نعم قالوا : فأخبرنا كيف نَوْمك ، فقال : « أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ وَبِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرائِيلَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ نَوْمَ الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنِّي لَسْتُ بِهِ تَنَامُ عَيْنُهُ وَقَلْبُهُ يَقْظَانُ » فقالوا : اللهم نعم ، قال : « فَكَذَلِكَ نَوْمِي : تَنَامُ عَيْنِي وَقَلْبِي يَقْظَانُ » قالوا : فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه ، قال : « أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ وَبِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرائِيلَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَ أَحبُّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانَ الْإِبِلِ وَلُحُومَهَا وَأَنَّهُ اشْتَكَى شَكْوَى فَعَافَاهُ اللهُ مِنْهَا فَحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشرابِ إِلَيْهِ شُكْراً لِلهِ فَحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ لُحُومَ الإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا » قالوا : اللهم نعم ، قالوا : فأخبرنا عن الروح ، قال : « أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ وَبِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرائِيلَ هَلْ تَعْلَمُونَهُ جِبْرِيلَ وَهُوَ الَّذِي يَأْتِينِي » قالوا : اللهم نعم ، ولكنه يا محمد لنا عَدُوٌّ ، وهو مَلَكٌ ، إنما يأتى بالشدة ، و بسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك . قال : فأنزل الله عز وجل فيهم (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) إلى قوله تعالى : (أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ) أى : السحر (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ)

قال ابن إسحق : وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما

بلغنى ، لمّا ذكر سليمانَ بن داود فى المرسلين قال بعض أحبارهم : ألا تعجَبُون من محمد ! يزعم أن سليمان بن داود كان نبيا ، والله ما كان إلا ساحرا ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا) أى : باتباعهم السحر وعملهم به وما أنزل الله على الملكين ببابل هاروت وماروت

قال ابن إسحق : وحدثنى بعض من لا أتّهم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقول : الذى حرم إسرائيل على نفسه زائدتا الْكَبِدِ والْكُلْيَتَان والشَّحْمُ ، إلا ما [كان] على الظهر ، فان ذلك كان يُقَرَّبُ للقربان فتأكله النار

قال ابن إسحق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر ، فيما حدثنى مولًى لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس « بِسْمِ اللهِ الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب موسى وأخيه ، والمصدِّقِ لما جاء به موسى ، ألا إنَّ الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة ، وإنكم لتجدون ذلك فى كتابكم (٤٨ : ٢٩) : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاة وَمَثَلُهُمْ فِى الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)

قال ابن هشام : شَطأه : فراخه ، وواحدته شَطْأة ، تقول العرب :

قد أشطأ الزرع ، إذا أخرج فراخه ، وآزره : عاونه ، فصار [الذى قبله] مثل الأمهات ، قال امرؤ القيس بن حُجْر الكندى :

بِمَحْنِيَةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَ نَبْتُهَا   مَجَرَّ جُيُوشٍ غَانِمِينَ وَخُيَّبِ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

وقال حميد بن مالك الأرقط أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة :ــ

* زَرْعًا وَقَضْبًا مُؤْزَرَ النَّبَاتِ (٢) *

وهذا البيت فى أرجوزة له

وسوقه — غير مهموز — : جمع ساق لساق الشجرة

[قال ابن هشام : إلى هنا انتهى قولى ، وما بعده فمن حديث ابن إسحق الذى قبله]

قال ابن إسحق : « وإنى أَنْشُدُكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذى أَطْعَمَ مَنْ كان قبلكم من أسباطكم المنَّ والسَّلْوَى ، وأَنْشُدُكم بالذى أيبس البَحْرَ لآبائكم حتى أنجاهُمْ من فرعون وعمله إلاّ أخبرْتُمُونى هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أنْ تؤمنوا بمحمدٍ ، فان كنتم لاتجدون ذلك فى كتابكم فلاَ كُرْهَ عليكم قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ من الغى ، فأدعوكم إلى الله وإلى نبيه »

ما نزل من القرآن فى أبى ياسر بن أخطب أحد أحبار اليهود

قال ابن إسحق : وكان ممن نزل فيه القرآنُ خاصة من الأحبار وكفار يهودَ الذين كانوا يسألونه ويتعنَّتُونه ليَلْبِسُوا الحق بالباطل — فيما ذُكِر

---

(١) المحنية : ما انحنى من الوادى وانعطف ، والضال : شجر تعمل منه القسى يشبه السدر

(٢) القضب : الفصفصة الرطبة ، وقال المجد فى القاموس : « القضب : كل شجرة طالت وبسطت أغصانها ، وما قطعت من الأغصان للسهام أو القسى » اه

لى عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله بن رئاب — أن أبا ياسر ابن أخطب مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة البقرة (٢:١): (ألم ذلك الكتاب لا رَيْبَ فيه) فأتى أخاه حُيَيّ بن أخطب فى رجال من يهود ، فقال : تعلّموا والله لقد سمعتُ محمداً يتلو فيما أنزل عليه (ألم ذلك الكتاب) فقالوا : أنت سمعته ؟ فقال : نعم ، فمشى حُيَيّ بن أخطب فى أولئك النفر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : يا محمد ، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك (ألم ذلك الكتاب) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَلَى » قالوا : أجاءك بها جبريل من عند الله ؟ فقال : « نعم » وقالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بَيّنَ لنبى منهم مامدة ملكه ، وما أُكْلُ أمته غيرك !! فقال حيي بن أخطب وأقبل على من معه فقال لهم : الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ، أفتدخلون فى دين إنما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة ، ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، هل مع هذا غيره ؟ قال : « نعم » قال : ماذا ؟ قال : (٧ : ١) : (ألمص) قال : والله هذه أثقل وأطول : الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون ؛ فهذه إحدى وستون ومائة سنة ، هل مع هذا يامحمد غيره ؟ قال : « نعم » (١٢ : ١) : (ألر) قال : هذه أثقل وأطول : الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ؛ فهذه إحدى وثلاثون ومائتان ، هل مع هذا غيره يامحمد ؟ قال : « نعم » (١٣ : ١) : (المر) قال : هذه أثقل وأطول : الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ؛ فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة ، ثم قال : لقد لُبِّسَ علينا أمرُكَ يامحمد حتى ماندرى أقليلا أعطيت

أم كثيرا ، ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسر [١] لأخيه حُيَيّ بن أخْطَب ولمن

---

(١) قال السهيلي : « وهذا القول من أحبار يهود وما تأولوه من معانى هذه الحروف محتمل حتى الآن أن يكون من بعض ما دلت عليه الحروف المقطعة ؛ فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذبهم فيما قالوا من ذلك ، ولا صدقهم ، وقال فى حديث آخر « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبرسوله » وإذا كان فى حد الاحتمال وجب أن يفحص عنه فى الشريعة هل يشير إلى صحته كتاب أو سنة ؟ فوجدنا فى التنزيل (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) ووجدنا فى حديث زمل الخزاعى حين قص على رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا وقال فيها : رأيتك يارسول الله على منبر له سبع درجات وإلى جنبه ناقة عجفاء كأنك تبعثها ، ففسر له النبى صلى الله عليه وسلم الناقة بقيام الساعة التى أنذر بها . وقال فى المنبر ودرجاته : « الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت فى آخرها ألفا » والحديث وإن كان ضعيف الاسناد فقد روى موقوفا على ابن عباس من طرق صحاح أنه قال الدنيا سبعة أيام ، كل يوم ألف سنة . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم منها ، وقد مضت منه سـ أو قال مئون ، وصحح أبو جعفر الطبرى هذا الأصل وعضده بآثار ، وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين ، وإنما سبقتها بما سبقت هذه هذه » يعنى الوسطى والسبابة ، وأورد هذا الحديث من طرق كثيرة ، وأورد منها قوله عليه السلام « لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم » يعنى خمسمائة عام » اه كلامه ، قال أبو رجاء : هذا كلام كان يقوله العلماء فى الخمسمائة الأولى ، وقد مضى الآن (ونحن فى عام ١٣٥٥ من الهجرة) على أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ألف وثلثمائة وسبعين عاما والأمة باقية بحمد الله تعالى ومنه وكرامته وهى تزيد عددا ويكثر أتباع هذا الدين الحق ، وإنى لأعجب أشد العجب من قوم يعلمون أن الله تعالى قد استأثر بعلم الغيوب ورأوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنه أنه قال فى شىء من ذلك كلاما صريحا كيف يشقون على أنفسهم ويتحملون العناء ليذكروا من هذا مالا يقبله

معه من الأحبار : مايدْريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد : إحدى وسبعون ، وإحدى وستون ومائة ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ؛ فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة ؟ فقالوا : لقد تَشَابه علينا أمره ، فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : (٣ : ٧) : (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)

قال ابن إسحق : وقد سمعت من لا أتهم من أهل العلم يذكر أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن فى أهل نَجْرَان حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى ابن مريم عليه السلام

قال ابن إسحق : وقد حدثنى محمد أبى أمامة بن سَهْل بن حُنَيْف أنه سمع أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن فى نفرٍ من يهود ولم يفسر ذلك لى ؛ فالله أعلم أى ذلك كان

قال ابن إسحق : وكان فيما بلغنى عن عكرمة مولى ابن عباس أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن يهود كانوا يَسْتَفْتِحُونَ على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم مُعَاذ بن جبل وبشر ابن البراء بن معرور أخو بنى سَلِمة : يامعشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تَسْتَفْتِحُون علينا بمحمد ، ونحن أهلُ شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث وتَصِفُونه لنا بصفته ، قال سَلَام بن مِشْكَمَ أحد بنى النضير :

العقل ولايطمئن إليه ، ثم إنهم إذ أرادوا أن يجعلوا الحروف التى وقعت فى أوائل السور تدل فيما تدل عليه على ذلك المعنى لماذا اقتصروا على بعضها دون بعض ، وهلا جمعوها كلها سواء أتكررت أم لم تتكرر ثم ذهبوا إلى أن مجموع جميعها هو المقصود ، . وبعد فانا لانسيغ لأنفسنا ولا نرضى لأحد سوانا أن يخوض فى هذا وفيما أشبه هذا فان علم ذلك كله عند الله وحده . والله أعلم

ماجاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذى كنا نذكره لكم ، فأنزل الله فى ذلك من قولهم : (٢ : ٨٩) : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَاعَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)

مقالة مالك بن الضيف وما نزل فيه من القرآن

قال ابن إسحق : وقال مالك بن الضَّيْف ـ حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق وما عهد الله إليهم فيه ـ والله ماعُهِدَ إلينا فى محمد عَهْدٌ ، وما أخذ له علينا من ميثاق فأنزل الله فيه : (٢ : ١٠١) : (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)

مقالة ابن صلوبا وما نزل فيه من القرآن

وقال ابن صلوبا الفطيونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد ، ما جئتنا بشىء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك لها ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله : (٢ : ٩٩) : (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ)

مقالة رافع بن حريملة ووهب بن زيد وما نزل فيهما من القرآن

وقال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد ، ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفَجِّرْ لنا أنهارا نتبعك ونصدقك ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : (٢ : ١٠٨) (أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)

قال ابن هشام : سواء السبيل : وَسَط السبيل ، قال حسان بن ثابت : —

يَاوَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ   بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِى سَوَاءِ الْمُلْحَدِ (١)

(١) الملحد : المكان الذى يلحد فيه الميت ، وهو القبر ، لأن من سنن

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى

حيى بن اخطب وأبو ياسر بن أخطب وما نزل فيهما من القرآن

قال ابن إسحق : وكان حُيَيٌّ بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب من أشد يَهُودَ للعرب حَسَدًا ؛ إذ خصهم الله تعالى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانا جاهِدَيْنِ فى رَدِّ الناس عن الاسلام بما استطاعا ، فأنزل الله تعالى فيهما (٢ : ١٠٩) : (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

اختلاف نصارى نجران مع يهود امام النبى وما نزل فى ذلك من القرآن

قال ابن إسحق : ولما قدم أهلُ نَجْران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحْبار يَهُودَ ، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رافع بن حُرَيْملة : ما أنتم على شىء ، وَكَفَرَ بعيسى وبالانجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شىء ، وَجَحَدَ نبوّةَ موسى وَكَفَرَ بالتوراة ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما (٢ : ١١٣) : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أى : كل يتلو فى كتابه تصديق ما كفر به ، أى : تكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام من التصديق بعيسى عليه السلام ، وفى الانجيل ما جاء به عيسى عليه السلام من تصديق موسى عليه السلام ، وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكل يكفر بما فى يد صاحبه

الدفن حفر لحد فى وسط القبر ، وسواء الملحد : وسط القبر

مقالة رافع بن حريملة وما نزل فيها من القرآن

قال ابن إسحق : وقال رافع بن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله فَلْيُكَلِّمْنَا حتى نسمع كلامه ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله : (٢ : ١٨٢) (وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)

مقالة عبد الله بن صورى وما نزل فيه من القرآن

وقال عبد الله بن صورى الأعور الْفِطْيَوْنِى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهُدَى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تَهْتَد . قال : وقالت النصارى مثل ذلك ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول عبدالله بن صورى وما قالت النصارى (٢ : ١٣٥ ـ ١٤١) : (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ثم القصة إلى قول الله تعالى (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

تحويل القبلة الى الكعبة وما قال اليهود فى ذلك وما نزل فيه من القرآن

قال ابن إسحق : ولما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصرفت فى رجب على رأس سَبْعَةَ عشر شهرا من مَقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعةُ بن قَيْس وفَرْدَمُ بن عَمْرو وكعب بن الأشرف ورافع بن أبى رافع والحجَّاجُ بن عمرو حليفُ كعب بن الأشرف والربيع بن الربيع بن أبى الْحُقَيْق وكِنَانَةُ بن الربيع بن أبى الْحُقَيْق ، فقالوا : يا محمد ، ماوَلاَّكَ عن قبلتك التى كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك ، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه ، فأنزل الله تعالى فيهم (٢ : ١٤٢ ـ ١٤٧) : (سَيَقُولُ السفهاء مِنَ

النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) يقول : عدلا (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ) أى ابتلاء واختباراً (وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) أى : من الفتن ، أى : الذين ثبّت الله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) أى : إيمانكم بالقبلة الأولى وتصديقكم نبيكم واتباعكم إياه إلى القبلة الآخرة ، [وطاعتكم نبيكم فيهما] أى : ليعطينكم أجرهما جميعاً (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) ثم قال تعالى (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)

قال ابن هشام : شطره : نحوه وقَصْده ، قال عَمْرو بن أحمر الباهلى (و باهلة ابن يَعْصر بن سَعْد بن قيس بن عَيْلان) يصف ناقةً له : —

تَعْدُو بِنَا شَطْرَ جَمْعٍ وَهْيَ عَاقِدَةٌ
قَدْ كَارَبَ الْعَقْدُ مِنْ إِيفَادِهَا الْحَقَبَا (١)

---

(١) تعدو : من العدو ، وهو السير السريع ، وجمع - بفتح الجيم وسكون الميم - قال السهيلى هو مكة ، وقال ياقوت : هو المزدلفة ، وهو المشعر ، وإنما سمى جمعا لاجتماع الناس به ، وفيه يقول ابن هرمة : -

سَلَا الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَذَكُّرِ لَيْلَةٍ ... بِجَمْعٍ وَأُخْرَى أَسْعَفَتْ بِالْمُحَصَّبِ
وَمَجْلِسِ أَبْكَارٍ كَأَنَّ عُيُونَهَا ... عُيُونُ الْمَهَا أَنْصَيْنَ قُدَّامَ رَبْرَبِ

وقول ابن أحمر « وهى عاقدة » أى : وهى فى أول حملها ، ويقال : ناقة

وهذا البيت فى قصيدة له

وقال قيس بن خُوَيْلد الْهُذَلى يصف ناقته : —

إنَّ النَّعُوسَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا فَشَطْرُهَا نظَرَ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُورُ (١)

وهذا البيت فى أبيات له

قال ابن هشام : والنعوس : ناقته ، وكان بها داء ، فنظر إليها نظر حسير من قوله (٦٧ : ٤) : (وهو حسير)

(وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِين)

قال ابن إسحق : إلى قوله تعالى (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)

اليهود يكتمون التوراة عن المسلمين

وسأل معاذ بن جبل أخو بنى سَلِمَةَ وسعد بن مُعَاذ أخو بنى عبد الأشهل وخارجةُ بن زيد أخو بَلْحرث بن الخزرج نفراً من أحبار يهودَ عن بعض مافى التوراة ، فكتموهم إياه ، وأَبَوْا أن يخبروهم عنه ، فأنزل الله تعالى فيهم : (٢ : ١٥٩) : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ

عاقد ، إذا عقدت ذنبها بين فخذيها ، وذلك فى أول ماتحمل ، والايفاد : الاشراف ، والحقب : حبل يشد به الرحل إلى بطن البعير ، وهو بفتح الحاء والقاف ، يصفها بالسرعة مع أنها فى وقت لايسرع فيه أمثالها

(١) « النعوس » فسره ابن هشام ، ويروى فى مكانه « العسير » قال أبو ذر : « هى الناقة التى تركب قبل أن تراض وتلين » ، ومن رواه النعوس فهى الكثيرة النعاس » وكأن أبا ذر لم ير تفسير ابن هشام أو رآه ولم يرتضه ويخامرها : يخالطها ، والمحسور : الذى أخذه الاعياء ونزل به الكلال

الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ)

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الكتاب إلى الاسلام ، ورغَّبهم فيه وحذَّرهم عذاب الله ونقمته ، فقال له رافع بن خارجة ومالك بن عَوْفٍ : بل نتبع يا محمد ما وَجَدْنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخيرامنا ، فأنزل الله فى ذلك من قولهما (٢ : ١٧٠) : (وإذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ)

رسول الله يجمع اليهود فى سوق بنى قينقاع ويدعوهم للاسلام ويخوفهم مالقيته قريش ببدر

ولما أصاب الله عز وجل قريشا يَوْمَ بَدْرٍ جَمَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يهودَ فى سوق بنى قَيْنُقَاع حين قدم المدينة فقال : «يامَعْشَرَ يَهُود ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أن يُصِيبَكُمُ الله بمثل ما أصاب به قريشاً» فقالوا [له] : يا محمد ، لا يَغُرَّنَّكَ من نفسك أنك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وأنك لم تَلْقَ مثلنا ، فأنزل الله تعالى من قولهم (٣ : ١٢ – ١٣) : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ)

رسول الله يدخل على يهود بيت المدراس ويحاكمهم الى التوراة

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المِدْرَاس [1] على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله فقال له النعمان بن عمرو والحرث بن زيد : وعلى أى دين أنت يا محمد ؟ قال « عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ » قالا : فإن

---

(١) « بيت المدراس » هو بيت عبادة اليهود ، سمى بذلك لأنهم يتدارسون فيه كتبهم

إبراهيم كان يهوديا ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَهَلُمَّ إلى التَّوْرَاةِ فَهِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ » فأبيا عليه ، فأنزل الله تعالى فيهما (٣ : ٢٣ — ٢٤) (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)

اختلاف اليهود والنصارى فى دين ابراهيم وما نزل فى ذلك من القرآن

وقال أحبار يهود ونصارى نجران حين اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا ، فقالت الأحبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا ، وقالت النصارى من أهل نجران : ما كان إبراهيم إلا نصرانيا ، فأنزل الله عز وجل فيهم (٣ : ٦٥ — ٦٨) : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)

بعض اليهود يدعو اخوانه ليؤمنوا بالنبى نهارا ويكفروا به ليلا

وقال عبد الله بن ضيف وعَدِيُّ بن زيد والحرث بن عوف بعضُهم لبعض : تَعَالَوْا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غُدْوَةً ونَكْفُرْ به عشيةً حتى نَلْبِسَ عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينه فأنزل الله تعالى فيهم (٣ : ٧١ — ٧٣) : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى

هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

وقال أبو نافع القُرَظى (١) حين اجتمعت الأحبار من يهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الاسلام : أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ وقال رجل من أهل نجران نصرانى يقال له الرِّبِّيسُ (ويروى الريس والرئيس): أوَذاكَ تُرِيدُ منا يا محمدُ وإليه تدعونا ؟ أو كما قال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مُعَاذَ اللّهِ أَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللّهِ أَوْ آمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ فَمَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي اللّهُ وَلاَ أَمَرَنِي » أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما (٣ : ٧٩ ــ ٨٠) : (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) إلى قوله تعالى : (بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)

قال ابن هشام : الربانيون : العلماء الفقهاء السادة ، وأحدهم رَبَّانِيٌّ ، قال الشاعر : —

لَوْ كُنْتُ مُرْتَهِنًا فِي الْقُوسِ أَفْتَنَنِي
مِنْهَا الْكَلَامُ وَرَبَّانِيُّ أَحْبَارِ (٢)

---

(١) فى أكثر أصول الكتاب « أبو رافع القرظى » وفى بعضها أهمل الظاء .

(٢) « مرتهنا » يروى بالنون ، ومعناه المقيم ، يصف امرأة بأنها ساحرة الحديث وأن كلامها يأخذ بمجامع القلوب ، فلو كان راهبا مقيما فى

[قال ابن هشام : الْقُوسُ : صَوْمَعَةُ الراهب ، وأفتننى : لغة تميم ، وفتننى : لغة قَيْس ، قال جرير : —

لاَ وَصْلَ إذْ صَرَمَتْ هِنْدٌ وَلَوْ وَقَفَتْ
لاَ سْتَنْزَلَتْنِي وَذَا الْمِسْحَيْنِ فِي الْقُوسِ (١)

أى : صومعة الراهب ، والربانى : مشتق من الرب ، وهو السيد ، وفى كتاب الله (١٢ : ٤١) : (فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً) أى : سيِّده] (٢)

صومعة لفتنه حديثها وفتن معه عالم الأحبار ، وهــذا كقول النابغة الذبيانى : ـ

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ عَبَدَ الْإِلٰهَ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّــدِ
لَرَنَا لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا وَلَخَالَهُ رَشَدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ

ومثل ذلك أيضا قول كثير عزة : ـ

رُهْبَانُ مَدْيَنَ وَالَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ يَبْكُونَ مِنْ حَذَرِ الْعِقَابِ قُعُودَا
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ حَدِيثَهَا خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعًا وَسُجُودَا

ومثله أيضا قول كثير : ـ

يَاأُمَّ حَزْرَةَ مَارَأَيْنَا مِثْلَكُمْ فِي الْمُنْجِدِينَ وَلاَ بِغَوْرِ الْغَائِرِ
رُهْبَانُ مَدْيَنَ لَوْ رَأَوْكِ تَـنَزَّلُوا وَالْعُصْمُ فِى شَعَفِ الْجِبَالِ الْغَادِرِ

ويروى « مرتها » بالباء ؛ والقوس : فسره ابن هشام بصومعة الراهب ؛ وربانى أحبار : معطوف على ياء المتكلم فى أفتننى

(١) صرمت : هجرت ، والمسحين : مثنى مسح ـ بكسر فسكون ـ وهو ثياب الرهبان

(٢) هذه الزيادة لم توجد فى أكثر النسخ ، بل ذكرت فى الأوروبية وفى هامش البواقى

قال ابن إسحق : (٣ : ٨١) : (وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)

ميثاق الله على الانبياء للايمان بمحمد

قال ابن إسحق : ثم ذكر ما أخذ الله عليهم وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه ، إذا هو جاءهم و إقرارهم على أنفسهم ، فقال (٣ : ٨١) : (وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى) يقول : ميثاقى (قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) إلى آخر القصة

اليهود يحاولون الوقيعة بين أصحاب رسول الله

قال ابن إسحق : وَمَرَّ شاسُ بن قيس ، وكان شَيْخاً قد عَسَا[١] عظيمَ الكفر شديدَ الضِّغن على المسلمين ، شديدَ الحسد لهم ، على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يَتَحَدَّثون فيه ، فغاظه ما رأى من أُلْفَتِهِم وجماعتهم وصلاحِ ذاتِ بَيْنِهِم على الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية ، فقال : قد اجتمع مَلأَ[٢] بنى قَيْلَةَ بهذه البلاد ، لا والله مالنا معهم إذا اجتمع مَلَؤهم بها من قَرَار ، فأمر فَتًى شابًّا من يهود كان معه ، فقال : اعمد إليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بُعَاث[٣] وما كان قبله ، وأَنْشِدْهُم بعض ما كانوا تَقَاوَلُوا فيه من الأشعار ، وكان يوم بُعَاث[٣] يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج وكان على الأوس يومئذ حُضَيْرُ بن سِماك الأشهلى ، أبو أُسَيْد بن حُضَيْر ، وعلى الخزرج عَمْرو ابن النُّعْمَان الْبَيَاضِى ، فقُتِلا جميعا

---

(١) عسا : اشتد وقوى ، يريد أنه تمكن فى كفره فصعب إخراجه عنه
(٢) الملأ : جماعة الناس ، ويقال : أشرافهم ، وقيلة : أم الأنصار
(٣) بعاث ـ بضم الباء ، وبالعين المهملة فى رواية أكثر العلماء ، وكان أبو عبيدة يقوله بالغين معجمة

قال ابن هشام : وقال أبو قيس بن الأسلت : —

عَلَى أنْ قَدْفُجِعْتُ بِذِى حِفَاظٍ فعَاوَدَنِى لَهُ حُزْنٌ رَصِينُ (١)

فَإمَّا تَقْتُلُوهُ فَإنَّ عَمْرًا أُعِضَّ بِرَأْسِهِ عَضْبٌ سَنِينُ (٢)

وهذان البيتان فى قصيدة له

وحديث يوم بُعَاث أطول مما ذكرت ، وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرت من القطع

[قال ابن هشام : سنين : مسنون ، من سَنَّهُ شحذه]

قال ابن إسحق : ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك ، وتنازعوا ، وتفاخروا ، حتى تواثب رجلان من الحيين على الرُّكَب : أوسُ بن قَيْظِيٍّ أحد بنى حارثة بن الحرث من الأوس ، وجبَّار بن صَخْر أحد بنى سَلمة من الخزرج ، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رَدَدْنَاها الآن جَذَعَةً ، وغضب الفريقان جميعا ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة ، (والظاهرة : الحَرَّةُ) ، السِّلاَحَ السِّلاَحَ ، فخرجوا إليها ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقَالَ « يَامَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، اللهَ اللهَ ، أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ أَنْ هَدَاكُمُ اللهُ لِلْإسْلاَمِ وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ وأَلَّفَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ » فعَرَف القوم أنها نَزْغَة من الشيطان وكيدٌ من عدوهم ، فبَكَوا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا

(١) الحفاظ ـ بكسر الحاء المهملة ـ الغضب ، ورصين : ثابت دائم

(٢) عضب : يريد به السيف القاطع . والسنين ـ بفتح السين ـ فعيل بمعنى مفعول ، وهو الحاد المسنون كما قال ابن هشام

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عَدُوِّ الله شاس بن قيس ، فأنزل الله تعالى فى شاس بن قيس وما صنع (٣ : ٩٨ — ٩٩) : (قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وأنزل الله فى أوس بن قَيْظى وجبّار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ماصنعوا عما أدخل عليهم شاس من أمر الجاهلية : (٣ : ١٠٠ ـ ١٠٥) : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهُ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ومَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) إلى قوله تعالى : (وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

قال ابن إسحق : ولما أسلم عبد الله بن سلَام وثَعْلَبة بن سَعْيَة وأُسَيْد ابن سَعْيَة وأَسَدُ بن عُبَيْد ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدّقوا ورغبوا فى الاسلام ورَسَخوا فيه قالت أحبار يهود أهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شِرَارنا ، ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى [دين] غيره ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم (٣ : ١١٣ — ١١٤) (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ)

قال ابن هشام : آناء الليل : ساعات [الليل] ، وواحدها إِنْىٌ ، قال الْمُتَنَخِّلُ الْهذَلِي (واسمه مالك بن عُوَيْمر) يرثى أُثَيْلَةَ ابنه : —

حُلْوٌ ومُرٌّ كَعِطْفِ الْقِدْحِ شِيمَتُهُ
فِي كُلِّ إِنْيٍ قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ(١)

وهذا البيت فى قصيدة له

وقال لبيد بن ربيعة يصف حِمَار وَحْش : —

يُطَرِّبُ آناءَ النَّهَارِ كَأَنَّهُ غَوِيٌّ سَقَاهُ فِي التِّجَارِ نَدِيمُ(٢)

وهذا البيت فى قصيدة له

ويقال إِنًى [مقصور] فيما أخبرنى(٣) يونس

(يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ)

نهى المسلمين عن اتخاذ بطانة من غيرهم

قال ابن إسحق : وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجِوَار والحِلْفِ فى الجاهلية ، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مُباطنتهم (٣ : ١١٨ — ١١٩) (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ أُولاَءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ) أى : تؤمنون بكتابهم وكتابكم وبما مضى من الكتب قبل ذلك ، وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحق بالبغضاء لهم

---

(١) القدح — بكسر القاف وسكون الدال ـ السهم ، وعطفه : جانبه ، وفى الديوان عطف ـ بفتح العين ـ على أنه مصدر عطفه ، إذا ثناه وشيمته : طبيعته وسجيته ، وفى الديوان « مرته »

(٢) الغوى : المفسد

(٣) هذه هى لغة القرآن ، يقول الله تعالى :(غير ناظرين إناه) قاله السهيلى

منهم لكم (وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ) إلى آخر القصة

أبو بكر الصديق وفنحاص اليهودى

ودخل أبو بكر الصديق بيت المِدْرَاسِ على يهود فوجد منهم ناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فِنْحَاصُ وكان من علمائهم وأحبارهم ، ومعه حَبْرٌ من أحبارهم يقال له أَشْيَع ، فقال أبو بكر لفنحاص: وَيْحَكَ يا فِنْحَاصُ ، اتَّقِ الله وأَسْلِم ، فوالله إنك لتعلم إنَّ محمدا لرَسُولُ الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل ، فقال فِنْحَاص لأبى بكر : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فَقْرٍ ، وإنه إلينا لفقير ، وما نَتَضَرَّع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء وما هو عنا بغنى ، ولو كان عنا غنيا ما استَقْرَضَنَا أموالنا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا ، قال : فغضب أبو بكر فضرب وجه فِنْحَاص ضَرْبًا شديدا ، وقال : والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينك لَضَرَبْتُ رأسك أىْ عَدُوَّ الله ، قال : فذهب فِنْحَاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، انظر ما صنع بى صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر « ما حَمَلَكَ عَلَىَ مَا صَنَعْتَ » ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إن عدو الله قال قولا عظيما ، إنه زعم أن الله فقير إليهم وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبتُ لله مما قال وضربت وجهه ، فجحد ذلك فنحاصُ وقال : ما قلت ذلك ، فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لأبى بكر (٣ : ١٨١) : (لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَاقَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) ونزل فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وما بلغه فى ذلك من الغضب

(٣ : ١٨٦) (وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) ، ثُمَّ قال فيما قال فِنْحَاصُ والأحبار معه من يهود : (٣ : ١٨٧ — ١٨٨) : (وإذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ولاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

يعنى فنحاصَ وأَشْيَعَ وأشباههما من الأحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زَيَّنوا للناس من الضلالة ، ويُحِبُّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا : أن يقول الناس علماء وليسوا بأهل علم ، لم يحملوهم على هدًى ولا على حق ، ويحبون أن يقول الناس قد فعلوا

اليهود يأمرون ناس بالبخل

قال ابن إسحق : وكان كَرْدَم بن قَيْس حليفُ كعب بن الأشرف وأسامة بن حَبيب ونَافع بن أبى نافع وَبَحْرِيُّ بن عمرو وحُيَيُّ بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت يأتون رجالا من الأنصار كانوا يخالطونهم ينتصحون لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون لهم : لا تنفقوا أموالكم ، فانا نخشى عليكم الفقر فى ذَهابها ، ولا تسارعوا فى النفقة ، فانكم لا تَدْرُون عَلاَم يكون ، فأنزل الله فيهم (٤ : ٣٧ — ٣٩) : (الذينَ يَبْخَلونَ وَيأْمُرُونَ النَّاسَ بالْبُخْلِ ويَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) أى من التوراة التى فيها تصديق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ باللهِ وَلا بالْيَوْمِ الآخِرِ) إلى قوله

(وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيمًا)

اليهود يجحدون الحق

قال ابن إسحق : وكان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود ، إذا كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه ، وقال : أَرْعِنَا سَمْعَكَ يامحمد حتى نُفْهِمك ، ثم طعن في الاسلام وعابه ، فأنزل الله فيه (٤ : ٤٤ — ٤٦) (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا) أي : راعنا سمعك (لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)

وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود ، منهم عبدالله ابن صُورى الأعور وكَعْب بن أسد ، فقال لهم : « يَامَعْشَرَ يَهُودَ اتَّقُوا اللهَ وَأَسْلِمُوا فَوَاللهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ إِنَّ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ لَحَقٌّ » قالوا : مانعرف ذلك يامحمد ، فجحدوا ماعرفوا وأصرُّوا على الكفر ، فأنزل الله تعالى فيهم (٤ : ٤٧ .) : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا)

قال ابن هشام : نطمس : نمسحها فنسويها فلا يرى فيها عين ولا أنف ولا فم ولا شيء مما يرى في الوجه ، وكذلك (٥٤ : ٣٧) : (فطمسنا أعينهم) المطموس العين : الذي ليس بين جفنيه شق ، ويقال : طمست الكتاب

والأثر فلا يرى منه شيء ، قال الأخطل : (واسمه الغوث بن هُبَيْرَةَ (١)
ابن الصلت التغلبي) يصف إبلا كلَّفها ما ذكر : —

وَتَكْلِيفُنَاهَا كُلَّ طَامِسَةِ الصُّوَى
شَطُونٍ تَرَى حِرْبَاءَهَا يَتَمَلْمَلُ (٢)

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن هشام : واحدة الصُّوَى : صُوَّة ، والصوى : الأعلام التى يستدل بها على الطريق والمياه

قال ابن هشام : يقول : مُسِحَتْ فاستوت الأرض فليس فيها شيء ناتىء

اليهود الذين حزبوا الاحزاب

قال ابن إسحق : وكان الذين حَزَّبوا الأَحْزَاب من قريش وغَطَفَانَ وبنى قُرَيْظة : حُيَيّ بن أخْطَب ، وسَلَّام بن أبى الْحُقَيْق ، وأبو رافع ، والرَّبيع بن الربيع بن أبى الْحُقَيْق ، وأبو عَمَّار ، ووَحْوح بن عامر ، وهَوذة ابن قيس ، فأما وَحْوَح وأبو عمار وهَوْذة فمن بنى وائل ، وكان سائرهم من بنى النضير ، فلما قدموا على قريش قالوا : هؤلاء أحْبَار يَهُود وأهلُ العلم بالكتاب الأول ، فَسَلُوهم أدينكم خير أم دين محمد ، فسألوهم ، فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه فأنزل الله تعالى

---

(١) « الغوث بن هبيرة » المشهور أن اسمه غياث بن غوث

(٢) « تكليفناها » أى : تكليفنا إياها ، والوصل فى هذه الحال أقل من الفصل ، و « شطون » بعيد ، والحرباء — بكسر الحاء وسكون الراء — دويبة صغيرة تستقبل الشمس وتدور معها أينما دارت ، و « تململ » تقلب من شدة الحر ، يريد أنه يكلف ناقته السير فى الفلوات التى ليس فيها علام يهتدى بها ، ويكلفها مع ذلك المسافات البعيدة فى شدة الحر

فيهم (٤ : ٥١ ـ ٥٤) : (أَلَمْ تَرَ إِلَي الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْـكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ)

قال ابن هشام : الجبت عند العرب : ماعبد من دون الله تبارك وتعالى ، والطاغوت : كل ماأضل عن الحق ، وجمع الجبت : جُبوت وجمع الطاغوت : طَوَاغيت

قال ابن هشام : و بلغنا عن ابن أبي نجيح أنه قال : الجبت : السحر والطاغوت : الشيطان

(وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلاَءِ أَهْـدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً) *

قال ابن إسحق : إلى قوله تعالى (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْـكِتَابَ وَالْحِـكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْـكاً عَظِيماً)

اليهود ينكرون التنزيل

وقال سُكَينُ وعدى بن زيد : يامحمد ، مانعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى ، فأنزل الله تعالى ذلك من قولهما (٤ : ١٦٣ ـ ١٦٥) (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَي نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَـكْلِيماً رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَـكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَـكِيماً) .

ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعةٌ منهم فقال لهم : « أَمَا وَاللهِ إِنَّـكُمْ لَتعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولٌ إليكم من الله » قالوا : ما نعلمه ،

وما نشهد عليه ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم (٤ : ١٦٦) (لَـٰكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا)

اليهود يحاولون إلقاء صخرة على رسول الله فينجيه الله من ذلك

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النَّضير يستعينهم فى دِية العامريَّيْن اللذين قتل عمرو بن أمية الضَّمرِىّ ، فلما خلا بعضهم ببعض قالوا : لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن ، فمَن رَجُلٌ يَظْهَرُ على هذا البيت فيَطْرَح عليه صَخْرَةً فيُريحنا منه ؟ فقال عَمْرو بن جِحاش بن كعب : أنا ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فانصرف عنهم ، فأنزل الله تعالى فيه وفيما أراد هو وقومه (٥ : ١١) : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ واتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أَضاَ وبَحْرِىُّ بن عمرو وشَاسُ بن عَدِىّ ، فكلموه ، وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الله ، وحذَّرهم نقمته ، فقالوا : ما تخوِّفنا يامحمد ؟ نحنُ والله أبناء الله وأحباؤه ، كقول النصارى ، فأنزل الله تعالى فيهم (٥ : ١٨) : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)

قال ابن إسحق : ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الاسلام ، ورغَّبهم فيه ، وحذَّرهم غِيَرَ الله وعُقوبته ، فأبَوا عليه ، وكفروا بما جاءهم به ، فقال لهم مُعاذ بن جبل وسعد بن عُبادة وعُقبة بن وَهْب :

يا معشر يهود ، اتقُوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله . ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه ، وتَصِفُونه لنا بصفته ، فقال رافع بن حُرَيْملة ووَهْب بن يهوذا : ماقلنا لكم هذا [قط] ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما (٥ : ١٩) : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولوا مَاجَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

ثم قص عليهم خبر موسى ، وما لقى منهم ، وانتقاضهم عليه ، وما ردُّوا عليه من أمر الله حتي تاهوا فى الأرض أربعين سنة عقوبة

اليهود ترجع إلى النبي فى عقوبة الزانى المحصن

قال ابن إسحق : وحدثنى ابن شهاب الزُّهْرى ، أنه سمع رجلا من مُزَيْنَةَ من أهل العلم يُحَدِّثُ سعيد بن المسيَّب ، أن أبا هريرة حدثهم ، أن أحبار يهود اجتمعوا فى بيت الْمِدْرَاس – حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة – وقد زنى رجلٌ منهم بعد إحصانه بامرأة من يهود قد أحصنت ، فقالوا : ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد فَسَلُوه كيف الحكم فيهما ، ووَلُّوه الحكم عليهما ، فان عمل فيهما بعملكم من التَّجْبيه (والتَّجْبيهُ : الْجَلْدُ بحبل من ليف مَطْلِيٍّ بقارٍ ، ثم تُسَوَّد وجوههما ، ثم يحملان على حمارين ، وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين) فاتبعوه فانما هو ملك وصدقوه ، وإن هو حكم فيهما بالرَّجْم فانه نبي فاحذروه على مافى أيديكم أن يَسْلُبَكُمُوه ، فأتَوْه ، فقالوا : يامحمد ، هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت ، فاحكم فيهما فقد وَلَّيْنَاكَ الحكم فيهما ، فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم ف

بيت المِدْرَاس ، فقال : « يامَعْشَرَ يهودَ ، أَخْرِجُوا إلىَّ علماءكم » فأخرجوا له عبد الله بن صُورَى

قال ابن إسحق : وقد حدثنى بعض بنى قُرَيْظة أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ مع ابن صورى أبا ياسر بن أخْطَب وَوَهْبَ بن يهوذا ، فقالوا : هؤلاء علماؤنا ، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حصَّل أمرهم ، إلى أن قالوا لعبد الله بن صورى : هذا أعلم من بقى بالتوراة

قال ابن هشام : من قوله « وحدثنى بعض بنى قريظة » إلى « أعلم من بقى بالتوراة » من قول ابن إسحق ، وما بعده من الحديث الذى قبله

فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان غلاما شابًّا من أحدثهم سنًّا فألظَّ به [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة ، يقول [له :] « يا ابْنَ صُورَى أَنْشُدُكَ اللهَ وأذَكِّرك بأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلم أن الله حكم فيمن زَنَى بَعْدَ إحصانه بالرجم فى التوراة » ؟ قال : اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون إنك لنبى مرسل ، ولكنهم يحسدونك ، قال : فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بهما فرجما عند باب مَسْجِدِهِ فى بنى غَنْم بن مالك بن النجار ، ثم كفر بعد ذلك ابن صورى ، وجَحَد نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فأنزل الله تعالى فيهم (٥ : ٤١) : (يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَايَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ

---

(١) ألظ به : ألح عليه فى السؤال حتى يستخرج ما عنده ، وفى الحديث « ألظوا بياذا الجلال والاكرام » أى : الزموا هذه الكلمة وداوموا عليها وأكثروا من ذكرها

لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يأْتُوكَ) أى الذين بعثوا منهـم مَنْ بعثوا وتخلفوا وأمروهم بمـا أمروهم به من تحريف الحـكم عن مواضعه ، ثم قال : (يُحَرِّفُونَ الْـكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ) أى : الرجم (فاحْذَرُوا) إلى آخر القصَّة

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، عن إسمعيل بن إبراهيم ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما ، فرجما بباب مسجده ، فلما وجد اليهودى مَسَّ الحجارة قام إلى صاحبته فَجَنَأَ عليها [1] ، يقيها مَسَّ الحجارة ، حتى قتلا جميعا ، قال : وكان ذلك مما صنع الله [به] لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى تحقيق الزنا منهما

قال ابن إسحق : وحدثنى صالح بن كَيْسان ، عن نافع مولى عبد الله ابن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، قال : لما حكَّمُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما دعاهم بالتَّوْراة وجَلَس حَبْرٌ منهم يتلوها ، وقد وضع يده على آية الرجم ، قال : فضرب عبد الله بن سَلاَم يَدَ الْحَبْر ، ثم قال : هذه يانبى الله آية الرجم ، يأبى أن يتلوها عليك ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسَلَّمَ : « وَيْحَكُمْ يَامَعْشَرَ يَهُودَ !! مَادَعَاكُمْ إِلَي تَرْكِ حُكْمِ اللهِ وَهُوَ بِأَيْدِيكُمْ » قال : فقالوا : أما [والله] إنه قد كان فينا يُعْمَلُ به ، حتى زنى رجل منا بعد إحصانه من بيوت الملوك وأهل الشرف ، فمنعه الملك

---

(١) تروى هذه الـكلمة « حنا » بحاء مهملة وألف مقلوبة عن الواو ، ومعناه مال عليها ، وتروى « جنأ » بجيم وآخره همزة ، والجنأ : الانحناء قال عوف بن محلم :ـ

وَبَدَّلَتْنِى بِالشَّطَاطِ الْجَنَا وَكُنْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السِّنَانْ

من الرجم ، ثم زنى رجل بعده ، فأراد أن يرجمه ، فقالوا : لا والله ، حتى ترجم فلانا ، فلما قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التَّجْبية ، وأماتوا ذكر الرجم والعمل به ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَ اللهِ وَكِتَابَهُ وَعَمِلَ بِهِ » ثم أمر بهما فرجما عند باب مسجده ، قال عبد الله بن عمر : فكنت فيمن رجمهما

كان اليهود يتظالمون فى الدية فردهم رسول الله الى الحق فيها

قال ابن إسحق : وحدثنى داود بن الحُصَين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن الآيات من المائدة التى قال الله فيها (٥ : ٤٢) : (فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) إنما أنزلت فى الدية بين بنى النضير و بنى قريظة ، وذلك أن قتلى بنى النضير وكان لهم شرف يُودَوْنَ الديةَ كاملة ، وأن بنى قريظة [كانوا] يُودَوْن نصف الدية ، فتحاكموا فى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ذلك فيهم ، فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق فى ذلك : فجعل الدية سواء

قال ابن إسحق : فالله أعلم أى ذلك كان

تآمر اليهود على فتنة رسول الله فرد الله كيدهم وأبى رسوله

قال ابن إسحق : وقال كَعْبُ بن أسد وابن صَلُوبا وعبد الله بن صوري وشاسُ بن قيس بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نفتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأتَوْهُ فقالوا له : يا محمد ، إنك قد عرفت أنا أَحْبَارَ يهود وأشرافهم وسادتهم وإنا إن اتبعناك اتبعتك يهود ، ولم يخالفونا وإن بيننا و بين بعض قومنا خصومة ، أفنحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك ؟ فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فأنزل الله فيهم (٥ : ٤٩ ـ ٥٠) : (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ

وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَاأَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)

اليهود يجحدون نبوة عيسى ابن مريم

قال ابن إسحق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر منهم : أبو ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبى نافع ، وعازر بن أبى عازر ، وخالد وزيد ، و إزار بن أبى إزار ، وأشْيَعُ ، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل ، فقال صلى الله عليه وسلم : « نؤمنُ بالله وَما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم و إسمعيل و إسحق و يعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » فلما ذكر عيسى ابن مريم جحدوا نبوته ، وقالوا : لانؤمن بعيسى ابن مريم ، ولا بمن آمن به ، فأنزل الله تعالى فيهم (٥ : ٥٩) : (قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ)

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة ، وسَلاَّم بن مِشْكم ، ومالك بن الضيف ، ورافع بن حُرَيْملة ، فقالوا : يامحمد ، ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ، وتؤمن بما عندنا من التوراة ، وتشهد أنها من الله حق ؟ قال : « بلى ، ولكنكم أحدثتم وجَحَدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها ، وكتمتم منها ماأمرتم أن تبينوه للناس ، فبَرِئْتُ من إحْدَاثكم » قالوا : فانا نأخذ بما فى أيدينا ، فانا على الهدى والحق ، ولا نؤمن بك ولا نتبعك ، فأنزل الله تعالى فيهم (٥ : ٦٨) : قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ

وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)

بعض اليهود يسأل عن الوحدانية سؤال المنكر

قال ابن إسحق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم النحام بن زيد وقَرْدَمُ بن كعب وبحريُّ بن عمرو ، فقالوا له : يامحمد أما تعلم مع الله إلهاً غيره ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله لَاإِلَهَ إلا هو بذلك بُعِثْتُ وإلى ذلك أدعو » فأنزل الله فيهم وفى قولهم (٦ : ١٩ – ٢٠) : (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى ، قُلْ لَا أَشْهَدُ ، قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ، الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)

نهى المسلمين عن موالاة المنافقين

وكان رفاعة بن زيد بن التابوت وسُوَيْد بن الحرث قد أظهرا الاسلام ونافقا . فكان رجال من المسلمين يوادونهما ، فأنزل الله تعالى فيهما : (٥ : ٥٧) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) إلى قوله (٥ : ٦١) (وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ)

بعض اليهود يسأل النبي عن الساعة

وقال جَبَلُ بن أبى قُشَيْر وشمويل بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد ، أخبرنا متى [تقوم] الساعة إن كنت نبياً كما تقول ؟ فأنزل الله تعالى فيهما (٧:١٨٧) (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ

إلاَّ بَغْتَةً يَسأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إنما عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

قال ابن هشام : « أيَّانَ مُرْسَاهَا » متى مرساها ، قال قيس بن الحُدادية الخزاعى : —

فَجِئْتُ وَمُخْفَى السِّرِّ بَيْنِى وَبَيْنَهَا
لِأَسْأَلَهَا أَيَّانَ مَنْ سَارَ رَاجِعُ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

ومرساها : منتهاها ، وجمعه مَرَاسٍ ، قال الـكميت بن زيد : —

وَالْمُصِيبِينَ بَابَ مَا أَخْطَأَ النَّا سُ وَمُرْسَى قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ (٢)

وهذا البيت فى قصيدة له (٣)

ومُرْسَى السفينة : حيث تنتهى ، و «حفىٌّ عنها» على التقديم والتأخير يقول : يسألونك عنها كأنك حفى بهم فتخبرهم بما لا تخبر به غيرهم ، والحفى

---

(١) « ومخفى السر بينى وبينهما » يحتمل وجوها منها أن يكون « مخفى » اسم مكان الاخفاء — أى : المكان الذى استتر فيه السر — وقوله « بينى وبينها » متعلق بمحذوف خبر المبتدأ ، وهذا أظهر الوجوه عندنا ، و « أيان من سار راجع » يريد متى يرجع من ارتحل عنه

(٢) « مرسى » بضم الميم وسكون الراء والسين مفتوحة — اسم مكان من قولهم : أرسيت السفينة — إذا أبلغتها الموضع الذى ترسو عنده وتنتهى إليه ، يريد أنهم المكان الذى تنتهى إليه قواعد الاسلام لأنها عنهم تؤخذ وبهم يقتدى فيها

(٣) هذا بيت من قصيدة له هاشمية يمدح فيها آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبله قوله : —

بَلْ هَوَاىَ الَّذِى أُجِنُّ وَأُبْدِى لِبَنِى هَاشِمٍ فُرُوعِ الْأَنَامِ
لِلْقَرِيبِينَ مِنْ نَدًى وَالْبَعِيدِيـنَ مِنَ الْجَوْرِ فِى عُرَى الْأَحْكَامِ

البَرُّ المتعهد ، وفى كتاب الله (١٩ : ٤٧) (إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) وجمعه أحفياء ، وقال أعشى بنى قيس بن ثَعْلَبَة : —

فَإِنْ تَسأَلِى عَنِّى فَيَارُبَّ سَائِلٍ
حَفِيٍّ عَنِ الأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا (١)

وهذا البيت فى قصيدة له (٢)

والحفى أيضا : المستحفى عن علم الشىء المبالغ فى طلبه

قال ابن إسحق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلَّام بن مشكم ونُعْمَان بن أبى أَوْفَى أبو أَنَس ومحمود بن دَحْيَة وشاسُ بن قَيْس ومالك بن الصَّيْف ، فقالوا له . كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله ، فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم (٩ : ٣١) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) إلى آخر القصة .

قال ابن هشام : يضاهئون : أى يشاكل قولهم قول الذين كفروا ، نحو أنْ تُحَدِّثَ بحديث فيحدِّثَ آخرُ بمثله ، فهو يضاهيك

---

(١) قال أبو العباس : « الحفى : المبالغ فى السؤال ، وإصعاده : إتيانه » اهـ ، قال أبو رجاء : وبيت الأعشى على التقديم والتأخير أيضا ، وتقديره : فان تسألى عن الأعشى فيارب سائل حفى به

(٢) هذا البيت من قصيدة الأعشى التى كان أعدها ليمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم على ما سبق ذكره (ج ١ ص ٤١٢ من هذا الكتاب) وبعده قوله : —

أَلَا أَيُّهذَا السَّائِلِى أَيْنَ يَمَّمَتْ فَإِنَّ لَهَا فِى أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا

بعض اليهود ينكر تنزيل القرآن وما نزل فى ذلك

قال ابن إسحق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سَيْحَانَ وَنُعْمَان بن أَضَا وَبَحْرِيُّ بن عَمْرو وعُزَيْر بن أبى عُزَيْر وَسَلاّم ابن مِشْكَم ، فقالوا : أحق يا محمد أن هذا الذى جِئْتَ به الحَقُّ من عند الله ، فانا لا نراه مُتَّسقاً كما تَتَّسِقُ التَّوراة ؟ ! فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَا وَاللهِ إنَّكُمْ لَتعرِفُونَ أَنَّهُ مِنْ عِندِ اللهِ تجدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَكُم [في التَّوْراة] ، ولو اجْتَمَعَت الإنسُ والجنُّ على أن يأْتُوا بمثله ماجاءوا به » فقالوا عند ذلك وهم جَميعٌ : فنحاصٌ وعبدُ الله بن صُوَرى وابن صَلُوبا وكِنَانَة بن الربيع بن أبى الحُقَيْق وأشيع وكَعْب بن أسد وشَمْويل بن زيد وجَبَل بن عَمْرو بن سُكَينة : يامحمد ، أما يُعَلِّمُكَ هذا إنسٌ ولاجنٌّ ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَا والله إنَّكُم لَتَعْلَمُونَ إنه مِنْ عِنْدِ الله ، وَإنِّى لَرَسُول الله ، تجدُونَ ذلك مَكْتوبًا عندكم فى التوراة » فقالوا : يامحمد ، فان الله يصنع لرسوله إذا بعثه مايشاء ، ويقدر منه على ما أراد ، فَأَنْزِلْ علينا كتابا من السماء نَقْرَؤه ونَعْرِفه ، وإلا جئناكَ بمثل ماتأتى به ، فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا (١٧ : ٨٨) : (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)

قال ابن هشام : الظَّهِير : العَوْنُ ، ومنه قول العرب « تَظَاهَرُوا عَلَيه » أى : تعاونوا عليه ، قال الشاعر : ـ

يَا سَمِيَّ النَّبِيِّ أَصْبَحْتَ لِلدِّيـــنِ قِواماً وللإمَامِ ظَهِيرَا

أى : عَوْنا ، وجمعه ظُهَراء

بعض اليهود يسأل النبى عن ذى القرنين

قال ابن إسحق : وقال حُيَيُّ بن أَخْطَب وكَعْب بن أسد وأبو نافع[(١)]

(١) فى نسخة « وأبو رافع » (انظر صحيفة ١٨١ من هذا الجزء)

وأشيَع وشَمْويل بن زيد لعبد الله بن سَلاَم حين أسلم : ما تكون النبوّةُ في العرب ولكن صاحِبُكَ مَلِكٌ ، ثم جاءوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذى القَرْنَيْن ، فقصَّ عليهم ماجاءه من الله تعالى فيه مما كان قَصَّ على قريش ، وهُمْ كانوا ممّنْ أَمَرَ قريشاً أن يَسْألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه حين (١) بعثوا إليهم النَّضْر بن الحرث وعُقْبَة بن أبي مُعَيْطٍ .

قال ابن إسحق : (٢) وحُدِّثْتُ عن سعيد بن جُبَير أنه قال : أتى رَهْطٌ من يهود [إلى] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يامحمد ، هٰذَا الله خَلَقَ الخلقَ فمن خلق الله ؟ قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انْتُقِعَ لَوْنُهُ (٣) ثم سَاوَرَهُم (٤) غَضَبا لربه ، قال : فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه ، فقال : خَفِّضْ عليك يامحمد ، وجاءه من الله بجواب ماسألوه عنه(١١٢ : ١ ــ ٤) : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) قال : فلما تلاها عليهم قالوا : فَصِفْ لنا يامحمد كيف خَلْقُه ؟ كيف ذِرَاعه ؟ كيف عَضُدُه ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ من غضبه الأول ، وساورهم (٤) ، فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال له مثل ماقال له أول مرة ، وجاءه من الله تعالى بجواب ماسألوه [عنه] ، يقول الله تعالى (٣٩ : ٦٧) : (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)

---

(١) انظر (ج ١ ص ٣٢٠ من هذا الكتاب) فهناك تفصيل ذلك

(٢) فى بعض أصول الكتاب « قال ابن هشام »

(٣) « انتقع لونه » ـ بالبناء للمجهول ، وبالنون وتقال بالميم ـ تغير

(٤) « ساورهم » واثبهم وباطشهم

قال ابن إسحق : وحدثنى عُتبة بن مسلم مولى بنى تَيْم[1] عن أبى سَلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبى هُرَيرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ حَتَّى يقُولَ قَائِلُهُمْ هٰذَا اللهُ خَلَقَ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ ، فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا [قُلْ هُوَ] اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ثُمَّ لِيَتْفُلِ الرَّجُلُ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثاً وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ »

قال ابن هشام : الصَّمَدُ : الذى يُصمَد ويَفزع إليه ، قالت هند بنت مَعْبَد بن نَضلة تَبكى عَمرو بن مسعود وخالد بن نَضلة عميها الأسَدِيَّيْن وهما اللذان قتل النعمانُ بن المنذر اللَّخمِيُّ و بَنَى الغَرِيَّين[2] اللذين بالكوفة عليهما : —

---

(١) فى نسخة « مولى بنى تميم » ، وهو تحريف

(٢) الغريان - بفتح الغين وكسر الراء وتشديد الياء - بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وإنما سميا الغريين لحسنهما فى ذلك الزمن ، والغرى : الحسن ، والعرب تقول : هذا رجل غرى ، أى حسن ، والذى بناهما هو المنذر بن امرىء القيس بن ماء السماء ، وكان السبب فى ذلك أنه كان له نديمان من بنى أسد أحدهما خالد ابن نضلة والثانى عمرو بن مسعود ، فثملا ليلة ، فراجعا الملك فى بعض كلامه ، فأمر وهو سكران ، فحفر لهما حفيرتان فى ظهر الكوفة ، ودفنهما حيين ، فلما أصبح استدعاهما ، فأخبر بالذى أمضاه فيهما ، فغمه ذلك ، وقصد حفرتهما ، وأمر ببناء طربالين عليهما ، وهما صومعتان ، ثم قال : ما أنا بملك إن خالف الناس أمرى ، لا يمر أحد من وفود العرب إلا بينهما ، وجعل لهما فى السنة يوم بؤس ويوم نعيم ، يذبح فى يوم بؤسه كل من يلقاه ويطلى بدمه الطربالين ، ويحسن فى يوم النعيم كل من يلقى من الناس ويحملهم

أَلاَ بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرَىْ بَنِي أَسَدْ
بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

وفد نجران وشهادة أحدهم بنبوة رسول الله

قال ابن إسحق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ نصارى نجرَان ستون راكبا ، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم ، فى الأربعة عشر منهم ثلاثةُ نفر إليهم يؤول أمرهم : العاقبُ : أمير القوم ، وذو رأيهم ، وصاحب مَشورَتهم ، والذى لا يصدُرون إلا عن رأيه ، واسمه عبد المسيح ، والسيد : ثِمَالُهم(١) ، وصاحب رحلهم ومجتمعهم ، واسمه الأيهم ، وأبو حارثة ابن علقمة أحد [بنى] بكر بن وائل : أسقفُّهم(٢) ، وحَبْرُهم ، وَامامهم ، وصاحب مِدْراسهم ، وكان أبو حارثة قد شَرُف فيهم ودَرَسَ كتبهم حتى حَسُنَ علمه فى دينهم ، فكانت ملوكُ الروم من أهل النصرانية قد شَرَّفوه ومَوَّلوه ، وأخدَمُوه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم ، فلما وجَّهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجْرَان جلس أبو حارثة على بَغلةٍ له موجِّهًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وَإلى جانبه أخٌ له يقال له كُورُ بن عَلقمة

قال ابن هشام : ويقال : كوز

ويخلع عليهم . وقد مر معن بن زائدة بأطلال الغريين وقد تهدما فأنشأ يقول : ـ

لَوْ كَانَ شَيْءٌ لَهُ أَلاَّ يَبِيدَ عَلَى طُولِ الزَّمَانِ لَمَا بَادَ الْغَرِيَّانِ
قَدْ فَرَّقَ الدَّهْرُ وَالأَيَّامُ بَيْنَهُمَا وَكُلُّ إِلْفٍ إِلَى بَيْنٍ وَهِجْرَانِ

(١) « ثمالهم » ثمال القوم : هو أصلهم الذى يرجعون إليه ويقوم بأمورهم وشؤونهم

(٢) « أسقفهم » الأسقف : عظيم النصارى ، ويقال بتشديد الفاء وتخفيفها

فعثرت بغلة أبي حارثة ، فقال كوز : تعس الأبعد ، يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال [له] أبو حارثة : بل أنت تعست ، فقال : ولم يا أخي ؟ قال : والله إنه للنبيّ الذى كنا ننتظر ، فقال له كوز : وما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم شرّفونا وموّلونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافه ، فلو فعلت نزعوا منّا كلّ ما ترى ، فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك ، فهو كان يحدّث عنه هذا الحديث ، فيما بلغني

ذكر النبي في كتب يتوارثها نصارى نجران

قال ابن هشام : وبلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبًا عندهم ، فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة إلى غيره ختم على تلك الكتب خاتمًا من الخواتم التي كانت قبله ، ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذى كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يمشي فعثر ، فقال ابنه : تعس الأبعد ، يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبوه : لا تفعل ؛ فإنه نبي واسمه فى الوضائع (يعني الكتب) فلما مات لم تكن لابنه همّة إلا أن شدّ ، فكسر الخواتم ، فوجد فيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، فحسن إسلامه وحج ، وهو الذى يقول : —

إِلَيْكَ تَعْدُو قَلِقًا وَضِينُهَا ... مُعْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِينُهَا (١)
مُخَالِفًا دِينَ النَّصَارَى دِينُهَا

قال ابن هشام : [وقال هشام بن عروة] وزاد فيه أهل العراق :

مُعْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِينُهَا

فأما أبو عبيدة فأنشدناه فيه

---

(١) الوضين - بفتح الواو - حزام منسوج يشد به الهودج على ظهر البعير ، والجنين : ولدها ما دام فى بطنها

قال ابن هشام : الْوَضِينُ حزام الناقة

فدنجران يصلون بمسجد رسول الله إلى المشرق

قال ابن إسحق وحدثنى محمد بن جعفر بن الزُّبَيْر ، قال : لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه فى مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبَرَات : جُبَبٌ وأردية فى جمال رجال بنى الحرث بن كعب ، قال : يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ : ما رأينا وفْدًا مثلهم ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلُّون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دَعُوهُم » فصلَّوْا إلى المشرق

قال ابن إسحق : وكان تسمية الأربعة عَشَرَ الذين يؤول إليهم أمرهم : العاقب وهو عبد المسيح ، والسَّيِّد وهو الأيهم ، وأبو حارثة بن علْقَمة أخو بنى بكر بن وائل ، وأوس ، والحرث ، وزيْدٌ ، وقَيْس ، ويزيد ، ونُبَيْه ، وخُوَيْلد ، وعَمْرو ، وخالد ، وعَبْدالله ، ويُحَنَّس ، فى ستين راكبا ، فكلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم [منهم] أبو حارثة بن عَلْقَمَة ، والعاقب عبد المسيح ، والأيهم السيد ، وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من أمرهم ، يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة ، وكذلك قول النصرانية ؛ فهم يحتجون فى قولهم « هو الله » بأنه كان يحيي الموتى ، ويبرىء الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرا ، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى ، وليَجْعَله آية للناس ويحتجون فى قولهم « إنه ولد الله » بأنهم يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم فى المهد ، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله ، ويحتجون فى قولهم « إنه ثالث ثلاثة » بقول الله : فعلنا ، وأمرنا ، وخلقنا ، وقَضَيْنا ، فيقولون : لو كان واحداً ماقال إلا فعلتُ ، وقضيتُ ، وأمرتُ ، وخلقتُ ،

ولـكنه هو وعيسى ومريم ، ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن ، فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم «أسلما». قالا : قد أسلمنا ، قال : « إِنَّكُمَا لَمْ تُسْلِمَا » قالا : بلى قد أسلمنا قبلك ، قال : « كَذَبْتُمَا يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ دُعَاؤُكُمَا لِلَّهِ وَلَدًا وَعِبَادَتُكُمَا الصليبَ وَأَكْلُكُمَا الخنزيرَ » قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يجبهما ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ، فقال جل وعز

نزول صدر سورة آل عمران وتفسير غريبه

(٣ : ٠٠٠٠) : (الم اللهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومَ) فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا ، وتوحيده إياه بالخلق والأمر لاشريك له فيه ، رداًّ عليهم ما ابتدعوا من الـكفر وجعلوا معه من الأنداد ، واحتجاجا بقولهم عليهم فى صاحبهم ، ليعرِّفهم بذلك ضلالتهم ، فقال : (الم اللهُ لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ) ليس معه غيره شريك فى أمره (الحَيُّ القَيُّوم) الحى : الذى لايموت ، وقد مات عيسى وصُلِب فى قولهم ، وَالقَيُّوم : القائم على مكانه من سلطانه فى خلقه ، لايزول وقد زال عيسى فى قولهم عن مكانه الذى كان به وذهب عنه إلى غيره (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْـكِتَابَ بِالحَقِّ) أى : بالصدق [مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ] فيما اختلفوا فيه (وَأَنْزَلَ التَّورَاةَ وَالإِنْجِيلَ) التوراة على موسى ، والانجيل على عيسى ، كما نزل الـكتب على من كان قبله (وَأَنْزَلَ الفُرْقَانَ) أى : الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُوانْتِقَامٍ) أى : إن الله منتقم ممن كفر بآيات الله بعد علمه بها ومعرفته بما جاء منه فيها (إنَّ اللهَ لاَيَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ) أى : قد علم مايريدون

وما يكيدون وما يضاهون بقولهم فى عيسي ؛ إذ جعلوه إلٰهاً وَرَبًّا وعندهم من علمهم غـير ذلك غِرَّةً بالله وكفراً به (هُوَ الَّذِى يُصَـوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء) أى : قد كان عيسى ممن صُوِّر فى الأرحام لا يَدْفعون ذلك ولا يُنْكرونه كما صُوِّرَ غيره من ولد آدم ، فكيف يكون إلٰهاً وقد كان بذلك المنزل ؟ ثم قال تعالى إنزاهاً لنفسه وتوحيداً لها مما جعلوا معه (لَا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) العزيز فى انتصاره ممن كفر به إذا شاء ، الحكيم فى حُجَّته وعُذْره إلى عباده (هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ) فيهن : حجة الرب ، وعصمة العباد ، ودَفْع الخصوم والباطل ، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما ضعن عليـه (وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) لهن تصريف وتأويل ، ابْتَلَي الله فيهن العباد كما ابتلاهم فى الحـلال والحرام ألاَّ يُصْرَفْنَ إلى الباطل ولا يُحَرَّفْنَ عن الحق ، يقول الله عز وجل (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) أى : ميل عن الهدى (فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ) أى : ماتَصَرَّف منه ليُصَدِّقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا لتكون لهم حجـة ولهم على ماقالوا شبهة (ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ) أى : اللبس (وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) ذلك على ما ركبوا من الضلالة فى قولهم : خَلَقْنَا ، وقَضَيْنَا ، يقول : (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ) الذى به أرادوا ما أرادوا (إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) فكيف يختلف فيـه وهو قول واحد من رب واحـد ، ثم ردوا تأويل المتشابه على ماعرفوا من تأويل المحكمة التى لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، فاتَّسَقَ بقولهم الكتاب وصَدَّقَ بعضُه بعضاً ، فنفذت به الحجـة ، وظهر به العـذر ، وزاح به الباطل ، ودُمِغ به الكفر ، يقول الله تعالى فى مثل هذا : (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو

الْأَلْبَابِ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) أى : لا تُمِلْ قلوبنا وإن مِلْنَا باحداثنا (وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) ثم قال (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ والْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ) بخلاف ماقالوا (قَائِمًا بِالْقِسْطِ) أى : بالعدل [فيما يريد] (لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ) أى : ماأنت عليه يامحمد : التوحيد للرب ، والتصديق للرسل (وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ الْعِلْمُ) الذى جاءك ، أى : أن الله الواحد الذى ليس له شريك (بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنْ حَاجُّوكَ) أى : بما يأتون به من الباطل : من قولهم : خلقنا ، وفعلنا ، وأمرنا ، فانما هى شبهةُ باطلٍ قد عرفوا مافيها من الحق (فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلهِ) أى : وحده (وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ) الذين لا كتاب لهم (أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) ثم جمع أهل الكتابين جميعا ، وذكر ما أحدثوا ، وما ابتدعوا ، من اليهود والنصارى فقال (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ) إلى قوله (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ) أى : رب العباد والملك الذى لايقضى فيهم غيره (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ) أى : لا إلى غيرك (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أى لايقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) بتلك القدرة (وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) لايقدر على

ذلك غيرك ، ولايصنعه إلا أنت ، أى : فان كنتُ سَلَّطْتُ عيسى على الأشياء التى بها يزعمون أنه إله : من إحياء الموتى ، و إبراء الاسقام ، والخلق للطير من الطين ، و الاخبار عن الغيوب ؛ لأجْعَلَه به آيةللناس و تَصْدِيقًا له فى نبوته التى بعثتُهُ بها إلى قومه ، فان من سلطانى وقدرتى مالم أعطه : تمليك الملوك ، وأمر النبوة ووضعها حيث شئت ، و إيلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل ، وإخراج الحى من الميت ، و إخراج الميت من الحى ، ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب ، فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملكه إياه ، أفلم تكن لهم فى ذلك عبرة و بينة أن لوكان إلٰها كان ذلك كله إليه ؟ وهو فى علمهم يهرب من الملوك ، و ينتقل منهم فى البلاد من بلد إلى بلد

ثم وعظ المؤمنين وحذّرهم ، ثم قال : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ) أى : إن كان هذا من قولكم حقا حُبًّا لله وتعظيما له (فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) أى : مامضى من كفركم (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ)فانتم تعرفونه وتجدونه فى كتابكم (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أى : على كفرهم (فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)

ثم استقبل لهم أمر عيسى وكيف كان بدوّ ماأراد الله به ، فقال (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ واللهُ سَمِيعٌ عَلِيم) ثم ذكر أمر امرأة عمران فى قولها (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا) أى : نذرته فجعلته عتيقا تعبُّدُه لله لاينتفع به لشىء من الدنيا (فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وضعتها أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ

الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى) أي : ليس الذكر كالأنثي لما جعلتها محررا له نذيرة (وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) يقول الله تبارك وتعالى (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) بعد أبيها وأمها

قال ابن إسحق : فذكرها باليتم

قال ابن هشام : كفلها : ضمها

قال ابن إسحق : ثم قصّ خبرها وخبر زكريا ، وما دعا به ، وما أعطاه إذ وهب له يحيى ، ثم ذكر مريم وقول الملائكة لها (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) يقول الله عز وجل (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ) أي : ما كنت معهم (إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ)

قال ابن هشام : أقلامهم : سهامهم ، يعنى قداحهم التى استهموا [بها] عليها ، فخرج قِدْح زكريا فضمّها فيما قال الحسن بن أبى الحسن البصرى

قال ابن إسحق : كفلها ههنا جُرَيْجٌ الراهبُ رجلٌ من بنى إسرائيل نجّار خرج السهْم عليه بحمْلها لحملها ، وكان زكريا قد كفلها قبل ذلك ؛ فأصابت بنى إسرائيل أزْمَةٌ شديدةٌ فعجَزَ زكريا عن حَمْلها ، فاستهموا عليها أيُّهم يكفلها ، فخرج السهم على جُرَيج الراهب بكفولها فكفلها (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) أى : ما كنت معهم إذ يختصمون فيها ، يخبره بخفىّ ما كتموا منه من العلم عندهم لتحقيق نبوته ، والحجة عليهم بما يأتيهم به مما أخفَوْا منه ، ثم قال : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ)

أى : هكذا كان أمره لا ما يقولون فيه (وَجِيهاً فى الدُّنْيَا والآخِرَةِ) أى : عند الله (وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ) يخبرهم بحالته التى يتقلب فيها فى عمره كتقلب بنى آدم فى أعمارهم صغاراً وكبارا ، إلا أن الله خصَّه بالكلام فى مهده ؛ آيةً لنبوته وتعريفاً للعباد بمواقع قدرته (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء) أى : يصنع ما أراد ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر (إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُون) مما يشاء وكيف شاء فيكون كما أراد ، ثم أخبرها بما يريد به فقال (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ) التى كانت فيهم من عهد موسى قبله (وَالْإِنْجِيلَ) كتاباً آخر أحدثه الله عز وجل إليه لم يكن عندهم إلا ذكره أنه كائن من الأنبياء بعده (وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) أى : يحقق بها نبوتى أنى رسول منه إليكم (أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ)الذى بعثنى إليكم وهو ربى وربكم (وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ)

قال ابن هشام : والأكمه : الذى يولد أعمى ، قال رؤبة ابن العجاج : —

* هَرَّجْتُ فَارْتَدَّ ارْتِدَادَ الْأَكْمَهِ (١) *

قال ابن هشام : هرجت : صِحْتُ بالأسد وجلبت عليه ، وهذا البيت فى أرجوزة له ، وجمعه كُمْه

(١) قال أبو ذر : « هزجت : من رواه بالزاى فمعناه زجرت ، ومن رواه هرجت بالراء مشددة فمعناه حركت ، والأكمه قدفسره ابن هشام » اه

(وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ) أى رسول من الله إليكم (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ) أى: لما سبقنى منها (وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) أى: أخبركم به أنه كان عليكم حراماً فتركتموه ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم فتصيبون يُسْرَه وتخرجون من تباعاته (وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) أى: تبرِّيًا من الذى يقولون فيه، واحتجاجا لربه عليهم (فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) أى: هذا الذى قد حملتكم عليه وجئتكم به (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ) والعدوان عليه (قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ) وهذا قولهم الذى أصابوا به الفضل من ربهم (وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) لاما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) أى: هكذا كان قولهم وإيمانهم

ثم ذكر رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله فقال: (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقروا لليهود بصلبه كيف رفعه وطهره منهم فقال: (إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) إذ هَمُّوا منك بما هَمُّوا (وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ثم القصة حتى انتهى إلى قوله: (ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ) يا محمد (مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ) القاطع الفاصل الحق الذى لا يخالطه الباطل من الخبر عن عيسى وعما اختلفوا فيه من أمره، فلا تقبلَنَّ خبراً غيره (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ) فاستمع (كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ)

أى : ماجاءك من الخبر عن عيسى (فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) أى : قد جاءك الحق من ربك فلا تَمْتَرِيَنَّ فيه ، و إن قالوا : خلق عيسى من غير ذكر ، فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر ؛ فكان كما كان عيسى لحماً ودما وشعرا و بشرا ؛ فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) أى : من بعد ما قصصت عليك من خبره وكيف كان أمره (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)

قال ابن هشام : قال أبو عبيدة : نبتهل : ندعو باللعنة ، قال أعشي بنى قَيْس بن ثَعْلَبَة : —

لاَ تَقْعُدَنَّ وقَدْ أَكَّلْتَهَا حَطَباً
تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْماً وَتَبْتَهِلُ[(١)]

وهذا البيت فى قصيدة له [(٢)]

[نبتهل نتضرع]يقول : تدعو باللعنة ، وتقول العرب : بَهَلَ الله فلانا، أى : لعنه الله ، وعليه بَهْلَةُ الله ، أى : لعنة الله

قال ابن هشام : و يقال :بُهْلَةُ الله ، أى : لعنة الله ، ونبتهل أيضا : نجتهد فى الدعاء

---

(١) قال التبريزى : « أكلتها : أججتها ، وتبتهل : تدعو إلى الله من شرها » اه ولم يذكر أبو العباس ثعلب فى تفسير هذا البيت أكثر من قوله « أكلتها أججتها » اه

(٢) هذا البيت من قصيدته التى مطلعها : —

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ

وهى إحدى القصائد العشر المعلقات

قال ابن إسحق : (إنَّ هَذَا) الذى جئت به من الخبر عن عيسى (لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) من أمره (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) فدعاهم إلى النَّصَف ، وَقَطَع عنهم الحجة

فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من الله عز وجل عنه والفصلُ من القضاء بينه وبينهم ، وأُمِرَ بما أمر به من مُلاَعَنَتِهم إن رَدُّوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ، فقالوا له : ياأبا القاسم ، دَعْنَا نَنْظُرْ فى أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دَعَوْتَنَا إليــه ، فانصرفوا عنه ، ثم خَلَوْا بالعاقب ـ وكان ذا رأيهم ـ فقالوا : ياعبد المسيح ، ماذا ترى ؟ فقال : والله يامعشر النصارى لقد عرفتم إنَّ محمدًا لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم مَالاَعَنَ قومٌ نبيًّا قطُّ فبقى كبيرهم ولا نَبَتَ صغيرهم ، وإنه لَلاُستئصال منكم إن فعلتم ، فان كنتم قد أبيتم إلا إلْفَ دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوَادِعُوا الرجلَ ، ثم انصرفوا إلى بلادكم ، فَأَتَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا ألاَّ نلاعنك ، وأن نتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فانكم عندنا رِضًا ، قال محمد ابن جعفر : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ائْتُونِى الْعَشِيَّةَ أَبْعَثْ مَعَكُمُ الْقَوِىَّ الأَمِينَ » قال : فكان عمر بن الخطاب يقول : ما أحببت الامارة قطُّ حُبِّى إياها يومئذ ، رَجَاء أن أكون صاحبها ،

فَرُحْتُ إلى الظُّهْرِ مُهَجِّراً ، فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سَلَّم ثم نظر عن يمينه و يساره ، فجعلت أتطاوَل له ليرانى ، فلم يزل يَلْتَمِسُ ببصره حتى رأى أبا عُبَيْدَة بن الجَرَّاح ، فدعاه ، فقال : « اخْرُجْ مَعَهُمْ فَاقْضِ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ » قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة

بعض أخبار المنافقين

قال ابن إسحق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة — كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة — وسيدُ أهلها عبد الله بن أبى ابن سلولَ العَوْفى ، ثم أحد بنى الحُبْلَى ، لا يختلف عليه فى شرفه [من قومه] اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الاسلام غيره ، ومعه فى الأوس رجلٌ هو فى قومه من الأوس شريفٌ مُطَاع : أبو عامر عبدُ عمرِو بن صَيْفِىٍّ بن النُّعْمَان أحدُ بنى ضُبَيْعَة بن زَيد ، وهو أبو حَنْظَلَة الغسيل يوم أحد ، وكان قد ترَهَّب فى الجاهليـة ، ولَبِس المُسُوح ، وكان يقال له الراهب ، فشَقِيَا بشرفهما وضَرَّهما

حال عبد الله ابن أبى ابن سلول

قال : فأما عبد الله بن أبى فكان قومُه قد نظموا له الخَرَزَ ليتوِّجُوه ثم يُمَلِّكوه عليهم ، فجاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك ، فلما انصرف قومه عنه إلى الاسلام ضَغِن[1] ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه مُلْكا ، فلما [أن] رأى قومه قد أبَوْا إلا الإسلام دخل فيه كارها مُصِرًّا على نفاق وضِغْن

حال أبى عامر بن صيفى

وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفِراق لقومه ، حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج منهم إلى مكة ببضعةَ عشَرَ رجلا مفارقا للاسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثنى

---

(١) « ضغن » امتلأ قلبه حقدا وعداوة ، وأصر عليهما

محمد بن أبي أمامة ، عن بعض آل حنظلة بن أبي عامر — : « لاَ تَقُولوا الرَّاهِب ولٰكِنْ قُولُوا الْفَاسِق »

قال ابن إسحق : وحدثني جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم ، وكان قد أدرك وسمع ، وكان رَاوِيةً ، أن أبا عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين قدم المدينة — قبل أن يخرج إلى مكة ، فقال : ماهذا الدين الذي جئت به ؟ فقال « جِئْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ دِينِ إبْرَاهِيم » قال: فأنا عليها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّكَ لَسْتَ عَلَيْهَا » قال : بلى ، إنك أَدْخَلْتَ يا مُحَمَّدُ فِي الْحَنِيفِيَّةِ ما ليس منها ، قال « مَا فَعَلْتُ وَلٰكِنِّي جِئْتُ بِهَا بَيْضَاء نَقِيَّةً » قال : الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً ، يُعَرِّضُ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي : إنك [ما] جئت بها كذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَجَلْ فَمَنْ كَذَبَ فَفَعَلَ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ به »

فكان هو ذلك عدو الله : خرج إلى مكة ، فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج إلى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشأم ، فمات بها طريداً غريباً وحيداً

وكان قد خرج معه عَلْقَمة بن عُلاَثة بن عَوْف بن الأَحْوَص بن جَعْفر بن كلاب ، وَكِنَانَةُ بن عبد ياليل بن عَمْرو بن عُمَيْر الثَّقَفِيّ ، فلما مات اختصما في ميراثه إلى قَيْصَر صاحب الروم ، فقال قَيْصَر : يرث أَهْلُ المدرِ (١) أَهْلَ المدرِ ، ويرث أهلُ الوبر (٢) أهلَ الوبر ، فورثه كنانة بن عبد ياليل بالمدر ، دون علقمة ، فقال كعب بن مالك لأبي عامر فيما صنع : —

(١) أهل المدر : هم أهل البادية
(٢) أهل الوبر : هم أهل الحاضرة

مُعَاذَ اللهِ مِن عَمَلٍ خَبِيثٍ كَسَعْيِكَ فِي الْعَشِيرةِ عَبْدَ عَمْرِو
فَإِمَّا قُلْتَ لِي شَرَفٌ وَنَخْلٌ فَقِدْمًا بِعْتَ إِيمَانًا بِكُفْرِ

قال ابن هشام : ويروى

* فَإِمَّا قُلْتَ لِي شَرَفٌ وَمَالٌ *

قال ابن إسحق : وأما عبد الله بن أبي فأقام على شرفه فى قومه مُتَرَدِّدا حتى غلبه الاسلام ، فدخل فيه كارها

قال ابن إسحق : فحدثنى محمد بن مُسْلم الزُّهْرِى ، عن عروة بن الزبير ، عن أسامة بن زيد بن حارثة حِبِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : رَكِبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سَعْد بن عُبَادة يعوده من شكو أصابه ، على حمارٍ عليه إكافٌ(١) فوقه قطيفة(٢) فَدَكِيَّة(٣) مُخْتَطِمة(٤) بحبل من ليفٍ ، وأردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ، قال : فمر بعدو الله ابن أبي وهو فى [ظلِّ] مُزَاحِمٍ أُطُمِهِ(٥)

مرور رسول الله على ابن أبي وما دار بينهما

قال ابن هشام : مُزَاحِمٌ : اسمٌ لأطمه

قال ابن إسحق : وحَوْلَه رجال من قومه ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تَذَمَّمَ(٦) من أن يجاوزه حتى ينزل ، فنزل ، فسلم ثم جلس

---

(١) الاكاف : البرذعة ، ويقال أيضا : الوكاف بالواو مكسورة

(٢) القطيفة : أراد بها الشملة

(٣) فدكية : منسوبة إلى فدك ـ بفتح الفاء والدال جميعا ـ وهو اسم موضع

(٤) الاختطام : أن يجعل على رأس الدابة وأنفها حبل يمسك منه الراكب

(٥) الأطم ـ بضم الهمزة والطاء ـ الحصن

(٦) تذمم : كره ، وكأن أصله خرج من الذم ، كما يقال : تحنث بمعنى خرج من الحنث

قليلا ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله عز وجل وذكّر بالله ، وحذر وبشر وأنذر ، قال : وهو زامٌّ (١) لايتكلم ، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالته قال : ياهذا ، إنه لاأحْسَنُ من حديثك هذا : إن كان حقا فاجلس فى بيتك فمن جاءك له فحدثه إياه ، ومَنْ لم يأتك فلا تَغُتَّه (٢) به ولاتأته فى مجلسه بما يكره منه ، قال : فقال عبد الله بن رواحة فى رجال كانوا عنده من المسلمين : بلي ، فَاغْشَنَا به ، وائْتِنَا به فى مجالسنا ودورنا وبيوتنا ، فهو والله مما نُحِبُّ ، ومما أكْرَمَنَا الله به وهدانا له . فقال عبد الله بن أبيّ حين رأى من خلاف قومه ما رأى : —

مَتَى مَايَكنْ مَوْلاكَ خَصْمَكَ لاَتَزَلْ
تَذِلُّ وَيَصْرَعْكَ الّذِينَ تُصَارِعُ
وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِى بِغَيْرِ جَنَاحِهِ
وَإنْ جُذَّ يَوْماً رِيشُهُ فَهْوَ وَاقِعُ

قال ابن هشام : البيت الثانى عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وحدثنى الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن أسامة [ابن زيد] ، قال : وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على سَعْد بن عُبَادة وفى وجهه ماقال عَدُوُّ الله ابنُ أبيّ ، فقال : والله يارسول الله إنى لأرى فى وجهك شيئا لكأنك سمعت شيئا تكرهه ، فقال : «أَجَلْ»

---

(١) زام : ساكت

(٢) «تغته به» يحتمل معنيين : أولهما أن يكون المراد لا تكثر عليه به ولاتتردد به عليه ، مأخوذ من قولهم : غت الرجل القول القول ، وغت الرجل الشراب الشراب ، إذا أتبع بعضه بعضا ، وثانيهما أن يكون المراد لا تعذبه به ، وذلك من قولهم : غته الله بعذاب

ثم أخبره بما قال ابنُ أبى ، فقال سعد : يارسول الله ارْفُقْ به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإنا لَنَنْظِم له الخَرَز لنتوِّجه ، وإنه ليرى أن قد سَلَبْتَه مُلْكًا

ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

مرض أبى بكر وعامر بن فهيرة وبلال

قال ابن إسحق : وحدثنى هشام بن عُرْوة وعمرو[1] بن عبد الله بن عروة ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدِمَها وهى أوْبَأُ أرضِ الله من الحُمّى ؛ فأصاب أصحابه منها بلاءٌ وسَقَمٌ ، وصَرَف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، قالت : فكان أبو بكر وعامر بن فُهَيْرة وبلالٌ مَوْليَا أبى بكر مع أبى بكر فى بيت واحد ، فأصابتهم الحمى ، فدخلتُ عليهم أُعودُهم ، وذلك قبل أن يُضْرَب علينا الحجاب ، وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك[2] فدَنَوت من أبى بكر ، فقلت له : كَيْفَ تَجِدُكَ ياأبتِ ؟ فقال : —

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِى أَهْلِهِ والْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

قالت : فقلت : والله ما يدرى أبى ما يقول ، قالت : ثم دَنَوْت إلى عامر بن فُهَيْرة ، فقلت له : كَيْفَ تَجِدُكَ ياعامر ؟ فقال : —

لَقَدْ وَجَدْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ إنَّ الجَبَانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ

(١) قال أبو ذر : « وعمرو بن عبد الله بن عروة ، كذا روى هنا ، وروى أيضا وعمر بن عبد الله بن عروة ، وهو الصواب ، وكذلك أصلحه البخارى فى التاريخ »

(٢) الوعك — بفتح فسكون — شدة ألم المرض ، يقال : وعكته الحمى ، إذا بالغت فيه

كُلُّ امْرِىءٍ مُجَاهِدٌ بِطَوْقِـهِ   كَالثَّوْرِ يَحْمِي جِلْدَهُ بِرَوْقِـهِ[(١)]

تريد طاقته فيما قال ابن هشام

قالت : فقلت :والله ما يدرى عامر ما يقول ، قالت: وكان بلال إذا تركته [(٢)] الحمّى اضطجع بفناء البيت ، ثم رفع عقيرته [(٣)] فقال : —

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً   بِفَخٍّ وَحَوْلِى إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ[(٤)]

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّـةٍ   وَهَلْ يَبْدُونْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ[(٥)]

قال ابن هشام : شامة وطفيل : جبلان بمكة

قالت عائشة رضى الله عنها : فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم ، فقلت: إنهم لَيَهْذُونَ وما يَعْقِلُون من شدة الحمى قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا وَانْقُلْ وَبَاءَهَا إِلَى مَهْيَعَةَ » [(٦)] ومهيعةُ : الجحفةُ

---

(١) الطوق هنا:الطاقة والقوة ، والروق ـ بفتح الراء وسكون الواو ـ القرن

(٢) فى نسخة « تركه »

(٣) عقيرته : أراد صوته

(٤) فخ ـ بالخاء المعجمة ، ويروى بالجيم ، وأبو حنيفة بقوله بالخاء ـ موضع خارج مكة به مويه ، والأذخر : نبات يشبه الأسل الذى تعمل منه الحصر ، والجليل : الثمام ، وأهل الحجاز يسمون الثمام الجليل

(٥) مجنة : موضع . قال ياقوت : « الداودى: مجنة عند عرفة ، وقيل : مجنة بلد على أميال من مكة وهو لبنى الدئل خاصة ، وقال الأصمعى : مجنة جبل لبنى الدئل خاصة بتهامة بجنب طفيل » اه

(٦) قال السهيلى : « وفى هذا الخبر وما ذكر فيه من حنينهم إلى مكة ما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين إليه ، وقد جاء فى حديث أصيل الغفارى (ويقال فيه الهذلى) أنه قدم من مكة ، فسألته عائشة : كيف

قال ابن إسحق : وذكر ابن شهاب الزهرى ، عن عبد الله بن عمرو ابن العاصى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حُمَّى المدينة حتى جُهِدُوا مَرَضاً ، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، حتى كانوا ما يُصَلُّون إلا وهم قُعُود .

قال : فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يُصَلّون كذلك فقال لهم : « اُعْلَمُوا أَنَّ صَلاَةَ الْقَاعِدِ عَلَى النِّصْفِ مِنْ صَلاَةِ الْقَائِمِ » قال : فَتَجَشَّم (١) المسلمون القيام على ما بهم من الضَّعْف والسَّقَم التماس الفضل .

قال ابن إسحق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تَهَيَّأَ لحربه وقام فيما أمره الله به من جهادِ عَدُوِّه ، وقتالِ مَنْ أمره الله به مِمَّنْ يليه من المشركين مشركى العرب ، [وذلك بعد أن بعثه الله تعالى ثلاث عشرة سنة]

تاريخ الهجرة

بالاسناد المتقدم عن عبدالملك بن هشام قال : حدثنا زياد بن عَبْد الله الْبَكّائى ، عن محمد بن إسحق المطلبى ، قال :

تركت مكة ياأصيل ؟ فقال : تركتها حين ابيضت أباطحها ، وأحجن ثمامها وأعذق إذخرها ، وأمشر سلمها ، فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : «لاتشوقنا ياأصيل» ، ويروى أنه قال له : « دع القلوب تقر» اه ومعنى « أمشر سلمها » خرج ورقه واكتسى به ، والمشر : شىء كالخوص يخرج فى السلم والطلح ، واحدته مشرة - بفتح فسكون فيهما - ومعنى « أعذق إذ خرها » صارت له عنوق وشعب ، وقيل : أعذق بمعنى أزهر ، ومعنى قوله « أحجن ثمامها » بدا ورقه ، وقد سبق قريبا بيان الثمام

(١) تجشم المسلمون ذلك : تكلفوه ، واحتملوا فى فعله المشقة والجهد

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين حين اشتدَّ الضَّحَاء، وكادت الشمس تعتدل، لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ ليلةً مضتْ من شهر ربيع الأول، وهو التاريخ [فيما] قال ابن هشام

مدة اقامة النبي بالمدينة من غير حرب

قال ابنِ إسحق: ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ ابنُ ثلاثٍ وخمسين سنةً، وذلك بعد أن بعثه الله عز وجل بثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، فأقام بها بقية شهر ربيع الأول، وشهر ربيع الآخر، وجُمَادَيَيْنِ، ورجَبا، وشَعْبان، وشهر رمضان، وشَوَّالاً، وذا القعدة، وذا الحجة، وولى تلك الحجة المشركون، والمحرم

أول وال على المدينة

ثم خرج غازياً فى صفر على رأس اثنى عشر شهرًا من مَقْدَمه المدينة

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سَعْدَ بن عُبَادَةَ

غزوة وَدَّانَ

وهى أول غَزَوَاته عليه السلام

قال ابن إسحق: حتى بلغ وَدَّانَ [1]، وهى غزوة الأَبْوَاء [2]، يريد

---

(١) « ودان » بفتح الواو وتشديد الدال وآخره نون - قرية جامعة بين مكة والمدينة من نواحي الفرع، بينها وبين هرشى ستة أميال، وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال، قريبة من الجحفة، وهى لضمرة وغفار وكنانة، وقد أكثر نصيب من ذكرها فى شعره؛ فقال لسليمان بن عبد الملك:-

أقولُ لِرَكْبٍ قَافِلِينَ عَشِيَّةً ... قِفَا ذَاتَ أَوْشَالٍ وَمَوْلاكَ قَارِبُ

قِفُوا خَبِّرُونِى عَنْ سُلَيْمَانَ إِنَّنِي ... لِمَعْرُوفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانَ رَاغِبُ

فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وقال أبو زيد: ودان من الجحفة على مرحلة بينها وبين الأبواء على طريق الحاج فى غربيها ستة أميال. قاله ياقوت

(٢) قال ياقوت: « الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها

قُرَيْشاً و بنى ضَمْرَةَ بن بكر بن عبــد مَنَاةَ بن كِنَانة ، فَوَادَعَتْه فيها بنو ضَمْرَةَ ، وكان الذى وادعه منهم عليهم مَخْشِيّ بن عمرو الضَّمْرِى ، وكان سيِّدَهم فى زمانه ذلك ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولم يَلْقَ كَيْدًا [1] ، فأقام بها بقية صفر ، وصدرا من شهر ربيع الأول .

قال ابن هشام : وهى أول غَزْوَةٍ غَزَاها

سَرِيَّةُ عُبَيْدَةَ بن الْحَرِث

وهى أول رايةٍ عقَدَها عليه السلام

قال ابن إسحق : و بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم فى مُقَامِهِ ذلك بالمدينةِ عُبَيْدَةَ بن الحرث بن المطّلب بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ فى ستّين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ، وليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثَنِيّةِ الْمَرَة ، فلقى بها جمعا عظيما من قُرَيش ، فلم يكنَ بينهم قتال ، إلا أن سَعْدَ بن أبى وقّاص قد رمى يومئذ بسَهْم ، فكان أول سهم رُمِيَ به فى الإسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم ، وللمسلمين حاميةٌ

أول سهم رمى به فى الاسلام

وفَرَّ من المشركين إلى المسلمين المقدَادُ بن عمرو الْبَهْرَانِيُّ حليف

فارا المشركين فى هذه السرية

وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ؛ وقيل : الأبواء : جبل على يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة ، وهناك بلد ينسب إلى هذا الجبل ، وقال السكرى : الأبواء : جبل شامخ مرتفع ليس عليه شيء من النبات غير الخزام والبشام وهو لخزاعة وضمرة . . . وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم » اه

(١) « ولم يلق كيدا » يريد أنه لم يلق حربا ، ولم يخرج لقتاله أحد

بنى زُهْرَة ، وعُتْبَة بن غَزْوَان بن جابر المازنى حليفُ بنى نَوْفل بن عبد مناف ، وكانا مُسْلِمَيْن ولكنهما خرجا ليتوصَّلا بالكفار ، وكان على القوم عِكْرِمَةُ بن أبى جَهْل

قال ابن هشام : حدثنى ابن أبى عمرو بن العَلَاء ، عن أبى عمرو المدنى ، أنه كان عليهم مِكْرَزُ بن حَفْص بن الأَخْيَف أحد بنى مَعِيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فِهْر

قال ابن إسحق : فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى غزوة عُبَيْدَة ابن الحرث

قصيدة تنسب لأبى بكر رضى الله عنه

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر[1] هذه القصيدة لأبى بكر رضي الله عنه : —

أَمِنْ طَيْفِ سَلْمَى بِالْبِطَاحِ الدَّمَائِثِ
أَرِقْتَ وَأَمْرٍ فِى الْعَشِيرَةِ حَادِثِ [2]
تَرَى مِنْ لُؤَىٍّ فُرْقَةً لَا يَصُدُّهَا
عَنِ الْكُفْرِ تَذْكِيرٌ وَلَا بَعْثُ بَاعِثِ
رَسُولٌ أَتَاهُمْ صَادِقٌ فَتَكَذَّبُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا : لَسْتَ فِينَا بِمَاكِثِ
إِذَا مَادَعَوْنَاهُمْ إِلَي الْحَقِّ أَدْبَرُوا
وَهَرُّوا هَرِيرَ الْمُجْحَرَاتِ اللَّوَاهِثِ [3]

---

(١) قال أبو ذر : « ومما يقوى قول ابن هشام فى هذا ما روى من حديث الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر فى الاسلام » اه

(٢) الدمائث : الرمال اللينة ، و « أرقت » معناه : امتنعت من النوم

(٣) هروا : معناه وثبوا كما تثب الكلاب ، والمجحرات : يقال بتقديم الجيم

فَكَمْ قَدْ مَتَتْنَا فِيهِمُ بِقَرَابَةٍ
وتَرْكُ التُّقَى شَيْءٌ لَهُمْ غَيْرُ كَارِثِ (١)

فإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعُقُوقِهِمْ
فَمَا طَيِّبَاتُ الْحِلِّ مِثْلَ الْخَبَائِثِ

وَإِنْ يَرْكَبُوا طُغْيَانَهُمْ وضَلاَلَهُمْ فَلَيْسَ عَذَابُ اللهِ عَنْهُمْ بِلاَبِثَ

ونَحْنُ أُنَاسٌ مِنْ ذُؤَابَةِ غَالِبٍ
لَنَا الْعِزُّ مِنْهَا فِي الْفُرُوعِ الأَثَائِثِ (٢)

فَأُولِى بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةً
حَرَاجِيجُ تُحْدَى فِي السَّرِيحِ الرَّثَائِثِ (٣)

كَأُدْمِ ظِبَاءٍ حَوْلَ مَكَّةَ عُكَّفٍ
يَرِدْنَ حِيَاضَ الْبِئْرِ ذَاتِ النَّبَائِثِ (٤)

على الحاء المهملة وبالعكس ، ومعناه : التى ألجئت إلى مواضعها ، واللواهث : التى أخرجت ألسنتها وتعبت فانقطعت أنفاسها

(١) « متتنا » أى اتصلنا ، وفى أكثر أصول « منينا » وهو تحريف ، و « غير كارث » أى غير محزن ، وتقول : كرثه يكرثه ـ من باب ضرب ونصر ـ إذا أحزنه وأنزل به كارثة

(٢) الفروع الأثائث : الكثيرة المجتمعة

(٣) « أولى » أحلف وأقسم ، و « الراقصات » الابل ، والرقص : ضرب من السير ، و « حراجيج » جمع حرجوج ، وهو الطويل ، ويروى « عناجيج » وهى الحسان ، و « تحدى » بالحاء المهملة ـ أى تساق و « السريح » قطع من الجلد تربط على أخفاف الابل مخافة أن تؤذيها الحجارة ، والرثائث : البالية الخلقة

(٤) الأدم : جمع أدماء ، وهى السمراء الظهر البيضاء البطن ، وعكف : مقيمة ، والنبائث : جمع نبيثة ، وهى تراب يخرج من البئر إذا نقيت

لَئِنْ لَمْ يُفِيقُوا عَاجِلاً مِنْ ضَلاَلِهِمْ وَلَسْتُ إِذَا آلَيْتُ قَوْلاً بِحَانِثِ
لَتَبْتَدِرَنْهُمْ غَارَةٌ ذَاتُ مَصْدَقٍ تُحَرِّمُ أَطْهَارَ النِّسَاءِ الطَّوَامِثِ (١)
تُغَادِرُ قَتْلَى تَعْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ
وَلاَ تَرْأَفُ الْكُفَّارَ رَأْفَ ابْنِ حَارِثِ (٢)
فَأَبْلِغْ بَنِي سَهْمٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً وَكُلَّ كَفُورٍ يَبْتَغِي الشَّرَّ بَاحِثِ
فَإِنْ تَشْعَثُوا عِرْضِي عَلَى سُوءِ رَأْيِكُمْ
فَإِنِّي مِنْ أَعْرَاضِكُمْ غَيْرُ شَاعِثِ (٣)

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرى السَّهْميُّ ، فقال : —

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ أَقْفَرَتْ بِالْعَثَاعِثِ
بَكَيْتَ بِعَيْنٍ دَمْعُهَا غَيْرُ لاَبِثِ (٤)
وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ وَالدَّهْرُ كُلُّهُ
لَهُ عَجَبٌ مِنْ سَابِقَاتٍ وَحَادِثِ
لِجَيْشٍ أَتَانَا ذِي عُرَامٍ يَقُودُهُ
عُبَيْدَةُ يُدْعَى فِي الْهِيَاجِ ابْنَ حَارِثِ (٥)

---

(١) الطوامث : جمع طامث ، وهى الحائض

(٢) تعصب الطير : تجمع : وقوله « لاترأف الكفار » فانه ضمن هذا الفعل معنى ترحم فلذلك نصب به المفعول

(٣) « تشعثوا » معناه : تغيروا وتفرقوا ؛ يقول : أنا لاأسوءكم وأنتم بفساد رأيكم تسوءوننى

(٤) العثاعث : أصلها أكداس الرمل التى لاتنبت شيئا ، واحدها عثعث . وقال ياقوت « عثاعث : جبال صغار سود مما يلى يسار العرائس ، وهى أجبل فى وضح بضرية مشرفات على وادى مهزول اندفنت فى الرمل » اه ، و « غير لابث » بالباء الموحدة من اللبث ، وهو المكث ، ويروى « غير لائث » بالهمزة ، ومعناه غير محتبس

(٥) العرام : الكثرة والشدة ؛ والهياج : الحرب

لِنَتْرُكَ أَصْنَامًا بِمَكَّةَ عُكَّفًا مَوَارِيثَ مَوْرُوثٍ كَرِيمٍ لِوَارِثِ
فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ بِسُمْرٍ رُدَيْنَةٍ
وَجُرْدٍ عِتَاقٍ فِي الْعَجَاجِ لَوَاهِثِ (١)
وَبِيضٍ كَأَنَّ الْمِلْحَ فَوْقَ مُتُونِهَا
بِأَيْدِي كُمَاةٍ كَاللُّيُوثِ الْعَوَائِثِ (٢)
نُقِيمُ بِهَا إِصْعَارَ مَنْ كَانَ مَائِلاً وَنَشْفِي الذُّحُولَ عَاجِلاً غَيْرَ لَابِثِ (٣)
فَكَفُّوا عَلَى خَوْفٍ شَدِيدٍ وَهَيْبَةٍ وَأَعْجَبَهُمْ أَمْرٌ لَهُمْ أَمْرُ رَائِثِ (٤)
وَلَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا نَاحَ نِسْوَةٌ
أَيَامَى لَهُمْ مِنْ بَيْنِ نَسْءٍ وَطَامِثِ (٥)
وَقَدْ غُودِرَتْ قَتْلَى يُخَبِّرُ عَنْهُمُ حَفِيٌّ بِهِمْ أَوْ غَافِلٌ غَيْرُ بَاحِثِ (٦)
فَأَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً
فَمَا أَنْتَ عَنْ أَعْرَاضِ فِهْرٍ بِمَاكِثِ

---

(١) سمر : جمع أسمر ، وأراد بها الرماح ، وردينة : امرأة تنسب الرماح إليها ، والجرد : جمع أجرد ، وأراد الخيل القصيرات الشعر ، ويقال : السريعة . والعجاج : الغبار

(٢) بيض : جمع أبيض ، وأراد بها السيوف ؛ والكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع ، والعوابث : جمع عابث ، من العبث ؛ ويروى العوائث بالهمز جمع عائث ؛ من العيث وهو الفساد

(٣) إصعار : هو الميل ، ويروى إصغاء ، وهو بمعناه ؛ والذحول : جمع ذحل ؛ وهو طلب الثأر

(٤) رائث ـ بالهمز ـ من الريث ، وهو التمهل والبطء ، أي غير مبطئ

(٥) أيامى : ليس لهن أزواج ، والنسء : المتأخرة الحيض ، فيظن بها الحمل ويقال : هي المرأة أول مدة حملها ، والطامث : الحائض

(٦) حفى : هو المبالغ فى السؤال

وَلَمَّا تَجِبْ مِنِّى يَمِينٌ غَلِيظَةٌ   تُجَدِّدُ حَرْبًا حَلْفَةً غَيْرَ حَانِثِ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحدا ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبعرى

قال ابن إسحق : وقال سعد بن أبى وقّاص فى رَمْيَته تلك ، فيما يذكرون : —

أَلَا هَلْ أَتَى رَسُولَ اللهِ أَنِّى   حَمَيْتُ صَحَابَتِى بِصُدُورِ نَبْلِى

أَذُودُ بِهَا أَوَائِلَهُمْ ذِيَادًا   بِكُلِّ حُزُونَةٍ وَبِكُلِّ سَهْلِ (١)

فَمَا يَعْتَدُّ رَامٍ فِى عَدُوٍّ   بِسَهْمٍ يَارَسُولَ اللهِ قَبْلِى

وَذَلِكَ أَنَّ دِينَكَ دِينُ صِدْقٍ   وَذُو حَقٍّ أَتَيْتَ بِهِ وَعَدْلِ

يُنَجَّى الْمُؤْمِنُونَ بِهِ وَيُخْزَى   بِهِ الْكُفَّارُ عِنْدَ مَقَامِ مَهْلِ (٢)

فَمَهْلاً قَدْ غَوِيتَ فَلَا تَعِبْنِى   غَوِىَّ الْحَىِّ وَيْحَكَ يَاابْنَ جَهْلِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد

قال ابن إسحق : وكانت رايةُ عُبَيْدَةَ بن الحرث ، فيما بلغنى ، أولَ رايةٍ عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام لأحد من المسلمين

قال ابن إسحق : و بعض العلماء يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة

سَرِيَّةُ حَمْزَةَ رضى الله عنه إلى سِيفِ البحر

و بعث فى مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سِيفِ البحر (٣)

---

(١) الحزونة : الوعر من الأرض ، والسهل : ضده

(٢) « مهل » أى : إمهال وتثبت

(٣) سيف البحر : ساحله

من ناحية الْعِيصِ [١] ، فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقى أباجهل بن هشام بذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مَجْدِىُّ بن عَمْرو الْجُهَنِىُّ وكان مُوَادِعاً للفريقين جميعا ، فانصرف بعضُ القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال

وبعض الناس يقول : كانت رايةُ حَمْزَةَ أول رايةٍ عَقَدَهَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين ، وذلك أنَّ بَعْثَهُ وبَعْثَ عُبَيْدَةَ كانا معا ، فشُبِّه ذلك على الناس

وقد زعموا أن حمزة قد قال فى ذلك شعرا يذكر فيه أن رايته أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فان كان حمزة قد قال ذلك فقد صدق إن شاء الله ، لم يكن يقول إلا حقًّا ، فالله أعلم أىّ ذلك كان

فأما ماسمعنا من أهل العلم عندنا فعُبَيْدَةَ بن الحرث أولُ من عُقِدَ له . فقال حمزة فى ذلك ، فيما يزعمون

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لحمزة رضي الله عنه : —

أَلاَ يَالَقَوْمِي لِلتَّحَلُّمِ وَالْجَهْلِ وَلِلنَّقْصِ مِنْ رَأْى الرِّجَالِ وَلِلْعَقْلِ
وَلِلرَّا كِبِينَا بِالْمَظَالِمِ لَمْ نَطَأْ
لَهُمْ حُرُمَاتٍ مِنْ سَوَامٍ وَلاَ أَهْلِ [٢]

---

(١) « العيص » قال أبو ذر : « العيص هنا موضع ، وأصل العيص منبت الشجر ، وهو الأصل أيضا » اه كلامه ، وقال ياقوت عن ابن إسحاق « العيص : من ناحية ذى المروة على ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون منها إلى الشام » اه

(٢) السوام : الابل المرسلة فى المرعى

كَأَنَّا تبَلْنَاهُمْ وَلاَ تَبْلَ عِنْدَنَا
لَهُمْ غَيْرُ أَمْرٍ بِالْعَفَافِ وَبِالْعَدْلِ (١)
وَأَمْرٍ بِإِسْلاَمٍ فَلاَ يَقْبَلُونَهُ وَيَنْزِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَنْزِلَةِ الْهَزْلِ
فَمَا بَرِحُوا حَتَّى ابْتَدَرْتُ لِغَارَةٍ
لَهُمْ حَيْثُ حَلُّوا أَبْتَغِى رَاحَةَ الْفَضْلِ (٢)
بِأَمْرِ رَسُولُ اللهِ أَوَّلُ خَافِقٍ
عَلَيْهِ لِوَاءٌ لَمْ يَكُنْ لاَحَ مِنْ قَبْلِي
لِوَاءٌ لَدَيْهِ النَّصْرُ مِنْ ذِى كَرَامَةٍ إِلَهٍ عَزِيزٍ فِعْلُهُ أَفْضَلُ الْفِعْلِ
عَشِيَّةَ سَارُوا حَاشِدِينَ وَكُلُّنَا
مَرَاجِلُهُ مِنْ غَيْظِ أَصْحَابِهِ تَغْلِى (٣)
فَلَمَّا تَرَاءَيْنَا أَنَاخُوا فَعَقَّلُوا مَطَايَا وَعَقَلْنَا مَدَى عَرَضِ النَّبْلِ
فَقُلْنَا لَهُمْ حَبْلُ الْإِلٰهِ نَصِيرُنَا وَمَا لَكُمُ إِلاَّ الضَّلاَلَةَ مِنْ حَبْلِ
فَثَارَ أَبُو جَهْلٍ هُنَالِكَ بَاغِياً فَخَابَ وَرَدَّ اللهُ كَيْدَ أَبِي جَهْلِ
وَمَا نَحْنُ إِلاَّ فِى ثَلاَثِينَ رَاكِبًا وَهُمْ مَائِتَانِ بَعْدَ وَاحِدَةٍ فَضْلِ
فَيَالَ لُؤَىٍّ لاَ تُطِيعُوا غُوَاتَكُمْ
وَفِيئُوا إِلَى الْإِسْلاَمِ وَالْمَنْهَجِ السَّهْلِ (٤)

---

(١) تبلناهم : معناه عاديناهم ، والتبل : العداوة ، ويقال : طلب الثأر ، وقوله « بالعفاف » وقع فى مكانه فى بعض النسخ « بالعقاب »

(٢) « ابتدرت » يروى فى مكانه « انتدبت »

(٣) «مراجله» المراجل : جمع مرجل ، وهو القدر ، وخصه بعضهم بالقدر من النحاس

(٤) «فيئوا» معناه ارجعوا ، وفى كتاب الله (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) والمنهج : الطريق الواضح

فَانِّى أَخَافُ أَنْ يُصَبَّ عَلَيْـكُمُ
عذَابٌ فتَدْعُوا بِالنَّدَامَةِ وَالثُّكْلِ [1]

فأجابه أبو جهل بن هشام فقال : —

عَجِبْتُ لِأَسْبَابِ الْحَفِيظَةِ وَالْجَهْلِ
وللشَّاغِبِينَ بِالْخِلَافِ وبالْبُطْلِ [2]
وَلِلتَّارِكِينَ مَاوَجَدْنَا جُدُودَنَا
عَلَيْهِ ذَوِى الْأَحْسَابِ وَالسُّؤْدَدِ الْجَزْلِ [3]
أَتَوْنَا بِإِفْكٍ كَىْ يُضِلُّوا عُقُولَنَا
وَلَيْسَ مُضِلاً إِفْكُهُمْ عَقْلَ ذِى عَقْلِ
فَقُلْنَا لَهُمْ : يَا قَوْمَنَا لاَ تُخَالِفُوا
عَلَى قَوْمِكُمْ إِنَّ الْخِلَافَ مَدَى الْجَهْلِ
فَإِنَّكُمُ إِنْ تَفْعَلُوا تَدْعُ نِسْوَةٌ لَهُنَّ بَوَاكٍ بِالرَّزِيَّةِ وَالثُّكْلِ
وَإِنْ تَرْجِعُوا عَمَّا فَعَلْتُمْ فَإِنَّنَا بَنُو عَمِّكُمْ أَهْلُ الْحَفَائِظِ وَالْفَضْلِ
فَقَالُوا لَنَا : إِنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا
رِضًا لِذَوِى الْأَحْلَامِ مِنَّا وَذِى الْعَقْلِ
فَلَمَّا أَبَوْا إِلاَّ الْخِلَافَ وَزَيَّنُوا جِمَاعَ الْأُمُورِ بِالْقَبِيحِ مِنَ الْفِعْلِ
تَيَمَّمْتُهُمْ بِالسَّاحِلَيْنِ بِغَارَةٍ
لِأَتْرُكَهُمْ كَالْعَصْفِ لَيْسَ بِذِى أَصْلِ [4]

---

(١) الثكل : الفقد والحزن ، تقول : ثكل فلان ولده ثكلا ، إذا فقده
(٢) الحفيظة : الغضب ، وجمعه حفائظ ، والبطل : أراد به الباطل
(٣) السؤدد الجزل : العظيم
(٤) العصف : ورق الزرع الذى يصفر على ساقه ، ويقال : هو دقاق التبن

فَوَرَّعَنِي مَجْدِيُّ عَنْهُمْ وَصُحْبَتِي
وَقَدْ وَازَرُونِي بِالسُّيُوفِ وبِالنَّبْلِ (١)
لِإِلٍّ عَلَيْنَا وَاجِبٍ لاَ نُضِيعُهُ
أَمِينٍ قُوَاهُ غَيْرِ مُنْتَكَثِ الْحَبْلِ (٢)
فَلَوْلاَ ابْنُ عَمْرٍو كُنْتُ غَادَرْتُ مِنْهُمُ
مَلاَحِمَ لِلطَّيْرِ الْعُكُوفِ بِلاَ تَبْلِ (٣)
وَلٰكِنَّهُ آلَى بِإِلٍّ فَقَلَّصَتْ
بِأَيْمَانِنَا حَدُّ السُّيُوفِ عَنِ الْقَتْلِ (٤)
فَإِنْ تُبْقِنِي الْأَيَّامُ أَرْجِعْ عَلَيْهِمُ
بِبِيضٍ رِقَاقِ الْحَدِّ مُحْدَثَةِ الصَّقْلِ
بِأَيْدِي حُمَاةٍ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ
كِرَامِ الْمَسَاعِي فِي الْجُدُوبَةِ وَالْمَحْلِ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لأبي جهل، لعنه الله

غَزْوَةُ بُوَاطَ

قال ابن إسحق: ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول يريد قريشا

---

(١) ورعني: كفني، ومنه الورع عن المحارم، هو الكف عنها، ووازروني: أعانوني

(٢) الال - بكسر الهمزة وتشديد اللام - العهد، و «غير منتكث» أي غير منتقض

(٣) العكوف: المقيمة الملازمة

(٤) آلى: أقسم وحلف، وقلصت: انقبضت

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عُثمان بن مَظْعون

قال ابن إسحق : حتى بلغ بُوَاطَ (١) من ناحية رَضْوَى (٢) ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كَيْداً (٣) ؛ فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى

غزوة العُشَيْرَة

ثم غزا قريشا ، واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، فيما قال ابن هشام

الطريق الذي سلكه النبي ومواضع نزوله

قال ابن إسحق : فسلك على نَقْب بنى دينار ، ثم على فَيْفَاء (٤) الخَبَار ، فنزل تحت شجرة ببَطْحَاء ابن أزهر ، يقال لها : ذات الساق ،

---

(١) « بواط » المشهور أنه بضم الباء الموحدة وفتح الواو مخففة وبعد الألف طاء مهملة ـ وضبطه صاحب المواهب بفتح الباء قال « وقد تضم » وقال الزرقانى : « بواط :جبل من جبال جهينة بقرب ينبع على أربعة برد من المدينة ، وقال السهيلى : بواط : جبلان فرعان لأصل واحد أحدهما جلسى والآخر غورى ، وفى الجلسى بنو دينار مولى عبد الملك بن مروان » اه

(٢) « رضوى » بفتح فسكون ، قال الزرقانى : « جبل بالمدينة ، وفى السبل على أربعة برد من المدينة ، وبه يفسر قول المجد على أبراد ، وفى خلاصة الوفاء : رضوى كسكرى جبل على يوم من ينبع وأربعة أيام من المدينة ذو شعاب وأودية وبه مياه وأشجار » اه كلامه

(٣) « لم يلق كيدا » أى لم يلق حربا ولم يقاتله أحد

(٤) الفيفاء : الصحراء الملساء ، وأصل الخبار ـ بزنة سحاب ـ الأرض الرخوة ذات الحجارة ، وفيفاء الخبار : اسم موضع ، قال ياقوت: « ذكره ابن الفقيه فى نواحي العقيق بالمدينة » وضبطه الحازمى بحاء مهملة مفتوحة فياء مثناة مشددة

فَصَلَّى عندها ، فَثَمَّ مسجده صلى الله عليه وسلم ، وصُنِع له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه ، فموضع أثَافِيِّ الْبُرْمة معلوم هنالك ، واسْتُقِيَ له من ماء به يقال له : الْمُشْتَرِب

ثم ارتحل رسول الله صلي الله عليه وسلم فترك الخلائق بِيَسَار (١) ، وسلك شُعْبَة (٢) يقال لها : شُعْبَةُ عبد الله ، وذلك اسمها اليوم ، ثم صَبَّ للسَّادّ (٣) حتى هَبَط يَلْيَلَ (٤) فنزل بمجتمعه ومجتمع الضَّبُوعة (٥) ، واستقى من بئر بالضَّبُوعة ، ثم سلك الْفَرْشَ فَرْشَ مَلَلٍ (٦)

---

(١) قال أبو ذر : «قال أبو على الغساني الحلائق بالحاء غير معجمة آبار لقريش والأنصار، ويروى الخلائق بالخاء المعجمة ،قال أبو علي البغدادى فى البارع: الخليقة بالخاء المعجمة ـ البئر التى لاماء فيها ، فخلائق على هذا هو جمعها ، والخليقة أيضا : موضع فيه مزارع ونخل وقصور لقوم من آل الزبير » اه

(٢) الشعبة : الطريق الضيقة

(٣) « ثم صب للساد » قال أبو ذر : « كذا وقع هنا ، وصوابه ثم صب لليسار ، وكذا أصلحه الوقشى » اه

(٤) « يليل » قال ياقوت : « قرية قرب وادى الصفراء من أعمال المدينة ، وفيه عين كبيرة تخرج من جوف رمل من أغزر مايكون من العيون وأكثرها ماء ، وتجرى فى رمل لايستطيع الزارعون ردها إلا فى مواضع يسيرة من أحناء الرمل ، وتصب فى البحر عند ينبع ، فيها نخيل ، وتتخذ منها البقول والبطيخ » اه

(٥) « الضبوعة » بفتح الضاد المعجمة ـ اسم موضع ولم يعينه ياقوت ، ولا أحد من شراح السيرة

(٦) ملل : موضع على عشرين ميلا من المدينة أو أكثر قليلا ، يقال إنما سمى بذلك لأنه لايصل إليه المسافر إلا بعد جهد وملل ، قاله السهيلى ، وأصل الملل : مكان مستو ينبت العرفط والسيال والسمر ويكون نحو ميل

حتي لقى الطَّريق بصُخَيْرَات اليَمَام ، ثم اعتدل به الطريقُ حتى نزل العُشَيْرَة من بطن يَنْبُع ، فأقام بها جُمَادى الأولى وليالىَ من جمادى الآخرة ، ووادع فيها بنى مُدْلِج وحلفاءهم [1] من بنى ضَمْرَة ، ثم رجع إلى المدينة [2] ، ولم يلق كيدا ، وفى تلك الغَزْوَة قال لعلى بن أبى طالب عليه السلام ما قال

قال ابن إسحق : فحدثنى يزيد بن محمد بن خُثَيْم المُحَارِبى ، عن محمد ابن كعب القُرَظِىّ ، عن محمد بن خُثَيْم أبى يزيد ، عن عمّار بن ياسر ، قال: كنت أنا وعلى بن أبى طالب رفيقين فى غزوة العُشَيْرة ، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها رأينا بها أناسا من بنى مُدْلِج يَعْمَلُون فى عَيْنٍ لهم وفى نخل ، فقال لى على بن أبى طالب : ياأبا اليَقْظَان ، هل لك فى أن نأتى هؤلاء القوم فننظر كيف يعملون ؟ قال :قلت : إن شئت ، قال : فجئناهم ، فنظرنا إلى عملهم ساعة ، ثم غشينا النومُ ، فانطلقت أنا وعلى حتى اضطجعنا فى صَوْرٍ [3] من النَّخْلِ ، وفى دَقْعَاء [4] من التراب ، فنِمْنَا ،

---

(١) قال الزرقانى : « وتقدم فى ودان أنه وادع بنى ضمرة ، فلعلها تأكيد للأولى ، أو أن حلفاء بنى مدلج كانوا خارجين عن بنى ضمرة لأمرما وبسببه حالفوا بنى مدلج » اه

(٢) ذكر القسطلانى والسهيلى صورة الكتاب الذى كتبه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب محمد رسول الله لبنى ضمرة بأنهم آمنون على أنفسهم ، وأن لهم النصر على من رامهم ، ألا يحاربوا فى دين الله مابل بحر صوفة ، وأن النبى إذا دعاهم لنصر أجابوه ، عليهم بذلك ذمة الله ورسوله »

(٣) الصور : النخل الصغار ، وفى نسخة « فى صور بين النخل »

(٤) الدقعاء : التربة اللينة

فوالله ما أَهَبَّنا (١) إلا رسول الله صلي الله عليه وسلم يحركنا برجله وقد تَتَرَّبْنَا من تلك الدَّقْعَاء التي نِمْنَا فيها ، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب «مَالَكَ يَا أَبَا تُرَابٍ (٢) » لما يرى عليه من التراب ، ثم قال : « ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين » قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « أُحَيْمِرُ ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا عَلِيُّ على هذه » ووضع يده على قرنه « حَتَّى يَبُلَّ مِنْهَا هَذِهِ » وأخذ بلحيته

قال ابن إسحق : وقد حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سمى عليا « أبا تراب » أنه كان إذا عَتَبَ على فاطمة فى شيء لم يكلمها ولم يقل لها شيئاً تكرهه ، إلا أنه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه ، قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب على فاطمة ، فيقول : « مَالَكَ يَا أَبَا تُرَاب » فالله أعلم أى ذلك كان

---

(١) أهبنا : أيقظنا

(٢) قال الزرقاني : « روى ابن إسحق وأحمد من طريقه عن عمار أن النبي صلى الله عليه وسلم كنى عليا أبا تراب حين نام هو وعمار فى نخل لبنى مدلج بجتمع ولصق بهما التراب . . ويعارضه ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد ، قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة فلم يجد عليا فقال لها : أين ابن عمك ؟ قالت : كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان : انظر أين هو ، فجاء فقال : يارسول الله ، هو فى المسجد راقد ، فجاء صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب ، فجعل صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول : قم أبا تراب ، وفى رواية : اجلس أبا تراب : مرتين . وقال السهلي : ما فى الصحيح أصح إلا أن يكون كناه بها مرة فى هذه الغزوة ومرة بعدها فى المسجد »

سَرِيَّةُ سَعْدِ بن أبى وَقَّاص

قال ابن إسحق : وقد كان بَعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين ذلك مِنْ غَزْوَةِ سَعْدِ بن أبى وَقَّاص فى ثمانية رَهْط من المهاجرين؛ فخرج حتى بلغ الخَرَّار من أرضِ الحجاز ، ثم رجع ولم يَلْقَ كَيْدًا

قال ابن هشام : ذكر بعضُ أهل العلم أن بعثَ سعدٍ هذا كان بعد حَمْزَة

ذكر غزوة سَفوَان

وهى غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحق : ولم يُقِمْ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة — حين قدم من غزوة العُشَيْرة ـ إلا ليالىَ قلائل لاَ تَبْلُغُ العشر ، حتى أغار كُرْزُ بن جابر الفِهرىُّ على سَرْحِ (١) المدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه ، واستعمل على المدينة زَيْدَ بن حارثة فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : حتى بلغ واديا يقال له سَفَوَان من ناحية بَدْر ، وفاتَهَ كرزُ بْنُ جابر فلم يدركه ، وهى غزوة بدر الأولى

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأقام بها بقية جُمَادى الآخرة ، ورجبا ، وشعبان

سَرِيَّة عَبْدِ الله بن جَحْش ، ونزولُ (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ)

وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن جَحْش بن رئاب الأَسَدِىَّ فى

---

(١) « سرح المدينة » بفتح السين المهملة وسكون الراء ـ الابل والمواشى التى تسرح للرعى بالنداة ، ويروى أنه أغار عليهم من سعر ، وسعر (كزفر) جبل بأصل حمى أم خالد يهبط منه إلى بطن العقيق ، وكان يرعى بها السرح ، قاله شارح المواهب اللدنية

رجب مَقْفَلَهُ من بَدْرِ الأولى ، وبعث معه ثمانيةَ رهطٍ من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتابا ، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يَوْمَين ، ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ، ولا يَستكره من أصحابه أحدًا ، وكان أصحابُ عبدِ الله بن جحش من المهاجرين ثم من بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حُذَيْفَةَ بن عُتْبَةَ بن ربيعة بن عبد شمس ، ومن حلفائهم عبدُ الله بن جَحْش وهو أمير القوم ، وعُكَّاشَةَ بن مِحْصَن بن حُرْثان أحد بنى أسد بن خُزَيمْة حليف لهم ، ومن بنى نَوْفَل بن عبد مناف عُتْبَةُ بن غَزْوَان بن جابر حليف لهم ، ومن بنى زهرة بن كلاب سَعْدُ بن أبى وَقَّاص ، ومن بنى عَدِىٍّ بن كعب عامر بن ربيعة حليف لهم من عنز بن وائل ، وواقدُ بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرِين بن ثَعْلَبَة بن يَرْبُوع أحد بنى تميم حليف لهم ، وخالد بن الْبُكَيْر أحد بنى سعد بن لَيْث حليف لهم ، ومن بنى الحرث بن فهر سُهَيْلُ بن بيضاء

فلما سار عبدُ الله بن جَحْش يَوْمَيْن فَتَحَ الكتاب ، فنظر فيه ، فإذا فيه « إذَا نَظَرْتَ فى كتابى هٰذَا فَامْضِ حَتّى تنزل نَخْلَةَ بينَ مكّةَ والطائف فترصَّدَ بها قُرَيْشًا وتعَلّم لَنَا من أخبارهم » فلما نظر عبدُ الله بن جحش فى الكتاب قال : سمعا وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضى إلى نخلة أرصُدُ بها قريشا حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحدا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأمّا أنا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد ، وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمَعْدن فوق الْفُرُع يقال له بَحْرَان أَضَلَّ سعدُ بن

بأبي وقّاص وعتبةُ بن غَزْوَان بعيرا لهما كانا يَعْتَقِبَانه ، فتخلّفا عليه فى طلبه .

ومضى عبد الله بن جحش و بقية أصحابه حتى نزل بِنَخْلة فمرّتْ به عِيرٌ لقريش تَحْمِلُ زَبِيبًا وأَدَمًا وتجارةً من تجارة قريش فيها عمْرُو بن الحَضْرَمِي

قال ابن هشام : واسم الحضرمى : عبدُ الله بن عبّاد (و يقال مالك ابن عباد) أحد الصدِّف ، واسم الصَّدِف عَمْرُو بن مالك أحد السَّكُون [ابن المغيرة] بن أشْرَس بن كِنْدَة ، و يقال : كِنْدِيٌّ

قال ابن إسحق : وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان ، والحكم بن كيْسَان مولى هشام بن المغيرة ، فلما رآهم القوم هابوهم ، وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عُكّاشة بن محصن ، وكان قدحلق رأسه ، فلما رَأَوْه أمِنُوا ، وقالوا : عُمّارٌ لا بأس عليكم منهم ، وتشاور القوم فيهم ، وذلك فى آخر يوم من رجب ، فقال القوم : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليَدْخُلُنّ الحرمَ فَلَيَمْتَنِعُنّ منكم به ، ولئن قتلتموهم لَتَقْتُلُنَّهُمْ فى الشهر الحرام ، فتردّدَ القوم ، وهابوا الاقدام عليهم، ثم شجّعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا [على] قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم ، فَرَمَى واقد بن عبد الله التميمى عَمْرَو بن الحضرمى بِسَهْمٍ ، فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت القومَ نوفل بن عبد الله ، فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جَحْش وأصحابه بالعير وبالأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ،

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه : إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غنمنا الخُمسَ ، وذلك قبل أن

يفرض الله تعالى الخمس من المغانم ؛ فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العير ، وقسم سائرها بين أصحابه

قال ابن إسحق : فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال : « ماأَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ فِي الشهرِ الْحَرَامِ » فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئًا ، فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سُقِطَ في أيدى القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعَنَّفَهُمْ إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال ، فقال من يَرُدُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ماأصابوا فى شعبان ؛ وقالت يهود تَفَاءَلُ بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبدالله : عَمْرٌو : عمرت الحرب ، والحضرمى: حضرت الحرب ، و واقد بن عبد الله : وقدت الحرب ، فجعل الله عليهم ذلك لا لهم ، فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (٢ : ٢١٧) : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ) أى : إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، و إخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) أى: قد كانوا يفتنون المسلم فى دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل (وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إنِ اسْتَطَاعُوا) أى : ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه ، غير تائبين ولا نازعين

فلما نزل القرآنُ بهذا من الأمر و فَرَّجَ الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَقِ (١)، قَبَضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم العيرَ والأسيرَيْنِ و بعث إليه قريشٌ فى فداء عثمان بن عبدالله والحكم بن كَيْسَان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاَ نُفْدِيكُمُوهُمَا حَتى يَقْدَمَ صَاحِبَانَا » يعنى سعد بن أبى وقّاص وعُتْبَةَ بن غَزْوَانَ « فَاِنَّا نَخْشَاكُمْ عَلَيْهِمَا ، فَإِنْ تَقْتُلُوهُمَا نَقْتُلْ صَاحِبَيْكُمْ » فقدم سعدٌ وعتبة ، فَفَدَاهُما (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ؛ فأما الحكم بن كَيْسَان فأسلم ، َفحَسُنَ إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتِلَ يوم بئر مَعُونَةَ شهيدا ، وأما عثمان ابن عبد الله فلَحِقَ بمكة فمات بها كافرا

فلما تَجَلَّى عن عبد الله بن جَحْشٍ وأصحابه ما كانوا فيه ـ حين نزل القرآن ـ طمعوا فى الأجر ، فقالوا : يارسول الله ، أَنَطْمَعُ أن تكونَ لنا غَزْوَةٌ نُعْطَى فيها أجرَ المجاهدين ؟ فأنزل الله عز وجل فيهم (٢ : ٢١٨) (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء

والحديث فى هذا عن الزُّهْرِىّ و يزيد بن رُومَان ، عن عروة بن الزبير

قال ابن إسحق : وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جَحْشٍ أن الله عز وجل قَسَمَ الفَىْء ـ حين أحله ـ فجعل أربعة أخماسه لمن أفاءه ، وخمسه (٣) إلى الله ورسوله ، فوقع على ما كان عبد الله بن جحش صنع فى تلك العير

---

(١) الشفق ـ بفتح أوله وثانيه ـ الخوف

(٢) فى نسخة « فأفداهما »

(٣) فى نسخة « وخمسا »

قال ابن هشام : وهى أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعَمْرُو بن الحضرمى أول من قتله [1] المسلمون ، وعثمانُ بن عبد الله والحَكَمُ بن كَيْسان أولُ من أسَرَ المسلمون

قال ابن إسحق : فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى غزوة عَبْدِ الله بن جحش ، ويقال : بل عَبْد الله بن جحش قالها حين قالت قريش : قد أحَلَّ محمدٌ وأصحابه الشَّهْرَ الحرام : فسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه المال ، وأسروا فيه الرجال

كلة تنسب لأبى بكر الصديق أو لعبد الله بن جحش

قال ابن هشام : هى لعبد الله بن جحش : —

تَعُدُّونَ قَتْلاً فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرُّشْدَ رَاشِدُ
صُدُودُكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ وَكُفْرٌ بِهِ وَاللهُ رَاءٍ وَشَاهِدُ
وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللهِ أَهْلَهُ لِئَلاَّ يُرَى لِلهِ فِى الْبَيْتِ سَاجِدُ
فَإِنَّا وَإِنْ عَيَّرْتُمُونَا بِقَتْلِهِ وَأَرْجَفَ بِالإِسْلاَمِ بَاغٍ وَحَاسِدُ
سَقَيْنَا مِنَ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا بِنَخْلَةَ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَاقِدُ
دَمًا وَابْنُ عَبْدِ اللهِ عُثْمَانُ بَيْنَنَا يُنَازِعُهُ غُلٌّ مِنَ الْقِدِّ عَانِدُ [2]

تاريخ القبلة [3]

قال ابن إسحق : ويقال : صرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مَقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

غزوة بدر الكبرى

قال ابن إسحق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَمِعَ بأبى سُفْيَان

---

(١) فى نسخة « أول من قتل المسلمون »

(٢) القد — بكسر القاف — : شرك يقطع من الجلد ، وعاند — بالنون والدال المهملة — سائل بالدم لا ينقطع

(٣) فى نسخة « تاريخ صرف القبلة إلى الكعبة »

ابن حرب مُقْبِلًا من الشأم فى عِيرٍ لقريش عظيمة فيها أموالٌ لقريش وتجارةٌ من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون ، منهم مَخْرَمَةُ ابن نَوْفل بن أُهَيْب بن عبد مناف بن زُهْرة ، وعَمْرو بن العاص بن وائل بن هشام

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم

قال ابن إسحق : فحدثنى محمد بن مُسْلم الزُّهْرِىُّ وعاصم بن عمر بن قتَادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، ويزيد بن رُومان ، عن عُرْوَة بن الزبير وغَيْرُهُمْ من علمائنا ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، كلٌّ قد حدَّثنى بعض الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سُقْتُ من حديث بدر ، قالوا :

رسول الله يندب المسلمين للخروج على عير قريش

لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان مُقْبِلًا من الشأم نَدَبَ المسلمين إليهم ، وقال : « هذه عِيرُ قُرَيْشٍ فيها أمْوَالُهُمْ فاخْرُجُوا إلَيْها لعَلَ اللهَ يُنَفِّلُكُمُوهَا » فانتدب الناسُ ؛ فَخفَّ بعضهم وثَقُلَ بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يَلْقَى حَرْبًا

أبو سفيان يعلم بتهيؤ رسول الله فيرسل لقريش يستنجدهم

وكان أبو سفيان — حين دنا من الحجاز — يَتَحَسَّسُ الأخبار ، ويسأل من لَقِيَ من الرُّكْبان ، تَخَوُّفًا على أمر الناس ، حتى أصاب خَبَرًا من بعض الركبان أن محمداً قد اسْتَنْفَرَ أصحابه لك ولعِيرك ، فَحَذِرَ عند ذلك ، فاستأجر ضَمْضَمَ بن عمرو الغِفَارِىَّ ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتى قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لنا (١) فى أصحابه ، فخرج ضَمْضَم بن عمرو سريعا إلى مكة

[ذكر] رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

قال ابن إسحق : فأخبرنى من لا أتَّهم ، عن عكرمة ، عن ابن

---

(١) فى نسخة « قد عرض لها »

عباس ، ويزيدُ بن رُومان ، عن عُرْوَة بن الزبير ، قالا : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضَمْضَم مكة بثلاثِ ليالٍ رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العبَّاس بن عبد المطلب ، فقالت له : يا أخى ، والله لقد رأيت الليلةَ رؤيا [لقد] أفظعَتْنى[1] وتَخوَّفْتُ أن يدخل على قومك منها شَرٌّ ومصيبة ، فاكتم منى ما أحدثك [به] ، قال لها : وما رأيتِ ؟ قالت : رأيت راكبا أقبل على بعيرله حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألاَ انفِرُوا يا آل غُدَر لمصارعكم فى ثلاث ، فأَرَى الناسَ اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناسُ يتبعونه ، فبينما هم حَوْلَه مَثُلَ به[2] بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاثٍ ؛ ثم مَثُلَ به[2] بعيره على رأس أبى قبيس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صَخْرَةً فأرسلها ، فأقبلت تَهْوِى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارْفَضَّتْ[3] : فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلَتْها منها فِلْقة[4] ، قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنتِ فاكتميها ولا تذكريها لأحد

العباس يقص رؤيا عاتكة على عتبة بن ربيعة

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عُتْبَةَ بن ربيعة ، وكان له صديقا فذكرها له ، واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث بمكة ، حتى تحدَّثت به قريش [فى أنديتها]

أبو جهل يندد بالعباس وعاتكة

قال العباس : فغَدَوْتُ لأطوف بالبيت ، وأبو جهل بن هشام فى رَهْطٍ من قريش قعودٌ يتحَدَّثون برؤيا عاتكة ، فلما رآنى أبو جهل قال : ياأبا الفضل ، إذا فَرَغْتَ من طوافك فأقبل إلينا ، فلما فَرَغْت أقبلت

---

(١) أفظعتنى : هالتنى ، واشتدت على ، ولقيت منها الصعب
(٢) مثل به : قام به ماثلا
(٣) ارفضت : تفتتت
(٤) فلقة : قطعة

حتى جلست معهم ، فقال لى أبو جهل : يابنى عبد المطلب ، متى حَدَثَتْ فيكم هذه النَّبِيَّة ؟ قال : فقلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التى رأت عاتكةُ ، قال : قلت : وما رأت ؟ قال : يابنى عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتنبأَ رجالكم حتى تتنبأَ نساؤكم !!! لقد زَعَمَتْ عاتكةُ فى رؤياها أنه قال : انفروا فى ثلاثٍ فَسَنَتَرَبَّصُ بكم هذه الثلاث ، فإن يَكُ حَقًّا ماتقول فسيكون ، وإن تَمْضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نَكْتُبْ عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيتٍ فى العرب

قال العباس : فوالله ما كان منى إليه كبير ، إلا أنى جَحَدْتُ ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئا

قال : ثم تفرقنا ، فلما أمْسَيْتُ لم تَبْقَ امرأة من بنى عبد المطلب إلاَّ أتَتْنى ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة (١) لشيء مما سمعت ، قال : قلت : قد والله فعلتُ ، ما كان منى إليه من كبير ، وأَيم الله لأَتَعَرَّضَنَّ له ، فان عاد لأَكْفِيَنَّكُنَّه

العباس يحاول أن يتعرض له أبو جهل لينتقم منه

قال : فغدَوْتُ فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مُغْضَب ، أرى أنى قد فاتنى منه أمْرٌ أحِبُّ أن أدركه منه ، قال : فدخلت المسجد ، فرأيته ، فوالله إنى لأمشى نحوه أتعَرَّضُه ليعود لبعض ما قال فأَقَعَ به ، وكان رجلا خفيفًا ، حديدَ الوجهِ ، حديدَ اللسانِ ، حديد النظر ، قال : إذْ خَرَجَ نحو باب المسجد يَشْتَدُّ قال : فقلت فى نفسى : ماله لَعَنَهُ الله ؟!! [أ] كُلُّ هذا فَرَقٌ منى أن أشاتمه ؟ قال : وإذا هو قد

ضمضم ابن عمرو يستصرخ قريشا

سمع مالم أسمع صَوْتَ ضَمْضَم بن عمرو الغِفَارِى ، وهو يَصْرُخ بِبَطْن

---

(١) فى نسخة « ثم لم يكن عندك غير »

الوادى واقفا على بعيره قد جَدَعَ بعيره(١) ، وحوّل رحْلَه ، وشَقّ قميصه ، وهو يقول : يامَعْشَرَ قريش ، اللَّطِيمةَ اللَّطِيمةَ(٢) أموالَكم مع أبى سفيان، قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغَوْثَ الغَوْثَ

قال : فشغلنى عنه وشغله عنى ماجاء من الأمر ، فتجهز الناس سِرَاعًا وقالوا : أيظنُّ محمد وأصحابه أن تكون كعِيرِ ابن الحَضْرَمى ؟ كلا والله لَيَعْلَمُنَّ غيرَ ذلك ، فكانوا بين رجلين : إمَّا خارج ، وإما باعث مكانه رجلا ، وأوْعَبَتْ قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أبا لهب ابن عبد المطلب [قد] تخلّف و بعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة ، وكان قد لَاطَ(٣) له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه أفلس بها ؛ فاستأجره بها على أن يُجزِىَ عنه بَعْثَهُ ، فخرج عنه وتخلف أبو لهب

قريش تنفر لملاقاة النبى وأصحابه

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، أن أمية بن خلف كان أجمَعَ القُعُود ، وكان شَيْخًا جليلاً جَسيما ثقيلا ، فأتاه عُقْبَةُ بن أبى مُعَيْط وهو جالس فى المسجد بين ظَهْرَانَىْ قومه بِمِجْمَرَةٍ يحملها فيها نار وَمِجْمَرٌ(٤) حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا على ، استَجْمِر فانما أنت من النساء ، قال : قَبَّحَكَ الله وقَبَّحَ ماجئت به !!! قال : ثم تجهز فخرج مع الناس

---

(١) جدع بعيره : قطع أنفه

(٢) اللطيمة : هى الابل تحمل الطيب

(٣) « لاط » أى : أربى ، وقال أبو ذر : « معناه هنا احتبس وامتسك ، ويقال : لاط حبه بقلبى ، إذا لصق به » وهذا على أنه بالألف المنقلبة عن الياء ، وفى بعض النسخ « لأط » بالهمز - ومعناه اقتضاه

(٤) « مجمر » بكسر الميم وسكون الجيم - عود يتبخر به

ذكر أمر الحرب بين كنانة وقريش

وتحاجزهم عند وقعة بدر

قال ابن إسحق : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين [بنى] بَكْرِ بن عَبْدِمَنَاةَ بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنّا نخشى أن يأتونا من خَلْفنا ، وكانت الحربُ التى كانت بين قريش وبين [بنى] بكر — كما حدثنى بعضُ بنى عامر بن لؤى ، عن محمد بن سعيد بن المسيب فى ابن لحفْص بن الأخيف أحد بنى مَعيص بن عامر بن لؤى : خرج يبتغى ضالّةً له بضَجْنَانَ وهو غلام حَدَثٌ فى رأسه ذُؤابة وعليه حُلّة له ، وكان غلاماً وضيئاً نظيفاً ، فمرّ بعامر بن يَزيد بن عامر بن الْمُلَوَّح أحد بنى يَعْمَرَ بن عَوْف بن كعب بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة وهو بضَجْنَانَ ، وهو سيد بنى بكر يومئذ ، فرآه فأعجبه ، فقال : مَنْ أنت ياغلام ؟ قال : أنا ابنٌ لحفص بن الأخيف القرشى ، فلما ولى الغلام قال عامر بن يزيد : يابنى بكر ، أمالكم فى قريش من دمٍ ؟ قالوا : بلى والله إنّ لنا فيهم لَدَماً(١) ، قال : ما كان رجلٌ لِيَقْتُلَ هذا الغلام برجله إلا كان قد استوفى دمه ، قال : فتبعه رجل من بنى بكر ، فقتله بدم كان له فى قريش ؛ فتكلمت فيه قريش ، فقال عامر بن يزيد : يامعشر قريش ، قد كانت لنا فيكم دماء فما شئتم : إن شئتم فأدوا علينا مالنا قبلكم ونؤدى مالكم قبلنا ، وإن شئتم فإنما هى الدماء رجل برجل ؛ فَتَجَافَوْا عما لكم قبلنا ونتجافى عما قبلكم ، فهان ذلك الغلام على هذا الحى من قريش ، وقالوا : صدق رجلٌ برجل ، فَلَهَوْا عنه (٢) فلم يطلبوا به

---

(١) فى نسخة « لدماء »

(٢) فى نسخة «فلهوا منه »

قال : فبينما أخوه مكرز بن حفص بن الأخيف يسير بمر الظهران إذ نظر إلى عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح على جمل له ، فلما رآه أقبل [إليه] حتى أناخ به وعامر متوشح بسيفه ، فعلاه مكرز بسيفه حتى قتله ، ثم خاض بطنه بسيفه ، ثم أتى به مكة ، فعلقه من الليل بأستار الكعبة ، فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد بن عامر معلقاً بأستار الكعبة ، فعرفوه فقالوا : إن هذا لسيف عامر بن يزيد عدا عليه مكرز بن حفص فقتله ، فكان ذلك من أمرهم

فبينما هم فى ذلك من حربهم حجز الاسلام بين الناس ؛ فتشاغلوا به ، حتى أجمعت قريش المسير إلى بدر ، فذكروا الذى بينهم و بين بنى بكر فخافوهم ، وقال مِكْرَزُ بن حفص فى قتله عامرا : ـ

لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ هُوَ عَامِرٌ تَذَكَّرْتُ أَشْلَاءَ الْحَبِيبِ الْمُلَحَّبِ(١)

وَقُلْتُ لِنَفْسِي : إِنَّهُ هُوَ عَامِرٌ
فَلَا تَرْهَبِيهِ وَانْظُرِى أَىَّ مَرْكَبِ

وَأَيْقَنْتُ أَنِّى إِنْ أُجَلِّلْهُ ضَرْبَةً
مَتَى مَا أُصِبْهُ بِالْفُرَافِرِ يَعْطَبِ(٢)

حَفِظْتُ لَهُ جَأْشِي وأَلْقَيْتُ كَلْكَلِي
عَلَى بَطَلٍ شَاكِى السِّلَاحِ مُجَرَّبِ(٣)

---

(١) الأشلاء : البقايا ، واحدها شلو ، وأراد بقايا أخيه . والملحب : الذى ذهب لحمه

(٢) الفرافر : السيف ههنا ، وقد ذكره ابن هشام كما هو ثابت فى بعض النسخ

(٣) جأشي : أى نفسى ، ومنه يقال : هو رابط الجأش : إذا كان قوى

وَلَمْ أَكُ لَمَّا الْتَفَّ رُوعِي وَرُوعُهُ
عُصَارَةَ هُجْنٍ مِنْ نِسَاءٍ وَلاَ أَبِ[1]

حَلَلْتُ بِهِ وِتْرِي وَلَمْ أَنْسَ ذَحْلَهُ
إِذَا مَا تَنَاسَى ذَحْلَهُ كُلُّ عَيْهَبِ[2]

[قال ابن هشام : القرافر فى غير هذا الموضع : الرجل الأضبط ، وفى هذا الموضع : السيف]

قال ابن هشام : العيهب : الذى لاعقل له ، ويقال : تيس الظباء وفحل النعام [قال الخليل : العيهب : الرجل الضعيف عن إدراك وتره]

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن رُومَانَ ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش المسير ذَكَرَتْ الذى كان بينها وبين بنى بكر ، فكاد ذلك يَثْنِيهم ، فتبدَّى لهم إبليس فى صورة سُرَاقَةَ بن مالك بن جُعْشُم الْمُدْلجى ، وكان من أشراف بنى كنانة ، فقال لهم : أنا لكم جارٌ من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه ، فخرجوا سراعا

وقت خروج رسول الله

قال ابن إسحق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليالٍ مضت من شهر رمضان فى أصحابه

النفس ، والكلكل : الصدر ، وشاكى السلاح : معناه محدد ؛ ومجرب : يروى بالجيم مشدد الراء مكسورة أو مفتوحة ، فعلى الأول معناه الذى جرب الأمور واختبرها وبلاها ، ومعناه على الثانى الذى قد جربوا شجاعته ، ويروى « محرب » بالحاء المهملة ـ وهو المغضب ، ويروى فى أول البيت « خفضت له جأشى »

(١) الروع ـ بضم الراء ـ الذهن الذى يقع فى القلب

(٢) الوتر : الثأر ؛ والذحل : مثله ؛ والغيهب : يروى بالغين معجمة وبالعين مهملة ، فعلى الأول هو الغافل الناسى ، وعلى الثانى هو الرجل الضعيف عن طلب وتره كما هو ثابت عن ابن هشام فى بعض نسخ الأصل

عامل رسول الله على المدينة فى أيام غزوة بدر

قال ابن هشام : خرج يوم الاثنين لثمان ليال خَلَوْنَ من شهر رمضان ؛ واستعمل عَمْرَو بن أمِّ مكْتوم ، ويقال : اسمه عبدالله بن أم مكتوم أخا بني عامر بن لؤى ، على الصلاة بالناس ، ثم رَدَّ أبا لُبَابَة من الرَّوْحَاء واستعمله على المدينة

لواء رسول الله وحامله

قال ابن إسحق : ودفع اللواء إلى مُصْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار

قال ابن هشام : وكان أبيض

قال ابن إسحق : وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سَوْدَاوان : إحداهما مع على بن أبي طالب يقال لها العُقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار

رسول الله وأصحابه يعتقب كل جماعة منهم بعيرا

قال ابن إسحق : وكانت إبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيراً ، فاعْتَقَبُوهَا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ابن أبي طالب ومَرْثَد بن أبي مَرْثَد الْغَنَوِى يَعْتَقبون بعيرا ، وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو كبشة وَأَنَسَةُ مَوْلَيَا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيرا ، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرا

قال ابن إسحق : وجعل على السَّاقَةَ قَيْسَ بن أبي صَعْصَعَة أخا بني مازن ابن النجار

وكانت رايةُ الأنصار مع سَعْد بن مُعَاذ ، فيما قال ابن هشام

طريق النبي الى بدر

قال ابن إسحق : فسلك طريقه من المدينة إلى مكة على نَقْب المدينة ، على الْعَقيق ، ثم على ذى الْحُلَيْفة ، ثم على أولات الجيش

قال ابن هشام : ذات الجيش

قال ابن إسحق : ثم مر على تُرْبَان (١) ثم على مَلَل ، ثم على غَمِيس الْحَمَام مِنْ مَرَيَيْن ، ثم على صُخَيْرَات الْيَمَام ، ثم على السَّيَالة ، ثم على فَجّ الرَّوْحاء ، ثم على شَنُوكة ، وهى الطريق المعتدلة :

أعرابى يلقى رسول الله ليسأله عما فى بطن ناقته

حتى إذا كان بعِرْقِ الظُّبْيَة (قال ابن هشام : الظَّبْية ، عن غير ابن إسحق) لقُوا رجُلاً من الأعراب ، فسألوه عن الناس ، فلم يجدوا عنده خبرا ، فقال له الناس : سَلِّمْ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أوفيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، فَسَلَّمَ عليه ، ثم قال : إنْ كُنْتَ رسول الله فأخبرنى عما فى بطن ناقتى هـذه ، قال له سلمة بن سلَامة بن وَقْش : لاتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقْبِلْ علىَّ فأنا أخبرك عن ذلك : نَزَوْتَ عَلَيْهَا ففى بطنها منك سَخْلَةٌ (٢) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَهْ أَفْحَشْتَ عَلَى الرَّجُلِ » ثم أعرض عن سَلَمة

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم سَجْسَجَ ، وهى بئر الرَّوْحَاء ، ثم ارتحل منها ، حتى إذا كان بالْمُنْصَرَفِ ترك طريق مكة بيسار ، وسلك ذات اليمين على النازية ، يريد بدرا ، فسلك فى ناحية منها، حتى جَزَعَ (٣) واديا يقال له رَحْقَان ، بين النازية وبين مَضِيق الصَّفْرَاء ، ثم على المضيق ، ثم انْصَبَّ منه حتى إذا كان قريبا من الصَّفْراء بعث بَسْبَس بن عَمْرو الْجُهَنى حليفَ بنى ساعدة وعَدِىّ بن أبى الزَّغْباء الْجُهَنىَّ حليف بنى النجار إلى

(١) تربان ـ بالضم ـ واد بين الحفير والمدينة

(٢) السخلة ـ بفتح فسكون ـ فى الأصل : الصغيرة من ولد الضأن ، فاستعارها هنا للصغيرة من ولد النوق

(٣) « جزع » كمنع ، قال فى القاموس : « جزع الأرض والوادى : قطعه ، أو عرضا »

بدر يتحَسَّسَان له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وغيره ؛ ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قدَّمَهُمَا ، فلما استقبل الصَّفْرَاء — وهى قرية بين جَبَلَيْن — سأل عن جَبَلَيْهَا ما أسماؤهما ، فقالوا : يقال لأحدهما : هذا مُسْلِح ، وقالوا للآخر : هذا مُخْرِىء ، وسأل عن أهلهما فقيل : بنو النار ، وبنوحُرَاق ، بطنان من بنى غِفار ، فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما ، فتركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والصفراء بيسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذَفِرَانُ ، فجزع فيه ثم نزل ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرَهُمْ ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المِقْدَادُ بن عَمْرو فقال : يارسول الله ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ الله فنحنُ معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (٥ : ٢٤) : (فاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُونَ) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سِرْتَ بنا إلى بَرْكِ الْغِمَادِ[1] لجَالَدْنَا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ودعا له به ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ » وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يارسول الله ، إنا بُرَآء من ذِمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمَّتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَخَوَّفُ ألا تكون الأنصار ترى عليها نَصْرَهُ إلا ممن دَهِمه[2] بالمدينة من عدوه ، وأن ليس

رسول الله يستشير أصحابه وقد علم خروج قريش

كلام المقداد ابن الاسود لرسول الله

---

(١) برك الغماد ـ موضع بناحية اليمن ، ويقال : هو أقصى حجر

(٢) دهمه : أى فجأه ، يقال : دهمتهم الخيل ، إذا فاجأتهم على غير استعداد

عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم ، فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ : والله لَكأنك تريدنا يارسول الله ، قال : « أجَلْ » قال : فقد آمنَّا بك ، وصدّقناك ، وشهدنا أنّ ماجئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامْضِ يارسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو اسْتَعْرَضْتَ بنا هذا البحر فخُضْتَه لخضناه معك ماتخلَّفَ منَّا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدُوَّنَا غدا إنا لَصُبُرٌ فى الحرب ، صُدُقٌ فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ماتَقَرُّ به عَيْنُكَ ، فسِرْ بنا على بركة الله ، فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، وَنَشَّطَهُ ذلك ، ثم قال : « سِيرُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ الله تعالَى قَدْ وعَدَنِى إحْدَى الطَّائفتَيْنَ وَالله لَكأَنِّى الآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ »

هم سعد بن معاذ لرسول الله

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذَفِرَان ، فسلك على ثنايا يقال لها: الأصافر ، ثم انحطَّ منها إلى بلد يقال له : الدَّبَّة [1] ، وترك الحَنَّانَ بيمين ، وهو كثيب عظيم كالجبل [العظيم] ، ثم نزل قريبا من بدر ؛ فركب هو ورجل من أصحابه

قال ابن هشام : الرجل [هو] أبو بكر الصديق

قال ابن إسحق : كما حدثنى محمد بن يحيي بن حَبَّان ، حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبرُكما حتى تخبرانى ممن أنتما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أَخْبَرْتَنا أَخْبَرْنَاكَ » قال : أَوَذاك بذاك ؟ قال : « نَعَمْ »

(١) الدبة ـ بفتح الدال وتشديد الباء الموحدة ، ويقال بتخفيفها وكرهه ياقوت ـ وهى بلد بين الأصافر وبدر ، فيما قال ياقوت

قال الشيخ : فانه بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فان كان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فان كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به قريش ؛ فلما فرغ من خبره قال : مِمَّنْ أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نَحْنُ مِنْ مَاءٍ» ثم انصرف عنه ، قال : يقول الشيخ : ما من ماء؟! أمن ماء العراق ؟

قال ابن هشام : ويقال : الشيخ سُفْيَانُ الضَّمْرِيّ

قال ابن إسحق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ؛ فلما أمسى بعث على بن أبى طالب ، والزُّبَيْر بن الْعَوَّام ، وسَعْدَ بن أبى وقَّاص ، فى نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه — كما حدثنى يزيد بن رُومَان ، عن عروة بن الزبير — فأصابوا راويةً لقريش ، فيها أَسْلَمُ غلام بنى الحجاج ، وعَرِيضٌ أبو يسار غلامُ بنى العاص بن سعيد ، فأتَوْا بهما ، وسألوهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى ، فقالا : نَحْنُ سُقَاةُ قريش ، بعثونا نَسْقِيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ، ورَجوْا أن يكونا لأبى سفيان ، فضربوهما ، فلما أَذْلَقُوهُمَا[1] قالا : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما ، وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتيه ثم سلم ، وقال : « إِذَا صَدَقَاكُم ضَرَبْتُمُوهُمَا ، وَإِذَا كَذَبَاكُم تَرَكْتُمُوهُمَا ، صَدَقَا وَاللهِ إِنَّهُمَا لِقُرَيْشٍ ، أَخْبِرَانِى عَنْ قُرَيْشٍ » قالا : هم والله وراء هذا الكثيب الذى تَرَى بالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى ، (والكثيب : الْعَقَنْقَل) فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَمِ الْقَوْمُ » ؟ قالا :

(١) أذلقوهما : بالغوا فى ضربهما

كثير ،قال : «ماعِدَّتُهُمْ» ؟ قالا: لاندرى ، قال : «كَمْ يَنْحَرُونَ كل يَوْمٍ »؟ قالا : يوما تسعا و يوما عشرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الْقَوْمُ فِيمَا بَيْنَ التِّسْعمَائِةِ وَالْأَلْف»ثم قال لهما : «فَمَنْ فِيهِمْ من أَشْرَافِ قُرَيْش» ؟ قالا : عُتْبَةُ بن رَبيعة ، وَشَيْبَةُ بن رَبيعة ، وَأَبو الْبَخْتَرِى بن هِشام،وحكيم ابن حزام ، ونَوْفَل بن خُوَيْلد ، والْحرِث بن عامر بن نوفل ، وطُعَيْمَة بن عَدِىّ بن نوفل ، والنَّضرُ بن الْحرِث ، وَزَمْعَةُ بن الأسود ، وأبو جهل ابن هِشام ، وأُمَيَّةُ ابن خَلَف ، و نُبَيْهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحجاج ، وسُهَيْل بن عَمْرو ، وعَمْرو بن عبد وُدّ

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، فقال : « هذه مَكَّةُ قدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلاذَ كَبِدِهَا [(١)] »

قال ابن إسحق : وكان بَسْبَسُ بن عَمْرو وَعَدِىُّ بن أبى الزَّغْبَاء قد مَضَيَا حَتّى نزلا بَدْرًا فأناخا إلى تَلّ [(٢)] قريب من الماء ، ثم أخذا شَنًّا [(٣)] لهما يَسْتَقِيان فيه ، ومَجْدِىُّ بن عَمْرو الْجُهَنِىُّ على الماء ، فسمع عدىٌّ و بَسْبَس جاريتين من جَوَارى الحاضر [(٤)]، وهما تتلازمان [(٥)] على الماء ، والملزومة تقول لصاحبتها : إنما تأتى العِيرُ غدًا أو بعد غدٍ ، فأَعْمَلُ لهم ثم أقضيك الذى لك ، قال مَجْدِىّ : صدقتِ ، ثم خَلَّص بينهما ، وسمع

---

(١) « أفلاذ كبدها » الأفلاذ : جمع ـ فلذة ـ بكسر فسكون ـ وهى القطعة

(٢) التل : المرتفع من التراب

(٣) الشن ـ بفتح الشين ـ الزق البالى

(٤) الحاضر : القوم النازلون على الماء

(٥) تتلازمان : أى تمسك كل منهما بصاحبتها

ذلك عدىّ و بَسْبَس، فجلسا على بعيريهما، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا

وأقبل أبو سفيان [بن حَرْب] حتّى تقدَّمَ العيرحَذِراً، حتى ورد الماء فقال لمجدى بن عمرو : هل أحسست أحدا ؟ فقال : مارأيت أحداً أُنكره إلا أنّى قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل، ثم استقيا فى شَنٍّ لهما ثم انطلقا؛فأتى أبو سفيان مُنَاخَهُما (١) فأخذمِنْ أبعار بعيريهما، ففتَّه، فاذا فيه النَّوَى، فقال : والله هذه عَلائِفُ يَثْرِبَ، فرجع إلى أصحابه سريعا فضرَبَ وَجْهَ عيره عن الطريق، فساحَلَ بها (٢)، وترك بَدْراً بيسار وانطلق حتى أسرع

رؤيا جهيم ابن الصلت

وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجُحْفَةَ رأى جُهَيْمُ بن الصَّلْت بن مَخْرَمَةَ بن [عبد] المُطَّلب بن عَبْدِ مَنَاف رؤيا، فقال : إنى رأيت فيما يَرَى النَّائمُ وإنى لَبَيْنَ النائم والْيَقْظَان إذْ نَظَرْتُ إلى رجل قدأقبل على فَرَسٍ حتى وقف ومعه بعير له، ثم قال : قُتِلَ عُتْبَةُ بن رَبيعة، وَشَيْبَةُ بن ربيعة، وأبو الحكم ابن هشام، وأُمَيَّةُ بن خَلَف، وفلان، وفلان، فعدَّدَ رجالاً ممن قُتِلَ يوم بدر من أشراف قريش؛ ثم رأيته ضرب فى لَبَّةِ بعيره، ثم أرسله فى العسكر، فما بقى خِبَاء من أَخْبِيَةِ العسكر إلا أصابه نَضْخٌ (٣) من دمه؛ قال : فبلغت أبا جهل، فقال : وهٰذا أيضا نَبِىٌّ آخر من بنى عبد المطلب، سَيَعْلم غداً من المقتول إن نحن الْتَقَيْنَا

رسالة أبى سفيان الى قريش

قال ابن إسحق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أَحْرَزَ عِيرَهُ أرسل

---

(١) مناخهما : المكان الذى أناخا فيه بعيريهما

(٢) ساحل بها : أخذ بها جهة الساحل

(٣) نضخ : أى لطخ

إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عِيرَكُمْ ورجالكم وأموالكم ، فقد نجَّاها الله فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لانرجع حتى نَرِدَ بَدْرًا (وكان بَدْرٌ مَوْسِمًا من مواسم العرب تجتمع لهم به سُوق كلَّ عَامٍ) فنقيمَ عليه ثلاثا ، فننحر الجُزُرَ ، ونطْعم الطَّعام ؛ ونَسْقى الخمر ، وتَعْزِف علينا(١) القِيَان ، وتَسْمَعُ بنا العرب وبمسيرنا وجَمْعِنا ؛ فلا يزالون يهَابُونَنَا أبداً بعدها ، فامضوا

الأخنس بن شريق يشير على بنى زهرة بالرجوع فيرجعون

وقال الأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وَهْب الثقفى — وكان حليفا لبنى زهرة — وهم بالجُحْفَة : يابنى زُهْرَة ؛ قد نَجَّى الله لكم أموالكم وخَلَّص لكم صاحبكم مَخْرَمَةَ بن نَوْفَل ، وإنما نَفَرْتُم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بى جُبْنَهَا ، وارجعوا ؛ فانه لاحاجة لكم بأن تخرجوا فى غَيْر ضَيْعة ، لا ما يقول هذا ، يعنى أبا جهل ؛ فرجعوا ؛ فلم يشهدها زُهْرِىٌّ واحد ، أطاعوه وكان فيهم مُطَاعا

لم يشهد بنو عدى بدرا

ولم يكن بقى من قريش بَطْنٌ إلا وقد نَفَرَ منهم ناسٌ ، إلا بنى عدى ابن كعب ، لم يخرج منهم رجل واحد

فرجعت بنو زُهْرَةَ مع الأخنس بن شَرِيق ، فلم يشهد بدرا من هاتين القبيلتين أحد ، ومضى القوم

وكان بين طالب بن أبى طالب ، وكان فى القوم ، وبين بعض قُرَيْشٍ محاورة(٢) فقالوا : والله لقد عَرَفْنَا يابنى هاشم وإن خرجتم معنا إنَّ هَوَاكم لمَعَ محمد ، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع ، وقال ابن أبى طالب : —

لاهُمَّ إمَّا يَغْزُوَنَّ طَالِبْ فى عُصْبَةٍ مُخَالِفٌ مُحَارِبْ

---

(١) القيان : جمع قينة .

(٢) المحاورة : المراجعة فى الكلام

فِي مِقْنَبٍ مِنْ هٰذِهِ الْمَقَانِبْ[1]   فَلْيَكُنِ الْمَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبْ
* وَلْيَكُنِ الْمَغْلُوبَ غَيْرَ الْغَالِبْ *

قال ابن هشام : قوله « فليكن المسلوب » وقوله « وليكن المغلوب» عن غير واحد من الرواة للشعر

نزول قريش بالعدوة القصوى

قال ابن إسحق : ومضت قُرَيْشٌ حتى نزلوا بالعدوة الْقُصْوَى من الوادي خلف الْعَقَنْقَل و بطن الوادى ، وهو يَلْيَلُ ، بين بدر و بين العقنقل[2] الكثيب الذى خلفه قريش ، والْقُلُبُ[3] ببدر فى الْعُدْوَة الدُّنيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة ، و بعث الله السَّماء ، وكان الوادى دَهْسًا[4] فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ماء لَبَّدلهم الأرض[5] ، ولم يمنعهم عن المسير ، وأصاب قريشا منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به

مشورة الحباب بن المنذر على رسول الله

قال ابن إسحق : فَحُدِّثْتُ عن رجال بنى سلمة أنهم ذكروا أن الْحُبَابَ بن الْمُنْذِر بن الْجَمُوح قال : يارسول الله ، أرأيتَ هٰذَا المنزل أَمَنْزِلاً أَنْزَلَكَهُ الله ليس لنا أن نَتَقَدَّمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والْحَرْبُ والْمَكِيدَة ؟ قال : « بَلْ هُو الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ» قال : يارسول الله ، فان هذا ليس بِمَنْزِلٍ فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم

---

(١) المقنب : الجماعة من الخيل مقدارُ ثلثمائة أو نحوها

(٢) العقنقل فى الأصل : الكثيب من الرمل

(٣) القلب : جمع قليب ، وهو البئر

(٤) الدهس : كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملا

(٥) «لبدلهم الأرض» معناه جعل ترابها لايثور ، وسهل لهم السير فيه

فنزله ، ثم نغوِّرُ (١) ماوراءه من القُلُب ، ثم نَبْنِي عليه حَوْضًا فنملؤه ماءً ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ أَشَرْتَ بالرَّأْيِ » فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم و من معه من الناس ، فسار ، حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقُلُب فغُوِّرَتْ (١) ، وَبَنَى حَوْضًا على القَلِيب الذى نَزَلَ عليه فَمُلِئَ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية

أصحاب رسول الله يبنون له عريشا

قال ابن إسحق : فحدثنى عبدُ الله بن أبى بكر أنه حُدِّثَ أن سعد ابن مُعَاذ رضى الله عنه قال : يا نبى الله ، ألا نَبْنِى لك عَرِيشاً تكون فيه ونُعِدُّ عندك رَكائبك ثم نَلْقَى عَدُوَّنا ، فإن أعزَّنا الله وأظْهَرَنا على عَدُوِّنا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جَلَسْتَ على رَكائبك فلَحِقْتَ بمن وراءنا من قومنا ، فقد تَخَلَّفَ عنك أقوامٌ يا نبى الله ما نحنُ بأشدّ لك حُبًّا منهم ، ولو ظنوا أنك تَلْقَى حَرْبًا ما تخلَّفوا عنك ، يمنعكَ الله بهم : يُنَاصحونك ، ويجاهدون معك ، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير ، ثم بُنِيَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ فكان فيه

ارتحال قريش

قال ابن إسحق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تَصَوَّبُ من العَقَنْقَل (وهو الكثيب الذى جاءوا منه إلى الوادى) قال : « اللَّهُمَّ هذه قُرَيْشٌ قد أقبلَتْ

---

(١) « نعور » تروى هذه الكلمة بالعين المهملة ، ومعناها على ذلك نفسد ، وذلك بأن يقذفوا فى القلب أحجارا وترابا فيفسدوها على أعدائهم ، وتروى بالغين المعجمة ، ومعناها حينئذ نجعله يغور فى الأرض ، وهو قريب من سابقه

جِيلَائِهَا (١) وفَخْرِهَا تُحَادُّكَ (٢) وتُكَذِّبُ رَسُولَكَ ، اللَّهُمَّ فَنَصْرَكَ الَّذِي وعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ أحِنْهُمُ (٣) الْغَدَاةَ » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و[قد]رأى عتبة بن ربيعة فى القوم على جمل له أحمر ، فقال : « إنْ يَكُنْ فِي أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ صَاحِبِ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ ، إنْ يُطِيعُوهُ يَرْشُدُوا »

بعض بنى غفار يهدى إلى قريش جزائر ويعرض عليهم المعونة

وقد كان خُفَاف بن أَيْمَاء بن رَحَضَة الْغِفَارِيُّ أو أبوه أَيْمَاء بن رَحَضَة الْغِفَارِيُّ بعث إلى قريش — حين مرُّوا به — ابنا له بجزائر أهداها لهم وقال : إن أحببتم أن نمدَّكم بسلاح ورجال فعلنا ، قال : فأرسلوا إليه مع ابنه أَنْ وَصَلَتْكَ رَحِمٌ ، قد قَضَيْتَ الَّذى عليك ، فَلَعَمْرِى لئن كُنَّا إنما نقاتل الناسَ فما بنا من ضَعْفٍ عنهم ، ولئن كنَّا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقةٍ

فلما نزل الناس أقبلَ نَفَرٌ من قريش حتى وَرَدُوا حَوْضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دَعُوهُمْ » فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام ؛ فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه ، فكان إذا اجتهد فى يمينه قال : [لا]وَالَّذى نَجَّانى من يوم بدر

تشاور قريش فى الرجوع عن القتال

قال ابن إسحق : وحَدَّثنى أبى إسحقُ بن يَسَار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لما اطمأن القوم بعثوا عُمَيْر بن وَهْب

---

(١) الخيلاء - بضم ففتح - التكبر والاعجاب بالنفس

(٢) تحادك : تعاديك وتمتنع عن طاعتك

(٣) أحنهم : أهلكهم ، أفعل من الحين ، وهو الهلاك ، وقد سقطت عينه التى هى الياء

الْجُمَحِيَّ ، فقالوا : احْزُرْ لنا أصحابَ محمد [صلى الله عليه وسلم] قال : فاستجال بفرَسِه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقصون ، ولكن أمهلونى حتى أنظر أللقوم كَمِينٌ أو مَدَدٌ ، قال : فَضَرَبَ فى الوادى حتى أبعد فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم فقال : ماوجدت شيئاً ، ولكنى قد رأيت يامعشر قريش الْبَلَايَا (١) تحمل الْمَنَايَا ، نَوَاضِحَ (٢) يَثْرِب تحمل الموت الناقع (٣) قوم ليس معهم مَنَعَة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقْتَلَ رجلٌ منهم حتى يَقْتُلَ رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ فَرَوْا رأيكم

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ، إنَّكَ كبير قريش وَسَيِّدُها والمطاعُ فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تُذْكَر فيها بخير إلى آخر الدهر ، قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمى ، قال : قد فعلتُ ، أنتَ عَلَيَّ بذلك ، إنما هو حليفى فعليَّ عَقْلُهُ وما أصيب من ماله ، فَأْتِ ابن الْحَنْظَلِيَّة

قال ابن هشام : والحنظلية أم أبى جهل ، وهى : أسماء بنت مُخَرِّبة أحد بنى نَهْشَل بن دارم بن مالك بن حَنْظَلَة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم .

---

(١) البلايا : جمع بلية ، وهى الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت ، وكان بعض العرب ممن يقر بالبعث يقول : إن صاحبها يحشر عليها

(٢) النواضح : الابل التى يسقى عليها الماء

(٣) الناقع : الثابت

عتبة بن ربيعة يحرض قريشا على الرجوع

فإني لا أخشى أن يَشْجُرَ (١) أمْرَ الناس غَيْرُهُ ، يعني أبا جهل بن هشام ، ثم قام عتبة [بن ربيعة] خطيبا ، فقال : يامعشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تَلْقَوْا محمدًا وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجلُ ينظر في وجه رجلٍ يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه ، أو ابن خاله ، أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا وخَلُّوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكُمْ ولم تَعَرَّضُوا منه ما تريدون

أبو جهل يسفه رأى عتبة

قال حكيم : فانطلقتُ حتى جئت أبا جهل ، فوجدته قد نَثَلَ دِرْعاً (٢) له من جرابها فهو يَهْنِئُهَا (٣) (قال ابن هشام : يُهَيِّئُهَا) فقلت له : يا أبا الحكم ، إن عُتْبَةَ أرسلني إليك بكذا وكذا ، للذي قال ، فقال : أنتفخَ والله سَحْرُهُ (٤) حين رأى محمدًا وأصحابه ، كَلاَّ ! . والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بِعُتْبَةَ ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمدا وأصحابه أَكَلَةُ جزور ، وفيهم ابنه ، فقد تَخَوَّفَكُمْ عليه

ثم بعث إلى عامر بن الحَضْرَمِيِّ ، فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فانْشُدْ خُفْرَتَكَ (٥) ومَقْتَلَ أخيك ،

---

(١) « يشجر » يروى بالشين المعجمة ، ومعناه الذي يخالف بين الناس ويحملهم على عدم الوفاق ، مأخوذ من المشاجرة ، وهي المخاصمة والمخالفة ، ويروى بالسين المهملة ، ومعناه الذي يحرضهم ويوقد نار الفتنة بينهم ، وتقول: سجرت التنور ، إذا ألهبته نارا

(٢) نثل درعه . أخرجها

(٣) يهنئها : معناه يتفقدها ، ويهيئها : يعدها للقتال

(٤) السحر - بفتح السين - الرئة وماحولها ، وسيذكره ابن هشام قريبا

(٥) الخفرة - بضم الخاء أو فتحها - العهد ، وانشدها : اذكرها

فقام عامر بن الحضرمى فاكتشف ، ثم صرخ : واعَمْرَاهُ!!واعمراه !!فحميت الحرب ، وحَقِبَ أمْرُ الناس[١] واستوسقوا[٢] على ما هم عليه من الشر ، فأُفْسِدَ على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عتبة ؛ فلما بلغ عتبة قول أبى جهل انتفخ والله سحره قال :سيعلم مُصَفِّرُ اسْتِهِ[٣] من انتفخ سَحْرُه أنا أم هو .

قال ابن هشام : السَّحْرُ : الرئة وما حولها مما يعلق بالحلقوم من فوق السرة ، وما كان تحت السرة فهوالْقُصْبُ ، ومنه قوله: « رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَىٍّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِى النَّارِ »

قال ابن هشام : حدثنى بذلك أبو عبيدة

ثم التمس عتبةُ بيضةً ليدخلها فى رأسه ، فما وجد فى الجيش بيضة تَسَعُهُ ، من عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعْتَجَرَ[٤] على رأسه ببرد له

مقتل الاسود بن عبدالأسدالمخزومى

قال ابن إسحق : وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومىُّ ، وكان رجلا شَرِسًا سىء الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشْرَبَنَّ من حوضهم أولأهْدِمَنَّهُ أولأُمُوتَنَّ دونه ، فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه ، فلما التقيا ضربه حمزةُ فأطنَّ قدمه[٥] بنصف ساقه ، وهو دون

---

(١) حقب أمر الناس : اشتد ، يقال : حقب البعير ، إذا اجتمع بوله فلم يقدر على إخراجه

(٢) استوسقوا : اجتمعوا

(٣) قال أبو ذر : « قال ابن هشام : هو مما يؤنث به الرجل وليس من الجبن ، قال الشيخ الفقيه أبو ذر : العرب تقول هذا القول للرجل الجبان ولاتريد به التأنيث » اه

(٤) اعتجر : معناه تعمم منغير أن يلتحى : أى من غير أن يضع تحت لحيته شيئا منها

(٥) أطن قدمه : أطارها

الحوض فوقع على ظهره تَشْخُبُ [١] رجلهُ دَمًا ، نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حَتَّى اقتحم فيه يريد زَعَمَ أن يُبِرَّ يَمِينَهُ ، واتبعه حمزة ، فضربه حتى قتله فى الحوض

عتبة بن ربيعة يدعو للبارزة

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل [٢] من الصَّفِّ دعا إلى المبارزة : فخرج إليه فِتْيَةٌ من الأنصار ثلاثة ، وهم عَوْفٌ وَمُعَوِّذٌ ابنا الحرث ، وأمهما عفراء ، ورجل آخر يقال : هو عَبْدُ الله بن رَوَاحة ، فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رَهْطٌ من الأنصار ، قالوا : مالنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديهم : يا محمد أخرج إلينا أَكْفَاءَنَا من قومنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قُمْ يَاعُبَيْدَةُ بْنَ الْحرثِ ، قُمْ يَاحَمْزَةُ ، قُمْ يَاعَلِيّ » فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال على : على ، قالوا : نعم أكفاء كرام ، فبارز عُبَيْدَةُ وكان أَسَنَّ القوم عتبةَ بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز على الوليد بن عتبة ، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما على فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكَرَّ حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فَذَفَّفَا عليه [٣] ، واحتملا صاحبهما ؛ فحازاه إلى أصحابه

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عتبة بن ربيعة قال لفتية من الأنصار حين انتسبوا : أكفاء كرام ، إنما نريد قومنا

---

(١) تشخب : معناه تسيل بصوت

(٢) فصل : خرج ، وهو بالفاء فى بعض الأصول ، وفى نسختين « نصل » بالنون ، ومعناهما واحد

(٣) « ذففا عليه » معناه أسرعا فى قتله ، وأجهزا عليه . تقول : ذففت على الجريح ـ بتشديد وسطه ـ أى أسرعت قتله

التقاء الفريقين

قال ابن إسحق : ثم تزاحف الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : « إن اكْتَنفَكُمُ القَوْمُ فانْضَحُوهم (١) عنكم بِالنَّبلِ » ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش معه أبو بكر الصديق رضى الله عنه

تاريخ يوم وقعة بدر

وكانت وقعة بدر يوم الجمعه صبيحة سَبْعَ عَشْرَةَ من شهر رمضان ، قال ابن إسحق : كما حدثنى أبو جعفر محمد بن على بن الحسين

قال ابن إسحق : وحدثنى حَبَّانُ بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عَدَّلَ صفوف أصحابه يوم بدر ، وفى يده قِدْح يعدل به القوم ؛ فمر بسواد بن غَزِيَّة حليف بنى عدى بن النجار (قال ابن هشام : يقال : سَوَّادُ بن غزية مثقلة وسواد فى الأنصار غير هذا مخفف) (٢) وهو مُسْتَنْتِلٌ (٣) من الصف (قال ابن هشام : ويقال مُسْتَنْصِل من الصف) فطَعَنَ فى بطنه بالقِدْح ، وقال: « اسْتوِ ياسَوَّادُ » فقال : يا رسول الله أَوْجَعْتَنِي وقد بعثك الله بالحق والعدل ، فَأَقِدْنِى ، (٤)

رسول الله يسوى صفوف المقاتلين فيحتال سواد بن غزية حتى يقبل بطن النبي

(١) « انضحوهم » هو بالحاء المهملة ، ومعناه ادفعوهم ، تقول : نضحت عن عرض بنى فلان ، إذا دفعت عنه ، وتقول : نضحتهم بالنبل ، إذا رميتهم به ، ووقع فى نسخة « انضخوهم » بالخاء معجمة ، وفى أخرى « انضجوهم » بالجيم وهو تحريف

(٢) قال أبو ذر : « وبالتخفيف قيده الدارقطنى وعبد الغنى » اه

(٣) مستنتل : متقدم ، تقول : استنتل الرجل ، إذا تقدم ، وفى رواية ابن هشام مستنصل ، ومعناه خارج ، ومنه تقول : تنصل الرجل من هذا الذنب ، أى أخرج نفسه منه

(٤) أقدنى : معناه اقتص لى من نفسك ، ومعنى استقد فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتص

قال : فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بَطْنه وقال : « اسْتَقِدْ » قال : فاعتنقه ، فَقَبَّلَ بَطْنه ، فقال : « مَا حَمَلَكَ عَلَى هٰذَا يَاسَوَّاد » ؟ قال: يارسول الله ، حضرما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يَمَسَّ جلدى جلدك ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له

رسول الله يسأل ربه النصر

قال ابن إسحق : ثم عَدَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ، ورجع إلى العريش ، فدخله ومعه فيه أبو بكر [الصديق رضى الله عنه] ليس معه فيه غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : « اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هٰذِهِ الْعِصَابَةُ الْيَوْمَ لاَ تُعْبَدْ » وأبو بكر يقول : يانبى الله ، بَعْضَ مناشدتك ربك ؛ فان الله مُنْجِزٌ لك ما وعدك

وَقَدْ خَفَقَ(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم خَفْقَةً وهو فى العريش، ثم انتبه فقال : « أَبْشِرْ يَاأَبَا بَكْرٍ ، أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ ، هٰذَا جِبْرِيل آخِذًا بِعِنَانِ فَرَسٍ يَقُودُهُ عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ » [يعنى الغبار]

أول قتيل من المسلمين

قال ابن إسحق : وقد رُمِىَ مِهْجَعٌ مولى عمر بن الخطاب بسَهْم فقتل؛ فكان أولَ قتيل من المسلمين رحمه الله ، ثم رُمِىَ حارثةُ بن سراقة أحدُ بنى عَدِىِّ بن النجار — وهو يشرب من الحوض — بسهم ، فأصاب نحره ، فقُتِل رحمه الله

النبى يحرض أصحابه على القتال

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرَّضَهم ، وقال : « وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَيُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلَ صَابِرًا مُحْتَسِباً مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ إلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ » فقال عُمَيْر بن الْحُمَام أخو بنى

(١) خفق خفقة : نام نوما يسيرا

سَلِمة ، وفى يده تَمَرَاتٌ يأكلهن : بَخْ بَخْ ، [1] أفمـا بينى و بين أن أدخل الجنة إلا أن يَقْتُلَنى هؤلاء ، ثم قذف التَّمَرَات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتِلَ رحمه الله تعالى

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عوف بن الحرث — وهو ابن عفراء — قال : يارسول الله ، مايُضْحِكُ الربَّ من عبده ؟ قال : « غَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا » فنزع دِرْعًا كانت عليه ، فقذفها ، ثم أخذ سَيْفَه فقاتل القوم حتى قتل رحمه الله

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن مُسْلم بن شهاب الزهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر الْعُذْرِى حليفُ بنى زهرة أنه حدثه ، أنه لما الْتَقَى الناسُ وَدَنَا بعضُهُمْ من بعض قال أبو جهل بن هشام : اللَّهُمَّ أقْطَعُنَا للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحِنْهُ الغداةَ ، [2] فكان هو الْمُسْتَفْتِح [3]

رسول الله يرمى المشركين بالحصباء

قال ابن إسحق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفْنَةً من الحصباء ، فاستقبل بها قريشا ، ثم قال : « شَاهَتِ الْوُجُوهُ [4] » ثم نفحهم بها [5] ، وأمر أصحابه فقال : « شدوا » فـكانت الهزيمة ؛ فقتل الله تعالى من قتل من صناديد [6] قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم

فلما وَضَعَ القوم أيديهم يأسرون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى

---

(١) بخ بخ ـ بسكون الخاء أو كسرها ـ كلمة تقال عند الاعجاب أو الفخر .

(٢) أحنه : أهلكه ، وأصله الحين ، وهو الهلاك

(٣) المستفتح : أراد الذى حكم على نفسه بهذا الدعاء

(٤) شاهت الوجوه : قبحت، وصارت شوها.

(٥) نفحهم بها : رماهم بها

(٦) الصناديد : جمع صنديد كقنديل، وهو الشريف السيد

العريش وسَعْدُ بن معاذ قائم على باب العريش الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَوَشِّحًا السيف فى نفر من الأنصار يَحْرُسُون رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخَافُونَ عليه كَرَّةَ العدو ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر لى — فى وجه سعد بن معاذ الكَرَاهِيَةَ لما يَصْنع الناس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَاللهِ لَكَأَنَّكَ يَاسَعْدُ تَكْرَهُ مَا يَصْنَعُ الْقَوْمُ » قال : أجل والله يا رسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ؛ فكان الإثخان (١) فى القتل أحبّ إلى من استبقاء الرجال

رسول الله ينهى عن قتل ناس من المشركين

قال ابن إسحق : وحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : « إِنِّى قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ رِجَالاً مِنْ بَنِى هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كُرْهًا لَاحَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا فَمَنْ لَقِىَ مِنْكُمْ أَحَداً مِنْ بَنِى هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ ، وَمَنْ لَقِىَ أَبَا الْبَخْتَرِىِّ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ أَسَدٍ فَلَا يَقْتُلْهُ وَمَنْ لَقِىَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِب عَمَّ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَلَا يَقْتُلْهُ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا » قال : فقال أبو حذيفة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس !! والله لئن لقيته لَأُلْحِمَنَّهُ السيف (قال ابن هشام : ويقال لَأُلْجِمَنَّهُ) قال : فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لعمر بن الخطاب : « يا أَبَا حَفْص » قال عمر : والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى حفص « أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بِالسَّيْفِ » ؟ فقال عمر : يارسول الله ، دعنى فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ بالسيف ، فوالله لقد نافق ، فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة

التي قلت يومئذ ،ولا أزال منها خائفا إلاأن تُكَفِّرَهَا عنى الشهادة ، فقتل يوم اليمامة شهيدا

قال ابن هشام (١) وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي الْبَخْتَرِيّ لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممَّنْ قام فى نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بنى هاشم و بنى المطلب ، فلقيه الْمُجَذَّرُ ابن ذياد الْبَلَوِيُّ حليف الأنصار ثم من بنى سالم بن عوف ، فقال المجذر لأبي البختري : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك ، ومع أبي البختري زَمِيلٌ له قد خرج معه من مكة ، وهو جُنَادة بن مُلَيْحَةَ بنت زهير بن الحرث بن أسد ، وجُنَادَةُ رجل من بنى لَيْث ، واسم أبي البختري العاص ، قال : وزميلي ؟ فقال له المجذَّرُ : لا والله ما نحن بتاركي زميلك ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك ، فقال : لا والله إذن لأمُوتَنَّ أنا وهو جميعا لا تُحَدِّث عنى نساء مكة أنى تركت زميلي حِرْصاً على الحياة ، فقال أبو البختري حين نازله المجذَّر وأبي إلا القتال يرتجز :-

لَنْ يُسْلِمَ ابْنُ حُرَّةٍ زَمِيلَهُ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ (٢)

فاقتتلا فقتله المجذر بن ذياد

وقال المجذَّر بن ذياد فى قتله أبا الْبَخْتَرِي : —

إِمَّا جَهِلْتَ أَوْ نَسِيتَ نَسَبِي فَأَثْبِتِ النِّسْبَةَ أَنِّي مِنْ بَلِي

---

(١) فى نسخة « قال ابن إسحاق »

(٢) « زميله » الزميل : الصاحب الذى يركب معه على بعير واحد

الطَّاعِنِينَ بِرِمَاحِ الْيَزَنِى
وَالضَّارِبِينَ الْكَبْشَ حَتَّى يَنْحَنِى (١)
بَشِّرْ بِيُتْمٍ مِنْ أَبِيهِ الْبَخْتَرِى أَوْ بَشِّرَنْ بِمِثْلِهَا مِنِّى بَنِى
أَنَا الَّذِى يُقَالُ أَصْلِى مِنْ بَلِى أَطْعُنُ بِالصَّعْدَةِ حَتَّى تَنْثَنِى (٢)
وَأَعْبِطُ الْقِرْنَ بِعَضْبٍ مَشْرَفِى أُرْزِمُ لِلْمَوْتِ كَإِرْزَامِ الْمَرِى (٣)
* فَلَا تَرَى مُجَذَّرًا يَفْرِى فَرِى * (٤)

قال ابن هشام : « المرى » عن غير ابن إسحق ، والمرى : الناقة التى يستنزل لبنها على عسر

قال ابن إسحق : ثم إن المجذَّر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: والذى بعثك بالحق لقد جَهِدْتُ عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى إلا أن يقاتلنى ، فقاتلته فقتلته

قال ابن هشام : أبو الْبَخْتَرِى: العاص بن هشام بن الحرث بن أسد

مقتل أمية ابن خلف

قال ابن إسحق : حدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه قال ابن إسحق : وحدَّثنيه أيضا عبد الله بن أبى بكر وغيرهما ، عن عبد الرحمن ابن عوف ، قال: كان أمية بن خلف لى صديقا بمكة ، وكان اسمى عَبْدَ عَمْرٍو

---

(١) « اليزنى » يريد ذا يزن ، وهو ملك من ملوك اليمن ، والكبش: رئيس القوم .

(٢) الصعدة فى الأصل : عصا الرمح ، ثم قد تطلق على الرمح نفسه لعلاقة المجاورة .

(٣) أعبط : أقتل ، وأصل العبط القتل من غير سبب ، والقرن : الذى يقاومك فى الحرب ، والعضب : السيف القاطع ، والمشرفى : المنسوب إلى المشارف ، وهى قرى بالشام ، وأرزم : أرغو كما ترغو الناقة

(٤) تقول : فرى يفرى فريا ؛ إذا أتى بأمر عجيب

فَتَسَمَّيْت حين أسلمت عبد الرحمن ونحن بمكة ، فكان يلقانى إذ نحن بمكة فيقول : ياعَبْـدَ عَمْرٍو ، أَرَغِبْتَ عن اسم سَمَّاكه أبواك[1] فأقول : نعم ، فيقول : فانى لا أعرف الرحمن فاجعل بينى و بينك شيئا أدعوك به ، أما أنت فلا تجيبنى باسمـك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بمـا لا أعرف ، قال: فـكان إذا دعانى يا عبـد عَمرٍو لم أجبه ، قال : فقلت له : يا أبا على ، اجعل ما شئت ، قال : فأنت عبدالإله ، قال : قلت : نعم ، قال : فـكنت إذا مررت به قال ياعبدالاله : فأجيبه ، فأتحدث معه ، حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه على بن أمية آخذ بيده ، ومعى أدراع لى قد استلبتها فأنا أحملها فلما رآنى قال لى : يا عبد عمرو ، فلم أجبه ، فقال : ياعبدَ الإله ، فقلت : نعم ، قال : هل لك فى فأنا خير لك من هذه الأدراع التى معك ؟ قال : قلت : نعم ها الله[2] إذًا ، قال : فطرحت الأدراع من يدى ، وأخذت بيده و يد ابنه وهو يقول : ما رأيت كاليوم قَطُّ ! ! أما لكم حاجة فى اللبن ؟ ثم خرجت أمشى بهما

شهادة أمية بن خلف لحمزة بن عبد المطلب

قال ابن هشام: يريد باللبن أنَّ من أسرنى افتديت منه بابل كثيرة اللبن .

قال ابن إسحق : حدثنى عبدُ الواحد بن أبى عون ، عن سعيد بن إبراهيم[3] ، عن أبيه ، عن عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه ، قال : قال لى أمية بن خلف وأنا بينه و بين ابنه آخذ بأيديهما : ياعبدالإله مَنِ الرَّجُلُ منكم الْمُعَلَّمُ بريشةِ نعامةٍ فى صدره ؟ قال : قلت : ذاكَ حَمْزَةُ بن عبد المطلب ، قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل ، قال عبد الرحمن : فوالله

---

(١) فى نسخة « أبوك »

(٢) مما يستعملونه فى القسم أن يحذفوا حرف القسم ويذكروا فى مكانه «ها» فكأنه قال . والله إذا

(٣) فى نسخة « عن سعد بن إبراهيم »

إنى لأقودهما إذ رآه بلالٌ معى ، وكان هو الذى يُعَذِّب بلالاً بمكة على ترك الاسلام ، فيخرجه إلى رَمْضَاء (١) مكة إذا حميت فَيُضْجِعه على ظَهْره ثم يأمر بالصَّخْرة العظيمة فتوضَع على صدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد ، فيقول بلال: «أَحَدٌ أَحَدٌ» قال : فلما رآه قال : رأسُ الكفر أُمَيَّةُ بن خلف ، لَا نَجَوْتُ إنْ نجَا ، قال : قلت : أىْ بِلَالُ أ[بأ]سيرى ؟ قال : لا نَجَوْتُ إن نجا ، قال : قلت : أتسمع يا ابْنَ السَّوْدَاء ؟ قال: لا نجوْتُ إن نجا ، قال: ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأسُ الكفر أمية بن خلف ، لا نجَوْتُ إن نجا ، قال : فأحاطوا بنا ، حتى جعلونا فى مثل الْمَسَكَة (٢) وأنا أذُبُّ عنه ، قال : فأخلف رجل السيف (٣) فضرب رجلٌ ابنه فوقع وصاح أميةُ صيْحَةً ما سمعت بمثلها قَطّ ، قال : فقلت: انْجُ بنفسك ولا نَجَاء بك ، فوالله ما أُغنى عنك شيئا، قال : فَهَبَرُوهُمَا (٤) بأسيافهم ، حتى فرغوا منهما ، قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحم الله بلالاً ذهبت أدراعى وفَجَعَنِى بأسيرى .

شهود الملائكة وقعة بدر

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حُدِّث عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : حدثنى رجل من بنى غِفار ، قال : أقبلت أنا وابن عمٍّ لى حتى أصْعَدْنا فى جبل يُشْرِف بنا على بدر ، ونحن مشركان، ننتظر الوقعة على من تكون الدَّبْرَةُ (٥) فننتهب مع من ينتهب، قال: فبينا نحن فى الجبل

(١) الرمضاء : الرمل الشديد الحرارة من الشمس

(٢) المسكة : السوار من عاج أو ذبل ، والذبل : جلدة السلحفاة البرية

(٣) يقال : أخلف الرجل إلى سيفه ، إذا رد يده إليه فسله من غمده

(٤) هبروهما : قطعوا لحمهما ، تقول : هبرت اللحم ؛ إذا قطعته قطعا كبارا .

(٥) « على من تكون الدبرة » أى على من تكون الدائرة

إذْ دَنَتْ منا سحابَة ، فسمعنا فيها حَمْحَمَةَ الخيل ، فسمعت قائلا يقول : أَقْدُمْ حَيْزُومُ ؛ فأما ابن عمى فانكشف قِنَاعُ قلبه ، فمات مكانه ، وأما أنا فكِدْتُ أهلكُ ، ثم تماسكت

قال ابن إسحق : وحدثنى عبدُ الله بن أبى بكر ، عن بعض بنى ساعدة عن أبى أُسَيْدٍ مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدرا ، قال بعد أن ذهب بصره: لو كنت اليوم ببدر ومعى بصرى لأرَيْتُكم الشِّعْبَ (١) الذى خرجت منه الملائكة ، لا أشك فيه ، ولا أتمارى

قال ابن إسحق : وحدثنى أبى إسحقُ بن يسار ، عن رجال من بنى مازِنِ بن النَّجَّار ، عن أبى داود المازنى ، وكان شهد بدرا ، قال : إنى لأَتْبَعُ رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفى فعرفت أنه قد قتله غيرى

قال ابن إسحق: وحدثنى من لا أتهم ، عن مِقْسَم مولى عبد الله بن الحرث ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال: كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بِيضاً قد أرسلوها على ظهورهم ، ويوم حُنَيْنٍ عمائمَ حُمْراً

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال : العَمَائِم تيجان العرب ، وكانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرْخَوْهَا على ظهورهم ، إلا جبريل ؛ فانه كانت عليه عمامة صفراء

قال ابن إسحق : وحدثنى من لا أتهم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : ولم تقاتل الملائكة فى يوم سوى [يوم] بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددا ومددا لا يضربون

(١) الشعب : ما انفرج بين جبلين

مقتل أبى جهل.
بن هشام

قال ابن إسحق : وأقبل أبوجهل يومئذ يرتجز ، وهو يقاتل و يقول[1] :ـ

مَاتَنْقِمُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ مِنِّى بَازِلُ عَامَيْنِ حَدِيثُ سِنِّى[2]

* لِمِثْلِ هٰذَا وَلَدَتْنِى أُمِّى *

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر « أَحَدٌ أَحَدٌ »

قال ابن إسحق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر بأبى جهل [بن هشام] أن يلتمس فى القتلى ، وكان أول من لقى أبا جهل - كما حدثنى ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، وعبد الله بن أبى بكر أيضا قد حدثنى ذلك ـ قالا : قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بنى سلمة : سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحَرَجة (قال ابن هشام : الحَرَجَةُ : الشجر الملتف ، و فى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سأل أعرابيا عن الحَرَجَةِ ، فقال : هى شجرة بين الأشجار لا يوصل إليها) وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخلَصُ إليه ، قال : فلما سمعتها جعلته من شأنى ، فَصَمَدْتُ[3] نحوه ، فلما أمكننى حملت عليه ، فضربته ضربة أَطَنَّتْ قَدَمَهُ بنصْف ساقه ، فوالله ما شَبَّهْتُهَا ـ حين طاحت ـ[4] إلا بالنواة تَطِيحُ من تحت مِرْضَخَةِ[5] النَّوَى حين يُضْرَبُ بها ؛ قال : وضربنى ابنُهُ

---

(١) يقال : هذا الرجز ليس لأبى جهل ، وإنما تمثل به

(٢) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد مرة ؛ والبازل : الذى فطر نابه ، وهو فى ذلك السن تكمل قوته ،

(٣) صمدت نحوه : قصدت إلى جهته

(٤) طاحت : ذهبت

(٥) المرضخة : الحجر الذى يكسر به النوى

عِكْرِمة على عاتقي فطرح يدي : فتعلَّقتْ بجلدة من جنبي ، وأَجْهَضَني (١) القتال عنه ، فلقد قاتلت عامَّةَ يومي وإني لَأَسْحَبُها خلفي ، فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تَمَطَّيْتُ بها عليها حتى طرحتها

قال ابن هشام : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان

ثم مر بأبي جهل ، وهو عَقِيرٌ ، مُعَوِّذُ بن عَفْراء ، فضربه حتى أثبته فتركه وبه رَمَقٌ ، وقاتل مَعَوِّذٌ حتى قُتِلَ ، فمرَّ عبدُ الله بن مسعود بأبي جهل — حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس في القتلى — وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني : « انْظُرُوا إِنْ خَفِيَ عليكم في القتلى إلى أَثَرِ جُرْحٍ في ركبته ، فإنِّي ازْدَحَمْتُ يوما أنا وهو على مَأْدُبَةٍ لعبد الله بن جُدْعَان ، ونحن غلامان ، وكنت أَشَفَّ منه بيسير ، فدفعته ، فوقع على ركبتيه ، فَجُحِشَ في إحداهما جَحْشاً لم يزل أثره به »

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : فوجدته بآخر رَمَقٍ ، فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ، قال : وقد كان ضَبَثَ بي مرةً بمكة فآذاني ولكزني ؛ ثم قلت له : هل أَخْزَاكَ الله ياعدوَّ الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ؟!! أَأَعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ قتلتموه (٢) ؟ أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله

قال ابن هشام : ضَبَثَ : قبض عليه ولزمه ، قال ضابئُ بن الحرث البُرْجُميُّ [قبيل من تميم] : —

فأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ
مِنَ الْوُدِّ مِثْلَ الضَّابِثِ الْمَاءَ بِالْيَدِ

---

(١) أجهضني : غلبني واشتد علي

(٢) قال أبو ذر : « أعمد من رجل قتلتموه ، قال ابن سراج : أعمد يريد أكبر من رجل قتلتموه ، على سبيل التحقير منه لفعلهم به ، وعميد القوم : سيدهم » اه

قال ابن هشام : ويقال : أعَارٌ على رجل قتلتموه ، أَخْبِرْنِي لمن الدَّبْرَةُ اليوم .

قال ابن إسحق : وزعم رجالٌ من بنى مخزوم أن ابن مسعود كان يقول : قال لى : لَقَدِ ارْتَقَيْتَ مُرْتقًى صَعْبًا يَارُوَيْعِيَ الغنم ، قال : ثم احْتَزَزْتُ رأسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله ، هذَا رَأسُ عدوِّ الله أبى جهل ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آللهِ الَّذِى لاَ إِلٰهَ غَيْرُهُ » قال : وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قلت : نعم ، والله الذى لا إلٰهَ غيره ، ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله

قال ابن هشام: وحدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لسعيد بن العاص وَمَرَّ به: إنى أراك كأنَّ فى نفسك شيئاً ، أراك تظن أنى قتلت أباك ، إنى لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله ، ولكنى قتلت خالى العاصَ بْنَ هشام ابن المغيرة ، فأما أبوك فانى مررت به وهو يَبْحَثُ بَحْثَ الثَّوْرِ بِرَوْقِهِ ، فَحِدْتُ عنه [1] وقَصَدَ له ابن عمه عَلِيٌّ فقتله

سيف عكاشة ابن محصن

قال ابن إسحق : وقاتل عُكَّاشةُ بن مِحْصَنِ بن حُرْثَان الْأَسَدى حليفُ بنى عبد شمس بن عبد مناف يَوْمَ بدر بسَيْفه حتى انْقَطَعَ فى يده ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه جِذْلاً [2] من حطب ، فقال : « قاتِلْ بِهذَا ياعُكَّاشَةُ » فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هَزَّه فعاد سيفا فى يده طويلَ القامة ، شديدَ الْمَتْن ، أبْيَضَ الحديدة ،

(١) حدت عنه : ملت وعدلت عنه

(٢) الجذل ـ بكسر فسكون ـ أصل الشجرة

فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين ، وكان ذلك السيف يُسَمَّى الْعَوْنَ ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل فى الردة وهو عنده ، قتله طُلَيْحَةُ بن خُوَيْلد الأسدى ، فقال طليحة فى ذلك : —

فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْقَوْمِ إِذْ تَقْتُلُونَهُمْ ... أَلَيْسُوا وإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا بِرِجَالِ
فَإِنْ تَكَ أَذْوَادٌ أُصِبْنَ وَنِسْوَةٌ ... فَلَنْ يَذْهَبُوا فَرْغًا بِقَتْلِ حِبَالِ [(١)]
نَصَبْتُ لَهُمْ صَدْرَ الْحِمَالَةِ إِنَّهَا ... مُعَاوِدَةٌ قِيلَ الْكُمَاةِ نَزَالِ [(٢)]
فَيَوْمًا تَرَاهَا فِى الْجِلَالِ مَصُونَةً ... وَيَوْمًا تَرَاهَا غَيْرَ ذَاتِ جِلَالِ [(٣)]
عَشِيَّةَ غَادَرْتُ ابْنَ أَقْرَمَ ثَاوِيًا ... وَعُكَّاشَةَ الْغَنْمِيَّ عِنْدَ مَجَالِ [(٤)]

قال ابن هشام : حِبَال : ابن طليحة بن خويلد ، وابن أقرم : ثابت ابن أقرم الأنصارى

شهادة النبى لعكاشة بن محصن

قال ابن إسحق : وعكاشة بن محصن الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » قال : يارسول الله ، أُدع الله أن يجعلنى منهم ، قال : « إِنَّكَ مِنْهُمْ » أو « اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ » فقام رجل من الأنصار فقال : يارسول الله ، أُدع الله أن يجعلنى منهم ، قال :

---

(١) أذواد : جمع ذود ، وهو بفتح فسكون مابين الثلاث إلى العشر من الابل ، والفرغ : الباطل ، وحبال : ابن طليحة كما قال هشام

(٢) الحمالة : اسم فرس طليحة ، و« قيل الكماة » وقع فى نسخة « قتل الكماة » والكماة : الشجعان ، ونزال : اسم فعل أمر بمعنى انزلوا

(٣) الجلال : جمع جل

(٤) ثاويا : مقيما

« سَبَقَكَ بها عُكاشَةُ وَبَرَدَتِ الدَّعْوَةُ (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى عن أهله : « مِنَّا خَيْرُ فارِسٍ فِى الْعَرَبِ » قالوا : من هو يارسول الله ؟ قال : « عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ » فقال ضرار بن الأزور الأسدى : ذاك رجل منا يارسول الله ، قال : « لَيْسَ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُ مِنَّا » للحلف

قال ابن هشام : ونادى أبو بكر الصديق رضى الله عنه ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين ، فقال: أَيْنَ مالى ياخبيث ؟ فقال عبد الرحمن : —

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ شِكَّةٍ وَيَعْبُوبْ وَصَارِمٍ يَقْتُلُ ضُلَّالَ الشِّيبْ (٢)

فيما ذكر لى عن عبد العزيز بن محمد الدراوردى

طرح المشركين فى القليب

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يُطْرَحوا فى القليب (٣) طُرِحُوا فيه ، إلا ما كان من أمية بن خلف ، فانه انْتَفَخَ فِى دِرْعِهِ ، فملأها ، فذهبوا ليُحَرِّكُوهُ ، فتزايل لحمه (٤) ، فأقَرُّوه ، وألقَوْا عليه ماغَيَّبَه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم فى القليب وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « ياأَهْلَ الْقَلِيبِ هَلْ وَجَدْتُمْ مَاوَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا فإِنِّى قَدْ وجَدْتُ ماوَعَدَنِى رَبِّى حَقًّا » ؟ قالت : فقال له أصحابه : يارسول الله ، أتُكَلِّمُ قوماً موتى ؟ فقال

دعاء النبى أهل القليب

---

(١) بردت الدعوة : ثبتت ، تقول : برد لى على فلان حق ؛ إذا ثبت

(٢) الشكة — بكسر الشين وتشديد الكاف — السلاح ، واليعبوب : الفرس الكثير الجرى ، والصارم : السيف القاطع ، وضلال : جمع ضال: والشيب : جمع أشيب

(٣) القليب : البئر

(٤) تزايل لحمه : تفرقت أعضاؤه

لهم : « لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ماوَعَدَهُمْ رَبُّهُمْ حَقٌّ » قالت عائشة : والنــاس يقولون : « لَقَدْ سَمِعُوا ماقُلْتُ لَهُمْ » وإنما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وَسلم « لَقَدْ عَلِمُوا »

قال ابن إسحق : وحدثنى حُمَيْدٌ الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل وهو يقول : « ياأَهْلَ الْقَلِيبِ ، ياعُتْبَةَ بْنَ رَبيعة ، وياشَيْبَة ابن ربيعة ، ويا أُمَيَّةُ بن خلف ، و ياأبا جهل بن هشام » فعـدَّد من كان منهم فى القليب « هَلْ وجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حقًّا ؟ فإِنِّى قَدْ وَجَدْتُ ماوَعَدَنِى رَبِّى حقًّا » فقال المسلمون : يارسول الله ، أتنادى قوماً قد جَيَّفُوا(١) قال : « ما أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، ولٰـكِنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُونِى »

قال ابن إسحق : وحـدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم هذه المقالة : « يَاأَهْلَ الْقَلِيبِ ، بِئْسَ عَشِيرَةُ النَّبِيِّ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ : كَذَّبْتُمُونِى وَصَدَّقَنِى النَّاسُ ، وَأَخْرَجْتُمُونِى وَآوَانِى النَّاسُ ، وَقَاتَلْتُمُونِى ونَصَرَنِى النَّاسُ » ثم قَال : « هَلْ وَجَدْتُمْ مَاوَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا » للمقالة التى قال

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه : —

قصيدة لحسان ابن ثابت

عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْـكَثِيبِ
كَخَطِّ الْوَحْيِ فِى الْوَرَقِ الْقَشِيبِ (٢)

---

(١) جيفوا : أى صاروا جيفا

(٢) الكثيب : ما اجتمع وتكدس من الرمل ، والوحى : الكتابة ، قال ابن الأثير : « الوحى : الكتابة والخط ، يقال : وحيت الكتاب وحيا

تَدَاوَلَهَا الرِّيَاحُ وَكُلُّ جَوْنٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ مُنْهَمِرٍ سَكُوبِ (١)
فَأَمْسَى رَسْمُهَا خَلَقاً وَأَمْسَتْ يَبَاباً بَعْدَ سَاكِنِهَا الْحَبِيبِ (٢)
فَدَعْ عَنْكَ التَّذَكُّرَ كُلَّ يَوْمٍ وَرُدَّ حَرَارَةَ الصَّدْرِ الْكَئِيبِ (٣)
وَخَبِّرْ بِالَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ بِصِدْقٍ غَيْرِ إِخْبَارِ الْكَذُوبِ
بِمَا صَنَعَ الْمَلِيكُ غَدَاةَ بَدْرٍ لَنَا فِي الْمُشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
غَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمُ حِرَاءٌ بَدَتْ أَرْكَانُهُ جُنْحَ الْغُرُوبِ (٤)
فَلَاقَيْنَاهُمُ مِنَّا بِجَمْعٍ كَأُسْدِ الْغَابِ مُرْدَانٍ وَشِيبِ (٥)
أَمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ وَازَرُوهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي لَفْحِ الْحُرُوبِ (٦)

فأنا واح » اهـ ، والقشيب : الجديد

(١) الجون : السحاب الأسود ، والوسمى : مطر الخريف ، والمنهمر : الذى ينصب بشدة ، وسكوب : أى كثير السيلان

(٢) يبابا : قفرا

(٣) الكئيب : الحزين

(٤) حراء : جبل بمكة ، وجنح الغروب : أى حين تميل الشمس إلى الغروب ؛ ويروى « جنح الغيوب » والغيوب : جمع غيب ، وهو المطمئن من الأرض ، وجنحه : أى ناحيته ، يشبه جيش المشركين بجبل أحد وقد ارتفع وما حوله منخفض ، وقد يكون الغيوب مصدرا بمعنى الغروب ؛ تقول : غاب الشيء غيبة وغيابا وغيبوبة وغيوبا وغيوبة ومغابا ومغيبا

(٥) الغاب : جمع غابة ، وهى الشجر الملتف تكون فيه الأسود ، ومردان : جمع أمرد ، وشيب : جمع أشيب

(٦) وازروه : عاونوه ، ويروى آزروه ، واللفح ـ بالفاء ـ الحر ، يقال : لفحته النار ؛ إذا أصابه حرها ، ويروى لقح ـ بالقاف ـ فمعناه التزيد والنمو ، يقال : لقحت الحرب ؛ إذا اشتد لهبها وزادت ، وأصله من لقاح النوق ، قال : ـــ

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ

بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٌ
وَكُلُّ مُجَرَّبٍ خَاظِي الْكُعُوبِ (١)

بَنُو الْأَوْسِ الْغَطَارِفُ وَازَرَتْهَا
بَنُو النَّجَّارِ فِي الدِّينِ الصَّلِيبِ (٢)

فَغَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيعاً وَعُتْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا بِالْجَبُوبِ (٣)
وَشَيْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا فِي رِجَالٍ ذَوِي حَسَبٍ إِذَا نُسِبُوا حَسِيبِ
يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللهِ لَمَّا قَذَفْنَاهُمْ كَبَاكِبَ فِي الْقَلِيبِ (٤)
أَلَمْ تَجِدُوا كَلَامِي كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ (٥)
فَمَا نَطَقُوا؛ وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا صَدَقْتَ وَكُنْتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبِ

قال ابن إسحق: ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم أنْ يُلْقَوْا في القليب أُخِذَ عتبة بن ربيعة فَسُحِبَ (٦) إلى القليب، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم -فيما بلغني- في وجه أبي حذيفة بن عتبة، فاذا هو كئيب قد تغير [لَوْنُهُ] فقال: «يَا أَبَا حُذَيْفَةَ لَعَلَّكَ قَدْ دَخَلَكَ مِنْ شَأْنِ أَبِيكَ شَيْءٌ» أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فقال: لا والله يا رسول الله،

(١) الصوارم: جمع صارم، وهو السيف، والمرهفات: القاطعة، والكعوب: جمع كعب، وهو عقد القناة، وخاظي الكعوب: أي مكتنز شديد

(٢) الغطارف: جمع غطريف، وهو السيد، وكان حق الجمع أن يقول غطاريف، إلا أنه حذف الياء لاقامة الوزن، والصليب: الشديد المتين القوى.

(٣) الجبوب: الأرض الغليظة، ويقال: الجبوب وجه الأرض، وقال بعض أهل اللغة: الجبوب: المدر، واحدته جبوبة

(٤) كباكب: جمع كبكبة، وهي الجماعة من الناس، والقليب: البئر

(٥) «ألم تجدوا كلامي» يروى في مكانه «ألم تجدوا حديثي» وهذا إشارة إلى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله لأهل القليب، وقد سبق ذكره قريبا.

(٦) سحب: معناه أنهم جروه ليصلوا به البئر فيقذفوه

ماشككت فى أبى ولا فى مَصْرَعِهِ ، ولكننى كنت أعرف من أبى رَأْيًا وَحِلْمًا وَفَضْلاً ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الاسلام ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له أحزَنَنِي ذلك ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال له خيرا

ذكر الفتية الذين أنزل الله فيهم
(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ)

وكان الفتية الذين قتلوا ببدر فنزل فيهم من القرآن ـ فيما ذكر لنا ـ (٤ : ٩٧) : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) فتية مسلمين : من بنى أسد بن عبد الْعُزَّى بن قُصَى : الْحَرثُ بن زَمْعَةَ بن الأسود [بن المطلب بن أسد] ؛ ومن بنى مَخْزُوم : أبو قَيْس بن الْفَاكِه بن الْمُغِيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وأبو قَيْس بن الْوَليد بن الْمُغِيرة بن عَبْد الله بن عُمَر بن مخزوم ؛ ومن بنى جُمَحَ : علىُّ بن أُمَيَّةَ بن خَلَف بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح ، ومن بنى سَهْم : الْعَاصُ بن مُنَبِّه بن الْحَجَّاج ابن عامر بن حُذَيفة بن سَعْد بن سهم

وذلك أنهم كانوا أَسْلَمُوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حَبَسَهُمْ آباؤهم وعشائرهم بمكة وَفَتَنُوهُمْ ، فَافْتَتَنُوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر ، فأُصِيبُوا به جميعا

ذكر الفىء ببدر والأسارى

اختلاف المسلمين فيمن يأخذ الغنائم

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما فى العسكر مِمَّا جَمَعَ الناسُ فجمع ، فَاخْتَلَفَ المسلمون فيه ، فقال مَنْ جَمَعَه : هو لنا ، وقال الذين كانوا

يقاتلون العدو و يطلبونه : والله لَوْلاَ نحن ما أصبتموه ، لَنَحْن شَغَلْنَا عنكم القوم حتى أَصَبْتُمْ ما أصبتم ، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يخالف إليه العدو : والله ما أنتم بأَحَقّ به مِنَّا ، لقد رأينا أن نقتل العدو إذ مَنَحنَا الله تعالى أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، ولكنا خِفْنَا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كَرَّةَ العدو ، فَقُمْنَا دونه ، فما أنتم بأَحَقّ به منا

قال ابن إسحق : وحدثني عبد الرحمن بن الحرث وغيره [من أصحابنا ،] عن سليمان بن موسى ، عن مكحول ، عن أبي أمامة الباهلي (واسمه صُدَىُّ ابن عجلان ، فيما قال ابن هشام) قال : سألت عُبَادَةَ بن الصَّامِت عن الأنفال ، فقال : فينا أصحابَ بدر نزلت حين اختلفنا فى النَّفَل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بَوَاء ، يقول : على السَّوَاء .

قال ابن إسحق : وحدثني عبدُ الله بن أبي بكر ، قال : حدثني بعضُ بني ساعدة ، عن أبي أُسَيْد السَّاعِدِىّ مالك بن ربيعة ، قال : أصبتُ سَيْفَ بني عائذ المخزوميين [الذى يسمى] المَرْزُبَانَ يوم بدر ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يَرُدوا ما فى أيديهم من النَّفَل أقبلتُ حتى ألقيته فى النَّفَل ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئا سُئِلَه ، فعرفه الأرْقَمُ بن أبي الأرقم ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه إياه

رسول الله يرسل من يبشر أهل المدينة بانتصاره

قال ابن إسحق : ثم بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبدَ الله بن رَوَاحَةَ بَشِيراً إلى أهل العالية بما فتح الله عز وجل على رسول

الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، وبعث زَيْدَ بن حارثة إلى أهل السّافلة ، قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبرُ — حين سَوَّيْنَا التُّرَابَ (١) على رُقَيَّةَ ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كانت عند عثمان بن عفان رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خَلَّفَنى عليها مع عثمان — أنَّ زيد بن حارثة قَدِمَ ، قال : فجئته وهو واقف بالمصلَّى وقد غشيه الناس وهو يقول : قتِلَ عتْبَةُ بن ربيعة ، وشيْبَةُ بن ربيعة ، وأبو جَهْل بن هشام ، وزَمْعَة بن الأسْوَد ، وأبُو البَخْتَرِىّ العاصُ بن هشام ، وأمَيَّةُ بن خَلَف وُنَبَيْهٌ ومُنَبِّه ابنا الحجاج ، قال : قلتُ : يا أبت أحَقٌّ هٰذا ؟ قال : نعم والله يا بُنَىَّ .

عودة رسول الله إلى المدينة ومعه الأسارى

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين ، وفيهم عُقْبَةُ بن أبى مُعَيْط ، والنَّضْرُ بن الْحرث ، واحتمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معه النَّفَلَ الذى أصيب من المشركين ، وجعل على النَّفَلِ عَبْدَ الله بن كَعْب بن عَمْرو بن عَوْف بن مَبْذُول بن عَمْرو ابن غَنْم بن مازن بن النَّجَّار ؛ فقال راجز من المسلمين

قال ابن هشام : يقال : إنه عَدِىُّ بن أبى الزَّغْبَاء : —

أَقِمْ لَهَا صُدُورَهَا يَا بَسْبَسُ ... لَيْسَ بِذِى الطَّلْحِ لَهَا مُعَرَّسُ (٢)
وَلاَ بِصَحْرَاءِ غُمَيْرٍ مَحْبِسُ ... إِنَّ مَطَايَا الْقَوْمِ لاَ تُخَيَّسُ (٣)

---

(١) يريد دفنوها وسووا التراب على قبرها

(٢) ذو الطلح : مكان ، ومعرس : اسم مكان من التعريس : وهو النزول ليلا

(٣) صحراء غمير : يروى بالعين المهملة وبالغين المعجمة ، قال أبو ذر : « وبالغين معجمة هو المشهور فيه » : اه ومحبس : مكان تحبس فيه وتمنع

تَحْمِلُهَا عَلَى الطَّرِيقِ أَكْيَسُ قَدْ نَصَرَ اللهُ وَفَرَّ الْأَخْنَسُ[1]

المكان الذى قسم رسول الله النفل فيه

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا خرج من مَضِيق الصفْرَاء نزل على كثيب بين المضيق و بين النازية ، يقال له : سَيَر ، إلى سَرْحة به ، فقسم هنالك النفَلَ الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السَّوَاء

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سَلَمَة بن سَلَامة — كما حدثنى عاصم بن عُمَر بن قتادة و يزيد بن رُومَان — : ماالذى تهنئوننا به ؟ فو الله إنْ لَقِينا إلا عَجائز صُلْعاً كالْبُدْنِ[2] الْمعَقَّلة فنحرناها ، فتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « أى ابْنَ أخِي أولئكَ الْمَلأُ »

قال ابن هشام : الملأ : الأشراف والرؤساء

مقتل النضر ابن الحرث

قال ابن إسحق : حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصَّفْرَاء قَتَلَ النَّضْرَ بن الحرث ، قتله عليٌّ بن أبى طالب ، كما أخبرنى بعضُ أهل العلم من أهل مكة

مقتل عقبة بن أبى معيط

قال ابن إسحق : ثم خرج حتى إذا كان بِعِرْقِ الظَّبْيَة قتل عُقْبَة بن أبى معيط

قال ابن هشام : عرق الظُّبْيَة عن غير ابن إسحق

السير ، ولا تخيس : أى لا تذلل ، والتخييس : التذلل ، والانسان يخيس فى السجن : أى يذلل ويهان

(١) أكيس : أحزم ، والأخنس : هو الأخنس بن شريق

(٢) البدن : الابل التى تهدى إلى مكة ، والمعقلة : المقيدة

قال ابن إسحق : والذى أسر عقبة عبدُ الله بن سَلِمَة أحد بنى الْعَجْلَان

قال ابن إسحق : فقال عُقْبَةُ حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله : فَمَنْ لِلصِّبْيَة يا محمد ؟ قال : « النَّار » فقتله عاصم بن ثابت بن أبى الْأَقْلَح الأنصارى أخو بنى عَمْرو بن عَوْف ، كما حدثنى أبو عُبَيْدَة بن محمد بن عَمَّار بن ياسر

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه فيما ذكر لى ابن شهاب الزُّهْرِىُّ وَغَيْرُهُ من أهل العلم

أبو هند مولى فروة بن عمرو حجام رسول الله

قال ابن إسحق : ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع أبو هِنْد مَوْلَى فَرْوَةَ بن عَمْرٍو الْبَيَاضِىّ بِحَمِيت مملوء حَيْسًا (١)

قال ابن هشام : الْحَمِيتُ : الزِّقُّ

وكان قد تَخَلَّفَ عن بدر ، ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو كان حَجَّام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا أَبُو هِنْد امْرُؤٌ مِنَ الْأَنْصَار فَأَنْكِحُوه وَانْكِحُوا إِلَيْهِ » ففعلوا

قال ابن إسحق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أن يَحْيَى بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرَارَةَ قال : قدم بالأسارى حين قدم بهم ، وسَوْدَةُ بنت زَمْعَةَ زوج النبى صلى الله عليه وسلم عند آل عفراء

---

(١) الحيس : السمن والأقط

فى مَنَاحَتِهم عَلَى عَوْفٍ وَمُعَوِّذٍ ابْنَىْ عفْرَاء ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب

قال : تقول سودة : والله إنى لعندهم إذ أُتِينَا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أُتِىَ بهم ، قالت : فرجعت إلى بيتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وإذا أبو يزيد سُهَيْلُ بن عَمْرٍو فى ناحية الحجرة مجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إلى عنقه بحَبْل ، قالت : فَلاَ والله مَا مَلَكْتُ نَفْسى — حِينَ رأيت أبا يزيد كذلك — أن قلت : أى أبا يزيد ، أعطَيْتُمْ بأيديكم ، أَلاَ مُتُّمْ كِرَامًا ، فوالله ما أنبهنى إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت : « يَاسَوْدَةُ أَعَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ تُحَرِّضِينَ » ؟ قالت : قلت : يارسول الله ، والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى حين رأيت أبايزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت

رسول الله يوصى بالأسارى خيراً

قال ابن إسحق : وحدثنى نُبَيْهُ بن وَهْب أخو بنى عبد الدّار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين أقبل بالأسارى — فرقهم بين أصحابه ، وقال : « اسْتَوْصُوا بالأَسَارَى خَيْراً » قال : فكان أبو عَزِيزِ بن عُمَيْر ابن هاشم أخو مُصْعَب بن عمير لأبيه وأمه فى الأسارى ، قال : فقال أبو عَزِيز : مَرَّ بى أخى مُصْعَب بن عمير ورجل من الأنصار يَأْسِرُنى ، فقال : شُدَّ يَدَكَ به ، فإنَّ أمه ذَاتُ مَتَاعٍ لعلها تَفْدِيه منك ، قال : وكنت فى رَهْطٍ من الأنصار — حين أقبلوا بى من بدر — فكانوا إذا قدموا غَدَاءهم أو عَشَاءهم خَصُّونى بالخبز وأكلوا التمر ؛ لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقع فى يد رجل منهم كِسْرَةُ خبز إلا نفحنى بها ، قال : فأستحِى فأردها [على أحدهم] ، فيردها على ما يمسها

قال ابن هشام : وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر ، بَعْدَ

النَّضْر بن الحرث ، فلما قال أخوه مصعب [بن عمير] لأبي اليسر — وهو الذى أسره — ما قال قال له أبو عزيز : يا أخى ، هذه وصاتك بى ؟ فقال له مصعب : إنه أخى دونك ، فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي ، فقيل لها : أربعة آلاف درهم ، فبعثت بأربعة آلاف درهم ، ففدته بها

بلوغ مصاب قريش إلى مكة

قال ابن إسحق : وكان أولَ من قدم مكة بمصاب قريش الحَيْسُمَانُ بن عبد الله الخزاعى ، فقالوا : ماوراءك ؟ قال : قُتِلَ عُتْبَة بن رَبيعة ، وشَيْبَة ابن رَبيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأُمَيَّةُ بن خَلَف ، وزَمْعَة بن الأسود ، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحَجَّاج ، وأبو البَخْتَرىّ بن هشام ؛ فلما جعل يُعَدِّد أشرافَ قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد فى الحجر : والله إن يَعْقِلُ هذا ، فاسألوه عنى ، فقالوا : [و] مافعل صَفْوَانُ بن أُمَيَّة ؟ قال : هاهوذاك جالسا فى الحجر ، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتِلاَ

أبو لهب يموت جزعا مما حدث لقريش فى بدر

قال ابن إسحق : وحدثنى حُسَيْن بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنتُ غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الاسلام قد دَخَلَنا أهلَ البيت ، فأسلم العباس ، وأسلمت أمُّ الْفَضْلِ ، وأسلمتُ ، وكان العباس يَهَابُ قومَه ويَكْرَه خلافهم ، وكان يكتم إسلامه ، وكان ذامالٍ كثير مُتَفَرِّقٍ فى قومه ، وكان أبو لَهَبٍ قد تخلَّفَ عن بدر ، فبعث مكانه العاصى بن هشام ابن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا : لم يتخلَّفْ رجل إلا بَعَثَ مكانه رجلاً فلما جاءه الخبر عن مُصَاب أصحاب بدر من قريش كبته الله (١) وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوةً وعزا

---

(١) كبته الله : أذله ، ويقال : صرعه لوجهه ، ويقال : أهلكه

قال : وكنتُ رجلاً ضعيفا ، وكنت أعمل الأقْدَاح (١) : أنحِتُهَا في حُجْرَةِ زمزم ، فوالله إني لجالس فيها أنْحِتُ (٢) أقْدَاحِي ، وعندي أمُّ الفضل جالسة وقد سَرَّنا ماجاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشرٍّ ، حتى جلس على طُنُب الحجرة (٣) ، فكان ظهره إلى ظهري ، فبينما هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب (قال ابن هشام : واسم أبي سفيان المغيرة) قد قدم ، قال : فقال له أبو لهب : هَلُمَّ إليّ فعندك لعمري الخبر ، قال : فجلس [إليه] والناس قيام عليه ، فقال ياابن أخي ، أخْبِرْني كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ماهو إلا أن لقينا القومَ فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا و يأسروننا كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك ما لُمْتُ الناس ؛ لقينا رجالاً بيضاً على خيل بُلْقٍ بين السماء والأرض ، والله ما تُلِيقُ شيئا (٤) ولا يقوم لها شيء ، قال أبو رافع : فرفعتُ طُنُبَ الحجرة (٥) بيدي ، ثم قلتُ :تلك والله الملائكة ، قال : فرفع أبو لهب يَدَهُ فضرب بها وجهي ضربة شديدة قال :وثاورته (٥) فاحتملني فضرب بي الأرض ثم برك عليَّ يضربني ، وكنت رجلا ضعيفا ، فقامت أمُّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحجرة فأخَذَتْهُ ، فضربته به ضربة فَلَعَتْ (٦) في رأسه شَجَّةً مُنْكَرَة ، وقالت : استضعفته أنْ غَابَ عنه سيده ؟ فقام مُوَلِّيًا ذليلا ، فوالله ماعاش إلا سَبْعَ ليال حتى رماه الله بالعَدَسَة (٧) فقتلته

---

(١) الأقداح : جمع قدح ، يريد أنه كان يصنعها من الخشب

(٢) أنحت ـ من باب ضرب ـ أي أنجرها

(٣) طنب الحجرة : طرفها ، وطنب الخباء : حباله التي يشد بها

(٤) ماتليق شيئا : أي مانبقي شيئا

(٥) ثاورته : وثبت إليه

(٦) فلعت ـ بالعين مهملة ، و بالغين معجمة في بعض الروايات ـ شقت

(٧) «والعدسة» قال أبو ذر : «هي قرحة قاتلة كالطاعون ، وقد عدس

قريش تكظم حزنها على قتلاها

قال ابن إسحق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لاتفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا فى أسْرَاكم حتى تَسْتَأْنُوا[1] بهم لاَ يَأْرَبْ[2] عليكم محمد وأصحابه فى الفِداء

قال : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثةٌ من ولده : زَمْعَةُ بن الأسود ، وعَقيلُ بن الأسود ، والحرثُ بن زَمْعَة ، وكان يحب أن يَبْكى على بنيه ، قال : فبينما هو كذلك إذْ سمع نائحةً من الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انْظُرْ هل أُحِلّ النَّحْبُ[3] ؟ هل بكت قريش على قتلاها لعلى أبكى على أبى حكيمة ؟ يعنى زمعة ؛ فإن جَوْفى قد احْتَرَقَ ، قال : فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته ، قال : فذَاكَ حين يقول الأسود : —

أَتبْكِى أَنْ يَضِلّ لَهَا بَعِيرٌ ... وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ ؟[4]
فَلاَ تَبْكِي عَلَى بَكْرٍ وَلٰكِنْ ... عَلَى بَدْرٍ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ[5]
عَلَى بَدْرٍ سَرَاة بَنِى هُصَيْصٍ ... وَمَخْزُومٍ وَرَهْط أَبِى الْوَلِيدِ[6]
وَبَكّى إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ ... وَبَكِّى حَارِثًا أَسَدَ الْأُسُودِ

الرجل إذا أصابه ذلك

(١) تستأنوا : معناه تؤخرون فداءهم
(٢) لا يأرب : لا يشتد ، ويقال أيضا تأرب
(٣) النحب : البكاء بصوت ، والمعروف فيه النحيب
(٤) السهود : عدم النوم
(٥) البكر : الفتى من الابل ، والجدود : جمع جد ، وهو الحظ والبخت
(٦) سراة القوم : خيارهم وأشرافهم

وَبَــكِّيهِمْ وَلاَ تَسَمِى جَمِيعًا وَمَا لِأَبِى حَكِيمَةَ مِنْ نَدِيدِ (١)
أَلاَ قَدْ سَادَ بَعْدَهُمُ رِجَالٌ وَلَوْلاَ يَوْمُ بَدْرٍ لَمْ يَسُودُوا

[قال ابن هشام : هذا إقواء ، وهى مشهورة من أشعارهم ، وهى عندنا إكفاء(٢) ، وقدأسقطنا من روايةابن إسحق ماهو أشهر من هذا]

قريش تفدى أسراها

قال ابن إسحق : وكان فى الأسارى أبو وَدَاعَةَ بن ضُبَيْرَةَ السَّهْمِىُّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ لَهُ بِمَكَّةَ ابْنًا كَيِّسًا تاجراً ذَا مالٍ وكأَنَّكُمْ بِهِ قَدْ جَاءَكُمْ فى طَلَبِ فِدَاءِ أَبِيهِ » فلما قالت قريش : لاَ تَعْجَلُوا بفداء أَسْرَاكُمْ لاَ يَأْرَبْ (٣) عليكم محمد وأصحابه قال المطلب بن أبى وَدَاعة وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى : صدقتم ، لاَ تَعْجَلُوا ، وانْسَلَّ من الليل فقدم المدينة فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، فانطلق به

ثم بعثت قريش فى فِدَاء الأَسَارَى ، فقدم مِكْرَزُ بن حَفْص بن الأَخْيَف فى فِداء سُهَيل بن عَمْرو وكان الذى أسره مالك بن الدُّخْشُم أخو بنى سالم ابن عَوْف ، فقال : —

أَسَرْتُ سُهَيْلاً فَلاَ أَبْتَغِى أَسِيرًا بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمْ
وَخِنْدِفُ تَعْلَمُ أَنَّ الْفَتَى فَتَاهَا سُهَيْلٌ إِذَا يُظَّلَمْ (٤)

(١) لاتسمى : أراد لاتسأمى ، فنقل حركة الهمزة إلى السين ، ثم حذف الهمزة ، ومعناه لاتملى ، والنديد : الشبيه والمثل

(٢) أكثر العلماء يسميه إقواء كما ذكر أولا ، والاقواء : اختلاف حركات الروى كما هنا

(٣) لا يأرب : لا يشتد ، ويقال أيضا تأرب

(٤) يظلم : يروى بالظاء المعجمة مشددة ، وبالطاء المهملة كذلك ، ومعناهما واحد : أى يطلب ظلمه ، وهذا مثل قول زهير : —

هُوَ الْجَوَادُ الَّذِى يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا وَيُظْلَمُ أَحْيَانًا فَيَظَّلِمُ

ضَرَبْتُ بِذِى الشَّفرِ حَتَّى انْثَنَى
وَأَكْرَهْتُ نَفْسِى عَلَى ذِى الْعَلَمْ (١)

وكان سهيل رجلا أعلم(٢) من شفته السفلى

قال ابن هشام : وكان بعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك ابن الدُّخْشُم

رسول الله يمنع التمثيل بالاسرى

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن عمرو بن عطاء أخو بنى عامر بن لؤى ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، دَعْنِى أَنزِعْ ثَنِيَّتَىْ سُهَيْل بن عَمرو يَدْلَعْ لسانُهُ(٣) فلا يقوم عليك خطيباً فى موطن أبداً ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« لاَ أُمَثِّلُ بِهِ فَيُمَثِّلَ اللهُ بِي وَإِنْ كُنْتُ نَبِيًّا»

قال ابن إسحق : وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر فى هذا الحديث : « إِنَّهُ عَسَى أن يقُومَ مَقَاماً لاَ تَذُمُّهُ »

قال ابن هشام : وسأذكر حديث ذلك المقام فى موضعه إن شاء الله تعالى

أمر فداء سهيل ابن عمرو

قال ابن إسحق : فلما قاولهم فيه مِكْرَزٌ وانتهى إلى رضاهم قالوا : هاتِ الذى لنا ، قال : اجعلوا رِجْلِى مكان رجله وخَلُّوا سبيله حتى يبعث إليكم بفِدَائه ، فَخَلَّوا سبيل سُهَيْل وحبسوا مِكْرَزًا مكانه عندهم ، فقال مكرز : —

---

(١) ذو الشفر : السيف ، وشفره : حده ، ويروى بفتح الشين وضمها

(٢) الأعلم : مشقوق الشفة العليا ، ويقابله الأفلح ، وهو مشقوق الشفة السفلى

(٣) يدلع لسانه : يخرج ، تقول : دلع لسانه يدلع ، لازما ، وأدلعه : أخرجه

فَدَيْتُ بِأَذْوَادٍ ثَمَانٍ سِبَا فَتًى
يَنَالُ الصَّمِيمَ غُرْمُهَا لاَ الْمَوَالِيَا (١)

رَهَنْتُ يَدِى وَالْمَالُ أَيْسَرُ مِنْ يَدِى
عَلَىَّ وَلٰكِنِّى خَشِيتُ الْمَخَازِيَا

وَقُلْتُ: سُهَيْلٌ خَيْرُنَا فَاذْهَبُوا بِهِ
لِأَبْنَائِنَا حَتَّى نُدِيرَ الْأَمَانِيَا

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لمكرز

أبو سفيان يأبى فداء ابنه عمرو

قال ابن إسحق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر، قال: كان عمرو ابن أبى سفيان بن حرب وكان لبنت عقبة بن أبى معيط (قال ابن هشام: أم عمرو بن أبى سفيان ابنةُ أبى عَمْرٍو أختُ أبى معيط ابن أبى عمرو) أسيراً فى يَدَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسْرَى بدر

قال ابن هشام: أَسَرَهُ على بن أبى طالب رضي الله عنه

قال ابن إسحق: حدثنى عبدُ الله بن أبى بكر، قال: فقيل لأبى سفيان: افْدِ عَمْراً ابنك، قال: أيُجْمَعُ على دمى ومالى؟ قَتَلُوا حَنْظَلة وأَفْدِى عَمْراً؟ دَعُوهُ فى أيديهم يُمْسِكُوهُ فى أيديهم ما بَدَا لهم، قال: فبينما هو كذلك مَحْبُوس بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إِذْ خَرَجَ سَعْدُ بن النعمان بن أَكَّال أخو بنى عَمْرو بن عَوْف ثم أحدُ بنى معاوية

---

(١) الأذواد: جمع ذود، وهو من الابل ما بين الثلاث إلى العشر؛ وثمان: يروى بفتح الثاء على أنه عدد، ويروى بكسر الثاء على أنه جمع ثمين؛ وهو الغالى القيمة. وسبا فتى، من قولك: سبا الأسير يسبيه، والصميم: الخالص النسب، وغرمها: يروى فى مكانه عرها، بالعين مهملة

مُعْتَمِراً ومعه مُرَيَّةٌ له ، وكان شيخا مسلما ، فى غنم له بالنَّقيع ، فخرج من هنالك مُعْتَمِراً ولا يخشى الذى صُنِعَ به ، لم يظن أنه يُحْبَسُ بمكة ، إنما جاء معتمرا ، وقد كان عَهِدَ قريشا لاَ يَعْرِضُون لأحد جاء حَاجًّا أو مُعْتَمِراً إلا بخير ، فَعَدَا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة ، فحبسه بابنه عمرو ، ثم قال أبو سفيان :—

أَرَهْطَ ابْنِ أَكَّالٍ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ
تَعَاقَدْتُمُ لاَ تُسْلِمُوا السَّيِّدَ الْكَهْلاَ
فَإِنَّ بَنِي عَمْرٍو لِئَامٌ أَذِلَّةٌ
لَئِنْ لَمْ يَفُكُّوا عَنْ أَسِيرِهِمُ الْكَبْلاَ

فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :—

لَوْ كَانَ سَعْدٌ يَوْمَ مَكَّةَ مُطْلَقاً
لأَكْثَرَ فِيكُمْ قَبْلَ أَنْ يُؤْسَرَ الْقَتْلاَ
بِعَضْبٍ حُسَامٍ أَوْ بِصَفْرَاءَ نَبْعَةٍ
تَحِنُّ إِذَا مَا أُنْبِضَتْ تَحْفِزُ النَّبْلاَ (١)

ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه خبرهم ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان ، فَيَفُكُّوا به صاحبهم ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعثوا به إلى أبى سفيان ، فَخَلَّى سبيل سعد

(١) العضب : السيف القاطع ، والحسام : القاطع أيضا ، وصفراء : أراد بها قوسا ، والنبعة ـ بفتح فسكون ـ شجرة تنبت بالجبال تصنع منها القسى ، والجمع نبع ، وتحن : أى تصوت ، والذى يصوت وترها . وأنبضت : مد وترها ، والانباض : أن يحرك وتر القوس ويمد

أمر أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله

قال ابن إسحق : وقد كان فى الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس خَتَنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته زينب

قال ابن هشام : أَسَرَهُ خِرَاشُ بن الصِّمَّةِ أحدُ بَنِي حَرَامٍ

قال ابن إسحق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكان لهالة بنتِ خُوَيْلِد ، وكانت خديجة خَالَتَه ، فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لَا يُخَالفها ، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحى ، فَزَوَّجَهُ ، وكانت تَعُدُّه بمنزلة ولدها ، فلما أكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بنبوته آمنت به خديجة و بناته فَصَدَّقْنَهُ وَشَهِدْنَ أَنَّ ماجاء به الحق ، وَدِنَّ بدينه ، وَثَبَتَ أبو العاص على شركه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زَوَّجَ عُتْبَةَ ابن أبى لهبٍ رقيةَ أَوْ أُمَّ كلثوم ، فلما بَادَى قريشا بأمر الله تعالى وبالعداوة قالوا : إنكم قد فَرَّغْتُمْ محمدا من هَمِّه ، فَرُدُّوا عليه بناته فاشْغَلُوهُ بهنَّ ، فَمَشَوْا إلى أبى العاص ، فقالوا له : فارِقْ صاحبتَكَ ونحنُ نُزَوِّجُكَ أىَّ امرأةٍ من قريش شئت ، قال : لاهَاللهِ إذًا ، لا أفارق صاحبتى ، وما أحبُّ أن لى بامرأتى امرأةً من قريش ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُثْنِى عليه فى صِهْرِه خيرًا ، فيما بلغنى ، ثم مَشَوْا إلى عُتْبَةَ بن أبى لَهَب فقالوا له : طلق بنت محمد ، ونحن نُنْكِحُكَ أىَّ امرأةٍ من قريش شِئْتَ ، فقال : إنْ زَوَّجْتُمُونى بنت أَبَانَ بن سعيد بن العاص أو بنت سعيد بن العاص فارَقْتُها ، فزوّجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن دخل بها ، فأخرجها الله من يده كرامة لها وهوانا له ، وَخَلَفَ عليها عثمان بن عفان بَعْدَهُ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحلُّ بمكة

ولا يُحَرِّمُ مغلوباعلى أمره ، وكان الاسلام قد فرَّقَ بين زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين أسلمت — وبين أبي العاص بن الربيع ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدر أن يفرِّقَ بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع ، فأصيب في الأسارى يوم بدر ، فكان بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

زينب تبعث قلادة كانت أمها قد أهدتها لها في فداء زوجها

قال ابن إسحق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما بَعَثَ أهلُ مكة في فداء أسراهم بَعَثَت زينبُ بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في فِداء أبي العاص ابن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقِلادَةٍ لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها ، قالت : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً ، وقال : « إنْ رَأَيْتُمْ أنْ تُطْلِقُوا لها أسِيرَهَا وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا مَالَهَا فافعلوا » فقالوا : نعم يارسول الله ، فأطلقوه وردوا عليها الذى لها .

خروج زينب الى المدينة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ عليه ، أوْ وَعَدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، أن يُخَلِّيَ سبيلَ زينب إليه ، أو كان فيما شرط عليه في إطلاقه ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلم ماهو ، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكةَ وَخُلِّيَ سبيلُه بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زَيد بن حارثة ورجُلاً من الأنصار مكانه ، فقال : « كُونَا بِبَطْنِ يَأْجِجَ (١) حَتَّى تَمُرَّ بِكُمَا زَيْنَبُ فَتَصْحَبَاهَا حَتَّى

---

(١) يأجج — بياء مفتوحة بعدها همزة ثم جيمان — اسم لمكانين : أحدهما على ثمانية أميال من مكة ، وثانيهما أبعد منه ، وفيه بنى مسجد الشجرة وبينه وبين مسجد التنعيم ميلان

تَأْتِيَانِي بِهَا » فخرجا مكانهما ، وذلك بعد بدرٍ بشهر أو شيعه (١) فلما قدم أبو العاص مكَّةَ أمرها باللحوق بأبيها ، فخرجت تجهَّزُ

هند ابنة عتبة تسأل زينب عن خروجها فتنكره

قال ابن إسحق : فحدثنى عبدُ الله بن أبى بكر ، قال : حُدِّثتُ عن زينب أنها قالت : بينا أنا أتجهَّزُ بمكة لِلُّحوق بأبى لقيتْنِى هندُ بنت عُتْبَةَ فقالت : يابنت محمد ، ألم يبلغنى أنك تريدين اللُّحُوقَ بأبيك ، قالت : فقلت: ماأردت ذلك ، فقالت : أى ابنة عَمِّي ، لا تفعلى إن كانت لَكِ حاجةٌ بمتاعٍ مما يَرْفُقُ بكِ فى سَفَرِكِ أو بمالٍ تَتَبَلَّغِينَ به إلى أبيك فانَّ عندى حاجَتَكِ فلا تَضْطَنِى (٢) مِنِّى ؛ فانه لا يدخل بين النساء مابين الرجال ، قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، قالت : ولكنى خِفْتُهَا ، فأنكرت أن أكون أريد ذلك ، وتجهَّزْت

هبار بن الاسود بن عبد المطلب يروع زينب فتطرح ما فى بطنها

فلما فَرَغَتْ بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهازها قَدَّمَ لها حَمُوها كنانةُ بن الربيع أخو زوجها بعيراً فركبته ، وأخذ قَوْسَهُ وكنانته ، ثم خرج بها نهارا يقود بها وهى فى هَوْدَجٍ لها ، وتَحَدَّثَ بذلك رجالٌ [من] قريش ، فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طَوًى ، فكان أولَ من سبق إليها هَبَّارُ بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعُزَّى الفِهْرِى ،

---

(١) أو شيعه : أى أو قريب منه

(٢) تضطنى : تروى هذه الكلمة بضاد معجمة فطاء مهملة فنون — ومعناها على ذلك لاتستحى ، وذلك كقول الطرماح : —

إِذَا ذُكِرَتْ مَسْعَاةُ وَالِدِهِ اضْطَنَى

وَلاَ يَضْطَنِي مِنْ شَتْمِ أَهْلِ الفَضَائِلِ

وتروى «تظطنى» بظاء معجمة فطاء مهملة فنون مشددة ، وهى على هذا افتعل من الظن ، وبعضهم يقلب المهملة أو المعجمة مثل أختها ثم يدغمهما

فَرَوَّعَهَا هَبَّارٌ بالرمح وهى فى هَوْدَجها ، وكانت المرأة حاملا فيما يزعمون ، فلما رِيعَتْ طَرَحَتْ ذا بطنها ، وبَرَكَ حَمُوها كنانةُ ، ونَثَرَ كنانته ، ثم قال : والله لا يَدْنو منى رجل إلا وضعتُ فيه سَهْماً ، فتَكَرْكَرَ الناسُ عنه (١) .

أبو سفيان وجماعة من قريش يردون زينب الى مكة

وأتى أبو سفيان فى جلة من قريش ، فقال : أيها الرجل كُفَّ عنا نَبلَكَ حتى نكلمك ، فكَفَّ ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال: إنَّكَ لم تصِبْ . خَرَجتَ بالمرأة على رءوس الناس علانيةً وقد عرفت مُصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا أخْرَجْتَ ابنته إليه علانيةً على رءوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك على ذُلٍّ أصابنا عن مصيبتنا التى كانت ، وأن ذلك مناضَعْفٌ ووَهَن ، ولعمرى ما لنا بحَبْسها عن أبيها من حاجة ، وما لنا فى ذلك من ثُؤْرَة (٢) ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدَّث الناس أن قد رَدَدْناها فسُلَّهَا سرًّا وألحقها بأبيها

قال : ففعل ، فأقامت ليالى . حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلا حتى أسْلَمَهَا إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقَدِمَا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : فقال عَبْدُ الله بن رَوَاحة أو أبو خَيْثَمَة أخو بنى سالم بن عَوْف فى الذى كان من أمر زينب

---

(١) تكركر الناس عنه : رجعوا وانصرفوا

(٢) ثؤرة : طلب ثأر

قصيدة لأبي خيثمة في هجرة زينب

قال ابن هشام: هي لأبي خَيْثَمَةَ: —

أَتَانِي الذي لاَ يَقْدُرُ النّاسُ قَدْرَهُ ‏ لِزَيْنَبَ فِيهِمْ مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ

وإِخْرَاجُهَا لَمْ يُخْزَ فيها مُحَمَّدٌ ‏ عَلَى مَأْقِطٍ وَبَيْنَنَا عِطْرُ مَنْشِمِ (١)

وَأَمْسَى أَبُو سُفْيَانَ مِن حِلْفِ ضَمْضَمِ

وَمِنْ حَرْبِنَا فِي رَغْمِ أَنْفٍ وَمَنْدَمِ (٢)

قَرَنَّا ابْنَهَ عَمْراً وَمَوْلَي يَمِينِهِ ‏ بِذِي حَلَقٍ جَلْدِ الصَّلاَصِلِ مُحْكَمِ (٣)

فَأَقْسَمْتُ لاَ تَنْفَكُّ مِنّا كَتَائِبٌ ‏ سَرَاةُ خَمِيسٍ فِي لُهَامٍ مُسَوَّمِ (٤)

نَرُوعُ قُرَيْشَ الْكُفْرِ حَتَّى نَعُلَّهَا ‏ بِخَاطِمَةٍ فَوْقَ الْأُنُوفِ بِمِيسَمِ (٥)

---

(١) المأقط - بكسر القاف - المضيق في الحرب. ومنشم: امرأة كانت تبيع العطر ويشترى منها الحنوط للموتى، فكانوا يتشاءمون بها، وجعلوه مثلا في كل أمر مكروه، يريد بيننا مالا سبيل إلى نسيانه من الغارات والاستعداد للحرب وتربص الدوائر

(٢) ضمضم: يريد ضمضم بن عمرو الغفاري الذي أرسله أبو سفيان ليخبر قريشا بأن رسول الله أجمع التعرض لهم، وقوله «في رغم أنف» يريد في أمر يذله ويرغم أنفه، ومندم: أراد به الندم

(٣) بذي حلق: أراد به الغل. والصلاصل: جمع صلصلة، وهي الصوت

(٤) الكتائب: جمع كتيبة، وهي القطعة من الجيش، والسراة: السادة، والخميس: الجيش، واللهام: الكثير العدد، والمسوم: المعلم، من السمة التي هي العلامة

(٥) نروع: بالراء المهملة، ومعناه نخيفها، تقول: راعه يروعه، إذا أخافه، ووقع نزوع - بالزاي الموحدة - في بعض النسخ، وهو تصحيف، ونعلها: نكرر عليها الحرب، والخاطمة في الأصل: التي تجعل لهم خطاما، والخطام: حبل يجعل على أنف البعير، وأراد بها هنا مايخزيهم ويكبح جماحهم من الغلبة عليهم، والميسم: الحديدة التي توسم بها الابل

نُنَزِّلُهُمْ أَكْنَافَ نَجْدٍ وَنَخْلَةٍ

وَإِنْ يُتْهِمُوا بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ نُتْهِمِ (١)

يَدَ الدَّهْرِ حَتَّى لَا يُعَوَّجَ سِرْبُنَا ... وَنُلْحِقُهُمْ آثَارَ عَادٍ وَجُرْهُمِ (٢)

وَيَنْدَمُ قَوْمٌ لَمْ يُطِيعُوا مُحَمَّدًا ... عَلَى أَمْرِهِمْ وَأَيَّ حِينِ تَنَدُّمِ

فَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ إِمَّا لَقِيتَهُ ... لَئِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْلِصْ سُجُودًا وَتُسْلِمِ

فَأَبْشِرْ بِخِزْيٍ فِي الْحَيَاةِ مُعَجَّلٍ ... وَسِرْبَالِ قَارٍ خَالِدًا فِي جَهَنَّمِ (٣)

قال ابن هشام: ويروى «وَسِرْبَالِ نَارٍ»

قال ابن إسحق: ومولى يمين أبي سفيان الذي يعني: عَامِرُ بن الْحَضْرَمِيّ، كان في الأسارى، وكان حِلْفُ الْحَضْرَمِيِّ إلى حرب بن أمية

قال ابن هشام: مولى يمين أبي سفيان الذي يعني: عُقْبَةُ بن عبد الحرث بن الْحَضْرَمِيّ. فأما عامر [بن الحضرمي] فقتل يوم بدر

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لَقِيَتْهُمْ هِنْد بنت عتبة فقالت لهم: —

(١) الأكناف: النواحي، واحدها كنف، كسبب وأسباب، ونجد: هو ما ارتفع من أرض الحجاز، ونخلة: اسم موضع، ويتهموا: يأتوا تهامة، وهي ما انخفض من الحجاز، يريد إنا سنلحق بهم أينما وجهوا ولن يفلتوا من أيدينا

(٢) يد الدهر: معناه أبد الدهر، والسرب — بكسر السين وسكون الراء — الطريق، ومن الناس من رواه بفتح السين، ومعناه المال الذي يرعى. وعاد وجرهم: أمتان قديمتان أبادهما الدهر، يقول: إنا سنبيدهم كما باد هؤلاء

(٣) القار: الزفت، يشير إلى قوله تعالى: (سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار)

أَفِي السِّلْمِ أَعْيَارًا جَفَاءً وغِلْظَةً
وَفِي الْحَرْبِ أَشْبَاهَ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ (١)

وقال كنانة بن الربيع فى أمر زينب حين دفعها إلى الرجلين : —

عَجِبْتُ لِهَبَّارٍ وَأَوْبَاشِ قَوْمِهِ يُرِيدُونَ إِخْفَارِي بِبِنْتِ مُحَمَّدِ (٢)
وَلَسْتُ أُبَالِي مَاحَيِيتُ فَدِيدَهُمْ
وَمَا اسْتَجْمَعَتْ قَبْضًا يَدِي بِالْمُهَنَّدِ (٣)

قال ابن إسحق : حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن بُكَيْر بن عبد الله ابن الأَشَجِّ ، عن سليمان بن يَسَار ، عن أبى إسحق الدَّوْسِيِّ ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : بَعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم سَرِيَّةً أنا فيها فقال لنا « إِنْ ظَفِرْتُمْ بِهَبَّارِ بْنِ الْأَسْوَدِ أَوِ الرَّجُلِ الْآخَرِ الَّذِي سَبَقَ مَعَهُ إِلَى زَيْنَبَ » (قال ابن هشام : وقد سَمَّى ابنُ إسحق الرجلَ فى حديثه [وقال : هو نافع بن عبد قيس]) « فَحَرِّقُوهُمَا بِالنَّارِ »قال : فلما كان الغدُ بعث إلينا فقال : « إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ بِتَحْرِيقِ هٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِنْ أَخَذْتُمُوهُمَا ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّهُ لَايَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ اللهُ فَإِنْ ظَفِرْتُمْ بِهِمَا فَاقْتُلُوهُمَا »

اسلام أبى العاص ابن الربيع

قال ابن إسحق : وأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت زينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة — حين فَرَّقَ بينهما الاسلام — حتى إذا كان قبيلَ الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشأم ، وكان رجلاً مأمُوناً بمال له وأموال

---

(١) السلم — بكسر السين وفتحها — الصلح ، والأعيار : جمع عير — بفتح العين — وهو الحمار ، والنساء العوارك : الحيض ، تقول : عركت المرأة ، إذا حاضت

(٢) أوباش قومه : ضعفاؤهم الذين يلصقون بهم ويتبعونهم

(٣) فديدهم : معناه جماعتهم وكثرتهم ، أو أصواتهم ، ويروى عديدهم ، وهو يؤيد التفسير الأول

رجال من قريش أبْضَعُوها معه ؛ فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً[(١)] لقيته سَرِيَّةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هاربا ، فلما قدمت السَّرِيَّةُ بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت الليل ، حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجار بها ، فأجارته ، وجاء فى طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح كما حدثنى يزيد ابن رُومَانَ فَكَبَّرَ وكبر الناس صرخت زينب من صُفَّةِ النساء : أيها الناس، إنى قد أجَرْتُ أبا العاص بن الربيع ، قال : فلما سَلَّمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ »؟ قالوا : نعم ، قال : « أَمَا وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا عَلِمْتُ بِشَىْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى سَمِعْتُ مَا سَمِعْتُمْ إِنَّهُ يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ ». ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته ، فقال : « أَىْ بُنَيَّةُ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ وَلاَ يَخْلُصَنَّ إِلَيْكِ فَإِنَّكِ لاَ تَحِلِّينَ لَهُ »

قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السَّرِيَّةِ الذين أصابوا مال أبى العاص فقال: « إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ أَصَبْتُمْ لَهُ مَالاً فَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَرُدُّوا عَلَيْهِ الَّذِى لَهُ فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَهُوَ فَىْءُ اللهِ الَّذِى أَفَاءَ عَلَيْكُمْ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ » قالوا : يا رسول الله بل نرده عليه ، قال : فردوه عليه حتى إن الرجل ليأتى بالدَّلو ويأتى الرجل بالشَّنَّةِ[(٢)] وَالإِدَاوَةِ[(٣)] ، حتى

---

(١) قافلا : راجعا ، تقول : قفل المسافر ، إذا عاد ورجع

(٢) الشنة ـ بفتح الشين ـ السقاء البالى

(٣) الاداوة ـ بكسر الهمزة ـ المطهرة التى يتوضأ بها

إن أحدهم ليأتى بالشِّظَاظ ،[1] حتى رَدُّوا عليه مَالَهُ بأسره لا يفقد منه شيئا

ثم احتمل إلى مكة ، فأدَّى إلى كل ذى مال من قريش مالَهُ ، ومن كان أبضعَ معه ، ثم قال : يامَعْشَرَ قريش ، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيرًا ، فقد وجدناك وَفِيًّا كريمًا ، قال : فأنا أشهد أن لاإله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، والله مامنعنى من الإسلام عنده إلا تخوُّفُ أن تَظُنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفَرَغْتُ منها أسْلَمْتُ ، ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحق : وحدثنى داود بن الْحُصَيْن ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : رَدَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زَيْنَبَ على النكاح الأول ، ولم يحدث شيئًا [بعد ست سنين]

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة أن أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشأم ومعه أموال المشركين قيل له : هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال ؛ فانها أموال المشركين ؟ فقال أبو العاص : بئس ماأبدأ به إسلامى أن أخون أمانتي

قال ابن هشام : وحدثنى عبد الوارث بن سعيد التَّنُّورِىُّ ، عن داود بن أبى هند ، عن عامر الشَّعْبِيِّ ، بنحو من حديث أبى عبيدة عن أبى العاص

أسماء الاسارى الذين من عليهم رسول الله

قال ابن إسحق : فكان ممن سُمِّىَ لنا من الأسارى ممن مُنَّ عليه بغير فِدَاء

---

(١) الشظاظ ـ بزنة الكتاب ـ عود يشد به فم الغرارة

من بنى عبد شمس ابن عبد مناف : أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس [بن عبد مناف] ؛ مَنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثت زينبُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفدائه

ومن بنى مَخْزوم [بن يَقَظَةَ] : المطَّلبُ بن حَنطَب بن الحرث بن عبيد ابن عُمَر بن مخزوم ، وكان لبعض بنى الحرث بن الخزرج فتُرِكَ فى أيديهم حتى خَلَّوْا سبيله فلحق بقومه

قال ابن هشام : أسره خالدُ بن زَيْد أبو أيوب [الأنصارى] أخو بنى النجار

قال ابن إسحق : وصَيْفِيُّ بن أبى رِفاعة بن عائذ [1] بن عبد الله ابن عُمَر بن مخزوم ، ترك فى أيدى أصحابه فلمَّا لم يأت أحدٌ فى فِدائه أخذوا عليه لَيَبْعَثَنَّ إليهم بفدائه فخَلَّوْا سبيله فلم يَفِ لهم بشىء ، فقال حسان بن ثابت فى ذلك : —

وَمَا كَانَ صَيْفِيٌّ لِيُوفِى أَمَانَةً ... قَفَا ثَعْلَبٍ أَعْيَا بِبَعْضِ الْمَوَارِدِ

قال ابن هشام : وهذا البيت فى أبيات له

قال ابن إسحق : وأبو عَزَّةَ عَمْرُو بن عبد الله بن عثمان بن أُهَيْب ابن حُذَافة بن جُمَح ، وكان محتاجاً ذا بنات ، فكلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، لقد عرفتَ مالى من مالٍ ، وإنى لذو حاجة وذو عيال ، فامْنُنْ عَلَىَّ ، فمَنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عليه أن لا يظاهر [2] عليه أحدًا ، فقال أبو عَزَّةَ فى ذلك يمدح رسول

(١) قال أبو ذر : «قال الزبير بن بكار : من كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد يعنى بالباء الموحدة والدال المهملة ، وكل من كان من ولد عمران ابن مخزوم فهو عائذ يعنى بالياء المهموزة والذال المعجمة» اهـ

(٢) لا يظاهر عليه أحدا ، معناه لا يعين عليه أحدا

الله صلى الله عليه وسلم ويذكر فضله فى قومه : —

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الرَّسُولَ مُحَمَّدًا بِأَنَّكَ حَقٌّ وَالْمَلِيكُ حَمِيدُ

وأَنْتَ امْرُؤٌ تَدْعُو إِلَي الْحَقِّ وَالْهُدَى

عَلَيْكَ مِنَ اللهِ الْعَظِيمِ شَهِيدُ

وَأَنْتَ امْرُؤٌ بُوِّئْتَ فِينَا مَبَاءَةً لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وصُعُودُ (١)

فإِنَّكَ مَنْ حَارَبْتَهُ لَمُحَارَبٌ شَقِيٌّ ومَنْ سَالَمْتَه لَسَعِيدُ (٢)

وَلٰكِنْ إِذَا ذُكِّرْتُ بَدْرًا وَأَهْلَهُ تَأَوَّبَ مَابِي حَسْرَةٌ وَقعُودُ (٣)

مقدار فداء المشركين

قال ابن هشام : وكان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل ، إلى ألف درهم ، إلا من لاشىء له ، فمَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه .

اسلام عمير بن وهب

قال ابن إسحق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : جلس عُمَيْر بن وَهْب الْجُمَحى مع صَفْوَان بن أمية بعد مُصَاب أهل بدر من قريش فى الحِجْرِ بيسير ، وكان عُمَيْر بن وَهْب شَيْطاناً من شياطين قريش وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويَلْقَوْنَ منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عُمَيْر فى أسارى بدر

قال ابن هشام : أسره رِفاعة بن رافع أحد بنى زُرَيْق

قال ابن إسحق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : فذكر أصحاب القليب ومُصابهم ، فقال صفوان : واللهِ إنْ فى

---

(١) بوئت مباءة : نزلت منزلة

(٢) هذا البيت من شواهد النحاة لدخول اللام على خبر المبتدأ

(٣) تأوب رجع إلى وعاودنى

العَيْش بعدهم(١) خَيْرٌ ، قال له عمير : صَدَقْتَ والله ، أما والله لولا دَيْنٌ عَلَيَّ ليس له عندى قضاء ، وعِيَالٌ أخشى عليهم الضَّيْعَةَ بعدى لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لى قِبلَهُمْ عِلَّةً ، ابنى أسيرٌ فى أيديهم ، قال : فاغتنمها صَفْوَان ، وقال : عَلَيَّ دَيْنُك أنا أقضيه عنك ، وعِيَالُكَ مع عيالى أواسيهم مابقُوا ، لايسعنى شيء ويَعْجِزُ عنهم ، فقال له عمير : فاكتم [عنى] شأنى وشأنك ، قال : أفْعَلُ ، ثم أمر عُمَيْرٌ بسيفه فشُحِذَ له(٢) وَسُمَّ ، ثم انطلق حتى قدم به المدينة ، فبينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين يَتَحَدَّثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم [به] من عدوهم إذ نظر عُمَرُ إلى عُمَيْر بن وَهْب حين أناخ على باب المسجد مُتَوَشِّحاً السيفَ ، فقال : هذا الكلبُ عدُوُّ الله عمير بن وَهْب [والله] ماجاء إلا لشر ، وهو الذى حَرَّش بيننا(٣) وحَزَرَنا(٤) للقوم يوم بدر ، ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يانبيَّ الله ، هذا عدُوُّ الله عُمَير بن وهب قد جاء مُتَوَشِّحاً سيفه ، قال : «فأدخله عليَّ» ، قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحَمَالة سيفه فى عُنُقه فَلَبَّبَهُ بها ، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذَرُوا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون ، ثم دخل به

---

(١) يريد : ما فى العيش بعدهم خير ، فان هنا نافية مثلها فى قولهم : إن أحد خيرا من أحد إلا بالعافية .

(٢) شحذله : أى أحدله ، تقول : شحذت السكين ، إذا أحددتها

(٣) حرش بيننا : أفسد ، والتحريش : الافساد بين الناس وإغراء بعضهم ببعض

(٤) حزرنا : قدر عددنا ، تقول : هم محزرة ألف ، تريد أنهم تقدير ألف

عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعُمَرُ آخِذٌ بِحمَالَة سيفه فى عنقه قال «أَرْسِلْهُ يَاعُمَرُ أُدْنُ يَاعُمَيْرُ» فدنا ، ثم قال : انْعِمُوا صَبَاحًا — وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قَدْ أَكْرَمَنَا اللهُ بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ يَاعُمَيْرُ بِالسَّلَامِ تَحِيَّةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» ، فقال : أما والله يامحمد إن كنت بها لحديثَ عهد ، قال «فما جاء بك ياعمير» ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأَحْسِنُوا فيه ، قال : «فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِى عُنُقِكَ» قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أَغْنَتْ عنا شيئا ؟ قال : «أَصْدِقْنِى مَا الَّذِى جِئْتَ له» قال : ما جئت إلا لذلك ، قال : «بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ فِى الْحِجْرِ فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ قُلْتَ لَوْلاَ دَيْنٌ عَلَيَّ وَعِيَالٌ عِنْدِى لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّداً فتحمَّلَ لَكَ صَفْوَانُ [بن أمية] بِدَيْنِكَ وَعِيَالِكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِى لَهُ وَاللهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذلك» ، قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يارسول الله نُكَذِّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوَحْى ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصَفْوَان ، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانى للاسلام ، وساقنى هذا الْمَسَاق ، ثم شَهِدَ شهادةَ الحق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فَقِّهُوا أَخَاكُمْ فى دِينِه واَقْرِئُوهُ الْقُرْآنَ وأَطْلِقُوا لهُ أَسِيرَهُ» ففعلوا ، ثم قال : يارسول الله ، إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل ، وأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم وإلى الاسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم ، قال : فأَذِنَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلحق بمكة ، وكان صَفْوانُ بن

أمية حين خرج عُمَيْر بن وَهب يقول : أبشروا بواقِعة تأتيكم الآن فى أيام تُنْسِيكُمْ وقعة بدر ، وكان صَفْوَانُ يسأل عنه الرُّكْبَانَ ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فحلف أن لا يكلمه أبدا ، ولا ينفعه بنفع أبدا

قال ابن إسحق : فلما قدم عُمَيْر مكة أقام بها يدعو إلى الاسلام ، ويؤذى من خالفه أذًى شديدا ، فأسلم على يديه ناسٌ كثير

قال ابن إسحق : وَعُمَيْر بن وهب ، أو الحرث بن هشام ، قد ذكر لى أحدهما ، الذى رأى إبليسَ حين نَكَصَ على عقبيه يَوْمَ بدر ، فقال : أيْنَ أىْ سُرَاقَ ، وَمَثَل (١) عدوُّ الله فذهب ، فأنزل الله تعالى فيه (٨ : ٤٨) (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَكُمْ) فذكر استدْرَاجَ إبليس إياهم وَتَشَبُّهَهُ بسُرَاقة بن مالك ابن جُعْشُم لهم حين ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة فى الحرب التى كانت بينهم ، يقول الله تعالى : (فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ) ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة قد أيَّدَ الله بهم رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على عدوهم (نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) وصدق عدو الله رأى مالم يَرَوْا ، وقال : إنى برىء منكم (إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) فذكر لى أنهم كانوا يَرَوْنه فى كل منزل فى صورة سراقة لا ينكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان نكص على عقبيه ، فأوردهم ، ثم أسلمهم

قال ابن هشام : نكص : رجع ، قال أوْسُ بن حَجَر أحد بنى أُسَيْد ابن عمرو بن تميم : —

---

(١) مثل عدو الله : أى لطىء بالأرض واختفى ، وهذا الفعل من الأضداد ، فيكون الماثل القائم ، ويكون الماثل اللاطىء بالأرض

نَـكَصْتُمْ عَلَى أَعْقَابِـكُمْ يَوْمَ جِئْتُمُ
تُزَجُّونَ أَنْفَالَ الْخَمِيسِ الْعَرَمْرَمِ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت :—

قَوْمِى الَّذِينَ هُمُ آوَوْا نَبِيَّهُمُ وَصَدَّقُوهُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُفَّارُ
إِلاَّ خَصَائِصَ أَقْوَامٍ هُمُ سَلَفٌ لِلصَّالِحِينَ مَعَ الْأَنْصَارِ أَنْصَارُ
مُسْتَبْشِرِينَ بِقَسْمِ اللهِ ، قَوْلُهُمُ
لَمَّا أَتَاهُمْ كَرِيمُ الْأَصْلِ مُخْتَارُ (٢)
أَهْلاً وَسَهْلاً فَفِى أَمْنٍ وَفِى سَعَةٍ نِعْمَ النَّبِىُّ وَنِعْمَ الْقَسْمُ وَالْجَارُ
فَأَنْزَلُوهُ بِدَارٍ لاَ يَخَافُ بِهَا مَنْ كَانَ جَارَهُمُ دَاراً هِىَ الدَّارُ
وَقَاسَمُوهُمْ بِهَا الْأَمْوَالَ إِذْ قَدِمُوا مُهَاجِرِينَ وَقَسْمُ الْجَاحِدِ النَّارُ
سِرْنَا وَسَارُوا إِلَى بَدْرٍ لِحَيْنِهِمُ لَوْ يَعْلَمُونَ يَقِينَ الْعِلْمِ مَاسَارُوا
دَلاَّهُمُ بِغُرُورٍ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ إِنَّ الْخَبِيثَ لِمَنْ وَالاَهُ غَرَّارُ
وَقَالَ : إِنِّى لَـكُمْ جَارٌ فَأَوْرَدَهُمْ شَرَّ الْمَوَارِدِ فِيهِ الْخِزْىُ وَالْعَارُ
ثُمَّ الْتَقَيْنَا فَوَلَّوْا عَنْ سَرَاتِهِمُ
مِنْ مُنْجِدِينَ وَمِنْهُمْ فِرْقَةٌ غَارُوا (٣)

---

(١) ترجون : يروى بالراء المهملة ، وأصله من الرجاء ، ويروى بالزاى الموحدة ، ومعناه تسوقون سوقا رفيقا ، والأنفال : جمع نفل ، والخميس : الجيش ، والعرمرم : الـكثير المجتمع

(٢) القسم — بفتح القاف — مصدر قسم ، وهو بكسر القاف : الحظ والنصيب .

(٣) السراة : خيار الناس ، ومنجدين : قاصدين نجدا ، وغاروا : ذهبوا إلى الغور

قال ابن هشام : وأنشدنى قوله « لما أتاهم كريم الأصل مختار » أبو زيد الانصارى

المُطْعِمُونَ من قريش (١)

قال ابن إسحق : وكان المطعمون من قريش ثم من بنى هاشم بن عبد مناف : العباسَ بن عبد المطلب بن هاشم ؛ ومن بنى عَبْدِ شمس بن عبدمناف : عُتْبَةَ بن ربيعة بن عبدشمس ؛ ومن بنى نَوْفل بن عبدمناف : الحرث بن عامر بن نوفل ، وطُعَيْمَةَ بن عَدِيّ بن نوفل ، يعتقبان ذلك ؛ ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى : أبا البَخْتَرِىّ بن هشام بن الحرث بن أسد ، وحكيم ابن حزام بن خُوَيلد بن أسد ، يعتقبان ذلك ؛ ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ : النَّضْرَ بن الحرث بن كَلَدَة بن عَلْقَمة بن عبد مناف بن عبد الدار

قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحرث بن عَلْقَمة بن كَلَدة بن عبد مناف [بن عبد الدار]

قال ابن إسحق : ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظة : أبا جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ؛ ومن بنى جُمَح : أمَيَّةَ بن خَلَف بن وهب بن حُذَافة بن جُمَح ؛ ومن بنى سَهْم بن عمرو : نُبَيْهًا ومُنَبِّهًا ابنى الحجاج بن عامر بن حُذَيْفة بن سعد بن سهم ، يعتقبان ذلك ؛ ومن بنى عامر بن لُؤَى : سُهَيْل بن عمرو بن عبد شمس بن عَبْد وُدّ بن نَصْر ابن مالك بن حِسْل بن عامر

---

(١) المطعمون : الذين كانوا يهيئون الطعام للحاج ويقدمونه لهم ، فقد كان هؤلاء ينحرون الابل للحجاج ويهيئون لهم الطعام ، ويقومون باطعامهم أيام الجاهلية

أسماء خَيْل المسلمين يوم بدر

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أنه كان مع المسلمين يوم بدرمن الخيل فَرَسُ مَرْثَد بن أبى مَرْثَد الغَنَوِى ، وكان يقال له السَّبَل[1] وفرس المِقْدَادِ بن عَمْرٍو البَهْرَانِى ، وكان يقال له : بَعْزَجَة ، ويقال : سَبْحَة ، وفرسُ الزُّبَيْرِ بن العَوَّام ، وكان يقال له : اليَعْسُوب

[قال ابن هشام : ومع المشركين مائة فرس]

ذكر نزول سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

[قال : حدثنا أبو محمد عبـد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّائى ، عن محمد بن إسحق المطلبى]

قال : فلما انقضى أمر بدرٍ أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها ، فـكان مما نزل منها فى اختلافهم فى النَّفَل حين اختلفوا فيه (٨ : ...) : (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فـكان عُبَادَةُ بن الصامت — فيما بلغنى — إذا سئل عن الأنفال قال : فينامَعْشَرَ أهل بدر نزلت ، حين اختلفنا فى النَّفَلِ يوم بدر ، فانتزعه الله من أيدينا — حين ساءت فيه أخلاقنا — فَرَدَّهُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بيننا عن بَوَاء (يقولُ : عَلَى السَّوَاء) وكان فى ذلك

---

(١) « ويقال له السيل » قال أبو ذر : « يروى السيل بالياء المنقوطة باثنتين من تحتها ، والصواب فيه سبل بالباء المنقوطة بواحدة من تحتها ، وهو اسم علم معرفة لاينصرف » اه

تَقْوَى اللّهِ وطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وصلاح ذات الْبَيْنِ

ثم ذكر القوم ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين عرف القوم أن قريشا قدساروا إليهم — وإنما خرجوا يريدون العِيرَ طَمَعًا فى الغنيمة ، فقال : (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) أى : كراهية للقاء القوم ، وإنكارًا لمسير قريش حين ذكروا لهم (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) أى : الغنيمة دون الحرب (وَيُرِيدُ اللّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) : أى بالوقعة التى أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) أى : لدعائهم حين نظروا إلى كثرة عدوهم وقلة عددهم (فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) بِدُعَاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم (أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ) أى : أنزلت عليكم الأمنة حتى نمتم لاتخافون (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) للمطر الذى أصابهم تلك الليلة ، فحبس المشركين أن يسبقوا إلى الماء ، وخَلَّى سبيل المسلمين إليه (لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ)أى : ليذهب عنكم شك الشيطان لتخويفه إياهم عدوهم واستجلاد[1] الأرض لهم حتى انْتَهَوْا إِلَى مَنْزِلِهِمْ الذى سبقوا إليه عَدُوَّهُمْ ، ثم قال تعالى : (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) أى : آزروا الذين آمنوا

---

(١) استجلاد الأرض : أى شدتها ، وقوة احتمالها للسير عليها فلم تكن رخوة تغوص فيها أرجلهم ، والجلد : الأرض الشديدة

﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ثم قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ أى : تحريضا لهم على عدوهم ؛ لئلا ينكلوا عنهم إذا لقوهم ، وقد وعدهم الله فيهم ماوعدهم ، ثم قال تعالى فى رَمْيِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بالحصباء من يده حين رماهم : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ أى : لم يكن ذلك برميتك لولا الذى جعل الله فيها من نصرك وما ألقى فى صدور عدوك منها حين هزمهم الله ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ﴾ أى : ليعرف المؤمنين من نعمته عليهم فى إظهارهم على عدوهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه و يشكروا بذلك نعمته ، ثم قال : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ أى : لقول أبى جهل : اللهمَّ أقطعُنا للرَّحِم وآتانا بما لايعرف فأَحِنْهُ الغَداة ، والاستفتاح : الإنصاف فى الدعاء ، يقول الله جل ثناؤه ﴿ وَإِنْ تَنْتَهُوا ﴾ أى : لقريش ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ ﴾ أى : بمثل الوقعة التى أصبناكم بها يوم بدر ﴿ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى : إن عددكم وكثرتكم فى أنفسكم لن تغنى عنكم شيئاً وأنى مع المؤمنين أنصرهم على من خالفهم ، ثم قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ أى : لاتخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله وتزعمون أنكم منه ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ أى : كالمنافقين الذين يظهرون له

الطاعة وَيُسِرُّون له المعصية (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) أى : المنافقون ـ الذين نهيتكم أن تكونوا مثلهم ـ بُكْمٌ عن الخير صُمٌّ عن الحق ، لايعقلون : لايعرفون ماعليهم فى ذلك من النقمة والتَّبَاعة (ولَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ) أى : لأنفذلهم قولهم الذى قالوا بألسنتهم ولكن القلوب خالفت ذلك منهم (وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) ماوفوا لكم بشىء مما خرجوا عليه (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ ولِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) أى : للحرب التى أعزكم الله بها بعد الذل ، وقوَّاكُمْ بها بعد الضعف ، ومنعكم بها من عَدُوِّكم بعد القهر منهم لكم (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرونَ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أى : لاتظهروا له من الحق مايرضى به منكم ثم تخالفوه فى السر إلى غيره فان ذلك هلاك لأماناتكم وخيانة لأنفسكم (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّآتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) أى : فَصْلاً بين الحق والباطل ليظهر الله به حقكم ويطفىء به باطل من خالفكم ، ثم ذَكَّرَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم بنعمته عليه حين مَكَرَ به القوم ليَقْتُلُوه أو يُثْبِتُوه أو يُخْرجوه (وَيَمْكُرُونَ ويمكر الله والله خير الماكرين) ، أى : فمكرت بهم بكيدى المتين حتى خَلَّصْتُك منهم ، ثم ذكر غِرَّةَ قريش واستفتاحهم على أنفسهم إذ قالوا (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ) أى : ماجاء به محمد (فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ) كما أمطرتها على قوم لوط (أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) أي : بعض ماعذبت

به الأمم قبلنا ، وكانوا يقولون : إن الله لايعذبناونحن نستغفره ، ولم تعذب أمة ونبيها معها حتى يخرجه عنها ، وذلك من قولهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر جهالتهم وغرّتهم واستفتاحهم على أنفسهم حين نعى عليهم سوء أعمالهم : (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) أي : لقولهم : إنا نستغفر ومحمد بين أظهرنا ، ثم قال : (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللهُ) وإن كنت بين أظهرهم وإن كانوا يستغفرون كما يقولون (وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أي : من آمن بالله وعبده ، أي : أنت ومن اتبعك (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ) الذين يحرمون حرمته ويقيمون الصلاة عنده ، أي : أنت ومن آمن بك (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ) التي يزعمون أنه يدفع بها عنهم (إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً)

قال ابن هشام : الْمُكَاء : الصَّفير ، وَالتَّصْدِية : التصفيق ، قال عنترة ابن عمرو [بْن شَدَّاد] العَبْسِيُّ : —

وَلَرُبَّ قِرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً
تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ (١)

يعنى صوت خروج الدم من الطَّعنة كأنه الصفير ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال الطِّرِمَّاح بن حَكيم الطائى : —

---

(١) مجدلا : أى لاصقا بالأرض ، والجدالة : الأرض . والفريصة : بضعة فى مرجع الكتف ، والأعلم : أراد به الجمل ، وجعله أعلم لأن شفته مشقوقة .

لَهَا كلَّمَا رِيعَتْ صَدَاةٌ وَرَكْدَةٌ

بِمُصْدَانِ أَعْلَى ابْنَىْ شَمَامِ الْبَوَائِنِ (١)

وهذا البيت فى قصيدة له يعنى الْأُرْوِيَّةَ (٢) ، يقول : إِذَا فَزِعَتْ قَرَعَتْ بيدها الصَّفَاةَ (٣) ثُمَّ رَكَدَتْ تسمع لِقَرْعِهَا ، وَقَرْعُهَا بيدها الصفاة مثل التصفيق ، وَالْمُصْدَانُ : الْحُزْنُ (٤) وابنا شَمَامٍ : جبلان

قال ابن إسحق : وذلك مالا يَرْضَى اللهُ عز وجل ، ولا يحبه ، ولاما افترض عليهم ولاماأمرهم به (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) أى : لما أوقع بهم يوم بدر من القتل .

قال ابن إسحق : وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عَبَّاد . عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : ما كان بين نزول (٧٣ : ١) : (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) وقول الله تعالى فيها (٧٣ : ١١ — ١٣) : (وَذَرْنِى وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وعَذَابًا أَلِيمًا) إلا يسير ، حتى أصاب الله قريشا بالوقعة يوم بدر .

---

(١) صداة : أى صفير ، وركدة : أى سكون ، ومصدان : جمع مصاد ، وهو أعلى الجبل ، ويقال : هو الجبل الذى يصعد إليه ولا يهبط منه ، وابنا شمام : جبلان ، والبوائن : التى بان بعضها على بعض

(٢) الأروية ـ بضم الهمزة وسكون الراء وكسر الواو والياء مشددة ـ أنثى الوعل ، وهو التيس الجبلى

(٣) الصفاة : الصخرة الملساء

(٤) الحزن : هو ما غلظ من الأرض ، وفى بعض نسخ الكتاب « والمصدان الحرز » والحرز هو الجبل المانع الذى يحرز من لجأ إليه

قال ابن هشام : الأنكال : القيود ، واحدها نِكْلٌ ، قال رؤبة ابن العَجّاج : —

* يَكْفِيكَ نِكْلِي بَغْيَ كُلِّ نِكْلِ *

وهذا البيت فى أرجوزة له

قال ابن إسحق : ثم قال الله عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) يعنى النفر الذين مَشَوْا إلى أبى سفيان وإلى من كان له مال من قريش فى تلك التجارة فسألوهم أن يُقَوُّوهُمْ بها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلوا ، ثم قال : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَاقَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا) لحربك (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) أى : من قتل منهم يوم بدر ، ثم قال تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَاتَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ) أى : حتى لايفتن مؤمن عن دينه ، ويكون التوحيد لله خالصا ليس له فيه شريك ويخلع مادونه من الأنداد [1] (فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِنْ تَوَلَّوْا) عن أمرك إلى ماهم عليه من كفرهم (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ) الذى أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر فى كثرة عددهم وقلة عددكم (نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) ثم أعلمهم مقاسم الفىء وحكمه فيه — حين أحله لهم — فقال : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ

---

(١) الأنداد : جمع ند ، وهو المثل والشبيه ، والمراد هنا ما كان المشركون يعبدونه من دون الله ، فانهم شبهوها بالله فى استحقاق العبادة

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أي : يوم فرقت فيه بين الحق والباطل بقدرتى ، يوم التقى الجمعان منكم ومنهم (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا) من الوادى (وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى) من الوادى إلى مكة (وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) أى : عير أبى سفيان التى خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم (وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ) أى : ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ما لقيتموهم (وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) أى : ليقضي ما أراد بقدرته من إعزاز الاسلام واهله ، وإذلال الكفر وأهله عن غير بلاء منكم ففعل ما أراد من ذلك بلطفه ، ثم قال : (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) أى : ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآية والعبرة ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك ، ثم ذكر لطفه به وكيده له ، ثم قال : (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) فكان ما أراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم شَجَّعَهُمْ بها على عدوهم وَكَفَّ بها عنهم مَا تُخُوِّفَ عليهم من ضعفهم ، لعلمه بما فيهم .

[قال ابن هشام « تُخُوِّفَ » مُبْدَلَةٌ من كلمة ذَكَرَهَا ابنُ إسحق ، ولم أذكرها] .

(وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) أى : ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والانعام على من أراد إتمام النعمة عليه من أهل ولايته ، ثم وعظهم وفهمهم وأعلمهم الذى ينبغى لهم أن يسيروا به

فى حربهم ، فقال تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً) تُقَاتِلُونَهُمْ فِى [سَبِيلِ] الله [عز وجل] (فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ) الذى له بذلتم أنفسكم والوفاء له بما أعطيتموه من بيعتكم ([كَثِيراً] لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا) أى لاتختلفوا فيتفرق أمركم (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) أى : وتذهب حِدَّتُكُمْ (واصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) أى : إنى معكم إذا فعلتم ذلك (وَلاَ تَكُونُوا كَالذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ) أى : لاتكونوا كأبى جهل وأصحابه الذين قالوا : لانرجع حتى نأتى بدرا فننحر بها الْجُزُر وَنَسْقِى بها الخمر وَتَعْزِف علينا فيه القيان وتسمع بنا العرب ، أى : لايكون أمركم رياء ولا سمعةً ولا الْتِمَاسَ ماعند الناس ، وأخلصوا لله النية والْحِسْبَة فى نصر دينكم ومؤازرة نبيكم ، لاتعملوا إلا لذلك ، ولا تطلبوا غيره ، ثم قال تعالى : (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَاغَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَكُمْ)

قال ابن هشام : وقد مضى تفسير هذه الآية

قال ابن إسحق : ثم ذكر الله تعالى أهل الكفر ومَا يَلْقَوْنَ عند موتهم ، ووصفهم بصفتهم ، وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عنهم حتى انتهى إلى أن قال : (فإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خلفهم لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) أى : فنكل بهم من ورائهم لعلهم يعقلون (وأَعِدُّوا لَهُمْ مَااسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ) إلى قوله تعالى : (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَىْءٍ فى سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وأَنْتُمْ لَاتُظْلَمُون) أى : لايضيع لكم [عند الله] أجره فى الآخرة ، وعاجل خلفه فى الدنيا ، ثم قال تعالى : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا)

أى : إنْ دَعَوْكَ إلى السلم على الإسلام فصالحهم عليه (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) إن الله كافيك (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

قال ابن هشام · جنحوا للسلم : مالوا إليك للسلم ؛ الْجُنُوح : الميل ، قال لَبيدُ بن ربيعة : —

جُنُوحَ الْهَالِكِيِّ عَلَى يَدَيْهِ   مُكِبًّا يَجْتَلِي نُقَبَ النِّصَالِ [1]

وهذا البيت فى قصيدة له [يُرِيدُ الصَّيْقَلِ الْمُكِبَّ عَلَى عَمَلِهِ ، وَالنُّقَب : صدَأَ السَّيْفِ ، وَيجتَلِي : يَجْلُو السَّيْفَ]

والسلم أيضا : الصلح ، وفى كتاب الله عز وجل (٤٧ : ٣٥) : (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ) وَيقرأ (إِلَى السِّلْمِ) وهو ذلك المعنى ، قال زهير بن أبى سلمى : — تفسير السلم

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعًا   بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ

وهذ البيت فى قصيدة له

قال ابن هشام : و بلغنى عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه كان يقول : و إن جنحوا للسلم للاسلام ، وفى كتاب الله تعالى (٢ : ٢٠٨) : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اُدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) ويقرأ (فى السَّلم) ، وهو الإسلام ، قال أمية بن أبى الصَّلْت : —

---

(١) الهالكى : الحداد ، وذلك أن أول من عمل عمل الحداد هو الهالك ابن أسد ، وأراد به ههنا الصيقل الذى يجلو السيوف ، ويجتلى : يجلو ويصقل ، والنقب : الصدأ الذى يعلو الحديد ، والنصال : جمع نصل ، وهو حديدة السهم ، وثبت فى بعض النسخ تفسير بعض هذه الكلمات عن ابن هشام

فَمَا أَنَابُوا لِسِلْمٍ حِينَ تُنْذِرُهُمْ
رُسْلُ الْإِلٰهِ وَمَا كَانُوا لَهُمْ عَضُدَا (١)

وهذا البيت فى قصيدةله ، وتقول العرب لدَلْوٍ تُعْمَلُ مستطيلةً : السَّلْمِ ، قال طَرَفَةُ بن الْعَبْدِ أحدُ بنى قَيْس بن ثَعْلَبَةَ يصف ناقةً : —

لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتَلَانِ كَأَنَّمَا تَمُرُّ بِسَلْمَىْ دَالِجٍ مُتَشَدِّدِ (٢)

وهذا البيتِ في قصيدة له

(وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ) هو من وراء ذلك (هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ) بعدالضعف (وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) على الهدى الذى بعثك الله به إليهم (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً مَاأَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ) بدينه الذى جمعهم عليه (إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ثم قال تعالى : (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) أى : لا يقاتلون على نية ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر

قال ابن إسحق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال : لما نزلت هذه الآية

---

(١) أنابوا : رجعوا ، وما كانوا لهم عضدا : أى لم يعينوهم فيكونوا لهم بمنزلة العضد

(٢) الأفتلان : المتباينان ، كأنما فتلا عن صدرها ، أى عدلا ، والسلم : الدلولها عروة واحدة نحو دلو السقائين ، والدالج : الذى يمشى بين الحوض والبئر ، يقول : هما مفتولان كأنهما سلمان بيدى دالج فهو يجافيهما عن ثيابه

اشتدَّ على المسلمين ، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ، ومائةٌ ألفًا ، فخفَّف الله عنهم ، فنسختها الآية الأخرى ، فقال : (الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) قال : فكانوا إذا كانوا على الشَّطْر من عدوهم لم يَنْبَغِ لهم أن يفروا منهم ، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم ، وجاز لهم أنْ يتحوَّزوا عنهم

قال ابن إسحق : ثم عاتبه الله تعالى فى الأسارى وأخْذِ المغانم (١) ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنما من عدوٍّ له

قال ابن إسحق : حدثنى محمد أبوجعفر بن على بن الحسين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَجُعِلَتْ لِىَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُورًا ، وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ ، وَأُحِلَّتْ لِىَ المَغَانِمُ وَلَمْ تُحَلَّلْ لِنَبِىٍّ كَانَ قَبْلِى ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، خَمْسٌ لَمْ يُؤْتَهُنَّ نَبِىٌّ قَبْلِى »

قال ابن إسحق : فقال : (مَا كَانَ لِنَبِىٍّ) أى : قبلك (أَنْ تَكُونَ لَهُ أَسْرَى) من عدوه (حَتَّى يُثْخِنَ فِى الأَرْضِ) أى : يُثْخن عدوه حتى ينفيه من الأرض (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا) أى : المتاع الفداء بأخذ الرجال (وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ) أى : قتلهم لظهور الدين الذى تريدون إظهاره ، أى : والذى تُدْرَكُ به الآخرة (لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ) أى : من الأسارى والمغانم (عَذَابٌ عَظِيمٌ) أى : لولا أنه سبق منى أنى لا أعذب إلا بعد النهى ولم يك نهاهم لعذبتكم فيما صنعتم ، ثم أحلها له ولهم رحمةً منه وعائدة من الرحمن الرحيم ، فقال : (فَكُلُوا مِمَّا

---

(١) فى نسخة « وأخذ الغنائم »

غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ثم قال : (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وحضّ المسلمين على التواصل ، وجعل المهاجرين والأنصار أهل ولايته فى الدين دون من سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ، ثم قال : (إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) أى : إن لا يوالِ المؤمنُ المؤمنَ دون الكافر ـ وإن كان ذا رحم به ـ تكن فتنة فى الأرض : أى شبهة فى الحق والباطل ، وظهور الفساد فى الأرض بتولى المؤمن الكافر ، دون المؤمن ، ثم ردّ المواريث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونهم إلى الأرحام التى بينهم ، فقال : (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ) أى : بالميراث (إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

جريدة من حَضَر بدرا من المسلمين

من قريش ومن معهم

قال ابن إسحق : وهذه تسمية من شهد بدرا من المسلمين ، [ثم من قريش] ثم من بنى هاشم بن عبد مناف ، و بنى المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤَى بن غالب بن فِهْر بن مالك ابن النَّضْر بن كنانة

من حضر بدرا من بنى هاشم وبنى المطلب ومواليهم

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وحمزة بن عبد المطلب بن هاشم أسَدُ الله وأسَدُ رسوله عَمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى بن أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم ، وزَيْدُ بن حارثة بن شُرَحْبيل بن كَعْب بن عبد العُزَّى ابن امرىء

القيس الكَلْبِي ، أنعم الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شَرَاحيل بن كَعْب بن عبد العُزَّى بن امرىء القيس بن عامر بن النُّعْمَان بن عامر بن عبد وُدّ بن عَوْف بن كِنَانة بن بَكْر ابن عَوْف بن عُذْرة بن زَيْد الله بن رُفَيْدة بن ثَوْر بن كلب بن وَبْرة

قال ابن إسحق : وَأَنَسَةُ مَوْلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو كَبْشَةَ مَوْلَي رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : أَنَسَة حبشي ، وأبو كبشة فارسي

قال ابن إسحق : وأبو مَرْثَدٍ كَنَّاز بن حصْن بن يَرْبُوع بن عَمْرو بن يَربُوع بن خَرَشَة بن سَعْد بن طَرِيف بن حِلَّان بن غَنْم بن غَنِيّ بن يَعْصُر ابن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان

قال ابن هشام : كَنَّاز بن حُصَيْن

قال ابن إسحق : وابنه مَرْثَد بن أبي مَرْثَدٍ حليفا حَمْزَةَ بن عبد المطلب وَعُبَيْدَةُ بن الحَرث بن المُطَّلِب ، وأخواه : الطُّفَيْل بن الحَرث ، وَالحُصَيْن بن الحرث ، وَمِسْطَح ، واسمه عَوْف بن أُثَاثَة بن عَبَّاد بن المُطَّلب ، اثنا عشر رجلا .

من حضر بدرا من بني عبد شمس ومواليهم

ومن بني عبد شَمْس بن عبد مناف : عُثْمانُ بن عَفَّان بن أبي العاص ابن أُمَيَّة بن عبد شمس ، تخلف على امرأته رُقَيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسَهمه ، قال : وَأَجْرِي يا رسول الله ، قال : « وَأَجْرُكَ » ، وأبو حُذَيْفَة بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وَسَالِمٌ مَوْلَى أبي حذيفة

قال ابن هشام : واسم أبي حذيفة مِهْشَمٌ

قال ابن هشام : وسالم سائبة لِثُبَيْتَة بنت يَعَار بن زَيْد بن عُبَيْد بن

زَيْد بن مالك بن عَوْف بن عَمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس ، سَيَّبَتْه فانقطع إلى أبي حُذَيفة فتبنَّاه ، ويقال : كانت ثُبَيْتَةُ بنت يَعَار تحت أبي حذَيفة بن عُتْبَة فأعْتَقَتْ سالما سائبةً ، فقيل : سالم مولى أبي حذيفة

قال ابن إسحق : وزعموا أن صُبَيْحًا مولى أبي العاص بن أمية بن عبد شمس تجهَّزَ للخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مرض فحمَلَ على بعيره أبا سَلَمَة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمَر بن مَخزوم ثم شهد صُبَيْحٌ بعد ذلك المشاهد كلَّهَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

من شهد بدرا من بني أسد بن خزيمة حلفاء بني عبد شمس

وشهد بدرا من حلفاء بني عبد شمس ، ثم من بني أسد بن خُزَيْمَةَ : عبد الله بن جَحْش بن رِئَاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مُرَّة بن كَبِير بن غَنْم ابن دُودَان بن أسد ، وعُكَّاشَة بن مِحْصَن بن حُرْثان بن قيس بن مرة ابن كبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد، وشُجَاع بن وَهْب بن رَبيعة بن أسَد ابن صُهَيْب بن مالك بن كَبِير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد ، وأخوه عُقْبَة ابن وَهْب ، ويزيد بن رُقَيْش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مُرَّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد ، وأبو سِنَان بن مِحْصَن بن حُرْثان بن قَيْس أخو عُكَّاشة بن مِحْصَن ، وابنه سِنَان بن أبي سنان ، ومُحْرِز بن نَضْلة بن عبد الله بن مُرَّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد ، وربيعة ابن أَكْثَم بن سَخْبَرَة بن عَمْرو بن لُكَيْز بن عامر بن غَنْم بن دُودَان ابن أسد

من حضر بدرا من حلفاء بني كبير بن غنم

ومن حلفاء بني كَبِير بن غَنْم بن دودان بن أسد : ثَقْف بن عمرو ، وأخواه : مالك بن عمرو ، ومُدْلِج بن عمرو

قال ابن هشام : مِدْلاَج بن عمرو

قال ابن إسحق : وهم من بنى حَجْر آل بنى سُلَيم ، وأبو مَخْشِيّ حليفٌ لهم ، ستة عشر رجلا

قال ابن هشام : أبو مَخْشِيّ طائىٌّ ، واسمه سُوَيد بن مَخْشِي

قال ابن إسحق : ومن بنى نَوْفل بن عبد مَنَاف : عُتْبَة بن غَزْوَان ابن جابر بن وَهْب بن نُسَيْب بن مالك بن الحرث بن مازن بن منصور ابن عِكْرِمَة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عيلان ، وخبّابٌ مولى عُتْبَة بن غَزْوان ، رجلان

من حضر بدرا من بنى نوفل بن عبد مناف

ومن بنى أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَى : الزُّبَيْر بن العَوَّام بن خُوَيْلد بن أسد ، وحاطب بن أبى بَلْتَعة ، وسعد مولى حاطب ، ثلاثة نفر

من حضر بدرا من بنى أسد بن عبد العزى

قال ابن هشام : حاطب بن أبى بلتعة ، واسم أبى بَلْتَعَة عَمْرٌو ، لَخْمِيٌّ وسعد مولى حاطب كَلْبِى

قال ابن إسحق : ومن بنى عبد الدار بن قُصَى : مُصْعَبُ بن عُمَير بن هاشم بن عَبْد مَنَاف بن عبد الدار بن قصى ، وَسُوَيْبط بن سَعْد بن حُرَيْملة[1] بن مالك بن عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار [بن قصى] رجلان .

من حضر بدرا من بنى عبد الدار

ومن بنى زُهْرَة بن كلاب : عبد الرحمن بن عَوْف بن عَبْد عوف بن عبد الحرث بن زُهْرة ، وَسَعْد بن أبى وَقَّاص ، وأبو وَقّاص مالكُ بن أُهَيب بن عبد مناف بن زهرة ، وأخوه عُمَيْر بن أبى وقاص

من حضر بدرا من بنى زهرة وحلفائهم

ومن حلفائهم : المِقْدَادُ بن عَمْرو بن ثَعْلَبة بن مالك بن ربيعة بن ثُمَامَة بن مَطْرود بن عمرو بن سعد بن زُهَيْر بن ثَوْر بن ثَعْلبة بن مالك

---

(١) ويقال : ابن حرملة

ابن الشريد بن هَزْل بن قائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أَهْوَد بن بَهْرَا ابن عَمْرو بن إلحاف بن قضاعة

قال ابن هشام : ويقال : هَزْل بن قاس بن ذر ، ودَهِير بن ثور

قال ابن إسحق : وَعَبْدُ الله بن مَسْعود بن الحرث بن شَمْخ بن مَخْزوم ابن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل ، ومَسْعُود بن ربيعة بن عَمْرو بن سَعْد بن عبـد العُزَّى بن حَمَالة بن غالب بن مُحَلِّم بن عائذة بن سُبَيْع بن الهُون بن خُزَيمة من القارة

قال ابن هشام : القارة : لقب ، ولهم يقال * قَدْ أَنْصَفَ القَارَةَ مَنْ رَاماهَا * وكانوا رماة

قال ابن إسحق : وذو الشِّمَالَيْن بن عبد عَمْرو بن نَضْلة ، من غُبْشَان ابن سُلَيم بن مَلْكَان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر من خزاعة

قال ابن هشام : وإنما قيل له ذو الشمالين لأنه كان أعسر[1] واسمه عمير

قال ابن إسحق : وخَبَّابُ بن الأَرَتّ ، ثمانية نفر

قال ابن هشـام : خبَّاب بن الأرت من بنى تميم ، وله عقب ، وهم بالكوفة ، ويقال : خَبَّابٌ من خزاعة

من حضر بدرا بنى تيم بن مرة

قال ابن إسحق : ومن بنى تَيْم بن مُرَّة : أبو بكر الصِّدِّيقُ ، واسمه عَتِيق بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم

قال ابن هشام : اسم أبى بكر عبـــد الله ، وعتيق لقب لحسن وجهه وعتقه .

قال ابن إسحق : وبلالٌ مَوْلى أبى بكر ، وبلال مُوَلَّد من مُوَلَّدِى

---

(١) قال أبو ذر : « ذو الشمالين غير ذى اليدين ، وذو اليدين رجل من بنى سليم ، وذو الشمالين رجل من خزاعة من بنى زهرة » اه

بنى جُمَح اشتراه أبو بكر من أمية بن خلف ، وهو بلال بن رَبَاح[لاعقب له] ، وعامر بن فهيرة .

قال ابن هشام : عامر بن فُهَيْرة مُوَلَّد من مُوَلَّدى الأسْد أسود ، اشتراه أبو بكر منهم

قال ابن إسحق : وصُهَيْبُ بن سنان ، من النَّمِر بن قاسط

قال ابن هشام : النَّمِرُ : ابن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن جَديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار ، ويقال : أفْصَى : ابن دُعْمِىّ بن جَديلة [بن أسد بن ربيعة ابن نزار] ، ويقال : صُهَيْب مولى عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم ، ويقال : إنه رومىٌّ ، فقال بعض من ذكر أنه من النمر ابن قاسط : إنما كان أسيراً فى الروم فاشترى منهم ، وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « صُهَيْبٌ سابِقُ الرُّوم »

قال ابن إسحق : وطَلْحَة بن عُبَيْد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تَيْم ، كان بالشأم فقدم بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلمه فضرب له بسهمه ، فقال : وأجْرِى يارسولَ الله ، قال : « وأجْرك » خمسة نفر

من حضر بدرا من بنى مخزوم

قال ابن إسحق : ومن بنى مخزوم بن يَقَظَة بن مُرَّة : أبو سَلَمَة بن عبد الأسد ، واسم أبى سلمة عَبْدُ الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عُمر بن مخزوم ؛ وشَمَّاس بن عثمان بن الشَّريد بن سُوَيْد بن هَرْمِىّ ابن عامر بن مخزوم

قال ابن هشام : واسم شَمَّاس عثمان ، وإنما سمى شَمَّاسا لأن شماساً من الشمامسة قدم مكة فى الجاهلية ، وكان جميلا ، فعجب الناس من جماله ، فقال عتبة بن ربيعة — وكان خال شماس — : فأنا آتيكم بشمَّاسٍ

أَخْشَنَ منه ، فأتى بابن أختــه عثمان بن عثمان ، فسمى شمَّاسا فيما ذكر ابن شهاب الزهرى وغيره

قال ابن إسحق : والأَرْقَم بن أبى الأرقم ، واسم أبى الأرقم عَبْـدُ مناف ابن أسد ، وكان أسد يكنى أبا جُنْدَب بن عبـد الله بن عُمَر بن مخزوم ؛ وعَمَّار بن ياسر

قال ابن هشام : عمار بن ياسر عَنْسِىٌّ من مَذْحِج

قال ابن إسحق : ومُعَتِّب بن عَوْف بن عامر بن الْفَضْل بن عفيف ابن كُلَيْب بن حُبْشِيَّة بن سَلول بن كعب بن عمرو ، حليفٌ لهم من خزاعة ، وهو الذى يدعى عَيْهامة [1] ، خمسة نفر

من حضر بدرا من بنى عدى بن كعب

ومن بنى عدى بن كعب : عُمَر بن الخطَّاب بن نُفَيْـل بن عبد الْعُزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رزاح بن عَدِىّ ، وأخوه زَيْد بن الخطاب ؛ ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب ، من أهل اليمن ، وكان أول قتيل من المسلمين بين الصَّفَّين يوم بدر ، رُمِىَ بسهم

قال ابن هشام : مِهْجَعٌ من عَكّ [بن عَدْنان]

قال ابن إسحق : وعَمْرو بن سُرَاقة بن الْمُعْتَمِر بن أَنَس [2] بن أَدَاة ابن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب ؛ وأخوه عَبْدُ الله ابن سُرَاقة ؛ وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرِين بن ثَعْلَبَة بن

---

(١) أصل العيهامة الطويل العنق

(٢) فى الاصابة : « عمرو بن سراقة بن المعتمر بن أنس بن رباح بن قرط بن عبد الله بن رزاح بن عدى » ووقع فى أصول هذا الكتاب « ابن أداة » بالدال المهملة ، وفى بعضها بالذال معجمة ، وقال أبو ذر : « كذا وقع هنا بالدال المهملة ، وأذاة ـ بالذال المعجمة ـ ذكره أبو عبيد عن ابن الكلبى »

يَرْبوع بن حَنْظَلَة بن مالك بن زَيْد مَنَاة بن تميم ، حليف لهم ، وَخَوْلِيّ ابن أبي خَوْلى ، ومالك ابن أبي خَوْلِيّ ، حليفان لهم

قال ابن هشام : أبو خَوْلى من بنى عِجْل بن لُجَيْم بن صَعْب بن على ابن بكر بن وائل

قال ابن إسحق : وعامر بن رَبيعة ، حليفُ آل الخطاب ، من عنز ابن وائل

قال ابن هشام : عنز : ابن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، ويقال : أَفْصَي : ابنُ دُعْمِيّ بن جديلة

قال ابن إسحق : وعامر بن الْبُكَيْر بن عبد ياليل بن نَاشِب بن غِيَرَة ، من بنى سعد بن ليث ، وعاقل بن الْبُكَيْر ، وخالد بن الْبُكَير ، وإياس بن الْبُكير ، حلفاء بنى عدى بن كعب ، وَسَعيد بن زيد بن عَمْرو ابن نُفَيل بن عبد الْعزَّى بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رَزَاح بن عَدِيّ ابن كعب ، قدم من الشأم بعد ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ، فكلمه فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه ، قال : وأجرى يارسول الله ، قال « وَأَجْرُكَ » أربعة عشر رجلا

ومن بنى جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب : عثمان بن مَظْعون ابن حبيب بن وَهْب بن حُذَافة بن جمح ، وَابنُهُ السائب بن عثمان ، وأخواه : قُدَامة بن مَظْعون ، وَعَبْد الله بن مظعون ، وَمَعْمَر بن الحرث ابن مَعْمر بن حبيب بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح ، خمسة نفر — من حضر بدرا من بنى جمح بن عمرو

ومن بنى سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب : خُنَيْس بن حُذَافة ابن قَيْس بن عَدِيّ بن سُعَيْد بن سَهْم ، رجل — من حضر بدرا من بنى سهم بن عمرو

من حضر بدرا من بنى عامر بن لؤى

قال ابن إسحق : ومن بنى عامر بن لُؤَى، ثم من بنى مالك بن حِسْل ابن عامر : أبو سَبْرَة بن أبى رُهْم بن عبد العُزَّى بن أبى قيس بن عبد وُدّ ابن نَصْر بن مالك بن حِسْل ، وَعبدُ الله بن مَخْرَمة بن عبد العُزَّى بن أبى قيس بن عبدود بن نصر بن مالك ، وعبدُ الله بن سُهَيْل بن عَمْرو بن عَبْد شَمْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك [بن حِسْل] ، كان خرج مع أبيه سُهَيْل ابن عمرو ، فلما نزل الناس بَدْرًا فَرَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهدها معه ، وَعُمَيْر بن عَوْف مولى سُهَيْل بن عمرو ، وَسَعْدُ بن خَوْلَة ، حليفٌ لهم ، خمسةُ نفرٍ

قال ابن هشام : سَعْدُ بن خَوْلَةَ من اليمن

من حضر بدرا من بنى الحرث بن فهر

قال ابن إسحق : ومن بنى الحرث بن فهر : أبو عُبَيْدَة ، وهو عامر ابن عبد الله بن الجَرّاح بن هِلاَل بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحرث ، وَعَمْرو ابن الحرث بن زُهَيْر بن أبى شَدَّاد بن ربيعة بن هلال بن أُهَيب ابن ضَبَّة بن الحرث ، وَسُهَيل بن وَهْب بن ربيعة بن هلال بن أهيب ابن ضبة بن الحرث ، وأخوه صَفْوَان بن وَهْب ، وهما ابنا بيضاء ، وَعَمْرو ابن أبى سَرْح بن ربيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحرث ، خمسةُ نفرٍ .

عدة من حضر بدرا من المهاجرين

فجميع من شهد بدراً من المهاجرين ، ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ، ثلاثة وثمانون رجلا

استدراك ابن هشام على ابن اسحق

قال ابن هشام : وكثير من أهل العلم — غير ابن إسحق — يذكرون فى المهاجرين ببدر فى بنى عامر بن لؤى وَهْب بن سعد بن أبى سَرْح ، وحَاطِبَ ابن عَمْرو ، وفى بنى الحرث بن فهر عِيَاضَ بن أبى زُهَيْرٍ

الأنصار ومن معهم

من شهد بدر من بنى عبدالأشهل بن جشم

قال ابن إسحق : وشــهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من المسلمين ، ثم من الأنصار ، ثم من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ثم من بنى عبد الأشهل بن جُشَم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : سعدُ بن مُعَاذ بن النُّعْمَان [بن امرىء القيس بن زيد ابن عَبد الأشهل] ، وَعَمْرو بن مُعَاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد ابن عبد الأشهل ، وَالْحَرث بن أَوْس بن مُعَاذ بن النُّعْمَان ، والْحَرث ابن أَنَس بن رَافع بن امرىء القيس

ومن بنى عبيد بن كعب بن عبــد الأشهل : سَعْدُ بن زَيْد بن مالك ابن عبيد

ومن بنى زَعُورا بن عبد الأشهل (قال ابن هشام : ويقال : زَعْوَرَا [(١)]) سَلَمَةُ بن سَلَامة بن وَقَش بن زُغْبَةَ بن زَعورا ، وَعَبَّاد بن بِشْر بن وَقَش بن زغبة بن زَعورا ، وَسَلَمَة بن ثابت بن وَقَش ، ورافع بن يزيد ابن كُرْز بن سَكَن بن زعورا ، والْحرث بن خَزَمَةَ بن عَدِىّ بن أُبَىّ ابن غَنْم بن سالم بن عَوْف بن عَمْرو بن عَوْف بن الْخَزْرج ، حليف لهم من بنى عَوْف بن الخزرج ، ومحمد بن مَسْلَمة بن خالد بن عدى بن مَجْدَعة ابن حارثة بن الحرث ، حليف لهم من بنى حارثة بن الحرث ، وَسَلَمَةُ بن أَسْلَمَ بن حَرِيش بن عَدَىّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحرث ، حليف لهم من بنى حارثة بن الحرث

قال ابن هشام : أسلم : ابن حَرِيس بن عدى

---

(١) « ويقال زعورا » ضبط فى بعض النسخ الأول بفتح الزاى وضم العين وسكون الواو ، وضبط الثانى بفتح الزاى وسكون العين وفتح الواو

قال ابن إسحق : وأبو الْهَيْثَم بن التَّيهان ، وَعُبَيْد بن التَّيهان

قال ابن هشام : ويقال عُتَيك بن التَّيهان

قال ابن إسحق : وَعبدُ الله بن سَهْل ، خَمسَةَ عَشَر رَجُلاً

قال ابن هشام : عبدُ الله بن سَهْل أخو بنى زَعُورا ، ويقال : من غسَّان .

من حضر بدرا من بنى سواد بن ظفر

قال ابن إسحق : ومن بنى ظَفَر ثم من بنى سَوَاد بن كعب ، وكعب هو ظفر (قال ابن هشام : ظَفَر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس) : قَتَادَةُ بن النُّعمَان بن زيد بن عامر بن سواد ، وَعُبَيْد بن أوس ابن مالك بن سَوَاد ، رجلان

قال ابن هشام : عُبَيد بن أوْسٍ الذى يقال له مُقَرِّنٌ ؛ لأنه قَرَنَ أربعة أسرى فى يوم بدر ، وهو الذى أسر عَقيلَ بن أبى طالب يومئذ

من حضر بدرا من بنى عبد بن رزاح وحلفائهم

قال ابن إسحق : ومن بنى عبد بن رزاح بن كعب : نَصْرُ بن الحرث ابن عبد ، وَمُعَتِّب بن عبد ، ومن حلفائهم من بَلِيٍّ : عبدُ الله بن طارق ، ثلاثة نفر

من حضر بدرا من بنى حارثة بن الحرث

ومن بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : مَسْعود بن سعد بن عامر بن عدى بن جُشَم بن مَجْدَعَة بن حارثة

قال ابن هشام : ويقال : مَسعُود بن عبد سعد

قال ابن إسحق : وأبو عَبْس بن جَبْر بن عَمْرو بن زيد بن جُشَم ابن مَجْدَعة بن حارثة

ومن حلفائهم ، ثم من بَلِيٍّ : أبو بُرْدَة بن نِيار ، واسمه هانىء بن نيار بن عَمْرو بن عُبَيْد بن كلاب بن دُهْمان بن غنم بن ذبيان بن هُمَيم بن كاهل بن ذُهْل بن هُنَىّ بن بَلِيّ بن عَمْرو بن إلحاف بن قُضَاعة ، ثلاثة نفر

من حضر بدرا من بنى عمرو بن عوف

قال ابن إسحق: ومن بنى عَمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس، ثم من بنى ضُبَيْعَةَ بن زَيْد بن مالك بن عَوْف بن عَمْرو بن عوف: عاصمُ بن ثابت بن قَيْس، وقيسٌ أبو الأَقْلَح بن عِصْمَةَ بن مالك بن أَمَةَ بن ضُبَيْعَةَ، ومُعَتِّب بن قُشَيْر بن مُلَيل بن زَيْد بن العَطَّاف بن ضُبَيْعَة؛ وأبو مُلَيل ابن الأزعر بن زَيْد بن العَطَّاف بن ضُبَيْعَةَ؛ وعَمْرو بن مَعْبَد بن الأزعر ابن زَيْد بن العطاف بن ضبيعة

قال ابن هشام: عُمَير بن مَعْبَد

قال ابن إسحق: وسَهْل بن حُنَيْف بن واهب بن العُكَيْم بن ثَعْلَبة بن مَجْدَعَة بن الحَرِث بن عمرو، وعمرو الذى يقال له بَحْزَج بن حَنَش بن عَوْف بن عَمْرو بن عوف، خمسة نفر

من حضر بدرا من بنى أمية بن زيد

ومن بنى أُمَيَّةَ بن زَيد بن مالك: مُبَشِّر بن عبد المُنْذِر بن زَنْبَر بن زيد بن أُمَيَّةَ؛ ورِفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر؛ وسعد بن عُبَيد بن النُّعْمَان بن قَيْس بن عَمْرو بن زَيْد بن أمية؛ وعُوَيْم بن ساعِدة؛ ورافع ابن عَنْجَدَة (وعَنْجَدَةُ أُمّه، فيما قال ابن هشام) وعبيد بن أبى عبيد، وثعلبة بن حاطب.

وزعموا أن أبا لُبَابَةَ بن عبد المنذر والحرث بن حاطب خرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرَجَّعَهُمَا وأَمَّرَ أبا لُبَابَةَ على المدينة، فضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر، تسعة نفر

قال ابن هشام: رَدَّهُمَا من الرَّوْحَاء

قال ابن هشام: وحاطبٌ: ابن عمرو بن عبيد بن أمية، واسم أبى لبابة بَشِير

من حضر بدرا من بني عبيد بن زيد وحلفائهم

قال ابن إسحق : ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك : أُنَيْس بن قَتَادَة ابن ربيعة بن خالد بن الحرث بن عبيد

ومن حلفائهم من بَلِيّ : مَعْنُ ابن عدى ابن الجَدّ بن العَجْلان ؛ ابن ضُبَيْعة وثابت بن أقْرَم (١) بن ثعلبة بن عَدِى بن العَجْلان ؛ وعبد الله بن سَلَمَة بن مالك بن الحرث بن عدى بن العَجْلان ، وزيد بن أَسْلَم بن ثعلبة بن عدى بن العَجْلان ؛ وَرِبْعِيّ بن رافع بن زَيْد بن حارثة بن الجَدّ بن العَجْلان

وخرج عاصم بن عَدِيّ بن الجَدّ بن العَجْلان فَرَدَّهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر ؛ سبعة نفر

من حضر بدرا من بني ثعلبة بن عمرو

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : عَبْدُ الله بن جبير بن النعمان بن أُمَيَّة بن البُرَكِ (٢) واسم البُرَك (٢) امرؤ القيس بن ثعلبة، وعاصمُ بن قَيْس

قال ابن هشام : عاصم : ابن قيس بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة

قال ابن إسحق : وأبو ضَيَّاح بن ثابت بن النعمان بن أُمَيَّةَ بن امرىء القيس بن ثعلبة ، وأبو حَنَّة

قال ابن هشام : وهو أخو أبى ضَيَّاح ، ويقال : أبو حَبَّة ، ويقال لامرىء القيس : البُرَك (٢) بن ثعلبة

قال ابن إسحق : وسالم بن عُمَيْر بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة

قال ابن هشام : ويقال ثابت بن عمرو بن ثعلبة

---

(١) فى نسخة « ثابت بن أرقم » وهو تصحيف ، وانظر الاصابة (ج ١ ص ١٩٧)

(٢) قال أبو ذر : « وقع هنا بفتح الباء وسكون الراء ، ويروى أيضاً البرك بضم الباء وفتح الراء»

قال ابن إسحق : وَالحرث بن النُّعْمَان [بن أُمَيَّة] بن امرىء القيس بن ثعلبة ، وَخَوَّات بن جُبَيْر بن النُّعْمَان ، ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسَهْم مع أصحاب بدر ، سبعةُ نفرٍ

من حضر بدرا من بنى جحجبى بن كلفة وحلفائهم

ومن بنى جَحْجَبَى بن كُلْفَةَ بن عوف بن عمرو بن عوف : مُنْذِر بن محمد بن عُقْبة بن أُحَيْحة بن الجُلاح بن الحَرِيش بن جَحْجَبَى ابن كُلْفَة

قال ابن هشام : ويقال : الحَرِيس بن جَحْجَبَى

قال ابن إسحق : ومن حلفائهم من بنى أُنَيْف : أبو عقيل بن عبد الله ابن ثَعْلَبَة بن بَيْحَان(١) بن عامر بن الحرث بن مالك بن عامر بن أُنَيْف بن جُشَم بن عبد الله بن تَيْم بن إرَاش بن عامر بن عُمَيْلَة(٢) بن قَسْمِيل بن فَرَان(٣) بن بلىّ بن عمرو بن إلحاف بن قُضَاعَة ، رجلان

قال ابن هشام : ويقال : تميم بن أراشة ، وقسميل بن فاران

من حضر بدرا من بنى غنم بن السلم

قال ابن إسحق : ومن بنى غَنْم بن السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك ابن الأوس : سعدُ بن خَيْثَمَة بن الحرث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط ابن كعب بن حارثة بن غَنْم ، وَمُنْذِر بن قُدَامة [بن عرفجة] ، ومالك بن قُدَامة بن عَرْفَجه

قال ابن هشام : عَرْفَجة : ابن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة ابن غَنْم

قال ابن إسحق : والحرثُ بن عَرْفَجة ، وَتميمٌ مولَى بنى غَنْم ، خمسة نفر

(١) فى نسختين «ابن تيحان» بتاء مثناة موضع الباء الموحدة

(٢) فى بعض النسخ «عبيلة» وذكر فى بعضها «عبلة»

(٣) قال أبو ذر : «يروى بتخفيف الراء وتشديدها ، وفران بتخفيف الراء ذكره ابن دريد» اهـ

قال ابن هشام : تميم مولى سَعْد بن خَيْثَمَة

من حضر بدرا من بنى معاوية بن مالك وحلفائهم

قال ابن إسحق : ومن بنى معاوية بن مالك بن عَوْف بن عَمْرو ابن عَوْف: جَبْر بن عتيك بن الحرث بن قَيْس بن هَيْشَة بن الحرث ابن أمية بن مُعَاوِيَةَ ؛ ومالك بن نُمَيْلَة ، حليف لهم من مُزَينة ، وَالنُّعْمَان ابن عصَر ، حليف لهم من بَلِيّ ، ثلاثة نفر

عدة من حضر بدرا من بنى الأوس

فجميع من شهد بدرا من الأوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضَرَبَ له بسهمه وأجره واحد وستون رجلا

وشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ، ثم من الأنصار ، ثم من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى الحرث بن الخزرج ، ثم من بنى امرىء القيس بن مالك بن ثَعْلَبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج : خارجةُ بن زَيْد بن أبى زهير بن

من حضر بدرا من بنى امرىء القيس بن مالك

مالك بن امرىء القيس ، وَسعدُ بن الرَّبيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس ، وَعبدُ الله بن رَوَاحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو ابن امرىء القيس وَخَلَّاد بن سُوَيْد بن ثَعْلَبة بن عَمْرو بن حارثة بن امرىء القيس ، أربعة نفر

من حضر بدرا من بنى زيد بن مالك بن ثعلبة

ومن بنى زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث ابن الخزرج : بَشِير بن سعد بن ثعلبة بن خِلَاس بن زيد

قال ابن هشام : ويقال : جُلَاس ، وهو عندنا خطأ

وأخوه سِمَاكُ بن سَعْد ، رجلان

من حضر بدرا من بنى عدى بن كعب

ومن بنى عدى بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج : سُبَيْع ابن قَيْس بن عَيْشَة بن أمية بن مالك بن [عامر بن] عدى ؛ وعَبَّاد بن قَيْس بن عَيْشَة أخوه

قال ابن هشام : ويقال : قَيْس بن عَبَسَة بن أمية

قال ابن إسحق : وَعَبْدُ الله بن عَبْس، ثلاثة نفر

ومن بنى أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج : يزيدُ بن الحرث بن قَيْس بن مالك بن أحمر ، وهو الذى يقال له ابن فُسْحُم ، رجل

من حضر بدرا من بنى أحمر بن حارثة

قال ابن هشام : فُسْحُم : أُمُّه ، وهى امرأة من بنى القَيْن بن جَسْر

قال ابن إسحق : ومن بنى جُشَم بن الحرث بن الخزرج و زيد بن الحرث ابن الخزرج ـ وهما التَّوْءَمان ـ : خُبَيْب بن إساف بن عِتَبَةَ[1] بن عمرو بن خَدِيج[2] بن عامر بن جُشَم ، وعبد الله بن زيد بن ثَعْلَبة بن عبد ربه ابن زيد ، وأخوه حُرَيْث بن زيد بن ثعلبة زعموا ، وسفيان بن بشر ، أربعة نفر

من حضر بدرا من بنى جشم بن الحرث

قال ابن هشام : سفيان بن نَسْر[3] بن عمرو بن الحرث بن كعب بن زيد

قال ابن إسحق : ومن بنى جِدَارة[4] بن عوف بن الحرث بن الخزرج : تميم بن يعَار بن قيس بن عدى بن أمية بن جِدَارة ، وَعَبْدُ الله بن عُمَير من بنى حارثة

من حضر بدرا من بنى جدارة

قال ابن هشام : ويقال عبد الله بن عُمَيْر بن عدى بن أمية بن جدارة

---

(١) قال أبو ذر : « وقع هنا بضم فسكون ، ويروى أيضاً بفتح العين والتاء ، وهو تصحيف ، ويروى أيضاً بالعين مكسورة والتاء مفتوحة ، وهو الصواب ، وكذا قيده الدار قطنى» اه

(٢) قال أبو ذر : «ويروى ابن حديج (بالحاء مهملة) وقال الدارقطنى : ليس فى الأنصار حديج بالحاء مهملة ، وفيهم خديج بالخاء المعجمة» اه

(٣) قال أبو ذر : « قول ابن هشام فى نسب سفيان : ابن نسر ، يروى بالباء والنون ، وصوابه النون» اه

(٤) قال أبو ذر : « يروى بضم الجيم وكسرها ، وجدارة بكسر الجيم لاغير قيده الدارقطنى» اه

قال ابن إسحق : وزيد بن الْمُزَيَّن بن قَيْس بن عدى بن أمية بن جِدَارة

قال ابن هشام : زيد بن الْمُرِىّ

قال ابن إسحق : وعبد الله بن عُرْفُطَةَ بن عدى بن أمية بن جِدَارة ، أربعة نفر

من حضر بدرا من بنى خدرة

قال ابن إسحق : ومن بنى الأبجر — وهم بنو خُدْرَةَ بن عوف بن الحرث ابن الخزرج — : عبدُ الله بن ربيع بن قَيْس بن عمرو بن عَبَّاد بن الأبجر ، رجل .

من حضر بدرا من بنى الحبلى سالم بن غنم

ومن بنى عَوْف بن الخزرج ، ثم من بنى عُبَيْد بن مالك بن سالم ابن غَنْم بن عَوْف بن الخزرج ، وهم بنو الْحُبْلَى (قال ابن هشام : الْحُبْلَى : سالم بن غَنْم بن عَوْف ، وإنما سمى الحبلى لعظم بطنه) : عبدُ الله بن عبد الله بن أُبَىّ بن مالك بن الحرث بن عبيد [المشهور بابن سلول ، وإنما سَلُول امرأة وهى أم أُبَىّ] ، وأوسُ بن خَوْلِىّ بن عبد الله بن الحرث بن عبيد ، رجلان

من حضر بدرا من بنى جزء بن عدى وحلفائهم

ومن بنى جَزْء [(1)] بن عدى بن مالك بن سالم بن غنم : زَيْدُ بنُ وديعة ابن عَمْرو بن قَيْس بن جَزْء ، وَعُقْبَة بن وَهْب بن كَلَدَة ، حليف لهم من بنى عبد الله بن غطفان ، ورفاعة بن عَمْرو بن زَيْد بن عمرو ابن ثَعْلَبَة بن مالك بن سَالم بن غنم ، وعامر بن سَلَمة بن عامر ، حليف لهم من [أهل] اليمن .

قال ابن هشام : ويقال عَمرو بن سلمة ، وهو من بَلِيّ ، من قضاعة

---

(1) فى نسخة «جزى»

قال ابن إسحق : وأبو حُمَيْضَةَ[١] مَعْبَد بن عَبَّاد[٢] بن قُشَيْر[٣] ابن المقدم بن سالم بن غنم

قال ابن هشام : مَعْبد بن عُبَادة بن قَشْغَر بن الْقَدْم[٤] ، ويقال عُبَادة ابن قَيْس بن القدم

قال ابن إسحق : وعامر بن الْبُكَير حليفٌ لهم ، ستة نفر

قال ابن هشام : عامر بن الْعُكَير ، ويقال : عاصم بن الْعُكَيْر

من حضر بدرا من بنى العجلان بن زيد

قال ابن إسحق : ومن بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، ثم من بنى العجلان بن زيد بن غنم بن سالم : نَوْفَلُ بن عبدالله بن نَضْلَة بن مالك بن الْعَجْلان ، رجل

من حضر بدرا من بنى أصرم بن فهر

ومن بنى أصرم بن فهر بن ثَعْلَبة بن غَنْم بن سالم بن عوف

قال ابن هشام : هذا غَنْمُ بن عوف أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج ، وغنم بن سالم الذى قبله على ماقال ابن إسحق : عُبَادَةُ بن الصَّامت بن قَيْس بن أصرم ، وأخوه أَوْس بن الصامت ، رجلان

من حضر بدرا من بنى دعد بن فهر

ومن بنى دَعْد بن فِهْر بن ثَعْلَبة بن غَنْم : النُّعْمَان بن مالك بن ثعلبة بن دَعْد ، والنعمان الذى يقال له : قَوْقَلٌ ، رَجُلٌ

---

(١) فى الاصابة (ج ٥ ص ١١٨) «وهو أبو حميضة ، مشهور بكنيته ، وهو بمهملة ومعجمة مصغر ، كذا ضبطه الأكثر ، وذكره أبو عمر تبعا للواقدى بخاء معجمة وصاد مهملة بوزن عجيبة ، ونقل عن أبى معشر أنه ذكره بعين ثم صاد مهملتين مصغرا وخطأه فى ذلك» اه

(٢) قال فى الاصابة : «وسمى ابن القداح أباه (عمارة) ووهمه ابن ماكولا» اه

(٣) نسبه فى الاصابة هكذا : «معبد بن عباد بن بشير بن الفدم بن سالم ابن مالك بن سالم المعروف بالحلبى ابن غنم بن عوف بن الخزرج» اه

(٤) فى نسخة «المقدم»

من حضر بدرا من بنى قريوش

ومن بنى قَرْيُوش [1] بن غَنْم بن أمية بن لَوْذَان بن سالم (قال ابن هشام : ويقال قَرْيُوس بن غنم) : ثابتُ بن هزَّال بن عَمْرو بن قَرْيُوش ، رجل

من حضر بدرا من بنى مرضخة بن غنم

ومن بنى مِرْضَخَة بن غَنْم بن سالم : مالك بن الدُّخْشُم بن مِرْضَخَة ، رجل .

قال ابن هشام : [ويقال] : مالك بن الدُّخْشُم بن مالك بن الدخْشُم ابن مِرْضَخَة .

من حضر بدرا من بنى لوذان

قال ابن إسحق : ومن بنى لَوْذَان [بن غَنْم] بن سالم : ربيع بن إياس ابن عَمْرو بن غَنْم بن أمية بن لوذان [2] ، وأخوه وَرَقَةُ بن إياس ، وعمرو بن إياس ، حليف لهم من أهل اليمن ، ثلاثة نفر

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن إياس أخو ربيع وورقة

قال ابن إسحق : ومن حلفائهم من بَلِيّ ثم من بنى غُصَيْنَة (قال ابن هشام : غُصَيْنَة أمهم ، وأبوهم عَمْرو بن عُمَارة) : المُجَذَّر بن ذياد بن عَمْرو بن زُمْزُمة بن عَمْرو بن عُمَارة بن مالك بن غُصَيْنَة بن عمرو بن بُتَيْرَة بن مَشْنُوّ بن قَسْر [3] بن تَيْم بن إراش بن عامر بن عُمَيْلَة ابن قَسْمِيل بن فَرَان بن بَلِيّ بن عَمْرو بن إلحاف بن قضاعة

---

(1) هكذا فى نسخة من أصول الكتاب ، وفى سائرها «قربوس» بالباء الموحدة ، وآخره سين مهملة ، وكذلك فيما قال ابن هشام ، وهو كذلك فى الاصابة ، ونسبه هكذا (ج ١ ص ٢٠٤) : « ثابت بن هزال بن عمرو بن عمرو بن قربوس بن لوذان بن سالم بن عوف الأنصارى » اه

(2) فى نسخة «ويقال عمرو بن أمية» كذا بهامش بعض أصول الكتاب

(3) «ابن قسر» فى بعض النسخ « قشير » وقوله « ويقال قسر » فى بعض النسخ «ويقال قشير» كذا فى هامش بعض الأصول

قال ابن هشام : ويقال : قَسْر بن تميم بن أراشة ، وقَسْمِيل بن فَارَان ؛ واسم المُجَذَّر عبد الله .

قال ابن إسحق : وعُبَادة[1] بن الخَشْخَاش بن عمرو بن زُمْزُمَة ، ونَحَّاب[2] بن ثعلبة بن خَزَمَة بن أصرم بن عمرو بن عَمَّارة

قال ابن هشام : ويقال بَحَّاث[3] بن ثعلبة

قال ابن إسحق : وعبد الله بن ثعلبة بن خَزَمة بن أصرم ؛ وزعموا أن عُتْبَة بن ربيعة بن خالد بن معاوية ، حليفٌ لهم من بَهْرَاء ، قد شهد بدرًا ، خمسة نفر

قال ابن هشام : عتبة بن بَهْز من بنى سليم

من حضر بدرا من بنى ثعلبة بن الخزرج

قال ابن إسحق : ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ، ثم من بنى ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة : أبو دُجَانَة سِمَاكُ بن خَرَشَة

---

(١) هكذا فى بعض أصول الكتاب ، ووقع فى بعضها «عباد بن الخشخاش» وقال فى الاصابة (ج ٤ ص ١٧) «عبادة بن الخشخاش بمعجمات ابن عمرو بن عمارة بن مالك بن عمرو البلوى ، حليف الأنصار . . . وسماه الواقدى عبدة ، وسماه أبو عمر عباد بالفتح والتشديد بغير هاء ، وقال فيه ابن منده : العنبرى ، وهو وهم منه فانهم اتفقوا على أنه بلوى وأنه حليف بنى سليم » اهـ

(٢) فى بعض الأصول « نحاب » بالحاء المهملة ، وقال فى الاصابة (ج ١ ص ١٤٣) : «بحاث : بوزن فعال والحاء المهملة وآخره مثلثة ، هو ابن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة بن مالك ، البلوى ، حليف بنى عمرو بن لؤى ، هكذا سماه ونسبه ابن الكلبى ، لكن سماه ابن إسحاق نحاب بنون أوله وموحدة آخره ، وذكره ابن منده فى النون ، واستدركه أبو موسى فى الموحدة ، وعمارة فى نسبه بفتح العين وتشديد الميم» اهـ وأنت ترى أنه لم يبين وسطه فى رواية ابن إسحق أجيم أم حاء مهملة

(٣) فى بعض الأصول : «ويقال نحاث» وهو تحريف من غير شك

قال ابن هشام : أبو دُجانة [سماك] بن أَوْس بن خَرَشَة بن لَوْذَان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثَعْلَبة

قال ابن إسحق : والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة [بن زيد] بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثَعْلبة ، رجلان

قال ابن هشام : ويقال : المنذر بن عمرو بن خَنْبَش

من حضر بدرا من بني البدي

قال ابن إسحق : ومن بني الْبَدِيّ بن عامر بن عَوْف بن حارثة ابن عَمْرو بن الْخَزْرج بن ساعدة : أبو أُسَيْد مَالكُ بن رَبيعة بن الْبَدِيّ ومَالكُ بن مَسْعُود ، وهو إلى البديّ ، رجلان

قال ابن هشام : مالك بن مسعود بن الْبَدِي فيما ذكرلي بعض أهل العلم

من حضر بدرا من بني طريف بن الخزرج وحلفائهم

قال ابن إسحق : ومن بني طَريف بن الْخَزْرج بن ساعدة : عَبْدُ رَبِّه بن حَقّ بن أَوْس بن وَقَش بن ثَعْلَبة بن طَرِيف ، رجل

ومن حلفائهم من جُهَينة : كعبُ بن حمار بن ثَعْلَبة

قال ابن هشام : ويقال : كعب بن جَمَّاز ، وهو من غُبْشَان

قال ابن إسحق : وَضَمْرَة وزياد وَبَسْبَس ، بنو عمرو

قال ابن هشام : ويقال : ضمرة وزياد ابنا بِشْر

قال ابن إسحق : وعبد الله بن عامر ، من بَلِيّ ، خمسة نفر

من حضر بدرا من بني حرام بن كعب

ومن بني جُشَم بن الخزرج ، ثم من بني سَلِمة بن سَعْد بن على بن أسد بن سَارِدة بن تَزيد بن جشم بن الخزرج ، ثم من بني حَرَام بن كَعْب بن غنم بن كَعْب بن سَلمة : خِرَاش بن الصِّمَّة بن عَمْرو بن الجَمُوح بن زَيْد [1] بن حَرَام ، وَالْحُبَاب بن الْمُنْذِر بن الْجَمُوح بن زيد ابن حَرَام ، وَعُمَيْر بن الْحُمَام بن الْجَمُوح بن زيد بن حرام ؛ وَتميمٌ مَوْلى

(١) هكذا ورد نسبه في جميع أصول الكتاب ، وهو موافق لما في الاصابة عن ابن إسحاق ، ولكن يعكر عليه ما سيأتي عن ابن هشام

خِرَاش بن الصِّمَّة ، وعبدالله بن عَمْرو بن حَرَام بن ثَعْلَبة بن حَرَام ، وَمُعَاذ ابن عَمْرو بن الجَمُوح ، وَمُعَوِّذ بن عَمْرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرَام ، وَخَلَّاد بن عَمْرو بن الجَمُوح بن زَيْد بن حَرَام ؛ وعُتْبَة[1] بن عامر بن نَابى ابن زَيْد بن حَرَام ؛ وحبيب بن الأسود مَوْلًى لهم ، وثابت بن ثَعْلَبة بن زيد بن الحَرث بن حَرَام وثَعْلبة الذى يقال له الجِذْعُ ؛ وعُمَير بن الحَرث بن ثعلبة ابن الحَرث بن حَرَام ، اثنا عشر رجلا

قال ابن هشام : وكل ما كان هُنا الجموح فهو الجَمُوح بن زيد بن حَرَام ، إلا ما كان من جَدِّ بن الصِّمَّة ، فانه الصمة بن عمرو بن الجَمُوح بن حَرَام

قال ابن هشام : عُمَير بن الحَرِث بن لَبْدَة بن ثَعْلَبة

قال ابن إسحق : ومن بنى عُبَيْد بن عَدِىّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة ثم من بنى خَنْسَاء بن سِنَان بن عُبَيْد : بِشْرُ بن البَرَاء بن مَعْرُور بن صَخْر بن مالك بن خنساء ، وَالطُّفَيْل بن مالك بن خَنْسَاء ؛ وَالطُّفَيْل بن النُّعْمَان بن خَنْساء ، وسِنَان بن صَيْفِى بن صَخْر بن خنساء ، وَعَبْدُ الله بن الجَدِّ بن قَيْس بن صَخْر بن خَنْساء ، وَعُتْبَة بن عبد الله بن صَخْر بن خَنْساء ، وَجَبَّار بن صَخْر بن أُمَيَّة بن خَنْساء ، وخارجة بن حُمَيِّر[2] وعبد الله بن حُمَيِّر ، حليفان لهم من أشجع من بنى دُهْمَانَ ، تسعة نفر

من حضر بدرا من بنى خنساء بن سنان

قال ابن هشام : ويقال جَبَّار بن صَخْر بن أمية بن خُنَاس

قال ابن إسحق : ومن بنى خُنَاس بن سِنَان بن عبيد : يزيدُ بن المُنْذِر ابن سَرْح بن خُنَاس ، وَمَعْقل بن المُنذر بن سَرْح بن خُنَاس ، وَعبدُ الله بن النُّعْمان بن بَلْدَمة

من حضر بدرا من بنى خناس بن سنان

---

(١) فى بعض الأصول « وعقبة بن عامر »

(٢) قال أبو ذر : « كذا وقع هنا ، ويروى أيضا ابن حمير بتخفيف الياء ـ وخمير ـ بالخاء المعجمة ـ قيده الدار قطنى ، قال : ويقال فيه : حمير » اه

قال ابن هشام: ويقال: بن بُلْذُمة وَبُلْدُمة

قال ابن إسحق: وَالضَّحَّاك بن حارثة بن زَيْد بن ثَعْلَبة بن عُبَيْد بن عَدِيّ، وسَوَاد بن زُرَيْق بن ثَعْلبة بن عُبَيْد بن عَدِى

قال ابن هشام: ويقال: سواد بن رَزْن بن زَيد بن ثَعْلبة

قال ابن إسحق: ومَعْبَد بن قَيْس بن صَخْر بن حَرَام بن رَبيعة ابن عَدِى بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمة، ويقال: مَعْبد بن قَيْس بن صَيْفِيّ ابن صَخْر بن حَرَام بن رَبيعة، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق: وَعَبْدُ الله بن قَيْس بن صَخْر بن حَرَام بن رَبيعة بن عَدِيّ بن غَنْم؛ سبعةُ نَفَر

من حضر بدرا من بني النعمان بن سنان

وَمن بنى النُّعْمَان بن سِنَان بن عبيد: عَبْدُ الله بن عبد مَنَاف بن النُّعْمان، وجابر بن عَبْد الله بن رِئَاب بن النُّعْمان، وَخُلَيْدَة بن قَيْس ابن النُّعْمان، وَالنُّعْمان بن سِنان[1] مَوْلَى لهم، أربعةُ نفر

من حضر بدرا من بني حديدة بن عمرو

ومن بنى سَوَاد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمة، ثم من بنى حَدِيدة بن عمْرو بن غَنْم بن سَوَاد

قال ابن هشام: عمرو: ابن سواد، ليس لسواد ابنٌ يقال له غَنْم

أبو المنذر، وهو يَزِيد بن عامر بن حَدِيدة، وسُلَيْم بن عَمْرو بن حَدِيدة، وَقُطْبَة بن عامر بن حَديدة، وَعَنْتَرَة مَوْلى سليم بن عمرو، أربعة نفر

---

(١) فى بعض النسخ «والنعمان بن يسار» وقال أبو ذر: «قوله والنعمان بن يسار، كذا وقع هنا، وقال فيه موسى بن عقبة وأبو عمر بن عبد البر: النعمان بن سنان» اه

قال ابن هشام : عَنْتَرَةُ من بنى سُلَيْم بن مَنْصور ، ثم من بنى ذَكْوَان

من حضر بدرا من بنى عدى بن نابى

قال ابن إسحق : ومن بنى عَدِى بن نابِى بن عمرو بن سَوَاد بن غنم : عَبْسُ بن عامر بن عدى ، وثعلبة بن عَنَمَة [1] بن عَدِىّ ، وأبو اليَسَر ، وهو كَعْبُ بن عمرو بن عَبَّاد بن عمرو بن غَنْم بن سَوَاد ، وسَهْل بن قيس بن أبى كعب بن القَيْن بن كَعْب بن سواد ، وعَمْرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سِنان بن كعب بن غنم ، ومُعَاذ بن جَبَل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عدى بن أُدَىّ [2] بن سعد بن على بن أسد بن سَاردة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخَزْرَج بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ستة نفر

قال ابن هشام : أوس بن عباد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أُدَىّ بن سعد

قال ابن هشام : وإنما نسب ابن إسحق مُعَاذَ بن جبل فى بنى سَوَاد وليس منهم ، لأنه فيهم

قال ابن إسحق : والذين كَسروا آلهة بنى سَلِمة معاذُ بن جَبَل ، وعبدُ الله بن أُنَيْس ، وثعلبةُ بن عَنَمة ، وهم فى بنى سَوَاد بن غَنْم

من حضر بدرا من بنى مخلد بن عامر

قال ابن إسحق : ومن بنى زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة ابن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى مُخَلَّد بن عامر ابن زُرَيق

---

(١) فى بعض النسخ « ثعلبة بن غنمة » بالغين معجمة

(٢) فى بعض النسخ « بن عدى بن أذن »

قال ابن هشام : ويقال : عامر بن الأزرق

قال ابن إسحق : قَيْسُ بن مِحْصَن بن خالد بن مُخَلَّد

قال ابن هشام : ويقال قَيْس بن حِصْن

قال ابن إسحق : وأبو خالد ، وهو الحرث بن قيس بن خالد بن مُخَلَّد ، وجُبَيْر بن إياس بن خالد بن مُخَلَّد ، وأبو عُبَادة ، وهو سعد بن عُثْمان بن خَلَدَة بن مُخَلَّد ، وأخوه عُقْبة بن عثْمان بن خَلَدَة بن مُخَلَّد ، وذَكْوان بن عبد قيس بن خَلَدَة بن مُخَلَّد ، ومسعود بن خَلَدَة بن عامر ابن مُخَلَّد ، سبعةُ نفرٍ

من حضر بدرا من بنى خالد بن عامر

ومن بنى خالد [1] بن عامر بن زُرَيق : عَبَّاد بن قَيْس بن عامر بن خالد ، رجل

من حضر بدرا من بنى خلدة بن عامر

ومن بنى خَلَدَة بن عامر بن زُرَيق : أسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خَلَدَة ، والفاكه بن بِشْر بن الفاكه بن زَيْد بن خلدة

قال ابن هشام : بُسْر بن الفاكه

قال ابن إسحق : ومُعَاذ بن مَاعِص بن قَيْس بن خَلَدَة ، وأخوه عائذ ابن ماعص بن قيس بن خَلَدَة ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خَلَدَة ، خمسةُ نفرٍ

من حضر بدرا من بنى العجلان

ومن بنى الْعَجْلَان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق : رِفَاعةُ بن رافع بن مالك بن الْعَجْلان ، وأخوه خَلَّاد بن رافع بن مالك بن الْعَجْلان ، وعبيد ابن زيد بن عامر بن الْعَجْلان ، ثلاثةُ نَفَرٍ

من حضر بدرا من بنى بياضة بن عامر

ومن بنى بَيَاضَةَ بن عامر بن زريق : زِيَادُ بن لبيد بن ثَعْلَبة بن سِنَان

(١) فى نسخة « ومن بنى خلدة بن عامر » وهو تحريف ظاهر

ابن عامر بن عَدِيّ بن أمية بن بَيَاضَةَ ، وفَرْوَةُ بن عَمْرو بن وَذَفَةَ بن عبيد ابن عامر بن بيَاضة

قال ابن هشام : ويقال : وَدَفة

قال ابن إسحق : وخالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان بن عامر ابن بَيَاضة ، ورجيلة بن ثعلبة(١) بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة

قال ابن هشام : ويقال : رُخَيْلة

قال ابن إسحق : وعطية بن نُوَيْرة بن عامر بن عطية بن عامر بن بياضة ، وخُلَيْفَةَ بن عَدِيّ بن عمرو بن مالك بن عامر بن فُهَيْرَةَ بن بَيَاضة ، ستةُ نفر

قال ابن هشام : ويقال : عُلَيْفة

قال ابن إسحق : ومن بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب ابن جُشَم بن الخزرج : رافع بن المُعَلَّى بن لَوْذَان بن حارثة بن عَدِي ابن زيد بن ثَعْلَبَة بن زيد مَنَاة بن حبيب ، رجل (من حضر بدرا من بنى حبيب بن عبد حارثة)

ومن بنى النَّجَّار — وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج — ثم من بنى غَنْم بن مالك بن النجار ، ثم من بنى ثعلبة بن عبد عوف بن غنم : أبو أيُّوب خالدُ بن زَيْد بن كُلَيْب بن ثعلبة ، رجل (من حضر بدرا من بنى ثعلبة بن عبد)

ومن بنى عُسَيْرَةَ بن عبد عوف بن غنم : ثابتُ بن خالد بن النعمان ابن خنساء بن عُسَيْرة ، رجل (من حضر بدرا من بنى عسيرة)

قال ابن هشام : ويقال عُسَيْرٌ وَعُشَيْرة

---

(١) قال أبو ذر : « كذا وقع هنا بالجيم فى قول ابن إسحاق ، وبالخاء المعجمة فى قول ابن هشام ، ورخيلة بالخاء المعجمة قيده الدار قطنى فى قول ابن إسحاق ، ورحيلة بالحاء المهملة قيده أبو عمر فى قول ابن هشام » اه

من حضر بدرا من بنى عمرو بن عبد

قال ابن إسحق : ومن بنى عمرو بن عبد عوف بن غنم : عُمَارة ابن حَزْم بن زيد بن لَوْذان بن عمرو ، وسُرَاقة بن كَعْب بن عبد الْعزَّى ابن غَزِيَّة بن عَمْرو ، رجلان

من حضر بدرا من بنى عبيد بن ثعلبة

ومن بنى عُبَيْد بن ثَعْلبة بن غنم : حارثةُ بن النُّعْمَان بن زَيْد ابن عُبَيْد ، وسُلَيْم بن قيس بن قَهْد ، واسم قَهْدٍ خَالدُ بن قيس بن عبيد ، رجلان

قال ابن هشام : حارثة بن النعمان بن نفع[1] بن زيد

من حضرها من بنى عائذ

قال ابن إسحق : ومن بنى عائذ بن ثعلبة بن غنم (ويقال : عابد ، فيما قال ابن هشام) سهيلُ[2] بن رافع بن أبى عمرو بن عائذ ، وعدى بن أبى الزغباء ، حليف لهم من جهينة ، رجلان

من حضرها من بنى زيد بن ثعلبة

ومن بنى زَيْد بن ثَعْلبة بن غَنْم : مَسْعود بن أوْس بن زيد ، وأبو خُزَيْمَة بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد ، ورافع بن الحرث بن سَوَاد بن زيد ، ثلاثة نفر

من حضرها من بنى سواد من مالك

ومن بنى سَوَاد بن مالك بن غَنْم : عَوْفٌ ومُعَوِّذٌ ومُعَاذ بنو الحرث ابن رِفاعة بن سَوَاد ، وهم بنو عَفْراء

قال ابن هشام : عَفْراء بنت عُبَيْد بن ثَعلبة بن عُبَيْد بن ثَعْلبة بن غَنْم بن مالك بن النجَّار ، ويقال : رفاعة بن الْحرث بن سَوَاد ، [فيما قال ابن هشام] .

---

(١) قال أبو ذر : « نفع يروى هنا بالفاء وبالقاف ، ونفع بالفاء هو الصواب » اهـ

(٢) قال أبو ذر : « يروى أيضا سهل بن رافع ، وهما أخوان ، والذى شهد بدرا هو سهيل ، قال أبو عمر »

قال ابن إسحق : والنُّعْمَان بن عَمْرو بن رفاعة بن سَوَاد ، ويقال : نُعَيْمَان فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : وعامر بن مُخَلَّد بن الحرث بن سواد ، وعبد الله ابن قَيْس بن خالد بن خَلَدة بن الحرث بن سَوَاد ، وعُصَيْمَةُ حليفٌ لهم من أشجع ، ووَدِيعة بن عَمْرو حليفٌ لهم من جُهَيْنة ، وثابت بن عَمْرو ابن زيد بن عَدِيّ بن سَوَاد ، وزعموا أن أبا الحمراء مولى الحرث بن عَفْراء قد شهد بدرا ، عشرة نفر

قال ابن هشام : أبو الحمراء مولى الحرث بن رفاعة

من حضرها من بنى عتيك بن عمرو

قال ابن إسحق : ومن بنى عامر بن مالك بن النَّجَّار ، وعامر مبذول ، ثم من بنى عتيك بن عمرو بن مبذول : ثعلبةُ بن عَمْرو بن مِحْصَن بن عمرو ابن عتيك ، وسَهل بن عتيك بن النُّعمان بن عمرو بن عتيك ، والحرث ابن الصِّمَّة بن عَمْرو بن عتيك ، وكُسِرَ به بالرَّوحاء فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسَهْمه ، ثلاثة نفر

من حضرها من بنى حديلة

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار ، وهم بنو حُدَيْلَةَ ، ثم من بنى قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار

قال ابن هشام : حُدَيْلة : بنت مالك بن زيد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج ، وهى أم معاوية بن عَمْرو ابن مالك بن النجار ، فبنو معاوية ينتسبون إليها .

قال ابن إسحق : أُبَيُّ بن كَعب بن قيس ، وأنس بن مُعَاذ بن أنس ابن قيس ، رجلان .

ومن بنى عَدِيّ بن عَمْرو بن مالك بن النجار

من حضرها من بنى مغالة

قال ابن هشام : وهم بنو مَغَالَةَ بنت عوف بن عبد مناة بن عمرو

ابن مالك بن كنانة بن خزيمة ، ويقال : إنها من بنى زُرَيْق ، وهى أم عَدِىّ بن عَمْــرو بن مالك بن النجار ، فبنو عَدِىٍّ ينسبون إليها .

أوسُ بن ثابت بن المُنْذِر بن حَرَام بن عَمْرو بن زَيْدمَنَاة بن عدى ، وأبو شَيْخٍ أُبَىُّ بن ثابت بن المنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد مناة ابن عدى

قال ابن هشام : أبو شيخٍ أُبَىُّ بن ثابت ، أخو حسان بن ثابت

قال ابن إسحق : وأبو طلحــة ، وهو زيد بن سَهْل بن الأسود بن حَرَام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى ، ثلاثة نفر

من حضرها من بنى عدى بن النجار

ومن بنى عَدِىّ بن النجار ، ثم من بنى عدى بن عامر بن غَنْم بن عَدِىّ ابن النجــار : حارثة بن سُرَاقَة بن الحرث بن عدى بن مالك بن عدى ابن عامر ؛ وعمرو بن ثَعْلَبــة بن وَهْب بن عَدِىّ بن مالك بن عدى بن عامر ، وهو أبو حكيم ، وَسَلِيط بن قَيْس بن عَمْرو بن عتيك بن مالك بن عدى بن عامر ؛ وأبو سَلِيط ، وهو أُسَيْرَة بن عمرو ، وَعمرٌو أبو خارجة ابن قيس بن مالك بن عدى بن عامر ؛ وثابت بن خَنْســاء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر ؛ وعامر بن أمية بن زيد بن الخَشْخَاس بن مالك ابن عدى بن عامر ؛ ومُحْرِز بن عامر بن مالك بن عــدى بن عامر ؛ وَسَوَاد بن غَزِيَّة بن أُهَيْب ، حليف لهم من بَلِىٍّ ، ثمــانيةُ نَفَرٍ

قال ابن هشام : ويقال : سَوَّاد

من حضرها من بنى حرام بن جندب

قال ابن إسحق : ومن بنى حرام بن جُنْدُب بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار : أبو زَيْدٍ قَيْسُ بن سَــكَن بن قيس بن زَعُورا بن حَرَام ؛ وأبو الأعور بن الحُرث بن ظالم بن عَبْس بن حَرَام

قال ابن هشام : ويقال أبو الأعور الحرث بن ظالم

قال ابن إسحق : وسُلَيْم بن مِلْحَان ؛ وَحَرَام بن مِلْحَان ، واسم ملحان : مالك بن خالد بن زيد بن حرام ، أربعةُ نفرٍ

من حضرها من بنى مازن

ومن بنى مازن بن النجار ، ثم من بنى عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار : قَيْسُ بن أبى صَعْصَعَة ، واسم أبى صعصعة عَمْرو ابن زيد بن عوف ؛ وعبد الله بن كَعْب بن عمرو بن عَوْف ، وَعُصَيْمة حليفٌ لهم من بنى أسَد بن خزيمة ، ثلاثةُ نفرٍ

من حضرها من بنى خنساء بن مبذول

ومن بنى خَنْسَاء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن : أبو داود عُمَيْر بن عامر بن مالك بن خنســاء ؛ وَسُرَاقَة بن عمرو بن عَطِيَّة بن خَنْسَاء ، رجلان

من حضره من بنى ثعلبة بن مازن

ومن بنى ثعلبة بن مازن بن النجار : قيسُ بن مُخَلد بن ثَعْلَبَة بن صَخْر بن حبيب بن الحرث بن ثعلبة ، رجل

من حضرها من بنى دينار بن النجار

ومن بنى دينار بن النجار ، ثم من بنى مسعود بن عبـد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار : النُّعْمَانُ بن عبد عمرو بن مسعود ، والضَّحَّاك ابن عبد عمرو بن مسعود ، وسُلَيْم بن الحرث بن ثعلبة بن كعب بن حارثة بن دينار ، وهو أخو الضَّحَّاك والنعمان ابنى عبد عمرو لأمهما ، وجابر ابن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة ؛ وسعد بن سُهَيْل بن عبد الأشهل ، خمسةُ نفرٍ

من حضرها من بنى قيس بن مالك

ومن بنى قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار بن النجار : كعبُ بن زيد بن قيس ؛ وَبُجَيْر بن أبى بجير ، حليف لهم ، رجلان

قال ابن هشام : بجير من عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفَان ، ثم من بنى جذيمة بن رَوَاحة

قال ابن إسحق : فجميع من شهد بدرًا من الخزرج مائةوسبعون رجلا

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم يذكر فى الخزرج ببدر فى بنى العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : عِتْبان ابن مالك بن عمرو بن العجلان ، ومُلَيْل بن وَبَرة بن خالد بن العجلان ، وعِصْمة بن الحُصَين بن وبرة بن خالد بن العجلان ، وفى بنى حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ، وهم فى بنى زريق : هِلال بن المُعَلَّى بن لَوْذان بن حارثة بن عدىّ بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن زيد مناة بن حبيب

استدراك ابن هشام على ابن اسحاق

قال ابن إسحق : فجميع من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والأنصار ، من شهدها [منهم] ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاثمائة رجل وأربعة عشر رجلا : من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلا ، ومن الأوس واحد وستون رجلا ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا

عدة من شهد بدرا من المسلمين كافة

ذكر من استشهد من المسلمين يوم بدر

واستشهد من المسلمين يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من قريش ثم من بنى المطلب بن عبد مناف : عُبَيْدة بن الحرث بن المطلب ، قتله عُتْبة بن رَبيعة ، قَطَعَ رجله فمات بالصفراء ؛ رجل

ومن بنى زُهْرة بن كلاب : عُمَير بن أبى وقّاص بن أُهَيب بن عبد مناف بن زُهْرة ، وهو أخو سعد بن أبى وقّاص ، فيما قال ابن هشام ، وذو الشِّمالين بن عبد عمرو بن نَضْلة ، حليف لهم من خزاعة ، ثم من بنى غُبْشان ، رجلان

ومن بنى عَدِىّ بن كعب بن لؤى : عاقلُ بن البُكَير ، حليف لهم

من بنى سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وَمِهْجَعٌ مولى عمر ابن الخطاب ، رجلان

ومن بنى الحرث بن فِهْرٍ : صَفْوَان بن بَيْضَاء ، رجل ، ستة نفر

ومن الأنصار ثم من بنى عَمْرو بن عوف : سَعْدُ بن خَيْثَمَةَ ، وَمُبَشِّر ابن عبد المُنْذِرِ بن زَنْبَر ، رجلان

ومن بنى الحرث بن الخزرج : يَزِيدُ بن الحرث ، وهو الذى يقال له [ابن] فُسْحُمٌ ، رجل

ومن بنى سلمة ، ثم من بنى حَرَام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة : عُمَيْر بن الْحُمَام ، رجل

ومن بنى حَبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضب بن جُشَم : رَافِعُ ابن المُعَلّى ، رجل

قال ابن إسحق : ومن بنى النجار : حَارِثَةُ بن سرَاقة بن الحرث ، رجل

ومن بنى غَنْم بن مالك بن النجار : عَوْفٌ وَمُعَوِّذٌ ابنا الحرث بن رفاعة بن سَوَاد ، وهما ابنا عفراء ، رجلان ، ثمانيةُ نفر

ذكر من قُتِلَ ببدر من المشركين

وقتل من المشركين يوم بدر : من قريش ثم من بنى عبد شمس ابن عبد مناف : حَنْظَلَةُ بن أبى سفيان بن حَرْب بن أُمَيَّةَ بن عبد شمس قتلى بدر من بنى عبدشمس وحلفائهم وتسمية قاتليهم

قتله زَيْدُ بن حارثة مَوْلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما قال ابن هشام ، ويقال : اشترك فيه حَمْزَةُ وعلى وزَيْدٌ رضى الله عنهم ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحق : والحرثُ بن الحضرمى ، وعامر بن الحضرمى ، حليفان لهم .

قتل عامراً عمّارُ بن ياسر ، وقتل الحرثَ النُّعمانُ بن عصر حليف الأوس ، فيما قال ابن هشام

وعُمَيْرُ بن أبى عُمَيْر ، وابنه ، مَوْليَانِ لهم

قتل عُمَيْرَ بن أبى عمير سالِمٌ مولى أبى حذيفة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحق : وعُبَيْدَةُ بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس قتله الزُّبَيْرُ بن العوّام ، والعاصُ بن سعيد بن العاص بن أمية ، قتله علىٌّ بن أبى طالب ، وعُقْبَةُ بن أبى مُعَيْطٍ بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس ، قتله عاصمُ بن ثابت بن أبى الأقلح أخو بنى عمرو بن عوف صبراً (١) .

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبى طالب

قال ابن إسحق : وعُتْبَةُ بن ربيعة بن عبد شمس ، قتله عُبَيْدَةُ ابن الحرث بن المطلب .

قال ابن هشام : اشترك فيه هو وحمزة وعلى

قال ابن إسحق : وشَيْبَةُ بن ربيعة بن عبد شمس ، قتله حَمْزَةُ بن عبد المطلب ؛ والوليدُ بن عُتْبَةَ بن ربيعة ، قتله علىٌّ بن أبى طالب ، وعامرُ بن عبد الله ، حليف لهم من بنى أنمار بن بَغِيض ، قتله على بن أبى طالب ، اثنا عشر رجلا .

---

(١) قال أبو ذر : « ذكر بعضهم أنه ذبح ، وفى أكثر المغازى أنه ضربت عنقه » اقول : انظر (ص ٢٨٦) من هذا الجزء

قتلى بدر من بنى نوفل بن عبدمناف تسمية قاتليهم

ومن بنى نَوْفَل بن عبد مناف: الحرثُ بن عامر بن نَوْفل، قتله — فيما يذكرون — خُبَيْبُ بن إساف أخو بنى الْحرِث بن الخزرج، وطُعَيْمَةُ ابن عـــدى بن نَوْفل، قتله على بن أبى طالب، ويقال: حمزة بن عبـد المطلب، رجلان

قتلى بدر من بنى أسد بن عبد العزى وتسمية قاتليهم

ومن بنى أسد بن عبد الْعُزّى بن قُصَىّ: زَمْعَةُ بن الأسود بن المطلب ابن أسد.

قال ابن هشام: قتله ثابت بن الجِذْعِ أخو بنى حَرَام، فيما قال ابن هشام، ويقال: اشترك فيه حمزة وعلى بن أبى طالب وثابت

قال ابن إسحق: والْحرِثُ بن زَمْعَة، قتله عَمّارُ بن ياسر، فيما قال ابن هشام، وعقِيلُ بن الأسود بن المطلب، قتله حَمْزَةُ وعلى، اشتركا فيه فيما قال ابن هشام، وأبو الْبَخْتَرِىّ، وهو العاص بن هشام بن الحرث بن أسد، قتله الْمُجَذَّر بن ذياد الْبَلَوِىُّ

قال ابن هشام: أبو البخترى: العاص بن هاشم

قال ابن إسحق: ونَوْفَلُ بن خُوَيْلد بن أسد، وهو ابن الْعَدَوِيَّة عَدِىّ خزَاعة، وهو الذى قَرَنَ أبا بكر الصديق وطَلْحَةَ بن عُبَيْدِ الله — حين أسلما — فى حبل؛ فكانا يُسَمَّيَانِ الْقَرِينَيْنِ لذلك، وكان من شياطين قريش، قتله علىٌّ بن أبى طالب، خمسة نفر

ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ: النَّضْرُ بن الحرث بن كَلَدَةَ بن عَلْقَمَةَ بن عبد مناف بن عبد الدار، قتله علىٌّ بن أبى طالب صَبْراً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفْرَاء، فيما (١) يذكرون

---

(١) أنظر (ص ٢٨٦) من هذا الجزء، وما بعدها

قال ابن هشام : بِالْأُثَيْل، ويقال : النَّضْرُ بن الحارث بن عَلْقَمَةَ بن كَلَدَةَ بن عبد مناف [بن عبدالدار]

قال ابن إسحق : وزَيْدُ بن مُلَيْص مَوْلى عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، رجلان

قال ابن هشام : قتل زَيْدَ بن مُلَيْصٍ بِلَالُ بن رَبَاح مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، وزيد حليف لبنى عبد الدار من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، ويقال : قتله المِقْدَادُ بن عَمْرو

قتلى بدر من بنى تيم بن مرة وتسمية قاتليهم

قال ابن إسحق : ومن بنى تَيْم بن مُرَّة : عُمَيْر بن عُثْمان بن عَمرو ابن كعب بن سَعْد بن تَيْم

قال ابن هشام : قتله علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ويقال : عبدُ الرحمن بن عَوْف رضى الله عنه

قال ابن إسحق : وعُثْمانُ بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، قتله صُهَيْب بن سِنَانٍ ، رجلان

قتلى بدر من بنى مخزوم بن يقظة وتسمية قاتليهم

ومن بنى مَخْزُوم بن يَقَظَةَ بن مُرَّة : أبو جهل بن هشام ، واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، ضربه مُعاذ بن عمرو بن الجَمُوحِ فقطع[1] رجله ، وضرب ابنهُ عِكرِمَةُ يَدَ معاذٍ فطرحها ، ثم ضربه مُعَوِّذ بن عَفراء حتى أثبته ، ثم تركه وبه رَمَقٌ ، ثم ذَفَّف عليه[2] عبدُ الله بن مسعود ؛ فاحْتَزَّ رأسه — حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم [به] أن يلتمس فى القتلى — والعاصُ بن هشام بن المغيرة بن

(١) انظر (ص ٢٧٥) من هذا الجزء ومابعدها

(٢) « ذفف عليه » أسرع قتله ، يقال : ذففت على الجريح، إذا أسرعت قتله :

عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قتله عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويزيد (١) ابن عبد الله حليف لهم من بنى تميم

قال ابن هشام : ثم أحد بنى عمرو بن تميم ، وكان شُجَاعاً ، قتله عَمَّار ابن ياسر

قال ابن إسحق : وأبو مُسَافِعٍ الأشعَرِىّ ، حليفٌ لهم ، قتله أبو دُجَانة السَّاعِدِىُّ ، فيما قال ابن هشام ، وحَرْمَلَةُ بن عمرو ، حليف لهم

قال ابن هشام : قتله خارجة بن زيد بن أبى زهير أخو بَلْحَرِث ابن الخزرج ، ويقال : بل علىُّ بن أبى طالب

قال ابن هشام : وحرملةُ من الأَسْد

قال ابن إسحق : ومَسْعُودُ بن أبى أُمَيَّةَ بن المُغيرة ، قتله على بن أبى طالب ، فيما قال ابن هشام ، وأبو قَيس بن الوَليد بن المُغيرة

قال ابن هشام : قتله حَمْزَةُ بن عبد المطلب ، ويقال : علىُّ بن أبى طالب

قال ابن إسحق : وأبو قيس بن الْفا كِه بن المغيرة ، قتله علىُّ بن أبى طالب ، ويقال : قتله عَمَّار بن ياسر ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : ورِفَاعَة بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبدالله بن عُمَر ابن مخزوم ، قتله سَعد بن الرَّبيع أخو بَلْحَرِث بن الخَزْرَج ، فيما قال ابن هشام ، والمُنذِر بن أبى رفاعة بن عائذ ، قتله مَعْن بن عدى بن الجَدّ بن

---

(١) « ويزيد » فى نسخة « ومرثد » ، وقال أبو ذر : « قوله ويزيد ابن عبد الله ، وكذا وقع هنا ، ويروى أيضا ومرثد بن عبد الله ، ويزيد هو الصحيح » اهـ

العَجْلان حليفُ بن عُبَيْدبن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عوف ، فيما قال ابن هشام ، وعَبدُ الله بن المنذر بن أبى رفاعة بن عائذ ، قتله علىٌّ ابن أبى طالب ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : والسَّائبُ بن أبى السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

قال ابن هشام : السائب بن أبى السائب شريكُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جاء فيه الحديثُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعْمَ الشَّريكُ السَّائبُ لاَيُشَارِى[1] وَلا يُمَارِى » وكان أسلم فحسُنَ إسلامه ، فيما بلغنا ، والله أعلم

وذكر ابن شهابٍ الزُّهْرِىُّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عباس ، أن السائب بن أبى السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم مِمَّن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وأعطاه يوم الجِعْرانة من غنائم حُنَيْنٍ

قال ابن هشام : وذكر غَيْرُ ابن إسحق أن الذى قتله الزُّبَيْرُ ابن الْعَوَّامِ .

قال ابن إسحق : والأسوَد بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزوم ، قتله حَمْزَةُ بن عبد المطلب ؛ وحاجبُ بن السائب بن عُوَيْمِر بن عَمْرو بن عابد بن[عبد] بن عمران بن مخزوم

قال ابن هشام : ويقال عائذ [بن عَبْد]بن عِمْران بن مَخْزُوم ، ويقال : حاجز بن السائب ، والذى قتل حَاجِبَ بن السائب علىٌّ بن أبى طالب

---

(١) « لايشارى » أى : لايغضب إذا فعل به أحد ما يغضبه

قال ابن إسحق : وعُوَيمر بن السّائب بن عويمر ، قتله النُّعْمَانُ بن مالك الْقَوْقَلِيُّ مبارَزَةً ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : وعَمْرو بن سُفْيان ، وجابر بن سفيان ، حليفان لهم من طيء ، قتل عَمْراً يزيدُ بن رُقَيْش وقتل جابرا أبو بُرْدَة بن نِيارَ ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : سبعة عشر رجلا

قتلى بدر من بنى سهم بن عمرو وتسمية قاتليهم

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى : مُنَبِّهُ بن الْحجَّاج بن عامر بن حُذَيْفَة بن سَعْد بن سَهْم ، قتله أبو الْيَسَر أخو بنى سَلِمة ، وابْنهُ الْعَاصُ بن مُنَبِّه بن الحجاج ، قتله على بن أبى طالب فيما قال ابن هشام ، ونُبَيه بن الحجَّاج بن عامر ، قتله حَمزَةُ بن عبد المطلب وسعد بن أبى وقاص ، اشتركا فيه فيما قال ابن هشام ، وأبو العاص بن قيس بن عدى بن سُعَيد بن سَهْم

قال ابن هشام : قتله على بن أبى طالب ، و يقال : النُّعْمَان بن مالك الْقَوْقَلِيّ ، و يقال : أبو دُجانة

قال ابن إسحق : وعاصم بن أبى عَوف بن ضُبَيْرة بن سُعَيد بن سَعد ابن سهم ، قتله أبو اليَسَر أخو بنى سَلِمة ، فيما قال ابن هشام ، خمسةُ نفر

قتلى بدر من بنى جمح بن عمرو وتسمية قاتليهم

ومن بنى جُمَحَ بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَى : أُمَيَّة بن خَلَفِ بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح ، قتله رجلٌ من الأنصار من بنى مازن

قال ابن هشام : و يقال : بل قتله مُعَاذ بن عَفْرَاء وخارجةُ بن زيد وخُبَيْبُ بن إساف اشتركوا فى قتله

قال ابن إسحق : وابنهُ علىٌّ بن أُمَيَّة بن خلف ، قتله عَمَّار بن ياسر ، وأوسُ بن مِعْيَرَ بن لَوْذان بن سَعْد بن جُمَح ، قتله علىٌّ بن أبى طالب فيما

قال ابن هشام ، ويقال : قتله الْحُصَيْن بن الْحَرِث بن المطلب وعثمان بن مَظْعون اشتركا فيه فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : ثلاثة نفر

قتلى بدر من بنى عامر بن لؤى وتسمية قاتليهم

ومن بنى عامر بن لؤى : معاويةُ بن عامرٍ حليفٌ لهم من عبدالقيس قتله علىٌّ بن أبى طالب ، ويقال : قتله عُكَّاشةُ بن مِحْصَنٍ ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحق : ومَعْبَدُ بن وَهْبٍ حليفٌ لهم من بنى كَلْب بن عَوْف بن كَعْب بن عامر بن لَيْث ، قتل مَعْبَداً خالدٌ وإياس ابنا البُكَيْر ، ويقال : أبودُجانة فيما قال ابن هشام ، رجلان

احصاء قتلى بدر

قال ابن إسحق : فجميع من أُحْصِىَ لنا من قَتْلى قريش يوم بدر خَمْسُونَ رَجُلاً .

استدراك ابن هشام على احصاء ابن اسحق

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة ، عن أبى عمرو ، أن قتلى بدر من المشركين كانوا سبْعين رجلا ، والأسرى كذلك ، وهو قول ابن عباس وسعيد بن المسيب ، وفى كتاب الله تبارك وتعالى (٣ : ١٦٥) : (أوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا) يقوله لأصحاب أُحُدٍ ، وكان من استشهد منهم سبعين رجلا ، يقول : قد أَصَبْتُمْ يوم بدر مِثْلَىْ من استشهد منكم يوم أحد : سبعين قتيلا ، وسبعين أسيراً ، وأنشدنى أبو زَيدٍ الأنصارى لكعب بن مالك : —

فأَقَامَ بالعَطَنِ الْمُعطَّنِ مِنْهُمُ سَبْعُونَ : عُتْبَةُ مِنْهُمُ وَالأَسْوَدُ[1]

---

(١) أصل العطن مبرك الابل حول الماء ، فاستعاره هنا للمكان الذى رمى فيه بقتلى بدر من المشركين .

قال ابن هشام : يعنى قَتْلَى بدر ، وهذا البيت فى قصيدة له فى حديث يوم أحد سأذكرها إن شاء الله تعالى فى موضعها

قال ابن هشام : وممن لم يذكر ابن إسحق من هؤلاء السبعين القتلى : من بنى عبد شمس بن عبد مناف : وهْبُ بن الحرث من بنى أنمار ابن بَغِيض حليفٌ لهم ، وعامرُ بن زيدٍ حليفٌ لهم من اليمن ، رجلان

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى : عُتْبة بن زيدٍ حليفٌ لهم من اليمن ، وعُمَيْرٌ مولى لهم ، رجلان

ومن بنى عَبْد الدار بن قُصَى : نُبَيْه بن زَيدٍ بن مُلَيْصٍ ، وعُبَيد ابن سَلِيطٍ حليفٌ لهم من قيس ، رجلان

ومن بنى تَيم بن مُرَّة : مالكُ بن عُبيد الله بن عثمان ، [وهو أخو طَلْحَة بن عُبَيْد الله بن عثمان] ، أسر فمات فى الأسارى ، فَعُدَّ فى القَتْلَى ويقال : وَعَمْرو بن عبد الله بن جُدْعَان ، رجلان

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظَة : حُذَيْفَةُ بن أبى حُذَيْفَةَ بن المُغيرة ، قتله سَعْدُ بن أبى وَقَّاص ، وَهِشَامُ بن أبى حُذَيْفَةَ بن المُغيرة ، قتله صُهَيْبُ بن سِنَان ، وزُهَيْر بن أبى رِفاعة ، قتله أبو أُسَيْد مالكُ بن ربيعة ، والسائبُ بن أبى رِفاعة ، قتله عَبْدُ الرحمن بن عَوْف ، وعائذُ ابن السائب بن عُوَيْمر ، أسر ثم افتدى فمات فى الطريق من جِراحةٍ جرحه إياها حَمْزَةُ بن عبد المطلب ، وَعُمَيْرٌ حليفٌ لهم من طىء ، وخِيَارٌ حليفٌ لهم من القارة ، سبعة نفر

ومن بنى جُمَحَ بن عمرو : سَبْرَةُ بن مالك ، حليفٌ لهم ، رجلٌ

ومن بنى سَهْم بن عمرو : الحْرثُ بن مُنَبِّه بن الحجاج ، قتله صُهَيْبُ بن سِنان ، وعامر بن أبى عَوْف بن ضُبَيْرَة أخو عاصِم بن ضُبَيْرَةَ ،

قتله عبدُ الله بن سَلَمَة العَجْلانى ، ويقال : أبو دُجانة ، رجلان

ذِكْرُ أَسْرَى قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ

اسرى بدر من بنى هاشم

قال ابن إسحق : وأُسِرَ من المشركين من قريش يوم بدر ، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف : عَقِيلُ بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، ونَوْفَلُ بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم

اسرى بدر من بنى المطلب بن عبد مناف

ومن بنى المطلب بن عبد مناف : السائبُ بن عبيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب ، ونُعْمَانُ بن عمرو بن علقمة بن المطلب ، رجلان

الاسرى من بنى عبد شمس

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : عَمْرُو بن أبى سفيان بن حَرْب ابن أمية بن عبد شمس ، والحرثُ بن أبى وَجْزَةَ بن أبى عمرو بن أمية ابن عبد شمس

ويقال : ابن أبى وَحْرَةَ ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : وأبو العاص بن الرَّبِيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس ، وأبو العاص بن نَوْفَل بن عبد شمس

ومن حلفائهم : أبو رِيشَةَ بن أبى عمرو ، وعَمْرُو بن الأزرق ، وعُقْبة ابن عبد الحرث بن الحَضْرَمى ، سبعة نفر

الاسرى من بنى نوفل بن عبد مناف

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عَدِيُّ بن الخِيَار بن عدى بن نوفل وعثمان بن عبد شمس بن أخى غَزْوَان بن جابر ، حليفٌ لهم من بنى مازن بن منصور ، وأبو ثور حليف لهم ، ثلاثة نفر

الاسرى من بنى عبد الدار

ومن بنى عبد الدار بن قُصَى : أبو عَزِيز بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والأسود بن عامر ، حليف لهم ، ويقولون : نحن بنو الأسود بن عامر [بن عمرو] بن الحرث بن السَّبَّاق ، رجلان

الاسرى من بنى اسد بن عبدالعزى

ومن بنى أسد بن عبد العزّى بن قُصَى : السائبُ بن أبى حُبَيْش ابن المطلب بن أسد، والحُوَيْرِث بن عَبَّاد بن عثمان بن أسد

قال ابن هشام : هو الحرث بن عائذ بن عثمان بن أسد

قال ابن إسحق : وسالم بن شَمَّاخ حليف لهم ، ثلاثة نفر

الاسرى من بنى مخزوم بن يقظة

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : خالدُ بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وأُمَيَّةُ بن أبى حذيفة بن المغيرة ، والوليد بن الوليد بن المغيرة ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وَصَيْفِيّ بن أبى رِفاعة بن عابد بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزوم ، وأبو المُنْذِر (١) بن أبى رفاعه بن عابد بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وأبو عطاء عبدُ الله بن أبى السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم والمُطَّلِب بن حَنْطَب بن الحرث بن عُبَيْد بن عُمَر بن مَخْزوم ، وخالدُ بن الأعلم ، حليفٌ لهم ، وهو — كان فيما يذكرون — أوّلُ من وَلّى فارًّا منهزماً ، وهو الذى يقول : —

وَلَسْنَا عَلَى الْأَدْبارِ تَدْمَى كُلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يقْطُرُ الدَّمُ،

تسعة نفر

قال ابن هشام : ويروى * لَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ *

وخالد بن الأعلم : من خُزَاعة ، ويقال : عُقَيْلى

الاسرى من بنى سهم بن عمرو

قال ابن إسحق : ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب [بن لؤى] : أبو وَدَاعة بن ضُبَيْرَة بن سُعَيد بن سَعْد بن سَهْم ، كان أوَّلَ أسير

---

(١) قال أبو ذر : « قوله وأبو المنذر بن أبى رفاعة ، كذا وقع ويروى أيضا : والمنذر بن أبى رفاعة ، وكذا قال فيه موسى بن عقبة فى المغازى » اه

افْتُدِيَ [١] من أسْرَى بَدْرٍ ، افْتَدَاهُ ابنه المطلب بن أبي وَدَاعة ، وَفَرْوَةُ ابن قَيْس بن عَدِيّ بن حُذَافة بن سُعَيْد بن سَهْم ، وَحَنْظَلَة بن قَبِيصة بن حُذافة بن سُعَيْد بن سَهْم ، وَالْحَجَّاج بن الْحرِث بن قَيْس بن عدى بن سُعَيْد بن سَهْم ، أربعة نفر.

الاسرى من بنى جمح بن عمرو

ومن بنى جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كعب : عبد الله بن أُبي ابن خَلَف بن وَهْب بن حُذَافَة بن جُمَح ، وأبو عَزَّة عمرو بن عبد[الله]بن عثمان بن أُهَيْب بن حُذَافَة بن جُمَح ، وَالفَاكِهُ مَوْلَى أُمَيَّةَ بن خَلَف ادَّعَاه بعد ذلك رَبَاحُ بن المغترف وهو يزعم أنه من بنى شَمَّاخ بن مُحَارِب ، ابن فِهْر ، ويقال : إن الفاكه : ابنُ جَرْوَل بن حِذْيَم بن عَوْف بن غَضْب بن شَمَّاخ بن مُحَارِب بن فهر ، وَوَهْبُ بن عُمَيْر بن وهب بن خَلَف بن وَهْب بن حُذَافَة بن جُمَح ، وَرَبِيعةُ بن دَرَّاج بن الْعَنْبَس ابن أُهْبَان بن وَهْب بن حُذَافه بن جُمَح ، خمسةُ نفرٍ.

الاسرى من بنى عامر بن لؤى

ومن بنى عامر بن لؤى : سُهَيْل بن عَمْرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ ابن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، أسَرَهُ مالكُ بن الدُّخْشُم أخو بنى سالم بن عَوْف ، وَعَبْدُ بن زَمْعَةَ بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ ابن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وَعَبْدُ الرَّحمن بن منشوء [٢] ابن وَقْدَان بن قَيْس بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ابن عامر ، ثلاثةُ نفرٍ.

الاسرى من بنى الحرث بن فهر

ومن بنى الحرث بن فِهْر : الطُّفَيْلُ بن أبي قُنَيْع ، وَعُتْبَة بن عَمْرو بن جَحْدَم ، رجلان.

قال ابن إسحق : فجميع من حفظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلا

---

(١) انظر (ص ٢٩٢) من هذا الجزء
(٢) فى أكثر أصول الكتاب « وعبد الرحمن بن مشنوء »

قال ابن هشام : وقع من جملة العدد رجل لم أذكر اسمه

استدراك ابن هشام

ومن لم يذكر ابن إسحق من الأسارى : من بنى هاشم بن عبد مناف : عُتْبَةُ حليف لهم من بنى فهرٍ ، رجل

ومن بنى المطلب بن عبد مناف : عقيل بن عمرو حليف لهم ، وأخوه تميم بن عمرو ، وابنه ، ثلاثة نفرٍ

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالدُ بن أسيد بن أبى العيص ، وأبو العَرِيض (١) يسارٌ مولى العاص بن أمية ، رجلان

ومن بنى نَوْفَل بن عبد مناف : نَبْهَانُ مولًى لهم ، رجل

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى : عبدُ الله بن حُمَيْد بن زُهَيْر بن الحرث ، رجل

ومن بنى عبد الدار بن قُصَى : عَقيلٌ ، حليفٌ لهم من اليمن ، رجل

ومن بنى تَيْم بن مُرَّة : مُسَافِعُ بن عياض بن صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، وجابر بن الزُّبَيْر حليفٌ لهم ، رجلان

ومن بنى مخزوم بن يَقَظَة بن مُرّة : قَيْسُ بن السائب ، رجل

ومن بنى جُمَح بن عَمْرو : عَمْرو بن أُبَىّ بن خلف ، وأبو رُهْم بن عبد الله حليفٌ لهم ، وحليفٌ لهم ذهب عنى اسمه ، وَمَوْلَيَان لأمية بن ابن خَلَف أحدُهما نِسْطاس ، وأبو رافعٍ غلامُ أُمَيَّةَ بن خلف ، ستةُ نفرٍ

ومن بنى سَهْم بن عمرو : أَسْلَمَ مَوْلَي نُبَيْه بن الحَجَّاج ، رجل

ومن بنى عامر بن لؤى : حبيب بن جابر ، والسائب بن مالك ، رجلان

ومن بنى الحرث بن فهر : شافع وشَفيع ، حليفان لهم من اليمن ، رجلان

---

(١) فى بعض الأصول « وأبو الغريض » بالغين معجمة

ذكر ماقيل من الشعر فى يوم بدر

قال ابن إسحق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم بدر وترادٌ به القوم بينهم لما كان فيه : قَوْلُ حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله

قصيدة تنسب لحمزة ابن عبد المطلب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها له وَنَقِيضَتَهَا

أَلَمْ تَرَ أَمْراً كَانَ مِنْ عَجَبِ الدَّهْرِ
وَلِلْحَيْنِ أَسْبَابٌ مُبَيَّنَةُ الْأَمْرِ (١)

وَمَا ذَاكَ إِلاَّ أَنَّ قَوْماً أَفَادَهُمْ
فَخَانُوا تَوَاصَوْا بِالْعُقُوقِ وَبِالْكُفْرِ (٢)

عَشِيَّةَ رَاحُوا نَحْوَ بَدْرٍ بِجَمْعِهِمْ
فَكَانُوا رُهُوناً لِلرَّكِيَّةِ مِنْ بَدْرِ (٣)

وَكُنَّا طَلَبْنَا الْعِيرَ لَمْ نَبْغِ غَيْرَهَا   فَسَارُوا إِلَيْنَا فَالْتَقَيْنَا عَلَى قَدْرِ
فَلَمَّا الْتَقَيْنَا لَمْ تَكُنْ مَثْنَوِيَّةٌ   لَنَا غَيْرَ طَعْنٍ بِالْمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ (٤)
وَضَرْبٍ بِبِيضٍ يَخْتَلِي الْهَامَ حَدُّهَا   مُشَهَّرَةِ الْأَلْوَانِ بَيِّنَةِ الْأَثْرِ (٥)

---

(١) الحين : الردى والهلاك

(٢) « أفادهم » يروى بالفاء ، ومعناه أهلكهم ، يقال : فاد الرجل ؛ إذا هلك ومات ، وقوله « تواصوا » يروى فى مكانه « تواص » وهو مصدر « تواصى » وهو فى هذه الرواية فاعل أفادهم ، ولعلها أحسن

(٣) الرهون : جمع رهن ؛ والركية البئر المطوية بالحجارة

(٤) مثنوية : يريدبها الرجوع والانصراف ، والمثقفة : الرماح التى تقوم بالثقاف ، والثقاف : خشبة تتخذلتقويم الرمح ، والسمر : جمع أسمر ، وهو من صفات الرماح

(٥) يختلى : يقطع ، والهام : الرءوس ، واحدها هامة ، والأثر ـ بفتح الهمزة أو كسرها ـ فرند السيف

وَنَحْنُ تَرَكْنَا عُتْبَةَ الْغَيِّ ثَاوِياً
وَشَيْبَةَ فِي قَتْلَى تَجَرْجَمُ فِي الْجَفْرِ (١)
وَعَمْرٌو ثَوَى فِيمَنْ ثَوَى مِن حُمَاتِهِمْ
فَشُقَّتْ جُيُوبُ النَّائِحَاتِ عَلَى عَمْرِو
جُيُوبُ نِسَاءٍ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ
كِرَامٍ تَفَرَّعْنَ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرِ (٢)
أُولَئِكَ قَوْمٌ قُتِّلُوا فِي ضَلَالِهِمْ وَخَلَّوْا لِوَاءً غَيْرَ مُحْتَضَرِ النَّصْرِ
لِوَاءَ ضَلَالٍ قَادَ إِبْلِيسُ أَهْلَهُ
فَخَاسَ بِهِمْ إِنَّ الْخَبِيثَ إِلَى غَدْرِ (٣)
وَقَالَ لَهُمْ إِذْ عَايَنَ الْأَمْرَ وَاضِحاً
بَرِئْتُ إِلَيْكُمْ مَابِيَ الْيَوْمَ مِنْ صَبْرِ
فَإِنِّي أَرَى مَالَا تَرَوْنَ وَإِنَّنِي
أَخَافُ عِقَابَ اللهِ وَاللهُ ذُو قَسْرِ (٤)

(١) ثاويا : مقيما ؛ وتجرجم : يروى بفتح التاء على أنه قد حذف منه إحدى التاءين ، وأصله تتجرجم ، ومعناه تسقط ؛ ويروى بضم التاء وفتح الجيمين على أنه مبنى للمجهول ، ومعناه تصرع ، يقال : جرجم الشيء ؛ إذا صرعه ، والجفر : البئر المتسعة ، وهو بالجيم ؛ ورواه بعضهم الحفر بالحاء المهملة

(٢) تفرعن : فعل مسند لنون النسوة ، ومعناه علون ، والذوائب : الأعالى ، يريد أنهن من فهر فى المكان الذى لا يسامى ولا يبلغه قدر

(٣) خاس : معناه غدر ، يقال : خاس بالعهد يخيس به ؛ إذا غدر به

(٤) القسر : القهر والغلبة

فَقَدَّمَهُمْ لِلْحَيْنِ حَتَّى تَوَرَّطُوا
وَكَانَ بِمَا لَمْ يَخْبُرِ الْقَوْمُ ذَا خُبْرِ (١)

فَكَانُوا غَدَاةَ الْبِئْرِ أَلْفًا وَجَمْعُنَا ثَلَاثَ مِئِينٍ كَالْمُسَدَّمَةِ الزُّهْرِ (٢)

وَفِينَا جُنُودُ اللهِ حِينَ يُمِدُّنَا
بِهِمْ فِي مَقَامٍ ثَمَّ مُسْتَوْضِحِ الذِّكْرِ

فَشَدَّ بِهِمْ جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا لَدَى مَأْزِقٍ فِيهِ مَنَايَاهُمُ تَجْرِى (٣)

الحرث بن هشام يجيب حمزة

فأجابه الحرث بن هشام بن المغيرة ، فقال : —

أَلَا يَالَقَوْمِى لِلصَّبَابَةِ وَالْهَجْرِ
وَلِلْحُزْنِ مِنِّى وَالْحَرَارَةِ فِى الصَّدْرِ (٤)

وَلِلدَّمْعِ مِنْ عَيْنَىَّ جَوْدًا كَأَنَّهُ
فَرِيدٌ هَوَي مِنْ سِلْكِ نَاظِمِهِ يَجْرِى (٥)

عَلَى الْبَطَلِ الْحُلْوِ الشَّمَائِلِ إِذْ ثَوَى
رَهِينَ مَقَامٍ لِلرَّكِيَّةِ مِنْ بَدْرِ (٦)

---

(١) تورطوا : وقعوا فى هلكة

(٢) المسدمة : الفحول من الابل ، والزهر : جمع أزهر ، وأراد به الأبيض

(٣) المأزق : الموضع الضيق فى الحرب

(٤) الصبابة : رقة الشوق

(٥) الجود – بفتح فسكون – الكثير ؛ تقول : جادت السماء تجود جودا ، إذا مطرت مطرا كثيرا ، والفريد : أراد به العقد ، والسلك : الخيط الذى ينظم به العقد .

(٦) الشمائل : الخلائق والطبائع والسجايا ، وثوى – بالمثلثة – أقام ، ويروى توى – بالمثناة – ومعناه هلك .

فَلاَ تَبْعَدَنْ يَا عَمْرُو مِنْ ذِى قَرَابَةٍ
وَمِنْ ذِى نِدَامٍ كَانَ ذَا خُلُقٍ غَمْرِ (١)
فَإِنْ يَكُ قَوْمٌ صَادَفُوا مِنْكَ دَوْلَةً فَلاَ بُدَّ لِلْأَيَّامِ مِنْ دُوَلِ الدَّهْرِ
فَقَدْ كُنْتَ فِي صَرْفِ الزَّمَانِ الَّذِى مَضَى
تُرِيهِمْ هَوَانًا مِنْكَ ذَا سُبُلٍ وَعْرِ (٢)
فَإِلاَّ أَمُتْ يَا عَمْرُو أَتْرُكْكَ ثَائِراً
وَلاَ أُبْقِ بُقْيَا فِي إِخَاءٍ وَلاَ صِهْرِ (٣)
وَأَقْطَعُ ظَهْرًا مِنْ رِجَالٍ بِمَعْشَرٍ
كِرَامٍ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا قَطَعُوا ظَهْرِى
أَغَرَّهُمُ مَا جَمَّعُوا مِنْ وَشِيظَةٍ
وَنَحْنُ الصَّمِيمُ فِى الْقَبَائِلِ مِنْ فِهْرِ (٤)
فَيَالَ لُؤَىٍّ ذَبِّبُوا عَنْ حَرِيمِكُمْ
وَآلِهَةٍ لاَ تَتْرُكُوهَا لِذِى الْفَخْرِ (٥)

---

(١) نِدام: جمع نديم؛ وغمر – بغين معجمة – واسع الخلق، يقال: رجل غمر؛ إذا كان حسن الأخلاق واسعها

(٢) سبل: جمع سبيل، وهى الطريق، وقوله «وعر» ردها على المفرد وكأنه قال كل سبيل منها وعر

(٣) ثائرا: ذا ثأر، كما تقول: رجل لابن وتامر: أى ذو لبن وذو تمر، يريد أنه سيأخذ بثأره

(٤) الوشظية: أراد بها الأتباع ومن ليس من خالص القوم وصليبتهم، والصميم: الخالصون

(٥) ذببوا: ادفعوا وامنعوا

تَوَارَثَهَا آبَاؤُكُمْ وَوَرِثْتُمُ
أَوَاسِيَّهَا وَالْبَيْتَ ذَا السَّقْفِ وَالسِّتْرِ (١)

فَمَا لِحَلِيمٍ قَدْ أَرَادَ هَلَاكَكُمْ فَلَا تَعْذِرُوهُ آلَ غَالِبَ مِنْ عُذْرِ (٢)

وَجِدُّوا لِمَنْ عَادَيْتُمْ وَتَوَازَرُوا
وَكُونُوا جَمِيعاً فِي التَّأَسِّي وَفِي الصَّبْرِ (٣)

لَعَلَّكُمُ أَنْ تَثْأَرُوا بِأَخِيكُمُ
وَلَا شَيْءَ إِنْ لَمْ تَثْأَرُوا بِذَوِي عَمْرِو (٤)

بِمُطَّرِدَاتٍ فِي الْأَكُفِّ كَأَنَّهَا وَمِيضٌ تُطِيرُ الْهَامَ بَيِّنَةُ الْأُثْرِ (٥)

كَأَنَّ مَدَبَّ الذَّرِّ فَوْقَ مُتُونِهَا
إِذَا جُرِّدَتْ يَوْماً لِأَعْدَائِهَا الْخُزْرِ (٦)

قال ابن هشام : أبدلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابن إسحق ، وهما « الفخر » فى آخر البيت ، و « فما الحليم » فى أول البيت ، لأنه نال فيهما من النبي صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحق : وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه فى يوم بدر

---

(١) الأواسى : جمع آسية ، وهو ما يؤسس عليه البنيان ، وهو أيضا الدعائم والسوارى

(٢) آل غالب : لم يصرف غالب هنا لأنه جعله اسما للقبيلة

(٣) توازروا : تعاونوا ، والتأسى : الاقتداء والاحتذاء ، تقول : تأسيت بفلان ، إذا اقتديت به واحتذيته

(٤) تثأروا بأخيكم : تأخذوا بثأره

(٥) المطردات : السيوف المهتزات ، والوميض : ضوء البرق . والهام : الرءوس ، والأثر : وشى السيف وفرنده ، وهو بفتح فسكون

(٦) الذر : صغار النمل ، والخزر : جمع أخزر . وهو الذى ينظر بمؤخر عينيه

قال ابن هشام : ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ولا نقيضتها ، وإنما كتبناهما لأنه يقال : إن عمرو بن عبد الله بن جدعان قتل يوم بدر ، ولم يذكره ابن إسحق فى القتلى ، وذكره فى هذا الشعر : —

قصيدة لعلى بن أبى طالب

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَبْلَى رَسُولَهُ
بَلَاءَ عَزِيزٍ ذِى اقْتِدَارٍ وذِى فَضْلِ (١)
بِمَا أَنْزَلَ الْكُفَّارَ دَارَ مَذَلَّةٍ فَلَاقَوْا هَوَانًا مِنْ أَسَارٍ ومِنْ قَتْلِ
فَأَمْسَى رَسُولُ اللهِ قَدْ عَزَّ نَصْرُهُ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ أُرْسِلَ بِالْعَدْلِ
فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ مِنَ اللهِ مُنْزَلٍ مُبَيَّنَةٍ آيَاتُهُ لِذَوِى الْعَقْلِ
فَآمَنَ أَقْوَامٌ بِذَاكَ وَأَيْقَنُوا فَأَمْسَوْا بِحَمْدِ اللهِ مُجْتَمِعِى الشَّمْلِ
وَأَنْكَرَ أَقْوَامٌ فَزَاغَتْ قُلُوبُهُمْ
فَزَادَهُمُ ذُو الْعَرْشِ خَبْلًا عَلَى خَبْلِ (٢)
وَأَمْكَنَ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ رَسُولَهُ وَقَوْمًا غِضَابًا فِعْلُهُمْ أَحْسَنُ الْفِعْلِ
بِأَيْدِيهِمُ بِيضٌ خِفَافٌ عَصَوْا بِهَا وَقَدْ حَادَثُوهَا بِالْجِلَاءِ وبِالصَّقْلِ (٣)
فَكَمْ تَرَكُوا مِنْ نَاشِئٍ ذِى حَمِيَّةٍ
صَرِيعًا وَمِنْ ذِى نَجْدَةٍ مِنْهُمُ كَهْلِ (٤)

---

(١) أبلى رسوله : من عليه ، وصنع له صنعا حسنا ، وهذا كقول زهير : —

* فَأَبْلَاهُمُ خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِى يَبْلُو *

(٢) زاغت قلوبهم : مالت عن الحق ؛ والخبل : الفساد ، وهو أيضا قطع بعض الأعضاء

(٣) بيض : أراد بها السيوف ، وعصوا بها : أرادضربوا بها ، وحادثوها : تعهدوها

(٤) ناشىء : صغير ، و« ذى حمية » يروى فى مكانه « ذى حفيظة » وهى الغضب

تَبِيتُ عيُونُ النَّائِحَاتِ عَلَيْهِمُ تَجُودُ بِإِسْبَالِ الرَّشَاشِ وَبِالْوَبْلِ (١)
نَوَائِحَ تَنْعَى عُتْبَةَ الْغَيِّ وَابْنَهُ وَشَـيْبَةَ تَنْعَاهُ وتَنْعَى أَبَا جَهْلِ
وَذَا الرِّجْلِ تَنْعَى وَابْنَ جُدْعَانَ فِيهِمُ
مُسَـلَّبَةً حَرَّى مُبَيَّنَةَ الثُّكْلِ (٢)
ثَوَى مِنْهُمُ فِي بِـئْرِ بَدْرٍ عِصَابَةٌ
ذَوُو نَجدَاتٍ فِي الْحُرُوبِ وَفِي الْمَحْلِ
دَعَا الْغَيُّ مِنْهُـمْ مَنْ دَعَا فَأَجَابَهُ
وَلِلْغَيِّ أَسْبَابٌ مُرَمَّقَةُ الْوَصْلِ (٣)
فَأَضْحَوْا لَدَى دَارِ الْجَحِيمِ بِمَعْزِلٍ
عَنِ الشَّغْبِ وَالعُدْوَانِ فِي أَشْغَلِ الشُّغْلِ (٤)

فأجابه الحرث بن هشام بن المغيرة ، فقال : —

الحرث بن هشام يجيب على بن أبي طالب

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ تَغَنَّى سَفِيهُهُمْ بِأَمْرِ سَفَاهٍ ذِي اعْتِرَاضٍ وَذِي بُطْلِ (٥)
تَغَنَّى بِقَتْـلَى يَوْمِ بَدْرٍ تَتَابَعُوا
كِرَامِ الْمَسَاعِي مِنْ غُلَامٍ وَمِنْ كَهْلِ

---

(١) الاسبال : الارسال ، والرشاش : المطر الضعيف

(٢) « ذا الرجل » أراد به الأسود بن عبد الأسد المخزومى الذى خرج من صفوف المشركين يريد أن يقتحم على المسلمين ليشرب من حوضهم ، وقد عاهد الله أن يشرب منه أو يهدمه أو يموت ، فضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه ، وانظر (ص ٢٦٤) من هذا الجزء . ومابعدها ، والحرى : المحترقة الجوف

(٣) مرمقة : ضعيفة ، والأصل فيه الرمق ، وهو الشيء اليسير الضعيف

(٤) الشغب : التشغيب

(٥) البطل ـ بضم فسكون ـ الباطل

مَصَالِيتُ بِيضٌ مِنْ لُؤَىِّ بْنِ غَالِبٍ
مَطَاعِينُ فِى الْهَيْجَا مَطَاعِيمُ فِى الْمَحْلِ (١)
أُصِيبُوا كِرَامًا لَمْ يَبِيعُوا عَشِيرَةً
بِقَوْمٍ سِوَاهُمْ نَازِحِى الدَّارِ وَالأَصْلِ (٢)
كَمَا أَصْبَحَتْ غَسَّانُ فِيكُمْ بِطَانَةً
لَكُمْ بَدَلاً مِنَّا فَيَالَكَ مِنْ فِعْلِ (٣)
عُقُوقًا وَإِثْمًا بَيِّنًا وَقَطِيعَةً
يَرَى جَوْرَكُمْ فِيهَا ذَوُو الرَّأْىِ وَالْعَقْلِ
فَإِنْ يَكُ قَوْمٌ قَدْ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَخَيْرُ الْمَنَايَا مَا يَكُونُ مِنَ الْقَتْلِ
فَلَا تَفْرَحُوا أَنْ تَقْتُلُوهُمْ فَقَتْلُهُمْ
لَكُمْ كَائِنٌ خَبْلاً مُقِيمًا عَلَى خَبْلِ (٤)
فَإِنَّكُمُ لَنْ تَبْرَحُوا بَعْدَ قَتْلِهِمْ
شَتِيتًا هَوَاكُمْ غَيْرَ مُجْتَمِعِ الشَّمْلِ (٥)
بِفَقْدِ ابْنِ جُدْعَانَ الْحَمِيدِ فَعَالُهُ وَعُتْبَةَ وَالْمَدْعُوِّ فِيكُمْ أَبَا جَهْلِ

---

(١) مصاليت : شجعان ، وقوله « من لؤى بن غالب » يروى فى مكانه « من ذؤابة غالب » ومعناه من أعلى فروعها وأكرم أهلها ، ومطاعين : جمع مطعان ، وهو الذى يكثر الطعن فى الحرب ، ومطاعيم : جمع مطعام ، وهو الذى يكثر من الأطعام ، والمحل : القحط والجدب

(٢) النازح : البعيد

(٣) بطانة الرجل : خاصته وأصحاب سره

(٤) الخبل : الفساد ، وقطع بعض الأعضاء

(٥) الشتيت : المتفرق

وَشَيْبَةُ فِيهِمْ وَالْوَلِيدُ وفِيهِمُ
أُمَيَّةُ مَأْوَى الْمُعْتَرِينَ وَذُو الرَّجْلِ (١)
أُولئِكَ فَابْكِ ثُمَّ لَا تَبْكِ غَيْرَهُمْ
نَوَائِحُ تَدْعُو بِالرَّزِيَّةِ والثُّكْلِ (٢)
وَقُولُوا لِأَهْلِ الْمَكَّتَيْنِ تَحَاشَدُوا
وَسِيرُوا إِلَى آطَامِ يَثْرِبَ ذِي النَّخْلِ (٣)
جَمِيعاً وَحَامُوا آلَ كَعْبٍ وَذَبِّبُوا
بِخَالِصَةِ الْأَلْوَانِ مُحْدَثَةِ الصَّقْلِ (٤)
وإِلَّا فَبِيتُوا خَائِفِينَ وَأَصْبِحُوا أَذَلَّ لِوَطْءِ الْوَاطِئِينَ مِنَ النَّعْلَ
عَلَى أَنَّنِي وَاللَّاتِ يَاقَوْمِ فَاعْلَمُوا
بِكُمْ وَاثِقٌ أَنْ لَا تُقِيمُوا عَلَى تَبْلِ (٥)
سِوَى جَمْعِكُمْ لِلسَّابِغَاتِ وَلِلْقَنَا
وَلِلْبِيضِ والْبِيضِ الْقَوَاطِعِ وَالنَّبْلِ (٦)

---

(١) المعترون — بالعين المهملة — المستجدون ، وقد رواه بعضهم «المقترين» بالقاف — ومعناه الفقراء

(٢) الثكل : الفقد

(٣) المكتين : أراد مكة والطائف ، أو ثنى مكة باعتبار جهتيها ، وذلك من مجاز العرب فى حديثها ، وقد سبق بحث مثل ذلك ؛ والآطام : جمع أطم ، وهو الحصن

(٤) ذببوا : دافعوا وامنعوا

(٥) التبل : العداوة وطلب الثأر

(٦) السابغات : الدروع الكاملة

وقال ضِرَارُ بن الخَطَّاب بن مِرْداس ، أخو [بنى] مُحَارب بن فهر في يوم بدر : —

قصيدة لضرار بن الخطاب في يوم بدر

عَجِبْتُ لِفَخْرِ الأَوْسِ وَالْحَيْنُ دَائِرُ
عَلَيْهِمْ غَـــدًا وَالدَّهْرُ فِيهِ بَصَائِرُ

وفَخْرِ بَنِي النَّجَّارِ أَنْ كَانَ مَعْشَرٌ أُصِيبُوا بِبَدْرٍ كُلُّهُمْ ثَمَّ صَابِرُ

فَإِنْ تَكُ قَتْلَى غُودِرَتْ مِنْ رِجَالِنَا
فَإِنَّا رِجَالاً بَعْـدَهُمْ سَـنُغَادِرُ

وَتَرْدِي بِنَا الْجُـرْدُ الْعَنَاجِيجُ وَسْطَـكُمْ
بَنِي الأَوْسِ حَتَّى يَشْفِيَ النَّفْسَ ثَائِرُ (١)

وَوَسْطَ بَنِي النَّجَّارِ سَوْفَ نَـكُرُّهَا لَهَا بِالْقَنَا وَالدَّارِعِينَ زَوَافِرُ (٢)

فَنَتْرُكُ صَرْعَى تَعْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلاَّ الأَمَانِيَّ نَاصِرُ (٣)

وتَبْـكِيهِمُ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ نِسْوَةٌ
لَهُنَّ بِهَا لَيْـلٌ عَنِ النَّوْمِ سَـاهِرُ (٤)

وَذٰلِكَ أَنَّا لَا تَزَالُ سُيُوفُنَا بِهِنَّ دَمٌ مِمَّـا يُحَارِبْنَ مَائِرُ (٥)

فَإِنْ تَظْفَرُوا فِي يَوْمِ بَدْرٍ فَإِنَّمَـا
بِأَحْمَدَ أَمْسَى جَدُّكُمْ وَهْوَ ظَاهِرُ (٦)

---

(١) تردى : تسرع ، العناجيج : جمع عنجوج ، وهو الطويل السريع ، والثائر : الطالب لثأره

(٢) الزوافر : جمع زافرة ، وهى التى تحمل الثقل

(٣) تعصب : تجمع عصائب عصائب (٤) الساهر : الذى لا ينام

(٥) مائر : سائل ، يقال : مال يمور ، إذا سال ، ومنه قوله تعالى : (يوم تمور السماء مورا) (٦) الجد : الحظ والسعد والبخت

وَبِالنَّفَرِ الْأَخْيَارِ هُمْ أَوْلِيَاؤُهُ
يُحَامُونَ فِي اللَّأْوَاءِ وَالْمَوْتُ حَاضِرُ (١)

يُعَدُّ أَبُو بَكْرٍ وَحَمْزَةُ فِيهِمُ ويُدْعَى عَلِيٌّ وَسْطَ مَنْ أَنْتَ ذَاكِرُ

[وَيُدْعَى أَبُو حَفْصٍ وَعُثْمَانُ مِنْهُمُ
وَسَعْدٌ إِذَا مَا كَانَ فِى الْحَرْبِ حَاضِر]

أُولَئِكَ لَا مَنْ نَتَّجَتْ فِي دِيَارِهَا
بَنُو الْأَوْسِ وَالنَّجَّارِ حِينَ تُفَاخِرُ (٢)

وَلَكِنْ أَبُوهُمْ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ
إِذَا عُدَّتِ الْأَنْسَابُ كَعْبٌ وعَامِرُ

هُمُ الطَّاعِنُونَ الْخَيْلَ فِى كُلِّ مَعْرَكٍ
غَدَاةَ الْهِيَاجِ الْأَطْيَبُونَ الْأَكَابِرُ (٣)

كعب بن مالك يجيب ضرار بن الخطاب

فأجابه كعب بن مالك أخو بنى سلمة ، فقال : —

عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللهِ وَاللهُ قَادِرُ عَلَى مَا أَرَادَ لَيْسَ لِلَّهِ قَاهِرُ

قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نُلَاقِيَ مَعْشَرًا بَغَوْا وسَبِيلُ الْبَغْيِ بِالنَّاسِ جائِرُ

وَقَدْ حَشَدُوا وَاسْتَنْفَرُوا مَنْ يَلِيهِمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى جَمْعُهُمْ مُتَكَاثِرُ

وَسَارَتْ إِلَيْنَا لَا تُحَاوِلُ غَيْرَنَا بِأَجْمَعِهَا كَعْبٌ جَمِيعًا وَعَامِرُ

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ
لَهُ مَعْقِلٌ مِنْهُمْ عَزِيزٌ وَنَاصِرُ (٤)

(١) اللأواء : الشدة

(٢) نتجت : معناه ولدت

(٣) معرك : المكان الذى تعترك فيه الفرسان

(٤) المعقل : الموضع الذى يمتنع به ويتحصن فيه من عدوه

وَجَمْعُ بَنِى النَّجَّارِ تَحْتَ لِوَائِهِ
يَمِيسُونَ فى الْمَاذِىِّ وَالنَّقْعُ ثَائِرُ (١)
فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ وَكُلٌّ مُجَاهِدٌ
لِأَصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلُ النَّفْسِ صَابِرُ (٢)
شَهِدْنَا بِأَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرُ (٣)
وَقَدْ عُرِّيَتْ بِيضٌ خِفَافٌ كَأَنَّهَا مَقَابِيسُ يُزْهِيهَا لِعَيْنَيْكَ شَاهِرُ (٤)
بِهِنَّ أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ فَتَبَدَّدُوا
وَكَانَ يُلَاقِى الْحَيْنَ مَنْ هُوَ فَاجِرُ (٥)
فَكُبَّ أَبُو جَهْلٍ صَرِيعاً لِوَجْهِهِ وَعُتْبَةُ قَدْ غَادَرْنَهُ وَهْوَ عَاثِرُ (٦)
وشَيْبَةَ وَالتَّيْمِىَّ غَادَرْنَ فى الْوَغَى وَمَا مِنْهُمُ إِلَّا بِذِى الْعَرْشِ كَافِرُ
فَأَمْسَوْا وَقُودَ النَّارِ فى مُسْتَقَرِّهَا وَكُلُّ كَفُورٍ فى جَهَنَّمَ صَائِرُ

---

(١) يميسون : يمشون مشى المتبختر ، وفى بعض النسخ « يمشون » ، والماذى : الدروع البيض اللينة ، والنقع : الغبار ، وثائر : مرتفع فوق رءوسهم

(٢) مستبسل : موطن نفسه على الموت

(٣) ظاهر : غالب قاهر خصمه بسبب الحق الذى يتمسك به

(٤) مقابيس : جمع مقباس ، وهو القطعة من النار المشتعلة ، ويزهيها يستخفها ويحركها ، ويروى « يزجيها » شبه السيوف فى بريقها ولمعانها بقطع النيران

(٥) أبدنا : أهلكنا ، والحين : الهلاك

(٦) عاثر : ساقط ، ويروى « عافر » بالفاء ، وهو اللاصق بالعفر ، وهو التراب

تَلَظَّى عَلَيْهِمْ وَهْيَ قَدْ شَبَّ حَمْيُهَا
بِزُبْرِ الْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ سَاجِرِ (١)

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ قَدْ قَالَ: أَقْبِلُوا فَوَلَّوْا، وَقَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ سَاحِرُ
لِأَمْرٍ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَهْلِكُوا بِهِ وَلَيْسَ لِأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ زَاجِرُ (٢)

وقال عبدُ الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ يبكي قتلى بدر: —

قال ابن هشام: وتُرْوَى للأعشى بن زُرَارة بن النَّبَّاش أحد بني أُسَيْد.

ابن عمرو بن تميم حليف بني نوفل بن عبد مناف

قصيدة تنسب لابن الزبعرى يوم بدر

قال ابن إسحق: حليفُ بني عبد الدار: —

مَاذَا عَلَى بَدْرٍ وَمَاذَا حَوْلَهُ مِنْ فِتْيَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ كِرَامِ
تَرَكُوا نُبَيْهًا خَلْفَهُمْ ومُنَبِّهًا وَابْنَيْ رَبِيعَةَ خَيْرَ خَصْمٍ فِئَامِ (٣)
والْحَارِثَ الْفَيَّاضَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ كَالْبَدْرِ جَلَّى لَيْلَةَ الْإِظْلَامِ (٤)
وَالْعَاصِيَ بْنَ مُنَبِّهٍ ذَا مِرَّةٍ رُمْحًا تَمِيمًا غَيْرَ ذِي أَوْصَامِ (٥)
تَنْمِي بِهِ أَعْرَاقُهُ وَجُدُودُهُ وَمَآثِرُ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامِ (٦)

---

(١) تلظى: تلتهب، وفي التنزيل: (فأنذرتكم نارا تلظى) وأصله تتلظى، فحذف إحدى التاءين، وشب: أوقد، وزبر الحديد: قطعه وكان أصله مفتوح الباء فأسكنها لإقامة الوزن، وساجر: موقد، وتقول: سجر النار يسجرها؛ إذا أوقدها

(٢) حمه الله: قدره وقضاه، وزاجر: مانع

(٣) ابني ربيعة: شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة، وفئام: أي جماعات الناس

(٤) الفياض: كثير العطاء، وأصله صيغة مبالغة من فاض على الناس بعطائه

(٥) ذا مرة: صاحب قوة وشدة، ورمحا تميما: تاما طويلا، والأوصام: جمع وصم، وهو العيب

(٦) المآثر: جمع مأثرة، وهي ما يتحدث به الرجل من حميد الخلال

وَإِذَا بَكَى بَاكٍ فَأَعْوَلَ شَجْوَهُ
فَعَلَى الرَّئِيسِ الْمَاجِدِ ابْنِ هِشَامِ (١)

حَيَّا الْإِلٰهُ أَبَا الْوَلِيدِ وَرَهْطَهُ رَبُّ الْأَنَامِ وَخَصَّهُ بِسَلَامِ

فأجابه حسَّان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه، فقال: —

حسان بن ثابت يجيب ابن الزهرى

إِبْكِ بَكَتْ عَيْنَاكَ ثُمَّ تَبَادَرَتْ
بِدَمٍ يَعُلُّ غُرُوبَهَا سَجَّامِ (٢)

مَاذَا بَكَيْتَ بِهِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا
هَلاَّ ذَكَرْتَ مَكَارِمَ الْأَقْوَامِ (٣)

وَذَكَرْتَ مِنَّا مَاجِدًا ذَا هِمَّةٍ سَمْحَ الْخَلَائِقِ صَادِقَ الْإِقْدَامِ (٤)

أَعْنِى النَّبِيَّ أَخَا الْمَكَارِمِ وَالنَّدَى
وَأَبَرَّ مَنْ يُولِي عَلَى الْأَقْسَامِ (٥)

فَلِمِثْلِهِ وَلِمِثْلِ مَا يَدْعُو لَهُ كَانَ الْمُمَدَّحَ ثَمَّ غَيْرَ كَهَامِ (٦)

وقال حسان بن ثابت الأنصارى رضي الله عنه أيضا:

---

(١) الأعوال: رفع الصوت بالبكاء، والشجو: الحزن

(٢) يعل: يكرر، وأصله من العلل، وهو الشرب بعد الشرب، والغروب: جمع غرب، وهو هاهنا مجرى الدمع، وسجام: كثير السيلان، تقول: سجم المطر والدمع، إذا سالا

(٣) تتابعوا: تبع بعضهم بعضا، ويروى تتايعوا - بالياء - ومعناه كمعناه، ومن الناس من يخص التتايع - بالياء - بما كان فى الشر

(٤) الماجد: الشريف.

(٥) يولى: يقسم ويحلف

(٦) الكهام: الضعيف، ويقال: سيف كهام، إذا كان لا يقطع

قصيدة لحسان بن ثابت فى يوم بدر

تَبَلَتْ فُؤَادَكَ فِى الْمَنَامِ خَرِيدَةٌ
تَشْفِى الضَّجِيعَ بِبَارِدٍ بَسَّامِ (١)
كَالْمِسْكِ تَخْلِطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ
أَوْ عَاتِقٍ كَدَمِ الذَّبِيحِ مُدَامِ (٢)
نُفُجُ الْحَقِيبَةِ بَوْصُهَا مُتَنَضِّدٌ
بَلْهَاءُ غَيْرُ وَشِيكَةِ الْأَقْسَامِ (٣)
بُنِيَتْ عَلَى قَطَنٍ أَجَمَّ كَأَنَّهُ
فُضُلاً إِذَا قَعَدَتْ مَدَاكُ رُخَامِ (٤)
وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِىءَ فِرَاشَهَا
فِى جِسْمِ خَرْعَبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ (٥)

---

(١) تبلت : أصابتك بالتبل ، وأراد أورثتك الأسقام ، والخريدة : أراد بها الجارية الناعمة ؛ وبارد بسام : أراد به ثغرها ، وبسام : كثير التبسم

(٢) العاتق - بالقاف - هى الخمر القديمة ، ويروى « عاتك » بالكاف - وهى الخمر القديمة أيضا ، وكذلك القوس إذا قدمت واحمرت قيل لها عاتكة ؛ ومنه سميت المرأة عاتكة ، وقوله « كدم الذبيح » أراد أنها حمراء مثله ، والمدام : اسم من أسماء الخمر

(٣) نفج : يروى بالجيم وبالحاء المهملة ، فمعناه على الأول : مرتفعة ، وعلى الثانى متسعة ، والحقيبة : مايجعله الراكب وراءه ؛ واستعاره هنا لأعجاز هذه المرأة وردفها ، والبوص : الردف أيضا ، ومتنضد : معناه قد علا بعضه بعضا ، وأصله من قولك : نضدت المتاع ، إذا جعلت بعضه فوق بعض ، وبلهاء : معناه غافلة ، ووشيكة : معناه سريعة ، والأقسام - بفتح الهمزة - جمع قسم ، ويروى بكسر الهمزة على أنه مصدر أقسم إذا حلف

(٤) القطن : مابين الوركين إلى الظهر ، أجم : معناه ممتلىء باللحم غائب العظام ، والمداك : الحجر الذى يسحق عليه الطيب ، وقوله « فضلا » أراد إذا قعدت متفضلة فى ثوب واحد ، شبه مآ كمها فى اكتنازها وملاستها بالرخام

(٥) الخرعبة : اللينة الحسنة الخلق ، وأصل الخرعبة الغصن الناعم المثنى

أَمَّا النَّهَارَ فَلَا أُفَتِّرُ ذِكْرَهَا وَاللَّيْلُ تُوزِعُنِي بِهَا أَحْلَامِي (١)

أَقْسَمْتُ أَنْسَاهَا وَأَتْرُكُ ذِكْرَهَا
حَتَّى تُغَيَّبَ فِي الضَّرِيحِ عِظَامِي (٢)

يَامَنْ لِعَاذِلَةٍ تَلُومُ سَفَاهَةً
وَلَقَدْ عَصَيْتُ عَلَى الْهَوَى لُوَّامِي (٣)

بَكَرَتْ عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ بَعْدَ الْكَرَى
وتَقَارُبٍ مِنْ حَادِثِ الْأَيَّامِ

زَعَمَتْ بِأَنَّ الْمَرْءَ يَكْرِبُ عُمْرَهُ
عَدَمٌ لِمُعْتَكِرٍ مِنَ الْأَصْرَامِ (٤)

إِنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ الَّذِي حَدَّثْتِنِي
فَنَجَوْتِ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ

تَرَكَ الْأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِرَّةٍ وَلِجَامِ (٥)
يَذَرُ الْعَنَاجِيجَ الْجِيَادَ بِقَفْرَةٍ مَرَّ الدَّمُوكِ بِمُحْصَدٍ وَرِجَامِ (٦)

---

(١) توز عنى : تغرينى وتولعنى

(٢) أقسمت أنساها : أى حلفت لاأنساها ولاأترك ذكرها ، والضريح : شق القبر ، يقول : لن أنساها إلى أن أموت

(٣) يريد أنه استرسل فى هواه فلن يقبل لوم اللائمين ولن يستمع عذل العاذلين

(٤) يكرب : يحزن ، من الكرب ، وهو الحزن ، وعمره : أى مدة حياته ، والمعتكر : الابل التى يرجع بعضها على بعض فيصعب عدها لكثرتها والأصرام : جمع صرمة ، وهى القطعة من الابل

(٥) الطمرة : الفرس الكثير الجرى

(٦) العناجيج : جمع عنجوج ، وهو النجيب الرائع من الخيل ، والدموك :

مَلَأَتْ بِهِ الْفَرْجَيْنِ فَارْمَدَّتْ بِهِ ۞ وَثَوَى أَحِبَّتُهُ بِشَرِّ مُقَامِ (١)

وبَنُو أَبِيهِ وَرَهْطُهُ فِي مَعْرَكٍ ۞ نَصَرَ الْإِلَهُ بِهِ ذَوِي الْإِسْلَامِ

طَحَنَتْهُمُ واللهُ يُنْفِذُ أَمْرَهُ
حَرْبٌ يُشَبُّ سَعِيرُهَا بِضِرَامِ (٢)

لَوْلَا الْإِلَهُ وجَرْيُهَا لَتَرَكْنَهُ
جَزَرَ السِّبَاعِ ودُسْنَهُ بِحَوَامِ (٣)

مِنْ بَيْنِ مَأْسُورٍ يُشَدُّ وَثَاقُهُ ۞ صقْرٍ إِذَا لَاقَى الْأَسِنَّةَ حَامِي

ومُجَدَّلٍ لَا يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَةٍ
حَتَّى تَزُولَ شَوَامِخُ الْأَعْلَامِ (٤)

بِالْعَارِ وَالذُّلِّ الْمُبَيَّنِ إِذْ رَأَى
بِيضَ السُّيُوفِ تَسُوقُ كُلَّ هُمَامِ (٥)

البكرة بآلتها ، والمحصد : الحبل الشديد الفتل ، والرجام : حجر يربط فى الدلو ليكون أسرع لها عند إرسالها فى البئر

(١) الفرجين : مابين يديها ورجليها ، وملأتهما : يريد أنها ملأتهما جريا ، وارمدت : أسرعت ، وثوى : أقام

(٢) يشب : يوقد ، والسعير : النار الملتهبة ، والضرام ـ ككتاب ـ ماتوقد به النار

(٣) دسنه : وطئنه ، والحوامى : جمع حامية ، وهى جوانب الحافر ميامنه ومياسره

(٤) مجدل : صريع على الجدالة ، وهى الأرض ، والشوامخ : الأعالى ، والأعلام : جمع علم ، وهو الجبل

(٥) الهمام : السيد الذى إذا هم بأمر فعله

بِيَدَيْ أغَرَّ إذَا انْتَمَى لَمْ يُخْزِهِ ... نَسَبُ الْقِصَارِ سَمَيْدَعٍ مِقْدَامِ (١)

بِيضٌ إذَا لَاقَتْ حَدِيداً صَمَّمَتْ

كَالْبَرْقِ تَحْتَ ظِلَالِ كُلِّ غَمَامِ (٢)

فأجابه الحرث بن هشام — فيما ذكر ابن هشام — فقال : —

الحارث بن هشام يجيب حسان بن ثابت

اللهُ أعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ ... حَتَّى حَبَوْا مُهْرِى بِأشْقَرَ مُزْبِدِ

وعَرَفْتُ أنِّى إنْ أُقَاتِلْ وَاحِدًا ... أُقْتَلْ وَلَا يُنْكِى عَدُوِّى مَشْهَدِى

فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأحِبَّةُ فِيهِمُ ... طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدِ

قال ابن إسحق : قالها الحرث يعتذر من فراره يوم بدر

قال ابن هشام : تركنا من قصيدة حسان ثلاثة أبيات من آخرها ؛ لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا : —

كلمة أخرى لحسان بن ثابت

لَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَ بَدْرٍ ... غَدَاةَ الْأسْرِ وَالْقَتْلِ الشَّدِيدِ

بِأنَّا حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي ... حُمَاةُ الْحَرْبِ يَوْمَ أبِي الْوَلِيدِ (٣)

قَتَلْنَا ابْنَيْ رَبِيعَةَ يَوْمَ سَارَا ... إلَيْنَا فِى مُضَاعَفَةِ الْحَدِيدِ (٤)

وَفَرَّ بِهَا حَكِيمٌ يَوْمَ جَالَتْ ... بَنُو النَّجَّارِ تَخْطِرُ كَالْأُسُودِ (٥)

---

(١) القصار : أراد بهم الذين قصر سعيهم عن طلب المكارم ؛ والسميدع : السيد ، والمقدام : الذى يقدم على العدو لا يباليه

(٢) الغمام : السحاب

(٣) تشتجر : تختلط وتشتبك ، والعوالى : أعالى الرماح

(٤) مضاعفة الحديد : الدروع التى ضوعف نسجها

(٥) فربها : بالفاء من الفرار ، ويروى «قربها» بالقاف من التقريب ، وهو مشى دون الجرى ، وتخطر : تهتز فى المشى إلى لقاء أعدائها

وَوَلَّتْ عِنْدَ ذاكَ جُمُوعُ فِهْرٍ ... وَأَسْلَمَهَا الْحُوَيْرِثُ مِنْ بَعِيدِ
لَقَدْ لَاقَيْتُمُ ذُلاً وَقَتْلاً ... جَهِيزاً نَافِذًا تَحْتَ الْوَرِيدِ (١)
وَكُلُّ الْقَوْمِ قَدْ وَلَّوْا جَمِيعاً ... وَلَمْ يَلْوُوا عَلَى الْحَسَبِ التَّلِيدِ (٢)

كلمة أخرى لحسان بن ثابت

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا : —

يَاحَارِ قَدْ عَوَّلْتَ غَيْرَ مُعَوَّلِ
عِنْدَ الْهِيَاجِ وسَاعَةَ الْأَحْسَابِ (٣)
إِذْ تَمْتَطِي سُرُحَ الْيَدَيْنِ نَجِيبَةً ... مَرْطَى الْجِرَاءِ طَوِيلَةَ الْأَقْرَابِ (٤)
وَالْقَوْمُ خَلْفَكَ قَدْ تَرَكْتَ قِتَالَهُمْ
تَرْجُو النَّجَاءَ وَلَيْسَ حِينَ ذَهَابِ
أَلاَّ عَطَفْتَ عَلَى ابْنِ أُمِّكَ إِذْ ثَوَى
قَعْصَ الْأَسِنَّةِ ضَائِعَ الْأَسْلَابِ (٥)
عَجِلَ الْمَلِيكُ لَهُ فَأَهْلَكَ جَمْعَهُ ... بِشَنَارِ مُخْزِيَةٍ وَسُوءِ عَذَابِ (٦)

---

(١) جهيزاً : مسرعا ، من قولهم : أجهز على الجريح ، إذا أسرع قتله ، والوريد : عرق فى صفحة العنق

(٢) التليد : القديم

(٣) ياحار : منادى مرخم ، وأصله ياحارث ، وعولت : عزمت، تقول: عولت على الأمر ، إذا اعتمدته وعزمت عليه ولجأت إليه ، والهياج : الحرب

(٤) تمتطى : تركبه ، وسرح اليدين : أراد فرسا سريعة ، ونجيبة : عتيقة، ومرطى الجراء : سريعة الجرى ، والأقراب : جمع قرب ، وهى الخاصرة وما يليها

(٥) « ابن أمك » أراد به أبا جهل ، والقعص : القتل بسرعة ، والأسلاب : جمع سلب ، وهو ما أخذ من سلاح أو ثوب

(٦) الشنار : العار والعيب

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا : —

قال ابن هشام : ويقال : بل قالها عبدُ الله بن الحرث السَّهمِىّ رضى الله عنه : —

كلمة أخرى تنسب لحسان بن ثابت

مُسْتَشْعِرِى حَلَقَ المَاذِىِّ يَقْدُمُهُمْ
جَلْدُ النَّحِيزَةِ مَاضٍ غَيْرُ رِعْدِيدِ (١)

أغْنِي رَسُولَ إِلٰهِ الْخَلْقِ فَضَّلَهُ عَلَى الْبَرِيَّةِ بِالتَّقْوَى وَبِالْجُودِ

وَقَدْ زَعَمْتُمْ بِأَنْ تَحْمُوا ذِمَارَكُمُ
وَمَاءُ بَدْرٍ زَعَمْتُمْ غَيْرُ مَوْرُودِ (٢)

ثُمَّ وَرَدْنَا وَلَمْ نَسْمَعْ لِقَوْلِكُمُ حَتَّى شَرِبْنَا رِوَاءً غَيْرَ تَصْرِيدِ (٣)

مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْجَذِمٍ
مُسْتَحْكِمٍ مِنْ حِبَالِ اللهِ مَمْدُودِ (٤)

فِينَا الرَّسُولُ وَفِينَا الْحَقُّ نَتْبَعُهُ
حَتَّى الْمَمَاتِ وَنَصْرٌ غَيْرُ مَحْدُودِ (٥)

وافٍ وَمَاضٍ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ بَدْرٌ أَنَارَ عَلَى كُلِّ الْأَمَاجِيدِ (٦)

---

(١) مستشعرى : لابسى ، تقول : استشعرت الثوب ، إذا لبسته على جسمك من غير حاجز ، ومنه الشعار وهو ماولى الجسم من الثياب ، ويقابله الدثار ، وهو ما كان فوق ذلك ، والماذى : الدروع اللينة البيض ، والنحيزة : الطبيعة ، والرعديد : الجبان

(٢) الذمار ـ ككتاب ـ ماوجب على المرء أن يحميه

(٣) رواء : هو التملؤ من الماء ، والتصريد : تقليل الشرب

(٤) المنجذم : المنقطع (٥) المحدود : الممنوع

(٦) الأماجيد : الأشراف السادة

قال ابن هشام : بيته * مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْجَذِمِ * عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا : —

كلمة أخرى لحسان بن ثابت

خَابَتْ بَنُو أَسَدٍ وَآبَ غَزِيُّهُمْ   يَوْمَ الْقَلِيبِ بِسَوْءَةٍ وفُضُوحِ (١)

مِنْهُمْ أَبُو الْعَاصِي تَجَدَّلَ مُقْعَصًا

عَنْ ظَهْرِ صَادِقَةِ النَّجَاءِ سَبُوحِ (٢)

حَيْنًا لَهُ مِنْ مَانِعٍ بِسِلَاحِهِ   لَمَّا ثَوَى بِمَقَامَةِ الْمَذْبُوحِ

وَالْمَرْءَ زَمْعَةَ قَدْ تَرَكْنَ وَنَحْرُهُ   يَدْمَى بِعَانِدٍ مُعْبَطٍ مَسْفُوحِ (٣)

مُتَوَسِّدًا حُرَّ الْجَبِينِ مُعَفَّرًا   قَدْ عُرَّ مَارِنُ أَنْفِهِ بِقُبُوحِ (٤)

ونَجَا ابْنُ قَيْسٍ فِي بَقِيَّةِ رَهْطِهِ   بِشَفَا الرَّمَاقِ مُوَلِّيًا بِجُرُوحِ (٥)

كلمة أخرى لحسان بن ثابت

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه أيضا : —

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَتَى أَهْلَ مَكَّةٍ

إِبَارَتُنَا الْكُفَّارَ فِي سَاعَةِ الْعُسْرِ (٦)

---

(١) خابت : بالخاء المعجمة من الخيبة ، ويروى حانت بالحاء المهملة والنون من الحين وهو الهلاك ، والغزى : جماعة القوم الذين يغزون

(٢) تجدل : صرع على الجدالة ، وهى الأرض ، ومقعصا : معجلا ومقتولا قتلا سريعا ، وصادقة النجاء : سريعة السير للهرب . والسبوح : التى تكون فى سيرها كأنما تعوم فى الماء

(٣) العاند : الذى لا ينقطع ، والمعبط : الدم الطرى . والمسفوح : السائل المصبوب

(٤) عر — بضم العين المهملة — لطخ ، والمارن : مالان من الأنف

(٥) شفا كل شىء : طرفه وحرفه ، والرماق : الشىء اليسير وبقية الحياة

(٦) إبارتنا : إهلاكنا ، تقول : ابرنا القوم نبيرهم ، أى أهلكناهم

قَتَلْنَا سَرَاةَ الْقَوْمِ عِنْدَ مَجَالِنَا
فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَّا بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ (١)
قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وَعُتْبَةَ قَبْلَهُ
وَشَيْبَةَ يَكْبُو لِلْيَدَيْنِ وَلِلنَّحْرِ (٢)
قَتَلْنَا سُوَيْدًا ثُمَّ عُتْبَةَ بَعْدَهُ
وطُعْمَةَ أَيْضًا عِنْدَ ثَائِرَةِ الْقَتْرِ (٣)
فَكَمْ قَدْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ مُرَزَّإٍ
لَهُ حَسَبٌ فِى قَوْمِهِ نَابِهُ الذِّكْرِ
تَرَكْنَاهُمُ لِلْعَاوِيَاتِ يَنُبْنَهُمْ
وَيَصْلَوْنَ نَارًا بَعْدُ حَامِيَةَ الْقَعْرِ (٤)
لَعَمْرُكَ مَا حَامَتْ فَوَارِسُ مَالِكٍ
وَأَشْيَاعُهُمْ يَوْمَ الْتَقَيْنَا عَلَى بَدْرِ (٥)

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيته : —

قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وَعُتْبَةَ قَبْلَهُ وَشَيْبَةَ يَكْبُو لِلْيَدَيْنِ وَلِلنَّحْرِ

---

(١) سراة القوم : خيارهم وسادتهم ، وقاصمة الظهر : يريد داهية كسرت ظهورهم ، يقال : قصم الشىء ، إذا كسره وأبانه وفصله ، فاذا لم يفصله قيل فصمه ، ويروى * قتلنا سراة القوم عند رحالهم *

(٢) يكبو : يسقط ، والنحر : الصدر

(٣) الثائرة المرتفعة ، والقتر : الغبار ، وسقط هذا البيت من ديوان شعر حسان

(٤) العاويات : أراد الذئاب ، وينبنهم : يأتونهم مرة بعد مرة ، ويروى « ينشنهم » ، ويروى « تنوبهم »

(٥) « ماحامت » يروى بالحاء المهملة من الحماية ، وهى الامتناع ، ويروى « ماخامت » بالخاء المعجمة ، ومعناه ماجبنت ومارجعت

كلمة أخرى لحسان بن ثابت

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت أيضا : —

نَجَّى حَكِيمًا يَوْمَ بَدْرٍ شَدُّهُ
كَنَجَاءِ مُهْرٍ مِنْ بَنَاتِ الأَعْوَجِ (١)

لَمَّا رَأَى بَدْرًا تَسِيلُ جِلَاهُهُ
بِكَتِيبَةٍ خَضْرَاءَ مِنْ بَلْخَزْرَجِ (٢)

لَا يَنْكِلُونَ إِذَا لَقُوا أَعْدَاءَهُمْ
يَمْشُونَ عَانِدَةَ الطَّرِيقِ الْمَنْهَجِ (٣)

كَمْ فِيهِمُ مِنْ مَاجِدٍ ذِي مَنْعَةٍ
بَطَلٍ بِمَهْلَكَةِ الْجَبَانِ الْمُحْرَجِ (٤)

وَمُسَوَّدٍ يُعْطِي الْجَزِيلَ بِكَفِّهِ
حَمَّالِ أَثْقَالِ الدِّيَاتِ مُتَوَّجِ (٥)

زَيْنِ النَّدِيِّ مُعَاوِدٍ يَوْمَ الْوَغَى
ضَرْبَ الْكُمَاةِ بِكُلِّ أَبْيَضَ سَلْجَجِ (٦)

---

(١) شده : هو الجرى ، والنجاء : السرعة ، والأعوج : اسم فرس مشهور فى الجاهلية ، ويروى * نجى حكيما يوم بدر ركضه *

(٢) الجلاه : جمع جلهة ، وهو ما استقبلك من عدوة الوادى ، ويروى * بكتيبة ملأوس أو ملخزرج *

(٣) عاندة الطريق : حاشيته ، ويروى « ميعة الطريق » والمنهج : المتسع

(٤) ماجد : شريف ، ذى منعة : أى ذى امتناع بنفسه ، ويروى « ذى ميعة » بالياء المثناة ـ ومعناه ذو نشاط ، والبطل : الشجاع ، والمحرج : المضيق عليه

(٥) الجزيل : الكثير

(٦) الندى : المجلس ، والوغى : الحرب ، والكماة : الشجعان ، واحدهم كمى ، وسلجج ـ بجيمين ـ هو السيف القاطع النافذ فى ضريبته ، ويقال : سلجح بحاء مهملة فجيم

قال ابن هشام : قوله « سَلْجَجِ » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال حسّان أيضا : —

فَمَا نَخْشَى بِحَوْلِ اللهِ قَوْمًا
وَإِنْ كَثُرُوا وَأُجْمِعَتِ الزُّحُوفُ (١)

كلمة أخرى لحسان بن ثابت

إِذَا مَا أَلَّبُوا جَمْعًا عَلَيْنَا كَفَانَا حَدَّهُمْ رَبٌّ رَؤُوفُ (٢)
سَمَوْنَا يَوْمَ بَدْرٍ بِالْعَوَالِي سِرَاعًا مَا تُضَعْضِعُنَا الْحُتُوفُ (٣)
فَلَمْ تَرَ عُصْبَةً فِي النَّاسِ أَنْكَى لِمَنْ عَادَوْا إِذَا لَقِحَتْ كَشُوفُ (٤)
وَلٰكِنَّا تَوَكَّلْنَا وَقُلْنَا مَآثِرُنَا وَمَعْقِلُنَا السُّيُوفُ (٥)
لَقِينَاهُمْ بِهَا لَمَّا سَمَوْنَا وَنَحْنُ عِصَابَةٌ وَهُمُ أُلُوفُ (٦)

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو بنى جُمَحَ ومن أصيب منهم : —

---

(١) الزحوف : جمع زحف ، وهو الجماعة تزحف إلى مثلها ، وتسرع إلى لقاء عدوها

(٢) ألبوا : جمعوا علينا الجموع

(٣) تضعضعنا : تضعفنا وتذلنا وتنقص من شجاعتنا ، والحتوف : جمع حتف ، وهو الموت

(٤) الكشوف ـ بفتح الكاف ـ الناقة التى يقربها الفحل فى الوقت الذى لاتشتهى فيه الضراب

(٥) مآثر : جمع مأثرة ، وهو مايجعله الانسان من محامده التى يتحدث بها ، والمعقل : المكان الذى يتحصن فيه المرء ويلجأ إليه ، يقول : نحن شجعان أبطال فكل ما نتحدث به من خصال الشرف وكل مكان نلجأ إليه وقت الشدة هو السيف

(٦) عصابة . جماعة قليلة

كلمة اخرى لحسان بن ثابت

جَمَحَتْ بَنُو جُمَحٍ بِشِقْوَةِ جَدِّهِمْ إِنَّ الذَّلِيلَ مُوَكَّلٌ بِذَلِيلِ (١)

قُتِلَتْ بَنُو جُمَحٍ بِبَدْرٍ عَنْوَةً وَتَخَاذَلُوا سَعْياً بِكُلِّ سَبِيلِ (٢)

جَحَدُوا الْكِتَابَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ وَاللهُ يُظْهِرُ دِينَ كُلِّ رَسُولِ

لَعَنَ الْإِلَهُ أَبَا خُزَيْمَةَ وابْنَهُ والْخَالِدَيْنِ وصَاعِدَ بْنَ عَقِيلِ

كلمة لعبيدة بن الحرث بن المطلب فى يوم بدر

قال ابن إسحق: وقال عُبَيْدَةُ بن الحرث بن المطلب فى يوم بدر، وفى قطع رجله حين أصيب، وفى مبارزته هو وحمزة وعلى حين بارزوا عدوهم

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها [لعبيدة]: —

سَتَبْلُغُ عَنَّا أَهْلَ مَكَّةَ وَقْعَةٌ يَهُبُّ لَهَا مَنْ كَانَ عَنْ ذَاكَ نَائِياً (٣)

بِعُتْبَةَ إِذْ وَلَّى وشَيْبَةَ بَعْدَهُ وَمَا كَانَ فِيهَا بِكْرُ عُتْبَةَ رَاضِياً (٤)

فَإِنْ تَقْطَعُوا رِجْلِي فَإِنِّى مُسْلِمٌ أُرَجِّى بِهَا عَيْشاً مِنَ اللهِ دَانِياً

مَعَ الْحُورِ أَمْثَالَ التَّمَاثِيلِ أُخْلِصَتْ مَعَ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا لِمَنْ كَانَ عَالِياً (٥)

---

(١) جمحت: ذهبت على وجهها، والجد: البخت والحظ

(٢) عنوة: قهرا وغلبة، وتخاذلوا: خذل بعضهم بعضا ولم ينصر أحدهم صاحبه

(٣) يهب: يستيقظ، تقول: هب فلان من نومه: إذا استيقظ، والنائى: البعيد

(٤) بكر عتبة: يريد ولده الأول

(٥) التماثيل: جمع تمثال، وهى الصورة التى تصنع على أحسن ما يقدر عليه

وَبِعْتُ بِهَا عَيْشاً تَعَرَّقْتُ صَفْوَهُ
وَعَالَجْتُهُ حَتَّى فَقَدْتُ الأَدَانِيَا (٢)
فَأَكْرَمَنِي الرَّحْمٰنُ مِنْ فَضْلِ مَنِّهِ
بِثَوْبٍ مِنَ الإِسْلاَمِ غَطَّى الْمَسَاوِيَا (٣)
وَمَا كَانَ مَكْرُوهاً إِلَيَّ قِتَالُهُمْ
غَدَاةَ دَعَا الأَكْفَاءَ مَنْ كَانَ دَاعِيَا
وَلَمْ يَبْغِ إِذْ سَالُوا النَّبِيَّ سَوَاءَنَا ثَلاَثَتُنَا حَتَّى حَضَرْنَا الْمُنَادِيَا
لَقِينَاهُمُ كَالأُسْدِ تَخْطِرُ بِالْقَنَا نُقَاتِلُ فِي الرَّحْمٰنِ مَنْ كَانَ عَاصِيَا
فَمَا بَرِحَتْ أَقْدَامُنَا مِنْ مَقَامِنَا ثَلاَثَتِنَا حَتَّى أُزِيرُوا الْمَنَائِيَا (٤)

قال ابن هشام : لما أصِيبَتْ رِجْلُ عبيدة قال : أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنى أحق منه بما قال حين يقول : —

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا وَلَمَّا نُطَاعِنْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلاَئِلِ

وأخلصت : أحكم صنعها وأتقن ، فان رجع الضمير من أخلصت إلى الحور فعناه خص بها

(٢) تعرقت ـ بالقاف ـ ومعناه مزجت ، تقول : تعرقت الشراب ، إذا مزجته ، ويروى « تعرفت » بالفاء ـ من المعرفة

(٣) المساوى : العيوب

(٤) المنائيا : أراد المنايا ، فلم يعل الهمزة التى هى فى الأصل منقلبة عن الياء الأولى من المنية ، وعامل معتل اللام معاملة صحيح اللام فقال المنائى كما تقول فى جمع صحيفة صحائف

وهذان البيتان فى قصيدة لأبى طالب قد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب (١) .

قال ابن إسحق : فلما هلك عبيدة بن الحرث من مصاب رجله يوم بدر قال كعب بن مالك الأنصارى يبكيه : —

كعب بن مالك يرثى عبيدة بن الحرث

أَيَا عَيْنُ جُودِى وَلاَ تَبْخَلِى بِدَمْعِكِ حَقًّا وَلا تَنْزُرِى (٢)
عَلَى سَيِّدٍ هَدَّنَا هُلْكُهُ كَرِيمِ الْمَشَاهِدِ وَالْعُنْصُرِ (٣)
جَرِىءِ الْمُقَدَّمِ شَاكِى السِّلَاحِ كَرِيمِ الثَّنَا طَيِّبِ الْمَكْسِرِ (٤)
عُبَيْدَةَ أَمْسَى وَلاَ نَرْتَجِيهِ لِعُرْفٍ عَرَانَا وَلاَ مُنْكَرِ (٥)
وَقَدْ كَانَ يَحْمِى غَدَاةَ الْقِتَالِ حَامِيَةَ الْجَيْشِ بِالْمِبْتَرِ (٦)

وقال كَعْبُ بن مالك رضى الله عنه أيضا فى يوم بدر : —

كلمة لكعب بن مالك فى يوم بدر

أَلاَ هَلْ أَتَى غَسَّانَ فِى نَأْيِ دَارِهَا وَأَخْبَرُ شَيْءٍ بِالْأُمُورِ عَلِيمُهَا
بِأَنْ قَدْ رَمَتْنَا عَنْ قِسِيٍّ عَدَاوَةٍ مَعَدٌّ مَعًا جُهَّالُهَا وَحَلِيمُهَا (٧)

---

(١) انظر (ج ١ ص٢٨٦)من هذا الكتاب وما بعدها إلى (ص٢٩٨)

(٢) تنزرى : تقللى ، يريد أكثرى دمعك ولا تقلليه ، مأخوذ من النزر ، وهو القليل (٣) هدنا : هدمنا ، والعنصر : الأصل

(٤) شاكى السلاح : معناه حاد السلاح ، والثنا : مايتحدث به عن الانسان من خير أوشر ، وطيب المكسر : معناه أنه إذا فتش وجرب وجد على خير ما يكون عليه الرجل ، ويروى طيب المكشر ــ بالشين المعجمة ــ ومعناه أنه طيب النكهة ، كما تقول : هو طيب المبسم ، وذلك كناية عن أنه لايتكلم إلا بخير ، أو كناية عن حسن مخبره

(٥) عرانا : قصدنا ونزل بنا

(٦) حامية الجيش : آخرهم الذين يحمونهم ، والمبتر : السيف القاطع ، والبتر : القطع

(٧) قسى : يحتمل أن يكون جمع قوس ، ويحتمل أن يكون بمعنى

لِأَنَّا عَبَدْنَا اللهَ لَمْ نَرْجُ غَيْرَهُ
رَجَاءَ الْجِنَانِ إِذْ أَتَانَا زَعِيمُهَا (١)
نَبِيٌّ لَهُ فى قَوْمِـهِ إِرْثُ عِزَّةٍ
وَأَعْرَاقُ صِدْقٍ هَذَّبَتْهَا أُرُومُهَا (٢)
فَسَارُوا وَسِرْنَا فَالْتَقَيْنَا كَأَنَّنَا أُسُودُ لِقَاءٍ لاَ يُرَجَّى كَلِيمُهَا (٣)
ضَرَبْنَاهُمُ حَتَّى هَوَى فى مَكَرِّنَا لِمَنْخِرِ سَوْءٍ مِنْ لُؤَىٍّ عَظِيمُهَا
فَوَلَّوْا وَدُسْنَاهُمْ بِبِيضٍ صَوَارِمٍ سَوَاءٌ عَلَيْنَا حِلْفُهَا وَصَمِيمُهَا (٤)

وقال كعب [بن مالك] أيضا : —

كلمة أخرى لكعب بن مالك

لَعَمْرُ أَبِيكُمَا يَا ابْنَىْ لُؤَىٍّ عَلَى زَهْوٍ لَدَيْكُمْ وَانْتِخَاءِ (٥)
لَمَا حَامَتْ فَوَارِسُكُمْ بِبَدْرٍ وَلاَ صَبَرُوا بِهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ (٦)
وَرَدْنَاهُ بِنُورِ اللهِ يَجْلُو دُجَى الظَّلْمَاءِ عَنَّا وَالْغِطَاءِ
رَسُولُ اللهِ يَقْدُمُنَا بِأَمْرٍ مِنَ أَمْرِ اللهِ أُحْكِمَ بِالْقَضَاءِ
فَمَا ظَفِرَتْ فَوَارِسُكُمْ بِبَدْرٍ وَمَا رَجَعُوا إِلَيْكُمْ بِالسَّوَاءِ
فَلاَ تَعْجَلْ أَبَا سُفْيَانَ وَارْقُبْ جِيَادَ الْخَيْلِ تَطْلُعُ مِنْ كَدَاءِ (٧)

القاسى ، فعلى الأول هو مكسور القاف وأصل وزنه فعول ، وعلى الثانى هو مفتوح القاف ووزنه فعيل

(١) زعيمها : الزعيم الضامن ، لأن النبى ضمن لهم الجنة بالجهاد

(٢) هذبتها : أخلصتها ، والأروم : الأصول ، واحده أرومة بفتح الهمزة أو ضمها

(٣) الكليم : الجريح

(٤) دسناهم : وطئناهم ، وصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع ، وحلفها : من كان حليفا لهم ، وصميمها : من كان من صميمهم

(٥) الزهو : الكبر ، والانتخاء : الاعجاب بالنفس

(٦) حامت : منعت نفسها ودافعت عنها

(٧) كداء ـ بفتح الكاف ممدوداً ـ موضع بمكة

بِنَصْرِ اللهِ رُوحُ الْقُدْسِ فِيهَا ۞ وَمِيكَالٌ فَيَاطِيبَ الْمَلَاءِ (١)

وقال طالب بن أبى طالب : يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبكى أصحاب القليب من قريش يوم بدر : —

كلمة لطالب بن أبى طالب فى يوم بدر

أَلاَ إِنَّ عَيْنِي أَنْفَدَتْ دَمْعَهَا سَكْبَا ۞ تُبَكِّى عَلَى كَعْبٍ وَمَا إِنْ تَرَى كَعْبَا (٢)

أَلاَ إِنَّ كَعْبًا فِى الْحُرُوبِ تَخَاذَلُوا ۞ وَأَرْدَاهُمُ ذَا الدَّهْرُ وَاجْتَرَحُوا ذَنْبَا (٣)

وعَامِرُ تَبْكِى لِلْمُلِمَّاتِ غُدْوَةً ۞ فَيَالَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَرَى لَهُمَا قُرْبَا

هُمَا أَخَوَاىَ لَنْ يُعَدَّا لِغَيَّةٍ ۞ تُعَدُّ وَلَنْ يُسْتَامَ جَارُهُمَا غَصْبَا (٤)

فَيَا أَخَوَيْنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً ۞ فِدًى لَكُمَا لاَتَبْعَثُوا بَيْنَنَا حَرْبَا

وَلاَ تُصْبِحُوا مِنْ بَعْدِ وُدٍّ وَأُلْفَةٍ ۞ أَحَادِيثَ فِيهَا كُلُّكُمْ يَشْتَكِى النَّكْبَا (٥)

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِى حَرْبِ دَاحِسٍ ۞ وَجَيْشِ أَبِى يَكْسُومَ إِذْ مَلَأَ الشِّعْبَا (٦)

---

(١) الملاء : أراد الملأ ، وهم أشراف القوم وسادتهم ، فمده ضرورة

(٢) السكب : السائل من الدمع والمطر وغيرهما مما يسيل

(٣) أرداهم : أهلكهم ، واجترحوا : اكتسبوا

(٤) غية ، يقال : فلان لغية ، إذا كان لغير أبيه ، ويقال : فلان لرشدة إذا كان له

(٥) النكبا : أراد به مصائب الدهر ونكباته

(٦) داحس : اسم فرس قامت بسببه حرب ، وقد ذكرها ابن هشام (انظر ج ١ ص ٣٠٦) وأبو يكسوم : ملك من ملوك الحبشة ، والشعب : الطريق بين جبلين

فَلَوْلاَ دِفَاعُ اللهِ لاَ شَيْءَ غَيْرُهُ
لَأَصْبَحْتُمُ لاَ تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبَا (١)
فَمَا إِنْ جَنَيْنَا فِى قُرَيْشٍ عَظِيمَةً
سِوَى أَنْ حَمَيْنَا خَيْرَ مَنْ وَطِىءَ التُّرْبَا
أَخَا ثِقَةٍ فِى النَّائِبَاتِ مُرَزَّأً ... كَرِيمًا ثَنَاهُ لاَ بَخِيلاً وَلاَ ذَرْبَا (٢)
يُطِيفُ بِهِ الْعَافُونَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ
يَؤُمُّونَ بَحْرًا لاَ نَزُورًا وَلاَ صَرْبَا (٣)
فَوَاللهِ لاَ تَنْفَكُّ نَفْسِى حَزِينَةً
تَمَلْمَلُ حَتَّى تَصْدُقُوا الْخَزْرَجَ الضَّرْبَا (٤)

ضرار بن الخطاب يرثى أبا جهل

وقال ضرار بن الخطاب الفهرى يرثى أبا جهل [بن هشام]: —

أَلاَ مَنْ لِعَيْنٍ بَاتَتِ اللَّيْلَ لَمْ تَنَمْ ... تُرَاقِبُ نَجْمًا فِى سَوَادٍ مِنَ الظُّلَمْ
كَأَنَّ قَذًى فِيهَا وَلَيْسَ بِهَا قَذًى
سِوَى عَبْرَةٍ مِنْ جَائِلِ الدَّمْعِ تَنْسَجِمْ (٥)
فَبَلِّغْ قُرَيْشًا أَنَّ خَيْرَ نَدِيِّهَا ... وَأَكْرَمَ مَنْ يَمْشِى بِسَاقٍ عَلَى قَدَمْ

---

(١) السرب — بكسر السين — هو القوم ، ويقال : هو النفس ، ومنه الحديث « من أصبح آمنا فى سربه » والسرب — بفتح السين — المال الراعى

(٢) الذرب : الفاسد ، ومنه يقال : ذربت معدة فلان ، إذا فسدت

(٣) العافون : جمع عاف ، وهو من يطلب عفو ما عندك ، ويؤمون : يقصدون ، ويروى « يؤوبون » ومعناه يذهبون ويرجعون ، والنزور : القليل ، والصرب : المنقطع ، وهو القليل من الماء أيضا

(٤) تململ : معناه لاتستقر على فراشها

(٥) القذى : مايسقط فى العين وفى الشراب ، وتنسجم : تنصب

ثَوَى يَوْمَ بَدْرٍ رَهْنَ خَوْصَاءَ رَهْنُهَا
كَرِيمُ الْمَسَاعِي غَيْرُ وَغْدٍ وَلَا بَرَمْ (١)
فَآلَيْتُ لَا تَنْهَلُّ عَيْنِي بِعَبْرَةٍ
عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الرَّئِيسِ أَبِي الْحَكَمْ
عَلَى هَالِكٍ أَشْجَي لُؤَيَّ بْنَ غَالِبٍ
أَتَتْهُ الْمَنَايَا يَوْمَ بَدْرٍ فَلَمْ يَرِمْ (٢)
تَرَى كِسَرَ الْخَطِّيِّ فِي نَحْرِ مُهْرِهِ
لَدَى بَائِنٍ مِنْ لَحْمِهِ بَيْنَهَا خِذَمْ (٣)
وَمَا كَانَ لَيْثٌ سَاكِنٌ بَطْنَ بِيشَةٍ
لَدَى غَلَلٍ يَجْرِي بِبَطْحَاءَ فِي أَجَمْ (٤)
بِأَجْرَأَ مِنْهُ حِينَ تَخْتَلِفُ الْقَنَا
وَتُدْعَى نَزَالِ فِي الْقَمَاقِمَةِ الْبُهَمْ (٥)
فَلَا تَجْزَعُوا آلَ الْمُغِيرَةِ وَاصْبِرُوا
عَلَيْهِ وَمَنْ يَجْزَعْ عَلَيْهِ فَلَمْ يُلَمْ (٦)

---

(١) الخوصاء : البئر الضيقة ، والوغد : الدنىء من القوم ، والبرم : البخيل والذى لايدخل مع القوم فى الميسر ، وهو بزنة بطل

(٢) أشجى : أحزن ، وهذه لغة رديئة ، وأحسن منها شجا ثلاثيا ، ولم يرم : لم يبرح

(٣) الخطى : الرماح ، والخذم : قطع اللحم ، ويقال : خذمه ، إذا قطعه

(٤) بيشة : موضع تنسب إليه الأسود ، والغلل : الماء الجارى فى أصول الشجر ، والأجم : موضع الأسود ، وأصله الشجر الملتف ، واحدها أجمة

(٥) أجرأ : أشجع ، ونزال : اسم فعل أمر بمعنى انزلوا ، والقماقمة: جمع قمقام ، وهو السيد الكريم ، والبهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع

(٦) يلم : يروى بمكسور اللام على أنه مضارع مبنى للمعلوم ، معناه لم

وَجِدُّوا فَإِنَّ الْمَوْتَ مَكْرُمَةٌ لَكُمْ
وَمَا بَعْدَهُ فِي آخِرِ الْعَيْشِ مِنْ نَدَمْ
وَقَدْ قُلْتُ إِنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ لَكُمْ
وَعِزَّ الْمُقَامِ غَيْرَ شَكٍّ لِذِي فَهَمْ (١)

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار

قال ابن إسحق : وقال الحرث بن هشام يبكى أخاه أبا جهل : —

الحرث بن هشام يرثى أخاه أبا جهل

أَلاَ يَالَهْفَ نَفْسِي بَعْدَ عَمْرٍو ... وَهَلْ يُغْنِي التَّلَهُّفُ مِنْ فَتِيلِ (٢)
يُخَبِّرُنِي الْمُخَبِّرُ أَنَّ عَمْرًا ... أَمَامَ الْقَوْمِ فِي جَفْرٍ مُحِيلِ (٣)
فَقِدْمًا كُنْتُ أَحْسَبُ ذَاكَ حَقًّا ... وَأَنْتَ لِمَا تَقَدَّمَ غَيْرُ فِيلِ (٤)
وَكُنْتُ بِنِعْمَةٍ مَا دُمْتَ حَيًّا ... فَقَدْ خُلِّفْتَ فِي دَرَجِ الْمَسِيلِ (٥)
كَأَنِّي حِينَ أُمْسِي لاَ أَرَاهُ ... ضَعِيفُ الْعَقْدِ ذُو هَمٍّ طَوِيلِ (٦)

يأت مايكون سيا فى لومه ، ويروى بفتح اللام على أنه مبنى للمجهول فمعناه لم يلمه أحد

(١) الريح طيبة : يريد أنهم منصورون ذوو قوة ومنعة ، ومنه قوله تعالى : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)

(٢) الفتيل ـ بالفاء ـ الذى يكون فى شق النواة من التمر ، ويضرب به المثل فى القلة ، ووقع فى أكثر أصول الكتاب « قتيل » بالقاف المثناة ولها وجه

(٣) الجفر : البئر التى لم تطو ، والمحيل : القديم الذى تغير

(٤) غير فيل : أى غير فائل الرأى ، ويقال : فلان فيل الرأى وفال الرأى وفائل الرأى ، إذا كان فاسد الرأى

(٥) درج المسيل : يريد فى موطن الذل والقهر ، يقال : تركت فلانا فى درج السيول ، إذا تركتهم بمكان مذلة وكانوا ضعافا لا يدفعون عن أنفسهم

(٦) العقد : العزم والرأى

عَلَى عَمْرٍو إِذَا أَمْسَيْتُ يَوْمًا وطَرْفٍ مِنْ تَذَكُّرِهِ كَلِيلِ (١)

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها للحرث بن هشام وقوله « فى جفر » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال أبو بكر بن الأسود بن شُعُوب اللَّيْثِيُّ وهو شدَّاد بن الأسود : —

أبو بكر بن الأسود يرثى قتلى بدر

تُحَيِّي بالسَّلاَمَةِ أمُّ بَكْرٍ وهَلْ لِي بَعْدَ قَوْمِي مِنْ سَلَامِ ؟

فَمَاذَا بالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ
مِنَ الْقَيْنَاتِ والشَّرْبِ الْكِرَامِ ؟ (٢)

وَمَاذَا بالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ
مِنَ الشِّيزَى تُكَلَّلُ بالسَّنَامِ ؟ (٣)

وكَمْ لَكَ بالطَّوِيِّ طَوِيِّ بَدْرٍ مِنَ الْحَوْمَاتِ وَالنَّعَمِ الْمُسَامِ ؟ (٤)
وكَمْ لَكَ بالطَّوِيِّ طَوِيِّ بَدْرٍ مِنَ الْغَايَاتِ والدُّسُعِ الْعِظَامِ ؟ (٥)
وأَصْحَابِ الْكَرِيمِ أَبِي عَلِيٍّ أَخِي الْكَأْسِ الْكَرِيمَةِ والنِّدَامِ

---

(١) كليل : أصابه الكلال وهو الاعياء والتعب ، وفى البيت إقواء

(٢) القليب : البئر ، والقينات : جمع قينة ، وهى الجارية المغنية ، والشرب : جماعة القوم الذين يشربون

(٣) الشيزى : أراد بها الجفان التى تصنع من خشب الشيز ، وعنى بهذه الجفان أصحابها الكرام الذين كانوا يعدونها للناس ، وتكلل : أراد تملأ ، والسنام : لحم ظهر البعير

(٤) الطوى : البئر التى طويت بالحجارة ، فعيل بمعنى مفعول ، والحومات : جمع حومة ، وهى القطعة من الابل ، والنعم : الابل وكل ماشية فيها إبل ، والمسام : الذى أرسل فى المرعى ، تقول : أسام إبله ، إذا أرسلها ترعى من غير راع

(٥) الدسع : جمع دسيعة ، وهى العطية

وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عَقِيلٍ وَأَصْحَابَ الثَّنِيَّةِ مِنْ نَعَامِ (١)
إِذًا لَظَلِلْتَ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِمْ كَأُمِّ السَّقْبِ جَائِلَةَ الْمَرَامِ (٢)
يُخَبِّرُنَا الرَّسُولُ لَسَوْفَ نَحْيَا وَكَيْفَ لِقَاءُ أَصْدَاءٍ وَهَامِ (٣)

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة النحوى : —

يُخَبِّرُنَا الرَّسُولُ بِأَنْ سَنَحْيَا وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءٍ وَهَامِ

قال : وكان قد أسلم ثم ارتد

قال ابن إسحق : وقال أُمَيَّةُ بن أبى الصَّلْتِ يرثى من أُصيب من قريش يوم بدر : —

قصيدة لأمية بن أبى الصلت فى يوم بدر

أَلاَّ بَكَيْتَ عَلَى الْكِرَا مِ بَنِي الْكِرَامِ أُولِي الْمَمَادِحْ
كَبُكَا الْحَمَامِ عَلَى فُرُو عِ الْأَيْكِ فِي الْغُصُنِ الْجَوَانِحْ (٤)

---

(١) الثنيـة : الفرجة بين الجبلين ، ونعام : اسم موضع ، وفيه يقول الشاعر :ـ

فَمَا يَخْفَى عَلَيَّ طَرِيقُ بَرْكٍ وَإِنْ صَعَّدْتُ فِي وَادِي نَعَامِ

(٢) السقب : ولد الناقة حين تضعه .

(٣) الأصداء : جمع صدى ، وهو بقية الميت فى قبره ، ويطلقون الصدى على طائر يذكرون أنه ذكر البوم ، والهام : جمع هامة ، وهو فى زعم العرب طائر يخرج من رأس القتيل إذا قتل ، فما يزال يصيح اسقونى حتى يؤخذ بثأر القتيل ، وفى ذلك يقول ذو الأصبع العدوانى :ـ

يَاعَمْرُو إِنْ لَاتَدَعْ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي
أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي

(٤) الأيك : الشجر الملتف ، واحدته أيكة ، والجوانح : جمع جانحة ، وهى المائلة ، تقول : جنح إلى كذا : إذا مال إليه

يَبْكِينَ حَرَّى مُسْتَكِيـ ـنَاتٍ يَرُحْنَ مَعَ الرَّوَائِحْ (١)
أَمْثَـالُهُنَّ الْبَاكِيَا تُ الْمُعْوِلَاتُ مِنَ النَّوَائِحْ (٢)
مَنْ يَبْكِهِمْ يَبْكِي عَلَى حُزْنٍ وَيَصْدُقُ كُلُّ مَادِح
مَاذَا بِبَدْرٍ فَالْعَقَنْـ ـقَلِ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَحَاجِحْ (٣)
فَمَدَافِعِ الْبَرْقَيْنِ فَالْـ ـحَنَّانِ مِنْ طَرْفِ الْأَوَاشِحْ (٤)
شُمْطٍ وَشُبَّانٍ بَهَا لِيلٍ مَغَاوِيرٍ وَحَاوِحْ (٥)
أَلَاَّ تَرَوْنَ لِمَا أَرَى وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لَامِحْ (٦)
أَنْ قَدْ تَغَيَّرَ بَطْنُ مَكَّـةَ فَهْيَ مُوحِشَةُ الْأَبَاطِحْ
مِنْ كُلِّ بِطْرِيقٍ لِبِطْـرِيقٍ نَقِيِّ اللَّوْنِ وَاضِحْ (٧)

---

(١) حرى : يريد أنهن يجدن فى أجوافهن حرارة من الحزن الشديد ؛ ومستكينات : ذليلات

(٢) المعولات : الرافعات أصواتهن بالبكاء ، والعويل : البكاء مع رفع صوت .

(٣) العقنقل : الكثيب المنعقد من الرمل ، والمرازبة : الرؤساء ، واحدهم مرزبان ، وهى كلمة أعجمية ، والجحاجح : جمع جحجاح ، وهو السيد

(٤) مدافع البرقين : يريد المكان الذى يندفع إليه السيل ، والبرقين : اسم موضع ، والحنان هنا : كثيب من رمل ، والأواشح : موضع

(٥) الشمط : الذين خالطهم الشيب ، والبهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد ، والمغاوير : جمع مغوار ، وهو الذى يكثر الغارة على الأعداء ، والوحاوح : جمع وحواح ، وهو الحديد النفس القوى

(٦) لامح : ناظر ، وتقول : لمح الرجل البرق ، إذا نظر إليه

(٧) البطريق : رئيس الروم

دُعْمُوصِ أَبْوَابِ الْمُلُو ... كِ وَجَائِبٍ لِلْخَرْقِ فَاتِحْ (١)
مِنَ السَّرَاطِمَةِ الْخَلاَ ... جِمَةِ الْمَلاَوِثَةِ الْمَنَاجِحْ (٢)
الْقَــائِلِينَ الْفَاعِلِيـ ... ـنَ الآمِرِينَ بِكُلِّ صَالِحْ
الْمُطْعِمِينَ الشَّحْمَ فَوْ ... قَ الْخُبْزِ شَحْماً كَالأَنَافِحْ (٣)
نُقُلِ الْجِفَانِ مَعَ الْجِفَا ... نِ إِلَى جِفَانٍ كَالْمَنَاضِحْ (٤)
لَيْسَتْ بِأَصْفَارٍ لِمَنْ ... يَعْفُو وَلاَ رُحٍّ رَحَارِحْ (٥)
لِلضَّيْفِ ثُمَّ الضَّيْفِ بَعْـ ... ـدَ الضَّيْفِ وَالْبُسْطِ السَّلاَطِحْ (٦)

---

(١) الدعموص فى الأصل : دويبة تغوص فى الماء ، ويشبهون بها الدائب على العمل الذى لا يفتر ولا يكل ، يريد أنهم يكثرون الدخول على الملوك ، وجائب : أى قاطع ، تقول : جاب فلان الأرض ، إذا قطع مفاوزها ، والخرق : الفلاة المتسعة

(٢) السراطمة : جمع سرطم ، بوزن جعفر أو زبرج ، وهو الواسع الحلق السريع البلع البين القول مع جسم وخلق ، والخلاجمة : جمع خلجم ، وهو الضخم الطويل ، والملاوثة : جمع ملواث ، وهو السيد ، والمناجح : الذين ينجحون فى سعيهم ويسعدون فيه

(٣) الأنافح : جمع إنفحة ، وهو شيء يخرج من بطن ذى الكرش داخله أصفر ، شبه به الشحم

(١١) المناضح : الحياض ، شبهها الجفان فى سعتها ، وذلك يدل على شدة الكرم

(٥) أصفار : جمع صفر ، وهو الخالى من الآنية وغيرها ، يعفو : يقصد المعروف ويطلبه ، وقوله « ولارح رحارح » يعنى وليست واسعة من غير عمق ، يريد أنها واسعة عميقة مملوءة

(٦) السلاطح : الطوال العراض

وَهُبَ المِئِينَ مِنَ المِئِيـ
نَ إلي المِئِينَ مِنَ اللَّوَاقِحْ (١)
سَوْقَ المُؤَبَّلِ لِلمُؤَبَّـ
لِ صَادِرَاتٍ عَنْ بَلادِحْ (٢)
لِكِرَامِهِمْ فَوْقَ الكِرَا مَزِيَّةٌ وَزْنَ الرَّوَاجِحْ
كَتَثَاقُلِ الأَرْطَالِ بِالْـ
قِسْطَاسِ فِى الأَيْدِى المَوَائِحْ (٣)
خَذَلَتْهُمُ فِئَةٌ وَهُمْ يَحْمُونَ عَوْرَاتِ الفَضَائِحْ
الضَّارِبِينَ التَّقْدُمِيَّـ ـةَ بِالمُهَنَّدَةِ الصَّفَائِحْ (٤)
وَلَقَدْ عَنَانِى صَوْتُهُمْ مِنْ بَيْنِ مُسْتَسْقٍ وَصَائِحْ (٥)
لِلهِ دَرُّ بَنِى عَلِيٍّ أَيِّمٍ مِنْهُمْ وَنَاكِحْ (٦)
إِنْ لَمْ يُغِيرُوا غَارَةً شَعْوَاءَ تُجْحِرُ كُلَّ نَابِحْ (٧)

(١) اللواقح : الابل الحوامل
(٢) المؤبل : الابل الكثيرة ، وصادرات : راجعات ، وبلادح : موضع .
(٣) القسطاس : الميزان الكبير ، والموائح : التى تتهادى بينها لثقل ماتحمله ، وهى جمع مائحة ، وهى التى تمشى مشى البطاة ، ويروى «المواتح»
(٤) التقدمية : مقدمة الجيش
(٥) عنانى : أحزننى وشق على
(٦) الأيم : الذى لم يتزوج
(٧) شعواء : معناه متفرقة ، وتجحر : تلجئه إلى دخول جحره

بِالْمُقْـــــرَبَاتِ الْمُبْعِـدَا تِ الطَّامِحَاتِ مَعَ الطَّوَامِحْ (١)
مُـــــرْدًا عَلَى جُرْدٍ إلَي أُسُـدٍ مكَالِبَـةٍ كَوَالِحْ (٢)
وَيُـلاَقِ قِــرْنٌ قِــرْنَهُ مَشْيَ الْمُصَافِحِ لِلْمُصَافِحْ (٣)
بِزُهَاءِ أَلْفٍ ثُمَّ أَلْـــفٍ بَيْنَ ذِى بَدَنٍ وَرَامِحْ (٤)

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأنشدنى غيرُ واحدٍ من أهل العلم بالشعر بيته : —

وَيُـلاَقِ قِــرْنٌ قِــرْنَهُ مَشْىَ الْمُصَـافِحِ لِلْمُصَافِحْ

وأنشدنى أيضا : —

وُهُبِ الْمِئِينَ مِنَ الْمِئِيـــنَ إلَى الْمِئِينَ مِنَ اللَّوَاقِحْ
سَـوْقَ الْمُؤَبَّلِ لِلْمُؤَبَّـلِ صَادِرَاتٍ عَنْ بَلاَدِحْ

(١) المقربات : الخيل التى تقرب من البيوت لكرمها على أصحابها ، والمبعدات : التى تبعد فى جريها أو فى مسافة غزوها ، والطامحات : التى ترفع رءوسها وتنظر .

(٢) الجرد : الخيل العقاق ، والمكالبة : الذين بهم شبه الكلب ، وهو السعار ، يريد أنهم ذوو حدة وشدة فى الحرب ، والكوالح : العوابس ، واحدهم كالح ، وتقول : كلح وجهه ، إذا عبس

(٣) القرن : الذى يقاوم فى قتال أو شدة

(٤) « بزهاء ألف » الزهاء : المقدار ، تقول : هم زهاء ألف ، أى مقدار ألف ، والبدن هنا : الدروع القصيرة ، والرامح : الذى له رمح

قال ابن إسحق : وقال أُمَيَّةُ [1] بن أبى الصَّلْتِ أيضا يبكى زَمْعَةَ ابن الأسود وقتْلى بنى أسد : —

---

(١) هذه القصيدة يمكن اعتبارها من بحر الخفيف الذى أجزاؤه :

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن   فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

ويكون قد حذف من ضربها السبب الخفيف ، فصار وزنه :

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن   فاعلاتن مستفعلن فاعلن

وفى أكثره خبن ، وهو حذف الثانى الساكن من فاعلاتن ، ومن فاعلن ويحتمل أن تكون أبياتها من البحر المنسرح ، ووزنها :

مستفعلن مفعولات مستفعلن   مستفعلن مفعولات مستفعلن

وقد حذف من أوائل أبياتها السبب الخفيف فصار وزن البيت :

فاعلن مفعولات مستفعلن   مستفعلن مفعولات مستفعلن

وقد أصابها الخبن فى أكثر أجزائها ، وهذا الوزن الأخير هو الذى يحسن عندنا فى رواية ابن إسحق اعتبار الكلمة منه ، وإنه ليترتب على ذلك اختلاف أواخر النصف الأول عما لو اعتبرت من الوزن الأول كما هو ظاهر لمن شدا شيئا من علم العروض ، وسنتخذ هذه الطريق فى ترتيبها إن شاء الله ، أما الشطر الثانى من جميع أبيات الكلمة فهو جار على هذا الوزن لم يتخرم فيه بيت واحد ، وأما الشطر الأول فالبيت الثانى والسادس جاريان على هذا الوزن صحيحان ، والبيت الأول قد حذف من أوله سبب خفيف ، والبيت السابع حذف من أوله سبب خفيف ودخل الجزء الأول منه الطى وهو حذف رابعه الساكن ، وذلك بحسب أصله ، وأما البيت الرابع فقد حذف من جزئه الأول سببان خفيفان ، وأما البيتان الثالث والخامس فهما على رواية ابن إسحاق فاسدا الوزن ، أما رواية ابن هشام للكلمة فهى رواية متزنة صحيحة على أن أبياتها من بحر الخفيف ، وقد رتبنا فواصلها على ذلك

قصيدة لأمية بن أبي الصلت يرثي زمعة ابن الأسود

عَيْنُ بَكِّي بِالْمُسْبِلَاتِ أَبَا الْـ حَارِثِ لَاتَذْخَرِي عَلَى زَمَعَهْ (١)
ابْكِي عَقِيلَ بْنَ أَسْوَدٍ أَسَدَ الْـ بَأْسِ لِيَوْمِ الْهِيَاجِ وَالدَّقَعَهْ (٢)
تِلْكَ بَنُو أَسَدٍ إِخْوَةُ الْـ جَوْزَاءِ لَا خَانَةٌ وَلَا خَدَعَهْ (٣)
هُمُ الْأُسْرَةُ الْوَسِيطَةُ مِنْ كَعْبٍ وَهُمْ ذِرْوَةُ السَّنَامِ وَالْقَمَعَهْ (٤)
وَهُمْ أَنْبَتُوا مِنْ مَعَاشِرٍ شَعَرَ الرَّأْسِ وَهُمْ أَلْحَقُوهُمُ الْمَنَعَهْ
أَمْسَى بَنُو عَمِّهِمْ إِذَا حَضَرَ الْـ بَأْسُ وأَكْبَادُهُمْ عَلَيْهِمْ وَجِعَهْ
وَهُمُ الْمُطْعِمُونَ إِذْ قَحَطَ الْـ قَطْرُ وحَالَتْ فَلَا تَرَى قَزَعَهْ (٥)

قال ابن هشام : هذه الرواية لهذا الشعر مختلطة ليست بصحيحة البناء ولكن أنشدني أبو مُحْرِزٍ خَلَفٌ الأحمر وغيره ، رَوَى بعضٌ مالم يرو بعضٌ :

---

(١) المسبلات : الدموع السائلة ، يقال : أسبل الدمع ؛ إذا جرى وسال ، ولا تذخرى : أى لاتبقِ عندك دمعا إلا أسبلته

(٢) الهياج : الحركة فى الحرب ، والدفعة : يروى بالفاء على أنه جمع دافع ، ويروى بالقاف ، على أنه من الدقعاء ، وهو التراب ، يريد اليوم الذى يثور فيه الغبار ، وهو يوم الحرب ، ويمكن أن يكون الدقعة ، بالقاف ، جمع داقع وهو الفقير ، يريد يوم الفقراء : أى أن عقيلا يفتقد فى يوم الحرب ويوم الكرم .

(٣) الجوزاء : نجم معروف ، وخانة : جمع خائن ، وخدعه : جمع خادع

(٤) أسرة الرجل : رهطه ، والوسيطة : أى الشريفة ، والذروة : أعلى سنام البعير ، والقمعة : السنام

(٥) القزعة : السحاب المتفرق

عَيْنُ بَكّى بِالْمُسْبِلَاتِ أَبَا الْحَا ... رِثِ لَا تَذْخَرِى عَلَى زَمَعَهْ
وعقيلَ بْنَ أَسْوَدٍ أَسَدَ الْبأْ ... سِ لِيَوْمِ الْهِيَاجِ وَالدَّفعَهْ
فَعَلَى مِثْلِ هُلْكِهِمْ خَوَتِ الْجَوْ ... زَاه لا خَانَةٌ وَلَا خَدَعَهْ
وهُمُ الْأُسْرَةُ الْوَسِيطَةُ مِنْ كَعْ ... بٍ وَفِيهِمْ كَذِرْوَةِ الْقَمَعَهْ
أَنْبَتُوا مِنْ مَعَاشِرٍ شَعَرَ الرَّأْ ... سِ وهُمْ أَلْحَقُوهُمُ الْمَنَعَهْ
فَبَنُو عَمِّهِمْ إِذَا حَضَرَ الْبَأْ ... سُ عَلَيْهِمْ أَكْبَادُهُمْ وَجِعَهْ
وَهُمُ الْمُطْعِمُونَ إِذْ قَحطَ الْقَطْ ... رُ وحَالَتْ فَلَا تَرَى قَزَعَهْ

قال ابن إسحق : وقال أبو أسامة مُعَاوِيةُ بن زهير بن قيس بن الحرث ابن سعد بن ضبيعة بن مازن بن عَدىّ بن جُشَم بن معاوية ، حليفُ بنى مَخْزوم

قال ابن هشام : وكان مُشْرِكاً ، وكان مر بهُبَيْرَةَ بن أبى وَهْب وَهم منهزمون يوم بدر وقد أعْيَا هُبَيْرةُ ، فقام ، فألقى عنه دِرْعَهُ وحَمَله ومضى به

قال ابن هشام : وهذه أصح أشعار أهل بدر : —

قصيدة لمعاوية بن زهير فى يوم بدر

ولمَّا أَنْ رَأَيْتُ الْقَوْمَ خَفُّوا ... وقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ لِنَفْرِ (١)
وَأَنْ تُرِكَتْ سَرَاةُ الْقَوْمِ صَرْعَى ... كَأَنَّ خِيَارَهُمْ أَذْبَاحُ عِتْرِ (٢)

---

(١) « شالت نعامتهم » تفرقوا ، ويروى « زالت نعامتهم » والأول هو الموافق لما يقوله أكثر العرب

(٢) سراة القوم : خيارهم ، وأذباح : جمع ذِبح ـ بكسر الذال ـ وهو المذبوح ، والعتر : ما كان يذبح للأصنام فى الجاهلية ، ومن أهل اللغة من قال : العتر هو الصنم الذى كانوا يذبحون له ، وهذا أولى ههنا

وَكَانَتْ حُمَّــةٌ وَافَتْ حِمَــاماً ... وَلُقِّينَا الْمَنَايَا يَوْمَ بَدْرِ (١)
نَصُدُّ عَنِ الطَّرِيقِ وأَدْرَكُونَا ... كَأَنَّ زُهَاءَهُمْ غَطْيَانُ بَحرِ (٢)
وَقَالَ الْقَائِلُونَ: مَنِ ابْنُ قَيْسٍ؟ ... فَقُلْتُ: أَبُو أُسَامَةَ غَيْرَ فَخْرِ
أَنَا الْجُشَمِىُّ كَيْمَا يَعْرِفُونِى ... أُبَيِّنُ نِسْــبَتِى نَقْرًا بِنَقْرِ (٣)
فَإِنْ تَكُ فِى الغَــلَاصِمِ مِنْ قُرَيْشٍ
فَإِنِّى مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَــكْرِ (٤)
فَأَبْلِــغْ مَالِــكاً لَمَّا غُشِــينَا
وعِنْدَكَ مَالِ إِنْ نَبَّأْتَ خُبْرِى (٥)
وَأَبْلِــغْ إِنْ بَلَغْتَ الْمَــرْءَ عَنَّا ... هُبَــيْرَةَ وَهْوَ ذُو عِلْمٍ وَقَدْرِ
بِأَنِّى إِذْ دُعِيتُ إِلَى أُفَيْــدٍ
كَرَرْتُ وَلَمْ يَضِقْ بِالْــكَرِّ صَدْرِى (٦)

---

(١) « وكانت حمة » الحمة ـ بالحاء المهملة ـ القرابة والصداقة ، ومنه الحيم ، وهو الصديق والقريب ، ويروى « جمة » بالجيم ـ ومعناه الجماعة من الناس ، وأكثر مايقال فى الجماعة الذين يأتون يسألون فى الدية ، والحمام بكسر الحاء المهملة ـ الموت

(٢) الزهاء : القدر ، والغطيان : الماء الكثير الذى يغطى مايكون فيه ، ويروى « غيطان » بتقديم الياء على الطاء

(٣) « نقراً بنقر » بالقاف ـ ومعناه التنقير عن الشيء والبحث عنه ، ويروى « نفرا بنفر » بالفاء ـ ومعناه الجماعة

(٤) الغلاصم : أراد بها الأعالى من النسب ، وأصل الغلصمة الحلقوم الذى يجرى فيه الطعام والشراب

(٥) « وعندك مال » أراد وعندك يا مالك ، فرخم بحذف آخره وحذف حرف النداء

(٦) أفيد ـ بالفاء ، ويروى بالقاف ـ اسم رجل

عَشِيَّةَ لَا يُكَرُّ عَلَى مُضَافِ
وَلَا ذِى نِعْمَةٍ مِنْهُمْ وَصِهْرِ (١)

فَدُونَكُمُ بَنِى لَأْيٍ أَخَاكُمْ وَدُونَكِ مَالِكاً يَاأُمَّ عَمْرِو
فَلَوْلَا مَشْهَدِى قَامَتْ عَلَيْهِ مُوَقَّفَةُ الْقَوَائِمِ أُمُّ أَجْرِ (٢)
دَفُوعٌ لِلْقُبُورِ بِمَنْكِبَيْهَا كَأَنَّ بِوَجْهِهَا تَحْمِيمَ قِدْرِ (٣)

فَأُقْسِمُ بِالَّذِى قَدْ كَانَ رَبِّى
وَأَنْصَابٍ لَدَى الْجَمَرَاتِ مُغْرِ (٤)

لَسَوْفَ تَرَوْنَ مَاحَسَبِى إِذَا مَا تَبَدَّلَتِ الْجُلُودُ جُلُودَ نِمْرِ (٥)
فَمَا إِنْ خَادِرٌ مِنْ أُسْدِ تَرْجٍ مُدِلٌّ عَنْبَسٌ فِى الْغِيلِ مُجْرِ (٦)
فَقَدْ أَحْمَى الْأَبَاءَةَ مِنْ كُلَافٍ فَمَا يَدْنُو لَهُ أَحَدٌ بِنَقْرِ (٧)

---

(١) المضاف : المضيق عليه الذى ألجىء إلى التحصن

(٢) الموقفة : التى فى قوائمها خطوط سود ، وأراد بها الضبع التى تأكل القتلى ، وأجر : جمع جرو ، وأراد به أولاد الضبع

(٣) تحميم قدر : سواد قدر

(٤) الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون لها ، والجمرات : موضع الجمار التى يرمى بها ، ومغر : جمع مغراء أو أمغر ، وهو الأحمر ، يريد أن هذه الأنصاب مطلية بالدم ، ومن ذلك اشتقاق المغرة ـ بفتح الغين أو سكونها ـ وهى التربة الحمراء

(٥) يقال للرجل إذا تنكر : لبس جلد النمر

(٦) الخادر : الأسد الذى يكون فى خدره ، وهى أجمته ، وترج : اسم موضع تنسب إليه الأسود ، وعنبس : معناه هنا العابس الوجه ، والغيل : الشجر الملتف ، ومجر : ذو جراء ، وهى أولاده

(٧) أحمى : جعلها حمى لا يقربه أحد ، والأباءة ـ بفتح الهمزة ـ أجمة الأسد وكلاف ـ آخره فاء أو باء ـ اسم موضع ، قاله أبو ذر ، وقال ياقوت :

بِخَلٍّ تَعْجِزُ الْحُلَفَاءُ عَنْهُ
يُوَاثِبُ كُلَّ هَجْهَجَةٍ وَزَجْرِ (١)

بِأَوْشَكَ سَوْرَةً مِنِّى إِذَا مَا حَبَوْتُ لَهُ بِقَرْقَرَةٍ وَهَدْرِ (٢)
بِبِيضٍ كَالْأَسِنَّةِ مُرْهَفَاتٍ كَأَنَّ ظُبَاتِهِنَّ جَحِيمُ جَمْرِ (٣)
وَأَكْلَفَ مُجْنَأٍ مِنْ جِلْدِ ثَوْرٍ وَصَفْرَاءِ الْبُرَايَةِ ذَاتِ أَزْرِ (٤)
وَأَبْيَضَ كَالْغَدِيرِ ثَوَى عَلَيْهِ عُمَيْرٌ بِالْمَدَاوِسِ نِصْفَ شَهْرِ (٥)

« كلاف بضم أوله وآخره فاء ـ اسم واد من أعمال المدينة ، ذكر فى شعر لبيد ـ

عِشْتُ دَهْراً وَلَا يَدُومُ عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا يَرَمْرَمٌ وَتِعَارُ
وَكُلَافٌ وَضَلْفَعٌ وَبَضِيعٌ وَالَّذِي فَوْقَ خُبَّةٍ تِيَارُ

وقال فى موضع آخر : الكلاب ـ بالضم وآخره باء ـ واد يسلك بين ظهرى شهلان ، وشهلان : جبل فى ديار بنى نمير » اه

(١) الخل : الطريق فى الرمل ، والحلفاء : الأصحاب المتعاضدون يكونون على من سواهم يدا واحدة ، والهجهجة : الزجر ، وتقول : هجهجت بالسبع ، إذا زجرته ، وذلك بأن تقول له : هج هج

(٢) بأوشك : أى بأسرع ، والسورة : الحدة والوثبة ، وحبوت : قربت ، والقرقرة والهدر : من أصوات فحول الابل

(٣) ببيض : أراد بها ههنا سهاما ، ومرهفات : محددات ، وظبات : جمع ظبة ، وهى حدها وطرفها ، والجحيم : اللهيب

(٤) أكلف : يروى باللام وبالنون ، والمراد به الترس على الروايتين جميعا ، فالأكلف : الترس إذا كان أسود الظاهر ، والأكنف : الذى يستر صاحبه ، من الكنف ، وهو الستر ، والبراية ـ بضم الباء ـ ما يتطاير منها حين تنحت ، والأرز : الشدة

(٥) أبيض كالغدير : أراد به سيفا ، وثوى عليه : أقام على عمله وصقله ، وعمير : اسم رجل كان عمله صقل السيوف ، والمداوس : جمع مدوس ، وهى آلة يصقل بها السيف

أُرَفِّلُ فِي حَمَائِلِهِ وَأَمْشِي كَمِشْيَةِ خَادِرٍ لَيْثٍ سِبَطْرِ (١)
يَقُولُ لِيَ الْفَتَى سَعْدٌ هَدِيًّا فَقُلْتُ لَعَلَّهُ تَقْرِيبُ غَدْرِ (٢)
وَقُلْتُ أَبَا عَدِيٍّ لَا تَطُرْهُمْ وَذَلِكَ إِنْ أَطَعْتَ الْيَوْمَ أَمْرِي (٣)
كَدَأْبِهِمُ بِفَرْوَةَ إِذْ أَتَاهُمْ فَظَلَّ يُقَادُ مَكْتُوفًا بِضَفْرِ (٤)

قال ابن هشام : وأنشدنى أبو مُحْرِزٍ خَلَفٌ الأَحْمَرُ : —

نَصُدُّ عَنِ الطَّرِيقِ وَأَدْرَكُونَا كَأَنَّ سِرَاعَهُمْ تَيَّارُ بَحْرِ (٥)

وقوله * مُدِلٌّ عَنْبَسٌ فِي الْغِيلِ مُجْرِ * عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقال أبو أسامة أيضا : —

قصيدة اخرى لمعاوية بن زهير

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي رَسُولًا مُغَلْغَلَةً يُثَبِّتُهَا لَطِيفُ (٦)
أَلَمْ تَعْلَمْ مَرَدِّي يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ بَرَقَتْ بِجَنْبَيْكَ الْكُفُوفُ (٧)

---

(١) أرفل : معناه أطول ، والخادر : الأسد المقيم فى خدره : أى أجمته ، وسبطر : هو الطويل الممتد

(٢) الهدى هنا : الأسير

(٣) لا تطرهم : لاتقربهم ، وأصله مأخوذ من طوار الدار ، وهو ما كان ممتدا معها من فنائها .

(٤) كدأبهم : كعادتهم ، وفروة : اسم رجل ، والضفر : الحبل المضفور

(٥) التيار : معظم الماء وأقواه

(٦) المغلغلة : الرسالة يبعث بها من بلد إلى بلد ، واللطيف : الرفيق الحاذق فى الأمور

(٧) برقت : لمعت ، والكفوف : جمع كف ، وأراد بها السيوف التى تمسكها اليد

وقَدْ تُرِكَتْ سَرَاةُ القَوْمِ صَرْعَى
كَأَنَّ رُءوسَهُمْ حَدَجٌ نَقِيفُ (١)
وَقَدْ مَالَتْ عَلَيْكَ بِبَطْنِ بَدْرٍ   خِلَافَ الْقَوْمِ دَاهِيَةٌ خَصِيفُ (٢)
فَنَجَّاهُ مِنَ الْغَمَرَاتِ عَزْمِي   وَعَوْنُ اللهِ وَالْأَمْرُ الْحَصِيفُ (٣)
وَمُنْقَلَبِي مِنَ الْأَبْوَاءِ وَحْدِي   وَدُونَكَ جَمْعُ أَعْدَاءٍ وُقُوفُ (٤)
وَأَنْتَ لِمَنْ أَرَادَكَ مُسْتَكِينٌ
بِجَنْبِ كُرَاشَ مَكْلُومٌ نَزِيفُ (٥)
وَكُنْتُ إِذَا دَعَانِي يَوْمَ كَرْبٍ   مِنَ الْأَصْحَابِ دَاعٍ مُسْتَضِيفُ (٦)
فَأَسْمَعَنِي وَلَوْ أَحْبَبْتُ نَفْسِي   أَخٌ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَوْ حَلِيفُ
أَرُدُّ فَأَكْشِفُ الْغُمَّى وَأَرْمِي   إِذَا كَلَحَ الْمَشَافِرُ وَالْأُنُوفُ (٧)
وَقِرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ عَلَى يَدَيْهِ   يَنُوءُ كَأَنَّهُ غُصْنٌ قَصِيفُ (٨)

---

(١) سراة القوم : خيارهم ، والحدج : الحنظل ، والنقيف : الذى يستخرج حبه

(٢) الخصيف : المتلونة ألوانا

(٣) الأمر الحصيف : المحكم الشديد

(٤) منقلبى : رجوعى ، والأبواء : اسم موضع

(٥) مستكين : خاضع ذليل ، وكراش - بضم الكاف وآخره شين معجمة - اسم موضع ، والمكلوم : المجروح ، ونزيف : سائل مع أنه من جميع دم بدنه

(٦) مستضيف : مضيق عليه ملجأ

(٧) الغمى - بالضم مقصوراً - الأمر الشديد ، وكلح : عبس والمشافر : لذوات الخف كالشفاه للانسان ، وقد استعارها ههنا للآدميين

(٨) ينوء : ينهض متثاقلا ، وغصن قصيف - بالصاد المهملة - أى مكسور ، تقول : قصفت الغصن ، إذا كسرته ، فعيل بمعنى مفعول ، ويروى « قطيف » بالطاء المهملة - أى : أخذ ما عليه من الثمار

دَلَفْتُ لَهُ إِذَا اخْتَلَطُوا بِحَرَّى مُسَحْسَحَةٍ لِعَانِدِهَا حَفِيفُ(١)
فَذَلِكَ كَانَ صُنْعِي يَوْمَ بَدْرٍ وَقَبْلُ أُخُو مُدَارَاةٍ عَرُوفُ(٢)
أَخُوكُمْ فِي السِّنِينَ كَمَا عَلِمْتُمْ وَحَرْبٌ لَا يَزَالُ لَهَا صَرِيفُ(٣)
وَمِقْدَامٌ لَكُمْ لَا يَزْدَهِينِي جَنَانُ اللَّيْلِ وَالْأَنَسُ اللَّفِيفُ(٤)
أَخُوضُ الصَّرَّةَ الْجَمَّاءَ خَوْضاً
إِذَا مَا الْكَلْبُ أَلْجَأَهُ الشَّفِيفُ(٥)

قال ابن هشام: تركت قصيدة لأبى أسامة على اللام ليس فيها ذكر بدر إلا فى أول بيت منها والثانى، كراهيةَ الاكثار

قال ابن إسحق: وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة تبكى أباها يوم بدر: —

---

(١) دلفت: سرت، وقربت منه، وحرى: أراد بها طعنة موجعة، ومسحسحة: كثيرة سيلان الدم، والعاند: العرق الذى لا ينقطع دمه، والحفيف: الصوت

(٢) عروف - بالراء المهملة - أى الصابر، ويرى «عزوف» بالزاى - وهو الذى تأبى نفسه الدنايا وتعزف عنها: أى تنصرف

(٣) السنين: أراد أيام الجدب والقحط، والصريف: الصوت

(٤) يزدهينى: يستخفنى أو يرهبنى، ومنه قول الحماسى: -

وَلَا أَنَّ نَفْسِي يَزْدَهِيهَا وَعِيدُكُمْ

وجنان الليل: سواده الذى يستر الأشخاص ويجنها، والأنس: جماعة الآدميين، واللفيف: الكثير

(٥) الصرة: الجماعة، وتطلق على شدة البرد، وتصح إرادة هذا هنا، والجماء - بالجيم - أى الكثير، وتروى الحماء - بالحاء المهملة - أى السوداء، والشفيف: الريح الشديدة الباردة، أو المطر فيه برد وشدة أو نوع البرد

قصيدة لهند بنت عتبة تبكى أباها

أَعَيْنَيَّ جُودَا بِدَمْعٍ سَرِبْ ... عَلَى خَيْرِ خِنْدِفَ لَمْ يَنْقَلِبْ
تَدَاعَى لَهُ رَهْطُهُ غُدْوَةً ... بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبْ
يُذِيقُونَهُ حَدَّ أَسْيَافِهِمْ ... يَعُلُّونَهُ بَعْدَ مَا قَدْ عَطِبْ
يَجُرُّونَهُ وَعَفِيرُ التُّرَابِ ... عَلَى وَجْهِهِ عَارِيًا قَدْ سُلِبْ
وكَانَ لَنَا جَبَلاً رَاسِيًا ... جَمِيلَ الْمَرَاةِ كَثِيرَ الْعُشُبْ
فَأَمَّا بُرَىٌّ فَلَمْ أَعْنِهِ ... فَأُوتِيَ مِنْ خَيْرِ مَا يَحْتَسِبْ

وقالت هند أيضا : —

قصيدة اخرى لهند بنت عتبة

يَرِيبُ عَلَيْنَا دَهْرُنَا فَيَسُوءُنَا ... وَيَأْبَى فَمَا نَأْتِى بِشَىْءٍ نُغَالِبُهْ
أَبَعْدَ قَتِيلٍ مِنْ لُؤَىِّ بْنِ غَالِبٍ ... يُرَاعُ امْرُؤٌ أَنْ مَاتَ أَوْ مَاتَ صَاحِبُهْ
أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ قَدْ رُزِئْتُ مُرَزَّأً ... تَرُوحُ وتَغْدُو بِالْجَزِيلِ مَوَاهِبُهْ (١)
فَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّىَ مَأْلُكاً ... فَإِنْ أَلْقَهُ يَوْمًا فَسَوْفَ أُعَاتِبُهْ (٢)
فَقَدْ كَانَ حَرْبٌ يَسْعَرُ الْحَرْبَ إِنَّهُ ... لِكُلِّ امْرِىءٍ فِى النَّاسِ مَوْلًى يُطَالِبُهْ (٣)

---

(١) المرزأ : الكريم الذى يرزؤه القاصدون والأضياف ، أى ينقصونه ماله ، والجزيل : العطاء الكثير

(٢) المألك : جمع مألكة ، وهى الرسالة ، يقال مألكة بضم اللام وفتحها .

(٣) حرب الأول اسم والد أبى سفيان ، فان أباسفيان هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ويسعر : يشعل ويوقد ويهيج ، والحرب الثانى القتال .

قال ابن هشام : و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند

قال ابن إسحق : وقالت هند أيضا : —

قصيده اخرى لهند بنت عتبة

لِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى هُلْكاً كَهُلْكِ رِجَالِيَهْ
يَارُبَّ بَاكٍ لِى غَدًا فِى النَّائِبَاتِ وَبَاكِيَهْ (١)
كَمْ غَادَرُوا يَوْمَ الْقَلِيـ ـبِ غَدَاةَ تِلْكَ الْوَاعِيَهْ (٢)
مِنْ كُلِّ غَيْثٍ فِى السِّنِيـ
ـنَ إِذَا الْكَوَاكِبُ خَاوِيَهْ (٣)
قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ مَاأَرَى فَالْيَوْمَ حُقَّ حِذَارِيَهْ
قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ مَاأَرَى فَأَنَا الْغَدَاةَ مُوَامِيَهْ (٤)
يَارُبَّ قَائِلَةٍ غَدًا يَاوَيْحَ أُمِّ مُعَاوِيَهْ

قال ابن هشام : و بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لهند [بنت عتبة]

قال ابن إسحق : وقالت هند [بنت عتبة] أيضا : —

قصيده أخرى لهند بنت عتبة

يَاعَيْنُ بَكِّى عُتْبَهْ شَيْخًا شَدِيدَ الرَّقَبَهْ
يُطْعِمُ يَوْمَ الْمَسْغَبَهْ يَدْفَعُ يَوْمَ الْمَغْلَبَهْ (٥)
إِنِّى عَلَيْهِ حَرِبَهْ مَلْهُوفَةٌ مُسْتَلَبَهْ (٦)

---

(١) النائبات : نوائب الدهر ، وهى ما ينوب الانسان ويلحقه ويتكرر عليه .

(٢) الواعية : الصراخ ، والوعى - بالعين مهملة - الصوت

(٣) خاوية : ساقطة عند الفجر فى مغربها ، وليس لها - فى مذهبهم - أثر ولا مطر

(٤) مواميه : مختلطة العقل

(٥) المسغبة : الجوع والشدة

(٦) حربة : حزينة غضبى ، وملهوفة : أى حزينة أيضاً ، ومستلبة مأخوذة العقل

لَنَهْبِطَنَّ يَثْرِبَهْ بِغَارَةٍ مُنْثَعِبَهْ (١)
فِيهَا الْخُيُولُ مُقْرَبَهْ كُلُّ جَوَادٍ سَلْهَبَهْ (٢)

وقالت صَفِيَّة بنت مُسَافِر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس [بن عبد مناف] ، تبكى أهل القليب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش ، [وتذكر مصابهم] : —

كلمة لصفية بنت مسافر فى يوم بدر

يَامَنْ لِعَيْنٍ قَذَاهَا عَائِرُ الرَّمَدِ حَدَّ النَّهَارِ وَقَرْنُ الشَّمْسِ لَمْ يَقِدِ (٣)
أُخْبِرْتُ أَنَّ سَرَاةَ الْأَكْرَمِينَ مَعًا قَدْ أَحْرَزَتْهُمْ مَنَايَاهُمْ إِلَى أَمَدِ (٤)
وَفَرَّ بِالْقَوْمِ أَصْحَابُ الرِّكَابِ وَلَمْ تَعْطِفْ غَدَاةَ تَئِذٍ أُمٌّ عَلَى وَلَدِ
قُومِى صَفِىَّ وَلَا تَنْسَىْ قَرَابَتَهُمْ
وَإِنْ بَكَيْتِ فَمَا تَبْكِينَ مِنْ بُعُدِ
كَانُوا سُقُوبَ سَمَاءِ الْبَيْتِ فَانْقَصَفَتْ
فَأَصْبَحَ السَّمْكُ مِنْهَا غَيْرَ ذِى عُمُدِ (٥)

---

(١) منثعبة : تروى هذه الكلمة بالثاء المثلثة ، فمعناه سائلة بسرعة من قولهم : انثعب الاناء ، إذا سال ؛ وتروى بالشين المعجمة ، ومعناه متفرقة ، من قولهم : انشعب شمل القوم ، إذا تفرق جمعهم

(٢) مقربة : معدة بجوار بيوت أصحابها ، والسلهبة : الفرس الطويل

(٣) القذى : ما يقع فى العين وفى الشراب ، والعائر : وجع العين والرمد : مرض يصيب العين ، ويقال : العائر قرحة تخرج فى جفن العين ، وحد النهار : الفصل بين الليل والنهار ، وقرن الشمس : أعلاها ، ولم يقد : معناه لم يتمكن ضوءه

(٤) سراة القوم : خيارهم

(٥) « سقوب » قال أبو ذر : « السقوب ـ بالباء ـ عمد الخباء التى يقوم عليها ، وانقصفت : معناه انكسرت ، والسمك : العالى » اه وفى القاموس : « السقب (بالفتح) عمود الخباء ، والجمع سقبان كغربان » اه

قال ابن هشام : أنشدنى بيتها « كانوا سقوبَ » بعض أهل العلم بالشعر

قال ابن إسحق : وقالت صفية بنت مُسَافر أيضا : —

كلمة أخرى لصفية بنت مسافر

أَلاَ يَا مَنْ لِعَيْنٍ لِلتَّـ ... ـبَكِّي دَمْعُهَا فَانْ (١)
كَغَرْبَىْ دَالِجٍ يَسْقِي ... خِـلاَلَ الْغَيْثِ الدَّانْ (٢)
وَمَا لَيْثُ غَرِيفٍ ذُو ... أَظَافِيرَ وَأَسْنَانْ (٣)
أَبُو شِبْلَيْنِ وَثَّابٌ ... شَدِيدُ الْبَطْشِ غَرْثَانْ (٤)
كَحِبِّي إِذْ تَوَلَّى وَ ... وُجُوهُ الْقَوْمِ أَلْوَانْ
وَبِالْكَفِّ حُسَامٌ صَا ... رِمٌ أَبْيَضُ ذُكْرَانْ (٥)
وَأَنْتَ الطَّاعِنُ النَّجْلاَ ... ءَ مِنْهَا مُزْبِدٌ آنْ (٦)

قال ابن هشام : ويروى قولها « وما ليث غريف » إلى آخرها مفصولا من البيتين اللذين قبله

قال ابن إسحق : وقالت هند بنت أُثَاثَةَ بن عبَّاد بن المطلب ، ترثى عُبَيْدَةَ بن الحرث بن المطلب : —

---

(١) « فان » تروى هذه الكلمة بالقاف ، ومعناه الأحمر ، يقال : أحمر قان ، إذا كان شديد الحمرة ، وتروى بالفاء ، فهو من الفناء ومعناه الذى نفد

(٢) الغرب : الدلو العظيمة ، والدالج : الذى يمشى بدلوه بين البئر والحوض ، والدانى : القريب

(٣) الغريف : موضع الأسد ، وهو الأجمة

(٤) الشبل : ولد الأسد ، وغرثان : جائع

(٥) الحسام : السيف القاطع ، وصارم : معناه قاطع أيضا ، وذكران : أى طبع وأخذ من مذكر الحديد

(٦) النجلاء : الواسعة ، ومزبد : أراد الدم الذى تعلوه رغوة كالزبد ، وآن : أى حار ، ومنه قوله تعالى : (يطوفون بينها وبين حميم آن)

هند بنت أثاثة ترثى عبيدة ابن الحارث

لَقَدْ ضُمِّنَ الصَّفْرَاءُ مَجْدًا وَسُؤْدَدًا وَحِلْمًا أَصِيلاً وَافِرَ اللُّبِّ وَالْعَقْلِ (١)
عُبَيْدَةَ فَابْكِيهِ لِأَضْيَافِ غُرْبَةٍ وَأَرْمَلَةٍ تَهْوِى لِأَشْعَثَ كَالْجِذْلِ (٢)
وَبَكِّيهِ لِلْأَقْوَامِ فِى كُلِّ شَتْوَةٍ
إِذَا احْمَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ مِنَ الْمَحْلِ (٣)
وَبَكِّيهِ لِلْأَيْتَامِ وَالرِّيحُ زَفْزَفٌ وَتَشْبِيبِ قِدْرٍ طَالَمَا أَزْبَدَتْ تَغْلِى (٤)
فَإِنْ تُصْبِحِ النِّيرَانُ قَدْ مَاتَ ضَوْءُهَا
فَقَدْ كَانَ يُذْكِيهِنَّ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ (٥)
لِطَارِقِ لَيْلٍ أَوْ لِمُلْتَمِسِ الْقِرَى
وَمُسْتَنْبِحٍ أَضْحَى لَدَيْهِ عَلَى رِسْلِ (٦)

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لهند

قال ابن إسحق (٧) : — وقالت قُتَيْلَةُ بنت الحرث أُخْتُ النَّضْر ابن الحرث ، تبكيه : —

---

(١) الصفراء : موضع بين مكة والمدينة ، والمجد : الشرف ، والسؤدد : السيادة ، والحلم : العقل ، والأصيل هنا : الثابت ، واللب : العقل أيضا

(٢) الأشعث : المتغير ، والجذل : أصل الشجرة

(٣) المحل : القحط

(٤) الزفزف : الريح الشديدة السريعة المرور ، والتشبيب : إيقاد النار تحت القدر ونحوها ، وأزبدت : رمت بالزبد ، وهو رغوة تعلوها إذا غلا ما فيها

(٥) يذكيهن : يوقدهن ، والحطب الجزل : الغليظ

(٦) المستنبح : الرجل الذى يضل بالليل فتنبح بسمعه الكلاب فيعلم بذلك مواضع العمران فيقصدها ، وعلى رسل — بكسر الراء — على مهل وهون .

(٧) وقع فى بعض النسخ « قال ابن إسحاق »

قتيلة بنت الحرث تبكى أخاها النضر ابن الحرث

يَارَاكِبًا إنَّ الْأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ ... مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ (١)

أَبْلِغْ بِهَا مَيْتًا بأَنَّ تَحِيَّةً ... مَا إنْ تَزَالُ بِهَا النَّجَائِبُ تَخْفِقُ (٢)

مِنِّى إلَيْكَ وَعَبْرَةً مَسْفُوحَةً ... جَادَتْ بِوَاكِفِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ (٣)

هَلْ يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إنْ نَادَيْتُهُ ... أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطِقُ

أَمُحَمَّدٌ يَاخَيْرَ ضِنْءِ كَرِيمَةٍ ... فِى قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ (٤)

مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا ... مَنَّ الْفَتَى وهُوَ الْمَغِيظُ الْمُحْنَقُ (٥)

أَوْكُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلَيُنْفِقَنْ ... بِأَعَزِّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفِقُ

فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسَرْتَ قَرَابَةً ... وَأَحَقُّهُمْ إنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ

ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِى أَبِيهِ تَنُوشُهُ ... لِلهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقَّقُ (٦)

---

(١) الأثيل: فى الأصل تصغير أثل، والأثل: هو شجر الطرفاء، ثم سمى به موضع قرب المدينة بين بدر ووادى الصفراء، ويقال له أيضا: ذو أثيل، ومظنة: موضع لحصول الظن

(٢) النجائب: كرام الابل، وتخفق: تسرع

(٣) العبرة ـ بفتح العين وسكون الباء ـ الدمعة، ومسفوحة: جارية، والواكف: السائل،

(٤) ضنء: هو بفتح الضاد أوكسرها والنون ساكنة وآخره همزة ـ النسل والولد، والمعرق: الكريم الذى يأتى بنسل كرام

(٥) مننت: أنعمت بالفداء، والمن: النعمة، ويروى فى مكانه «صفحت» ومعناه غفرت، والصفح: الغفران. والمحنق ـ بضم الميم وفتح النون ـ هو الشديد الغيظ

(٦) تنوشه: تتناوله، وتشقق: تقطع

صَبْرًا يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتْعَبًا رَسْفَ الْمُقَيَّدِ وهُوَ عَانٍ مُوثَقُ (١)

قال ابن هشام : فيقال والله أعلم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر قال : « لو بَلَغَنِي هٰذَا قَبْلَ قَتْلِهِ لَمَنَنْتُ عَلَيْهِ »

قال ابن إسحق : وكان فَرَاغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر في عقب شهر رمضان أو في شوال

غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ بِالْكُدْرِ (٢)

قال ابن إسحق : فلما قدم [رسول الله صلى الله عليه وسلم] المدينة لم يُقِمْ بها إلا سَبْعَ ليال ، حتى غزا بنفسه يريد بني سُلَيْم

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سِبَاعَ بن عُرْفُطَةَ الغِفَارِيَّ أو ابن أم مكتوم

قال ابن إسحق : فبلغ ماء من مياههم يقال له الْكُدْر (٢) فأقام

---

(١) « صبرا » يروى في مكانه « قسرا » ومعناه القهر والغلبة ، وقولها « رسف المقيد ، تريد يمشي مشيا يشبه رسف المقيد ، والرسف : المشي الثقيل ، ومنه قولهم : فلان يرسف في قيوده ؛ أي يمشي فيها مشيا ثقيلا بطيئا ، والعاني : الأسير ، والموثق : المكتوف المشدود وثاقه

(٢) الكدر - بضم الكاف وسكون الدال المهملة - قال ياقوت : «قال الواقدي : بناحية المعدن قريب من الأرحضية بينها وبين المدينة ثمانية برد . وقال غيره : ماء لبني سليم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إليها بجمع من سليم ؛ فلما أتاه وجد الحي خلوفا ، فاستاق النعم ، ولم يلق كيدا ، وقال عرام : في حزم بني عوال مياه آبار منها بئر الكدر ، وغزا النبي صلى الله عليه وسلم بني سهم بالكدر في حادي عشر محرم سنة ثلاث من الهجرة ، وقال كثير : -

سَقَى الْكُدْرَ فَاللَّعْبَاءَ فَالْبُرْقَ فَالْحِمَى
فَلَوْذَ الْحَصَى مِنْ تَغْلَمَيْنِ فَأَظْلَمَا

اهـ كلام ياقوت بحروفه

عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْقَ كيدا ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وأُفْدِىَ فى إقامته تلك جُلُّ الأسارى من قريشٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

غَزْوة السَّوِيقِ

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زِيادُ بن عبد الله البَكّائِىُّ ، عن محمد بن إسحق المطلبى ، قال :

ثم غزا أبو سفيان بنُ حرب غزوة السَّويق فى ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة ، فكان أبو سفيان — كما حدثنى سبب غزوة السويق محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رُومَان ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ؛ حين رجع إلى مكة ورجع فَلُّ قريشٍ [1] من بدرَ — نَذَرَ أن لا يَمَسَّ رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا [صلى الله عليه وسلم] فخرج فى مائتى راكب من قريش ليُبِرَّ يمينه ، فسلك النَّجْدِيَّة حتى نزل بصَدْر قَنَاة إلى جبل يقال له : ثَيْبٌ ، من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النَّضِير تحت الليل ، فأتى حُيَيَّ بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له بابه وخافه ، فانصرف عنه إلى سَلاَّم بن مِشْكَم ، وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك وصاحِبَ كنزهم [2] فاستأذن عليه فأذن له ، فَقَرَاه [3] وسَقَاه وبَطَن له من خبر الناس [4] ، ثم خرج فى عَقِبِ ليلته حتى أتى أصحابه فبعث

---

(١) « فل قريش » الفل - بفتح الفاء - القوم المنهزمون

(٢) « صاحب كنزهم » يريد بالكنز المال الذى يجمعونه للطوارىء ويعدونه للنوائب التى تنوبهم وتعرض لهم

(٣) قراه : صنع له القرى ، وهو الطعام الذى يقدم للضيف

(٤) « بطن له من خبر الناس » أى أعلمه من سرهم

رجالا من قريش [إلى المدينة] فأتوا ناحية منها يقال لها الْعُرَيْض [١] فحرّقوا في أصْوَار [٢] من نخل بها ، ووجدوا [بها] رجلا من الأنصار وحليفا له في حَرْثٍ لهما فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونَذِرَ بهم الناس [٣]

خروج النبي إلى القتال

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم حتى بلغ قَرْقَرَةَ الْكُدْرِ ، ثم انصرف راجعا ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا أزْوَاداً من أزواد القوم قد طرحوها في الحرث يَتَخَفَّفُونَ منها للنَّجَاءِ [٤] ، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، أَتَطْمَعُ لنا أن تكون غزوة ؟ قال : « نَعَم »

قال ابن هشام : وَاستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر وهو أبو لبابة فيما قال ابن هشام

سبب تسمية هذه الغزوة

وإنما سميت غزوة السَّويق — فيما حدثني أبو عبيدة — أن أكثرما طَرَحَ القومُ من أزوادهم السَّوِيقُ ، فهجم المسلمون على سَوِيقٍ كثير ، فَسُمِّيَتْ غزوة السويق [٥]

قال ابن إسحق : وقال أبو سفيان بن حَرْب عند مُنْصَرَفه لما صنع به سَلاَّم بن مِشْكَمٍ : —

(١) العريض - بالضاد المعجمة ، ويقال بالصاد المهملة : اسم موضع ، وقال ياقوت : « قال أبو بكر الهمذاني : هو واد بالمدينة له ذكر في المغازي » وذكر عبارة ابن إسحق هنا

(٢) الأصوار : جمع صور ، وهي الجماعة من النخل

(٣) نذر بهم : علم ، ويقال : نذرت بفلان ، إذا علمت به فاستعددت له .

(٤) النجاء : السرعة

(٥) السويق : أن تحمص الحنطة أو الشعير ثم تطحن ثم يسافر بها وقد تمزج باللبن والعسل والسمن تلت به

قصيدة لأبى سفيان يمدح سلام بن مشكم

وَإِنِّى تَخَيَّرْتُ المَدِينَةَ واحِـدًا لِحِلْفٍ فَلَمْ أَنْدَمْ وَلَمْ أَتَلَوَّمِ (١)

سَقَانِى فَرَوَّانِى كُمَيْتًا مُدامَةً
عَلَى عَجَلٍ مِنِّى سَلاَمُ بنُ مِشْكَمِ (٢)

ولَمَّا تَوَلَّى الجَيْشُ قُلْتُ ولَمْ أَكُنْ
لِأُفْرِحَهُ أَبْشِرْ بِغَزْوٍ وَمَغْـنَمِ (٣)

تَأَمَّلْ فإنَّ القَوْمَ سِرٌّ وإنَّهُـمْ
صَرِيحُ لُؤَىٍّ لاَ شَمَاطِيطُ جُرْهُمِ (٤)

وَمَا كَانَ إلاَّ بَعْضُ لَيْلَةِ رَاكِبٍ
أَتَى سَاغِبًا مِنْ غَيْرِ خَلَّةِ مُعْدِمِ (٥)

---

(١) « تخيرت المدينة واحدا » أراد تخيرت من المدينة واحدا ؛ فحذف حرف الجر ، وذلك كما فى قوله تعالى : (واختار موسى قومه سبعين رجلا) أى اختار من قومه سبعين رجلا ؛ وقوله « لم أتلوم » أى لم أدخل فيما ألام عليه .

(٢) الكميت والمدام : من أسماء الخمر ، وقوله « سلام بن مشكم » هو فى هذا بتخفيف اللام ، والمعروف فى هذا العلم تشديد اللام ، فلعله خففه ضرورة ، ولم يذكر العلماء سلاما بالتخفيف إلا فى والد عبد الله بن سلام

(٣) أفرحه : أثقله وأشق عليه ، وتقول : أفرحه الدين ؛ إذا أثقله ، وقال الشاعر : —

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّى أَمَانَةً وَتَحْمِلُ أُخْرَى أَفْرَحَتْكَ الْوَدَائِعُ

(٤) سر القوم : خالصهم فى النسب ، والصريح بهذا المعنى أيضا ، والشماطيط : المختلفون من قبائل شتى ، ومنه الشمط ، وهو اختلاط بياض الشعر بسواده ؛ وجرهم : قبيلة قديمة

(٥) الساغب : الجائع المعيي ، ويروى « شاعبا » من الشعب وهو

غَزْوَةُ ذِى أَمَر

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السَّويق أقام بالمدينة بَقِيَّةَ ذى الحجة ، أو قريبا منها ، ثم غزا نَجْدًا يريد غَطَفَان ، وهى غزوة ذى أَمَر (١)

واستعمل على المدينة عُثمان بن عَفَّان ، فيما قال ابن هشام

قال ابن إسحق : فأقام بنَجْدٍ صَفَرًا كله ، أو قريبا من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْقَ كَيْدًا ، فلبث بها [بقية] شهر ربيع الأول كله ، أو إلا قليلا منه

غزوة الفُرُع من بَحْرَان

ثم غزا [رسول الله] صلى الله عليه وسلم يريد قُرَيْشًا

واستعمل على المدينة ابن أُمّ مَكْتُوم ، فيما قال ابن هشام

التفريق ، ويروى « ساعيا » من السعى ، وهو معروف ، والخلة : الحاجة والفقر

(١) « ذو أمر » قال ياقوت : « بلفظ الفعل من أمر يأمر : موضع غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الواقدى : هو من ناحية النخيل ، وهو بنجد من ديار غطفان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى ربيع الأول من سنة ثلاث للهجرة ، لجمع بلغه أنه اجتمع من محارب وغيرهم ، فهرب القوم منهم إلى رءوس الجبال ، وزعيمها دعثور بن الحرث المحاربى فعسكر المسلمون بذى أمر ، قال عكاشة بن مسعدة السعدى : —

فَأَصْبَحَتْ تَرْعَى مَعَ الوَحْشِ النَّفر
حَيْثُ تَلاَقَى وَاسِطٌ وَذُو أَمَرْ
حَيْثُ تَلاَقَتْ ذَاتُ كَهْفٍ وَغُمُرْ

والأمر فى الأصل الحجارة تجعل كالأعلام » اه

قال ابن إسحق : حتى بلغ بُحْرَانَ (١) مَعْـدِنًا بالحجاز من ناحية الفُرُع (٢) فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْقَ كَيْدًا

أمر بنى قَيْنُقَاع

وقد كان — فيما بين ذلك من غزْو رسول الله صلى الله عليه وسلم — أمرُ بنى قَيْنُقَاع ، وكان من حديث بنى قَيْنُقَاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمَعَهُمْ بسوق بنى قينقاع ثم قال : «يامَعْشَرَ يهود ، احْذَرُوا من الله مثل مانَزَلَ بقُرَيْشٍ من النقمة ، وأسْلِمُوا ، فإنكم قد عرفتم أنّى نبىٌّ مُرْسَلٌ : تجدُون ذلك فى كتابكم وعَهْدِ الله إليـكم» . قالوا : يامحمد ، إنك تُرَى أنَّا قَوْمُك ، لا يَغُرَّنَّكَ أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأَصَبْتَ منهم فُرْصَةً ، إنا والله لئن حاربناك لَتَعْلَمَنَّ أنَّا نحن الناس

رسول الله يدعو اليهود فى سوق بنى قينقاع إلى الاسلام

قال ابن إسحق : فحدثنى مَوْلًى لآل زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير أو عن عكرمة ، عن ابن عبـاس ، قال : مانزل هؤلاء الآيات إلا فيهم (٣ : ١٢ — ١٣) : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وتُحْشَرُونَ إلى

---

(١) « بحران » قيده جماعة بفتح الباء ، وقيده آخرون بضمها ، وقال ياقوت : « موضع بين الفرع والمدينة . قال الواقدى : بين الفرع والمدينة ثمانية برد » اهـ

(٢) قال ياقوت : « بضم أوله وسكون ثانيه : قرية من نواحى الربذة عن يسار السقيا بينها وبين المدينة ثمانيـة برد على طريق مكة ، وقيل : أربع ليال ، بها منبر ونخل ومياه كثيرة ، وهى قرية غناء كبيرة ، وهى لقريش الأنصار ومزينة ، وبين الفرع والمريسيع ساعة من النهار ؛ وهى كالكورة وفيها عدة قرى ومنابر ومساجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ... وقال السهيلى : الفرع بضمتين » اهـ كلامه

جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ، قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا) أى : أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش (فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِى الْأَبْصَارِ)

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بنى قَيْنُقَاع كانوا أول يهود نقضوا مابينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاربوا فيما بين بدر وأُحد

قال ابن هشام : وذكر عبدُ الله بن جعفر بن الْمِسْوَر بن مَخْرَمَةَ ، عن أبى عون ، قال : كان [من] أمر بنى قَيْنُقَاع أن امرأة من العرب قَدِمَتْ بِجَلَبٍ[1] لها ، فباعته بسوق بنى قَيْنُقَاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كَشْفِ وجهها ، فأَبَتْ ، فعَمَد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سَوْءَتُها ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهوديا ، فشَدَّت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهلُ المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم و بين بنى قينقاع

سبب حرب بنى قينقاع

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عَبْدُ الله بن أُبَىّ ابن سَلُولَ ــ حين أمكنه الله منهم ــ فقال : يامحمدُ ، أَحْسِنْ فى مَوَالىَّ وكانوا حلفاء الخزرج ، قال : فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

حصار رسول الله بنى قينقاع

(١) جلب ــ بفتح الجيم واللام ــ كل ما يجلب إلى السوق ليباع فيها ، من إبل وغنم وغيرهما

فقال : يا محمدُ أحْسِنْ فى موالىَّ ، قال : فأعرض عنه ، فأَدخل يَدَه فى جَيْب دِرْع رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : وكان يقال لها : ذَاتُ الْفُضُول

رسول الله وعبد الله ابن أبى ابن سلول

قال ابن إسحق : فقال [له] رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرْسِلْنِى » وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى رَأَوْا لوجهه ظُلَلاً (١) ، ثم قال : « وَيْحَكَ !! أرْسِلْنِى » قال : لا والله لا أرسلك حتى تُحْسِنَ فى موالىَّ أرْبَعُمِائَة حَاسِرٍ (٢) وثلاثمائة دَارِع (٣) قد منعونى من الأحمر والأسود تَحْصِدُهم فى غَدَاة واحدة ؟ إنى والله امرؤٌ أخْشَى الدَّوَائر ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُمْ لكَ »

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة فى محاصرته إياهم بَشِيرَ بن عبد الْمُنْذِر ، وكانت محاصرته إياهم خَمْسَ عَشْرَةَ ليلةً

قال ابن إسحق : وحدثنى أبى إسحقُ بن يَسَار ، عن عُبَادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، قال : لما حاربت بنو قَيْنُقَاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تَشَبَّثَ بأمرهم (٤) عبد الله بن أُبَىٍّ ابن سَلُولَ ، وقام دونهم ، قال : ومشى عُبَادَةُ بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد بنى عَوْف لَهُمْ من حِلْفِه مِثْلُ الذى لهم من عبد الله بن أُبَى ،

---

(١) الظلل : جمع ظلة ، وهى فى الأصل السحابة ، فاستعارها ههنا لتغير وجه النبى صلى الله عليه وسلم

(٢) الحاسر : الذى لادرع له

(٣) الدارع : لابس الدرع

(٤) تشبث بأمرهم : تمسك به

فخلعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبرأ إلى الله عز وجل و إلى رسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم ، وقال : يارسول الله ، أتولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم ، قال : ففيه و [في] عبد الله بن أبي نزلت القصة من المائدة (٥ : ٥١ — ٥٦) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أي : كعبد الله بن أبي وقوله : إني أخشى الدوائر (يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ [وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ]) ثم القصة إلى قوله تعالى (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) وذلك لتولي عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا وتبرئه من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)

سَرِيَّةُ زيد بن حارثة [إلى] القَرَدَة [من مياه نجد]

قال ابن إسحق : وسَرِيَّةُ زيد بن حارثة التي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها — حين أصابَ عير قريش وفيها أبو سفيان بن حرب على القَرَدَة ماء من مياه نجد — وكان من حديثها أن قُرَيْشًا خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام — حين كان من وقعة بدر ما كان — فسلكوا طريقَ العِرَاق ، فخرج منهم تُجّارٌ فيهم أبو سفيان بن حَرْب ومعه فِضّةٌ كثيرة وهي عُظْمُ تجارتهم ، واستأجروا رجلا من [بني] بكر بن وائل يقال له فُرَاتُ بن حَيّان يدلهم في ذلك [على] الطريق

قال ابن هشام : فُرَاتُ بن حَيَّان من بنى عِجْلٍ ، حليف لبنى سهم

قال ابن إسحق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زَيْد بن حارثة ، فلقيهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك الْعِيرَ وما فيها ، وأعجزه الرجالُ ، فقدِمَ بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال حسان بن ثابت بعد أُحُد فى غَزْوَة بدر الآخرة يُؤَنِّبُ قريشا (١) لأخذهم تلك الطريق : —

كلمة لحسان بن ثابت يؤنب فيها قريشا

دَعُوا فَلَجاتِ الشَّأمِ قَدْ حالَ دُونَهَا
جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ (٢)
بِأَيْدِي رِجالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ
وأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِى الْمَلَائِكِ
إِذَا سَلَكَتْ لِلْغَوْرِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ
فَقُولَا لَهَا : لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَالِكَ (٣)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات لحسان بن ثابت نَقَضَهَا عليه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، وسنذكرها ونقيضتها إن شاء الله فى موضعها .

مَقْتل كعب بن الأشْرَفِ

قال ابن إسحق : [وقُتِلَ كَعْبُ بن الأشرف]

وكان من حديث كعب بن الأشرف أنه لما أصيب أصحابُ بدرٍ وقدِمَ

---

(١) يؤنب قريشا : يوبخهم ، ووقع فى كثير من الأصول « يؤنث قريشا » بالثاء المثلثة

(٢) الفلجات : الأنهار الصغار ، والجلاد : المجالدة فى الحرب ، والمخاض : الابل الحوامل ، والأوارك : التى ترعى الأراك ، وهو شجر السواك

(٣) الغور : المنخفض من الأرض ، وعالج : موضع كثير الرمل

زيدُ بن حارثة إلى أهل السافلة وعبدُ الله بن رَوَاحــــة إلى أهل العالية بَشِيرَيْنِ (١) بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه وقَتْلِ من قُتِلَ من المشركين — كما حدثنى عبد الله بن المغيث بن أبى بُرْدَةَ الظَّفَرِى وعَبْدُ الله بن أبى بكر بن محمد بن حَزْم وعاصمُ بن عمر بن قتادة وصالحُ بن أبى أمامة بن سهل ، كُلٌّ قد حدثنى بعضَ حديثه — قالوا : قال كعب بن الأشرف — وكان رجلا من طيء ، ثم أحد بنى نَبْهَان ، وكانت أمه من بنى النَّضِير — حين بلغه الخبر : أحَقٌّ هذا ؟ أتُرَوْنَ محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان ؟ يعنى زَيْداً وعَبْدَ الله بن رَوَاحة ، فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القومَ لَبَطْنُ الأرض خَيْرٌ من ظهرها ، فلما تَيَقَّنَ عَدُوُّ الله الخبر خرج حتى قـدم مكة ، فنزل على المطلب بن أبى وَدَاعة بن ضُبَيْرَةَ السَّهْمِيِّ وعنده عاتكةُ بنت أبى العيص (٢) بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرِّض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويُنْشِدُ الأشعار ، ويَبْكى أصحاب الْقَليب من قريش الذين أصيبوا ببدر ، فقال : —

كلمة لكعب بن الأشرف

طَحَنَتْ رَحَا بَدْرٍ لِمُهْلَكِ أَهْلِهِ ۝ وَلِمِثْلِ بَدْرٍ تَسْتَهِلُّ وَتَدْمَعُ (٣)

---

(١) انظر (ص ٢٨٤ و ٢٨٥) من هذا الجزء

(٢) « بنت أبى العيص » قال أبو ذر : « هكذا وقع هنا ، ورواه الخشنى بنت أبى العاصى ، والصواب بنت أبى العيص »

(٣) رحى الحرب : مجتمع القتال ومعظم الحرب ، وتستهل : تسيل بالدمع ، يقال : استهل المطر والدمع ، إذا سالا

قُتِلَتْ سَرَاةُ النَّاسِ حَوْلَ حِيَاضِهِمْ
لَا تَبْعَدُوا إِنَّ الْمُلُوكَ تُصَرَّعُ (١)

كَمْ قَدْ أُصِيبَ بِهِ مِنَ أَبْيَضَ مَاجِدٍ
ذِي بَهْجَةٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الضُّيَّعُ (٢)

طَلْقِ الْيَدَيْنِ إِذَا الْكَوَاكِبُ أَخْلَفَتْ
حَمَّالِ أَثْقَالٍ يَسُودُ وَيَرْبَعُ (٣)

وَيَقُولُ أَقْوَامٌ أُسَرُّ بِسُخْطِهِمْ :
إِنَّ ابْنَ الْأَشْرَفِ ظَلَّ كَعْبًا يَجْزَعُ (٤)

صَدَقُوا فَلَيْتَ الْأَرْضَ سَاعَةَ قُتِّلُوا
ظَلَّتْ تَسُوخُ بِأَهْلِهَا وَتَصَدَّعُ (٥)

صَارَ الَّذِي أَثَرَ الْحَدِيثَ بِطَعْنَةٍ
أَوْ عَاشَ أَعْمَى مُرْعَشًا لَا يَسْمَعُ (٦)

---

(١) سراة الناس : خيارهم ، والحياض : جمع حوض

(٢) الماجد : الشريف ، والبهجة : حسن الظاهر ، والضيع : جمع ضائع ، وهو الفقير

(٣) طلق اليدين : كثير المعروف كريم ، وأخلفت : لم يكن معها مطر ، ويربع : يأخذ الربع ، يقال : ربع الرجل القوم يربعهم – مثل فتح يفتح – إذا أخذ ربع أموالهم ، وكان رئيس القوم فى الجاهلية يأخذ الربع مما كانوا يغنمون ، وهذه كناية عن كونه سيدا

(٤) أراد : إن ابن الأشرف كعبا ظل يجزع

(٥) تسوخ بأهلها : يغورون فيها وينزلون ببطنها ، وتصدع : تتشقق

(٦) أثر الحديث : حدث به ونقله وأشاعه فى الناس

نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِى المُغِيرَةِ كُلَّهُمْ
خَشَعُوا لِقَتْلِ أَبِى الحَكِيمِ وَجُدِّعُوا (١)
وَابْنَا رَبِيعَةَ عِنْدَهُ وَمُنَبِّهٌ   مَانَالَ مِثْلَ المُهْلَكِينَ وَتُبَّعُ (٢)
نُبِّئْتُ أَنَّ الحَرِثَ بْنَ هِشَامِهِمْ   فِى النَّاسِ يَبْنِى الصَّالِحَاتِ وَيَجْمَعُ
لِيَزُورَ يَثْرِبَ بِالجُمُوعِ وَإِنَّمَا
يَحْمِى عَلَى الحَسَبِ الكَرِيمُ الأَرْوَعُ (٣)

قال ابن هشام: قوله « تبع » و« أسَرُّ بسخطهم » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق: فأجابه حسّان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه، فقال: —

كلمة حسان بن ثابت يرد على كعب بن الأشرف

أَبْكَاهُ كَعْبٌ ثُمَّ عُلَّ بِعَبْرَةٍ   مِنْهُ وَعَاشَ مُجَدَّعًا لَا يَسْمَعُ (٤)
وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِبَطْنِ بَدْرٍ مِنْهُمُ
قَتْلَى تَسُحُّ لَهَا العُيُونُ وَتَدْمَعُ (٥)
فَابْكِى فَقَدْ أَبْكَيْتَ عَبْدًا رَاضِعًا
شِبْهَ الكُلَيْبِ إِلَى الكُلَيْبَةِ يَتْبَعُ (٦)

---

(١) جدعوا: قطعت آنافهم، وأراد هنا ذهاب عزهم
(٢) تبع: ملك من ملوك اليمن
(٣) الأروع: الذى يروع بحسنه وجماله
(٤) عل بعبرة: كررت عليه، ومجدعا: ذاهب العز ذليلا، وأصله جدع الأنف
(٥) تسح: تصب الدمع، يقال: سح الدمع والمطر، إذا جريا
(٦) راضعا: أراد لئيما

ولقدْ شَفَى الرَّحْمنُ مِنَّا سَيِّدًا
وَأَهَانَ قَوْمًا قَاتَلُوهُ وَصُرِّعُوا (١)

ونَجَا وَأُفْلِتَ مِنْهُمُ مَنْ قَلْبُهُ
شَعَفٌ يَظَلُّ لِخَوْفِهِ يَتَصَدَّعُ (٢)

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان ، وقوله « أبكاه كعب » عن غير ابن إسحق

قال ابن إسحق : وقالت امرأة من المسلمين — من بنى مُرَيْد (٣) بطنٍ من بلى كانوا حلفاء فى بنى أمية بن زيد يقال لهم : الجَعَادِرَةُ — تُجيب كعبا

ميمونة بنت عبد الله تجيب كعب بن الاشرف

قال ابن هشام : اسمها مَيْمُونَة بنت عبد الله ؛ وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها ، وينكر نقيضها لكعب بن الأشرف :

تَحَنَّنَ هَذَا العَبْدُ كُلَّ تَحَنُّنٍ
يُبَكِّى عَلَى قَتْلَى وَلَيْسَ بِنَاصِبِ (٤)

---

(١) عنى هنا بالسيد النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) شعف ـ بالعين مهملة ـ ومعناه محترق ملتهب ، ويروى «شغف» بالغين معجمة ـ وأراد أنه قد بلغ الحزن شغاف قلبه ، ويتصدع : يتشقق

(٣) قال أبو ذر : « يروى ههنا مريد بفتح الراء وكسرها ، ومريد بفتحها هو الصواب » اه

(٤) تحنن : من الحنان وهو الرحمة والرأفة ، تريد تصنع ذلك وتكلفه ، ويروى « تحين » بالياء المثناة ـ من الحين ، وهو الهلاك ، وناصب : هو المعيي

بَكَتْ عَيْنُ مَنْ يَبْكِى لِبَدْرٍ وَأَهْلِهِ
وعُلَّتْ بِمِثْلَيْهَا لُؤَىُّ بنُ غَالِبِ (١)
فَلَيْتَ الَّذِينَ ضُرِّجُوا بِدِمَائِهِمْ
يَرَى مَابِهِمْ مَنْ كَانَ بَيْنَ الأَخَاشِبِ (٢)
فَيَعْلَمَ حَقًّا عَنْ يَقِينٍ وَيُبْصِرُوا
مَجَرَّهُمُ فَوْقَ اللِّحَى وَالْحَوَاجِبِ (٣)

كعب بن الاشرف يجيب ميمونة بنت عبد الله

فأجابها كعب بن الأشرف ، فقال : —

أَلَا فَازْجُرُوا مِنْكُمْ سَفِيهًا لِتَسْلَمُوا
عَنِ الْقَوْلِ يَأْتِى مِنْهُ غَيْرَ مُقَارِبِ (٤)
أَتَشْتُمُنِى أَنْ كُنْتُ أَبْكِى بِعَبْرَةٍ
لِقَوْمٍ أَتَانِى وُدُّهُمْ غَيْرَ كَاذِبِ (٥)
فَإِنِّى لَبَاكٍ مَابَقِيتُ وَذَاكِرٌ
مَآثِرَ قَوْمٍ مَجْدُهُمْ بِالْجَبَاجِبِ (٦)

---

(١) وعلت بمثليها : أى كرر عليها ذلك مرة بعد مرة ، ويروى « بكت عين من يبكى لبدر وأهله »

(٢) ضرجوا بدمائهم : لطخوا به ، وقوله « الأخاشب » إنما أراد أن يقول « بين الأخشبين » وهما جبلان بمكة ، فلم يستقم له لجمعهما بقصدهما وما حولها.

(٣) مجرهم : يروى بالجيم والراء المهملة ، ويروى محزهم ـ بالحاء المهملة والزاى ـ من الحز بالسيوف ، وهو القطع بها

(٤) سفيها : ذكر السفيه وهو يريد المرأة التى يجيبها لأنه حمل ذلك على معنى الشخص ، والشخص مذكر

(٥) العبرة ـ بفتح العين المهملة ـ الدمعة

(٦) مآثر : جمع مأثرة وهى ما يتحدث به عن الرجل من الأفعال الحسنة ، والمجد : الشرف ، والجباجب : منازل مكة

لَعَمْري لَقَدْ كَانَتْ مُـرَيْدُ بِمَعْزِلٍ
عَنِ الشَّرِّ فَاحْتَالَتْ وُجُوهَ الثَّعَالِبِ (١)
فَحَقٌّ مُرَيْدٍ أَنْ تُجَـذَّ أُنُوفُهُمْ
بِشَتْمِهِمُ حَيَّيْ لُؤَىٍّ بْنِ غَالِبِ (٢)
وَهَبْتُ نَصِـيبِي مِنْ مُرَيْدٍ لِجَعْـدَرٍ
وَفَاءً وَبَيْتِ اللهِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ (٣)

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فَشَبَّبَ (٤) بنساء المسلمين حتى آذاهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما حدثنى عبد الله بن المغيث ابن أبى بُرْدَة — : « مَنْ لِي بِابْنِ الْأَشْرَفِ » ؟ فقال له محمد بن مَسْلمة أخو بنى عبدالأشهل : أنا لك [به] يارسول الله ، أنا أقتله ، قال : « فَافْعَلْ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَٰلِكَ » فرجع محمد بن مسلمة ، فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا مايُعْلِقُ [به] نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه فقال له : « لِمَ تَرَكْتَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ » ؟ فقال : يارسول الله ، قلت لك قولاً لا أدرى هل أَفِيَنَّ لك به أم لا ، فقال : « إِنَّمَا

---

(١) مريد : اسم قبيلة منها المرأة التى يحبها ، وقوله «فاحتالت» يروى بالحاء مهملة ومعناه تغيرت ، تقول : حال الربع والمكان ؛ إذا تغيرا ، ويروى « فاجتالت» بالجيم ومعناه تحركت ، تقول : جال الشيء يجول ؛ إذا تحرك ، ويروى « فاختالت » بالخاء معجمة ، ومعناه أصابها الخيلاء ، وهو الاعجاب والزهو ، وقوله « وجوه الثعالب » هو منصوب على الذم

(٢) تجذ : تقطع

(٣) جعدر : قبيلة وهى مريد

(٤) شبب بنساء المسلمين : تغزل فيهن وذكرهن فى شعره

عَلَيْكَ الْجَهْدُ » قال : يارسول الله ، إنه لا بد لنا من أن نَقُول ، قال «قُولُوا مَا بَدَا لَكُمْ فَأَنْتُمْ فِي حِلٍّ مِنْ ذَلِكَ » فاجتمع فى قتله محمد بن مَسْلمة وسِلْكَانَ بن سلامة بن وَقَش ، وهو أبونائلة أحدُ بنى عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرَّضاعة ، وعَبَّاد بن بشربن وَقَش أحد بنى عبدالأشهل ، والحرث بن أوس بن معاذ أحد بنى عبدالأشهل ، وأبوعَبْس ابن جَبْر أحدُ بنى حارثة ، ثم قَدَّمُوا إلى عدوّ الله كعب بن الأشرف قبل أن يأتوه سِلْكانَ بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه ، فتحدّث معه ساعة ، وتناشدا شعراً ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ، ثم قال : ويحك ياابن الأشرف ! ! إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عنى ، قال : أَفْعَلُ ، قال : كان قدومُ هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادَتْنَا [به] العرب ، ورَمَتْنَا عن قوسٍ واحدة ، وقطعَتْ عنا السبل(١) ، حتى ضاع العيالُ ، وجُهِدَتْ(٢) الأنفس ، وأصبحنا قد جُهِدْنَا وجُهِدَ عيالنا ، فقال كعب : أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنت أخبرك ياابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول ، فقال له سِلْكان : إنى قد أردت أن تبيعَنَا طعاماً ونَرْهَنَكَ وَنُوَثِّق لك وتحسن فى ذلك ، فقال : أتَرْهَنُونَنِى أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا ، إن معى أصحابا لى على مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن فى ذلك ونَرْهَنَكَ من الحَلْقَة(٣) ما فيه وَفَاء ، وأراد سِلْكان أن لاينكر السلاح إذا جاءوا بها ، قال : إنَّ فى الحَلْقَةِ لَوَفَاء ، قال : فرجع سِلْكانُ إلى أصحابه ، فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) السبل : جمع سبيل ، وهو الطريق
(٢) جهدت الأنفس : بلغ منها الجهد والمشقة
(٣) الحلقة : هى السلاح كله فى هذا الموضع ، وأصله خاص بالدروع

قال ابن هشام : ويقال : [قال :] أتَرْهَنُونى نساءكم ؟ قال : كيف نَرْهَنُكَ نساءنا وأنت أشَبُّ أهل يثرب وأعْطَرُهم ؟ قال : أترهنونى أبناءكم ؟

قال ابن إسحق : فحدثنى ثَوْر بن زيد ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : مشى معهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بَقيع الغَرْقَد ، ثم وَجَّهَهُم ، فقال : « انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللهِ ، اللَّهُمَّ أَعِنْهُمْ » ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، وهو فى ليلة مُقْمِرَة ، وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ ، فوثب فى مِلْحَفَته ، فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنَّكَ امرؤ مُحَارَب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة ، قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدنى نائما لما أيقظنى ، فقالت : والله إنى لأعرف فى صوته الشَّر ، قال : يقول لها كعب : لَوْ يُدْعى الفتى لطعنـة لأجاب ، فنزل فتحدَّث معهم ساعة وتحدثوا معه ، ثم قالوا : هل لك يا ابن الأشرف أن تماشى إلى شِعْب العَجُوز[1] فنتحدث به بقيَّةَ ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم ، فخرجوا يتماشَوْنَ فمشَوْا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شَامَ يده فى فَوْد رأسه[2] ، ثم شَمَّ يده ، فقال : ما رأيت كالليلة طيبًا أعْطَرَ قطُّ ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها فأخذ بفَوْد رأسه ، ثم قال : اضربُوا عَدُوّ الله ، فضربوه ، فاختلفت عليهم أسيافهم فلم تغن شيئا ، قال محمد بن مسلمة : فذكرت مِغْوَلاً[3] فى سيفى

(١) شعب العجوز : الشعب : كل فرجة بين جبلين

(٢) « شام يده فى فود رأسه » معناه أدخل يده فى شعره ؛ يقال : شمت السيف ، إذا أغمدته وإذا سللته ، فهو من الأضداد ، وفود الرأس : جانبه من جهة الأذن

(٣) المغول : السكين

حين رأيت أسيافنا لا تغني شيئا ، فأخذته ، وقد صاح عدوّ الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا [وقد] أوقدت عليه نار ، قال : فوضعته في ثُنَّته[1] ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ، فوقع عدو الله ، وقد أصيب الحرث بن أوْس بن مُعَاذ فجرح في رأسه أو في رجله ، أصابه بعض أسيافنا ، قال : فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ، ثم على بنى قُرَيْظَة ، ثم على بُعَاث حتى أسْنَدْنا في[2] حَرّة العُرَيْض[3] ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحرثُ ابن أوْس ، وَنَزَفَه الدم[4] ، فوقفنا له ساعة ثم أتانا يَتْبَعُ آثارنا ، قال : فاحتملناه ، فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلّي ، فسلّمْنَا عليه ، فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله وتَفَلَ على جرح صاحبنا ، فرجع ، ورجعنا إلى أهلنا ؛ فأصبحنا وقد خافت يهود لوَقْعَتِنَا بعدو الله ، فليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه

قال ابن إسحق : فقال كعب بن مالك :

فَغُودِرَ مِنْهُمُ كَعْبٌ صَرِيعاً ... فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ[5]
عَلَى الْكَفَّيْنِ ثَمّ وَقَدْ عَلَتْهُ ... بِأَيْدِينَا مُشَهَّرَةٌ ذُكُورُ[6]
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلاً ... إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَمَا كَرَهُ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرٍ ... وَمَحْمُودٌ أَخُو ثِقَةٍ جَسُورُ

---

(١) الثنة : ما بين السرة والعانة

(٢) أسندنا : ارتفعنا

(٣) حرة العريض : الحرة أرض فيها حجارة سود ، والعريض : مكان بعينه

(٤) نزفه الدم : أضعفه بكثرة سيلانه

(٥) غودر : ترك ، والنضير : قبيلة من يهود المدينة

(٦) مشهرة : يريد سيوفا مجردة من أغمادها

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له فى يوم بنى النضير سأذكرها إن شاء الله فى حديث ذلك اليوم

قال ابن إسحق : وقال حسان بن ثابت يذكر قَتْل كعب بن الأشرف وقتل سَلاَّم بن أبى الْحُقَيْقِ :—

كلمة لحسان بن ثابت فى قتل كعب بن الاشرف

لِلّٰهِ دَرُّ عِصَابَةٍ لَاقَيْتَهُمْ
يَاابْنَ الْحُقَيْقِ وَأَنْتَ يَاابْنَ الْأَشْرَفِ (١)

يَسْرُونَ بِالْبِيضِ الْخِفَافِ إِلَيْكُمُ
مَرَحًا كَأُسْدٍ فِى عَرِينٍ مُغْرِفِ (٢)

حَتَّى أَتَوْكُمْ فِى مَحَلِّ بِلَادِكُمْ
فَسَقَوْكُمُ حَتْفًا بِبِيضٍ ذُفَّفِ (٣)

مُسْتَنْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ
مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْحِفِ (٤)

قال ابن هشام : وسأذكر قتل سَلاَّم بن أبى الْحُقَيْق فى موضعه إن شاء الله ، وقوله « ذُفَّف » عن غير ابن إسحق

---

(١) العصابة : الجماعة

(٢) يسرون : يسيرون ليلا ، والبيض : السيوف ، ومرحا : يروى بفتح كل من الميم والراء على أنه مصدر بمعنى النشاط ، ويروى بضم الميم والراء على أنه جمع مرح — بزنة كتف — وهو النشيط ، والعرين : موضع الأسد ، ومغرف : ملتف الشجر

(٣) ذفف : سريعة القتل

(٤) المجحف : الذى يذهب بالنفوس والأموال

أمر مُحَيِّصَة وحُوَيِّصَة

قال ابن إسحق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ ظَفِرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ فَاقْتُلُوهُ » فوثب مُحَيْصَة بن مسعود (قال ابن هشام : ويقال : مُحَيِّصَة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدى بن مَجْدَعَةَ بن حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس) على ابن سُنَيْنَةَ (قال ابن هشام : ويقال ابن سُبَيْنَة) رجل من تُجَّار يهود كان يُلاَبسهم وَيُبَايعهم ، فقتله ، وكان حُوَيِّصَةُ بن مسعود إذ ذاك لم يسلم ، وكان أَسَنَّ من مُحَيِّصَة ، فلما قَتَلَه جعل حُوَيِّصَةُ يضربه ، ويقول : أىْ عدُوَّ الله ، أقتلته ؟!! أما والله لَرُبَّ شَحْمٍ في بطنك من ماله ، قال مُحَيِّصَة : فقلت : والله لقد أمرنى بقتله مَنْ لو أمرنى بقتلك لضربْتُ عُنُقَكَ ، قال : فوالله إن كان لَأَوَّلَ إسلام حُوَيِّصة ، قال : آللهِ لَوْ أَمَرَكَ محمدٌ بقتلى لقتلتنى ؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها ، قال : والله إنَّ دينا بَلَغَ بك هذا لَعَجَبٌ ، فأسلم حُوَيِّصَة

قال ابن إسحق : حدثنى هذا الحديث مَوْلًى لبنى حارثة ، عن ابنة مُحَيِّصَة ، عن أبيها مُحَيِّصَة ، فقال محيصة فى ذلك : —

يَلُومُ ابْنُ أُمِّى لَوْ أُمِرْتُ بِقَتْلِهِ ... لَطَبَّقْتُ ذِفْرَاهُ بِأَبْيَضَ قَاضِبِ (١)

حُسَامٍ كَلَوْنِ الْمِلْحِ أُخْلِصَ صَقْلُهُ ... مَتَى مَا أُصَوِّبْهُ فَلَيْسَ بِكَاذِبِ (٢)

---

(١) طبقت : قطعت وأصبت المفصل ، والذفرى ـ بكسر فسكون ـ عظم ناتىء خلف الأذن ، والأبيض : السيف ، والقاضب : القاطع

(٢) الحسام : السيف القاطع ، وأصوبه : أميله للضرب به

وَمَا سَرَّنِي أَنِّي قَتَلْتُكَ طَائِعاً

وَأَنَّ لَنَا مَا بَيْنَ بُصْرَى وَمأْرِبِ (٣)

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة ، عن أبى عمرو المدنى ، قال : لما ظفر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ببنى قُرَيْظة أخَذَ منهم نحواً من أربعمائة رجل من اليهود ، وكانوا حلفاء الأوس على الخزرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تُضْرَبَ أعناقهم ، فجعلت الخزرج تَضْرب أعناقهم ، ويَسُرُّهم ذلك ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخزرج ووُجُوهِهِم مُسْتَبْشِرة ، ونظر إلى الأوس فلم ير ذلك فيهم ، فظن أن ذلك للحِلْف الذى بين الأوس و بين بنى قريظة ، ولم يكن بقى من بنى قريظة إلا اثنا عشر رجلا ، فدفعهم إلى الأوس : فدفع إلى كل رجلين من الأوس رجلا من [بنى] قريظة ، وقال : «ليضرب فلانٌ ولْيُذَفِّفْ فلان» فكان ممن دفع إليهم كعب بن يهوذا ، وكان عظيما فى بنى قُرَيظة ، فدفعه إلى مُحَيِّصة بن مَسْعود وإلى أبى بُرْدَة بن نِيَار ، وأبو بردة هو الذى رَخَّص له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يذبح جَذَعاً من المعز فى الأضحى ، وقال : « ليَضْرِبْه مُحَيِّصة وَلْيُذَفِّفْ عليه أبو بردة » ، فضربه مُحَيِّصة ضربةً لم تقطع وذَفَّفَ أبو بردة فأجهز عليه ، فقال حويصة — وكان كافرا — لأخيه محيصة : أقَتَلْتَ كعب بن يهوذا ؟ قال : نعم ، فقال حُوَيِّصَة : أما والله لَرُبَّ شحمٍ قد نَبَتَ فى بطنك من ماله !! إنك لَلَئِيمٌ يا مُحَيِّصَة ، فقال له محيصة : لقد أمرنى بقَتْلِهِ من لو أمرنى بقتلك لقتلتك ، فعجب من قوله ، ثم ذهب عنه مُتَعَجِّباً ، فذكروا أنه جعل يَتَيَقَّظُ من الليل فيعجب من قول أخيه مُحَيِّصَة

---

(٣) بصرى : مدينة بالشام ، ومأرب : باليمن

حتى أصبح وهو يقول : والله إن هذا لَدِينٌ ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال محيصة فى ذلك أبياتا قد كتبناها

قال ابن إسحق : وكانت إقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قدومه من بُحْرَان جُمَادى الآخرة ورجبا وشعبان وشهر رمضان ، وغَزَتْهُ قريشٌ غزوةَ أُحُد فى شَوَّال سنة ثلاث

قد تم — بحمد الله تعالى وحسن معونته — طبع الجزء الثانى من كتاب «سيرة النبى صلى الله عليه وسلم» لأبى محمد عبد الملك بن هشام، ويليه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثالث، مفتتحا بالقول على «غزوة أحد» نسأل الله جلت قدرته أن يعين على إكماله؛ هو المعين وعليه التكلان

فهرست الموضوعات

الواردة فى الجزء الثانى من كتاب

سيرة النبى صلى الله عليه وسلم

لأبى محمد عبد الملك بن هشام

تمت فهرست الجزء الثانى من كتاب

« سيرة النبى صلى الله عليه وسلم »

لأبى محمد عبد الملك بن هشام

مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

مطابع المختار الإسلامي